
تفريغ السلسلة المرئية
ألف كتاب قبل الممات
الجزء الثاني (٢٦ - ٥٠)
تفريغ السلسلة المرئية
٢٦- "الفكر الإسلامي المعاصر"، لغازي التوبة
٢٧- "تطور الفكر الشيعي السياسي"، لأحمد الكاتب
٢٨- "السجينة"، لمليكة أوفقير
٢٩- "التوحيد"، لمحمد المسعري
٣٠- "النبوات"، لشيخ الإسلام ابن تيمية
٣١- "في ظلال سورة التوبة"، للشيخ عبد الله عزام
٣٢- "أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟" لمحمد أركون
٣٣- "العودة إلى الذات"، لعلي شريعتي
٣٤- "إنجيل برنابا"، لبرنابا
٣٥- "مؤتمر النجف"، لعبد الله السويدي
٣٦- "الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق"، للبليدي
٣٧- "حياة الصحابة"، للكاندهلوي
٣٨- "في نظريات التغيير"، لمنير شفيق
٣٩- "الإعجاز البلاغي"، لمحمد أبو موسى
٤٠- "الكشف عن حقيقة الصوفية"، للقاسم
٤١- "السير الكبير"، للإمام محمد بن الحسن
٤٢- "تخريج الدلالات السمعية"، للخزاعي
٤٣- "التراتيب الإدارية"، للكتاني
٤٤- "دليل المسلم الحزين"، لحسين أمين
٤٥- "حصوننا مهددة من داخلها"، لمحمد حسين
٤٦- "سقوط الجولان"، لخليل مصطفى
٤٧- "التنكيل"، للمعلمي
٤٨- "الحرب الثورية الشيوعية"، لصلاح نصر
٤٩- "المسؤولية"، لمحمد أمين المصري
٥٠- "الإمتاع والمؤانسة"، لأبي حيان التوحيدي
للشيخ الفاضل:
أبي قتادة الفلسطيني
حفظه الله ورعاه

تفريغ مشروع

«ألف كتاب قبل الممات»

الجزء (الثاني)

من المناقشة [٢٦] إلى [٥٠]

لفضيلة الشيخ:

أبي قتادة الفلسطيني (عمر بن محمود أبو عمر)

- حفظه الله ورعاه -

ذو القعدة ١٤٤٢ هـ - حزيران، يونيو ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست المناقشات

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونؤمن به ونتوكل عليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، ونصلي ونسلم على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد.

فإنَّ نشر تراث أهلِ العلم، والعناية ببثه في الآفاق من أوجب ما يكون في حق تلاميذهم والمنتفعين من علمهم، كيف لا يكون ذلك، ولا يبقى أثرٌ للعالِمِ إذا لم يقم به تلاميذه كما قال الشافعي في الليث بن سعد المصري: (إنه أفقه من مالك، إلا أن تلاميذه لم يقوموا به).

وإنَّ لفضيلة شيخنا المجاهد "أبي قتادة" حقٌّ علينا، يوم أن انطلق في مشروعه الكريم هذا؛ الذي كان له أثرٌ كبير في إعادة رصفِ العقلية الإسلامية، ألا وهو سلسلة "ألف كتاب قبل الممات"، والذي سعى فيه بكل قوة وعزيمة ومضاء؛ لتنمية ملكات العلم في قلوب الشباب المسلم الحامل لواء التغيير في أمته ومجتمعه، وإطلاع الجيل الصاعد على صنوف المعرفة المختلفة، والدلالة على أبوابِ الفكر المتنوعة في سياقاتها الصحيحة التي يجب أن تُوضع فيها؛ كل هذا مساهمة من الشيخ في صناعة المسلم القارئ الذي يستطيع أن يثبت في معركة التغيير التي تخوضها أمتنا المسلمة على كافة الصعد، وليس الصعيد الفكري والتربوي والعلمي والثقافي ذا شأنٍ يسير فيها.

وهذه السلسلة المميزةُ التي باتت فريدةً كرادة الشيخ في الحركة الإسلامية والجهادية.. تميزت بخروجها عن المألوف؛ وما ذاك إلا لسعة اطلاع صاحبها ومحررها الشيخ أبي قتادة، وموسوعية ثقافته ومعارفه، لهذا كان القيام على رعايتها ومواصلة تفريغها أقل الواجب في خدمة الشيخ، بل وفي خدمة المكتبة الإسلامية ككل.

وإن من سابق سابغِ نعم الله علينا أن جعلنا نقومُ فيما مضى على متابعة عمل الإخوة في

مؤسسة التحايا" لتفريغ بعض حلقات هذه السلسلة، ثم انفرط عقد تلك المؤسسة الكريمة باستشهادِ بعض الإخوة العاملين فيها، وبغياب بعضهم عن الشبكة، مما أدى إلى عدم مواصلتهم في العمل عليها، وقد جدَّ عزم بعض الإخوة الكرام على استئناف العمل في تفريغ هذه السلسلة حتى إنجازها عن آخرها؛ فكان هذا الكتاب الذي حمل الجزء الثاني، والذي فرغنا فيه من الحلقة (٢٦) حتى (٥٠)، على أن نكمل تفريغ بقية الحلقات في الفترة المقبلة بحول الله وقوته.

ونظرًا لاختلافِ المحاضرة الصوتية عن الكتابية؛ فقد سمحنا لأنفسنا أن نتصرفَ قليلًا تقديما أو تأخيرًا، حذفًا أو إضافة لكلمات، أو إصلاحا لخطأ لا يشك السامع أنه سبق لسان لأن طبيعة الشيخ – حفظه الله – أنه يناقش الكتب بغير ورقةٍ يُلقي منها، بل من بنات فكره.. مع التنويه إلى أننا نجري هذا التغيير شريطة ألا نخل بالمعنى ولا نزيد فيه ولا ننقص منه؛ بل نفعل ذلك لتتميم المعنى أو جعله صالحًا للهيئة الكتابية؛ أي أننا نعمد إلى ذلك باعتبارِ النصِّ المكتوب يحتاج لإعادة صياغة وحسب، وكل ذلك حسب وسعنا وجهدنا فقط، والقلمُ يندُّ تارة، ويسهو تارةً، وعلى الله قصد السبيل، ومنه التوفيق.

اللهم جازِ عنا شيخنا خيرَ ما تجزي عالمِا عن أمته، وأبا عن أبنائه، وتقبل منا ومنه..

آمين اللهم آمين

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة وتقويم

للأستاذ/ غازي التوبة

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب السادس والعشرون

تاريخ المناقشة: ١٣شباط ٢٠١٦.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيّد المرسلين وإمام المتّقين، حبيبنا وإمامنا وقائدنا وسيّدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغرّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله –عزَّ وجلَّ– وإيّاكم منهم، آمين آمين.

أهلًا وسهلًا بكم أيّها الإخوة الأحبّة مع كتاب جديد ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)، واليوم الكتاب الّذي نحن بصدده هو كتاب "الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة وتقويم" للأستاذ غازي التوبة.

قبل أن نشرع في هذا الكتاب ربّما نتحدّث عن بعض القضايا المتعلقة بهذا المشروع والمتعلقة بطريقة البحث وبطريقة المناقشة وما يمكن أن تجرّ هذه المناقشة من تداعيات ومن صدى.

ابتداءً: نحن هنا لسنا أمام معيارية حقّ عندنا يمثّلها شخص أو متكلّم، تريد أن تنظر إلى الآخرين ككتل تُقوّم من خلال هذا الميزان، أو تُعرض من خلال هذه المعيارية.

هذا أسوأ ما يمكن أن يخطر على بال أحد، لسنا أمام معيارية حقّ يمثّلها شخص في هذا العصر، وهي تضع نفسها لتقيّم الآخرين على منوالها، وبالتالي يمكن أن نقصّ ما زاد أو أن نطيل ما قصّر.

هذا ليس في نفس المتكلّم ولا ينبغي أن يكون عند أحد آخر من السامعين، سواء كان هذا السامع موافقًا أو مخالفًا، وإنّما نحن أمام قراءة، والقراءة كما قلت في "فنّ القراءة" وكما قلت في بداية هذه السلسلة: القراءة تولّد قراءة.

وهكذا ينمو هذا العقل المسلم وينمو هذا البناء الّذي نريده لهذا الدين.

عندما يأتي أحد ما مثلًا ليجعل ما يناقشه ابن تيمية في مسألة من مسائل الفقه، هو لا ينبغي أن ينظر إليه إلّا كمرحلة لا يمكن أن تكون إلّا وقد سبقتها مراحل. يعني لمن الفضل في القول بأنّ هذا الدليل يصلح لهذه المسألة؟ هو لصاحب القضيّة الأولى، والفقيه الأول، الفضل يعود إليه.

فيأتي الآخَر أو الآخِر والمتأخر فينظر إلى الدليل ويناقشه وينتج من هذا النقاش علمًا، يوافق ويخالف، يقيّد أو يطلق، يخصّص أو يعمّم، وبالتالي قد ينشأ عند المتأخّر من اتّساع النظر للموضوع ما لم يكن عند المتقدّم، ليس لفضله؛ ولكن لأنّه بنى نفسه على المتقدّم.

عندما يأتي هذا العالم الّذي ذكرناه: ابن القيم، ابن تيمية، ابن رجب، ابن حجر، النووي، عندما يأتي هؤلاء فيناقشون أدّلة العلماء.. الفضل ليس لهم، هم جاؤوا إلى بناء قد قامت قواعده، وترسّخت مبادئه، فاستفادوا منها وأخذوها؛ ولذلك هم يعرفون قيمة هؤلاء، ويعرفون أنّه لولا هؤلاء المتقدمون لما استطاعوا هم أن يبنوا هذا البناء ولا أن يرتقوا فيه. هذا هو ديدنهم.

فلا ينبغي أن يقول أحد، وقد انتقد ابن تيمية استدلالًا للشافعي في مسألة، أنّ ابن تيمية هو أعظم من الشافعي، أو أن يقول بأيّ حقّ أنت انتقدت الشافعي وأنت أدنى منه.

هذا حوار الضعفاء، وحوار البعيدين جدًّا عن العلم وعن طرائقه وعن أساليبه في البحث.

لا ينبغي لأحد أن يعيب عليه أنّه يناقش المتقدّم؛ لأنّه هو يرتكز على مبادئه، ويرتكز على أصوله وقواعده التي أرساها، وهو كذلك يعتمد على عالم آخر ناقش هذا النص.

القضيّة هي قضيّة اختيار لأمور قد تمّت وترسّخت وبناها علماء كبار قد سبقوه، فإمّا أن يأتي مقلّد فيقول انظر إلى هذا –وهذا رأيناه، إمّا أن يأتي أحد منهم مقلد فيعظّم هذا الشخص ويقول انظروا إلى إمامنا وإلى شيخنا وإلى عالمنا، استطاع أن يمرّر العلماء أمامه يستعرضهم واحدًا تلو الآخر ويدمغ كل واحد بمعيارية الحقّ، هو تسعين في المائة، سبعين في المائة، وهكذا. فهذا المقلّد.. وهؤلاء أجهل الناس والعلماء ليسوا كذلك.

هؤلاء الّذين يعظّمهم هؤلاء المقلّدون لا ينظرون إلى أنفسهم كذلك، بل هم ينظرون لأنفسهم أنّهم فروع الفروع لهؤلاء العلماء، بل أدنى من ذلك بكثير.

ويأتي الخصم فيقول بأيّ حقّ أنت تنتقد العالم؟ أنا أنتقد العالم من خلال رؤية، أي رؤية عالم آخر،

ونحن كلنا إنتاج لهؤلاء العلماء.

هذا الكلام أقوله وقد مرّ الآن خمسة وعشرون كتابًا، فهؤلاء الّذين ذكرتهم أنا إنتاج لهم، أنا قرأت لهؤلاء وتعلّمت منهم، وأخذت منهم، حتّى الّذين انتقدتهم، القراءة حوار، والقراءة جدل. في البداية أنت تتلقى وبعد ذلك أنت بعد هذا التلقي تتكلّم، وسيأتي على قاعدة النقد: من غرّبل الناس نخلوه! يعني هو يغرّبلهم من خلال طاقة صغيرة فيدخل الكبير والصغير يفوّت، لكن سيأتي أناس لا يفوّتون له، سينخلونه نخلًا. وهذه طبيعة الحياة، هذه سنة الأقدار، وباب العلم لا يرتقي إلّا بهذا النوع.

يجب علينا أن نقرأ علمائنا وأن نفتح المجال من أجل أن نقرأهم بوعي من أجل أن ننتج علمًا يلائم هذا الواقع ويحلّله وبالتالي يعالجه فيرتقي به.

ونحن أمام إسلام عظيم، أُصيب بما أصيب به من الحالة التي نحن وصلنا إليها، وبالتالي هذه مراحل تاريخية، نقدّر هؤلاء الناس.

وهذا الكتاب مثلًا، يقف رجل كان مغمورًا عندما ألفه ولا يعرفه إلّا القريبون منه تقريبًا، ومع ذلك وقف وقيّم وانتقد كبارًا وأيّد كبارًا وناقش وبالتالي وُضع هذا الكتاب، وينبغي على كلّ عالم أن يضع هذا الكتاب كما يضع غيره في المكتبة الإسلامية؛ لأنّه إنتاج إسلامي. يقرؤه، يحاوره، ويستفيد منه.

لما تكلّمت في ثلاث حلقات عن الأستاذ محمّد قطب أنا ذكرت هذا وأكّدت عليه لئلّا يأتي من يظنّ أنّنا نريد أن نهدم! لم أرد هذا، ولم يخطر في بالي أنّنا نريد أن نهدم من أجل أن ننشئ شيئًا جديدًا. الفكر ليس كذلك، الإنتاج الإسلامي ليس كذلك، حتّى الفقه ليس كذلك.

لم يكن للشافعي أن يقوم إلّا بشيخه مالك، ولم يكن لمالك أن يقوم إلا بشيخه نافع، ولم يكن لنافع أن يقوم إلا بشيخه ابن عمر، ولم يكن لابن عمر أن يقوم إلّا بكبار الصحابة، وكبار الصحابة أخذوا من منبع الحق والهدى وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبالتالي هذا هو الإنتاج، وبقي هكذا، بعد الشافعي جاء فلان وجاء فلان وأخذوا منه، وتميّزوا في

أمور وبنوا على أمور، وهكذا.. هذه هي طبيعة الحياة.

فلا ينبغي لأحد أن يوقف هذا التيّار، ولا ينبغي لأحد أن يتكلّم كلامًا كأنّه نطق الحقّ المطلق الذي ينبغي أن تقف عنده البشرية ويقف عنده –على الخصوص– أهل الإسلام؛ من أجل أن يمتثلوه ويحملوه دينًا. لا وجود لهذا!

أساس هذا الدين هو إعمال العقل، هذا امتحان الله لنا في إعمال عقلنا في إدراك الحقّ. وهذا قاله كبار أئمتنا، قاله الشافعي، قاله ابن جرير، يقولون هذه الكلمات العظيمة: إن الله امتحن عقولنا من أجل أن ندرك الحقّ. في مسائل يجب أن نتعامل معها بأن نعمل هذه العقول.

العقل الواقف الذي يتلقّى فقط ولا ينتج، ويتلقّى ولا ينقد، يتلقّى ولا يحاور، هذا عقل بعيد عن صناعة الإسلام.

ولذلك يجب أن نفتح هذا الباب ولا نخاف منه، وأن يتكلّم كلّ أحد.. والناس يتكلّمون.

في النهاية سيُعرف الناس، كم مضى من الناس تكلّموا في التاريخ؟ هناك من مات وذهب ولم يُنقل عنه شيئًا، وهناك من تكلّم وبقي، وهناك من شغل عصره وبعد عصره كأنّه لم يكن! كانت أفكاره مثل العلكة وإنتاجه كالعلكة.

تعرفون ما العلكة؟ هذه أفكار العلكة قلتها في مقدّمات كلامنا على هذا المشروع، أنّهم يأخذون العلكة فيمضغونها فيكون فيها الحلاوة في أوّلها، ثم تنقلب وتنتهي وتصير إلى مجرّد كوتشوك لا قيمة لها.

هذه تُضرب مثلًا للشعر الجيّد والشعر الرديء، والشعر القديم والشعر الحديث. هناك شعر يشغل حيّزًا في أوّل الوقت ثم ينتهي إلى رماد، وإذا فكّرت فيه لا تجد فيه إلا مجرّد كوتشوك لا قيمة له، مطاط، لا ينتج حلاوة، لا ينتج ذوقًا.

وهناك من النّاس من شغلوا أوقاتهم ولكنّهم انتهوا، بادوا، سيذهبون، وهناك من سيبقى.

وبالتالي اترك هذا لعامل السنّة الإلهية (**فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ**) اترك هذه السنة ستعمل عملها. أنت لا تستطيع أن تصنع شيئًا.

كم من النّاس وقفوا أمام إنتاج ابن تيميّة ليميتوه؟ يُذكر أنّ بعض تلاميذه كان يحمل كتبه بأغلفة خلاف ما فيها حتى لا يُتّهموا أنّهم تيميّون. ولكن هل استطاعوا أن يوقفوا هذا؟

كم من العلماء أراد الناس أن يميتوا فكرهم؟ سيّد قطب حُورب، الظلال حُورب ومُنع، وصدر كثير من القرارات في الدول بمنعه. هذا وقوف أمام الأقدار الإلهية، اترك عامل الزمن هو الّذي يغربل، هو الّذي يمحّص.

أنت تكلّم، قل ما عندك بقواعد الحق، سواء من خلال النيّة الصالحة أو من خلال القواعد الصحيحة. هذان الشرطان، لا بد من النيّة الصالحة؛ لأنّك تتعامل مع دين، لأنّك تتعامل مع رب العالمين، لأنّك تتعامل مع كلمة الحقّ في الرضا والغضب، لأنّك تتعامل مع قمّة العدل، العدل قيم، عندما تتكلّم في رجل، تتكلّم في فكرة، تتكلّم بالعدل.

فالحبّ المطلق بغير تقييم لا ينشئ عدلًا، والبغض المطلق للبحث لا ينشئ عدلًا، لا بدّ من الآنصاف لإلغاء حامل الحبّ والبغض.

فأوّلًا النيّة الصالحة.. لا بدّ من النيّة الصالحة، وأن تراقب ربّك، وأن يكون في نيّتك أن تفيد هذه الأمة وأن تقدّم لها الخير، وأن تقول لها الحق، وأن تهديها سواء السبيل.

وثانيًا أن تقوم بهذا الفعل بطرقه السننية المعروفة.

وهاتان هما قاعدتا الحقّ في الوجود في التقييم، كما يقول أهل العلم: النيّة الصالحة واتّباع السنة؛ اتّباع السنّة في العبادات، اتباع السنّة في الفقه، ولكن هناك أمور كذلك لها سنن خاصة فيها، كتقييم الأفكار من خلال الكتاب والسنة، من خلال التجربة، من خلال الفطر الإنسانية، وهكذا.

هذه مهمّة جدًا أنا أنبّه عليها؛ لأنّه ليس هناك معيارية إلّا الكتاب والسنّة، والكتاب والسنة عندما ينزلان إلى الأفهام يحصل هناك الاتفاق أو الاختلاف، فما اتّفقت عليه الأمّة نسلّم له (الإجماع)، وما اختلفت عليه نعمل الدليل الّذي عليه السلف، الّذي عليه الصحابة، الّذي عليه التابعون، نُعمل الدليل، وهكذا.

وحين نأتي إلى موضوع ما يُسمّى الفكر فحينئذ يبدأ الإبداع ويبدأ المجال الأوسع في النقد أو القبول.

كلمة "الفكر" أيها الإخوة كلمة تعطيك هذه المساحة من النقاش؛ لأنّ هناك من ينكر كلمة "الفكر" والحقيقة هذا الآنكار غير صحيح.

هناك من ينكر كلمة "الفكر الإسلامي" ويقارنها بالإنتاج الفلسفي الإسلامي، وهذا غير صحيح. وهذا إدخال شيء في شيء، ولكن أنا أنبّه عليه؛ لأنّ هناك من يريد أن يتعامل بتراثية لا يقبلها العلم، ولا يقبلها العلماء أنفسهم. بمعنى: لو أن رجلًا نوقش في قضيّة فضائل الحدود من مخاصم، فأجاب في قضيّة حكمة الحدود. هذا ماذا يسمّونه؟ هذا إنتاج أنت تنتجه من خلال قراءتك للكتاب والسنة، من خلال قراءتك لتاريخ هذا الحكم.

إذًا هذا فكر، والناس يتفاوتون.

عندما يأتي واحد ويتكلّم عن تعدد زوجات النبيّ صلى الله عليه وسلم وفضائلها، وأحكامها، وعللها، هذا ماذا يُسمّى؟ هذا يُسمّى فكرًا، إنتاجًا إنسانيًا، وحينئذ يتفاوت الناس.

الآن لما جاء العلماء وتكلّموا عن الإعجاز القرآني، وأبدعوا إبداعات.. يظنّ بعض الناس أنّ موضوع إعجاز القرآن هو كلمة واحدة، هذا غير صحيح، الكلام عن الإعجاز هو أبواب من العلم. عندما نبدأ بالرّماني، نأتي إلى الخطّابي، إلى الباقلّاني، ثم نأتي بعد ذلك إلى الجرجاني، ثم نصل إلى مصطفى صادق الرافعي، ثم نصل إلى الشيخ محمد عبد الله دراز، أنت تجد إبداعات ليس إبداعًا واحدًا، وكلّهم تحدّث عن جانب من جوانب الإعجاز البياني واللغوي في القرآن بما يبهرك.

ماذا تسمّيه هذا؟ تدخله في الفكر الإسلامي.

عندما نتحدّث عن قضيّة الدولة.. هذا من إنتاج الفكر الإسلامي.

عندما نتحدّث الآن عن عمل الجماعات في رؤيتها لإحياء الأمّة كيف نحيي الأمّة، هذا إنتاج إنساني، النّاس ينتجونه.

نعم هناك من يحاول جاهدًا أن يجعل هذا نصًّا! وهذه طريقة مكشوفة، وللأسف فيها غباء.

يعني يريد أن يجعل ما يقوله هو النصّ، ما أحد قال هذا، لا الشافعي ولا أحمد في مسائل الخلاف قال أنا النص وغيري خلاف النصّ! لم يقولوا هذا، إنهم يعذرون بدرجة معينة في المسائل، يعذر بعضهم بعضًا فيما يختلفون؛ ذلك لماذا؟ لأنّه لا يرى أنّه هو النصّ، بل هو يغيّر. وبالتالي هو يناظر ليعلم الحق، والدليل أنّه بعد أن يناظر يغيّر؛ فلو دخل وهو يظنّ في نفسه أنّه النصّ الذي ينبغي ألّا يخالف، فلم يتغيّر بعد ذلك؟ لم يغيّر فقهه ومسألته؟

فإذًا هنا إنتاج فكر.

كالذي أنكر موضوع فقه السيرة، قال: فقه السيرة هو الفقه التقليدي الموجود في كتب الأئمة! هذا خطأ كبير جدًّا. السيرة لها طرقها في الإثبات تخالف قضيّة أحاديث الأحكام، وهذا لا نريد أن نخوض فيه الآن، ولها كذلك طرق في الاستدلال من أجل إملاء جوانب حياتية لا يملأها الفقه التقليدي.

الحياة أوسع من الفقه التقليدي. وحينئذ نأتي إلى الأحاديث، نأتي إلى السيرة النبوية، فنراها تعالج هذا الجانب الإنساني، وهكذا.

فهذه المقدّمة لا بدّ أن ننتبه لها في قضيّة النظر إلى ما يخالفنا، أعطينا لأنفسنا الحقّ أن نتكلّم، ونعطي لغيرنا الحقّ أن يتكلّم فينا وفي غيرنا، يقبل، يرد. أمّا رفع إشارات ممنوع الكلام، فهذه مرفوضة.

الأمر الآخر: هذه القراءة لا يمكن أن تكون مستوعبة؛ بمعنى نحن أمام أسبوع أو ساعة ونصف من

أجل قراءة كتاب، فهل تظنّ أن هذا يمكن أن يستوعب رجلًا عظيمًا، كاتبًا عظيمًا

لما تكلّمنا عن الغزالي في "المنقذ من الضلال"، هل تظنّ أنّ جلسة واحدة يمكن أن نستقصي فيها الحديث عن الغزالي؟! وبالتالي أنت تبحث عن الطريق الّذي تريده، وتعلم أنّ في هذا الطريق طرقا أخرى متفرّعة عنه، أو مصاحبة له -وليست متفرّعة فقط- تعادله في البحث، ولكن أنت تقول أترك هذا، أنا أريد أن أمشي في هذا الطريق، وتحاول أن تسدّد.

وكما قلت في الجلسة الفائتة: نحن نعيش في حقل ألغام، وفيه الدقة، والألفاظ مرّات لا تخدمك؛ لعجزك، لضعفك، أو لأنّ الموضوع أوسع من هذه الألفاظ. الموضوع لا يمكن أن تستوعبه ألفاظ محدّدة، لا بدّ من كل كلمة أن تُبيّن وأن تُشرح، وهكذا.

يعني مثلًا واحد يقول أنت قرأت الغزالي في "المنقذ من الضلال"، الغزالي ليس المنقذ من الضلال، الغزالي فقيه، أصولي، متكلّم، فيلسوف، وصوفي؛ تقول أنت ظلمته ليس كذلك هو، أنت ناقش ما قلته في الباب الّذي أنا أتحدّث عنه فيه.

وهناك أناس محبّين، يعني الغزالي ميّت، لكن هناك أناس يحبّونه، ويعظمونه، ويرونه حجّة الإسلام، ويرون كلامه وصل إلى درجة قول بعضهم: لو ذهب القرآن والسنة من الوجود لاستخرجنا ديننا من إحياء علوم الدين! لهذه الدرجة يعظّمونهم.

وهناك أناس يرونه زنديقًا لا قيمة له في الإنتاج الإسلامي، احمل كل كتبه واحرقها!

هم لا يقولون هذا عن الغزالي فقط! رأينا من يقول هذا الكلام عن ابن الجوزي، ويقولونه عن النووي! وأنا كنت أظنّ أنّ هذه الكلمات تُقال من قبل الاستهزاء، يعني غير حقيقية، ولكنّي وجدتها حقيقة. هناك من حمل كتب النووي وأحرقها، وأحضر كتب ابن حجر وأحرقها! ولا نريد أن نتكلّم.. لا نستطيع أن نضع كلمة فوق هذا الجرم العظيم، وهذا الفساد الذهني العظيم، لا يوجد كلمة تعبر عن مقدار هذا الضلال إلا أنه ضلال وفساد في الأرض.

ستجد أناسًا يعرفون أكثر منك في جانب، وهذا شيء طبيعي. في جانب من الجوانب يقول أنا أعرف أكثر منك هذا. نعم، لما لا؟ لا يوجد أحد يقرأ كل شيء ويفهم كل شيء في هذه الدنيا، يقرأ المرء وربما يبقى أسيرًا لقراءته الأولى.

كيف؟ ربّما أنت تدخل إلى عالم، فتقرأ كتابه الأول فتبقى أسيرًا لهذا الكتاب، حاكمًا على الرجل من خلال هذا الكتاب، هذا يقع.

هناك أوهام في القراءة، القراءة يقع منها أوهام وفيها أوهام.

فالّذي يريد أن يناقش الرجل كلّيًا له ذلك، وحينئذ يحتاج الوقت الأكثر وربّما يصبح الرجل في حياته كلّها مجرّد علم لهذا الرجل.

يعني الناس ينظرون لابن القيم، مدحنا، قبلنا، ذممنا، إلى آخره، يرونه إنتاجًا تيميًّا، زاد أو نقص هو تلميذ ابن تيمية. هم يرونه من هذا المنظار؛ لأنّه تخصص به، وتفرّع عنه فقهًا وأصولًا وكلامًا... إلى آخره. تجد الكلمة عند ابن تيمية في صفحة، وهو يشرحها في كتاب.

يوجد هذا، ولكن هذا لا نستطيع أن نكونه. فيمكن لرجل يقول: أنا متخصّص بهذا الرجل، وقد رأيت هذا، أنا متخصّص بهذا الرجل وأنا أقول بغير قوله، لك الحقّ، قل ما تشاء، هذا شيء يشرّف.

ويكفي أنّ عملنا هذا كلّه يمكن أن يُسمّى: رمية حجر في بركة! جزء من هذا الحوار العظيم في تاريخ أمّتنا، جزء من هذا التاريخ العظيم الّذي عاشته أمّتنا في قضيّة الحوار والمناقشة والبحث والمناظرة.

ونبقى نستشهد بعلمائنا، الآن مصادر ابن حجر في فتح الباري آلاف المصادر.

ولما أنت تقرأ لابن تيمية وهو يناقش العلماء على ماذا يدلّ؟ يدلّ على أنّه قرأ، واطّلع، وبحث.. وأنا أحضرت لكم من قبل نصًّا لابن حزم ارجعوا إليه، من هو الّذي يحقّ له أن يتكلّم؟ الناظر في الكتاب والسنة واللغة والتاريخ والمذاهب ووو إلخ، ونحن نعطي لأنفسنا هذا الحقّ وقد نخطئ وقد نصيب.

يكفي هذا الآن، لا أريد أن أذهب أكثر في هذا الباب لئلا نظلم هذا الكتاب.

الآن انتهينا من هذا، وكل جلسة إن شاء الله، يعني ليس استثناءً، كل جلسة نحاول أن نقوّم، مضطرّين في كلّ لحظة.

حالنا أيها الإخوة في هذا الطريق كحال الطفل الّذي يحتاج إلى غسل كل يوم، أو حال العامل الذي يحتاج بعد كل عملية أن يغسل يديه، ولا يقول أنا لا أريد أن أغسل؛ لأنّي إذا نظّفتها اليوم ستتسخ غدًا! لا، كلّ يوم في حاجة إلى غسلها.. أنّ الرجل الذي يعمل، والطبيب الذي يعمل، بعد كل عملية يغسل يديه أم لا؟ ولا يقول أغسلها مرة في نهاية اليوم أو في نهاية العمليات أو في نهاية السنة!

تصوّر رجل يقول هذا الثوب اتّسخ، فإذا نظّفته غدًا سيتّسخ، فيبقى هو متّسخ، سيكون حاله الشرّ والبلاء.

ونحن بحاجة في كل لحظة أن نعاود تذكيرًا لأنفسنا أنّنا لسنا كذلك، وأنّ هذا الطريق ينبغي أن يكون مقوّمًا بالحقّ والهدى والعدل، وكذلك المتابعة. هذا طريق يجب أن يبقى.

لا أريد أن أتحدّث عن الّذين يقولون: أين أنت والعالم، تتحدّث لنا عن الفكر الإسلامي المعاصر والأمّة تموت. هؤلاء أجهل من أن يُردّ عليهم! هؤلاء ليسوا بشيء في الحياة، ولا قيمة لهم، هؤلاء سيذهبون ولا قيمة لهم.

نرجع الآن إلى كتاب الأستاذ غازي التوبة "الفكر الإسلامي المعاصر":

هذا الكتاب قديم كما ترون، يعني بين يديّ الطبعة الثالثة الّتي هي مشتقة من الطبعة الثانية فقط بزيادة مقدمة للطبعة الثانية، وأنا أحبّ أن أقرأ الكتب في صياغتها الأولى، ولا أظنّ أنّ هناك فرقًا بين الطبعة الأولى والثانية، أمّا الطبعة الثانية والثالثة فلا فرق بينهما كما ذكر هذا في مقدّمة الكتاب.

هو كتاب قديم، وإذا تكلّمنا عن العشرية السابعة من القرن الماضي فنحن نتحدّث عمّا يقارب

الخمسين سنة والأربعين سنة.

ابتداءً نحن نتكلّم عن كتاب، هكذا كان، وهكذا وضعه صاحبه.

لماذا أقول هذه الكلمة؟ لأنّي أمام نقطة لا بدّ أن أتحدث عنها في كلامي على نهاية الكتاب، ولا أريد لأحد أن يأتي ويقول بأنّ الأستاذ قد تغيّر وأنّ أحكامه قد اختلفت، وأنّ كتابه الفلاني يختلف عمّا يقوله هنا، وأنّ الرجل في حياته يختلف.

أنا أتكلّم الآن هنا عن ماذا؟ عن كتاب فيه مناقب ومحاسن عظيمة، وفيه طرق في البحث جديدة على مناهج المفكرين المسلمين. يعني فيه إبداع في هذا الباب.

وكذلك لا بدّ من مرور سريع على موقفه المعاصر، كون الرجل يعيش ويتحدّث وله لقاءات، ما زالت إلى الآن، أطال الله في عمره؛ فلا بدّ أن نمرّ عليها.

أوّلًا: تنبيهًا، بأنّني أعتقد بأن موقف الأستاذ اليوم مما يحدث في العالم الإسلامي من مواقف حركات جهادية أو مواقف أخرى فيه شيء من اختلال البوصلة وعدم وضوحها. وهذا يحتاج إلى دراسة، لكنّي أنبّه على هذه النقطة.

وهذا تقييمي، وقد يقول: أخطأت، وله الحقّ أن يقول: أخطأت، ولصاحب له أو لتلميذ له أن يقول: أخطأت، له الحقّ، لكنّي أعتقد أنّ مواقف الأستاذ فيما يُسمّى بالحركات الجهادية له كلمات غير صحيحة، ولا تتسق مع العلم، ولا مع حقيقة هذه الحركة التي نعيشها.

ثانيًا: الكلام عن شخصه له مجال آخر، يعني: كيف مشى، كيف كان، كيف تغيّر، كيف كان مع الإخوان المسلمين ثمّ كيف تركهم، ماذا اشتغل من جماعات، كيف عمل الجماعات، ثمّ هل الجماعات حقّقت بعض مراده أو ما زالت أو انتهت، هل ما زال هناك ثمّة حركة حقيقية أم هي مجرّد شيخ يحبه بعض تلاميذه؟ هذا كلام نتركه لدارسين آخرين، ولست ممن يعتني في هذا البحث وهذا المشروع بهذا الموضوع كثيرًا. ولكنّي مضطرّ أن أقول: أوّلًا بأن أحكام الأستاذ على وقائع معيّنة معاصرة تحتاج إلى

وقفات، وتحتاج إلى مراجعة، وتحتاج إلى (نقد شديد). مع الاحترام الشديد لهذا الأستاذ والكتاب الّذي بين أيدينا.

النقطة الثانية التي قلتها في الابتداء وأكرّرها: إنّني أناقش هنا كتابًا مضى عليه مدّة طويلة، وقطعًا الإنسان ينمو، والإنسان يتغيّر، ربّما لا تختلف كثيرًا قواعده، ولكن تختلف تراكمات هذا الإنتاج؛ لأنّ ما يقوله الأستاذ هنا وأيّ واحد -وهذا من الآنصاف- يقرأ كلامه في الابتداء يرى فيه العمق في نقد المدارس حتّى جاء لحسن البنا انتهى هذا العمق ورجعنا إلى السطح، وصار الحديث حديثًا سطحيًا تمامًا في مناقشة مدرسة حسن البنا الّتي جعلها في المدرسة الإصلاحية.

يعني لو قارنّا بين نقده للأستاذ تقيّ الدين النبهاني ونقده لمدرسة حسن البنا لرأينا -أنا أتكلّم عن المنهج هنا، وأتكلم عن طرق النقد- لرأينا البون شاسعًا؛ فهو يتعمّق في دراسة إنتاج.. يختار بعض الكتب وهي كافية في الكلام عن مدرسة حزب التحرير ومدرسة الأستاذ تقيّ الدين، يختار كتبًا كافية للحكم على استراتيجية المذهب بغضّ النظر عن أفراده.

يعني عندما يتحدّث عن الدستور هو لا يناقش الدستور مثلًا بأفراده، توافق الإسلام أو تخالف، اجتهادات صحيحة أو غير صحيحة، وإنما يتكلّم عن قضيّة أخرى كلّية وهي أنّ إنتاج الدستور قبل إنتاج الواقع الذي يريده هو، هو (وضع العربة أمام الحصان)، وهذا تعبيري؛ لأنّ الدستور يُصاغ بعد إنتاج الدولة، وليس تخيّلًا لما يمكن أن تكون عليه الدولة مثلًا؛ فهو لا يناقش حزب التحرير بأفراده مثلًا كما يناقشهم السلفيون. يعني لا يناقش حزب التحرير أنّ إنتاجهم هو إنتاج كلامي في مسألة العقائد، في إنكار حديث الآحاد، في إنكار القبر، وغير ذلك، لا يناقش هذا، وإنما يناقش الطريقة الّتي سلكها الشيخ تقي باعتبار الكلّيات فيه. لكن هذا النقد الّذي جعله يذهب لهذه الكتب لا نجده أبدًا في كلامه عن حسن البنا ولا قريبًا منه! بل هو يتحدّث كلام المعجب الّذي لا يبحث حتّى عن الممارسات التي تدلّ على مقدار عمق تكوّن الإنسان في داخل مدرسة حسن البنا.

عندما يأتي مثلًا إلى محمد عبده، وهذه صحيحة، عندما يأتي وينقد الشيخ محمد عبده، ويأتي بنقد

فكري منهجي له وبنقد واقعي له، ممارسات، وكذلك يفعل مع مالك بن نبيّ، وعماد فكرة نقد مالك بن نبيّ -أنا لا أتكلّم عن صواب النقد هنا، صواب النقد معه فيه-. لا ينقده إلّا من خلال رؤيته العملية أكثر، يتحدّث عن رؤية عملية، وهذا لا نجده مع حسن البنا أبدًا. يأتي بالكلام كلمة واحدة ثم يذهب إلى الإنتاج المؤسساتي الّتي أنتجها حسن البنا، ثمّ ينتهي إلى كلمات سريعة في حقّه وينتهي الموضوع، وهذا خلل!

هذا قلته وأسرعت في الكلام فيه من أجل أن أبيّن أنّ هذا الكلام اليوم هو حديث عن تاريخ. ليحفظ خط الرجعة يقول الأستاذ تغيّر وله نقد شديد اليوم على حسن البنا. يعني للأستاذ كتاب مطبوع وهو تقييم لأبي الأعلى المودوي، وهو يلاحق أبا الأعلى المودودي في قضايا الممارسات السياسية. وأغلب نقد الأستاذ غازي لأبي الأعلى المودودي -ولا أقول كل- يقوم على الممارسة، في الجماعة الإسلامية وممارساتها السياسية، ويصبّ نقده الشديد عليه وهو صحيح، نقده فيها بالنسبة لي أنا أراه صحيحًا، ولكن هذا لا نراه أبدًا في حسن البنا، لا يذهب إلى حسن البنا كشخصية، هل لأنّه عندما أنتج هذا الكتاب كان إخوانيًا، وبعد ذلك خرج عنهم لمسائل تتعلّق بالديمقراطية أو كذا؟ على المرء أن يتابع هذه المسألة. هل لسطوة مدرسة حسن البنا؟ بمعنى أن في ذلك الوقت نقد المدرسة من خلال نقد حسن البنا فيه تهمة كبيرة؟

يعني اليوم نحن نجد الصغار ينقدون حسن البنا، نجد الأطفال يتكلّمون عن حسن البنا، والكلام عن حسن البنا يصل إلى درجة الإسفاف، يصل إلى درجة الطفولة. اليوم هذا مقبول، لكن في وقت من الأوقات هل كان أحد يستطيع أن يتكلّم عن حسن البنا أو يتكلّم عن سيد قطب في داخل المدارس السلفية أو السنية؟ فربّما هذا الّذي جعله يجمل هذا الإجمال، وهو في الحقيقة يحتاج إلى بحث أوسع ممّا ذكره.

وأنبّه إلى هذه النقطة أنّه قد يقول هذا إنتاج قديم، يعني سأبقى أضع هذه الكلمة، ربّما يقول الأستاذ أو يقولها أتباعه أو يقولها أحد: ولكن هذا الكتاب هو إنتاج قديم.

بلا شكّ هنا أنا أضع نقطة، أنا لا أحبّ في الحقيقة أن يُتصرّف في الكتب، حتى لو تغيّرت أفكار صاحبها. يعني يبقي الكتاب على ما هو عليه، وإذا أراد شيئًا وطبعه طباعة جديدة أن يعلّق على هامشه؛ لأنّ الكتاب يعبّر عن مرحلة من المراحل، وقد تكون هي الأصوب!

أنا مضطرّ أن أضرب في كل مسألة أمثلة مقبولة لدى الناس ولدى طالب العلم، عندما غيّر الإمام الشافعي مذهبه، وصار له مذهب القديم ومذهب جديد، الأتباع وهم الشافعية لم يرتضوا منه مثلًا مسألة في مذهبه الجديد وهي مسألة المواقيت، رفضوها.

في المذهب القديم كان الإمام الشافعي يرى أنّ المغرب له وقتان، في المذهب الجديد يرى أنّ المغرب له وقت واحد فقط، وهو وقت دخولها مع الوضوء مع سبع ركعات فقط، وينتهي وقت المغرب عنده.

وجود هذا في المذهب: قديم، وجديد؛ جعل فسحة للأتباع أن يرفضوا مذهبه الجديد؛ ولذلك مرجحو المذهب كالنووي والرافعي لا يقبلون اجتهاده في تغيّر المذهب، ويقولون بأنّ مذهب الشافعية الصواب هو المذهب القديم وهو أنّ للمغرب وقتان وليس وقتًا واحدًا. وبالتالي هذا يعطينا دلالة أن أَبْقِ الأمر كما هو عليه.

هذا يدلّ على أنّك كنت في مرحلة على هذه الصيغة، أبقها كما هي، لا تلغيها؛ لأنّها قد تكون هي الأصوب! فأبقها على ما هي عليه، فإذا تغيّرت فقل هذا الّذي أؤمن به الآن ، وهذا يدلّ على إنسانية الفكرة. في النهاية نرجع إلى نقطة وهي نقطة مهمّة على إنسانية الفكرة، الفكر هو إنساني.

هذه نقطة بالنسبة لقضيّة الكتاب.

بعض الطلبة وبعض المشايخ والمؤلفين يبدأ كتابه في ورقات، ثمّ بعد ذلك يأتي فيزيد عليه ويزيد عليه، وكأنّه لا يعرف إلا أن يؤلّف هذا الكتاب، وكل يوم طبعة جديدة ومنقّحة، وتتضخّم هذه الطبعة الجديدة والمنقّحة! أبق الإنتاج الأوّل على ما هو عليه، ثم ألّف كتابًا آخر وتكلّم، أو علّق على هذا الإنتاج القديم بهوامش ليميّز الناس ما كنت عليه وما صرت إليه.

هذه قضيّة ننتبه لها.

نعود إلى هذا الكتاب، ما هي مميّزات هذا الكتاب؟ هذا الكتاب له مميزات، وفي الحقيقة هو كتاب قيّم.

أول ميّزة له وهذه قليلة في داخل ما يُسمّى الفكر الإسلامي وهي قضيّة إيجاد الزمر.

وأنا لا أعرف في الحقيقة من سبق الأستاذ غازي التوبة وهذا من إبداعاته، وأنسبها له حتّى يأتي العكس، ولا أظنّ لأحد القدرة على أن يأتي بالعكس، أنّ تقسيمه للإنتاج الإسلامي المعاصر بهذه التقسيمات ربّما تخالفه وهو يشعر بوجود هذه المخالفة، وربّما توافقه، ولكن أن يبوّب هذا الإنتاج من خلال هذه الزمر فهذا إبداع.

يعني عندما يأتي إلى الإنتاج الإسلامي ويقسّمه إلى هذه المدارس:

المدرسة الأولى: الإصلاحية.

المدرسة الثانية: التاريخية.

المدرسة الثالثة: التربوية.

وهو يضع علامات ويضع أركانا لكلّ مدرسة، ويختار شخصيات فاعلة وقويّة لكلّ مدرسة؛ فمثلًا: المدرسة الإصلاحية: محمد عبده، ومالك بن نبيّ. أنت قد تخالفه، ولكنه يقول أنّ المدرسة الإصلاحية أهمّ عمدها التصالح مع الواقع. نعم هي تريد أن تغيّر ولكنّها تبني على ما هو عليه، لا تتصادم معه، ولا تهتمّ ببناء الإنسان تهتمّ ببناء المؤسسات، يضع هذا. ويضع كذلك أنّها مع تصالحها مع الواقع هي كذلك تتوافق مع الحكّام ومع مصادر القوّة في المجتمع، سواء كان مالك بن نبيّ في مدحه لباندونج وعبد الناصر ونهرو وتيتو أو محمّد عبده في تصالحه مع الآنجليز وأنّه استقوى بهم.

وكذلك في أن هذه المدرسة تقوم على التأويل، بالرغم أنّه في هذه النقطة هذا بيّن في طريقة محمّد

عبده خاصّة في الإفتاء وتأويل النصوص، ويحضر نصوصًا كثيرة اعتمادً على كتاب هو جعله مرجعًا له في قضيّة منهج محمّد عبده في التفسير في تأويله للنصوص لتوافق الغرب، لتوافق المستشرق، لتوافق العدوّ، تحت سطوة قوّة العلم وسلطانه الّذي بدأ يرخي بظلاله على المجتمعات العالمية ككلّ، ولكن هذا كذلك لا نجده عند مالك بن نبيّ هذا؛ وذلك لافتراق شخصية محمّد عبده عن شخصية مالك بن نبيّ؛ فشخصية محمّد عبده في النهاية مفتي وشيخ، بخلاف شخصية مالك بن نبيّ، شخصية مالك بن نبي ليس شيخًا وليس مفتيًا، هو مفكّر؛ وبالتالي لم يقم مالك بن نبيّ أبدًا بعملية تأويل النصوص، وكل ما يدور حول الكلام عن مالك بن نبيّ وهي كلمات عميقة في نقد مالك بن نبيّ، وكلمات قويّة جدًّا في نقده لقضيّة إحياء الأمة عن طريق –للأسف– التلفيق بين الإسلام وبين غيره، ومن قرأ هذا يدرك أنّه كان يرى لما تمخّضت صورة الإصلاح كما يراها في الواقع عند مالك بن نبيّ، تمخّضت صورة الإصلاح على ما يريدها في النهاية فوجدها في صورة مؤتمر باندونج والفكرة الأفروآسيوية الّتي هي فكرة عدم الآنحياز، الّتي ماتت في مهدها، وهي تعبير سياسي أكثر منها إنتاجا فكريًا أو إصلاح أمّة، ولكن رآها مالك بن نبيّ وتعلّق بها.

ونقد الأستاذ غازي التوبة لمالك بن نبيّ في هذا الجانب نقد عميق ومهمّ ورائع، وإن كان لم يستوعب الكلام، وله عذره كما هو عذرنا، لم يستوعب الكلام عن مالك بن نبيّ في كل إنتاجه.

وعندما جاء إلى أفكاره نقد اعتماد الأستاذ مالك على مركزية قوله الّتي أعادت كل أفكاره إليها وهي قابلية الاستعمار، كيف يزيل من الأمّة المسلمة قابلية الاستعمار.

فأريد أن أقول بأنّ هذا التقسيم هو تقسيم جديد –أرجع إلى ميزات هذا الكتاب–، لا تجده في داخل الإنتاج الإسلامي. كما أنّ مالك بن نبيّ في صياغته لأفكاره هي صياغة جديدة. يعني لا يُعرف أنّ مفكّرا يضع إنسان+ تراب + وقت = حضارة. هذه طريقة رياضية لا تُعرف في داخل المشايخ ولا التيّارات الإسلامية؛ فجديدة، لقراءاته الفيزيائية، ولقراءاته الهندسية، فقطعًا تمثّل بمثل هذا. وبمثل هذه المعادلة الصغيرة ربّما غيره من المشايخ يحتاج إلى خطبة أو خطبتين أو كتاب أو كتابين ليشرح هذه الفكرة

ولا يستطيع أن يصيغها مثل هذه الصياغة.

القصد بأن يضع ويحاول ويقول مثلًا يأتي يشعر هو بحرج كما هي طريقته عندما ينقد بعضهم يقدم ثم يشعر بالحرج فيعود عليها بالاستثناء أو بالتصويب، مثل شعوره بالحرج في جعل مدرسة العقّاد أنّها دراسة تاريخية. بمعنى أنّها من المدرسة التاريخية.

وأمّا تقييمه لمفهوم المدرسة التاريخية فتقييم رائع وحقّ، وهو أنّها تريد أن تتعامل مع الإسلام كأنّه إنتاج ذهب ومضى وليس له أي دور في الحياة وإنّما خلاص انتهى، فنقرأه قراءة تاريخية وانتهى! ولا شكّ أنّ الزمر لها جنايتها. وهذا ذكرته في مقالي "المنافقون وأهل التأويل" في مجلة المنهاج بأنّ الزمر ضرورة لكن لها جنايتها.

يعني عندما أنت تضع طه حسين مع العقّاد فهذا فيه جناية لكنّها ضرورة.

يعني العقّاد ليس مثل طه حسين، وهذا له طريقه وهذا له طريقه، لكن أنت تتعامل مع نقطة قد تجمع الشتيتين وهو أنّهما يلتقيان في أنّ الإسلام يُقرأ باعتباره تاريخًا، وإن كانت المقاصد مختلفة.

يعني عندما يتعامل طه حسين مع الإسلام ليس كتعامل العقّاد مع الإسلام، يختلف تمامًا في هذا.

كذلك لما نضع محمّد عبده مع مالك بن نبيّ لا ترى ماذا يقوم هذا من التأويل للشريعة مثل صندوق التوفير الّذي أباحه، ومثل قضيّة جواز التعامل مع المستعمر، وهنا تأتي في الحقيقة دراسات ينبغي أن تكون مرافقة لهذا الكتاب، وهذه نقطة أنا أريد أن أنبّه عليها، بأن ما يُقال هنا ينبغي أن يتوافق مع قراءة دراسات أخرى.

يعني في دلائل الإعجاز توقّف، كما يقول الدكتور محمّد محمّد أبو موسى في نقله الشخصيّ، قال له الأستاذ محمود شاكر شخصيًا أنّه توقف عن إصدار هذا الكتاب ثلاثين عامًا. والكتاب مطبوع طبعات قبل أن يقوم هو بتحقيقه مرّة أخرى، فامتنع عن إخراج الكتاب ثلاثين عامًا، يقول: لأنّ ما اكتشفه صادم للبيئة الثقافية (الدينية) –هذه كلمتي ولكن هذا مفهوم كلامه– في مجتمعه، وهو اكتشاف أن أسّ

الفساد في تحقير الإنتاج الإسلامي التراثيّ القديم يحمل وزره محمّد عبده.

وأنا أطالب كل طالب علم أن يقرأ هذه المقدّمة فهي قيّمة جدًا، وتوقّف لخوفه من هذه النتيجة.

يقول أنّ وصوله لهذه النتيجة أتعبه وخاف إخراج هذه النتيجة، فبقي الكتاب بين يديه مع المقدّمة ثلاثين سنة محبوسًا لا يخرجه، حتى أراد الله عزَّ وجلَّ لهذه الفضيلة أن تخرج، وكشف أنّ أساس الفساد في تحقير التراث الّذي بنى عليه طه حسين بعد ذلك.

انظر إلى الناس يعدّون محمّد عبده إنتاجًا إسلاميًا، وطه حسين إنتاجًا ليبراليا لا علاقة له بالإسلام. وهو يحسن هنا عندما يقيّم إنتاجه بالإسلام أنّه لا يتعامل حتى مع الإسلام وتاريخه باحترام.

عندما يتعامل العقّاد مع التراث الإسلامي يتعامل معه باحترام ولكن ليخدم فكرته في قضيّة ما يقوله، الّتي هو الفردانية وأن التاريخ يُصنع من خلال الفرد. فهو يأتي إلى العبقريات لهذا، يأتي إلى الإسلام ليدرسه ليخدم له هذه الفكرة.

طه حسين لا يعود إلى التاريخ الإسلاميّ ولا إلى الإسلام ولا قريبًا لهذا المقصد. هو يرى –ولم يتغيّر– على أنّ الأمّة المصرية –كما يسمّونها، يطلقون هذا اللقب فسادًا وضلالًا وشوفينية بأنّ هناك أمّة مصرية تختلف عن الأمّة الإسلامية وعن الأمّة العربية، يعني حتى لا يريدونها عربية! فيقول الأمّة المصرية–. فهو يرى أنّ قيام الأمّة المصرية لا ينبغي أن يكون له علاقة بالإسلام ولا باللغة العربية ولا بالحضارة الإسلامية ولا بالحضارة العربية.

رأيتم الفرق بين طه حسين والعقّاد؟ العقّاد يريد أن يتّخذ الإسلام وقراءة الإسلام وسيلة لخدمة فكرته الّتي آمن بها، لكن طه حسين لا يرى الإسلام، ومع ذلك كلاهما يتعامل مع الإسلام تعاملًا تاريخيًا ليس له حضور في واقعنا.

إذًا الميّزة الأولى الّتي أعود إليها هي هذه الطريقة الجديدة في قضيّة الزمر الّتي قلنا: هي ضرورة ولكن لها جنايتها.

كما رأينا هناك فوارق ومع ذلك هي ضرورة، ولكنّها طريقة جديدة وهي إبداعية، وقطعًا أنّه ألّف الكتاب وهو شابّ. يعني الكتاب الطبعة الثانية في ٧٨ أو ٧٧ إذًا هذا الكتاب هو لرجل متقدّم في الفكر، ومتقدّم في النظر. وثانيًا يدلّ على قراءته. الكتاب يدلّ على أنه قارئ وقارئ جيد، قارئ لعلم النفس، وقارئ للأفكار، وللفلسفة، واستفاد من أجل إنتاج هذا الكتاب. وبالتالي هذا إنتاج جيّد في هذا.

النقطة الثانية التي تعتبر ميّزة لهذا الكتاب، ويُقال فيه ما نقوله نحن بأنّني ما رأيت أحدًا نقد مالك بن نبيّ هذا النقد، وهو مع شدّته لكنّه ضرورة. لماذا؟ وهنا يأتي مرات ظلم الأفكار. هنا لا بدّ أن نجمع هذه الكلمة مع كلامنا أنّ الأفكار قد تبدو صحيحة ولكن التطبيقات من صاحبها يقع فيها الخطأ. نراجع إلى الفقه: يعني هل أنتم تجدون أصول الفقه عند الشافعي صحيحة أم خطأ؟ صحيحة. أصول الفقه عند الشافعي صحيحة لكن هل يعني أنّ كلّ فردية قال بها الشافعي معتمدًا على هذه الأصول صحيحة؟ لا، يصيب ويخطئ.

وهذا الذي نراه إمّا أن يكون خطأ في المنهج؛ فأنتج خطأ في السلوك، وإمّا أن يكون هناك صواب المنهج وخطأ في السلوك. يعني مثال: الأستاذ أبو الأعلى المودودي المنهج صحيح في تسمية الآنظمة أنّها جاهلية في قضيّة الصراع مع التغريب، في نظره إلى الأفكار القومية السيّئة الّتي أحاطت بالأمة، فهذه تقييدات صحيحة، لكن عند السلوك نراه يتحالف مع حزب علماني! وحزب قومي! فالفكرة صحيحة ولكن السلوك خطأ.

وهذا يمكن أن يُقال بعد ذلك حتّى على الأستاذ نفسه، كيف هو يملك هذه الرؤية ومع ذلك نرى قراءته للواقع مخالفة، قد يُقال هذا. ولكن كنت أتمنّى أن يكون أكثر اتّساعا في قراءته لمالك بن نبيّ. يعني في الحقيقة هو جرّد مالك بن نبي من كل حسناته، وبلا شكّ أن ما قاله مالك بن نبيّ من قضيّة حاجة العالم إلى الإسلام مع الفكرة الهندية والغاندية والسلام؛ لأنّنا نرى أنّ هناك أناس قد تبنّوا أفكار مالك بن نبيّ.

يعني جودت سعيد -وهذا إن شاء الله سنقرؤه، وهو إحدى قراءتنا للقراءة المتهافتة-. تسمعون عن جودت سعيد صاحب رسالة "مذهب ابن آدم الأول"، أو كتاب "الإنسان حين يكون كلًّا وحين يكون عدلًا"، وهكذا له كتب متعدّدة، حتّى إن بعض المأسورين له والشغوفين به يعدّونه فيلسوف الإسلام المعاصر، والحقيقة لا يستحقّ هذا؛ فإنّ هؤلاء يعتبرون أنفسهم -يعني جودت سعيد ومن معه- تلاميذ لمدرسة مالك بن نبيّ. لأنّ مالك بن نبيّ جاء إلى دمشق وألقى محاضرات في جامعة دمشق، وتلقّفها هؤلاء وبدأوا يبنون أفكارهم، ونشأت فكرة أن لا عنف ممّا قاله مالك بن نبي، من أنّ قوة الفكرة تبنّاها مؤتمر باندونغ وهي فكرة عدم الآنحياز هي عدم القوة، عدم السلاح.

وهو يقول في كتبه وينقلها الأستاذ غازي ينقلها على أساس أنّها من روحية الإسلام ومن منهج غاندي الّذي دعا في كلمة شهيرة له قوله "لو طبّقنا قاعدة العين بالعين لصار العالم كلّه أعمى!" هذا طبعًا استهزاء كما ترون، هذا استهزاء بالقرآن واستهزاء بالسنة. هذا يقوله غاندي، وهم يحملونها، قضيّة العنف، وأنّ مذهب ابن آدم الأول (**لَئِن بَسَطتَّ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ**) هو الحل.

هذا الكتاب وما فيه من أفكار هل ما زلنا بحاجة إليها؟ هل ما زال وجود للمدرسة التاريخية؟ موجود، ولكن الحقيقة أُعيدت إلى قمقمها، المدرسة التاريخية -أي بجعل الإسلام حالة تاريخية- انحسر أمرها حتّى خرجت إلى عداء الإسلام.

لا بأس أن أعود إلى هذه الكلمة بالبيان، أنا أعرف أنّ اليوم المسألة فكرية، فلذلك فيها شيء من الجفاف ولكن لا بدّ من ذلك.

الباحثون يرون أنّ مدرسة محمّد عبده هي الّتي أنتجت قاسم أمين. ومدرسة قاسم أمين ماذا أنتجت؟ العري، والفسق، والفجور؛ ولذلك هو في آخر حياته يُقال أنّه قال: "الله يلعنكم ليس هذا ما قلت". رغم أنّه هو الذي أنتجها! يعني الفكر يمشي، فبداية يكون الانحراف قليلًا كما يقول العلماء، ولكن ينتهي إلى الزندقة والخروج.

المدرسة التاريخية التي يمثّلها العقّاد بدراستها للإسلام، والّتي يمثّلها طه حسين حسب تقييمي، –انتهينا من بيان الفوارق وضرورة الزمرة–، هذه اليوم في الحقيقة حسمت أمرها في عداء الإسلام. يعني من يريد أن يقرأ الإسلام قراءة تاريخ وانتهى حسمت أمرها واقعًا.

أنا دائمًا أستدل أيّها الإخوة الأحبّة متى يظهر الشيطان على حقيقته؟ يعني الناس يستطيعون رؤيته؟ إما في حالة الإيمان القوي أو الكفر القوي. بالنص.. يعني متى تمثّل الشيطان؟ في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم. لماذا؟ لأنّ هذا الإيمان القوي جعله من غيظه يظهر ويخرج إلى المعركة في عالم الشهود، فهو من حقده قال لهم المعركة انتهت ما نجحت معكم في عالم السرية وعالم التآمر وعالم الداسوسية والجاسوسية، انتهت، فالآن أنا أواجهكم معركة صريحة وواضحة وقوية. أليس هذا هو تطبيقات أتباع الشيطان اليوم؟!

يعني قبل أن يظهر هذا التيّار الجهادي وتظهر الأمّة وتنتفض، كيف كان يتعامل أتباع الشيطان مع هذه الأمّة؟ من خلال المظهر الحسن، السلام، حقوق الإنسان، من خلال الدعاوى الكاذبة، وفي الأسفل يقوم الدّس والمكر. متى ظهرت حقيقة الجاهلية وحقيقة أتباع الشيطان؟ لما أهل الإسلام تقدّموا إلى الإمام، صار هناك معركة، وهنا نزع اللثام لأن المعركة حقيقية. وهكذا الشيطان ظهر زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم، لماذا؟ لأنّ الإيمان قوي، فالشيطان خرج ومن حقده أراد أن يحرق النبيّ صلى الله عليه وسلم، نسي أنّ نور النبوة سيحرقه، ومع ذلك اقتحم العقبة.

وكذلك يظهر الشيطان في آخر الزمان، عندما ينتهي الناس ولا يعرفون "الله"، **(تقوم الساعة وليس على الأرض رجل يقول الله)**، بعد هذه المرحلة الشيطان يظهر لهم.

في الأول الشيطان يتخفّى لئلا يُعرف؛ حتّى يدير المعركة؛ لأنّه لو ظهر تفشل المعركة، لكن لما المعركة تبين يظهر.

ثانيًا لما لا يصبح ظهوره يشكل عقبة في قبول قوله يظهر.

يعني الحالة الأولى إذا اشتدت المعركة فيظهر؛ لأنّه لا بدّ أن يخوض المعركة، لكن في الحالة الثانية لماذا يظهر الشيطان في آخر الزمان؟ لأنّ ظهوره يخدمه.

لو جاء الشيطان لزانٍ وقال له ازن، يقول له الله يلعنك، والله إنّك الشيطان. لكن هو لا يأتي إليه بصورة الشيطان، يأتي إليه بصورة الناصح والوسوسة في الداخل، وإثارة الشهوة. لكن لما يكون هذا يعبد الشيطان حقيقة ولا يرى أنّ الشيطان عدوًا له، لماذا لا يظهر الشيطان؟

الآن ترون.. يعني لما واحد ليس عنده مشكلة أن يتعامل مع اليهود! فيأتي لليهودي ويتعامل معه بوضوح وصراحة ويقول له اؤمرني. هو لا يرى أنّ اليهودي لو ظهر وتكلّم معه أن هناك مشكلة في قبول قوله.

يظهر عندما يكون الشر مطبقًا، يخرج لهم الشيطان يقول لهم أنا الشيطان اكفروا، فيقولوا نعم نحن نعبدك، فيطيعونه. لكن لماذا الآن لا يظهر؟ لأنّه لو ظهر لكان في ظهوره تخريب لطريقته. وكذلك عند ظهور الإسلام وظهور الحق حينئذ الخفاء لا ينفع.

هناك لقبوله في آخر الزمان، وفي زمن النبوة هناك لشدة معارضته.

الآن لماذا أقول هذا الكلام؟ أقول هذا الكلام؛ لأنّ المدرسة التاريخية هي مدرسة في عمقها وفي جذرها هي مدرسة ضدّ الإسلام، هي ليست من الإسلام في شيء، وهي عدوّة له، ولكن لا تستطيع أن تظهر؛ فلا بدّ أن تدخل عالم الإسلام بطريق الرفق، على قاعدة أنّه لا يمكن هدم الشيء إلا من خلال الفيروس الخاص به.

هذا رودنسون يقول لمحمّد عبده والأفغاني: لا يمكن هدم الإسلام إلا من داخل الإسلام نفسه.

طبعًا هذه قضيّة مرفوضة عند بعضهم؛ لأنّهم يعتبرون أنّ هدم الشيء من داخله تكريس لهذه النظرية.

المهمّ أنّ المدرسة التاريخية قد حسمت أمرها في عدائها للإسلام، وأين انتهت؟ انتهت في محمّد

أركون. انتهت في نصر حامد أبو زيد، انتهت في حسن حنفي، انتهت في محمد شحرور. المدرسة التاريخية موجودة ولكن في قضيّة قبولها إسلاميًا انتهت؛ لأنّها أظهرت نفسها، وخاصّة بعد ظهور الإسلام في صوره الحقيقية المتمثّل بالتديّن الحقيقي، الجهاد الحقيقي، الواقع الّذي تفرضه الجماعات المسلمة في قضيّة تميّز المسلم عن غيره في قضيّة الولاء والبراء.

هذه نقطة.

النقطة الثانية وهي قضيّة ما يُسمى المدرسة الإصلاحية، ما يُقال الآن: هذه المدرسة هي أخطر مدرسة موجودة تاريخيًا، يعني لا ينبغي أن يُقال المدرسة الإصلاحية هي مدرسة منتجة من بعد عصر الاستعمار، هي مدرسة قديمة. ولذلك هم يستدلون لها بالأقدمين، يستدلّون لها بالغزالي، يستدلّون لها بابن رشد، يستدلون لها بالمعتزلة.

يعني المدرسة الإصلاحية –وأنا أرجو أن تكونوا قد قرأتم الكتاب– ترى أنّه لا بد من اعتماد النصّ ولكن تأويلًا، واعتماد الإسلام لكن بطريقة تتلاءم مع الواقع، تتلاءم مع الحضارة الغربية، تتلاءم مع الإنتاج الاستشراقي، أنّها هي الّتي تصلح للمجتمع. هذه مدرسة ما زالت موجودة وحاضرة، وهناك من يأخذها أخذًا كاملًا، وهناك من يأخذ منها أخذًا جزئيًا.

يعني ما زلنا نتعامل مع الناس الّذين يريدون أن يجمعوا بين الإسلام وبين غيره. هذه موجودة إلى يومنا هذا والجماعات كثيرة منها.

بل نحن نعاني حتّى في داخل ما يُسمى بالتيار السلفي من وجود أناس على هذه الطريقة، وهي أنّ هناك من يرى أن قيام المسلمين لا بد أن يتوافق مع تطويع الإسلام للحضارة الغربية. هذه هي المدرسة الإصلاحية، هكذا تقول.

وضْع محمّد عبده في هذا الإطار ثمّ وضع بعد ذلك معه مالك بن نبيّ في هذا الإطار ربّما يخالف البعض وربّما يوافق البعض، ولكن بلا شكّ أنّ محمّد عبده هو من أرسى بقوّة هذه المدرسة.

لا بدّ أن نضع هذه الكلمة الّتي قالها الأستاذ محمود شاكر أن نضعها نصب أعيننا في نظرتنا وتقييمنا لإنتاج محمّد عبده، أنّه في الحقيقة أراد سلفية تمحو الإنتاج الإسلامي بحيث العودة للمصدر الأول.

وأرجو أن تقرؤوا كلمة الأستاذ محمود شاكر قراءةً جيدةً. هذه مهمّة، وليت أحد الإخوة يطبعها، حتّى لا يظنّ لما يأتي للكتاب ويقرأ دلائل الإعجاز ويراه كبيرًا فيترك الكتاب بالكلية، فقط لو طُبعت هذه في رسالة خاصّة ووُزّعت على الإخوة فيكون جيّدًا؛ لأنّها تكشف أن تحقير التراث –وللأسف المدرسة السلفية مارست هذا، وهذا شرحته في الموافقات لما قلت بأنّ هناك من يريد أن يلغي الإنتاج الإسلامي المتمثلّ بالتاريخ كونه ليس إنتاجًا نبويًا، ورددت عليهم وقلت بأنّه لا يمكن أن تفهم ثقافة الإسلام إلّا من خلال هذه الأوعية، قُبلت هذه الأوعية أو لم تُقبل، لكن في النهاية هذه هي الأوعية.

يعني عندما يأتي واحد يريد –وسيُعرف الآن من المذكور– عندما يأتي واحد يحقّر الإنتاج المذهبي، إنتاج الأئمة، الإنتاج المذهبي.. يعني المزني إنتاج مذهبي، البيهقي إنتاج مذهبي، النووي إنتاج مذهبي، ابن حجر إنتاج مذهبي، السيوطي إنتاج مذهبي، فيأتي ويقول المذهبية في تاريخنا، يأتي لك بكتاب فقه ويضرب لك مثالًا بمسألة فقهية أنت اليوم تحتقرها ولا ترى حقيقة –مثال ذلك يقول لو أنّ رجلًا قُصف ظهره فخرج منه المني، هل عليه غسل أو لا؟ فهذه كلمة اليوم يعرف طالب المدرسة المبتدئ يعرف أنّها غير صحيحة، ولو قُصف رجل الظهر يعني مات، فهل نغسل الميت تغسيل جنابة أو تغسيل الميّت، وهل المني في الحقيقة في ظهر الرجل أو في خصيتيه؟ يعني يبدأ الاستهزاء بها. ولكن هذه أنتجت احتقارا لكتب الفقه المذهبية. أنا أتكلّم ليس فقط مدرسة محمّد عبده ولكن المدارس حتّى الّتي انتسبت للسلفية تقوم على احتقار هذه الطريقة، على هذا التراث، على هذا الإنتاج.

وبهذا أنا أعتقد بأنّ النظر إلى المدرسة الإصلاحية كأخطر مدرسة موجودة على الواقع وما زالت تقاومه من هنا، فمّما يُعد منقبةً لهذا الكتاب أنّ صاحبه أثريٌ وهو يرفض –أنا أعرفه شخصيًا لا أريد أن أدخل لهذا الجانب، وأهرب منه كليًا–، وهو لا يحب كلمة سلفية تمامًا، يرفضها تمامًا، ليس للفظها، وأنا سأذكر هنا أنّه من المدرسة الأثرية الّتي نقول هي مدرسة الأصول الأثرية، في هذا الجانب، في

الجانب الكلّي في قراءته. والدليل على هذا لو قرأت كتابه "في مجال العقيدة"، وهذا كتاب جيّد، سهل، ورائع. وأظنّه هو ثان إنتاج أو ثالث إنتاج له، لو قرأته لعلمت تقيّد هذا الكاتب في منهجه في دراسته للإنتاج الإسلامي.

وكذلك يشهد لهذا وهو "جذور أزمة المسلم المعاصر" عندما يبحث عن الجانب النفسي ويتكلّم عن موضوع عقيدة المسلم في القرآن.

عندما تكلّم عن عقيدة المسلم في القرآن أنّه كلام الله، كيف تحدث هذه العقيدة أثرًا نفسيًا عظيمًا؛ لأنّه يتكلم عن الجانب النفسي كلامًا جيّدًا ومهمًّا في كتابه.

في هذا الجانب وهو نقد المدرسة الإصلاحية، وهناك طبعًا لو أنّ الإنتاج يتراكم لكان بعد هذه القاعدة من تسمية هذا الإنتاج بالإنتاج الإصلاحي ثمّ رويت جذورها بعد ذلك، رويت الجذور الّتي انبثقت من هذه المدرسة، فروع، ودخلت هنا، ودخلت هنا، حتّى دخلت في داخل جماعات، يعني المدرسة الإصلاحية ليست بعيدة عن إنتاج مدرسة الإخوان المسلمين. هو الآن يعتبر أنّ المدرسة التربوية المتمثّلة بالأستاذ تقي الدين النبهاني، المتمثّلة بالأستاذ حسن البنا، في الحقيقة المدرسة الإصلاحية، بل كثير من قادة الإخوان الفكريين يعتبرون أنفسهم امتدادًا لمدرسة محمّد عبده.

هناك طائفة من المصريين من الإخوان المسلمين –وهذه منشورة في كتبهم وفي أبحاثهم– يعتبرون أنّهم جزء ممّا أحدثه محمد عبده من ثورة في داخل العملية الإصلاحية في الإسلام.

يعني فقهاء الإخوان المسلمين –لا نريد أن نذكر أسماء– في قضيّة التأويل الفقهي، ما نصل لدرجة تأويل الجنّ ولا الملائكة هذه لشدّة علماء الإسلام فيها ظهر فسادها وتراجعت مع انتشار المدّ الأثري من العلماء ومحاربتهم لها فاندثرت، ولكن نتحدّث عن التأويل في مجاله الفقهي وليس في مجاله العقائدي، وليس في مجاله الخبري، نتحدث عن التأويل في مجاله الفقهي وليس في مجاله العقائدي ولا في مجاله الخبري.. التأويل في مجاله الفقهي موجود، ما زال يُمارس! يعني المدرسة الّتي تُسمّى بمدرسة التيسير

اليوم وهو البحث عن الأقوال الّتي تؤدي إلى تيسير الفعل دون النظر إلى قوّة الدليل سوى أنّها ميسرة، وهو إسقاط التكليف. لكن هذا إنتاج أيّ مدرسة؟ المدرسة السلفية الّتي هي من إنتاج محمّد عبده وما يريده.

ففيه التقاء؛ وبالتالي البحث عن جرثومة المدرسة الإصلاحية في داخل التيّارات الأخرى، هذه مهمّة ينبغي أن نلاحقها دائمًا، وما زالت المدرسة الأثرية ملاحَقة ومقاتَلة من هذه المدرسة.

والجماعات الإسلامية تتأوّل على طريقة الإصلاحيين، الجماعات الإسلامية حتّى منها الّتي تقاتل، حتّى منها التي تزعم أنّها أسيرة النصّ وأنّها متقيّدة به، ما زالت يقع منها قضيّة التأويل وما تمارسه المدرسة الإصلاحية.

الآن بقيت كلمات سريعة وهي الحديث عن حزب التحرير، يعني هو جعل مدرسة تقي الدين النبهاني مدرسة تربوية؛ لأنّها تهتمّ بالإنسان.

المدرسة الإصلاحية أرادت قيام المؤسسات، سواء كانت بجهودها كما أراد محمّد عبده أراد تصحيح الأزهر، أراد إنتاج معاهد دينية جديدة، أراد تقويم المناهج في داخل الأزهر وفي داخل المدار الدينية فإذًا هو يتعامل مع المؤسسة في الإنتاج كما يقول هو.

المدرسة التربوية يقول هي تتوجّه بإصلاحها نحو الإنسان. ثمّ ينتقد مدرسة الأستاذ تقي الدين نبهاني في أنّها اهتمّت كثيرًا بالجانب الفكري على حساب الجوانب التربوية الأخرى الّتي تصنع التوازن لهذا الإنسان المعاصر.

في الحقيقة الأستاذ هنا غفل عن قضيّتين؛ لأنّنا نناقشه في مناقشته. هذا التقييم الّذي نراه، مع كل ما قيل فيه، ليس محترزات، من زيادة هوامش فقط ، ولكن ليس هناك أيّ إشارة إلى أنّ المدرسة التربوية في جذورها –سواء كانت المتمثلة بالأستاذ تقي الدين النبهاني أو المتمثّلة بحسن البنا– لا يوجد أي نقد في قضيّة بناء العقيدة بناءً جديدًا.

يعني ناقشنا الأستاذ محمّد قطب.. أين نظر إلى الخلل؟ نظر إلى قضيّة جذر فهم المسلم في داخل الجماعات المسلمة للعقيدة، ولذلك تكلّم عن الولاء والبراء، تكلّم عن قضيّة الحاكمية.

ألم يكن من الأجدى والأفضل - سيُقال الشيخ تكلّم عنها باعتبار أبعادها فقط - ولكن هذا الكلام الذي انتقدت فيه محمّد عبده وانتقدت المدرسة الإصلاحية كان ينبغي أن تذكره في المدرسة التربوية وهو غياب تجديد المفاهيم الإسلامية الّتي طرأ عليها الانحراف أو طرأ عليها التغييب، وأقصد بذلك مفهوم التوحيد مفهوم الإيمان، الّذي لو اعتمدنا على ما يقوله حزب التحرير في تفسيره لمفهوم الإيمان لوجدناه عقلانيًا متكلّمًا، ولو ذهبنا إلى ما يقوله حسن البنا باعتباره المصدر فإنّه -كما قال الأستاذ محمّد قطب وقد أحسن- أنّه اعتمد على أنّ هذه المفاهيم موجودة، لكنّها تحتاج إلى إعادة ثورة وجدانية لتفعيلها. هذا قلناه، وجيّد أن نربط بين الكتابين لأهميّتهما، وهو الأستاذ يعتبر أنّ إنتاج سيد قطب وإنتاج محمّد قطب هو فرع لهذه القضية.

نحن نقف عند هذا، وهو من حقّه أن يقول هذا الكلام، ولكنّنا نتعامل مع المدرسة التربوية، كما أنّه انتقد تقي الدين النبهاني أنّه اعتمد على الفكر دون السلوك فلم تصنع إنسانًا متوازنًا، ونفى قضية الروحانية وعلاج الروح، كما هو يرصد هذه الظاهرة كذلك هو في الاثنين مع تقيّ الدين النبهاني ومع حسن البنا لم يتكلّم عن نقد إنتاج الإنسان كيف يكون، هو وافق تقيّ الدين في عودة الإصلاح إلى الإنسان لكنّه انتقده في كيفيّة إنتاج هذا الإصلاح في الإنسان ولم يتطرّق إلى هذا الجانب في قضيّة حسن البنا.

حسن البنا لم ينتج ولم يتكلّم عن أيّ إصلاح في كتبه لمفهوم التوحيد ومفهوم الإيمان الّذي طرأ عليه التغيير، أو طرأ عليه التغييب ، فكان هذا الجانب ينبغي أن يُعتنى به.

وأنا أعتقد بأنّ الّذين اهتمّوا بعد ذلك بسيّد قطب واهتمامه ببناء الإنسان العقائدي خاصة شعاره العظيم (جيل قرآني فريد)، إنتاج القرآن، الّذين تكلّموا عن قضية اكتشاف الإرجاء في داخل الفكر الإسلامي وهذه ليست من جهة واحدة، انتبهوا! هذه من هداية الله، مثلًا الإخوان المسلمين لما دخلوا

السجون، ما الّذي اكتشف قضيّة الإرجاء؟ طلاب علم صغار وبعض المشايخ. صحيح انحرفوا وذهبوا بعيدًا بحيث كفّروا المجتمع، لكن اكتشفوا جذور الإرجاء.

المدرسة (الأثرية) اكتشفت جذور الإرجاء؛ فهذه من فضائلها أنّها اكتشفت معالم الانحراف العقدي في داخل الأمّة، هذا هو الّذي ينبغي أن نعلّق عليه الجرس في قراءتنا للمدرسة التربوية، لا أن ننظر إليها فقط هي أنّها مهتمّة بالإنسان فنخطّئ أنّ الإنسان يُبنى من خلال المؤسسة أو أنّ المؤسسة تُبنى من خلال الإنسان، لكنّنا ينبغي أن نهتمّ بم يُصنع الإنسان، وهي قضيّة بناء الإنسان القرآني.

وبناء الإنسان القرآني لا تبقى شعارًا فقط! لا، نحن أمام مفاهيم مغيّبة، أمام مفاهيم منحرفة ينبغي أن نقوم بها.

ربّما كتب الشيخ بعد ذلك خاصّة كتابه "في مجال العقيدة" و"جذور أزمة المسلم المعاصر" الجانب النفسي ربّما تقوم بمثل هذه الزيادة والتنبيه.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يغفر لنا.

في النهاية هذا كتاب جيّد ومهم وجزى الله كاتبه خير الجزاء، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

الكتاب القادم، وهو كتاب مهم جدًا، كتاب أحمد الكاتب الشيعي الذي تطوّر ولم يتسنن وهو "تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه".

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: ما سبب عدم إدخال جمال الدين الأفغاني ضمن الشخصيات المتحدّث عليها في الكتاب؟.

الشيخ: هو يقول بأنّه بدأ بمحمّد عبده لسبب ذكره في مقدّمة الكتاب، لكن في الحقيقة أين

نستطيع أن نضع جمال الدين الأفغاني؟ هو يهتمّ بالجانب السياسي، يعني ينظر إلى تطوّر الفكرة

جمال الدين الأفغاني كان اهتمامه منصبًا على القضيّة من فوق والتعامل مع السياسيين وتغيير السياسيين وثورة الأمة ضدّ السياسة، ضدّ الاستبداد، إلى آخره.

ثم جاء محمد عبده ردّة فعل على الفشل الّذي لقيه جمال الدين الأفغاني؛ لأنّه فشل سياسيًا وطورد وحورب، فبعد ذلك رأى أن يدخل إلى جانب الإصلاح التربوي.. المؤسسة التعليمية؛ ولذلك أبغض كلمة سياسة وساس ويسوس وسبّها ولعنها.

وثمّ بعد ذلك هذا الإنتاج الّذي هو عباءة كبيرة لكلمة السلفية أنتجت سلفية قاسم أمين وأنتجت سلفية محمّد عبده.

يعني محمّد عبده لما رفع شعار إعادة إلغاء التراث والسلفية فهناك من ذهب ثمّ دخلت السلفية على محمّد رشيد رضا وانتهت إلى ما انتهت إليه الذي هو بعد ذلك سلك هذا الطريق.

فلا نستطيع أن ندخل جمال الدين الأفغاني؛ لأنّه كان يؤمن بالتغيير السياسي، كان الرجل انقلابيًا، وثوريًا في الحقيقة. كان رجلًا ثوريًا وانقلابيًا وضدّ السياسيين ويريد تثوير الأمة في هذا الأمر بالطرق التي يؤمن بها.

<u>**السائل:** أريد كتابا تاريخيا عن الأحداث المحصورة بين سنتي ١٩٠٨ و١٩٢٦ في بلاد المسلمين.</u>

الشيخ: هذه الحقبة شملت الحرب العالمية الأولى ودخول أمّتنا تحت نير الاستعمار، فهي حقبة مهمة، لكن هل هناك كتاب يشمل العالم الإسلامي كلّه؟ يعني أنت تريد منطقة، تريد شخصية، تريد كذا

كتاب محمود شاكر السوري وليس المصري "التاريخ الإسلامي" مع أنّه للأسف هناك جزئان مفقودان من كتاب (التاريخ الإسلامي) لمحمود شاكر، أرجو من كان عنده هذان الجزءان أن يضعهما في النت؛ لأنّ الناس يبحثون عنهما، إذا كانا قد طُبعا ووجدا، لا أعرف كثيرًا عن هذا الأمر.

فهذا الأستاذ محمود شاكر السوري رحمه الله ومات قريبًا، حاول أن يقدّم الكثير مع ما فُقد من الأجزاء المذكورة هي ما تتعلّق بالتاريخ المعاصر.

السائل: أريد عن هذه الفترة بالتحديد

الشيخ: عن أي منطقة؟

السائل: منطقة الدول العربية أو العالم الإسلامي

الشيخ: فقط لا يوجد كتاب يجمع التاريخ الإسلامي، لكن مثلًا هناك دراسات خاصّة، ونحن كما ترى أنّ التاريخ المعاصر هو تاريخ يُصنع على يد السياسة، وقليل منه ما صُنع بعلمية وإنصاف وحرفية؛ فلذلك أنت تجد مثلًا الكلام عن الدولة العثمانية، الدولة العثمانية سقطت سنة ١٩١٦ أنت تتكلّم عن الفترة من ١٩٠٨ إلى ١٩٢٧ إذًا سقوط الدولة العثمانية، يعني أنت لما تتكلّم عنهم أنت بحاجة إلى قراءة متعدّدة حتّى تستخلص الحقّ، هناك من يتكلّم عنها بلؤم، ويتكلّم عنها بإسقاط، ويتكلّم عنها بعداء، وهم القوميون، وصنّاع الدول المعاصرة القومية. وهناك من يتكلّم عنها بشغف، ولا يريد أن يقدّم نحوها أي نقد، وهناك من ينصف. الكلام عنها فيه مشقة.

السائل: سألت عن هذه الفترة بالتحديد؛ لأنّ هذه الفترة مهمّة جدًّا خصوصًا للعالم العربي والعالم الإسلامي.

الشيخ: لأنّها شكلتنا.

السائل: أنا عندي قراءات سابقة وعندي استنتاجات لكن استنتاجات ذهنية، واستنتاجات فكرية ليست مدعّمة بالأدلّة التاريخية، وليست مدعّمة بالرسائل، وليست مدعّمة بالمشورة. هذه الفترة هي الّتي غيّرت مجرى حياتنا في هذا الوقت؛ لأنّه أنا من خلال القراءات استنتجت أنّ هناك مؤامرات تمّت في هذه الفترة بالتحديد وهي سيطرة الأحزاب العلمانية على الدولة العثمانية، ولم يريدوا إسقاط الدولة العثمانية كخلافة إلا بعد انتزاع ثقة أهل الإسلام والعرب وإخراج الخلافة وملفوظ الخلافة من قلوب

الناس؛ حتى تتشوّه هذه الصورة في قلوب النّاس بسيطرة هؤلاء العلمانيين على كثير من مصالح الدولة وعلى كثير من قرارات الدولة. لما تمّ لهم هذا الأمر جاء إعلان إسقاط الخلافة أو الدولة التركية العلمانية، بهذه الفترة تمّ تقسيم الوطن العربي، وتمّت الاتفاقات مع الآنظمة العربية، وتمّ الاتفاق مع الحكام العرب على مرسوم معيّن أن الّذي يخرج عن هذا المرسوم لا بدّ أن يذهب إلى اليسار أو أن يلاقي حتفه. هذا كله هو عبارة عن استنتاج، الخلافة العثمانية فعليًا تمّ إسقاطها في العشرين ٢٤ أو ٢٦، فعليًا العلمانية سيطرت في ١٩٠٦، ١٩٠٧، ١٩٠٨، وبعد أن أصبحت مصادر الدولة العثمانية وجميع القرارات بيد الأحزاب العلمانية؛ فبدأ هؤلاء العلمانيون بسياسة التتريك، وبسياسة القتل والتشريد والسرقة والنهب، لكن باسم العلمانية؟ لا، باسم الخلافة. فذهبت الخلافة من قلوب الناس. هذه الفترة فترة مهمّة جدًا. حقيقة أنا حاولت حتّى في المصادر الغربية، مصادر الكتب التاريخية سواء كانت الإسبانية؛ لأنّ الإسبان كتبوا في هذا المجال.. آلاف الكتب الغير مترجمة، أنا أعرف أنّ الذين كتبوا التاريخ الآن إمّا أن يكون علماني خبيث وإما أن يكون رافضي شنيع يخدم مصالح الرافضة، أو أن يكون يهودي نصراني مستشرق، أو أن يكون مسلم منصف. فالتاريخ الآن لا يخرج عن هذه الأربعة؛ إمّا مستشرق، وإمّا رافضي، وإما علماني، وإما أن يكون مسلم منصف ينقل التاريخ كما هو، ليس يعني تحت سياسة معينة، ليس تحت هدف معين. العلمانية لها هدف من كتابة التاريخ، والرافضة لهم هدف من كتابة التاريخ، والمستشرقون لهم هدف من كتابة التاريخ. لكن نحن نريد كتابًا تاريخيًا يذكر المعلومات التاريخية بتجرّد.

الشيخ: شيخي، الكتابة المستوعبة لحالة الإسلام كلّه ضمن هذه الحقبة الزمنية من الصعب أن يقوم به شخص أو شخصان أو حتّى ثلاثة، لا بدّ لها من مؤسسة. ومعنى كلمة مؤسسة يعني وجود داعم، ومعنى وجود داعم يعني فيه (**لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ**)، يربط حنكه ويمشيه كما يريد. فبالتالي هناك كتب يمكن يتمّ توزيعها في مدارس أو في دراسات تاريخية يقوم بتوزيعها عليهم، يقرأ هذا الشخص، قراءة أشخاص، يعني الخارطة الفكرية الّتي شكّلت واقعنا الكتب فيها كثيرة،

يعني نحن نتحدّث الآن عن طه حسين، ونتحدّث قبله عن محمّد عبده، ونتكلّم عن جمال الدين الأفغاني. مع أنّه حتى الآن لم يُغلق الكتاب.

يعني الكلام عن جمال الدين الأفغاني إلى الآن، يعني يمكن واحد يجعله الشرير الأكبر والشيطان العظيم، ويمكن واحد يجعله مصلحًا ولكنّه مخطئ، ويمكن واحد يجعله عميلًا! لكن وُجد، في الحقيقة المرء الذي يستطيع أن يجد مادّة ما يستطيع بها أن يحكم على هذا الكلام.

لكن الكلام عن قضيّة السياسة، عن الأحزاب الّتي تتكلّم عنها، ليس فقط عن الخارطة الفكرية، نتكلّم الآن عن قضيّة الأحزاب، الجماعات، الدول، يعني قضيّة الكلام عن الثورة العربية الكبرى مثالًا، ترى الآن يوجد بعد سياسي؛ لأنّها ما زالت قائمة، ما زال لها أبناؤها، وما زال لها حرّاسها، وما زال لها دولتها تدافع عنها. وكذلك يمكن أن يأتي الخصم فيتكلّم كلامًا سيئًا.

يعني أعطيك مثالًا، الكلام عن آل سعود مثلًا عن عبد العزيز آل سعود وقيام الدولة الثالثة وتاريخها، من هي، ما جذورها، لما كان يجلس مع فلان وعلان ماذا كان يُقال، لماذا قاتلت (إخوان من طاع الله) وقتلت فلانًا وفلانًا وقتلت ثورة؛ فمثل هذه الأمور إلى الآن القراءات -كما أنت قلت- هي قراءات مشبوهة أو قراءات مختصرة أو قراءات صادقة وتامّة ولكنّها مغمورة. فهذا يحمّل أي باحث الكثير من الثقل والمشقّة في إدراك الصحيح من الخطأ، إدراك المكذوب من الصادق، أو إدراك المؤوّل.

يعني مرّات أنت لما تقرأ مثلًا السلطان عبد الحميد، لماذا دخل السلطان عبد الحميد الحرب العالمية الأولى؟ دخول السلطان غلط، لكن لماذا دخلها؟ فأنت تحكم عليه بالخطأ، لكن تريد أن تؤوّل له أو تريد أن تسقطه، تحتاج أن تتكلّم عنه، تحتاج تقرأ قراءة.

فالقصد أنّ الخارطة السياسية لما تشكّلت به الدولة المعاصرة والأحزاب المعاصرة والشخصيات المعاصرة من الصعب لكتاب ولا لكتابين ولا ثلاثة ولا موسوعة.

السائل: وهذه عبارة عن مجموعة أطروحات تاريخية تُقرأ على انفراد، وتُدوّن على انفراد، ثم تكون

الفكرة بشكل عام.

الشيخ: أسأل الله أن يُقام بها. يعني تحتاج كذلك إلى قدرات عالية.

أعطيك مثالًا: لا يوجد عندنا أرشيف نحن، يعني أنت لو أردت أن تقرأ الملك فاروق، والخيديوية في آخر عهدها قبل قيام ثورة الضباط الأحرار، لو أردت أن تقرأ وثائق فلا تجد. يعني محمد حسنين هيكل من الأمور التي كان زمن مبارك سببا للخصومة بينهما؛ أنّ محمد حسنين هيكل هو المؤرشف الحقيقي والكامل لتاريخ الضباط الأحرار حتّى وفاة عبد الناصر، باعتباره كان كما يسمّونه صوت سيده. كان في زمان الأسطوانات، كانت توضع الأسطوانة للمغنين وأسطوانات لكذا، فتوضع هذه وفيها سمّاعة هكذا، تروئها ربما في المتاحف والصور، فهذه كانت الشركة المصدّرة لها تضع عنوانًا لها كلب، يعني أشهر شركة تنتج هذه الصناعة شعارها كلب، مثل شعار الحمار للحزب الأمريكي وشعار الجمل أو غير ذلك، فشعارها كلب، والشركة اسمها (صوت سيده)، فيسمون محمد حسنين هيكل صوت سيده، يعني الكلب تبع عبد الناصر.

هذا الرجل ما فيه ورقة إلّا كانت خاصة به، ولذلك هرّب كل الوثائق إلى سويسرا، يعني الآن وثائق مصر كلّها من ثورة الضباط الأحرار وما بعدها كلها مهرّبة وغير موجودة. فكان إحدى الأمور أن يقيموا دعوى قضائية ليرجعوا هذه الوثائق.

القصد أنّه ما عندنا وثائق، يعني أنت لما تروح الآن على أيّ دولة وتقول لهم أعطوني وثائق محاضر اجتماع الرئيس الفلان الفلاني ما فيه، يمزقوها، يجلسون مع بعضهم جلسات مصاطب.

لما أراد أحد المؤرخين اليهود أن يدرس صلات أحد الحكام مع وايزمن ومع غولدا مائير ومع كذا، فقال لم أجد ولا ورقة عندهم، فاضطرّ أن يعتمد على الوثائق اليهودية، موجودة في داخل الوزارة الخارجية اليهودية الإسرائيلية. فأنت مضطرّ كذلك الآن إلى الوثائق الغربية.

يعني أنت الآن سمعت شيئًا وأنا وأنت والناس سمعوا شيئًا من وثائق ويكيليكس، تصوّر هذه الكمية

الهائلة التي تخرج منها باستنتاج كيف اجتمع فلان مع فلان، ماذا قال فلان مع فلان، وهذا الجزء ليس من الماضي حتّى تبحث عنه بمشقة ومفقود، أنت تتكلّم عن واقع موجود تعيشه أنت، ومع ذلك لا تدري ماذا قيل وماذا حدث، وتصدّق وتكذّب، لكن بشيء موثق تخرج به حدث أو لم يحدث هذه تحتاج إلى قدرات، تحتاج إلى مال، حتّى تبحث عنها وحتّى تجدها.

ثانيًا، الآن لو أنت تبحث عن إنشاء دولة ما، وتجد الوثائق الّتي تتحدّث تخرج بعد خمسة وعشرين سنة، طيّب خلال الخمسة وعشرين سنة هذه ماذا جرى؟ تنتظر حتّى تخرج.

مع هذه الصورة القاتمة والسوداوية لواقع هذه الأمّة وتاريخها، الناس يعرفون، يعني ناس كثير يعرفون على الجملة وليس الدقائق، فصار الناس يتحدثون عن فلان الوسخ، فلان العميل، فلان القذر، فلان الّذي باع، فلان الّذي اشترى، فلان الّذي قتل، فلان الّذي فاوض على دماء أمّته، وهكذا، فعلى الأغلب موجود هذا، صار عند الناس، ومع ذلك يوجد النقص الشديد في معرفنا لتاريخنا ووقائعها.

أنا الآن أتحدث معك، أعطيني أنت رجل تعيش في المنطقة تحدّث لي عن ثورة ٣٦، كلمات غائمة، يعني أعطيني عن إضراب ٣٦، هذا الإضراب الفلسطيني أشهر إضراب في التاريخ الإنساني كلّه؟ كلمات غائمة، كيف جرى، كيف تمّ، ماذا وقع، ما الّذي أبطله، ما المفاوضة الّتي جرت له؟ هذه حقبة تاريخية عظيمة لإحدى محطّات الصراع بين المسلمين واليهود، كلمات غائمة عامة.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه

لأحمد الكاتب، الشيعي المتطور

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب السابع والعشرون

تاريخ المناقشة: ٢٠ شباط ٢٠١٦.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيّد المرسلين، وإمام المتقين؛ حبيبنا وإمامنا محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغرّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله -عزَّ وجلَّ- وإياكم منهم، آمين.

أيها الإخوة الأحبة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. اليوم نحن مع كتاب جديد ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات) وهو كتاب الشيعي المتطوّر أحمد الكاتب وكتابه "تطوّر الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه".

والمقدّمات بالنسبة لهذا الكتاب كثيرة جدًا، يحار المرء كيف يبدأ بها، هل يبدأ بضرورة قراءة الأفكار قبل تطوّرها؟ لأن كثيرًا من العلوم وكثيرًا من المذاهب وكثيرًا من الأديان لم تعد كما كانت على ما وُضعت عليه ابتداءً بل تطوّرت. وعوامل التطوّر قد تكون انتكاسة في هذا الفكر، وهذا المنهج، وهذا العلم، وقد تكون ارتقاءً.

بلا شك أن الدين الذي هو وضعٌ إلهيٌ كما يعرّفه المناطقة: الدين وضعٌ إلهيٌ سائقٌ لذوي العقول إلى ما فيه خير الدنيا والآخرة؛ كما يعرف في "الكليات" لا يجوز أن يطرأ عليه التطوّر.

والتطوّر في الأديان هو مَهْلكة لهذه الأديان إن كانت سماوية.

وضرورة بعث الأنبياء وتكرارهم هو بسبب انحراف هذه الأديان -بدل كلمة (تطوّر)- عمّا كانت عليه عند نزولها، وعند مجيئها مع النبي الذي حمل هذه الرسالة.

لكنّ هذه القاعدة لا يمكن أن تُعمَّم على بقية الأفكار والمذاهب؛ فقد تنشأ المذاهب ضالّة وبعد ذلك يقوم أصحابها بتصويبها وتحسينها. وقد يسأل سائل: هل هناك من أمثلة لأديان جاءها أصحابها باطلة فحسّنها أصحابها تطوّرًا؟ يمكن أن نجد أن الإسماعيلي المشهور بإسماعيل آغا خان عندما جاء بعد وفاة جدّه إمامًا وإلهًا للإسماعيلية حاول أن يُدخل شيئًا ما على الإسماعيلية بأن جعلهم يصلّون مثلًا، ولم يجد فقهًا فأمرهم بأن يصلّوا على مذهب الشافعية.

هناك بعض المعاصرين من الدروز –وإن كان هذا من التزوير من جهة ولكنه كذلك من التطوير في جهة أخرى–، والدين الدرزي معروف أنه دين منشق تاريخيًا عن الإسماعيلية السبعية، فيريد هؤلاء أن يُعيدوا الدرزية إلى الإسلام، مع أن دِهقانهم الأكبر كمال جنبلاط اعترف بأن الدين الدرزي أو "دين الموحّدين" لا علاقة له بالإسلام، هو إنشاء غنوصي كما يرى هو كرجل من كباره، وإن كان لا يُعدّ من مراجعهم ولكنه كمفكّر في داخلهم له الاحترام والتقدير، يُعيد المذهب الدرزي إلى المذهب الغَنوصي العِرفاني، ويرى أن مصدره أي التوحيد هو مصدر الهنود كما يؤمنون به.

وهناك بعض التصويبات في تاريخ الصوفية؛ يعني الطريقة النقشبندية في الحقيقة هي ثورة في داخل التصوّف لكنها لم تنجح. لكن النقشبندية في أساسها هي قيام ضدّ التصوّف الراقص؛ لأن هناك التصوّف الصامت الذي تمثّله النقشبندية، وهناك التصوّف الراقص ويمثّله الرفاعية مثلًا.

فهي ثورة، ومع ذلك انتكست وعادت إلى طريقة ذكر أقبح من الصائت؛ فصارت طريقة الذكر عند النقشبندية أقبح ومتعبة أكثر من طريقة الصائت الذي يرقص ويجاهر بالذكر.

هناك محاولات في كل الأديان لتصويبها، لكن الدين الإلهي –وليست الأديان؛ الأديان باعتبار الشرائع، ولكن باعتبار الأصل فكلّها: (**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**)–، هذا الدين تطوّره يعني فساده.

العلوم تتطوّر ارتقاءً إما من جهة معناها وإما من جهة أسلوبها، ومثال ذلك: نحن نرى مثلًا علوم العربية تطوّرت ارتقاءً من جهة الأسلوب والتفصيل؛ فأصل علوم العربية كلها من كتاب "الكتاب" لسيبويه، لكنّ هذه العلوم فُصّلت وصارت منفصلة، وتترقّى في أدلّتها وفي تفصيلاتها، وفي تبويبها، وفي أركانها، فالعلوم تترقّى.

القصد مما قلته في كتاب "فن القراءة" وهو مهم أن من المهمّ جدًا أن نقرأ العلوم كما وضعها أصحابها: العطاء الأول له ألَقُه. وفي الحقيقة من بركة العلم أن أنسب هذه الفائدة للأستاذ محمود شاكر في كتابه "نمط صعب ونمط مخيف" عندما نبّه إلى جناية تسمية الشعر القديم بالتفعيلة، وقال إن التفعيلة أفسدت

كثيرًا من ألق بناء الشعر الموسيقي، لأنه يريد أن يقول: ليت كتاب الخليل وصل لنا. وكتاب الخليل الذي بنى الشعر على أساس الدوائر، وهذا يعرفه أهل العروض.

فقال كلمته: إن غياب الكتاب الأول للخليل قد أضاع كثيرًا من فضائل هذا العلم، وضرب مثالًا في "رسالة في الطريقة إلى ثقافتنا" عندما بيّن أن وضع سيبويه لتفريق الأفعال –وهو لم يقل مضارع–، ضرب مثالًا لهذا الألق عند الأوائل عندما وضعوا الكتب الأولى.

ولا شكّ أن الكتب الأولى كذلك فيها ضعف ما. يعني لما يأتي الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله ويقارن بين كتاب "اختلاف الحديث" للإمام الشافعي و"مشكل الآثار" للإمام الطحّاوي، بلا شك أن المشاكل في عصر الطحاوي غير المشاكل في عصر الشافعي. هذا واحد.

ثانيًا: طرق الأوائل في البيان وفي الإبانة عن أنفسهم كانت شحيحة لأنهم يخاطبون العلماء، فبالتالي تخرج القواعد عندهم كما يُسمى في البلاغة بـ(اللَّمْحة الدَّالة). فكتب الأوائل هي اللمحة الدالة، كيف تُفسّر هذه الكلمة؟ قد تحتاج إلى كتب!

وأنتم ترون الآن علم البلاغة مأخوذ من "أسرار البلاغة" وتفصيل لما قاله الجرجاني، والذي قاله الجرجاني هو تفصيل لما قاله سيبويه في لمحات دالة في كتابه "الكتاب".

العلماء الأوائل لا يُنشؤون الكتب الكبيرة لأنهم يكتفون بما قلته لكم بـ(اللمحة الدالة)، تكفي هذه اللمحة الدالة لتدلّ على عمق ما في نفوسهم من علوم.

والأمثلة كثيرة، كالأستاذ محمد محمد أبو موسى وأنصحكم بقراءة كتابه "في الدرس البلاغي" فهو يأتي إلى كلمة لناقد لشعر ذي الرمة ويقول: بـ"أنه كبعر آرام أو كنقط عروس"، يصف شعر ذي الرمة بهاتين الكلمتين: كنقط عروس، يعني الحنّاء في يد العروس. أو كبعر آرام، كحبّات البعر للغزال. فقال: هذه كلمة تحتاج إلى مصنّف من أجل أن تكشف معناها!

وهذا الذي أريد أن أنبّه عليه؛ بأنه يجب علينا أن نقرأ الأديان في أصولها، والعلوم في موضعها الأوّل.

يعني النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لعدي بن حاتم: (**أنا أدرى بدينك منك**)، عدي غيّر دين الركوسية –مذهب من مذاهب النصرانية كان عليه عدي–، فقال له: (**أنت تأخذ من أهلك الأرباع ولا يحقّ لك إلا الخمس**). قال: أو تعرف ديني؟ قال: (**أنا أعرف بدينك منك**)؛ فهو يعرف ما عليه، ويعرف كيف غيّر وبدّل. وهكذا معرفة الأصول العلمية للمذاهب مهمّة جدًّا.

هذه نقطة. ويمكن أن نبدأ بهذه القضية، وبدأت بها كثيرا في مقدمات كتب سابقة

النقطة الثانية وهي أتعبتني: عندما قرأت كتاب "كسر الصنم" للبرقعي.

في الحقيقة أهل السنة يقدرون على نقد تطوّر ما عندهم من فقه، يعني أهل السنة ينتقدون مثلًا تطوّر علم الحديث، تطورًا جيدًا في جانب، وتطورًا منتكسًا في جانب. عندما يقول ابن رجب رحمه الله في شرحه لعلل الترمذي بأن أول من أدخل مذاهب الأصوليين في علم الحديث هو الإمام الخطيب البغدادي، فهو رصد ظاهرة بأن الخطيب البغدادي جاء إلى مسألة من مسائل علم الحديث وهي قضية زيادة الثقة. زيادة الثقة عند الأوائل الكلام فيها يطول. فجاء الخطيب في كتابه "الكفاية في علوم الرواية" وقال بأن زيادة الثقة مقبولة، اعتبروا هذا كم دخول علم الكلام والمنطق في علم الحديث، هذا رصد للتطوّر.

ابن حجر في كتابه "فتح الباري" يرصد ظاهرة غلبة المذهب الفقهي في قضيّة الخروج على الأئمة، ويقول بأنه بعد حادثة عبد الرحمن بن الأشعث غلب على المذهب السنّي القول بعدم جواز الخروج على أئمة الجور؛ وهذا مذهب جديد.

عندما يرصد ابن تيمية بأن أوّل من قال بعدم كفر تارك الصلاة هو الأوزاعي، أوّل من عُرف عنه بأنه قال هذه الكلمة، وإلا فالمستقِرّ عند أهل الإسلام والفقهاء بأن تارك الصلاة كافر، والغريب جدًّا بعد ذلك أن هذا المذهب الناشئ هو الذي غلب. كما أن مذهب عدم القيام على أئمة الجور هو الذي غلب، يعني يصبح الجديد هو الذي يمثّل الحقيقة مع غياب الحقيقة نفسها!

أعود للنقطة التي بدأت فيها، وهي أننا نحن أهل السنة يمكن أن نرصد هذا، ويجب أن نعترف بأن هناك ثمة تحوّلات، مثلًا علم الأصول هناك ثمة تحوّلات فيه، ونحن نعترف ولما كنت أشرح "الموافقات" كنّا نعاني من المصطلحات الأصولية الكلامية ولكنها ضرورة لا بد أن ندخلها. ولإعادة الجدّة على طريقة الأوائل هذا مشروعٌ لا نقدر عليه. نحن أعجز من هذا، نحن الآن دورنا أن نفهم.

يأتي واحد يقول: نريد أن نجدّد علوم أصول الفقه. هذه كلمة يجوز أن ينطقها أيّ واحد كشعار، ولكن كممارسة هنا المصيبة!، على قاعدة الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله: "التجديد يبدأ بقتل الماضي بحثًا". قبل أن تستوعب الماضي على ما هو عليه لا يجوز لك أن تتكلّم.

ونحن إلى اليوم الذي ينطق عبارة التجديد إنما ينطقها من العجز عن فهم السابق. فيقول: هذا طريق صعب لا نريده وبالتالي علينا أن نذهب مباشرة.

هذه من المصائب التي جعلت المعاصرين يحتقرون كتب الأوائل لوجود صياغة فيها تخالف أساليبهم المعاصرة.

هل هذا صحيح أو خطأ موضوع ثانٍ، ولكن نتكلّم أنك عليك أن تفهم أولًا قبل أن تنتقد، عليك أن تستوعب قبل أن تبني.

أعود فأقول: عندما نتكلّم نحن أهل السنة ينبغي أن ننقد من داخل البنية نفسها. هذه الكلمة (النقد من داخل البنية نفسها) علميًا عليها كثير من الجدل، وحتى الشيوعيون أنفسهم وقعوا في هذا النقاش وهذا الجدل، حول نقض الأفكار من داخلها أو من خارجها.

الفكرة تقوم على أن نقد الأفكار من داخلها هو تكريس للفكرة، لكنها ضرورة. بمعنى عندما يأتي واحد ويريد أن ينقد تطوّرًا ما في داخل مذهب من المذاهب الفقهية أو نقد أهل السنة، فالقاعدة العلمية ابتداءً تقول: انقدها من داخلها من أجل أن يحصل القبول ومن أجل أن تبيّن التّناقض الداخلي في داخل هذه البنية. لكنَّ كثيرًا من الباحثين يرفضون هذا.

وفي كتب ما يُسمى التفكير الإبداعي، وأنا أنصح بها على ألا تستغرقك، إن سمعتم بمثل هذه الكتب، تعتمد في أساس وجود إبداع هو ألا تُنشئ الفكرة من داخلها لأن هذا تكريس لها، كأنك تُثّبت أن فيها قواعد علمية؛ ولذلك حول هذه النقطة جدل، وهي نقد الفكرة من داخلها، هل نقبل ذلك أو نرفض؟

بالنسبة إلينا -أي نحن المسلمين وأهل السنة على الخصوص- نحن نؤمن من خلال قراءتنا لتاريخ هذا الدين ومن خلال نصوصه المعصومة بعد ثبوت عصمتها: نحن ليس عندنا أي مشكلة، لا في النقد ولا في القواعد نفسها. لا توجد عندنا هذه المشكلة، الآخرون يعانون من هذه القضيّة؛ ولذلك يريدون الإزالة، حتى إنهم إذا أرادوا إبداع شيء أزالوه من أصله.

بالنسبة للسنّي يريد أن يعرف كيف يفكّر الشيعي. أنا أقرأ كلام ابن تيمية في نقده لكتاب "منهاج الكرامة" للحلّي، وهو ينقده من خلال المنهج السنّي على أساس أن صاحبه -وهو الحلّي- إنما أراد أن يُقيم مذهبه الشيعي على أساس المنهج السنّي! فهذا مقبول.

بمعنى: لما يأتي شيعي يقول: أنا أريد أن أثبت لك مذهبي أيها السنّي، من أي طريق تريد؟ هل فقط نأتي إلى العقل المجرّد؟ الشيعي يرفض هذا. ولا يوجد شيعي على ظهر الأرض لا تاريخًا ولا معاصرةً ولا مستقبلًا يقبل هذا الحوار. لماذا؟ لأن أساس الفكر الشيعي يقوم على النص. موضوع النص هنا مشكلة أخرى، مقصود النص قضيّة أخرى، لكنه لا يمكن أن يقبل العقل؛ ولذلك لا يتمّ الحوار في هذه النقطة.

وللذكر فإن الشيعة ليس عندهم القياس، الشيعة كمذهب فقهي لا يقبلون القياس في فقههم. لماذا؟ لأن القياس ليس له ضرورة مع وجود النص؛ الإمام المعصوم موجود، عندهم لا يجوز تقليد الميّت، وبالتالي الذي يتكلّم هو يعبّر عن النص فلا ضرورة للقياس، إذًا البعد العقلي بعيد.

وهذه مرة أستاذ شيوعي كان يدرّسنا الفلسفة فكان مما قاله -وهو لم يفهمها-، قال: الغريب أن المعاهد اليسوعيَّة -كما سماها في ذلك الوقت ويعني المسيحية- تدرّس كثيرًا جدًّا المذاهب الفلسفية؛

يعني تجد المتنوّر مسيحيًا عندما يذهب إلى المدارس الدينية المسيحية اليسوعية فتراه مبصرًا وعالـمًا ومحيطًا بالمذاهب الفلسفية، وتجد عندهم دراسة هذا الجانب ويتكلّمون فيه تكلّمًا كبيرًا. في المدارس الدينية الإسلامية لا نجد هذا.

يعني نحن في دراسة الشريعة لو سألت طلّاب الشريعة لا يجدون هذه الدراسات. هم لا يقرأون المنطق، ولا يقرأون إلا المدارس القليلة جدًّا وفي زاويتها الضيّقة، وإلا فالمدارس الدينية لا تدرّس إلّا النص، يعني الكتاب والسنة والفقه والعقائد إلى آخره.

فقال: لكن المدارس الدينية الإسلامية لا يوجد فيها هذه الدراسة، وظنّ أن هذه منقبة.

والصواب في الحقيقة لأن الدين المسيحي لا يملك رؤية منطقية. يعني الآن لو ذهب طالب العلم لدراسة الدين يحتاج إلى سنوات حتى يرتقي من دراسة الفقه البسيط، فقه الدليل، ثم الفقه "بداية المجتهد ونهاية المقتصد"، ثم بعد ذلك إلى نهاية المجتهد. فهناك عالَم من الفقه يستوعب دراسته. لو أراد أن يدرس العقائد يحتاج إلى دراسة ماذا يقول الكتاب والسنة، ماذا قال الصحابة، ماذا قال المعتزلة، ماذا قال الشيعة، باب في العقائد في الأسماء والصفات، الولاء، البراء، الحاكمية، الإلهية، إلى آخره. وإذا أراد أن يدرس بابًا من أبواب الدين، علم الحديث مثلًا يستغرق عمره كلّه.

فبالتالي هناك مادة علمية لدراسة المسلم، منعته من أن ينشغل بأن يذهب فيقرأ المنطق، لكن لو أراد رجل نصراني يذهب يقرأ الدين المسيحي ماذا سيقرأ؟!

تذكرون مناظرة الشيخ ديدات الله يرحمه مع الفلسطيني شورش، فأراد ديدات –وهذه مهمة جدًّا، عندما تفكّر في قضية انظر إلى جذورها– أراد ديدات أن يتكلّم ما يقارب نصف ساعة، وأن يتكلّم خصمه نصف ساعة، فرفض، لأنه لا يوجد عنده شيء يتكلّم به!، قال له: خمس دقائق خمس دقائق، مسكين لا يجد شيئًا يتكلّم به. وكان في المحاورة ينهي كلامه قبل الوقت، والشيخ لو تُرك له لاستوعب طيلة الليل حديثًا عما هو بصدده.

هذا ليس مدحًا، أن يذهب لغير الدين تحت اسم الدين دلالة على أن الدين عنده لا شيء، أن يذهب إلى غير الدين باسم وهو يتعلّم الدين دلالة على أن الدين عنده لا شيء، لا يوجد عنده مادة.

الغريب أن المذهب الشيعي تجد عندهم دراسة للمنطق، ودراسة للفلسفة. وأنت تتعجّب لماذا؟ السبب أن القرآن كما يقول أبو الحسن الندوي، هو زار إيران وقال: أول ظاهرة وجدتها في إيران أنه لا وجود لحفظة القرآن، ولا وجود لمدارس القرآن!، وهذه من فضائل الشيخ أبي الحسن، والآن يتكلّمون بها كثيرا لكن هو من قالها أولًا، وقد يكون توارد أفكار، وقد تكون سرقة لا توجِب القطع كما يقول جرير!؛ جرير كان يسطو على الشعراء ويقول هذه سرقة لا توجب القطع، فبعض المشايخ يسرقون من غيرهم.

فالرجل خارج من القارة الهندية لا يوجد فيها إلا تحفيظ القرآن أصلا، فيذهب إلى إيران فيبحث أين دروس تحفيظ القرآن؟ فلا يجد!، فهو ربط هذا بموضوع النفسيّة؛ وهي أن مشكلة الشيعي أنه لا يؤمن بالقرآن؛ لأنه يُقال له محرّف. القرآن محرّف فلماذا يذهب إليه؟! فبالتالي لا يوجد علم قرآن، من أجل هذا يذهب إلى أرسطو حتى يدرس علم الفلسفة والمنطق.

لو ذهب إلى الحديث لا يوجد عندهم، أول من أنشأ مصطلحات الحديث سرقها من أهل السنة هو الحلّي الذي ردّ عليه ابن تيمية وهو معاصر له. وهذا هم يعترفون، لا نتكلّم نحن هم من يتكلّم لا يوجد عندهم شيء اسمه علم الحديث، نقد الحديث لا وجود له عندهم. وبالتالي هذه ليست منقبة بأن يتكلّم الرجل منطقًا وهو يتعلّم الدين كما يُقال!

لماذا أقول هذا؟ أعود للكلمة الأولى، كتاب "كسر الصنم" لما قرأته للبرقعي وتعرفون أنني علّقت عليه بعض التعليقات وكتبت له مقدّمة عند الطباعة بعد أن ترجمه الشيخ أبو المنتصر البلوشي حفظه الله، وأردت أن أعرف كيف يفكّر الشيعي لو أراد أن ينتقد مذهبه.

يعني السنّي أنا أفهم كيف ينتقد الحديث، ولذلك الشيعي لما يأتي لينتقد حديثًا عندنا تصبح مهزلة.

فتصوّر أن كتاب "المراجعات" أو أي كتاب من كتب الشيعة مثل هذا الكتاب ثم ضللت!! "ثم اهتديت"، فيقول: رواه ابن كثير في "البداية والنهاية"!

أنت تعرف ما معنى هذه الكلمة عند طالب العلم؟! يعني كأنك صككت حديدًا بعضه ببعض، حالة من البغض والكراهية لمثل هذا الكلام كأنك أمام سيبويه وترفع المنصوب وتجرّ الفاعل! كيف تتصوّر سيبويه لو جلس أمامه رجل وفعلها؟! ينتحر! فتصوّر أن طالب علم سنّي يأتي إلى كتاب يقول: والحديث عند أهل السنة ثابت، لماذا؟ قال: رواه ابن كثير في "البداية والنهاية"، ورواه ابن خلدون في تاريخه، ورواه ابن قتيبة في "الإمامة والسياسة"!، لا إله إلا الله!! يعني تقول هذا الرجل أين يعيش؟! وهو يخاطبك أنت، فلو أنه يخاطب شيعيًا الأمور تمشي، لكن هو يخاطب سُنّيًا ويريد أن يُلزم علماء أهل السنة بهذا!

وبالتالي لما قرأت الكتاب أردت أن أرى سمات النقد الشيعي للحديث -تُوافق أو تخالف موضوع ثانٍ- لكن كيف ينقد الشيعي حديث كتبه؟ فإذا هي قضية تعود إلى معيارية الذات، والغرابة في ذلك أنه لا يوجد رجل عند الشيعة ليس مجرّحًا!

وهذا أحمد الكاتب في حوار شخصي معه على التليفون في ذلك الوقت قلت له: كتاب "الكافي" يقول كذا؟، قال وهو يتكلّم عن صديق له، لكن ضمن المشروع الذي يقوم به، قال لي: ثلاثة أرباع "الكافي" غير صحيح عندنا. وفي الحقيقة الربع الآخر لو طبّق عليه نفس القواعد يجده غير صحيح لأنه كله كذلك! كل الرجال هكذا.

وهذا دعا المرء أن يذهب إلى كتب الرجال، ما وجد رجلًا ثقة، وهو في كتابه هذا يعتمد على قضيّة النوّاب الأربعة، يقول: نوّاب الأربعة من جماعة الغيبة الصغرى، ما مقدار صدقهم في نقلهم لكلام هذا الغائب الموجود؟ ثم ينتهي إلى أنه لا يوجد غائب أصلًا! كما سنبين.

وصلنا إلى النقطة المرادة؛ ما يفيدنا في هذا الكتاب أننا نريد أن نعرف كيف يفكّر الآخر من داخل

منظومته وكيف يصلح منظومته؟ كيف يفكّر من داخله؟

وبعد ذلك إذا أنت أردت أن تتكلّم بمنهجك ضد الآخر فهذا موضوع آخر له أوضاعه الخاصة به كما ضربنا في طريقة ابن تيمية رحمه الله عندما بدأ يعلّل الأحاديث سنيًا لأحاديث أراد الشيعي أن يُلزم بها السُّني أنها من دينه فنقدها على طريقته المشهورة المعروفة التي لم يفهمها كثير من طلبة العلم.

وأنا في هذا الموطن أدافع عن شيخ الإسلام أمام أمير المؤمنين في الحديث وهو ابن حجر رحمه الله عندما انتقد ابن تيمية في حكمه على أحاديث تحتمل الحسن، وتحتمل ألا تكون موضوعة، فيأتي ابن تيمية ويحكم عليها بأنها موضوعة. ليس على المعنى الوضع الاصطلاحي، ولكن على معنى أن المنكر منكر. وابن حجر يقول: تصلح، مثل حديث الطير هناك من حسّنه وهكذا. فابن تيمية يردّ هذه الأحاديث على أساس أنها ثبتت نكارتها، فلا مجال لأنْ يتحدث مع رجل مخالف يقول له: هذا الحديث ضعيف، وهذا ضعيف شديد، وهذا منكر، وهذا كذا، هذا لا يفهمه.

يعني العلماء عندما وضعوا مراتب الحديث وضعوها بدقّة شديدة، لكن أن تصل إلى درجة أن الحديث هل أنت تقبله أو لا تقبله فيقول لا أقبله فيضعه في مرتبة المردود كما يضع الموضوع في مرتبة المردود، فكلاهما مردود وليس هو كما ظنّ ابن حجر رحمه الله ومن تابعه أنه يحكم على أحاديث بالوضع ولا تستحق هذه المرتبة، وذلك لأن منهجه في النقد لم يكن من أجل بيان مرتبة الحديث، ولكن من الجانب الآخر هذا حديث مرتبة المقبول أو المردود؟ هذا نقبله أو نردّه؟ فليس أمامنا إلا هاتين المرتبتين فقط، ما فيه أمامنا عند النقاش إلا هذا الحديث تقبله أو تردّه، إلى غير ذلك من الطريقة.

كما أن كتاب "كسر الصنم" يُعد مفاجأة في طريقة نقد الأحاديث من داخل البناء الشيعي، وأنت وجدت أنه ما من رجل يثبت.

ثم تبدأ المناقشة للنصّ من بنيته القدريَّة، والمقصود بالبنية القدرية مناقشة العقل؛ ما هو مقدار صواب هذا النص مع العقل؟ ما هو مقدار صوابه مع التاريخ؟ مع الواقع؟ إلى غير ذلك. وبالتالي خرج بنتيجة

كبيرة جدًّا أرجو أن يُراجع في كتاب "كسر الصنم" وربّما نأتي عليه ضمن المجموعة لأنه كتابٌ مهمٌ في منهجيّته.

أحمد الكاتب في هذا الكتاب دخل إلى أصل التشيُّع، عندنا موضوع الإمامة مسألة فقهية؛ يعني لو جاءنا رجل وقال: كان عليٌّ أولى بالإمامة من أبي بكر، نحن لا نخرجه، ولا نعلّق عليه حكمًا فيما يتعلّق بأصل الدين أبدًا.

وكثير من الناس كانوا من أهل الحديث ومن رواة الحديث ويقولون بهذا القول؛ لأن موضوع الإمامة هو موضوع فقهي، موضوع الأفضلية موضوع فقهي لا تعلُّق له بالعقيدة كما يريده الشيعة الروافض.

هنا هو يتكلّم عن الشيعة الاثني عشرية، وسُموا بالروافض لرفضهم إمامة زيد فخرجوا عن الزيدية إلى ما تعرفون، وقد شرحت هذا سابقا.

فهو أتى إلى ركن من أركان دينهم، وهي التي ناقشها ابن تيمية في "منهاج السنة"، وهي كون الإمامة هي كن المذهب الشيعي؛ فإذا بطلت الإمامة بطل المذهب وانتهى؛ لأن الإمامة تقوم على العصمة، والعصمة تقوم على النص، عندنا نصّ يقول بالعصمة والعصمة التي اقتضت الإمامة فهي قضيّة عقدية تتعلّق بإيمان الشيعي أو بكفره أو إيمان المسلم؛ لأن القضية هي قضيّة في الأساس هل رسول الله بلّغ أو لم يبلغ؟

وحين يؤمن أن هذا النبيّ قد بلّغ هذه القضية وجعلها ركنًا فإن من أنكر هذا هو منكر لأصل الدين ومنكر لدين الله عزَّ وجلَّ ومنكر لرسالة النبي صلى الله عليه وسلم.

فأحمد الكاتب جاء إلى هذه القضية ودرس قضيّة النص، ودرس قضيّة العصمة، ودرس قضية الإمامة، ولكن بطريقة عكسية. وهذه إحدى الطرق العلم، بمعنى أن المرء يمكن أن يبحث الشيء من رأسه وبعد ذلك ينظر إلى فروعه.

يعني عندما يأتي السني الذي يؤمن بأن الإيمان كما قاله السلف، ويريد أن يرى مذهبًا من المذاهب

الباطلة في موضوع الإيمان قد يذهب من الرأس، يعني الآن مذهب الإرجاء فيأتون إليه ويقولون: من أول من قال به؟ فيبحثون فيجدون رسالة للحسن بن محمد الحنفية، يُنسب له أنه أول من قال بالإرجاء في رسالة له ذُكرت في بعض كتب أهل العلم المطبوعة، وإن كنت لما تقرأ أنت النص لا تجد فيه الإرجاء الذي هو مذهب يتعلّق بموضوع الإيمان والأسماء والأحكام في هذا الباب، فأنت تبدأ به من الرأس ثم بعد ذلك تبحث عن فروع هذا المذهب وما جرّ إليه.

لكن أحمد الكاتب يقول –ونحن علينا أن نصدّق الكاتب إن لم يكن لدينا دليل ينفي– بأنه ذهب إلى موضوع الإمامة من خلال قراءته لما قام به الخميني من تجديد ولاية الفقيه. بمعنى أنه يقول: أنا أردت أن أدرس هذه القضيّة التي حصل فيها الخلاف، وهناك من الشيعة الروافض ما يرفضون ما وصل إليه الخميني، وسلطان الآنتشار لهذا المذهب –وهو مذهب الولاية الفقيه– إنما هو سلطان سياسي وليس مذهبيًا. والناس أُسراء للنصر، الخميني انتصر في النهاية وكوّن دولة، وبالتالي هو سيقمع خصومه مهما كانوا، وسيصبح خصومه ضعافًا في هذا المذهب لو ردّوه؛ لأنه في النهاية حقّق دولة.

أساس المنطلق كما يقول في كتابه وفي كثير من حواراته التلفزيونية وفي المجادلات والمناظرات بأنه أتى إلى حديث، وهو حديث منتشر عندهم كأنه متواتر، كحديث (**الأئمة من قريش**) عندنا متواتر فهو عندهم متواتر، أن كل راية تُرفع قبل الإمام فهي راية ضلال. لأنه لا يجوز عندهم الإمامة أن يقوم بها إلا إمام معصوم، وفي الحقيقة أساس مذهبهم لو نُقضت هذه النقطة لم يبق لهم مذهب، لكن هكذا الدين يتطوّر، الدين يصبح عرضة كما سميته في (بين منهجين) يصبح الدين النافع، البحث عن الدين النافع؛ طوّره لي وعدّله، على رأي العوام: ألا يوجد عندك فتوى؟ يا شيخ ألا يوجد عندك فتوى؟

فالناس يصبح لهم بحث عن فتوى من أجل المعالجة لأن هذا الدين لا ينفع، هذا الدين لا يحقّق شيئًا من المطلوب؛ فلذلك إعلان الشيعي بأنه لا يجوز القتال ولا إقامة دولة إلا من قِبل الإمام المعصوم أوقعهم في مشاكل. فجاءت القضايا متطوّرة، ومن هنا بدأ؛ حين اكتشف أن ولاية الفقيه ظهرت فقط في القرن الرابع ووقعت الخصومة الشديدة حولها، ماذا كان أصل القضية؟ قال: كانوا يؤمنون بوجود

المعصوم الغائب. طيب هذا المعصوم الغائب أين هو؟ من الذي بلّغ؟ فوصل لنقطة البحث عن النوّاب الأربعة في الغيبة. لماذا؟ لأنه بحْثٌ عما يقوله هذا الغائب، ماذا يقول هذا الغائب؟ هو غاب عن المشهد، فماذا قال لأتباعه؟ كل هذا مع تصوّرنا الصحة لما يُقال.

فهذا الإمام الغائب ماذا قال، كيف يجري تصرّفاتهم؟ فاكتشف أن الإمام الغائب لا وجود له. وهو يتكلّم هنا من مصادرهم، لا يوجد أي نص يأتي به من أهل السنّة، هو قرأ الكتب الشيعية المعتمدة عندهم تاريخًا وفقهًا وحديثًا، فوجد أن الإمام الغائب لا وجود له، لم يثبته أحد!

وبالفعل هناك مقابل جعفر الصادق يوجد عند الشيعة واحد اسمه جعفر الكاذب. جعفر الكاذب الذي قال لهم: الحسن العسكري مات ولا عقِب له، وجمع أكثر من ثمانين شهادة من أقربائه وجيرانه أنه مات وليس له عقب، وطافوا على كل نسائه وجواريه ليبحثوا هل هناك واحدة منهم حامل فلم يجدوا. فإذًا هذه القضية هي معالجة، هي التفاف حول هذه القضية.

ثم الإمامة إذا كانت هي وضعٌ إلهي إذًا يجب استمرارها كفاعلية، وفاعلة حقيقية في المعالجة. طيب ذهبت الإمامة إذًا ماذا كان دين الأوائل؟ يعني إذا كانت الإمامة وضعًا إلهيًا فيجب أن يكون هناك معالجة عند حضوره وعند غيبته من قِبل من وضع هذا الدين وهو الله عندهم، يعني الرسول صلى الله عليه وسلم نصّ عليه، فأين الجواب؟

إذًا أوصلته هذه القضية عدم جود الإمام الغائب إلى بحث قضيّة النص والعصمة والإمامة، أين هي الإمامة؟ فاكتشف بأن أئمته يقولون بالشورى. الأئمة الأوائل يقولون بالشورى، وعلى هذا ركّب كتابه. قضيّة ولاية الفقيه والبحث حول ولاية الفقيه أوصله إلى القضايا المتعدّدة، كما ترون لا يوجد نص، لا يوجد عصمة، ولا يوجد إمامة، ولا يوجد وصيّة. لأن النص المقصود به الوصية، لا يوجد وصية، بل لا يوجد إمام غائب، لا وجود له. فماذا بقي من مذهب التشيّع؟ انتهى! المذهب الشيعي يقوم على هذه الأمور.

يعني فقهًا لو أردنا أن نلزمه بعد ذلك ولا أدري بعد ذلك هو ماذا صار، كان له نشرية كنت أتابعها ومشتركًا فيها وهي نشرية (الشورى)، وكان ينشر هذا الكتاب تباعا في حلقات كنت أتابعها له، وهو يقول لم يبق من التشيع شيء، لأن ولاية الفقيه هي هدم للتشيّع ولم يبق شيء. بل هو أصدر بعد ذلك كتابًا آخر سمّاه "تطوّر الفكر السياسي السني" عن الشورى، ولكن اعتمد فيه المسكين على الواقع، فهو درسها تاريخيًا من خلال أثر الواقع لأن الرجل لما هاجر من العراق إلى إيران –وهو عراقي–، ويقول: من الفضائل التي تحقّقت لأني ذهبت إلى إيران وفيها كل المراجع الشيعية المعتمدة، لكنه عندما يأتي إلى هدم مذهب السنة في قضيّة المتغلِّب يقول: بعد أن تبنّى (الإسلاميون) الديمقراطية فلم يبقَ مجال لقضيّة التغلّب وغير التغلّب وإنما هي فقط ديمقراطية.

وهنا يحضرني في الحقيقة تعليقة يسيرة جدًّا على كتاب الدكتور حاكم المطيري "الحرية والطوفان"، بغضّ النظر عن هذا العنوان، وبغضّ النظر عن أن معالجة الواقع الإسلامي تاريخًا إنما سببه الاستبداد المقابل للحريّة، مع أن المسألة تاريخيًا لا يمكن أن تنصر الباحث في هذا الاتجاه.

فقط هنا ملاحظات كثيرة وليست مناقشة للكتاب، –وربما إن شاء الله نختاره ككتاب في يوم معالجة–؛ أن مشكلة العالم الإسلامي ليست قبول الاستبداد تاريخيا، نحن عندنا مشاكل تاريخيًا تتعلّق ببناء الإنسان، تتعلّق بمفهوم الأمة، بدور العلماء. وذكر الأستاذ محمد قطب أن أصل قضيّة الانحراف تتعلّق بالاستبداد كما ذكرنا في "واقعنا المعاصر"، لكن أن تكون الحريّة مقابل –انتبه إلى العنوان العجيب– (الحرية مقابل الطوفان) وكأن المعالجة لأمتنا تعود لقضيّة الاستبداد السياسي، مع أن الواقع هو أكثر تعقيدًا من هذا. فقط هذه نقطة.

يعني عندما نريد أن نعالج هذه الأمة لا نأتي فقط إلى موضوع الاستبداد من أجل أن توقف الطوفان، إلا إذا كان المقصود بالطوفان هو الثورات العربية وليس الطوفان بمعنى الهلاك الذي يُهلك الأمة. الحقيقة المسألة عند أهل السنة أعقد من هذا.

تبقّت فقط نقطة في قضية كتاب الدكتور حاكم المطيري وهي: منهجية البحث، والذي يقوله صحيح

بمعنى أن الشورى هي أساس بناء المنهج السني لموضوع الأحكام السلطانية وموضوع الإمامة، فأن الشورى هي الأساس، وأن التغلّب أو الوراثة هي أحداث طارئة وقاضية على الشورى، مدمّرة لها بمقدار ما؛ إما مدمّرة لها تدميرًا كلّيًا في بعض جوانبها، وإمّا مدمّرة لها تدميرًا جزئيًا في بعض جوانبها.

ولكن علينا أن نفهم بأن الذين كشفوا لنا –هنا فقط هذه مسألة منهجية في البحث– أن الذين كشفوا لنا الشّرع المنزّل، وتعرفون كلمة شيخ الإسلام هناك شرع منزّل، وشرع مؤوّل، وشرع مبدّل، مع أن هذه الكلمة ليست إعمالًا كاملًا لما قاله ابن تيمية.

هنا تنبيه وقد نمرّ عليه وقد لا نمرّ عليه: الشرع المؤوّل في كلام ابن تيمية لا يعني التحريف وإن نُسب إلى الشريعة، لا يعني هذا الكلام عند شيخ الإسلام.

يعني عندما ناقش الإمام ابن تيمية –رحمه الله– كلمة الشرع وقال هناك شرع منزّل يقصد به النصّ الذي لا يمكن أن يدخل فيه التأويل، وهناك شرع مؤوَّل وليس هو الذي يقابل المنزّل بالمعنى أنه يخالفه؛ ولكن المقصود بالشرع المؤوّل أي الشرع الذي ليس فيه نصٌّ لا يحتمل إلا معنى واحد بل هناك شرع يمكن أن يحتمل معنى ومعنى ومعنى بالألفاظ المشتركة إلى آخره، فهذا ما يقصده ابن تيمية.

ولكن هو جعل الشرع المؤوّل مقابل الشرع المنزّل ومناقضًا له. والمؤوّل يعني الذي جاء إلى النص بالتأويل على طريقة المتكلّمين يعني التحريف، هكذا جعل كلمة الشرع المؤوّل على معنى التحريف. والشرع المبدّل هو الاستبدال، بغض النظر أن المرجعية من غير نسبة هذا الشرع إلى الشريعة. يعني ما أحد جاء وقال عند الشرع المبدّل أن هذا من الشريعة، ويقولون الشريعة إحدى مصادر التشريع، بمعنى أن هناك مصادر أخرى ويعترفون أن مرجعيات كثير من القوانين لا تمتّ إلى الإسلام بصلة؛ كحلّ الربا، وحلّ الزنا، وحقوق الإنسان، والدخول في المنظّمات الدولية، وكل هذه من الشرع المبدّل ولا ينسبونها للشريعة البتّة.

بعد هذه النقطة في بيان معنى الشرع المؤوّل في أصل الوضع، ولا بأس للمرء أن يأخذ شعارًا ويُنشئ

عليه معانٍ ويطبّقها في باب آخر. يعني هذا ليس من الخطأ، يعني أن أقول الشرع المؤوّل عندي هذا معناه فلا بأس هذا العلم يحتمله ويقبله.

الذي كشف لنا –هنا النقطة– الشرع المؤوَّل والشرع المبدَّل هم أناس ليسوا في زمن الشرع المنزَّل، الذين كشفوا لنا هذا الباب ليسوا أناسًا في عصر الشرع المنزّل؛ لأنه جعل هذه الأدوار الثلاثة أدوارًا زمنية، وهنا النقطة المنهجية؛ بمعنى كان العلماء يقولون: في زمن كذا بالشرع المنزّل وكان علماء يقولون بالشرع المؤوّل، وفي الحقيقة غير صحيح؛ ولذلك هو يستدلّ بكلام ابن تيمية في زمن الشرع المؤوّل على ما هو الشرع المنزّل. وهناك نصوص للماوردي عليه رحمة الله في "أدب الدنيا والدين" وكذلك في "الأحكام السلطانية" ما تخدم استنتاج ما هو الشرع المنزّل الذي حدث بعد ذلك في التأويل والتغيير.

فقط هذا للمنهجية، للمقارنة بين الدراستين.

فهذا الكتاب الذي قام به لا بد أنه هدمٌ لقضية القول بنصّ الإمامة؛ أن الإمام منصوص عليه، وما دام أنه منصوص وهو معصوم وتصرّفاته هي تصرّفات الرسول صلى الله عليه وسلم المُلزمة لأمته؛ فهذا الكتاب ينقض هذا كله ويدمّره.

ومن جودة هذا الكتاب أنه يمرّ على حقب تاريخية، ربما كان هناك عزلة بيننا وبين هذا التاريخ، يعني لو أردنا أن نقرأ مثلًا الدولة الصفوية نحن لا نجد مراجع سنّية، نقرأها من خلال بلادنا السنية معهم، يعني نقرأ حروب أهل السنة مع الدولة الصفوية، لكن ما هي الدولة وكيف كانت تجري؟ من هم حكّامها؟ من هم علماؤها؟ ما هو هذا الحراك الكبير الذي يجري في داخل الحياة الشيعية؟ هذا نحن لا نعيشه ولا نعرفه، ويصل إلينا فقط فتات كما ذكرنا عن الحلّي؛ فنحن بحاجة لهذا الكتاب لأنه يكشف هذا الحوار الدائر في الحياة الشيعية.

الموضوع الآخر: في الحقيقة هذا الكتاب يهدينا إلى قضيّة مهمّة جدًّا: ما لم يكن هناك معيارية للحقّ فلا يمكن للحقّ أن يظهر، يجب اتفاق الناس على معيارية الحقّ. ومن هنا حفظ الله المعيارية وهو

الكتاب والسنة، حفظ هذا المعيار من أجل أن نرجع إليه دومًا ونجدّد. والتجديد ليس إيجاد دين جديد كما يفهمه البعض!؛ التجديد هو إعادة الأمر على ما كان عليه وهو جديد وإعادة الأمّة إلى ما كانت عليه. فهذا هو معنى التجديد.

فلذلك المعيارية التي ينبغي أن يعود إليها كلّ المسلمين بكل طوائفهم وهو النظر إلى معيارية الحقّ وهو الكتاب والسنة.

الأمر الآخر الذي يدلّنا عليه هذا الكتاب ويهدينا له: يلاحظ القارئ غرابة هذا الشيء، وهو مهم، وهذا اكتشفه البعض ولكن هذ الكتاب يدلّ عليه. يعني يمكن أن تكتشفه في سياق آخر وفي قراءة أخرى لكتاب آخر أو في قراءة أخرى في غير هذا الباب وتكتشف بعض أدلّته هنا. ومن ذلك أن كثيرًا من النصوص السنّية موجودةٌ في داخل المذهب الشيعي وفي داخل المراجع الشيعية! وأنت تُصدم، يعني لما نعتمد على قضيّة عدم وجود النص، أن عليًا رضي الله عنه جاءه العباس وقال له: "يا علي نذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ونطلب منه أن يوصي بنا"، فعلي رضي الله عنه يقول له: "لا تذهب فإنه لو كان الأمر ليس لنا فلا نلقاها أبدًا"، هذا نص موجود عندنا. أو نص: (**إن الله إذا أراد بهذه الأمة خيرًا ولّى عليها خيرها**). هذه كلّها نصوص سنّية موجودة في داخل الشيعة.

ولذلك قلت كلمة في مقدمة كتاب "كسر الصنم" وهذا الكتاب يؤيّدها: ما من مذهب ينتسب إلى الإسلام إلا وفي داخله ما يحقّق الحقّ. ومن هنا هذا يدلّنا على حكمة الله وعلى رحمته في إقامة الحجّة عليهم. إذا قرأت كتابه ستعرف الحق، إذا الشيعي قرأ كتبهم على الحقيقة وليست القراءة الآنتقائية؛ لأن هناك قراءة انتقائية كما هي طريقة أهل البدع: يأخذ ما يريد، ويردّ ما لا يحبّ، وهكذا تبدأ الاشتهائية في القبول والردّ، وهذا في الحقيقة مُفسدٌ للعلم كلّه.

وبالتالي في كل مذهب يمكن أن تكتشف الحقّ؛ لو ذهبت إلى الخوارج ستكتشف الحقّ من داخلهم، لكن عليك أن تذهب إليهم وأنت تريد الحقّ. أقصد الحقّ هو الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهو طريقة أهل السنة والجماعة في تجلّياتها العمليّة الواقعية والعلمية عند السلف رضي الله

تعالى عنهم. فهذا الكتاب يكشف هذا المعنى.

القضيّة التي بقيت ربما تكون الأخيرة هي: مشكلة الأديان، وهذه يجدها كل قارئ للمذاهب والنِّحل؛ يجد أن الأديان تتطور فإما أن يوجد لها المعيار وإما أن تفقد معياريَّتها فيصبح الحقّ ضائعًا.

الغريب جدًّا لا أظن أن مذهبًا من مذاهب (المسلمين) –يعني انتسب للإسلام سواء قلنا بكفر أصلها كالدرزية والسبعية والباطنية؛ هذه كفرها أصلي لأنها نقضت أصل هذا الدين–، أقول: لا يوجد مذهب انتسب للمسلمين فيه التشتّت والتشظّي كما هو مذهب الشيعة!

ما من عالم إلا وقد قال فيه قولًا جديدًا، وما من إمام مات إلا وافترق عليه الناس على فرق ومذاهب. لو تقرأ كتاب "فرق الشيعة" للنوبختي وهو كتاب شيعي في الفرق الشيعية، كتاب لهم، وإذا قرأته تجد هذا التشتّت والتشظّي؛ ما من إمام مات إلا وتتشظّى الجماعة وتصبح مذاهب متعددة، هذا يقول أوصى لنا، وهذا يقول أوصى لنا، وهذا النصّ يدلّ عليه، وهذا النصّ لا يدلّ عليه، وهكذا يبدأ التشتّت في داخلهم. ولذلك تجد هذا الدين ليس دينًا واحدًا. ونحن عندنا كلهم روافض هكذا ولكن بينهم من الفرق الشيء الكثير.

أريد أن أسجّل هنا نقطة، كيف قال هذا الشيعي: "ما كان غلوًّا عند أئمتنا صار من ضروريات مذهبنا"؟! هذه كلمة استقرائية ينبغي أن نقرأ تاريخها وإلا لا نفهمها. وأنا أتكلّم عن أهل السنة، وحتى الشيعة، وهذه فضيلة لأحمد الكاتب، وهذه ليست منه ولكن هو نبّه عليها في جانب بأن الحكومات تدخّلت في هذا الدين؛ يعني قضية ولاية الفقيه الذي نصرها والذي أرسى قواعدها هي الدولة الصفوية.

وتعرفون الدولة الصفوية في أصلها هي دولة صوفية، وأصل هذه الدولة أن تيمور لنك كان رافضيًا وهذا يقوله ابن عرب شاه في كتابه "عجائب المقدور في أخبار تيمور" –أي تيمورلنك، واللنك الأعرج–، وأنتم تعرفون لما جاء تيمور لنك إلى الشام –وهذا بعد شيخ الإسلام ابن تيمية– وقتل فيها من قتل، فقبل الدخول على القلعة لأن القلعة استعصت كانوا يدخلون المدينة ولكن لا يستطيعون الدخول

للقلعة، فذهب ابن خلدون وكان زائرًا لدمشق من المغرب قبل أن يستقرّ به المقام في مصر قاضيًا، فطلب تيمور لنك أناسًا حتى يعطيهم العهد للدخول إلى قلعة دمشق، يعني يفتحوها له ويعطيهم العهد.

يقول ابن عرب شاه عن ابن خلدون وابن مفلح –وابن عرب شاه فيه نزعة سنّية، هو صحيح معه ولكنه يخاف من رافضيته– يقول: "فأسررت لهم أنه سيسألكم"؛ يعني ترفّقوا في الجواب ففيه رفض.

فما فعله تيمور لنك في الشام من مذابح في دمشق هو انتصار لمقتل الحسين، حتى قتل كل من في قلعة دمشق وما أبقى غير الأطفال، وبعضهم تناوشته الحيوانات وقتلته، وبعضهم قتلته الأمراض، وبعضهم أُعطي لأهل المدينة، فلم يُبقِ في القلعة أحدًا. هذا لماذا فعله تيمورلنك؟ انتصارًا لمقتل الحسين، لأن أهل الشام قتلوا الحسين!.

تيمورلنك هذا مع رافضيته أُعجب بصفيّ الدين الأردبيلي، وصفيّ الدين الأردبيلي عنده طريقة صوفية اسمها الطريقة (الصفوية) أصلًا. فجاء إليه وأقطعه منطقة أردبيل كلها لأنه يحبه ورآه شيخًا من العظماء، وحفيد صفيّ الدين الأردبيلي هو الذي أعلن الدولة الصفوية! فلذلك سُميت (الدولة الصفوية) نسبة للجد الشيخ الصوفي صفيّ الدين الأردبيلي.

نرجع إلى النقطة التي بدأناها: كيف صارت مذاهب الغلوّ عند الرافضة هي ضروريات المذهب؟

الدولة الصفوية هذه لما قامت قتلت أهل السنة، وهذا من التطوّر. لما ترجع لكتاب "تاريخ أصفهان" لأبي نُعيم صاحب "الحلية"؛ كانت أصفهان تنافس بغداد في العلم، ومع ذلك الآن لا يوجد فيها سنّي ولا عالم!، بل سيخرج منها سبعون ألفًا من يهود أصفهان يبايعون الدجّال.

لما قام إسماعيل حفيد صفي الدين الأردبيلي ويُسمى (طهماسب)، قام وقتل أهل السنة العلماء وأغلق كل المدارس الدينية من أجل أن ينشر المذهب الشيعي.

المشكلة لم يجد علماءً يملؤون الساحة ويعلّمون؛ فاضطرّ أن يرسل إلى بلاد الشام ليستقدم علماء الشيعة من أجل أن يملؤوا المدارس التي أباد علماءها من أهل السنة.. الذي ذهب هم هؤلاء النصيريون.

كان فقط في منطقة جبل عامل قلّة من الشيعة، ولكن البقية الذين يُسمون بالعلويين كما سمّتهم فرنسا، إنما كان هناك النصيّرية فجاءوا، لأن النصيريّة هي فرع من الاثني عشرية، محمد بن نصير النميري ولاءً خرج من الشيعة الاثني عشرية مع أنهم يكفّرونهم!، واحد يقول: الشيعة الروافض يكفّرون النصيرية، كلهم يكفّرون بعضهم، هذه قضية التكفير عادية، الغريب جدًّا أن يتهموا أهل السنة بالتكفير وهم أئمة التكفير!، يعني أعداء السنة هم أئمة التكفير، فلا يوجد مذهب شيعي إلا ويكفّر الآخر. هذه قضية محسومة! فليس لخصوصية التكفير، لأن بعض الناس يظنّ أن المذهب الرافضي كفّر النصيرية، الحقيقة هو كفّر النصيرية، والزيدية، والسبعية، وكفّر الجميع.

فلما عجز إسماعيل عن أن يملأ المدارس الدينية في دولته أرسل فأحضر النصيّريين ليعلّموا بلاده فقه الشيعة الاثني عشرية، وهم مذهبهم نصيري، وبالتالي ما كان غلوًّا عند الأئمة السابقين صار من الضروريات في المذهب، صاروا يعلّمون الفقه النصيري والدين النصيري وتأليه الأئمة، وإن كان مصدر التأليه موجودًا ولكن باستغلال نصوص ما وإظهار نصوص ما، فغلب مذهب النصيّرية على مذهب الرافضة.

فمذهب الرافضة اليوم ليس هو مذهب الرافضة عند الأوائل، والاثني عشري ليس هو الذي ناقشه فلان وعلّان، لا لا. المذهب الشيعي اليوم هو المذهب النصيري والدين النصيري.

ولذلك صحّت هذا المرجع الشيعي عندما قال: "ما كان غلوًّا عند أئمتنا صار من ضروريات مذهبنا!"، كان غلوًّا وصار ضرورة بفعل هذا التطوّر التاريخي.

أرجو أن أكون قد استوعبت الكلام عن الكتاب، وإن كان الكتاب فيه متعة حقيقة لمن يتقن القراءة الجيّدة.

إذا أردنا أن نأتي إلى جانب آخر وهو جانب غضب الشيعة عليه عندما أصدر هذا الكتاب، وأحمد الكاتب مغضوب عليه عندهم، وهو ضعيف في الإلقاء؛ ولذلك عندما يتقابل مع الشيعة يمسحون به

الأرض! وكتابته خير من إلقائه. فلذلك أغلب من تكلّم عليه من الروافض تجد أن لهم نقدًا له مجمله بأن مصدر النقد وقاعدة النقد لمذهب الشيعة هو من مصدر سنّي.

مثال: لو جئنا للكوراني باعتباره ممن قابله كثيرًا وتناظر مع أحمد الكاتب في هذا الكتاب، فهو يعتمد على أن أسس النقد عند أحمد الكاتب لمذهب الشيعة ومذهب الإمامة والنص والعصمة إلى آخره إنما مرتكزها هو القواعد السنّية. مثلما يسمون كل شيء لا يعجبهم في السنة وهّابيًا.

فهذه هي النقطة التي يرتكز عليها، والحقّ هذه كلمة غير صحيحة؛ فقط إذا بحثنا عن دليل، وهو يقول الدليل أن مناقشة الكاتب لقضيّة الأئمة لا تستند على تفضيل علي، بالرغم أنه في أوّل الكتاب يقرّر أن عليًا هو الأولى بالإمامة، فهذا المبدأ عنده على طريقة الشيعة، ولكن يرى أن المسألة هي مسألة شورية. فقط هذه النقطة.

مرة أحضر لي صحفيٌّ كتبًا -وهذا له تعلّق فيما نحن فيه- هي مجموعة من المحاضرات التي ألقاها خاتمي في لبنان قبل أن يصبح رئيس الجمهورية في إيران، فأحضر تقريبًا أربعة كتب لخاتمي، فلما قرأتها وهو رجل شيعي ومعمّم فاستغربت أنه في هذه الكتب الأربعة لما قرأتها وإذا به يتحوّل إلى سنّيّ، ورفض قضيّة الإمامة والعصمة رفضًا تامًا.

فقط بقي شيء واحد من شيعيته أنه يقول بوحدة الوجود فقط، عرفاني. وأغلب الشيعة الروافض يؤمنون بوحدة الوجود حتى الخميني يؤمن بوحدة الوجود وهذا بيّن في كتابه "شرح دعاء السحر" وهو مطبوع، وهو يؤمن بوحدة الوجود ويقرّر أن هذا الكون هو الله! على طريقة العرفانيين والغنوصيين، فلم يبقّ من الخاتمي شيعيًا إلا إذا جاز أن الغنوصية هي خاصة بالشيعة فهي له.

فقط للذكر المكتبة أرسلت هذه الكتب للصحفي ليعمل لها نقدًا لتنتشر، وهي طريقة من طرق النشر!، ولذلك هذا الكتاب ستجدونه عندي لا غلاف له؛ السبب أنه إذا أُعطيت الكتب من دار النشر الأصلية لواحد لنشرها ينزعونه حتى لا يبيعها، وهو لم يُعطَ لي على كلّ حال وإنما أُعطي لمن

أُعطي له.

الأمر الثاني كتبت مقالًا مرةً في إحدى المجلّات فنقدت هذه الكتب بهذه المعنى؛ أن خاتمي يتحدّث تحدُّث المسلم عن الإمامة، ويتحدّث عن العقائد تحدّث الغنوصي فهذه قِسمته.

القسمة الثانية تتعلّق بأحمد الكاتب وهي أنه أعرج، وأنا ذكرته بعنوان مقالة أسميتها: "لا يمكن للشيعي إلا أن يكون أعورًا!"؛ صعب جدًّا أن يفتح عينيه الاثنتين ويرى النور. وبعض الناس النور يتعب عينيه! وهذه قلتها في مقدّمة كتاب "كسر الصنم" بأن بعض الحقائق تتعب الناظر إليها.

فهو لا يريد أن يكون سنّيًا بالرغم أن عليه من المقالات في هذا الباب، ولا يريد أن يعترف بأن ما قاله هو نقدٌ لمذهب الشيعة.

بقي خبر آخر: لما قرأت مقالاته هذه وكانت تصدر في (الشورى)، فصار بيني وبينه حوار: من أنت؟ هل هذا لك أم هناك من يشاركك؟ فقال لي: مهدي شمس الدين الذي كان رئيس المجلس الشيعي الأعلى في لبنان يؤمن بهذا! ولكن هو يقول لنا اشتغلوا بعيدًا عني حتى إذا مهّدتم الطريق جئنا نحن –يعني الملالي–، أما الآن لا نستطيع أن نقول هذا الكلام. فذكره وقال وأن هذا الاتجاه الذي نحمله هو اتجاه منتشر بدأ ينتشر عند الشيعة.

لكن أنا أعتقد بأن هذا الاتجاه ضعيف جدًّا بسبب غلبة الحزب، المقصود الحزب الرافضي اللبناني، وهذا الحزب استطاع القضاء على شيء من التنوّر في المذهب الشيعي. يعني محمد حسين فضل الله هو شيعي ويؤمن بأقوالهم لكن يحاول أن يُعَقلِن المصائب في داخله. واحد مرة كتبها وورّطني فقال: "يقول فلان –عني– دينان لا عقل فيهما البتّة: النصرانية والشيعة". تدخل مبدأ الدين بحيث تخلع عقلك عند حذائك، لا عقل فيهما. يعني الشيعة لا تستطيع أن تجد شيئًا عقلانيًا فيهم. أما اليهود تذهب إليهم تجد بعض العقل.

فكان يحاول محمد حسين فضل الله أن يُعَقلِن مشاكل الشيعة؛ مثال ذلك موضوع مصحف فاطمة،

وردّ عليه الشيعة قالوا أنت تزوّر ديننا وهذه نصوصه، وهو قال مصحف فاطمة هو ماذا؟ فاطمة لما أصابها ما أصابها بعد وفاة أبيها فكانت تجلس مع أخواتها المسلمات في المدينة وتُلقي عليهم المواعظ وتشرح لهم آيات من القرآن فُسمي هذا المصحف، ولكن هو تفسير للمصحف وليس المصحف. هذه عقلنة ما مقاربة للسنّة لما هو مذهب الشيعة، وإلا فالأصل عندهم قرآن آخر كما هو مشهور ومعروف في مذهبهم.

بهذا أختم هذا الكتاب، وأرجو أن أكون قد قدّمته على وجه يليق به، وأستغفر الله رب العالمين.

الكتاب القادم هو كتاب "السجينة" لمُليكة أوفقير ابنة الجنرال أوفقير، كتاب مهمٌّ جدًّا اقرأوه، لأنه ليس صعبًا، هو قصّة، والذي يحب الروايات يستطيع أن يقرأه بغير مشقّة. كتاب موجود في المكتبات وفي النت منتشر بكثرة. الكتاب مهمّ جدًّا، وإن شاء الله سنبيّن أهمية هذا الكتاب في بنائنا الفكري والنفسي.

وهذا الكتاب الأصلي، الكتاب الفرعي تقرؤونه كذلك، وهما كتابان تقرؤونهما في نفس الأسبوع، يعني أضعف الناس قراءة سيقرأ الكتاب الثاني وهو "تدمر شاهد ومشهود"، لكن الكتاب الأصلي هو كتاب مُلَيْكة أو ملِيكة كما ينطقونها "السجينة".

وكتاب "تدمر شاهد ومشهود" رديف له لأنه مهم، ويخدم نصف موضوع كتاب مُليكة أوفقير، وهو يُقسم إلى قسمين كما سنبيّن. الذي بعده إن شاء الله نأتي إلى كتاب "التوحيد" للمسعري.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: شيخنا شاهد ومشهود لمن؟

الشيخ: لا أدري الأسماء حقيقة

السائل: أظن أيمن العتوم؟

الشيخ: لا، ذاك اسمه "يسمعون حسيسها"، ليس لها ضرورة، لأنه يتحدّث عن رواية، ونحن نتحدّث عن حقائق.

ولا مشكلة نقرأ بعد ذلك روايات، يعني ممكن نقرأ فيما يأتي إن شاء الله "قصة صوفي" ونناقشها، لكن الآن نبعد عن هذه لأن الفوائد فيها قليلة.

لكن "شاهد ومشهود" رواية حقيقة لرجل عانى السجون السوريّة في الجهاد سنة ٨٢، وهو من هنا من بلادنا من الأردن ودخل وسُجن سنوات إلى آخره. وكتاب هبة الدباغ "خمس دقائق وحسب" لكن ليس مهمًا كثيرًا. أنا يهمني كتاب مليكة أوفقير لأنه مهمٌّ جدًّا ليس فقط لأدب السجون، بل سنكتشف أن له مهمّات أخرى في بنائنا.

مليكة أوفقير غربية هي ابنة الجنرال أوفقير الذي قام بانقلاب ضد الملك الحسن الثاني وقُتل في داخل القصر.

السائل: ما علاقة العبّاسيين بالشيعة؟

الشيخ: سهلة جدًّا، لما قام العبّاسيون بتشكيل أنفسهم في الأطراف، وخاصة في خراسان، وزعيم القيام منهم وهو أبو مسلم الخرساني كان لهم شعار خفيّ. السؤال ما علاقة العبّاسيين بالشيعة؟ والمقصد من الشيعة: الروافض الذين يجعلون الإمامة في عليّ وبنيه. لما قام العبّاسيون بالدعوة إلى إمامتهم وخلافتهم ضدّ الأمويين فكان شعارهم غامضًا أوهم الناس، وهو الدعوة إلى الرَّضيّ من آل محمد.

فبعض من دخل في دعوتهم السريّة كان يظنّ أنها دعوة لإحياء العلويَّة الحسينية وأن الرضيّ منهم، ولكن بعد ذلك بان أن هذه لا علاقة لها وإنما هي للدعوة للعباسيين.

والعباسيون نسبة للعباس رضي الله عنه عمّ النبي صلى الله عليه وسلم، وهم أحفاد عبد الله بن عباس

رضي الله عنه حبر القرآن وفقيه هذه الأمة.

فهذه فقط. ولما قامت دولتهم كان أعدى أعدائهم هم هؤلاء.

وفي قصّة للإمام الشافعي لما عُيّن قاضيًا على إحدى ضواحي اليمن فاتُّهم هو ومجموعة معه من العلويين بأنهم يقومون بثورة ضدّ العباسيين، وقامت ثورات ضد العباسيين من قبل العلويين بعد ذلك، فأُخذ وصار حوار جميل بين الشافعي وبين الخليفة، يختلفون بعضهم يقول أبو جعفر وبعضهم يقول هارون، وإذا أخذنا قديمًا فهو أبو جعفر المنصور وأدنى منه هارون الرشيد وهو والد المأمون والأمين.

فمما جرى عليه الحوار أن هارون الرشيد قتل المتّهمين حتى وصل للشافعي فقام محمد بن الحسن الشيباني ودافع عنه وقال له اسمع منه، وهذا خلاف الرواية المكذوبة أن محمد الحسن الشيباني ملأ قلب هارون الرشيد لقتله، وهذا كذب والقصة غير صحيحة. المهم قام وبيّن هذا الشافعي المطّلبي علاقته بالعبّاسيين وأنها أقرب للعبّاسيين الذين يُعتبرون إخوانه، العبّاسيون يعتبرون المطّلبيين إخوانهم، والعلويون يعتبرون المطّلبيين عبيدهم؛ فقال من أولى بأن أناصر من يعتبرني عبدًا أو يعتبرني أخًا؟ ففرح منه هارون الرشيد وأطلق سراحه.

فدلّ على أن العداء من العباسيين للعلويين بقي قائمًا وقويًّا، إلا لما جاء المأمون بعد أن قتل أخاه الأمين، فجعل أحد أبناء العلويين نائبًا له ووليًا للعهد بعده، وأمر بتغيير لبس السواد إلى الأخضر؛ لأن شعار العبّاسيين هو الأسود، وشعار العلويين هو الأخضر؛ فلبس الأخضر حتى قام عليه أبناؤه وأهله وعشيرته، فغيّر، ومات الذي ولّاه قبله قبل المأمون. وهذا مما يعتبره البعض لأن المأمون معتزليّ كان ديمقراطيًا شوريًا.

والقصد أن العلاقة بينهم علاقة دموية وليست علاقة جيّدة. وفي كتاب "مقاتل الطالبيين" جزء كبير فيما قُتل على يد العبّاسيين.

السائل: في كتاب "كسر الصنم" يذكر البرقعي أحيانًا في الحكم على الرجال يقول: "هذا من

الكلاب الممطورة"، ماذا يقصد بها؟

الشيخ: والله لا أدري، صحيح هو يذكر كلمة كثيرًا ما يكرّرها هي "الكلاب الممطورة"، لكن معناها اللفظي الكلب إما أن يُكنّ فيكون له صاحب جيد، وإما أن يُطرد فيكون من الكلاب الضالة؛ فإذا كان من الكلاب الضالة ونزل المطر فيُقال: كلب ممطور يعني ينزل عليه المطر مطرود. وأما إذا كان له من يأويه فيكون غير ممطور.

هذا ظاهرها، لكن على ماذا تُطلق يعني ما هو حاله هل هو منبوذ من قبل الأئمة؟ هل سبّوه؟ لأنه في الحقيقة لما تقرأ للكشي والنجاشي حقيقة لا تجد رجلًا لم يُسب، ليس كما يقولون عندنا: "ضعيف، حفظه فيه شيء"، بل ما من أحد إلا وكُفّر وأُخرج من الملّة والدين.

وهذا الذي قلته أنا لما يأتي الشيعة ليكفّروا النصيرية ليس لخصوصية في النصيرية أن عندهم غلوًّا؛ ولكن لأن التكفير هو شأن هذا المذهب ضدّ من انتسب إليه في الداخل، ولكن خالفه في مسألة شخصية الإمام مثلًا، والتكفير للمخالف هو شأن أهل البدع. أنت تصوّر أهل السنة لما يتحدّثوا عن الشيعة أشدّ واحد مما يُتهم بأنه رأس الوهّابية هو ابن تيمية، كيف تجد كلامه على الشيعة الروافض؟

مداخلة: يجد لهم معاذير..

الشيخ: مع أنه عاشهم ورأى أفعالهم ورأى كتبهم واطلع عليها ومع ذلك يعذر أشدّ ما يمكن، وهذا هو شأن السنّي، وأما المبتدع فهو يسارع في التكفير. وربمّا كفّرك لما ستكون عليه غدًّا لأنه ذكي!؛ مثال ذلك هذا الجاهل الذي كفّرك لأنك تقاتله فإذا غلبته أخرجت الأرض من حكم الإسلام إلى حكم الكفر!

والأصل في التكفير أن يكون موجّهًا للفعل لا لما يؤدّي إليه. يعني الرياء ماذا يقول ابن رجب في أوّل كتابه في شرح كتاب الإيمان للبخاري: "المعاصي بريد الكفر"، تصوّر لو يقول واحد: المعاصي بريد الكفر، وما كان وسيلةً لشيء فله حكمه، وبالتالي المعاصي كفر! هذه طريقة من طرق الجهل

والانحراف.

أنت تقاتلني وأنا أقاتلك الآن، قتالي لك يكون على أمر كفري لو قاتلتك لأنك مسلم وأنا أريد أن أقتلك لأنك مسلم، علّة القتل هي الإسلام؛ فهذا نعم لأنك أنت تقاتل الإسلام.

لكن انظر لو اطَّردت كلمته: كل من قتل مسلمًا فهو كافر، لماذا؟ لأنه يقتل رجلًا يقول (لا إله إلا الله)، فبذلك يفقد الوجود رجلًا يقول لا إله إلا الله! هذا تكفير أو ليس تكفيرًا؟ رياضيًا مائة بالمائة صحيحة، لو أن رجلًا قال: إذا قتلتني والله تقتل رجل يسجد لله، وأنت بقتلك تمنعني من السجود لله، وتمنعني من أن أقول لا إله إلا الله، وتُفقد الوجود رجلًا يقول لا إله إلا الله، فأنت كافر! كما قال الجاهل، سمعتموه لما قال: إن كل من قاتلنا يُخرج أراضٍ تُحكم بالشريعة إلى أراضٍ لا تُحكم بالشريعة وهذا عمل كفري؛ فكل من قاتلنا هو كافر! طبعًا الأمة فيها كثير من البقر، ماذا نفعل!

يعني لو واحد يسألك: ما هي دلالة خارجية تلك الجماعة؟ أنا لما أُسأل هذا السؤال من كثرة ما أعمت الشمس عيني لا أستطيع أن أتكلّم! الحقيقة لشدة وضوح الشمس أنا أسكت! يعني واحد يقول لك بعد سماع هذا الكلام: ما الدليل على خارجيته؟

كل المعاصي تؤدّي إلى الكفر؛ المعاصي بريد الكفر، الرياء كفر أصغر، لماذا كفر أصغر؟ لأنه يؤدّي إلى الكفر الأكبر. لماذا حُرّم الحلف بغير الله؟ لأنه يؤدّي إلى تعظيم غير الله في مقام الله مع أنه ليس كفرًا، لكن لأنه يؤدّي حُرّم، لكن لم يُقل لأنه يؤدّي فحكمه هو حكم الكفر.

القصد أن المسارعة في التكفير هي طريقة أهل البدع. وطريقة ثانية كذلك ضالة وهي إلغاء التكفير من دين الله؛ ولذلك تكفير الملحدين ضرورية من ضروريات الدين. كيف نميّز؟ نميّز من يضع القواعد. انظر إلى رجل كل من خالفه يصبح كافرًا! كل من قاتله يصبح كافرًا! هذا مقام رسول الله!!

بل إن بعد القدرة عليه ليس له إلا حلٌّ واحد وهو طلقة في رأسه!، والله كل هذه الكتب تضجّ من هذه الكلمة وهي كلمة: "بعد القدرة عليه له طلقة". مع أن من بعض من خرج عليك قال: ليدفع

الصائل، يعني هو يقول أنت تصول عليّ فأنا أقاتل لدفع الصائل، وبعد القدرة عليك طلقة في الرأس!

يعني لا تعجب أن الأمة كادت أن تتشيّع لما كان حسن نصر الله يقاتل إسرائيل، لا تعجب أن الناس صفّقت لجمال عبد الناصر لأنه يريد أن يرمي اليهود في البحر، هل سأل أحد شيئًا آخر؟ هل ناقش أحد موضوعًا ثانيًا؟ هل ناقش أحد كم قُتل من المسلمين وملأ السجون؟ هل أحد ناقش هزائمه المستمرة؟! فقط الشعار الكبير!

ولما قام صدّام ما ناقش أحد شيئًا، إلا أن عنده جهازًا صغيرًا يريد يرميه على اليهود ويقضي على نصف إسرائيل!

واليوم نفس الشيء، نحن أمام هذه الظواهر، ولذلك لا تعجب يا شيخنا إذا جاء الدجّال وتبعه أناس!؛ الناس يحبون الشعارات، يعشقونها، يكرهون التفاصيل. وهذا موضوع دقيق في كل ما يُطرح من هذه القضايا هي دقيقة، فقصدنا من هذه الحوارات هو فقط أن نفكّ هذا الصدى قليلًا، ونضرب ما نظنّ له قداسة من غير الكتاب والسنة.

الشيخ: بعضهم يشير لفكرة: أنا أقتله أو أقاتله ليس لكفره ولكن لردّ صولته وأذاه، أقتله ولا أكفّره؟

الشيخ: باب القتال أوسع من باب التكفير. القتال أوسع؛ يُقاتل الغلوّ، يُقاتل الصائل، يُقاتل الباغي، يُقاتل الممتنع عن الشريعة مع درجات هذه الشريعة التي امتنع عنها، لكن التكفير هو ما عُرف بنقض أصل من أصول الدين إما باعتقاد وإما بقول وإما بعمل.

السائل: شيخنا ذكر أن الطائفية ما ظهرت إلا في القرن العاشر، بينما من قبل لم يكن هناك طائفية عندهم غير في القرن الرابع ظهر بعضهم واختفت، طيب الدولة القرمطية، المهدوية؟

الشيخ: هذه نقطة لا بد أن أراجعها، لكن معروف أن صراع زعران الحنابلة كما ذكر ذلك الطبري وكذلك الخطيب، زعران الحنابلة ضدّ الشيعة وقتال الشيعة كما يفصّل ذلك أهل التاريخ وأقرب كتاب هو كتاب "البداية والنهاية" اقرأوه، لما كان يقتل بعضهم بعضًا، وبعد أن جاء البساسيري ثم محمود بن

سبكتكين وأخرجهم من بغداد وهرب الخليفة ستة أشهر وجلس في (راوة) في العراق التي ينتسب إليها بقولهم (راويّ)، فهرب الخليفة، والشيعة دخلوا على بغداد واستباحوها، ثم جاء محمود بن سبكتكين وأخرج البساسيري منها، ثم بعد ذلك ما يحدث من صراعات بين الكاظمية والأعظمية؛ الكاظمية نسبة إلى الشيعة (الكاظم)، والأعظمية نسبة للإمام أبي حنيفة (الأعظم)، والصراعات بينهما التي تصل إلى حدّ السذاجة والمهانة وعدم العقلانية، فيوجد هذا الصراع قديمًا.

طبعًا الشيعة خصوم لكن لم يكن خصوم زعّار الحنابلة فقط الرافضة، كان بعض العلماء الذين ينازعون إمامهم في بعض العلم، مثلما فعلوا في ابن جرير الطبري دخلوا عليه وطيّنوا عليه باب بيته، حتى لا يخرج ويموت. وما الذي جعل الخطيب البغدادي يترك حنبليته للشافعية؟ زعَّار الحنابلة، ما أحب أن ينتسب لهم البتة، وصار شافعيًا وقال لهم دعوني وشأني، ورموه بالحجارة وطيّنوا بيته وأرادوا قتله!

وهكذا، لتروا أن الهمج لا يُمدحون؛ لأنك لو مدحتهم وهم في قتالهم لأهل الباطل سيصولون عليك يومًا بالباطل!؛ يعني هم كانوا يقاتلون الروافض قتال الشوارع وما يُسمى الحرب الأهلية، ثم على قاعدة: "والنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله"، و"أحيانًا على بكر أخينا"؛ يعني حتى على الخطيب وحتى على ابن جرير. فلا ينبغي أن يُناصر هؤلاء الهمج؛ لأنهم لا ضابط عندهم، هم مسعورون حيثما وجدوا أمامهم شيئًا واقفًا كبيرًا يعترض طريقهم نهشوه.

السائل: ما آخر ما وقف إليه أحمد الكاتب؟ منزلة بين المنزلتين؟ شيعي يكره شيعيّته؟ وما هي دراسته؟

الشيخ: هو خريج المعاهد الشيعية، كان يلبس لباسهم والآن تغيّر وصار أفنديًا، لكن كان يلبس مثلهم وهو خريج المدارس الدينية. ولا أدري الآن، ولا أحب أن أدخل في هذه المواضيع: هل هو مدعوم أو غير مدعوم، يعني عندي معلومات لكن لا يهمّنا كثيرًا في هذا الباب.

يعني لا يضرّ، اليوم كل واحد يتكلّم كلمة تجد دولة تحبّ هذه الكلمة فيأتون له بالصناديق ويأتون له

بالحقائب، هذا شيء معروف.

فيا ويل الذي يتكلّم على الكل!! لا أحد يأتيك. كان الله في العون.

جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

السجينة

للروائية مليكة أوفقير

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الثامن والعشرون

تاريخ المناقشة: ٢٧ شباط ٢٠١٦.

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيّد المرسلين، وإمام المتقين؛ حبيبنا وسيدنا وإمامنا وقائدنا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغرّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عزَّ وجلَّ وإياكم منهم، آمين آمين.

أهلًا وسهلًا بالإخوة الأحبة في لقاء جديد مع كتاب جديد في مشروع "ألف كتاب قبل الممات".

واليوم الاختيار كان لكتاب "السجينة" لِمُلَيْكَة، وهذا ضبطها العربي لأنها اسم قديم، ولكن المغاربة يقولون لِمْلِيكَة على طريقة العرب في التسكين لأن التسكين أسهل في الكلام، فيقولون لِمْلِيكَة فقير أو لِمُلَيْكَة فقير فليعذرونا إن نطقناها بلغة أهلها أو بالاسم كما يُنطق في أصله بكلام العرب.

هذا الكتاب "السجينة" بعض الناس ظنّ أن الاختيار له لأنه يمثّل أدب المحنة في سجون الطواغيت سواء قديمًا أو حديثًا، وربما لهذا الظنّ البعض يقترح كتابًا أكثر ألمًا أو أكثر دموية، وهذا في الحقيقة موجود. يعني لو أراد المرء أن يفرض كتابًا آخر للقراءة ليمثّل ما يفعله الطغاة في السجون مع المعذّبين لوجد كتبًا أخرى. يعني عندنا في مصر كتب صدرت كثيرة، منها "البوابة السوداء" لأحمد رائف، ومنها كتب للإخوان المسلمين. وطبعًا أحمد رائف ليس من الإخوان المسلمين كما نعلم.

وممكن نختار بعض الكتب التي أخرجها بقايا البعثيين في تعامل النظام العراقي أو النظام السوري مع خصومه، وممكن نختار كتاب "خمس دقائق وحسب" لهبة الدبّاغ، أو كتاب "شاهد ومشهود" لمحمد سليم حماد، وممكن نختار كتبًا أخرى في غير نطاق العالم الإسلامي، ولكن ليس هذا هو السبب لاختيار هذا الكتاب. يعني ليس من أجل بيان معاناة الإنسان في داخل السجون بعد حقبة الدولة القطرية أو القومية المعاصرة بعد حقبة الاستعمار، وإنما اخترت هذا الكتاب لمقصدين اثنين، ومن هذين المقصدين تتفرّع مقاصد أخرى.

ابتداءً قبل أن أتكلّم عن مقاصد اختيار الكتاب وسنقتصر عليها، يعني لا نستطيع أن نتحدّث عن آلام الكاتب كما تحدّث الكاتب عن نفسه، فلا بد من قراءة الكتاب من أجل نعرف فروع البحث لما

يُقال في هذه الجلسة. الفروع؛ كيف تألّموا، كيف فعلوا، ماذا حدث بهم، لا بد أن نقرأ الكتاب. والكتاب سهل يسير، وإن كان قد كُتب بالفرنسية ثم تُرجم للعربية على طريقة نُنبّه عليها بأن الكتابة المعاصرة للمذكّرات في الحقيقة ليست على طريقة الكتابة التقليدية القديمة. وهذه أنبّه عليها لأن كثيرًا من الإخوة ممن يملكون معاناة أو تجربة مهمّة ولكن تمنعهم قدراتهم من الكتابة؛ فهذه الكتابة المعاصرة هي طريقة جيّدة من أجل تجاوز هذا العجز، وتخليد هذه الذكريات للتاريخ وللأجيال، وهي كالتالي:

يحضر صاحب القضيّة التي يُراد كتابة مذكّراته أو ذكرياته أو الأحداث التي يريد أن يتكلّم بها، فيحضر عنده جلوس عندهم قدرة على كتابة الأسئلة، ويجلسون معه ويسألونه؛ مثلًا تبدأ بالتعريف بالشخصية: من أنت وما هي عائلتك وأين وُلدت، وهو يجيب ويتكلّم. هو لا يعرف الكتابة، هو يتكلّم كما نتكلّم نحن، وكأنه في جلسة انبساط، جلسة حديث عادي، فيتكلّم ويُسجّل له وهم يسمعون.

ثم هذه الأجوبة تنتج أسئلة؛ أنت سُجنت في أي يوم؟ من سجنك؟ هم يعرفون هذه، هو ليس في ذهنه قدرة على صياغة قصة. قد لا يكون قصّاصًا جيّدًا كبعض الآباء والأجداد لما يتحدّثون، وبعضهم عنده القدرة على القصّ يعني أن يتكلّم، فتُسجل له الساعات؛ مائة ساعة، مائتي ساعة، وبعد ذلك يأخذون هذه الأشرطة ويفرغونها على الورق. ويبدأ بعد ذلك الترتيب؛ هذه توضع هنا، هذه تُزال، هذه تُرتّب، هذه نقطة غير بيّنة ارجع اسأله السؤال، فيحضّرون هذا السؤال مرة أخرى، وبعد ذلك يكوّنون هذا الكتاب.

فالكتاب يخرج باسمه أنه ذكريات فلان. وهو لم يكتب، وإنما كتبه هؤلاء الصحفيون. عادةً هناك أناس في الغرب متخصصون لهذا، شغلهم هذا، وما أحد هناك من المشاهير سواء سياسي أو لا عب كرة قدم أو ممثّل إلا ويكتب مذكّراته بهذه الطريقة. لا يوجد عندهم واحد يأتي مثل عندنا ويضع الكمبيوتر ويكتب مذكّراته ثم ينشرها، هذا لا وجود له، هذا انتهى عندهم. وإنما الطريقة هي التي ذكرتها لكم، تُسجل له خمسين ساعة، ستين ساعة بحسب الأحداث وبحسب دور النشر ومعرفتها بما يحتاج

القارئ وبما يهتم، وهي صناعة. ولذلك انتهى عصر شيطان الشعر. وهذا قلته في "فنّ القراءة" ما فيه شيطان شعر، فيه صناعة الشعر.

فيجب علينا أن نفهم أن الكتابة صناعة، والعلماء كانوا يفعلون هذا. يعني أي إمام من أئمة الحديث كتب كتابًا كان يعرضه على العلماء وينبّهونه. الكتاب ليس إبداعًا ذاتيًا يكتبه ثم يخرجه، هذه فقط لنا الفقراء والمساكين، وأما الطريقة القديمة والحديثة هي هذه الطريقة.

فيخرجون هذه الأشرطة ويكتبونها ويرتّبونها وربما تنشأ وهم يرتّبون أسئلة تحتاج إلى إجابة منه فيسألونها، وهذا الكتاب من هذا النوع.

هذه ميشيل فيتوسي كاتبة فرنسية يهودية تونسية أصلها عربي، هي التي أجرت هذه اللقاءات مع مليكة أوفقير وفرّغتها في هذا الكتاب الذي طُبع فرنسيًا ثم تُرجم عربيًا إلى (السجينة).

فهذه طريقة ننبّه عليها وهي طريقة موجودة اليوم، وكذلك بعض المشايخ سلك هذه الطريقة اليوم. يعني مثلًا الشيخ ابن عثيمين كم كتابًا ألّف؟ أنا لا أعرف أنه ألّف كتابًا، ربما يمكن (الأصول) ولكن ما يُنشر باسمه هو تفريغ لأشرطته. وهي طريقة جديدة، وهي بلا شك ليست هي الطريقة في التأليف، لكن كذلك هي ضرورية ومهمة ويجب أن نعاملها كطريقة جديدة في التعامل مع الكُتب. وليت المسلمين والذين لهم تجارب يستفيدون من هذه الطريقة، ويتوقّف تكليفهم بأن "اكتب لنا ذكرياتك"، بل يجلس معهم ويتعلّم بعض الشباب وأهل الإسلام هذه الطريقة في الأسئلة وفي الاستجواب من أجل كتابة الذكريات.

النقطة الثانية في هذا الكتاب:

نحن نعاني من أن التاريخ المعاصر تاريخ مُغيّب، والحقيقة هو موجود، ولكنه لم يصل إلى درجة الاستيعاب. يعني أنت لو أردت قصةً ما في تاريخنا، تستطيع أن تجدها منتشرة ومنتثرة هنا وهناك وتستطيع أن تجمع بها القصة المقاربة. نحن عشنا تاريخًا –خاصة التاريخ المعاصر– لوجود طواغيت لا

يحبّون أن تُكشف الحقائق، ولوجود أكاذيب لا يريدون للحقائق أن تميتها، والذين صنعوا التاريخ ما زالت آثارهم ورجالهم يعيشون بيننا، فإذا انفلت قليلًا هذا التقييد وجدت الكتابة.

فلكتابة التاريخ المعاصر نحتاج إلى كتابة عالم الشخوص وأعلام هؤلاء الذين صنعوا هذا التاريخ، وهذا جانب ما زال خفيًا نستطيع أن نأخذ منه الإشارات. يعني لو أنت أردت أن تقرأ ماهية الجيش العربي الباسل الذي شارك فيما يُسمى بالثورة العربية الكبرى أي نوع من الجيش هذا؟ أي نوع من القوّاد كانوا فيه؟ عندما كان فيه نور السعيد من إحدى قوّاده، عودة أبو تايه كان من قوّاده، والجيش نفسه ماذا كان؟

فأنت لا تجد أحدًا كتب في هؤلاء إلا "حضرة الإمام الأعظم" لورانس هو الذي كتب "أعمدة الحكمة السبعة"!، كتب وبيّن. وهناك من نفى لكن النفي دراسة قيّمة ويومية.

هناك مذكّرات الأمير زيد وهو الابن الأخير والصغير للشريف حسين، له مذكّرات مطبوعة قام على طباعتها وتنسيقها، والتي قام على مذكرات الأمير هو المؤرّخ الأردني المشهور سليمان الموسى.

فأنت تستطيع أن تجد القليل ولكن لصياغة الثورة ونوع الجنود وأي جنود كانوا فيها فتذهب إلى لورانس، فهو يكشف لك مثلًا شخصية واحد صنع العراق الجديد، وكان فاعلًا مهمًا في زمن الملكية في العراق. فأي رجل كان؟ لما لورانس يقول كانت تأتينا زجاجات الويسكي الكثيرة ثلثها تقريبًا يشربها نوري السعيد! فتعرف أي نوع من الشخصيات هؤلاء الذين صنعوا تاريخنا.

هؤلاء أنت تتعامل معهم كمعالم في وقت اختلطت فيه القومية مع الإسلام، يعني أنت لو أردت أن تعرف من شكيب أرسلان هذا؟ والحقيقة أنا من الناس إذا سُئلت عن شكيب أرسلان أمير السيف والقلم كما يُلقّب فأذهل أي حكم يُطلق عليه؟ عندما يتكلّم عنه حتى المتدينون، فيتكلّمون عنه كرجل عروبي، وله كتاب في الرد على طه حسين "في الشعر الجاهلي"، والكتاب موجود، وردّه مهمٌّ جدًّا، وله طريقة جيّدة. وكذلك دفاعه عن الدولة العثمانية باعتبارها الإطار الجامع للأمة. هو يتكلّم عنها في

تعليقاته على الكتاب "حاضر العالم الإسلامي" للوثروب ستودارد – وسنختار هذا الكتاب إن شاء الله–، فلما ترى شكيب أرسلان يعلّق على قوّاد الدولة العثمانية في قتالهم للأرمن، قتالهم للقياصرة، قتالهم لأعدائهم من النصارى في صربيا وغيرها تراه يتحدث حديثًا إسلاميًا عميقًا. ومع ذلك هو زوّج ابنته لكمال جنبلاط. يعني وليد جنبلاط هو حفيد شكيب أرسلان. وتسمع من واحد يقول لك كانت زوجة كمال جنبلاط وسمعتها من زهير الشاويش مباشرة، وظننت إلى وقت قريب فقط أقل من شهر وأنا أؤمن بهذه المقولة أن زوجة كمال جنبلاط وهي ابنة شكيب أرسلان امرأة متديّنة. وقال لي شخصيًا – لا أدري في حضور عام أو كانت جلسة قاصرة عليّ وعليه وربما واحد ثالث معنا – يقول يدخل عليها فيجدها لا تملّ ولا تترك المسحبة من التسبيح. هي زوجة كمال والدة وليد جنبلاط، وهو درزي. يعني شكيب أرسلان هو من العائلة الأرسلانية الدرزية التي يُقال بأن عائلة جنبلاط كانوا عبيدًا عند عائلة أرسلان، ولكن عائلة أرسلان تبنّت الدرزية من عائلة جنبلاط فصار الأسياد عبيدًا والعبيد صاروا أسيادًا لتلقّي السيّد مذهب عبده الدرزي. ولكن يقول هذه امرأة عابدة، ويصف لي عابدة، وأنت لما اليوم تروح على الشيخ جوجل لترى هذه المرأة هل هي عبادة وإذا هي أقلّ شيء في لباسها أنها علمانية. يعني الصورة مختلفة!

ولا أريد أن أطيل وإلا فالأمثلة كثيرة في هذا. يعني الآن مثلًا لما يقوم ناس لنأخذها بجانب ليس الجهادي ولكن بالجانب الثأري، واحد دخل في السجن فعُذّب من قبل ضابط شرطة، وأهانه، وربما فعل فيه الفاحشة، وقتله وذبحه وسبّ دينه إلى آخره. فجاء هذا الرجل لما خرج من السجن وحمل المسدّس وقتل هذا الضابط. هذه الشخصية للضابط هذا التي كتبها أو كشفها لك الصادق الذي عاش محنة هذا الضابط في السجون من أنه كافر بالله ويسبّ الدين، وبعد قليل يأتي الضابط ويقول أستغفر الله وجاي من المتوضأ، بينما قبلها كان يقول له الله والرسول والسنة والشيخ فلان كلهم في هذا الدرج وانس الموضوع. وبعد مقتله تظهر وسائل الإعلام وإذا زوجته وأمه محجّبة وتقوم الليل وتقرأ القرآن وتبكي وتذكر الآخرة! أنت أمام واقع يحتاج إلى تفكيك!

ومن ذلك القوّاد الذين سُموا عندنا بأنهم ثورجية، ليس بالمفهوم المتأخر للثورجية اليسارية. الثورجية اليسارية هذه مفهومة لدينا. يعني التيارات اليسارية كثورجية مثل البعثيين وغيرهم لا، نتحدّث نحن عن الثورجية الذين قاتلوا الاستعمار. يعني ما هي شخصياتهم الدينية، هل صحيح كانوا يقاتلون من أجل الإسلام أم من أجل القومية؟ هل كان لديهم التزام ديني؟! لأن التزام الشخص الديني مهم جدًا لدينا. الآن مثال حتى تتضح الصورة: لما نحن نقرأ سيرة محمد علي جناح وإذا إنسان سافل منحط، وتزوّج امرأةً معروفة، –من غير سبّ ولا اتهام–، امرأة رقّاصة من إيران، وكذلك زوجة محمد علي ذو الفقار، ووالدة ذو القفار علي بوتو زوجته كذلك أخذها رقّاصة من قصر شاهنشاه الإيراني، هذا معروف وليس سرًّا.

يقول أحد الكتّاب التاريخين: إنه ذكر لمحمد علي جناح هذا الذي بنى باكستان "الإسلامية". يعني أساس تكوّن باكستان أساس إسلامي. من أجل فصل المسلمين الهنود بما أهينوا به وبما ظُلموا به في الهند وأرادوا أن يسموها باكستان وتعني الأرض المطهّرة، باك يعني المطهّر والمبارك.

فهذا رجل مات وهو لا يعرف الصلاة، ليس لا يصلي، هو لا يعرف ما هي الصلاة. هذا الدخول لعمق الشخصيات الذين وقفوا على قنطرة الفترة المعاصرة هذا عالم إلى الآن لم يُكتب فيه، وتستطيع فقط أن تشمّه هنا، وتأخذه هناك، فما هي الشخصية، ما هي حالها، كيف تديّنها، فأنت تغيب لديك الصورة الكاملة؛ لأننا ما زلنا نعيش تحت سلطة هؤلاء. لا تستطيع أن تتكلّم، لو تكلّمت بالحقائق وجمعت الوثائق فأنت حينئذ متّهم. يعني نحن نعيب على الغرب أنه يمنع المؤرّخين من كتابة المحرقة. نحن أمتنا عاشت محارق، ولا تستطيع أن تتكلّم عنها إلى الآن. ولما تقرأ تقرأ بخفية، وبسريّة، وعندما تكتشف الحقيقة فإنك تخبر بها من تحت الطاولة، تقول قيل كذا وقيل كذا، على الرغم أن كثيرًا مما يُقال هو غير صحيح، حتى نكون صريحين، يعني كثيرًا مما يُقال هو من قبيل الإشاعة والكلام العام، والكثير منه كذلك صحيح. والغرب يعرف عنّا أكثر منّا!

يعني لو أردت أن تذهب إلى مكتبة غربية –وهذا مهم جدًا للتاريخ– لو أردت أن تذهب إلى أي مسألة في عالمنا نحن وذهبت إلى المكتبة الغربية تجد كمية هائلة من الكتب، عن الشخصية، وأحوالها،

والأحداث، وكذا، كمية هائلة من الأبحاث. وبعد ذلك تستطيع من خلالها وبالوثائق وبالتسجيلات وبالتصوير أن تستخرج الحقائق. ولكن أنت لو أردت أن تكتب عن أي قضيّة في عالمنا لا يوجد وثائق، لا تستطيع أن تتكلّم بكل شيء، تخفي شيء وتظهر شيء إلى آخره.

أنا دائمًا أحب الشيخ علي الطنطاوي الله يرحمه، وله معزّة عظيمة في قلبي، حتى في الوقت الذي كان يُذم من قبل (السلفيين) لأنه ليس على طريقتهم، على الرغم أنه رجلٌ سلفي من الدرجة الأولى بالمفهوم الصحيح وليس بالمفهوم المَرضي، ورجل داعية إلى الله، وله نجاحاته العظيمة وله إخفاقاته لواقع مرير عاشه وعاشه أبناء جيله، عليه رحمة الله، في كتابه "قصص من التاريخ" يعجبني أنه في البداية في المقدمة تكلّم عن أهمية قراءة الشعبيات والحواري، لا ينبغي أن نبقى وقوفًا عند تاريخ السلاطين.

يعني أنا قرأت "البداية والنهاية" قراءة مستوعبة من ألفه إلى يائه أقل شيء ثلاث مرات، وفي كل مرة أطلع مريض! وأندم أني قرأته ولكن لا بد من قراءته في النهاية لأنه يؤرّخ لتاريخنا. فـ"البداية والنهاية" لرجل عظيم لا أحد يشكّ في دينه ولا في منهجه ولكن عندما تنتهي من الكتاب تقول ليتني لم أقرأه. السبب أنه يخرجك بأن تاريخ الأمة هو تاريخ الملوك وتاريخ الخلفاء، والخليفة صارع فلان الخليفة وقتل فلان الخليفة وقاموا عليه؛ فكأن تاريخ الأمة هو تاريخ الملوك.

حتى في "البداية والنهاية" من إخفاقاته أنه حين يتحدّث عن العلماء لا يتحدّث كثيرًا، ويقول وممن مات في هذه السنة وفقط يذكر أسماءً، ويكون في هذه السنة الكثير من حوارات الحياة التي يجب علينا أن نتعلّمها وهي موجودة، تبحث عنها في كتب أخرى تجدها، ولكن أنت فقط تجد فيه تاريخ الملوك.

وأنتم تعرفون كما يقول الأستاذ محمد قطب ونبّهت عليها في أكثر من مقام، يقول الأستاذ محمد قطب: أسوأ جانب في تاريخ أمتنا هو الجانب السياسي مع أنه أعظم من أعظم أي جانب لأمة أخرى. يعني الجانب العلمي عظيم، الجانب القضائي، الجانب التربوي، الجانب البنائي، الجانب الحضاري كما يبيّنها الأستاذ مصطفى السباعي في كتاب "من روائع حضارتنا" وهذا كتاب مهمٌّ وهو ضمن الاختيار في الألف كتاب، يتحدّث عن جوانب روائع حضارتنا وهي عظيمة جدًا، وليس فقط جانب ملك

يصارع ملك. ولكن لما أنت تقرأ وكأنّ التاريخ أصبح مغلقًا على شخصيات الملوك والخلفاء والصراعات الداخلية بينهم فيمن غلب وفيمن انتصر.

طبعًا إذا أخذنا كتاب "البداية والنهاية" بهذه الصورة القاتمة ليس كذلك، أنا أتكلّم عما يشعرك الكتاب، لكن بلا شك أنا لا أعلم كتابًا فيه النُسك أعظم من كتاب ابن كثير، يعني قصدي حجّة النبي، -وإن لم تعرفونه- يبقى كتاب ابن حزم وقد طُبع مؤخّرًا ولم أطّلع عليه الذي أخذ منه عامة أهل العلم يبقى هو الكتاب الذي يستحق أن يُسمى الكتاب الأول في النسك في حجّة النبي، ولكن لا يوجد أعظم عندي من حجّة النبي لابن كثير. ولما تقرأها في "البداية والنهاية" تذهل، تعيش رحلة من أجمل الرحلات. هذا تنبيه حتى لا يُظن أن هناك إغماط في حقّ ابن كثير في الجملة، ولكن الشيخ الطنطاوي في كتابه "قصص من التاريخ" يرحل بنا رحلة الحواري، والأزقّة، والعالم المخفي الذي بدأه الرافعي في كتاب "وحي القلم". كيف يذهب إلى القصص الصغيرة فيصيغها بتصوّر كيف تنشأ. وطبعًا "وحي القلم" تجميعات المقالات فيه كما نُشرت في مجلة الرسالة والمقتطف وغيرها، فقال كلمة عظيمة أحبها من هذا الرجل الجليل رحمة الله عليه الشيخ علي الطنطاوي يقول: بأن علينا أن نذهب إلى هذه الأماكن للناس، ونكتشفها، ونرى كيف تجري فيها الحياة. هذا بلا شك لا تظنّوا أن الكتاب الإسلامي خال من ذلك، يعني لو سألنا البعض عن كتاب "صبح الأعشى" للقلقشندي عندما يتحدّث لك عن كيفية براية القلم، وكيفية صناعة الكتب بدقّة، يعني يذهب إلى الورّاقين وكيف يكتبون، وإلى العلماء كيف يكتبون، وإلى الشعراء كيف يكتبون، وهكذا.

فهذا عالم موجود ولكن ينبغي أن نبرزه، وأن نظهره، وأن نخرجه من الكتب لما ينظر إليها المرء مثل كتاب "صبح الأعشى" للقلقشندي وأجزاء كثيرة فيخرجها كتبًا صغيرة، والناس اليوم هم يحبون الساندويتش في الأطعمة وفي الأفكار! إذا زدت قليلًا توقّف العلم مقابل جفاف الأسلوب أو طول الأسلوب.

فهذا الكتاب هو كتاب إنساني ومن هنا يأتي أهمية هذا الكتاب أنه يكشف لك جانب الآن

سأتكلّم عنه، هذه المقدمات كلها من أجل بيان لماذا اخترت هذا الكتاب دون غيره، وسيبقى هذا الكتاب مهم لنا في هذا الأمر فيما تكلّمته من مقدّمات.

نرجع إلى الكتاب مباشرة وإذا حضرت بعد الأمور خلال الكلام إن شاء الله نعرّج عليها:

هذا الكتاب مهمٌ لأمرين كما قلت، ولا ينبغي أن يفوت النظر بعيدًا عن هذين الأمرين، وإلا فلن نستفيد من هذا الكتاب الاستفادة المطلوبة.

الجانب الأول أن هذه المرأة –طبعًا نتحدّث عن امرأة أصلًا ارتدّت ، لا يوجد تعاطف ديني معها، المرأة ارتدّت، وأيقنت أن الله لا يستطيع أن ينقذها، إله المسلمين الذي تلتجأ له أمها فاطمة، هو لن يستطيع أن ينقذها، والذي ينقذها هي مريم، وهي رأت هذا في السجن، وفي أول يوم هربت منه رأت إشارةً تدلّ على أن مريم هي التي أنقذتها!

وعلى فكرة هذه الطريقة في التحليل ليست خاصة بمليكة أوفقير، هذه تحليل الكثير من مشايخنا حتى في الدلالة على الحقائق للأسف.

القصد أنه ليس هناك تعاطفًا معها من جهة دينية، ولكن لا بأس أن أتحدّث حديثًا إنسانيًا عامًا، وحديثًا إسلاميًا خاصًا.

أهمية هذا الكتاب أن كاتبته عاشت مرحلتين؛ المرحلة الأولى بالنسبة إلينا ننظر إليها من جانب، والمرحلة الثانية ننظر إليها من جانب آخر.

المرحلة الأولى المهمة وهي عالم البذخ الذي تعيشه القصور أمام عشوائيات. وتعرفون كلمة عشوائيات ماذا تعني اليوم؟ العشوائية تعني –والخرابيش، وإيش تسمى في المغرب؟ لو واحد من المغاربة يسمعنا ينقذنا في بعض الكلمات الأماكن التي تعيش تحت –العشائش كما يسمونها، يعني المغرب من الدول العربية التي فيها جانب الفقر أظهر من غيرهم من الدول. يعني مصر فيها جانب الذي يعيش في القبور، ولكن الذي يعيش في القبور يدفعوا خلو أكثر مما يدفعوا خلو في الأردن. لأن القبور هناك أشبه

بالقصور. تجد فيها الدش، وتجد فيها عالمًا من الحياة، والقبور مبنية بالرخام. فليس تعبيرًا، الذي يعيش في القبور ليس تعبيرًا عن فقر مدقع، قد يختار أن يعيش في القبر لأسباب ليست فقط الفقر وإنما لأسباب أخرى.

ولكن الذين يعيشون في المغرب في الحقيقة هناك قسوة حياة، هناك جوع حقيقي، هناك فقر حقيقي. ومع هذا الصورة القاتمة من الجوع والفقر والسحق لشعب مسحوق ومع ذلك يعيش حاكمه بمثل هذه الحالة التي هي أرقى وأرفع وأعلى ترفًا من ترف ألف ليلة وليلة!

فهذا جانب يجب أن نفهمه. هذا بالنسبة إلينا كيف نضعه في سياق تعبّدنا لله؟

عندنا نحن مشكلة: الجانب النفسي مهمٌ جدًا أمام الجانب العقلي، وإذا لم يُرشّد الجانب العقلي بالجانب النفسي دعمًا له وإملاءً له وإلا بعد ذلك الجانب العقلي سريعًا ما ينهار. وأنا أعتقد وهذا كتبته في كتاب "صبغة الله الصمد" أعتقد ١٣ سنة في مكّة ليس لترسيخ العقيدة بالمفهوم الفكري، أعتقد أنه ترسيخ حياة الإسلام بالمفهوم النفسي. يعني بناء المسلم نفسيًا.

وللذكر قضية الصبر وكذا هذا الكتاب ينقضها، هذه فائدة فرعية، ليست في الباب ولكن هي حضرتني الآن لأنها جزء مما تحصّل لدي لما قرأت، بعض الناس يقول لك يجب أن يتعلّم الصبر حتى يصبر، لا، هذا غير صحيح. لا تردّوا عليه هذا الكلام. يعني هذه عائلة غنية وثرية جدًا ولكنها في النهاية استطاعت أن تعيش في أقصى درجات الألم والقسوة والعذاب. فالقصد هذا أنا جرّبته، يعني بعض الناس يقول أنا لا أقدر، لا، هو يقدر، المشكلة أنه لم يعش التجربة وإلا يقدر، فما فيه أحد لا يقدر. يعني واحد في أعلى درجات الترف يمكن أن يعيش في أدنى درجات الفقر والقسوة؟، يمكن وهذا سهل جدًا.

عمر بن عبد العزيز ليس من الصعب أن ينتقل من هذا الترف العظيم إلى هذا الزهد العظيم. هذا ليس صعبًا، المسألة تحتاج إلى إرادة، وإرادة إذا أردت تدينًا، أما إذا لم ترد تدينًا تأتيك رغمًا عنك.

وأقصى الناس تنعّمًا وأقوى الناس تنعمًا يمكن أن يعيش في الفقر في لحظة من اللحظات، ولذلك تربية الصبر ليس بالمفهوم الذي يُطرح غنوصيًا اليوم. له جانب تربوي معيّن ولكن ليس بالطريقة التي تُطرح اليوم، بأن الأمة بحاجة إلى تربية عظيمة حتى نقفز بها للأحداث، بل هي الأحداث تعلّمهم. وهذا رأيناه في الحقيقة، ورأينا أناسًا عاشوا في درجات النعيم ثم في لحظات عاشوا في الجبال ولم يشكوا وكانوا أفضل من الذين عاشوا في (المخيّمات).

فهذه القضية ليست مهمة، القضية هي القضية النفسيّة، البناء النفسي هو المهم للمسلّم. بمعنى نحن إلى الآن لا نعرف خصمنا، وهذه هي النقطة التي تفيدنا في الثانية، لا نعرف خصمنا كيف يعيش وأنه منعزلٌ عنّا، وأنه لا يمكن أن يتفهّم موقفنا.

تعرفون ماري أنطوانيت–إن صحت القصة– وقصتها مع البسكوت في الثورة الفرنسية، قالوا لها الشعب لا يجد خبزًا فقالت لهم فليأكلوا البسكوت!

الحقيقة هؤلاء الذين يعيشون في علية القوم هذه ليست –أنا أبحث في ذهني عن مثال آخر أرقى من مثال ماري أنطوانيت هذه لأن الواقع أرقى وأكثر بعدًا من هذا المثال. هؤلاء يعيشون ولا يحسّون بأمّتهم، ولا يعرفونها، وأبناؤهم لا يعرفون هذه الأمة كيف تعيش، لا كيف تأكل ولا كيف تشرب ولا كيف تموت ولا كيف تحيي ولا يعرفونها، ولا تغرّنكم الصور.

اليوم أنت ترى –لو أردت أن تحضر القذافي اليوم لترى من هو، يعني أحضرت صورته تجده لاعب كرة القدم الأول، والفيلسوف الأول، والمفكّر الأول، والحاكم الأول، والذي يصلّي في الناس إمام، والمشلّح الأول، والجالس مع الممثّلات الأول، يعني ما الذي تريده هو موجود في الأرشيف، فإذا أرادوا مثلًا أن يتكلّموا عن عبقرية القذافي الفنية فالصورة جاهزة! إذا أرادوا أن يتكلّموا عن عبادة القذافي – ونحن نتكلّم عن الميتين حتى نرتاح– لو أرادوا مثلًا أن يتكلّموا عن القذّافي العابد فالصورة جاهزة. مباشرة يخرجونه وهو يصلّي في مائة ألف أو مليون واحد في إفريقيا ويتكلّم باسم الدين وإلى آخره. وإذا أردته مفكرًا تجده جالس مع الفلاسفة الذين أحضروهم له حتى يتكلّموا عن كتاب الأصفر –لأن الأخضر

يصير أصفر مع طول المدة والشمس-. وإذا أردته رياضيًا نفس الحاجة. يعني هذه (الكليشيات) التي تظهر أمامنا من الصور، واليوم نحن أمام خداع ليس خداع سحرة.

يعني تصوّر هذا السيسي ماذا تكلّم البارحة؟ رجل مجنون وأنا أبحث عن تعليقات الناس على خطاب السيسي وجدت صحفي يقول هذا أعمق خطاب ألقاه السيسي منذ أن تولّى إلى اليوم، تصوّر هذا أعمق خطاب فكيف حال الأسوأ! يعني السحرة اليوم يكذبون.

وبالتالي أنت الآن تضحك هو مورس عليك أناس ماتوا، هو مورس علينا وظننا أن هؤلاء أناس لأنهم ميتون أنهم كانوا كذا وكانوا كذا، ولما أنت تدقق الأخبار من تحت وتجيب واحد مثلًا صاحبهم واحد إنجليزي عاش معهم، يعني رتوشات من هنا وهنا، وإذا هم يعيشون حياة لا تمت إلى الصورة التي تُصمع في ذهنك نحوهم.

فهذه الصورة الأولى التي تقدّمها مليكة.

أنا أعرف أنها قامت دعوة قضائية لأنه في كتاب "صديقنا الملك" لصحفي الفرنسي اسمه جيل بيرو لا أدري تُرجم أو لم يُترجم يتكلم عن فرنسا وعلاقتها مع الملك الحسن الثاني، فيشير هذا الكتاب إلى أن مليكة بنت محمد الخامس، والحقيقة هي للأسف أخت الحسن الثاني، بل ربما أنا أشك أنها بنت الحسن الثاني، لأنه في الحقيقة ماذا يقول أوفقير الأب لامرأته فاطمة؟ لما جاء إلى الولد الكبير الذي اسمه عبد اللطيف، قال نفسي تأتي بولد يشبهني! هي من تقول هذا الكلام! يعني أظن أن هذه كلمة غريبة. المهم هذه لا تهمنا كثيرًا ولكنها على الهوامش لقراءة واقع.

فالعالم المغربي توه خارج من الحرب، والفقر منتشر وكذا ومع ذلك الصورة من الترف الذي ينبغي أن نعلم أن كل من حكم في هذه الأمة يمارسه وبعضهم يزيد عليه! لا يعرفون عنك شيئًا، ولا يهتمون لواقعك، ولا ينشغلون بأنك تأكل أو تشرب، هو صراع متروك بأن عش كما شئت والغني يستطيع أن يتقرّب إليهم أكثر من الفقير ويدخل بعد ذلك إلى موائدهم ويصبح من أقرب أصدقائهم ويعيش معهم

كما يريدون.

هذا الجانب الذي أريده من هذا الكتاب.

وللذكر حتى لا يُقال هذه كتابة مدسوسة، هي لا تتكلم عن هذا الجانب من أجل أن تسيء إليه، يعني هي ليست متضايقة أنه يعيش البذخ، هي تريد أن تقول هكذا كنت مدللة. يعني فرق بين واحد فقير دخل ورأى ملعقة ذهب وخرج يقول البيت كله ذهب لأنه حاقد أو لأنه حاسد، لا، هي تتكلم عن هذا الجانب من قبيل مدح تلك الحياة التي عاشتها، وكانت مع فجوة إنسانية أنها بعيدة عن أمها، بعيدة عن بيتها، مع وجود الترف الزائد الشديد إلى آخره.

هذا الجانب هو الجانب الأول الذي ينبغي أن نعتني به. والبناء النفسي لنا بأن نعرف من هؤلاء، وهذا الرجل ليس بلده ودخول المال عليه بأكثر من بلاد أخرى. تصوّر البلاد الأخرى التي يدخل عليها، تصوّر من يسرق مقدّرات البلاد، يعني ما هو دخل المغرب؟ مع الاعتذار يمكن أن أكون جاهلًا للكثير، عندهم الفوسفات مثل حكاياتنا، وعندهم المياه البحرية يبيعون الأجواء البحرية بسبب التقاء المياه الحارة مع المياه الباردة وشواطئهم مصدر ثري جدًّا للأسماك، وتُباع سنويًا كانت لإسبانيا أظن السنة اختلفوا منعوهم ولا أدري هل اصطلحوا بعد ذلك أم لا.

فمع ذلك يعيش هذا البذخ، ويعيش هذا الترف، وهكذا يعيش أبناؤه، ومع ذلك انظر إلى الصورة الأخرى القاتمة التي هي "العشوائيات" العشاش والمخيّمات بتعبيرنا نحن في هذه البلاد. فهذا جانب يجب أن تعتني به ويملئك فهمًا لهذا الواقع؛ كيف يعيشون. ولا يبقى السبّ على هارون الرشيد! مسكين هارون الرشيد، هارون الرشيد كان في النهاية يحج، وكان هو يأكل والشعب يأكل.

يعني لم يُذكر لنا أن ثورة قامت لأنهم فقراء في زمن هارون الرشيد!! هل قرأها أحد منكم في يوم من الأيام؟! يعني المجتمع كان ثريًا، المجتمع الإسلامي مجتمع ثري. فأي حديث عن بذخ يعيشه خلفاء المسلمين مقابل أن المسلمين يعيشون فقرًا وجوعًا هذا غير صحيح ولا وجود له، هذا كذب. الفيء كان

يُوزّع على الأمة والخلفاء يأخذون نصيبهم ويأخذون زيادة على نصيبهم لكن يصل للمجتمعات ويعيشون غنى وثراء عظيم جدًا في داخل المجتمعات. وأكبر دليل أنه هذا الكمية من العلماء الذين يأكلون ويشربون من غير أن يعملوا. يعني الفقهاء والعبّاد والزهّاد والمجاهدون وأهل الحديث كمية هائلة من الناس ما عندهم شغل، يعني إذا صحّت الكلمة عن الإمام الشافعي: "لو وُكّلت برعاية دجاجة لما اجتهدت في مسألة". إن صحّت هذه، وأنا ما قرأتها ولكن تُروى. فيعني لا يعمل حتى في تربية الدجاج وعنده ما يكفيه، دلالة على أن المجتمع مجتمع ثري.

الجانب الآخر في هذا الكتاب وهو كذلك مهمٌ جدًّا، أنا أفهم هذا وهذا قانون الحياة، أنا دخلت معك في معركة، يعني أنا لا أحزن كثيرًا على أوفقير، أوفقير لا يعنيني شيئًا، وقُتل هذا قانون الحرب. أنت دخلت في انقلاب، فإما أن تغلب فتقتل، وإما أن تُغلب فتُقتل، هذا قانون. أنا ما عندي مشكلة هذا قانون الحياة.

ولذلك أنا لا أعيب على خصمي، لما أدخل معه في معركة أو مواجهة مثل ما تكلّمنا عن أخطاء "الإخوان"، لا ترم نفسك كمحارب ثم بعد ذلك تريد أن تستعطف! كما قال عبد الملك بن مروان: "الملك عقيم"، الملك فيه دم؛ يقتل الرجل أباه، يقتل الرجل ابنه، يقتل الرجل أخاه.

يعني مراد الرابع قتل إخوة اثنين، هذا الخليفة العظيم الذي أنشأ معارك قتل أولاد إخوته. وكذلك من الخلفاء من قتل أخاه، وهذا معروف وموجود في التاريخ. أنا أتكلم عن المسلمين ولا أتكلم على الغرب وظروفه!

فقانون الصراع يأذن لك بدخول هذه المعركة والآنتقام من الخصم عند الآنتهاء منه، لا أحد يعيب عليك هذا، يعني لا أحد يتعاطف. خاصة أنه أصلًا أوفقير دموي، وإنما ترقّى في داخل القصر الملكي بسبب عنفه وكونه يدًا باطشة بخصوم القصر. يعني هو المتّهم بقتل "بن بركة". تعرفون بن بركة كيف قُتل؟ وُضع في الأسيد، فليس له جثة! المهدي بن بركة هذا لا أتعاطف معه كذلك كونه يساريًا. فالقصد أنه قُتل في داخل باريس ووُضع في الأسيد. فهو الذي قام بهذه العملية برعاية القصر نفسه!

فأنا أتفهّم هذه الخصومة كيف تنتهي بين الفرقاء حيث ينتهي مشهد يجب أن يُغيّب أحدهما ولا يبقى في الصورة أمام انتصار الآخر. وإنما السؤال هنا الذي ينبغي أن نفهمه وهنا الذي ينبغي أن نرعاه تربيةً لأنفسنا، وهذا –مع الاعتذار– هو غياب قبس القرآن في هذه النقطة. عامة الجماعات الإسلامية كما أنها في الأولى لا تفهم غياب طواغيتها عن مشهد حسّ شعوبها لا يعرفون مقدار غياب إنسانيتهم عن آلامك حين يبطشون بك، حتى لو كنت أنت ابنه أو أخوه أو من العائلة.

لو أنا قلت لكم نختار كتاب "شاهد ومشهود" مثلًا نقول رجل كان يشتغل في الحقيقة وكان يعطي أموالًا في النهاية لمقاتلين يريدون أن يسقطوا النظام، فأخذوه وسجنوه، يعني ضمن المعركة، ولو أردت أن تحضر كتاب "البوابة السوداء" في النهاية كان فيه تنظيم سرّي حتى مع وجود أكاذيب كثيرة حوله ولكن هناك تنظيم سرّي وعاندوا النظام إلى آخره، ولكن هذه بنت كانت في العرف تُسمى ابنة لكم، سواء كانت ابنة حقيقية أو ابنة متبنّاة، وهذه المرأة ابنة هذا القصر تعيش معه، صارت خصومة لرجل أراد أن يأخذ الملك منك، ما هو الأمر الذي دفع هذه النفس لأن تنتقم هذا الآنتقام من هذه العائلة؟! ومن أطفال؟! هذا عبد اللطيف أصغر واحد دخل عمره ثلاثة شهور أو أربعة شهور. فثلاثة شهور يُعاقب هذه المعاقبة؟!

إذًا أنت أمام خصم لا يرحم! فأي خطاب تعاطفي هذا لا وجود له، حتى عندما يعفو إنما يعفو ضمن مبدأ الربح والخسارة! يعني عبد السلام عارف ذهب الشيخ الصوّاف إليه وذهب محمود شيت خطاب وعلماء العراق ذهبوا لعبد السلام عارف وكان عبد السلام عارف بعثيًا متدينًا، المقصود يعني يصلي ويقرأ القرآن ويستمع له ولكنه بعثي، فذهبوا إليه ورجوه أن يذهب عند جمال عبد الناصر حتى يرجو عبد الناصر في إنقاذ سيد قطب في المحنة الأولى وبالفعل عبد الناصر أطلقه. هل هو أطلقه عطفًا عليه أو هو ضمن ميزان الربح والخسارة؟!

يعني حتى عندما يقع العفو من طاغية ضدّ خصمه إنما يقع ضمن الربح والخسارة وليس ضمن العطف والرحمة، هذه يجب أن تنساها، نحن أمام خصوم لا أتحدث فقط عن الطواغيت الذين صنعوا

الدولة المعاصرة اليوم هؤلاء يجب أن تفهم أن هؤلاء لا يعيشون معك بآلامك، وإذا كان المجال أن تُسحق وأن تُقتل وأن تُباد مقابل وجودهم فهم لن يترددوا في فعل هذا الأمر! بل لن يكون الآنتقام منك أنت فقط، بل سيكون الآنتقام من كل عائلتك والدليل موجود. يعني عند من هذا أنه إذا هرب المتهم أتوا بأمه وأتوا بزوجته وأتوا بأخيه وأتوا بعمته وعذّبوهم؟!

واحد قال لي مرة: كيف نحن لنا أجر خمسين منهم؟ قلت له: هل تتصوّر أن العذاب الذي عاشه الصحابة –أنا أتكلم على نوع من العذاب– هو أكثر أو أقل من النوع الذي يعيشه بعض المسلمين في السجون؟ يعني متى صار في زمن الصحابة أن تُنتهك زوجة عرض المرء أمامه في السجن؟ هل حدث هذا في الصحابة؟ بل لما ضرب أبو جهل أسماء عندما سألها أين أبوك فلم تجبه فضرب أسماء، فعُدّ "ضرب المرأة" عيبًا!

اليوم ماذا يفعلون؟ أنا أسأل الآن هذا الحرق بالنار نعم وُجد عند واحد أو اثنين لكن بهذه الكمية الموجودة في هذا العصر؟ هذا السحق، هذا القتل، هذه الإبادة للعائلات، هذه الصورة التي تقدمها مليكة هذه الصورة الإجرامية، ثم بعد ذلك الإنسان وهنا الغرابة في الأمر وهنا الذي ينبغي أن نهتم له، الغرابة أنه ربما الواحد منا عايش في بيئة إيمانية أبوه يقول له " عيب يا ولد"، "حرام عليك يا ولد"، يعني يعرف شيئًا اسمه حرام. يعني أبوك يوم طلع عليك ووجدك ممسكًا بقطة مسكينة والقطط مساكين في هذا البلد، لم أجد قطًا إلا مقطوع ذيله أو مكسورة رجله، فماسك أنت حجرًا وتضربه به فيقول لك حرام عليك يا ولد كذا إلى آخره، هذه الكلمة لم يسمعها قط هذا الرجل، وبالتالي أنت ربّما تعذّب فبعد ذلك تندم وتقول أوف استغفر الله، كسرنا رجل القطة، تقوم تحزن عليها.

هناك تصوّر لأي عاطفة أنه زعل منهم أنتم عائلة أوفقير والله لأفعلنّ كذا وكذا ووضعهم سنة في السجن وبعدين؟ كيف بدأ الخطاب عند ناس عندهم تقوى كيف يبدأ من الأعلى ثم يتدرّج حتى ينتهي إلى أدنى ما يمكن أن يُقال من الأذى، وكيف يتدرّج المجرم من الأدنى إلى الأعلى!

إخوة يوسف ما أول طرح طرحوه؟ {اقْتُلُوهُ} أول شيء اقتلوه، ثم بعد ذلك اتق الله يا رجل {أَوِ

اطْرَحُوهُ أَرْضًا} نزلوا. لكن لما جاءوا إلى إبراهيم **{قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ}** بدأوا من الأدنى ثم انتقلوا إلى الأعلى، قالوا اقتلوه ثم قالوا ايش القتل هذا؟ بل احرقوه! فزادوا على الأمر. فهذا هو شأن المجرم. وهذا شأن الذي في قلبه رحمة وكم رأينا أناسًا يبدؤون بالغضب الشديد في التاريخ وينتهون للرحمة.

هذا ١٨ سنة يا رجل، ١٦ سنة وأربعة ضيوف كما في القصة، ١٦ سنة في السجن في حالة مزرية يُعاقب فيها أطفال. هذا ماذا يدلّنا؟ هذا الذي نريد أن نصل إليه.

باختصار والقضية سهلة جدًا وهو أن الخصوم ليسوا من النوع الذي يمكن لك أن تتصوّر رحمةً منه، وكل من يرجو منه رحمةً يكون كحال فاطمة أوفقير وهي كل سنة تنتظر عيد مولد الملك لأجل أن يطلق سراحهم!

وللذكر: أنا عشت في السجن هنا، وهذا للأمانة هناك فن يُطلق كل سنة يُطلق يمكن عشر مرات، مرات عشرين مرة ومرات ثلاثين مرة أنه فيه إفراج، فيه عفو، مسكين. بعض الإخوة يمضيها ثلاثين سنة أو خمسة عشر سنة وهو يأمل أن الشهر هذا فيه عفو، ويقول: "الله أعلم فيه عفو". وهذا فنّ إطلاق الدعاية على فكرة، هذا له أساليبه، وله مؤسساته التي تطلقه من أجل بقاء الأمل من أجل تسكينك لأمور أمنية مهمة.

القصد أيها الإخوة الأحبة أن هذا الكتاب بهاتين الصورتين الذي يقدّم هذه الصورة من البذخ والحياة المترفة الغريبة جدًا والتي أظن أنها لو قُدمت في فيلم ربما نحن سنقول فيها شيء من المبالغة والتي تفوق كما قلت "ألف ليلة وليلة" يدلّك على من يحسّ بك، من يعرفك، من أنت، وما هي الشعوب؛ وكيف تعيش، وكيف تأكل، وكيف تشرب، هل يفكّر بك؟ هل يمكن في يوم من الأيام يحسّ بألمك؟ بجوعك؟

ثانيًا عندما أنت تريد أن تدخل في صراع إن رأيت أن الصراع شرعيًا، وواقعيًا أنه يمكن أن يحقّق؛ فأنت تطبق الشرع، ما عندنا مشكلة طبق الشرع. يعني مثلًا لو سُئل شيخ ما هو حكم اليهودي اليوم؟ أو ما حكم اليهود لو غلبناهم؟ حكمهم حكم بني قريظة. لكن كذلك عليك أن تفهم أن خصومك

عندما يقبضون عليك فعليك ألا ترجو رحمةً منهم. وعليك أن تفهم هذا، وإذا لم تفهم هذا الطريق فلا تسلكه، لأنه بعد ذلك أنت ستجد ما لا يسرّك وما لا تتوقعّه.

أنا لا أريد أن أطيل في هذا الكتاب أكثر من هذا لكن الجواب لحقيقة هذا الكتاب هو أن تقرأه، وهذا من الكتب التي لا تُجزّأ، وإنما يُقرأ ويُقرأ وهو قليل الصفحات ولا تسمعوا إلى المرجفين بأن الكتاب كبير كيف يُقرأ؟! وهل يمكن أن يصنّف ضمن ما يُسمى بـ(أدب السجون) الذي هو فن معروف في الأدب العالمي ككل؟ يمكن أن يوضع في هذا؛ لأن أدب السجون يشتمل على أمرين: الأمر الأول وهو ما يُكتب في داخل السجون، ليس فقط ذكريات أو مذكرات السجون، ولكن ما يُكتب في السجون.

يعني الآن مثلًا أبو فراس الحمداني شعره شعر الرجل المسجون ومن شعر السجون، وهكذا كثير ممن كتب في السجون وعلى رأسهم الأستاذ سيد قطب اليوم كتب كتبه في داخل السجون، وكذا شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كتب كتبًا كثيرة في داخل سجنه، وأعظم من كتب علومًا في السجن هو الإمام السرخسي في كتابه "المبسوط"، وفي كتاب "المبسوط" تقريبًا جمع أحد طلبة العلم أرسلها لي لعله استفرغه من كل الكتاب وجد حوالي اثنا عشر موطنًا يقول فيه السرخسي: وهذا نكتبه مع غياب القلم وغياب الورق ولعلّ الله ييسّر كذا حتى يخرج الكتاب على شكل آخر، وهكذا، فالسجون لها بيئتها، ولها ظروفها، ولها ألقها، يعني لها فوائدها. ومرّات لولا السجن لما أخرج المرء كثيرًا مما أخرجه.

فيمكن هذا النوع. والنوع الآخر هو نوع السيرة "ماذا جرى"، وأنا أنصح في هذا –مع أننا لن أختار هذا الكتاب الآن في هذه الظروف– كتاب نيلسون منديلا "الطريق الطويل إلى الحرية" هذا كتاب مهمٌّ ورائع، وما يهمني ليس فقط التجربة في السجن، لأنه في الحقيقة سجنه ليس فيه ألم كألم صاحب كتاب "شاهد ومشهود" ليس فيه هذا الألم لكن فيه الفرق ما بين صورة رجل يرفض أن يفاوض وأن يتنازل حتى يأخذ جميع حقوقه، وبين رجل قبل أن يسلك الطريق الأول للتفاوض يتنازل عن جميع حقوقه! لو واحد قال ما المثال؟ فالمثال حاضر، لما كان نظام الأبارتايد العنصري يفاوض نيلسون منديلا كما ذكر هو في كتابه "الطريق إلى الحرية" كانوا يفاوضونه على طلب، وهو أنك تنزع ميثاق المؤتمر الوطني

الإفريقي، لأنكم تعرفون الحزب تبعه المؤتمر الوطني الإفريقي، فكان البند الرئيسي في الميثاق وهو تحصيل الحقوق طريقه هو طريق الكفاح المسلح (القتال)، وهم اتفقوا على كل شيء قالوا ولكن تنازل الآن عن هذه النقطة وأعلن أنك تزيل هذه النقطة من ميثاق المؤتمر الوطني. فرفض نيلسون منديلا أن يزيل هذا البند من الميثاق حتى يُعترف بحزبه ويخوض الآنتخابات ويرى النتائج. رفض أن يزيل حتى اعتُرف بالحزب ودخل الآنتخابات وحقّق النتيجة فأعلن أنه خلاص انتهى الآن وما فيه ضرورة للكفاح المسلّح إلى ما قال لما اتفقوا عليه. بخلاف سيدنا عرفات! كلينتون زاره في المجلس الوطني.. تذكرون المشهد؟ وقفوا لأجل عيون كلينتون، وقبل كل شيء راح مسح هذا البند من داخل ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية.

فهذا فرق يعلّم الناس كيف يعيشون، وكيف يتكلّمون. وكذلك تجربة الجيش الإيرلندي كذلك مع المفاوضات مع الآنجليز، كذلك تجربة كُتبت فيها الكتب، وأنا لم أطّلع في الحقيقة ولكن أخبرني بعض الأشخاص الذين كنت معهم في السجن أنه كُتب فيها كتب والظاهر أنه ليس عندنا اهتمام بهذه القضية حتى تُترجم كتبها.

بهذا أنا أختم اليوم حديثي عن هذا الكتاب، وأنا اليوم أصبت أني لم أطل.

أحد عنده سؤال؟ معنا نصف ساعة.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: ما الكتاب القادم؟

الشيخ: الكتاب القادم هو كتاب (التوحيد) للدكتور محمد المسعري، وربما يأخذ معنا أكثر من حلقة؛ لأنه في الحقيقة هو ليس فقط عرضًا للكتاب ولكن مناقشة للكتاب أيضًا.

السائل: يا شيخ ذكرت مرة أن هناك طريقة (صوت غير مسموع)؟

الشيخ: الطريقة الجنائزية ذكرتها في "الجهاد والاجتهاد" أو في (بين منهجين) بعض المشايخ اقترح طريقة لإصلاح الحاكم، وطبعًا هذا من الكلام لا يعرف من هو، هو يظن أن الحاكم مشكلته أنه لا يدري، مشكلته أنه لا يعرف. وهذه نقطة في الحقيقة في الباب سأذكرها، يعني مات قبل مدّة كلب سيده أو صوت سيده "محمد حسنين هيكل"، هؤلاء إذا مثلًا فُتح ملف جمال عبد الناصر، وهذه كانت من إحدى النقاط الرئيسية التي أريد أن أتكلم عنها وهو أنه يجب البحث عن الجانب الإنساني. أنا لا يهمني أن تفتح العالم كله دون أن تحترم إنسانية من تحت إمرتك. يعني أنا لا يهمني عبد الناصر انتصر أو انهزم في ٦٧ بالرغم من أنها جريمة كبرى وعظيمة، لكن ما قيمة ما حقّق وبنى السد العالي من غير مناقشة هذه الأمور محاسنها ومساوئها، لكن لا يهمني واحد يقول لي بنى السد العالي، لكن ماذا صنع بالجانب الإنساني مع أناس قتلهم ودمّرهم وسجنهم وعذّبهم؟!

يعني أنت لما تقرأ السجون في زمن عبد الناصر لا يستطيع أحد أن يدافع عنها! جانب إجرامي لا مثيل له، وهذا الجانب مهم جدًّا حتى في قصة مليكة أوفقير أن الطاغوت لا يشتغل بيده ولكن عنده جنوده، وسهل جدًّا يأتي بهم بأموال، سهل جدًّا بتربية ما، هذا كما قال الله عزّ وجلّ: **{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الآنسِ}** الله يخاطب الجن يسب عليهم أنتم استكثرتم عليهم وغلبتموهم، والآنس معهم في جهنم زعلوا قالوا ربنا **{اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ}**. ومع ذلك يأتي واحد يقول لك هو ما دخل معه إلا لأجل أن يستمتع! ها هو القرآن يقول من أجل أن يستمتع، ومع ذلك هو عدوّ، وقال بعدها أيضًا: **{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}** فهذا ظالم وذلك ظالم، وهي تولية، أي: كلاهما مجرم.

عبد الناصر بم كان يعذّب؟ بجلاوزته، بشمس بدران، وحمزة بسيوني، ومجموعة الكلاب هؤلاء الذين عذّبوا، وفي كل بلد فيها كلاب مسعورة مستعدة أن تقتل وتذبح وتسفك وتَفجر من أجل المال ومن أجل الشهوة وبعد ذلك يصبح عندهم سعار ليس فقط من أجل المال فقط من أجل تنفيذ السعار! أصبح عندهم سعار القتل والضرب والظلم.

القصد بأن هذا الكتاب وهذه النقطة من الجيد أني نُبِّهت إليها يأتي كل هؤلاء الكلاب الذين يريدون أن يزيّنوا الطاغية كلهم يقولون لا يدري، الحق على الحاشية لكن هو رجل محترم! يعني هذا الكتاب يكذّبهم، الحقيقة من الذي أمر؟ هل يستطيع أحد أن يقترب من عائلة "أوفقير" دون إذن الشيطان الأكبر؟! لا يستطيعون! فلا تقل لا يعرف!!

وهذه وجدتها كثيرًا، يقولون هو لا يدري، هو لا يعرف، طبعًا السقف هو يحاول دائمًا أن يحمل المسؤولية لهم حتى يبقى، مثل قضية في ترجمة أوفقير لما تقرؤوا وابحثوا عنها، قال من الفوائد التي جناها النظام في تحميل أوفقير مقتل مهدي بن بركة أنه حملها لرجل غيره وهو طلع نظيف وما له دخل! هو كان محضّر حاله ومسوي أشرطة وملقي أنه أنا عندي أدلة أن الذي قتل مهدي بن بركة هو القصر نفسه وأنا ما لي دخل، أو إذا لي دخل ففي النهاية أنفّذ، أنا الآلة يعني. فلا يجوز لأحد أن يكون مغفّلًا ويظنّ أن هذا الكلب عقرك دون أن يطلقه سيده!!

تعرفون هناك ممثل شهير فرانك دنيرو مشهور هذا، وهذا الرجل مشهور بعدائه لليهود، وهو أصوله إيطالية ومعروف.

مقاطعة: ....

لا، هذا استرالي غيره. .... أيضًا عدوّ لليهود وعدوّ لبريطانيا، وكل أفلامه ضدّ أمريكا وبريطانيا.

المهم أن هذا أجروا معه لقاءً في محطّة أمريكية، كان اليهود يقصف في غزة وقتها، قالوا له يريدون استفزازه حتى يسبون عليه ما رأيك فيما يحصل إسرائيل تقتل غزة؟ فقال إسرائيل ما عليها شيء وهي بريئة. ففوجئ الصحفي أنه يبرّئ اليهود من دم الغزاويين؟ قال له كيف يعني؟ هو متعوّد عليه يسب، تغيرت الصورة. قال له أنا أضرب لك مثالًا: لو أن طفلًا جاءه كلب فعقره فهل العيب في الكلب أم في سيده؟ قال بل في سيده. قال فالحق على أمريكا!! وأما إسرائيل فهي كلب أمريكا في قتلها الغزاويين الفلسطينيين.

فالقصد أنه لا يجوز لك أن تعذر السيد ففي الحقيقة كلاهما عدو.

هناك شيخ أخرج لنا طريقة جيدة لتغيير الحاكم أو تغيير نفسية الحاكم لأنه لا يوجد تغيير الحاكم، قال نجمع بعضنا ونطلع نبكي أمام القصر، ونترجّاه، ونذرف الدموع، ونشكو له، ثم عبارته بعدها قال: وهل القلب الحاكم حجر حتى لا يحنّ علينا؟ في النهاية سيحنّ علينا وسيتغيّر!

فهذه في الحقيقة طريقة خاصة بأهل الإسلام ما اكتشفها غيرنا لأننا عباقرة!

السائل: في حالة الترف ما كان لا فيه صلاة ولا في عبادة ولا في غيره، في حالة السجن لجأوا إلى القرآن، حال المسلم لما يستخدم الدين كما يقولون عندما يضيق عليه الحال، فهو آخر شيء.

الشيخ: لا، في الحقيقة وهذا ليس حكمًا لأني أهرب من هذا السؤال، لأنه في الحقيقة لا قيمة له. لما واحد يسألك مثلًا صدام مات مسلمًا أم كافرًا؟ في الحقيقة إذا مات مسلمًا فالحمد لله، يعني هو من رحمة الله عليه أُخذ من الحكم، في النهاية بده يموت في الحكم على كرسي أو في السجن بده يموت سواء شُنق أو مات برصاصة أو مات بمرض ، أصيب في دماغه، ولكن من رحمة الله إذا مات مسلمًا أن الله تاب عليه حتى يموت مسلمًا ولا يموت طاغية.

فأنا لست ضدّ التوجه الديني عندما يكون المرء في السجون، ففي الحقيقة البلاء يصنع هذا النوع. خاصة البلاء الشخصي وليس البلاء العام. يعني مثلًا الهزائم لا تصنع هذا النوع، فبعض البلاد العربية عندما كانوا محتلين وخرج المحتل من عندهم ازدادوا فجورًا وطغيانًا بدون ذكر أسماء، فمرات البلاء انقلابه إلى نعمة على قاعدة القرآن {وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا}. فوجود البلاء مرات رحمة بالعبد أن يردّه إلى الله. فهذه لا تُعاب عليهم، بل تُمدح أن الإنسان عندما يكون في نعمة يكون ناسيًا فإذا جاء البلاء ومن رحمة الله عليه أن يموت في البلاء أو أن يخرج من البلاء إلى النعمة فيبقى صالحًا على ما هو عليه، فهذه من رحمة الله على الإنسان. ولكن هي حالة موجودة أن الناس في داخل السجون وفي داخل البلاء يلجؤون إلى الله ويستغيثون به وللأسف لم تستفد هذه المرأة هذا المعنى لأن التربية وهم صغار تربوا في

المدارس الفرنسية فلا يوجد الحس الإيماني الذي يعيش به الطفل في البيت المسلم.

مقاطعة: أمهم عاشت في كنيسة أو كذا.

الشيخ: كانوا يرسلون إلى المدارس الإرساليات، فكانوا يرسلون إلى المدرسة الفرنسية إرسالية، فيعلّمونهم القراءات الصباحية الآنجيلية، هي تقرأها مسلمة ولكن تسمع فبقي في حسّها. أما الأم لا، وهذا يفتح لنا بابًا آخر:

الجنرالات الكبار يتزوّجون وهم صغار من بنت عمه، لكن لما يكبر يتزوّج واحدة فرنسية، فواحدة لشغل وواحدة لشغل آخر، واحد مغني يقال هذا متزوج زوجتين، واحدة للدار وواحدة للأستوديو! فهي تزوّجها في زمن كانت مربية فيه تربية عادية إسلامية لكن بعد ذلك تغيّرت، وهي حدّثت القصة وحكت على نفسها وطلاقها منه وكذا إلى آخره، لا نريد أن ندخل في الجانب الشخصي لأنه لا يهمّنا كثيرًا.

القصد بأن عودة المرء خلال البلاء إلى الله هذه ظاهرة موجودة. تعرفون باولو كويلو صاحب كتاب "الخيميائي" وهو كاتب قصصي برازيلي مشهور وحكى عن عودته لكن عودته إلى النصرانية وليس إلى الإسلام، لكن عودته إلى ترك الهيبز وترك اللا منتمي.

فهذه موجودة في الأديان كلها، والكثير منهم للأسف بعد ارتفاع البلاء يعود إلى ما كان عليه. نسأل الله العفو والعافية.

ولكن أذكّرك أنه لا يمكن أن تحسّ المعاني الإيمانية التي تحسّها في داخل البلاء، ولا تطلب البلاء، ولكن نعم البلاء لا تُعد ولا تُحصى، وأظنّ كتبت أنا في كتاب أو كتيب يسير سمّيته "حكمة الابتلاء" وموجود على النت.

السائل: سؤال: حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في نصح الحاكم: **(سيد الشهداء.. الحديث)** يذكر بعض علماء نجد أنه تكون معه في القصر حتى يجوز لك شرعًا أن تنصحه في السر. لكن السؤال هل الآن هذا الحديث على ما ذكرت وعلى ما نعرف من حكامنا له تطبيق حقيقي أم أن هذا أصبح في

خلفاء ما مضى؟

الشيخ: لا، أنا مع النصيحة، لأن النصيحة لا يمكن أن تجدي إلا بالسر. يعني إذا أردنا منفعة النصيحة فلا بد من السرّ.

مقاطعة: أقصد أنه خلا قلبهم الشفقة ومن المعاني إيمانية، وأن همهم تكديس ثمانمائة مليار، وثمانين مليون، وثمانين كذا، ثم ترى أنه لا فائدة ولا منفعة، يسعى طالب علم إليه ويقول أنصحه النصيحة ثم أعود.

الشيخ: لا نتكلم عن إنسان مسلم يخطئ ويصيب... يدخل سماك بن حرب فينصح هارون الرشيد فيبكي ويقوم الليلة، لا نتكلم عن عبّاد أصلًا تأخذهم فترات ولكن عبّاد يصلّون ويعرفون ربّهم ويقيمون الحدود ولا يسمحون بإهانتها، ويجاهدون في سبيل الله، ويحبون نشر العلم وكذا. فهؤلاء كانت النصيحة تجدي معهم وتغيّر واقعهم. هؤلاء نشأوا في بيئة دينية ويعيشون كما يعيش الناس، كما أعيش أنا وأنت. فهؤلاء الموعظة تحضرهم وتغيّرهم، سواء كانت للحظتها أو على المدى الطويل.

وهناك كلمة كبيرة ولكن أريد أن أقولها مع الاعتذار أن الكلمة لا تمثّل الحقيقة كاملة ولكن بعض الحقيقة: عمر بن عبد العزيز حسنة من حسنات رجاء بن حيوة، يعني لولا رجاء ما كان خليفة، هو الذي أقنع سليمان بن عبد الملك بتولّيه وكان يحبه وكان يرعاه، فهذا العالم العظيم المحدّث الفقيه وزير الملوك الخفي كان له الدور الكبير. فلما العالم يسلك ويغيّر ويبدّل كما المتوكّل النصائح له من أمه أنتجته في رفع المحنة عن الإمام أحمد، فالنصيحة لهؤلاء ضرورية سواء كانت تغير للحظتها فتأخذ منه الخير الذي تريده يعني تعظه ويبكي فتأخذ منه ما تريد من الخير وللحظتها تحصّل الخير، وإما أن يتغيّر بالكلية فيقلع ويتوب من هذه المعصية ويرجع عنها، فمثل هؤلاء المعصية وإذا غضبوا كالحجاج كانت تُقال لهم وبقيت كلماتهم نبراس لأهل العلم.

أريد أن أقول أن بعض الناس يظن أن كلمة الحق لا فائدة منها، وهذا غير صحيح! أعظم فضل

لكلمة الحق أنها تنشئ الصراع الذي ينتهي بغلبة المؤمنين على الكافرين، أعظم منفعة. يعني بعض الناس يظن أن كلمة الحق أن منفعتها الأولى هو أن يتغيّر الذي أمامك. هذا حق وليس عندي مانع وهو صحيح {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} ولكن ينسون أن أعظم فضل لكلمة الحق هي أن تنشئ الصراع، لولا وجود كلمة الحق لما نشأ الصراع. والصراع نهايته: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا}.

يعني الآن موسى عليه السلام دخل إلى فرعون وقال له كلمة الحق، فإلى ماذا انتهت؟ انتهت بصراع بينهما. هذه القصة الطويلة التي انتهت بغلبة موسى عليه السلام ومن معه من بني إسرائيل على فرعون وجنده. وهكذا في التاريخ أن تدخل فتقول كلمة الحق هذه تنتج حقًا. وأعطيك مثلًا من واقعنا: مقتل سعيد بن جبير راح شهيد، انتهى، هذه منفعة له، هو أخذها وينتفع بها، يقولون أين المنفعة للأمة؟ المنفعة له هو العذاب الذي سلّطه الله على الحجاج حتى كان سببًا لموته، صار يحلم في الليل يهلوس به. هذا جانب جزئي للصراع وجانب جزئي من النصر للمعركة التي دارت في ذلك الوقت.

فالناس للأسف الآن يقولون بماذا تنفع كلمة الحق؟! كلمة الحق تنفع، وكلمة الحق كقطرة الماء. هل شرط قطرة الماء أن تروي العالم؟ لا، لكن ضرورية أم لا؟! تعرفون قصة الملك الذي طلب من شعبه أن يملؤوا له الحوض حليبًا؟ فكل واحد قال كلهم سيأتون بالحليب إلا أن سآتي بالماء، وتنكة ماء مع آلاف تنكات الحليب لن تجدي ولن تبين، ففي الصباح وإذا كلهم أتوا بالماء!

فلو أن كل رجل قال كلمة الحق لشكّلت مطرًا وسيلًا. كل واحد الآن يقول وهل لا يوجد غيري أنا؟ هي نفس الشيء مثل القصة الملك لا يوجد غيري أنا؟ ستجد غيرك يقولها وستجد غيره وغيره. وبدوام هذا الصراع واتصاله يتكوّن بعد ذلك الحق.

والآنتصار العظيم يا شيخنا هو مجموعة انتصارات صغيرة. الآنتصار النهائي لا يتكوّن فجأة، قطرة الماء تصنع نهرًا وتصنع سيلًا عارمًا تزيل أكبر السدود أمامها، ما الذي شكّلها؟ قطرة ماء واحدة. ولكن نحن عندنا مشكلة عقلية من جوانب كثيرة، منها أننا نريد وهذا الذي ذكرته في كلامي عن القاعدة الصلبة: الكل يريد أن ينشئ جيلًا مثل جيل صلاح الدين، الكل يفكّر بإنشاء جيل يخرج من الظلمات

إلى النور ويحقّق النصر مرة واحدة. هذا لا وجود له إلا في أذهاننا، هذه عقلية إسلامية بامتياز!! وهي فاشلة لا قيمة لها في التاريخ ولا في السنن ولا في الحقائق!

نرجع إلى كلمة الحق، أقول بلا شك هذه كلمة الحق يجب عليك أن تضعها موضعها، وأن تقول ما هو لازم فيها، وهكذا. يعني هناك طرق كثيرة يجب أن تسلكها من أجل إيصال كلمة الحق، وليس كما يظنّ بعض الناس. الآن تسأل تقول واحد طلع تكلّم كلامًا انتهى الناس فيه إلى أن ذهبوا إلى بيوتهم، وهو خطابه الخطاب النهائي. يعني الخطاب الذي ينتظر أن يفجّر الثورة، والناس الذين أمامك كلهم عشب أو كلهم قش بارد، مدخن، وهو أطلق خطاب الثورة فهل ينفع؟!

إذًا ما المطلوب؟ أن يكون خطابه تدفئة القش، وإزالة الرطوبة منه. يعني واحد يأتي يصعد إلى المنبر ويريد من الناس الآن أن يفعلوا الثورة، والناس باردة، هو يظل يكدح يكدح وهم باردون. ماذا يُطلب منه؟ أن يدفئ القش قليلًا قليلًا، يأخذه ينشفه وينفخ عليه حتى يكوّنه، ثم إذا تكوّن وصار كافيًا وفيه الاستعداد يأتي الخطاب النهائي. هذه معركة تحتاج إلى إعداد وأخذ بالطرق السننية الملائمة له.

السائل: يا شيخ بارك الله فيك على هذا الكلام الأكثر من رائع، لكن على نفس القضية بغض النظر .... إشكالية النصيحة .. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، البعض يقول الحاكم بدك تنصحه تتكلم معه في السر ... وما أحد يراني وكذا، مع أني لا أفهم أن هذا الشيء يؤثر، حتى إذا ذكرنا السلف الصالح كانوا يتكلّمون أمام الناس ويقولون هذا من باب التغيير. حتى أنت تخرج من إشكالية..

الشيخ: يا شيخ أنا أشعر أني أمام قضية شائكة كل نقطة للأسف بحاجة لو كنا نحن غير مغيبين لما احتجنا لمثل هذا الكلام، أنت تخاطب حاكم من أجل تنصحه ليتغيّر في قضية، لكن أمة من أجل أن تستعد خطاب آخر، يعني واحد يقف على المنبر إيش دخله يتكلم مع الحاكم مباشرة؟ هو في الحقيقة يخاطب الناس ولا يخاطب الحاكم.

فالمطلوب أن يخاطب الناس. يعني أنا الآن لو وقف الخطيب يريد أن يبيّن توحيد الله يقول لهم هذه

المحاكم طاغوتية لا تذهبوا إليها، يخاطب الناس، ويبيّن الأحكام ويقول بعد ذلك هناك أحكام فرعية عليكم أن تتعلّموها، أنتم هنا موجودة البنوك لا تذهبوا إليها، هذا خطاب للناس. ولما يحضر الحاكم يخاطبه بما يجب عليه.

وهناك أخطاء متناقضة في هذا عند بعض المشايخ، يعني عندنا واحد لا يتكلّم إلا على المسكين ولا يتكلّم إلا على الفقير فإذا حضر الحاكم مدحه، وإذا حضر الشعب ذمّه! هذه ثنائية باطلة وهذا موجود. يعني إذا وقف للناس: اعبدوا الله يا أكلة الربا، يا مجرمين، يا كذا. وإذا حضر الحاكم: يا إمام المسلمين، يا ولي النعمة والدين، يا من لا نعيش إلا تحت ظله، ولا يمكن أن نعيش إلا من خلال لقمته.. إلى آخره!

فهذا خطأ في الخطاب وهذا غير صحيح. فالقضية متشابكة، ما فيه جواب على حالة معينة. أما أنا أؤمن أن النصيحة ينبغي أن تكون للرجل. يعني وحتى وأنت ضعيف لا يجوز لي أن أنصحك أمام فلان النصيحة التي تؤدي إلى إيغار قلبك وعدم قبولها! المقصود بالنصيحة هنا تغييرك. لكن بخلاف ما لو كنت أنت داعي إلى بدعة وأريد أن أنفّر منك قدام الناس ووراء الناس، لأن هذا تنفير. فكل صورة لها حالة مختلفة.

السائل: اختلاط مفهوم النصيحة بمفهوم تغيير الواقع وتغيير الحقيقة، يعني مثلًا في قوله في سورة الكهف **{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ}** فهذا توصيف واقع، كفر فالرجل بيّن حاله. اختلاط كثير في أذهان المشايخ أن النصيحة تأتي بتخفيف الخطاب، بمعنى أن تترفّق مع الحاكم أو مع المسؤول...

الشيخ: بلا شك الخطاب الشرعي لا يوجد فيه إلا الحكم، ولكن ليس مثل ما يفعل بعض شبابنا: يا وسخ، يا حمار..! هذا لا قيمة له. ولكن لو قال له اتق الله، فيقول له كيف أتق الله؟ قال له تب أنت تفعل كفرًا، أنت تفعل فسقًا، أنت تفعل كذا. فالحكم الشرعي مطلوب.

السائل: يا شيخنا، في الحديث: (**ما جعل الله من أمير إلا وجعل له بطانتان بطانة صالحة**...) هل هذه على الديمومة والاستمرار؟

بلا شك، ولكن هذه عل قاعدة الحق أنه **{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}** ومقابل ذلك: **{كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ}** التزيين بالباطل. فالمرء أولًا طلب الإمارة أو لم يطلبها؟ فطالب الإمارة لا يُعان. هل يمكن أن يطلب الملك ثم يأخذه ثم بعد ذلك يُعان؟ نعم، بالتوبة والإصلاح والإقبال على الله وحمل ما هو فيه على الخير.

وهكذا حتى الرجل لو أنه لم يطلب الإمارة فأتت إليه ولم يطلبها ثم صار فاسقًا فاجرًا هذا لا يُعان ولو لم يطلبها. فالقصد بأن طالب الهدى (**ما زال الرجل يتأخر حتى يؤخّره الله**)، وما زال الرجل يتقدم (**إذا أتاني يمشي أتيته هرولة**).

السائل: أقصد الآن يوجد بطانة صالحة موجودة عند كل حاكم؟

الشيخ: لا، هذه لا تتصوّرها، تمرض. والله لا يوجد على ظهر الأرض حاكم عنده بطانة حسنة! يدخل عليه مستشارون حتى يأكلوا ويشربوا!

السائل: الحديث كذا؟

الشيخ: مثل ما كل إنسان على قلبه ملك وشيطان، فإذا ذكر الله ماذا يحصل؟ خنس الشيطان والتقمه الملك. فواحد قائم طول النهار على المعصية ماذا يستطيع أن يفعل الملك معه؟! هو أحاط مستشارين لكن ... يعني هذه البطانة.

مقاطعة: يقصد أن الحديث (ما من...) ألفاظ عموم.

الشيخ: وهذا كالرجل الذي عنده ملك وشيطان على قلبه. ما من إنسان إلا ويجد من يصل إليه وهذا من إقامة الحجّة. الله عزّ وجلّ يحب الإعذار، ومن الإعذار إقامة الحجّة. ما فيه إنسان في الدنيا

كما في حديث علي رضي الله تعالى عنه ما من إنسان يأتي معصية إلا وفي قلبه ملك يقول له اتق الله، وما من إنسان يعمل معصية من أهل الإسلام إلا ويوجد من يقيم عليه الحجّة يسمعها: لا تفعلها لا تفعلها، فإما أن يسكته ويغلق هذا الباب ويقول له ما تجنني! مثل الذي يطلع الصبح فيقول له الموت فيقول على الصبح؟ حلّ عني، شو موت موت! فلا يريد أن يسمع! وإما لا، هو يضع الشريط ويريد أن يسمع موعظة الموت حتى لا يعصي. هذا واقع الحياة.

السائل: سؤال خارج الكتاب. هل حكم الحاكم يقطع الخلاف وهل هي قاعدة سليمة صحيحة مسلّم بها؟

الشيخ: في العلم لا، أما في الحكم فنعم. هل حكم الحاكم يرفع الخلاف؟ نعوذ بالله، كان عمر رفع الخلاف، وأبو بكر رفع الخلاف، وللحاكم اختياراته الفقهية حتى التي تخصّ الأمة لا ترفع الخلاف، بل العلماء يقومون عليها ويبيّنون خلافها. وكم من حاكم اختار مسألة فالعلماء خالفوه فيها ومضى هو حكمه ومضى هو قولهم. ففي الحكم نعم الاجتهاد لا يُنقض بالاجتهاد ويمضي حكم الحاكم والقاضي، هذا في الواقع، إلا أن يكون مخالفًا لنصٍّ صريحٍ صحيحٍ؛ فإذا خالف يُنقض حكمه كائنًا من كان. أما إذا كان مبنيًا على الاجتهاد فيمضي حكم الحاكم باجتهاده ولا يُردّ باجتهاد مجتهد آخر. وأما في مسائل العلم فيُرد عليهم ولا يُحسم القول باختيار الحاكم له، لأن الحاكم ليس بأولى بالحق من عالم يخالفه.

السائل: يقول: بالنسبة لكفارة الظهار، هل إطعام ستين مسكينًا قبل الوطء كالعتق والصوم؟ وهل قول ابن حزم راجح؟

الشيخ: لا، مرجوح. وابن حزم يفسّر الآية **{وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}** "ثم يعودون" عند ابن حزم يعني المرة الأولى إذا ظاهر المرء لا يؤخذ بها وإنما يؤخذ إذا عاد إليها. وقوله لا يُلتفت إليه.

السائل: وما هو مقدار ما يطعمه؟

الشيخ: المسكين عندنا إطعام ستين هو مقدار حفنة مدّ من طعام أهل البلدة، رز اليوم، الرز هو المشتهر، إلا إذا في بلاده القمح فيبقى القمح، فإطعام ستين مسكينًا يعني ستين مدًا.

السائل: بعض الناس لم يفهموا ما كتبت في رسالتكم ثياب الخليفة مبنية على قاعدة المعدوم شرعًا كالمعدوم حسًّا، فهل ممكن أن تشرحها وتفصّل فيها.

الشيخ: هذه القاعدة صحيحة، وأن المعدوم شرعًا كالمعدوم حسًّا في بناء الأحكام الشرعية عليه. بمعنى أن الشارع لو أنه أبطل شيئًا فإنه لا يرتّب عليه آثاره. وهذه مأخوذة من قاعدة "البطلان والصحة" في الأصول، واختلفوا هل البطلان والصحة من الأحكام التكليفية أو من الأحكام الوضعية. فلما نبطل نحن هذا لإبطال الشرع له وأنه لا يعترف به فإنه لا يرتّب عليه الآثار وكأنه لم يكن. طبعًا إلا في جوانب الآن نذكرها، فهناك جوانب الشارع يرتّب عليها ما كان من الأحكام الوضعية. وهذا السؤال يحتاج إلى شرح ودروس، لماذا نقول بوجوب الزكاة على الطفل مع أن الطفل غير مكلّف، فهل الخطاب موجّه للمال أم موجّه للمكلّف؟ ومن هنا بعضهم قال كالأحناف إنه موجّه للمال، فالطفل ليس عليه زكاة، وهذا غير صحيح؛ لأن هذا من الأحكام الوضعية أي معلّق الحكم على سببه، فالسبب هو الذي ينشئ وهو قضيّة وجود النصاب والشرط وهو أن يحول عليه الحول.

فلو أن رجلًا زنى بامرأة فالشرع لا يعترف بهذا الزواج، فلو وُلد ولد هل ينتسب إليه؟ لا ينتسب إليه. ممكن واحد يقول ينسبه بسبب هذا الزمن، فأين سيتربى، وأين سيذهب، سيأخذه الكفار في بلاد معينة. هذه مسائل أخرى، ولكن نتكلّم عن أصل المسألة. فالشارع عندما لا يعترف بأمر فإنه لا يرتّب عليه آثاره. هذا ما اسمه؟ بطلان، والبطلان هو عدم خلوّ ذمة المكلّف فيما هو فرائض وعدم ترتّب الآثار فيما هو عقود، هذا معنى البطلان والصحة يقابلها. فهذه قاعدة صحيحة. لو قلنا إن رجلًا صلى بغير وضوء، فهذا ذمته لا تخلو من هذه الصلاة، فعليه أن يتوضأ ويصلي إذا تذكّر. وهكذا فهي قاعدة موجودة وأنا طبّقتها على حالة من حالات موضوع الخلافة أن المعدوم شرعًا كالمعدوم حسًّا لأنه كأنه لم يكن، لا يعترف به الشارع.

كذلك من الأمثلة: القتل، قتل الوارث للمورّث، فهذا الشارع يعتبره كأنه لم يمت! وبالتالي لا يرتّب عليه الآثار، فلا يرث القاتل من مورثه المقتول.

السائل: ما هي كتب التراجم التي تنصحون بها؟

الشيخ: ما المقصود بالتراجم؟ العلماء قديمًا يقسّمون التراجم؛ عندنا تراجم محدّثين، تراجم مدن، تراجم مؤرّخين، تراجم فقهاء، تراجم طبقات ومذاهب، فما المطلوب يعني؟ وأي عصر تريد؟

السائل: شيخنا ذكرت في القاعدة "المعدوم شرعًا كالمعدوم حسًّا" المشهور عندنا ليس المنهي شرعًا كالمعدوم حسًّا، ثم يضربون مثالًا بالمواطن بالقانون، أنه يجب أن تُراعى الفروق في هذه المسائل، كمسألة أردني وسوري، أنه نحن صرنا واقعين الآن في القانون بدنا نطبقه ونلتزم به ونأتمر بأمره، ولو كان مخالفًا بالشرع ولكن هو الواقع ونتماشى معه، ما رأيك في هذا الكلام؟

الشيخ: هذا الكلام باطل! إلا إذا حُمل على معنى أن المرء إذا خالف وقع في مفسدة أعظم فحينئذ يُقدّر في هذا على أساس أن العمل ليس شركيًا فإذا كان شركيًا لا يقع.

الشيخ: طبعًا الشافعي نبّه عليها وأخذ بها، وموجودة في كتاب الأم "المعدوم شرعًا كالمعدوم حسًّا".

- مقاطعة: ومن وين جابوا "ليس المعدوم شرعًا" نفي القاعدة؟

لأجل أن يضبطوا لك ما تحكي عنه! وهل تحتاج إلى جواب هذه؟! نفوه ونفوا القاعدة من أجل أن يقرّروا الباطل.

- عكس القاعدة بالكامل!

لو جاز هذا لكانت بعثة النبي غير صحيحة! لماذا النبي جاء؟ والعرب على ملّة إبراهيم وقد غيّروا وبدّلوا؟ وكل الدين الذي كانوا يزعمونه كان على ملّة إبراهيم ولكن فيه تغيير، فهل أقرّهم الشارع أم بعث النبي بالكلمة ثم بالسيف من أجل أن يغيره؟

- يا شيخ هم يدفعون هذه القاعدة الفقهية .... ينسبونه إلى ابن مسعود أو إلى سيدنا علي رضي الله عنه أنه ليس العالم الذي يعرف الخير من الشر ولكن العالم ..

الشيخ: هذه كلمة لابن تيمية معروفة هذه، يقول شيخ الإسلام رحمة الله عليه ليس العالم الذي يعرف الخير من الشر، كل القطط تعرف الخير من الشر، ولأجل هذا يضربون مثالًا لو أعطيتها لحمها تأكلها أمامك ولو سرقت لحمة تهرب، ولكن العالم هو الذي يميّز خير الخيرين وشرّ الشرّين.

يعني الآن هذه الحالة الأصل أنك تدخل إلى سوريا من غير جواز، ولكن قال لك لو دخلت سوريا من غير جواز سيسجنك فيقول سأعمل هذا الجواز حتى لا يسجنني. هذا ليس اعترافًا به ولكن صرفًا للشرّ عنك، ففرق بين أن تعمل القاعدة من أجل صرف مفسدة أكبر منها وفرق بين أن تأخذها على جهة الإقرار لها نفيًا للقاعدة التي لم تعجبهم فقالوا باطلة!

- تراجم الرواة؟

الشيخ: الرواة بحسب، يعني مثلًا عندنا أفضل كتاب في تراجم الكتب الستة هو كتاب ابن حجر (تهذيب التهذيب) فهذا خلاصة في الحقيقة الكتب التي سبقته سواء كان كتاب الكمال إلى كتاب تهذيب الكمال للمزي، فإن أفضل كتاب هو (تهذيب التهذيب)، وكذلك (تعجيل المنفعة في الكتب الأربعة) و(مسند أحمد)، وكذلك (مسند الشافعي) و(ومسند أبي حنيفة) على ما يُنسب إليه و(موطأ مالك)، وهكذا. يعني كل كتاب أو كل مجموعة كتب لها رجال ورواة يُختص بهم ينبغي الاهتمام بها والقيام بها.

لكن أنا أحب مثلًا في الضعفاء أحب الكتب إليّ هو كتاب (الكامل) لابن عدي. طبعًا هذا من القدماء. وأما من المتأخّرين فكتاب (الميزان) للذهبي، فإنه حاول أن يستوعب كل من تُكلم فيه حتى لو كان خطأ وجاء ابن حجر وألّف (لسان الميزان) ويبقى كتاب (الميزان) بمقامه ومهمٌّ جدًّا.

ويجب على الذي يسأل أن يكون أكثر تحديدًا، فكما ترون هذا باب واسع.

أما إذا أردت كتب الأقدمين، إذا أردت أن تعرف أصول (تهذيب التهذيب) لأن كثيرًا في (تهذيب التهذيب) ما تُطلق الكلمات دون معرفة تقييداتها، فعليك أن ترجع إلى كتب التواريخ. يعني كتاب (تاريخ ابن معين) هذا مهمٌّ جدًّا، تاريخ الإمام الفسوي هذا مهمٌّ جدًّا، وذكرنا كتاب (الكامل) لابن عدي، فهذه الكتب تبيّن لك الصياغة كاملة لما قال العالم عن الرجل، وفي هذا مظنّة كبيرة تحتاج إلى شرح، أن كثيرًا مما يُنقل عن الرجال إنما يُنقل بإطلاق مع أنه مقيّد. ويكفي هذا لأن المسألة طويلة.

السائل: شخص زاني محصن تارك للصلاة ثم أصبح يصلي، هل يُرجم حتى الموت أم أن الإسلام يغفر ما كان قبله؟

الشيخ: شيخ الإسلام له لفتة رائعة، قال ينبغي ألا نجعل العاصي يستفيد من عصيانه!! وهذه صحيحة، يعني ما يصح واحد يريد أن يسرق فيقول ارتددت، ثم ذهب فسرق ثم قال أسلمت، فيقول لهم أنا سرقت وأنا مرتد والحمد لله الآن أسلمت! فلا ينبغي ألا نجعل العاصي يستفيد من عصيانه، هذه قاعدة وهذه صحيحة.

إذا رجل ارتدّ بسبب ترك الصلاة، فتارك الصلاة على الصحيح أنه كافر كفر أكبر، وهذا الذي عليه الصحابة، وعليه التابعون، كما يقول شيخ الإسلام أول من أظهر قضية عدم كفر تارك الصلاة هو الإمام الأوزاعي رحمه الله. فهذا عندما يزني نعم يُقام عليه الحد. بل عندنا النصراني الكافر الأصلي يُقام عليه الحد!

– مقاطعة: وفعله النبي عليه الصلاة والسلام مع اليهود.

نعم هذا الصحيح، ولذلك يُقام عليه. وللإمام الشيخ أحمد شاكر المحدث المشهور رسالة في هذا، تُراجع، إقامة الحدود على الكفار. والله تعالى أعلم.

– هل يجوز تنفيذه لعملية استشهادية بدل الرجم؟

نجاوب عنها في جلسة غير هذه.

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

التوحيد

للدكتور محمد بن عبد الله المسعري

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب التاسع والعشرون

تاريخ المناقشة: ١٢ آذار ٢٠١٦ – ١٩ آذار ٢٠١٦.

إن الحمد لله نحمدُه تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغرّ الميامين، وعلى من تبعه بإحسان وهدىً وتقىً إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين آمين.

أهلًا بكم أيها الإخوة الأحبة في لقاء جديد مع كتاب جديد ضمن مشروع (ألفُ كتابٍ قبل الممات)، الذي أسأل الله عز وجل أن يبارك فيه وأن ينفعنا به وأن يجعله في موازين العمل الصالح يوم القيامة.

هذا الكتاب الذي اخترناه لهذا الأسبوع هو كتاب (التوحيد) للدكتور محمد المسعري.

وهذا الكتاب له خصوصية ضمن هذا المشروع، لأن هذا الكتاب ليس كتابًا فكريًّا حتى يناقش مناقشة فكرية عقلية، بل هذا الكتاب يتكلم عن أصل الدين، ويتكلم عن التوحيد، ويتكلم عن أعظم قضية بعث بها الأنبياء، والتي من أجلها سلت سيوف المجاهدين، ومن أجلها سفكت الدماء واستبيحت الأعراض، وبها يدخل الناس الجنة، وبنقضها يدخل الناس النار.

وبغض النظر عن قيمة هذا الكتاب في هذا المبحث، إلا أن هذا المبحث خطير جدًا، وهو ضمن سلسلة صراع ما بعد الدعوة الوهابية، دعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ضمن دائرة الخلاف في مسألة "ما هو الشرك" الذي يُكفر به المرء ويخرج به من الملة ويستحل بعد ذلك به دمه، وعرضه إن كانوا على دينه من الشرك.

فهو ليس كتابًا جديدًا في الحقيقة، وإن كان الناظر فيه ربما يجد أبحاثًا متطورة، على غير ما كان عليه الأوائل الذين عاندوا دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب –رحمه الله–.

والدكتور المسعري يرجع الخلاف في هذه المسألة ليس فقط إلى ابن عبد الوهاب، ولكن يرجع

الخلاف في هذه المسألة إلى ابن تيمية نفسه رحمه الله، فيجعل أن أساس الخطأ الذي به تم إعلان دعوة ابن عبد الوهاب إنما الخطأ نشأ من ابن تيمية لعدم فهمه كلمة العبادة، هكذا يقول الدكتور المسعري، لكن الكتاب في الحقيقة ليس جديدًا، أنا قرأته قراءة مستوعبة ومررت عليه مرات، وكنت أريد أن أبحث عن شيء جديد يأتي به الدكتور سوى الطريقة التي أتى بها أو الأدلة خارج المبحث، من قضية الاستشهاد بالمؤرخين أو الكتّاب، أو في طريقته الغريبة جدًا -كما سأبين اليوم- في النفي والإثبات، وفي التحكم في الأدلة، وفي التحكم بالنصوص.

لا أريد أن أستعجل، لأننا نتحاور مع الدكتور على الرغم من أن الدكتور له تجاوزات كثيرة في حديثه وفي أشرطته، وهذا لن يدفع أحدًا عنده دين وخلق وذكرى الآخرة أن يجاري الدكتور في طريقته وفي إطلاقاته الغريبة ضد خصومه، وأنا لما أقرأ هذا الكتاب، فأنا أعرف كيف يكتب وكيف يتكلم، فأنا قد جالست الدكتور كثيرا وأعرفه عن قرب وليس عن كتب، وأعرف كيفية تفكيره وكيف أن الدكتور باختصار يسرع إلى الرأي الفطير، ويطلق إطلاقات خطيرة جدًا، دون أن يعود إليها بالتمحيص والدراسة، بل إن شخصيته في الحقيقة لا تلائم المسائل العميقة، فهو يمر على الكلمات سريعًا، ويمر على الكتب بسرعة، ويطلق العبارات بعد ذلك الخطيرة جدًا، ولما يناقش –وهذا حصل كثيرا- في تقريراته وفي كلماته وفي استنتاجاته يسهل الرجوع، هذه منقبة فيه، أنا أشهد أنه إذا روجع يقول نعم، رغم أنه حين يطلقها –أي هذه التقريرات- يظن السامع الذي لا بصر له في هذه التقريرات وأصولها وقواعدها والخلاف فيها وأدلتها أنها يقينية على طريقته في الطرح، فإذا نوقش فيها وبان للمرء بعض الأخطاء فيها، يسارع إلى القول: نعم هذه تحتاج إلى مراجعة، وهذه سأراجعها، وهذه تحتاج إلى بحث. هذه طريقته، أنه يأتي إلى عظائم وكبار الأمور فيسلقها سلقًا، هذه الطريقة تلائم شخصية الدكتور أبي ماجد محمد المسعري.

هذا الكتاب هو مرآة يعكس شخصيته في طريقته المتسرعة، وإطلاقاته الخطيرة جدًا، وغرابئه في أنه يأتي إلى الكلمة فيبني عليها بسرعة بناءًا، ثم إذا جرى بعد ذلك صفحات أو مباحث جعلها من

المحكمات، هكذا يقول عن كلماته.

ويناقش المخالف حتى لو كان صحابيا، كما سأبين، في غير ما يفهمه، فيسب على هذه المعاني بطريقة تذهل طالب العلم، لأن هذه مسائل –كما سأبين- ليست خلافًا في الأصول كما يزعم، ولو كانت خلافًا في التوحيد على ما فهمه ابن عباس وغيره من التابعين لكان الأمر خطيرًا.

وفي الحقيقة من لازم كلام الدكتور، كما سأبين، أنه يتهم ابن عباس أنه لا يفهم التوحيد ولا يفهم الشرك، هو لا ينفي روايته هو ينفي فهمه. هذا من خطير ما يأتي الدكتور، وآسف لهذه العبارة فهو يطلق أشد منها، ما يتبجح بأنه أتى بأمور ولم يفهمها أحد قبله، ويقرر في كتابه هذا قرارًا بأن الذين ردوا على ابن عبد الوهاب وكأن ابن تيمية فيما قاله لم يجد أحدا يرد عليه، بل تجد العلماء الذين يخالفون ابن تيمية يقررون تقريراته، كما سأبين في موضوع التوحيد الذي زعم الدكتور أن ابن تيمية أنه قد ابتدعه وأتى به، وأطلق عبارات لا أدري ماذا أسميها، سماها توحيدًا منكوسًا، فهمًا معكوسًا، مضطربًا لا ضابط له، يعني عبارات لو يقرأها القارئ يستهجن أن تصدر دون أن يفهم في الحقيقة، أنا هنا أقول بكل صراحة ونصيحة للأمة أنه لم يفهم ولم يستوعب ولم يستقرئ العبارات استقراءًا صحيحًا، ولم يستقرئ المصطلحات القرآنية كالرب والإله استقراءًا صحيحًا كما سأبين، وأن ما أتى به من النقض يخالفه حتى أهل اللغة، يعني هوينقل كلامًا لأهل اللغة في مفهوم الرب لا يدري ما يقول، ويدل أنه لا يفهم طريقة العلماء في البحث وفي التقريرات العلمية المهمة.

القصد بأن الدكتور المسعري في كتابه هذا هو نموذج للمثقفين، هو مثقف، بلا شك هو يقرأ قراءة سريعة، ولكن قراءته للجرائد مرات تصطبغ في قراءته للكتب العلمية، وهو يمر مرات كثيرة على نصوص، بل يحضر نصوصًا ترد عليه وهو لا يدري، حين يأتي إلى صفحات مثلا في نقله عن الطبري وعن غيره، يمر على صفحات ينقلها نقلًا لأنها في طريقه وهو لا يدري أنها ترد عليه، أنا لا أريد أن أتهم النيات لأن في الحقيقة منشأ الكتاب –هنا سأبدأ بداية أخرى غير هذا- أن الكتاب في الحقيقة كتاب فجّ، وكتابٌ فيه التحكم، وكتابٌ فيه الاستعلاء، والكتاب لو أردت أن أقف عند كل صفحة وما يقال ما فيها من

تقريرات علمية: تاريخية، حديثية، أصولية، لغوية، لخرج معي مجلدات في الرد عليه، وليعذرني الإخوة في هذا اللقاء بأنني في حيرة وشك، أتكلم بطريقة العرض السريع أم أقف عند أهم مباحثه، وأبين ما فيها من حق أو خطأ بحسب ما أعلم من دين الله عز وجل-، وأنا هنا لا أقرر إلا ما قرره الإجماع، ولا أرد على المسائل الخلافية في هذا الكتاب، إنما أرد على إجماعات ينقضها ويتلعب بها ويستهزئ بها، الذي يقرأ هذا الكتاب يرى شطحات من العبارات، ولو قلتها أنا في هذه الجلسة عنه لاستهجنها ربما السامع، لم أبو قتادة يقولها في حق هذا الدكتور، وهو يقولها في حق صحابة، وفي حق علماء، وفي حق تابعين، ولا يدري ما يقول، لا يضر أن يقول بعد ذلك قال شيخ الإسلام، وقال ابن عبد الوهاب، الذي يسمع له محاضراته يعرف وأنا أعرفه شخصيًا –واليوتيوب يشهد– أنه لا يرى ابن تيمية عالمًا ولا يراه شيئا.

فعندما يُوصف كيفية كتابة ابن تيمية لكتبه أنه يجري به القلم حتى إن ذهنه السيّال ليسرع فيضطر أن يصل الكلمات ببعضها، يذكرونها على سبيل المدح لابن تيمية، ولحضور العلوم بين يديه، كما وصفه تلاميذه الثقات المحدثون، يعني الذهبي لما وصف ابن تيمية قال: كأن العلوم بين يديه، كأن الحديث النبوي بين يديه، والكتب شاهدة على هذا، وهو يخطئ، له بعض الأخطاء، أعرف أنه نسب بعض الأحاديث إلى الصحيحين وليست كذلك، يخطئ لأنه بشر، والله يأبى أن يتم إلا كتابه، لكن على الجملة هو من الكبار، يقول الذهبي كأن العلوم بين يديه، كأن الأحاديث بين عينيه، واستحضاره للآية مشهور، فهو يأتي ويقول: انظر إلى كتب ابن تيمية تجده يكتبها على هذه الطريقة –وأنا أتكلم على طريقة أبي ماجد المسعري– وهذه الطريقة تدل على الاستخفاف وعدم القيمة، فهو يجعل المنقبة مذمة.

والحقيقة أن المسعري يكتب كذلك، على طريقة الاستخفاف، ينقل، تجد صفحات منقولة، وفقطيعلق عليها بكلمات، ويقول: قد بينا هذا وانتهينا منه، إذا أحد يريد أمثلة إن شاء الله سنأتي فيما نقدر عليه، وأنا أقول: إن المرء في هذا الكتاب، أن بالنسبة لي للمنهج الذي أخذته لا أستطيع أن أقف عند كل جملة، وإن كان هذا الكتاب يحتاج إلى طريقة الردود المعروفة عند العلماء، يعني كيفية ملاحقة

ابن تيمية للحلي في منهاج الكرامة، هذا الكتاب يحتاج إلى هذه الطريقة، والمفاسد التي فيه والتقريرات أشد مرات في جهالاتها من جهالة الرافضي الحلي في تقريراته الرافضية، وهناك كلمات خطيرة وغريبة يطلقها، فالكتاب يحتاج إلى مجلدات حتى تستوعب منهج هذا الرجل وما أدى إليه كلامه من أخطاء شنيعة جدًا.

ابتداء، لا بد أن أبين أجواء هذا الكتاب، في ضمن أي سياق هذا الكتاب؟ السياق الذي جرى عليه هذا الكتاب أن الدكتور المسعري نقم على مشايخ الجزيرة وعلى طريقة ابن عبد الوهاب في بنائه لهذه الدولة.

أنا قبل أن أعرف الدكتور المسعري كنت قد كتبت (جؤنة المطيّبين) ولاحظت أن هناك بعض الوعاظ، لو سألني سائل ما قيمة حمد بن عتيق؟، أنا لا أعده من العلماء، هو واعظ، يعني على طريقة بعض المشايخ الذين اقتبسوا بعضا من العلم، حتى سلمان بن سحمان ليس من العلماء المحققين، وهو من مشايخ الدعوة النجدية، وأنا أتكلم هذا بحسب خبرتي فيما كتبوا، ما أخفوا ليس لي فيها أمر، فالذي ينظر للدعوة النجدية يجد أنها قامت على أساس أن هناك مظاهر شركية، وأعمال شركية في داخل المجتمعات الإسلامية، ولا ننفي أن في الحركة تطور، وكان ينبغي للدكتور أن يكون منصفًا وصادقًا في بيان من كفرهم ابن عبد الوهاب، وأنا أعترف أن في الدعوة النجدية، وجد بعض انحراف في الغلو، هذا أنا أقره، يعني إعلان أن المجتمعات التي خالفت الدعوة بعد أن صارت دولة أنهم كفار ومشركون، هذه دعوى باطلة، وموجودة خاصة في الدولة الثانية، وإن كانت بداية الانحراف بدأت في نهاية الدولة الأولى، ولكن هذا الانحراف تجلى في الدولة الثانية، حيث صارت إطلاقات مشايخ الدعوة هناك: أن كل من خالف طريقهم في تح البلاد هو مشرك، يقاتلونه على الشرك، هذه نضعها في الاعتبار، ويجب أن ننصف في ذكرها.

ولكن في الجانب الآخر، لو أراد الشيخ.. أراد الدكتور، وهو تربية حزب التحرير، وحزب التحرير يرفضون كلمة شيخ ولا يحبونها، وتقي الدين النبهاني له رسالة في هذا ينهى أتباعه أن يصبحوا في المجتمع

بصورة المفتين، ويرى أن الفتوى أحط أنواع الفقه، بالنص، وهو إنتاج حزب التحرير في بعض مباحثه، حتى في كتابه هذا عندما يأتي للمدنية والحضارة، وهذا كلام لا يهمني، لكن حزب التحرير يهتم كثيرًا بهذه المصطلحات وغيرها، وهو في الثقافة وغيرها يبذل، وهو في النهاية يلف ويدور على ما قاله تقي الدين النبهاني في هذا الباب، وهذا في الحقيقة لا يهم، يعني هذه المصطلحات لا تعنيني كثيرًا، والناس يحاسبون بحسب مصطلحاتهم.

يعني لا يهمني الآن أن يأتي واحدًا يؤلف كتابًا عن ما هو المدلول الحقيقي لكلمة ثقافة، أو لكلمة حضارة، أو كلمة لمدنية، للناس أن يختاروا ما يشاؤون، لكن على المتكلم أن يتكلم بكلام يبينه للآخر من أجل أن يفهمه، وأن يتعامل مع الآخر بمصطلحات يفهمها، فإذا تخالفا اتفقا على مصطلح لهذا المعنى، ويمضي الأمر، على قاعدة لا مشاحة في الاصطلاح.

الذي لم يبينه الشيخ -وهذا من اضطرابه وأخطائه وسرعته في تقريراته-، هذه الأعمال الشركية التي تمارس من قبل الصوفية -وهو يرفض أنها شركية لعدم وجود القاعدة، ويعترف بعد ذلك كما سأبين - خالية عن الاعتقاد، حتى على قاعدته؟ يعني عندما يقال للرجل احلف بالله فيحلف، فيقال له احلف بالسيد البدوي، فلا يحلف، يخاف؟ وأنا في الحقيقة كلما تكلمت كلمة ينشأ في ذهني أمور كثيرة للحديث عنها فلا أدري ماذا أقول، يعني عندما يأتي إلى قضية أن الملائكة بنات الله، هو يقذف بها بسرعة، كيف حدث الشرك في العرب، يقول الشرك حدث فجأة، هل هذا منطق التاريخ يا دكتور أن الشرك حدث فجأة ؟ بمجرد أن عمرو القرشي ذهب إلى الشمال فأحضر نائلة وإيساف، وضعهم وقال: اعبدوهم، فصاروا يعبدونهم من دون الله، واعتقدوا فيهم الربوبية -أو الألوهية كما ستخاصم مخالفيك- هل هذا حدث فجأة، أو أن هذا بالتطور؟

الرجل يقذف هكذا الأمور الكبيرة جدا مما يحتاج في الحقيقة في كل نقطة أن أقف عندها، فهو لم ينصف عندما أنكر وجود رجل ينتسب لمحمد صلى الله عليه وسلم يمكن أن يشرك شرك الربوبية في أعماله النسكية، لا أقول العبادة.. أريد أن أمشي معه، على أساس أن العبادة عنده لا تكون عبادة إلا

باعتقاد الإلهية، هو يرفض كلمة الربوبية، وسنناقشه الآن في هذا .

عندما ينكر وجود هذا البتة، وهو يعلم أن الروافض يكتبون في كتبهم أن أئمتهم يديرون الكون، لهم تصرفات، يتصرفون تصرف الرب، على أي معنى هذا، هذه القضية هو يقول ضروري أن نعلمها، على الرغم أنه ينقضها في قضية توحيد التشريع.

أعود وأقول: الكتاب ضمن سياق ما يظن أنه هدم لهذه الدولة التي يعاديها وهي دولة آل سعود، وأن البناء الذي قام عليه ابن عبد الوهاب هو بناء خطأ، هو أخذ هذا الخطأ من ابن تيمية –غفر الله له– هو هكذا يقول، وهو مرة هنا يميل ومرة هنا يميل أي بالنقض على ابن تيمية، وابن عبد الوهاب، مرة على ابن القيم، ومرة يستشهد بابن القيم، مرة إذا لم يعجبه ابن عباس رده، ومرة إذا أعجبه ووجده على منهاجه قبله دون معالجات علمية تامة.

هذه هي وجهة الكتاب فبالتالي تجد عنده العبارات الشديدة، التقريرات السريعة، والكتاب مليء

هل نناقش الدكتور مثلًا في اختياراته الحديثية، تصور أنه يأتي إلى حديث في صحيح مسلم، ودون أن يعرف طريقة مسلم في صياغته للكتاب، ويقول: "قد أساء مسلم عندما ذكر هذا النص"، لا يدري شيئًا، لماذا أساء؟ لأنه اختار هذا النص كيفية اختيار مسلم لهذا السند، وكيفية مناقشة هذا السند وكيفية صياغة مسلم في كتابه هذا لا يهم، قد أساء مسلم وانتهى، ثم بعد أن يمشي: وقد قررنا أن هذا الحديث لا قيمة له، وانتهى الموضوع، عليك أن تتابعه، هل درسه دراسة حديثية في رجاله؟ الجواب: لا. هل ناقش لماذا هذا الاختيار لهذا اللفظ ولماذا الاختيارات الأخرى هي أقرب للصواب؟ هذا فقط يمر مرورًا سريعًا وفجًّا وغريبت على علم الحديث.

عندما يأتي إلى اللغة، وسنأتي إلى هذه النقطة؛ لأني سأختار نقاط مهمة جدًا في الكتاب وأعلق عليها، وعندما يأتي إلى اختيار لغوي من الأوائل ويقول: وهذا قول منه خطأ، لماذا خطأ؟ لا تدري، وهذا غير صحيح، لماذا غير صحيح؟ وهو يتكلم عن مبدأ لغوي هو الصواب كما سنبين؛ عندما يقول:

والأصل في الرب أنه التربية، ويقول هذا خطأ غير صحيح، الأصل في الرب في لغة العرب أنه الآمر، وليس المربي الذي يقوم بالتربية والعناية مرحلة بعد مرحلة حتى يتم الأمر، هكذا خطأ وانتهى الموضوع وعليك أن توافقه، لماذا؟ لأنه الدكتور المسعري فقط، ولأنه يهدم قضية عند الناس أن هذه الدعوة الوهابية كفرت الناس وغير ذلك.

عندما يأتي إلى قضية تقسيم التوحيد الثلاثي، ويأتي بعبارات تشعر وأنت تقرأ هذه العبارات أن الرجل يلقي بالحجارة فقط دون عناية علمية، وهذا سآتي إليه بالتفصيل إن شاء الله، وهكذا يرد.

أما تخليطات وراوية ابن عباس للأساطير والخرافات، فهذا شيء محتمل، لما يتعلق لفهم ابن عباس للتوحيد، المشكلة ليست في الرواية، المشكلة فيه ليست في تضعيف الرواية ، ولو ضعفها بالطريقة العلمية لربما قبلت، لكنه هنا في هذا الباب نسي أنه يرد على فهم ابن عباس للتوحيد، وما يناقضه من الشرك، المهم أنه يريد أن يثبت أن كلمة اللات لا يجوز أن تشتق إلا من إله فقط، أما غير ذلك فلا يهم، وعندما يأتي إلى قراءة متواترة بتشديد اللاتّ ينفيها هكذا، ولا تسأل.

فالكتاب في الحقيقة في مجمله كتاب غير موفق، وكما أسميه كتاب على طريقة الفطير، ولا يوجد فيه تحقيقات، لا يغرنكم، بعض الناس عندما يحضر صفحة للطبري ويعلق عليها، ويحضر حديث ويعلق، هذه طريقة لمن يعرفها ليست بشيء، هي فقط نقولات يضعها ويعلق بما حضر به القلم دون أن يراعي القواعد العلمية فيما هو في بابه تاريخًا أو لغةً أو أصولًا أو ما شابه ذلك.

عندما يأتي إلى موضوع شرع من قبلنا، هل هو شرع لنا أو لا؟ ، أصلا هو لم يحرر ما هو الشرع الذي عليه خلاف، ثم يأتي في نهاية البحث، يختار كذا، وهذا اختيار كثير من الأصوليين، لا أريد أن أدخل معركة من هو الصواب فيها، ولكن يقول بعد ذلك فيما معناه: أنه لا يجوز لأحد أن يقول خلافًا لما قررته، كأن علم الأصول وقف حتى يأتي فيفصل فيه ولا يقول أحد خلاف ذلك، وهذه العبارة على هذه الطريقة تتكرر في كتابه.

ماذا أقول عن الدكتور؟ العجب العجاب في هذا الكتاب، دعوني أختار نقاط سريعة، وهي مهمة جدا في إثبات خطئه أولًا وفي طريقة تقريراته، أنا سأختار القضايا التالي:

القضية الأولى التي سأختارها وهي: تقسيم التوحيد.

إنه يرفض التقسيم الثلاثي للتوحيد ويتفرع عنها مفهوم الإلهية والربوبية، لأن قضية مهمة، وهو يعتمد على هذه النقطة في كل كتابه، على قضية أن من زعم أن الإلهية هي العبادة، وأنها مأخوذة من التعبد وليست مأخوذة من الخالقية والتصرف والإمداد إلى غير ذلك فيقرر: هذا خطأ، فأنا أبدأ بها.

النقطة الثانية التي سأختارها: هي قضية التفريع، مفهوم الرب والإله.

النقطة الثالثة: هي قضية اشتراط الاعتقاد في شرك النسك.

فأمضي بها إن شاء الله فيما قدّر ويسّر.

قبل كل شيء، ما سأقوله في الرد على مفهوم العبادة هو ما قاله الدكتور حاتم العوني في رسالة له اسمها (العبادة بوابة التوحيد وبوابة التكفير) فهو يشترط هذا الاشتراط الذي سنرى أنه غريب، هذا الاشتراط غريب وإن كان حاضرًا، كاشتراط المرجئة في قضية التكفير، سأبين هذا بالتفصيل إن شاء الله، فما سأقوله في شرط الاعتقاد في المدعو والمستغاث به والمذبوح له وغير ذلك، أن اشتراط معنى الرب فيه أو معنى الإله، سأبين هذا.

دعوننا نمشي واحدة واحدة، يقرر الدكتور في كتابه التالي:

يقول، وسأضطر أحيانًا إلى قراءة العبارات بنصها، لأنها إن شاء الله فيها الدلالة- في صفحة ١٩ يقول: فالشهادة لها إذًا ركنان، الأول نفي الألوهية.

وطبعًا كلمة الألوهية عند الدكتور، ليست هي المستقرة عندكم، فالألوهية عندنا هي العبادة، والألوهية عنده هي الربوبية، يعني إثبات الاعتقاد، هو ينفي أن تكون الألوهية بالمعنى الذي عليه كلام صاحب

تاج العروس في شرح القاموس، حتى الزبيدي الإمام البحر اللغوي يقرر خلاف تقريراته، ومع ذلك هو لا يهتم له ولا يقيم له شأنا، ولا يأتي عليه على كل حال.

يقول: الأول نفي الألوهية كلها عن غير الله كلها نفيّا باتّا قاطعًا مطلقًا.

والألوهية عنده هي الربوبية

فلا بد أولًا من الكفر بكل معبود أي كل إله أو كل رب إلا الله والبراءة منه ورفضه.

هذه العبارة لو لم تعرف أنت ما يريده الدكتور في كتابه لظننت أنك توافقه، لأن فيها نفي الإلهية يعني نفي القصد والإرادة، ونفي المعرفة والإثبات، هذا المقصود، لكن لا، هو يرى أن الإلهية التي تنفى هي نفي المعرفة والإثبات فقط، وليس القصد والإرادة بالمفهوم الذي يشرحه أهله واضعو هذا التقسيم الثنائي.

الثاني: إثبات كافة خصائص الألوهية وصفات الكمال والجمال والجلال لله تعالى بما في ذلك من أفعال الخلق والتكوين، والتصرف، والتدبير، والنفع والضر، والأمر والنهي، وكذلك العلم والمشيئة والتقدير لله وحده لا شريك له.

عنده الإلهية هي إثبات أفعال الرب لله وحده، وإثبات الأمر والنهي فقط، أما أن تكون هناك أعمال نسكية تصرف من غير اعتقاد، من غير اعتقاد هذه أصلا عليها كلام، لكن من غير شرط معرفة الاعتقاد أو التحقق منه، إذا صرفت فهذه لا تكون عبادة عنده، أي أعمال نسكية ما لم يصاحبها اعتقاد في المربوب بشرط معرفتك له ولو زعمه عند حينئذ هذه لا تسمى عبادة.

في صفحة ١٩ يقول: لا معبود بحق إلا الله، وغير الله إن عبد فباطل. قال: لا أحد يستحق أن يُحب، ويُعظم، ويُقدس ويُتذلل له، ويُخضع لأمره، ويُطاع لذاته من صفات الكمال ولما له من قدرة ذاتية مستقلة على الضر والنفع إلا الله.

أنا ما زلت في قضية توحيد الربوبية والألوهية قبل أن آتي إلى قضية النسك عنده.

قد يأتيني خلال الكلام كلمات أعلق عليها، لكن أبقى ضمن السياق في الرد على أصول كلامه.

يعني مثلًا عنده ما هو العمل الروحي؟ هي عبارة جديدة، ولكن الإحسان والعمل القلبي وارتقاؤه ليس فقط في وعيك أنك تعمل لله، هذه عبارة حزب التحرير، بل هذه عبارة تقي الدين بنفسه، أخذها منه في هذا الكتاب، ويقول أن العمل الروحي هو فقط أن تقوم بالعمل مع وعيك أنك تقوم به لله، وأما الرقي الروحي فلا وجود له، طبعا هذا نفي لحقيقة الترقي في مدارج العبودية لله، أين الحب، أين الخوف، أين الإخبات، لو أن رجلًا وعى أنه يصلي لله، أو يقرأ القرآن لله، عنده هنا خاتمة العمل الروحي انتهى، أنا أسأله: ما الفرق بين رجلٍ قرأ القرآن فبكى، ورجل قرأ القرآن فلم يبكِ؟ قرأه عابدا لله، أراد وجه الله، وأراد من هذه القراءة تحصيل الأجر، واعتقد أن هذا القرآن هو كلام الله.

للذكر، الهوامش ستكون كثيرة للأسف، الدكتور المسعري لا يعنيه إن كان يكون القرآن كلام الله مخلوقًا أو غير مخلوق، لا أريد أن أقول أنه يعتقد أنه مخلوق، أنا لا يهمني، ربما بعض الناس يثبتها، هو يعتقد أن هذه الخصومة لا قيمة لها، ويعتقد أن الإمام أحمد –بلفظه– لم يفهم كلام المعتزلة، وهو رجل محدث ليس له خبرة عقلية فيما يقال، هذه عبارته، الإمام أحمد يجهل مفهوم كلام المعتزلة لما قالوا: القرآن كلام، ورد عليهم بما يجهل، والإمام أحمد أصلًا رجل ذو قدر قليل من العقل.

هل يؤمن أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق؟، هذه قضية أخرى، أنا لم أسمعها منه، ولا أعرفها في كتبه، وقد جاء ببعض العبارات في هذا الكتاب وهرب منها، ولكنه لا يعنيه، عبارته مني لي: هذا لا يعنيني، ليس شيئا مهما.

السؤال الذي يوجه لمفهوم العمل الروحي: ما الذي يفترق به من قرأ القرآن فبكى ورجل قرأ ولم يبكِ مع نفس الاعتقاد والنية؟

الفارق بينهما هو درجة قرب الرجل من الله، درجة تحقق تعبد قلبه لله حبا، خوفًا، رغبةً، وهذا الذي

يسميه العلماء الترقية الروحية، وليس مجرد الوعي، كلمة الوعي هي مرتبة واحدة، وعيك على أنك تريد العمل لله هذه مرتبة واحدة، وعيك على أن هذا كلام الله هذه مرتبة واحدة، إما أنك تؤمن أو أنك تكفر.

لكن هناك مراتب في هذا الاعتقاد بعد درجة الوعي عليها على نيتك وعلى المتعبد به وهي التي يترقى بها المرء حينئذ يقال له: تربى روحيًا، لا تقي الدين ولا الدكتور المسعري يقيم لها شأنًا في هذا

أنا آسف هذه قضية هامشية، لكن فقط لتروا الطريقة الغريبة التي يأتي بها الشيخ.

سامحونا، نضطر أن نقرأ، عندما يأتي شيء مهم يكشف الحقيقة لا بد أن نتطرق إليها

في صفحة ٦٥: ولكن الأكثرية

هذا عندما يأتي إلى كلمة الرب والإله- هذه نقطة مهمة سآتي إليها، انظر ماذا يقول: ولكن الأكثرية من المفسرين للأسف الشديد على تقليد ابن عباس في تفسيره للفظ المهيمن الشهيد، وهذا عيب التفكير والتكاسل عن الاجتهاد والتفكير المستقل.

المشكلة هنا أننا أمام عربي قُحّ، يُفسر كلمة لغوية. وهذا من جهله، يعني لو قرأ كيف يفسر العربي الكلام، هذا كلام رجل لا يعرف في علم التفسير شيئًا، ولو قرأ -والله على ما أقول شهيد- المسعري فقط مقدمة التفسير لابن تيمية لما قال هذا الكلام، لأن تفسير الشيء بلازمه، أو تفسير الشيء ببعض معانيه هذا من طريقة المفسرين، فابن عباس يعرف أن معنى المهيمن المسيطر أي الذي يحكم، ولكن الذي يحكم لا بد أن يكون شهيدًا عليه، وأراد المهيمن عليه أي شاهدًا لما فيها من الحق، وشاهدًا على ما فيها من الباطل، فهو الشهيد الذي يحكم

عندما يأتي الشاهد ليشهد شهادة يقول أنا رأيت فلانًا فعل، وفلان كان جالسًا ولم يفعل، هذا حَكَم، هل كلمة الشهيد فيها معنى المهيمن أي معنى الحاكم.

ثم يقول: وقد تابع المفسرون ابن عباس، انظر للعبارة لتروا كيف يستطرد كأنه جالس في مصطبة يتكلم عن ابن عباس في تقرير اللغة، وإذا كان ابن عباس لا تؤخذ منه اللغة فممن تؤخذ، لكن ليس الباب هو عدم معرفة ابن عباس، لكن في رده لما لا يستوعب، ورده في قضية لغوية لا يعرف كيفية بنائها، وهذا سنجده جليًّا في كلمة الرب، أنه لم يعرف، وأنا شرحت هذا في التفسير لكن سأعود إليه الآن.

أعيد العبارة: لكن الأكثرية من المفسرين للأسف الشديد على تقليد ابن عباس.

تتابع المفسرين أصحاب اللغة الأقحاح كلهم أخطئوا.

كلمة تقليد ابن عباس هذه تحتاج إلى جلد، لأن رواية اللغة ليست تقليدًا، هاتوا أئمة اللغة كلهم، لما يأتي لُغوي -ابن عباس ومن معه من الصحابة والتابعين- ويقول هذه معناها كذا، فهذا لا يسمى تقليدًا، الأخذ بالرواية ليس تقليدًا، وهذه تحتاج إلى جلد، لتعرفوا أنه لا يفرق بين التقليد وهو أخذ قول الغير بلا دليل، ومتابعة الدليل نفسه، أخذك بكلام لغوي راوٍ لمعنى كلمة هذا متابعة للدليل، وليس متابعة لقول رجل بلا دليل، فعندما يقال لك: العرب تقول كذا، فالأخذ بذلك لا يعد تقليدًا، لا بأس.

هذا لتروا صعوبة ما أنا فيه الآن، لو أننا مسكنا الكتاب جملة جملة، لاحتجنا شهورًا للرد على الدكتور.

ولكن الأكثرية من المفسرين للأسف الشهيد على تقليد ابن عباس في تفسيره للفظ المهيمن (أي: بالشهيد) وهذا عيب التقليد والتكاسل والتفكير المستقل.

والله أنا لا أدري في اللغة كيف يجتهد يا شيخ.

يقول عن التقسيمة الثلاثية: الربوبية، والألوهية، الأسماء والصفات، يقول: هذه قسمة غير منضبطة.

لما يأتي في صفحة ٢٧٣، وهذه الصفحة من الأمور التي وضعتها أمامي لأقرأها كلها ما قبلها وما

بعدها لأهميتها، لتروا التقسيم المنضبط !

والمنضبط على قاعدة التعريف: أن يكون جامعًا مانعًا، والمانع أي: أن التقسيمات لا تتداخل، فالغير منضبط هو ما تتداخل فيه التقسيمات أو يخرج منها إلى غيرها.

لما يأتي حضرته إلى تقسيم الشرك العملي ويقول: والشرك العملي عادةً لا يخرج من الملة. انظر إلى كلمة عادةً، فهل هذا تقسيم منضبط، لأنه يضع في ذهنه من يرد عليه، فيخرج نفسه، كأن هناك شرك يخرج منه عادة، وشرك لا يخرج منه عادة وهو شرك.

والحقيقة أتعبنا المسعري لكثرة ما له من خروق، يعني أنت عندما تأتي إلى شيء ذي خرقين أو ثلاثة تستطيع الملاحقة، ولكن الكتاب متهالك، ليس فيه إلا خطوط للأسف، ويقول لك: رقعه.. إيش بدنا نرقع فيه.

يقول: هذه قسمة غير منضبطة لتداخل أقسامها ولا حاصرة لخروج أصناف مهمة من التوحيد منها.

أنا أقول: بحثت في كتابة كله عن كيفية وجود شرك خرج عن هذه الأصناف الثلاثة فلم أجد، أطلقه وانتهى الموضوع، لا تسأل عن الأدلة، لم يقم الأدلة على هذه الكلمة التي تصلح أن تكون مغارة للبحث، ومنجما للكلام؛ ولكن لم يحدث هذا قط، هذه كلمة سنبين ما جرى فيها، ولا أدري ماذا سنبين الليلة!!

يقول: هذه قسمة غير منضبطة لتداخل أقسامها (توحيد الربوبية، الألوهية، الأسماء والصفات) ولا حاصرة لخروج أصناف مهمة من التوحيد منها. فقط هذه التي يناقشها. قال: وهي منكوسة. هذه حقيقة هو يناقشها على طريقته مناقشة فاسدة وباطلة كما سأبين، أما الأولى والثانية فلا يناقش فيها كلمة، يعني أنا عجبت، أنا بحثت عن توحيد لا يدخل في هذه الأقسام الثلاثة فلم أجد.

يقول: وهي منكوسة (هذه هي التي أراد منها الكتاب كلها) حيث يتم تقديم الربوبية (الربوبية عنده) على الألوهية، وهي مغلوطة لعدم تطابق (هذه مصيبة وطامة) محتوى كل قسم مع المعنى اللغوي للفظ

المستخدم للتعبير عنه. منكوسة لأنها وضعت الربوبية قبل الألوهية، ومغلوطة لأنها استخدمت الكلمة في غير محلها، يعني كلمة الرب عنده يجب أن تكون بمعنى المعبود، وكلمة الإله بمعنى المتصرف والخالق إلى غير ذلك.

يقول: فضلًا لما يترتب عليها من إشكالات لا تنحصر. ما شاء الله!! هذه كلمة كبيرة لا يوجد لها شرح في كتابه، الكلام اليوم ليس عليه حساب. يقول: لذلك قررنا هجرها.

طبعا أول من أوجد هذا التقسيم عنده هو ابن تيمية، وهذا سأبين خطأه، فهذا التقسيم الثلاثي قبل ابن تيمية.

والشيء الثاني يقول أن ابن القيم لم يعجبه هذا التقسيم ووجده غير جيّد، لذلك هجره إلى التقسيم الثنائي الذي هو عليه، تراجع ابن القيم قال أو لم يقل هذا ليس مهمًا، وطبعًا هذا غير صحيح، ابن القيم يستخدم التقسيم الثنائي والثلاثي، بل ابن تيمية يستخدم التقسيم الثنائي والثلاثي، لأنها عند من يفهم وعنده أبجدية هذا العلم في قضية هذا المصطلح الذي هو قائم على الاستقراء عند أهل العلم، أنه لا فرق بين التقسيم الثنائي والثلاثي، والعلماء شرحوا هذا.

وطبعًا الدكتور يُكثِّر الكلام، يحضر كلام هيئة كبار العلماء، وكلام ابن عثيمين، تكثير كلام لا قيمة له، وأنا عندي رد عليه، رغم أنه لم ينصف ولم يعدل حتى مع ابن عثيمين، يعني هو أحضر فتوى يقول فيها أن توحيد الحاكمية هو جزء من توحيد الألوهية، لكن ابن عثيمين في موطن آخر قال هو يدخل في القسمين أي يدخل في الألوهية ويدخل في الربوبية، لأنه حق التشريع له كرب، وحقه على عباده أن يطيعوه، فهو داخل في الألوهية والربوبية بحسب التقسيم.. أنا أتكلم عما في الكتاب ولا أدري إذا صُلّح الكتاب أو نبّه إذا كان هناك من يقرأ وينبه.

وسأتجاوز عن كلامه بأن كلمة إله ليست اسم جنس، ليس هناك أئمة لغة يقولون ذلك، يقول: كلمة إله هي اسم لله وخاصة به وليست اسم جنس، هو يأتي بعد ذلك إلى قوله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ

إِلَٰهَهُ هَوَاهُ} دلَّ على أن إله اسم جنس، المعنى أنه يمكن للرجل أن يتخذ إلها غير الله عز وجل، فجعل القرآن المطاع إلهًا، فأجاز إطلاقها على من عبد غير الله وأطاعه، إذًا هي ليست اسم خاصة بالله، يعني لا يجوز أن نقول "اتخذ الله إلهه"، فالله اسم علم، دال على الذات الإلهية الربانية التي تدل على الواحد الأحد الفرد الصمد، فالله نعم دالة، لكن إله يدخل فيها المحق والمبطل، فكل من عبد من دون الله هو إله.

قبل كل شيء، دعونا نأتي إلى التقسيم، صفحة ١٤٢ يعود إليها ويقول: على كل حال سوف نتجنب استخدام القسمة الثلاثية لأن شأنها أصبح ملتبسًا لا يعرف بدقة ما المقصود به، أهو القسم الأول توحيد العلم والاعتقاد، وهو على التحقيق توحيد الألوهية والربوبية.

هذه تتلاءم مع ما وصل إليه من نتائج.

أولًا هذا التقسيم الذي زعم أن ابن تيمية أتى به، في الحقيقة لا، قبل ابن تيمية يوجد من قال به.

سامحوني فأنا هنا في طور العرض، ولو أردت أن أكتب كتابا فربما احتجت شهورا للرد عليه. عندنا نص واضح وبيّن. لتروا أن هذا كان موجودًا عند الأوائل، كونهم لم يذكرونه على صفة التقسيم شيء آخر، ولكنه موجود، يقول ابن بطة العكبري في كتابة (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية): وذلك أن أصل الإيمان بالله (أنا أريد أن أبين أن هذا ليس اختراع من ابن تيمية) الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء (وهذه رد عليه في قضية الرب والإله.. انتبهوا!! ما عنده مشكلة ابن بطة غلطان! ابن عباس غلطان في تفسير كلمة! ابن عباس عنده غلطان في فهم التوحيد وفهم الشرك وليس في الرواية) أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته، ليكون بذلك مباينًا لأهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعا. (ما هو الرب عنده؟ هو إثبات الصانع)، والثاني أن يعتقد وحدانيته ليكون مباينًا بذلك أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره، (التقسيم هذا: أولا توحيد الصانع، ثانيا توحيد العابد؛ جعل إثبات الصانع وغير ذلك من صفاته التي يقابلها التعطيل، جعلها توحيدًا خاصا، وأما العابد فهو توحيد آخر) والثالث أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفا بها من

العلم والقدرة والحكمة، وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

ابن تيمية إذًا ليس مبتدعًا فهو لم يأت بهذا التصنيف من عنده، أما من بعد ابن تيمية ممن أقروه من غير منهج ابن تيمية، هناك المدرسة التيمية سموها كما شئتم، وهناك مدرسة فقهية أصلًا كانت تنظر إلى كلام ابن تيمية أنه كلام عالم يؤخذ منه، ليس على اعتبار مذهب المعاصرين سلفي وغير سلفي، هو عالم يردون عليه ويقبلون منه.

الزَّبيدي –نسبة إلى زَبيد وليس الزُّبيدي نسبة إلى زبيدة– في تاج العروس، وهذا ليس إقرارا لابن تيمية ولكن إقرار لما نطق به أهل العلم في قضية التقسيم، يقول الزبيدي في (تاج العروس من جواهر شرح القاموس) وهذا كتاب لغة، لأن القاموس المحيط سموه القاموس يعني المعجم، وأجلّ كتب الزبيدي هو شرحه للقاموس، وشرحه لإحياء علوم الدين.

هذا لغويّ.. أنا لا يهمني هنا أنه يقسم، ما يهمني هو أن الربوبية عندهم ما قاله ابن تيمية وليس ما يقوله الدكتور، أنا لم أرى أحدًا وأنا في الحقيقة أتكلم عن نفسي لم أرَ أحدًا قبل الدكتور المسعري يقول أن الربوبية هي الألوهية بالمفهوم الذي يخالفه، ولم أرَ عالمًا يقول هذا، بل إن مشايخ اللغة يقررون أن جذر كلمة إله تختلف عن جذر كلمة الرب، ومن كلامه هو لكن كيف فهمه، هنا الخطأ.

يقول الزبيدي في شرح القاموس: التوحيد توحيدان. هذا رجل لغوي، ليس له دخل في ابن تيمية وليس من تلاميذه، ولم يعد يوما من مدرسته. يقول: التوحيد توحيدان توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية، فصاحب توحيد الربانية يشهد قوميّة الرب فوق عرشه، يدبر أمر عباده وحده، فلا خالق، ولا رازق، ولا معطي ولا مانع ولا مميت ولا مدبر لأمر المملكة ظاهرًا وباطنًا غيره، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا تتحرك ذرة إلا بإذنه، ولا يجوز يحدث حادث إلا بمشيئته، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وقد أحصاها علمه، وأحاطت بها قدرته، ونفذت فيها مشيئته، واقتضتها حكمته.

هذا الكلام قد يكون أخذه بنصه من ابن القيم، لكن أنا ما يهمني هو رجل لغة يقر أن الرب ليست هي العبادة، ليست هي فعل العابد لربه وإنما هي فعل الرب في خلقه، الرب هو فعل الرب لا فعل العابد، الإلهية هي فعل العبد، لأن مبناها على التأله على العبادة.

وأما توحيد الإلهية فهو أن يجمع همته وقلبه وعزمه وإرادته وحركاته على أداء حقه، والقيام بعبوديته.. إلخ.

هذه بقية كلامه، وأظن أنه أخذه من مدارج السالكين.

النقطة الثانية هو يقول أن ابن القيم ربما أدرك أن شيخه أتى بكلام جديد ومختلف، وبالتالي اختار القسمة الثلاثية. وللذكر: ابن تيمية يختار مرة القسمة الثنائية، ومرة القسمة الثلاثية، ولا فرق بين القسمة الثنائية والثلاثية، والقسمة الثلاثية ليس ما قاله فيها.

في الفتاوى الكبرى في المجلد الخامس: التوحيد في النوعين، يتكلم عن توحيد الربوبية والإلهية، لكن هنا في المجلد الخامس عشر من مجموع الفتاوى يقول: وبيان التوحيد العلمي القولي، (هو الذي يختاره، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في أنه يختار التوحيد إما الثنائي أو الثلاثي) المذكور في قوله **{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}** والتوحيد القصدي العملي المذكور في قوله **{قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}**.

توحيد القسمين نقلهما الدكتور، حتى لا تستغربوا أن هذا قاله ابن تيمية لأنه يفهم، قاله بعد أن سماه من قبل توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، توحيد القول العملي وتوحيد القصد الإرادي هذه هي التي قالها ابن القيم واختارها الدكتور وجعلها أصوب، هذه قالها ابن تيمية قبل ابن القيّم، يعني لم يغالط شيخه، بل تابعه.

ابن تيمية في هذه العبارة يجعل توحيد القصدي العملي هو توحيد الإلهية، وتوحيد الإثبات المعرفي هو توحيد الربوبية، هو لا يرى فرقًا، هذا التقسيم لا يوجد أحد من أهل العلم يمكن أن يخالف فيه بعد أن يستوعب المعنى من الاثنين.

يقول: وذلك يتعلق بتوحيد الألوهية لله وتوحيده وامتناع الشرك، وفساد السماوات والأرض بتقدير إله غيره، والفرق بين الشرك في الربوبية والشرك في الألوهية. في هذا النص مرة يستخدم هذه العبارة ومرة هذه العبارة ولا يرى بينهما فرقًا.

يقول: وفي قول المكروب لا إله إلا أنت، قد يستحضر في ذلك أحد النوعين دون آخر، فمن أتم الله عليه النعمة، استحضر التوحيد في النوعين، فإن المكروب همته منصرفة إلى دفع ضره وجلب نفعه، فقد يقول لا إله إلا الله مستشعرًا أنه لا يكشف الضر غيرك، ولا يأتي بالنعمة إلا أنت فهذا مستحضر توحيد الربوبية، ومستحضر توحيد السؤال والطلب، ما دام أنه أقر له.. فهو يسأله وحده.

ابن القيم الذي هجر التوحيد الثلاثي يقول به، يعني مرة يستخدم هذا ومرة ذاك، ليس هجرًا كما يقول، عبارات كبيرة الله يسترنا في هذا الزمان،

هذا استخدام ابن القيم توحيد الربوبية والألوهية، لم يهجر ما قاله شيخه. في إغاثة اللهفان المجلد الأول، يقول: أما توحيد الربوبية أقر به المسلم والكافر، وقرره أهل الكلام في كتبهم، فلا يكفي وحده بل هو الحجة عليهم، كما بين ذلك سبحانه في كتابه في عدة مواطن... إلخ.

هو يستخدم هذا وهذا، ولا يرى بينهما تعارضًا، يكفي هذا.

نأتي إلى كلمة الربوبية والألوهية، وهذه أساس الكتاب، يرى الدكتور أن كلمة "الربّ" أصل وضعها عند العربي هو: الذي يأمر وينهى، وغيرها من المعاني التي تذكر في المعاجم إنما هي تبعٌ لأنه الآمر الناهي.

وكلمة "الإله" هو الذي له خصائص الفاعل، الذي اختص بها وحده، هذا ما يقرره. يعني اقلبوا ما تعرفونه من إله ورب تصيبوا، هذا ما يقوله: اقلب تُصِب.

وهو يقول تقديم توحيد الربوبية على توحيد الألوهية تنكيس لما استقرت عليه الكلمة في أصل وضعها.

هذه ستؤدي بنا إلى مفهوم كلمة العبادة، أنا سأحضر كلامه هو، لن أذهب إلى أهل اللغة، بل ما نقله هو وفهمه على منهجه، يقول: قال ابن الآنباري كما في اللسان –أي: نقلها من لسان العرب–: الرب ينقسم إلى ثلاثة أقسام، يكون الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع، قال تعالى: **{فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا}**، ويكون الرب المصلح، رب الشيء إذا أصلحه.

نأتي إلى عبارة أخرى: يقول أبو منصور: والرب يطلق في اللغة على المالك والسيد والمدبر والمربي والمتمم.

هذا المعاني التي ذكرناها مجمع عليها، الرب هو المالك المتصرف، السيد المطاع، الخالق الرازق.. هذه معاني الرب عندهم، هكذا يقول.

أحد أئمة اللغة يقول: والأصل (انتبه! هذه المهمة عندي، وأنا لا أريد كلامه الآن، أنا لم أكتبه لأني لا أريد الاعتماد عليه، ولكنه مهم) في كلمة الرب من التربية، وهو الذي ربى الشيء وأصلحه حتى تمّ وكمل.

أيها الأخوة الأحبة، واحد وجد هذه الترتيبات.. نرتبها سويا، وهذا شرحته في التفسير ولكن هذا موطنه كذلك.

أحدهم وجد أن كلمة الرب أصلها من التربية، ووجدها تطلق على المالك وعلى الآمر الناهي وعلى الموجد. في واقع الأمر ما هو الأصل؟، ما الذي جعله يأمر وينهى؟ أنه مالك. ما الذي أعطاه حق السيادة في الأمر والنهي؟ لو لم يكن مالكًا لما جاز له الأمر، وإذا جاز أمره على غير من ساد وملكه فيكون على جهة الوعظ وليس على جهة الاستعلاء.

في اللغة ماذا يقابل الرب؟ يقابله العبد، لأنه يملكه، هذا سيد مالك رب، وهذا عابد عبد، فالله معبود لأنه ملَك، فلما ملك له حق الأمر. استحق الأمر لأنه مالك، فبم استحق الملك؟ لأنه أوجده، إذًا ما هو أصل كلمة الرب؟ هل هو السيد المطاع كما يستخدمه العربي أو أنه هو الذي أوجد؟.

ومن هنا فكلمة الرب يجوز لما كانت على هذا المعنى إطلاقها على غير لله، وكلمة الإله إذا أطلقت على غير الله لم تجز إلا على معنى الذم والبطلان.

يعني هل يجوز في اللغة العربية أن يقال على المالك مطلقا مالك، الملك الجزئي في البشر يقال له رب، {فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا} لأنه يأمره الأمر الذي به يطاع، أو لأنه سيّده يملكه.

وفي الحديث الصحيح النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من رب هذه الدابّة؟"، فكلمة الرب يجوز أن تطلق على غيره سبحانه، لكن أعطني حالة واحدة يجوز أن تطلق كلمة الإله على غير الله، لا يجوز إلا أن تكون على معنى الذم وأنه فعل فعلًا موحشًا، بخلاف أن يكون ربًّا لشيء يملكه.

إذًا الذي أعطى الحالة النهائية التي يزعم أنها هي الأصل، هي في الحقيقة نسيانه أصل هذه القوة قوة الأمر والنهي التي سبيلها الملك والسلطان، والتي لم تقع على وجه من معاني العبودية إلا لأنه خلق.

إذا كلمة الربوبية أخذت من الرب، فالأصل ليس كما قال إنه المعبود، وإنما هي في كلام أهل اللغة كما تبين وفي أصلها هي فعل الله عز وجل، هو الذي خلق، وبالتالي هو المالك، وبالتالي هو الآمر الناهي والسيد المطاع جل في علاه.

هذه كلمة الربوبية في أصلها، الآن تعال إلى كلمة (إله):

نرجع إلى أهل اللغة: الإله هو المعبود، هو المحبوب، هو السيّد المطاع، إذًا لما تطيع الله عز وجل لما تمتثل أمره لما تعبده حق عبادته في نسبة ما له من حق وفيما آمرك به من طاعة فحينئذ أنت تألهت ربك، أي عبدته.

لم يأت الدكتور على (سبّحنا واسترجعنا من تألُّهِ) لأنها عند أهل اللغة حجة، فهي لرؤبة بن العجاج وهو استخدم معنى تأله بمعنى التعبد.

ليس كلامنا الآن عن معنى التعبد الذي سيأتي في كلامه، الآن نقرر أن كلمة إله بمعنى معبود،

والدكتور ينسى في بداية كلامه أن معنى لا إله إلا الله= لا معبود بحقٍ إلا الله، فكلمة إله في أصلها تطلق على المعبود، أما اشتراط الاعتقاد وغير الاعتقاد فهذا يأتي.

انتهينا إلى أن الربوبية هي التي استلزمت -الربوبية في اللغة، نحن لا نتكلم عن اجتهاد، هؤلاء الذين قرأنا لهم ولولا ضيق الوقت لأحضرت كثيرًا مما قاله أهل العلم عن معنى كلمة الرب، ولا تخرج في كلام أحد من أهل العلم عما قلته لكم.

أما استخدام كلمة الرب في القرآن بمعنى الإله، لا أريد أن آتي عليه، فقد شرحته في التفسير، ذلك لأن من لوازم -وهذا يقرره العلماء- أن يكون ربا ألا يعبد إلا هو. ما الذي أنشأ حق التأله له وحده؟ الذي أنشأ حق الألوهية هو أنه رب سبحانه وتعالى.

الوقت يضيق، نرجع إلى التقسيم وأثبتنا أنه غير منكوس واللغة تقتضي ذلك.

أما أنه غير حاصر، فأعطيكم قاعدة: التقسيم كلما زاد ازداد ضبطا، يعني من أجل التفصيل، التفصيل من أجل أن ينبه الآخر: قد يفوتك هذا المعنى فأنبهك عليه، عندما ترى التعدد في الأمر والتفصيل فهذا دليل على أنه يريد أن يشرح، وأن يدخل في الأمر ما يظن أنك لا تدخله.

لما يأتي ابن بطة وغيره سواء من كان قبل ابن تيمية أو من جاء بعده، لما يأتي ويقول: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، توحيد الأسماء والصفات. لماذا توحيد الأسماء والصفات؟ في الحقيقة توحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية، لكن لماذا ينشأ هذا الكلام؟ من أجل التفصيل، يقول: ربما يفوتك هذا المعنى فأنا أضعه أمامك.

هو بالطبع ينفي توحيد الأسماء والصفات، وله عجائب في هذا، يلو أردت الآن في هذا الدرس أن أقيم على أهمية أن يذكر توحيد الأسماء والصفات عند نشوء بدعة التعطيل، وعند نشوء بدعة التأويل، فأن يذكر هذا التوحيد على وجه الخصوص للتنبيه والاهتمام فهذا يطول.

نأتي إلى توحيد الإلهية الذ يجعل منه توحيد الحاكمية، ويقول أن توحيد الألوهية، يعني أن تعبد الله، ما

زلت في هذه المرحلة أقول: أريد أن أؤجل الحديث عن قضية اشتراط الاعتقاد، لأنها في الحقيقة تحتاج إلى وقفات، ليس إنكارًا لها، بل هي متابعة لما أوجبه على نفسه الدكتور وغيره، وأنا ممن يقول أنه لا يتصور انتقاض توحيد الإلهية إلا وقد انتقض توحيد الربوبية قبل ذلك، وهذا ليس قولي، وإنما قول من تكلم فيها عالما بما يتكلم.

باختصار: عندما يأتي الدكتور إلى توحيد التشريع -الأمر والنهي- هو يتصور أن الرب هو الذي يطاع، جيد هذا كلام طيب، والرب هو المعبود، والعبادة لا تكون إلا باشتراط اعتقاد صفات الربوبية في هذا المعبود. لماذا أخلى الدكتور هذا الشرط عند توحيد التشريع، بمعنى، لو أن رجلًا قال: أنا أعتقد وأقول بأنه لا يتصرف في الكون إلا الله، وأن الملائكة هم عبيد لله وليس فيهم من صفات الربوبية والإلهية من شيء، وأعتقد أن الله قادر على كل شيء ولا يحتاج لأحد في إدارة ملكه، وأعتقد بأن الله له حق الأمر والنهي، ومع ذلك ذهب هذا الرجل فشرع تشريعًا على خلاف الشرع مع علمه به -كما يحتج المرجئة في هؤلاء المشرعين- ما الأمر عندك يا دكتور؟ عنده مشرك لأنه لا يشترط الاعتقاد، فأنت عندنا عظمت شيئا وهو الأمر والنهي على قضايا النسك لم تشترط ما اشترطته في النسك، لأن النسك يخالفك فيه غيرك ولا تراه صائبًا، لكنك تقيم لتوحيد الأمر والنهي الشأن الأكبر فلم تشترط له الاشتراط، ولو اشترطت لاعتقدت أنك مبطل، لأنك لا تستطيع أن تكفر حاكمًا (مسلما) في هذا الزمان، لأن هؤلاء الحكام لا يوجد منهم أحد يقول -والكلام على القول والكلام على ما يظهِر- لا تستطيع أن تقول أن واحدا منهم يعتقد أن في هذا المشرع (البرلمان أو الملك) فيه صفات الربوبية أو الألوهية، اختر ما شئت الكلام معك، لا يوجد أحد، لا يوجد أحد يقول فيه: هذا متولد من الله، ولا أنه يستطيع أن يختبئ من الله كما هو شأن من يزعم من الجن، أو هذا ليس فيه صفات الرب والقدرة على التصرف، أو أن الله قد احتاجه، لا يقول هذا، يقول أنا مسلم أعتقد بكل ما في هذا القرآن، وأنه لا إله إلا الله، فلماذا لا تشترط هنا؟

وهذا الأمر مع أن الأصل في الكلام فيه ليس على الطريقة التي بحثها، ولا على طريقة بعضهم فيمن

يظن أنه يمكن للرجل أن يتم له توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، ومع ذلك يشرك في الألوهية.. هذه كذلك لا تتصور.

يقول، وهذه من كلامه: ما الفرق أن يقول الرجل لهبل: أنا مكروب فاشفني أو أنقذني، أو يقول الرجل لصاحبه: أنا مكروب فأنقذني؟

يقول: هذه عبادة وهذه غير العبادة، لماذا؟ قال: لقرائن الأحوال، قرائن الأحوال جعلتها سببًا لأن هذا يتأله، لأن هناك أعمالًا هي في واقع الأمر تنقض ما أمر الله عز وجل به العبد تجاه ربه، على أي معنى كان، ليس بمجرد اعتقاد وجود صفات التصرف والإلهية والربوبية، لأنها تنقض التعظيم الذي أمر الله به.

سابّ لله عز وجل بم كفر وبم أشرك؟ نقض أساس التعظيم، ولا علاقة له بالاعتقاد.

لو قال قائل: أول كفر في الوجود هو كفر إبليس، بم كفر؟ برد الأمر، ولم يُسأل عن الاعتقاد، نعم قال أنا خير منه فناقشه في القضية، لكن السؤال في الاعتقاد عند إبليس من الذي خلق إبليس من النار خيرًا من آدم؟ هل يعتقد بأن له تصرّف؟

لم ينصف المؤلف في وصف من أشرك ممن انتسب إلى الإسلام، لا رافضة ولا صوفية، لم ينصفهم؛ لأن واقع الأمر وصل فيهم من التعظيم الذي أظهرته (قرينة الحال) أنهم يعتقدون فيهم صفات الربوبية.

واحدٌ في البحر في وسط الأمواج يقول: يا فلان أنقذني، ماذا نقول له؟ نحن نقول: أشرك في الإلهية، عبد غير الله، دعا غير الله، والدعاء في القرآن **{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ}** فسمى الدعاء عبادة، وفي الحديث الصحيح: "**الدعاء هو العبادة**"، فهذا الذي دعا هذا الميت.. أحمد البدوي أو الدسوقي أو الرفاعي.. هل تريد أن تقول لي: هو لا فيه يعتقد صفات الربوبية؟ يقول الصوفية ويقول المخالفون: نعم، الله أعطاه، يعني أن الله تنازل عن بعض صلاحياته؟! هذا الذي تريد أن تقوله، ليس دورك أن تفسر الشرك الذي سماه الإسلام شركًا، المشكلة أنكم ذهبتم إلى ما فسر

به القرآن الشرك، فجعلتموه شرطًا، الله يقول: **{مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}** ثم فسّر: **{ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}**، هذا تفسير، وأنتم جعلتموه شرطا. قال لكم العلماء في توحيد الأمر والنهي: لا تشترطوا وقد سماه الله شركًا، لأن هذا سبيل المشركين عندما قال الله: **{مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ}** نحن لسنا مشركين.

الدكتور ظلم النصارى ظلمًا كبيرًا في كتابه، وزعم أن النصارى لهم مذهب واحد في قضية اعتقاد أن الثلاث أقانيم على مرتبة واحدة من القدرة والربوبية، بمعنى الأب هو واحد ذات كاملة في ربوبيته وألوهيته، من يقول هذا؟ الأرثوذوكس، الكاثوليك والبروتستانت لا يقولون بهذا، والأرثوذوكس يقولون ب أن الآب والابن وروح القدس -ما هو روح القدس؟ لا تسأل، لا أحد نصراني يستطيع أن يجيبك عليها- هؤلاء ثلاثة أقانين متساوية في القدرة، الثلاثة متساوون في القدرة والثلاثة هم واحد.

لذلك عندما يوزع النصارى الأقباط كتبهم الدعوية، أول مطوية عندهم أن الذين يقولون من المسلمين أن النصارى مثلثين كفار مشركين، هؤلاء دجالون يكذبون علينا، لأننا نعتقد أن الله واحد، نعتقد أن الأب والابن وروح القدس متساوون القدرة، ليسوا ثلاثة منفصلين ولا متباينين، هؤلاء واحد، هذا هو يقرره.

طيب الذين يقولون بالآخر هل هم مشركون أم لا؟ الذين يقول بأن عيسى -الابن- تولد من الكبير فهو صغير، ولذلك يحتج الكاثوليك بأن الابن أقل من الأب، نهاية الآنجيل بأن الله عندما رفع عيسى بعد زعمهم القتل والصلب أجلسه بجانبه، هذا العطاء في أن يكون إلها من الذي أعطاه إياه؟

أنا أريد ان أسأل، هو عندما يأتي إلى ابن عباس، ابن عباس يقول أن اللات رجل يلت السويق فأخذوه وعبدوه، ما يهمني الرواية، انتبه لا أريد أن أناقش الرواية (بالرغم أنه للأسف يأتي بالعجائب، ويتكلم بكلام لا يقبله طالب علم يفهم كيفية ترجيح الروايات وكيفية فهم النصوص) لكن هو يقول أن ما قاله ابن عباس أن اللات هي لرجل كان يلت السويق فلما مات جعلوا له صنما وعبدوه، يقول: هذا

كلام غير صحيح، لكن أنا أريد هل فهم من ابن عباس هل يمكن أن يكون شركًا صحيحا أم غير صحيح ، القصة غير صحيحة، ابن عباس يقول أن هناك شركا في الوجود، وهو أنه ثمة رجل صالح أو رجل اعتقد الناس في طعامه شيء من البركة لأن السويق كان يسمن الناس.. دعك من استهزاء الدكتور بهذه القصة، واستهزائه بالطعام الذي يسمنهم، الأساطير كثيرة، وأصلًا لا ينشأ الشرك إلا من أساطير وأكاذيب، وعلى قاعدة "الشيخ ما طار، تلاميذه طيروه"، يقولون أنه يمكن أنه أكل منه جماعة في سنة فسمنوا فاعتقدوا أن اكله يسمّن، لا يهمنا الأكاذيب وما يقال، لكن الكلام الآن، ابن عباس قال أن الشرك الذي حدث في عبادة ثقيف للات كان سببه أن هناك رجلًا مات فاتخذوه معبودًا له، تفسير ابن عباس للشرك هنا صحيح أم باطل؟

ابن عباس يفسر كيفية حدوث الشرك، فهو يرى أنه شرك، أما الدكتور المسعري يقول في نهاية كلامه أن هذا ليس شركًا، هذه قصة مكذوبة فلا يكون شركًا، الشيخ –ما شاء الله– لما أطال النفس في قضية إيلات لما معه من نصوص، أحضرها من هنا وهنا، الدكتور مسكين، ذهب إلى جواد علي وإلى نصوص نصراني من أجل أن يثبت إيلات وترك كلام ابن عباس، هذا لا يهمنا، لا تسأل عن المنهجية في الكتاب.

لكن لما جاء لإيساف ونائلة، وذكر النص أن إيساف ونائلة رجل وامرأة زنيا فمسخا ثم عبدا على ما يذكر في النصوص، وبسرعة وبدون أي مقدمات قفز قفزة أولمبية عظيمة، وقال أن هذا الكلام كله غير صحيح، بغير دليل، وأنهما أحضرهم عمرو من الشام، وكانت أشكالهم جميلة.. إلخ، فعبدا من قبل قريش، فهذا مما عيرت ثقيف به قريش، وقريش عيرت ثقيفا في قضية اللات وانتهى الموضوع، منهجية النفي لا دليل عليها، المصيبة الأكبر أنه ينفي فهم ابن عباس لمعنى الشرك وليس لحدث الشرك.

عندما يقول توحيد الإلهية هو: توحيد النسك، توحيد الأمر والنهي– الحاكمية أو التشريع–، توحيد الحب والكره –الولاء والبراء–، فحتى على قاعدته ما يقال في الأمر والنهي يقال في الولاء والبراء، كيف عددت من قاتل تحت راية المشرك مشركًا وهو لا يعتقد ما فيه من الربوبية أو الألوهية بحسب تسميتك،

إذا الشرك ليس ما تقوله.

وأنت تعترف أن مجرد مخالفة الطاعة ليست شركًا، إلا إذا اعتقد في السيد الذي يأمر بعض خصائص الرب.

النصوص كثيرة يا مشايخ، والوقوف عليها أكثر بكثير.

أنت عندما تأتي لرجل من عباد غير الله، هو يرفض كلمة عبادة القبور، والصور، ويستهزيء بابن تيمية بعبادة الصور، دعكم مما يقول، لكن هؤلاء الذين يأتون إلى القبور فيذبحون عندها ويسجدون لها ويدعونها رغبًا ورهبًا، ويستغيثون بها في غيبتهم وحضورهم، يعني عندما يحضر القبر ويغيب، ويخشونهم إذا هُددوا بهم، ثم يأتي بعد ذلك ويقول: أنا لا أعتقد أن فيه صفات الألوهية أو الربوبية، ماذا سيقال عنه، هو نفس الكلام الذي قيل عند قريش، نحن ما نعبدهم، نحن لا نستطيع أن نعبد الله مباشرة، فلا بد لنا من واسطة، لا نستطيع أن نصل إلى الله بذنوبنا، نحن نتقرب إلى الله بهؤلاء، السؤال عندما يعتقد النصراني هذا الابن قد أخذ الربوبية منه، سؤال: من الذي أعطى الربوبية لهذه اللات، من الذي جعل هذه الصفات في هذه الصخرة؟، الذي جعل فيه هذا هو الإله الأكبر، الذي يعتقدون أنه لا يموت وأولاده يموتون، فما الذي يعطيهم الحياة عندما يحيون، عندما يأتي بأولاد جدد.

عندا يأتي لشيعي أو الرافضي يقول: أنا لا أعتقد في الحسين أنه هو الذي يخلق، لكن الله أعطاه حق الخلق، الله أعطاه الإماتة والإحياء، الله أعطاه حق أن يدعى فيستجيب فيعطي، هو على خزائن الأرض، ينفع ويضر، ثم تقول: وليس فيه من خصائص الربوبية إلا ما أعطاه الله إياها، الله قال: **{وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ}**.

أنت جردت الإله بإذنه، هناك أناس على طريقة اليونان جردوه بقوة، هناك من يصارع الإله فيصرعه، هذه عقائد موجودة.. لكن هؤلاء الذين يشركون لا يقولون هذا، لا يقول أحد أن هناك من صرع الله فغلبه فأخذ منه خصال الإلهية، بل يقولون: "لبيك اللهم لك لبيك لا شريك لك إلا شريكًا واحدًا

تملكه وما ملك"، هو بالطبع يأتي إلى هذا النص، ويسرح فيها سرحانًا عجيبًا على قاعدة التولد وهكذا، وهو يعترف أن العرب فيهم سذاجة، لا يعتقدون هذا.

يعني عندما تسأل النصراني عن قضية الأقانيم الثلاثة، يشرحها لك بكلمات كبيرة لا مفهوم لها، أما العربي فليس عنده أن يقول متولد.

عندما ناقش الشيخ ديدات النصارى، قال: كيف غشى الرب مريم حتى استولد منها الولد؟ هذا التصور عند النصارى، العرب لا يعرفونه، حتى وهم يقولون إن الملائكة هم بنات الله، فإنما هذا من التطور في قضيتهم بالسذاجة التي يقول هو بها، من سذاجتهم في هذا الأمر، وللأسف هو يهرب بعض الكلمات وقال مرة في كتابه: العرب يعتقدون أن الملائكة هن (على كلامهم) بنات الله الصلبيات. العربي متى اعتقد هذا؟! (الصلبيات) أعتقد أنها زيادة منك لتبرر ما تريد أن تقوله.

انتبهوا يا مشايخ!! هنا جملة تهد أساس الاعتقاد عنده، صفحة ١٨٧ عندما أتى إلى توحيد التشريع، في قوله تعالى: **{أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ}**، هنا أقر أن الله سماه شركًا، وهذا شرك لا ينبغي أن نضع له زيادة. وهذا كلام صحيح

طبعًا هو ينفي الحكمة والتعليل على قاعدة ابن حزم، ويحب ابن حزم في مقدمات كثيرة، وإن طعنه لما لم يعجبه في بعض المواطن، هذا التحكم موجود، الكتاب مليء بالتحكم، المهم هو ينفي الحكمة والتعليل

الغريب جدا، وكررها مرتين، كأنه كان ينقل، ربما الكتاب كتب على فترات متباعدة، فينسى أنه يكتب أو ينقل من هنا إلى هنا.. الغريب أنه يقول بأن ما قاله، وهذه والله كبيرة منه، وتدل على جهل مطبق في اللغة، وجهل مطبق في فهم معنى التوحيد، وكيف يسمى هذا توحيدًا وكيف يسمى هذا شركًا.. يقول: وإن إدخال النبي الرياء في الشرك الأصغر، هذا لا يمت إلى اللغة بصلة، بل هو من وضع الشرع الذي لا يعرف لا من جهة اللغة ولا من جهة القياس والأصول.

هذه تحتاج إلى درس، كيف يجرؤ رجل على قول هذه الكلمة، وهذا يدل على أنه لا يفهم الشرك.

لكن لما كان الرياء يتعلق بصرف العبادة من غير اعتقاد لغير الله... فمن يصلي ليراه الناس، فهو يصرف جزءًا من عبادته لغير الله، فهو شرك أصغر، لأنها تؤدي لهذا المعنى، فنفى عنها مفهوم التوحيد.

قال: هذا إدخال.

دعك من تفسيره كلمة أبي بكر وهي: أن الشرك هو أن تجعل مع الله إله آخر، وأنه فسرها بتحكم رهيب، لكنه يقول بأن تسمية الرياء بالشرك الأصغر، هذا لا يعرفه العرب لأنه لا يوافق اللغة ولا يوافق القياس، يعني لا يمكن فهمه على مجرى معنى التوحيد إلا لأن النص وضعه.. بالله عليكم، هل يوجد في ديننا هذا المفهوم؟! هل يوجد في ديننا شيء تسلم له دون فهمه؟!

لو سئل طالب علمٍ مبتدئ، هل تستطيع أن تفسر لي: لم الرياء شرك أصغر؟ يستطيع أم لا يستطيع؟ هو يقول: لا.

انظر إليه ماذا يقول هنا، عند التحكم، في قوله تعالى: **﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾** وهذا كلام صحيح، يقول: فالآية إذًا وهي استفهام استنكاري، تنكر عليهم في الحقيقة أنهم قبلوا التشريع في الدين من عند غير الله، فجعلوهم بذلك شركاء. انظر وهو ينبه: حتى لو لم يعتقدوا فيهم غير هذه الجزئية مطلقًا. أي من صفات الألوهية والربوبية، يقول: حتى لو أنكروا (وهذه ليته يعملها فيمن يخاف من الشيخ وهو على فراشه، ويستغيث به في البر والبحر وفي الظلمات كما يستغيث العباد بربهم، ليته وضعها هناك، لكنه وضعها هنا لأنه يعظم توحيد التشريع، وأما توحيد النسك فلا يمكن أن يكون الرجل فيه مشركًا إلا بالاعتقاد) حتى لو أنكروا بكل شدة وحرارة أنهم جعلوه شركاء مع الله، نظرًا لعقليتهم البدائية، وبسبب نظرهم المحدود.

هو يعترف أن هناك من الشرك ما لا يفهم، كقوله عن النصارى أنهم في تفسير الأقانيم يقولون من الصعب فهمه، ومن الصعب تصوّره، ومن الصعب التعبير عنه.. جيد، وهذا يقال عن كثير من الشرك،

كيف يفعلون؟ لو قيل للرافضي الذي يعبد الحسن والحسين: كيف هذا، فسر لي؟ لا يستطيع، يقول: الله أعطاه وانتهى الموضوع.

جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم.

إذا قدر الله عز وجل بعد هذا الاستعراض السريع، السريع أقول لأن القضايا متشابكة، ربما المرء ينشط له فيأتي عليه جملةً جملة، وقضية قضية، أسأل الله أن يغفر لنا ويتوب علينا.

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه أجمعين. نسأله تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا، وأن يستر لنا عيوبنا، وأن يجمعنا على الحق والهدى.. آمين آمين.

هذا هو اللقاء الثاني في مناقشة كتاب الدكتور محمد المسعري "كتاب التوحيد"، وهو ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)، نسأل الله عز وجل أن يعيننا على متابعته، وأن يوفقنا لما يحب من العدل والآنصاف والنصيحة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم.

هذا الكتاب ناقشناه في الدرس الفائت، وبالتالي هناك ردود فعل؛ أغلبها جيد بفضل الله عز وجل، وبعضها على الهوامش، ولا بد أن نتكلم عن هذه الردود بمقدمة يسيرة لأذهب إلى الكتاب وما فيه.

ابتداء: الدكتور يرفع شعار حزب جديد اسمه (التجديد)، وأنا أقول في خصوص هذا الأمر، أي قضية التجديد، مستعيرا كلمة المحقق الكبير الأستاذ عبد السلام هارون، يقول: إن التجديد يبدأ بقتل الماضي بحثًا. أي التجديد هو مشروع علمي صحيح، وهو ضرورة مهمة جدًا؛ لأن الزمن كفيل بإدخال الأغلاط والزوائد على المياه السائرة مهما كانت نقية من المصدر، فإنها وهي تجري يختلط فيها الدخيل، ويصيبها الفساد، فلا بد أن يأتي أناس في مرحلة من المراحل من أجل تنقية هذه المياه، لتعود صافية نقية كما كانت في أول أمرها. ولكن التجديد لا يعني القفز في الظلام، والتجديد لا يعني أن نسلق الأمور

سلقا وأن ننزع إلى تخطئة الخصوم من غير بينات.

ونحن نتكلم هنا عن تجديد، كما يطرح الكتاب.. هناك طرح تاريخي كما قلت في الدرس الفائت، وهناك طرح عقدي -وهو الأهم-، وهناك طرح لغوي، وهناك طرح حديثي، وهناك طرح فقهي. فربما هذا الكتاب هو الأهم عند من يطرحه، وهو قضية التوحيد: ماذا يعني التوحيد؟.

ولا شك أن قضية التوحيد في كل وقت وفي كل زمن بحاجة إلى إعادة تجلية؛ فإن هناك من تسموا بأهل العدل والتوحيد كالمعتزلة، أو سميت بعض الطوائف باسمهم كالموحدين، وكان هؤلاء لهم نظرات خاصة في التوحيد، وكذلك المتكلمون الذين عندهم التوحيد شيء معين يهتمون به، فهذه المسألة قضية مهم جدًا أن نعيدها، ولكن حين يكون الطرح بهذا الاتساع، يعني المفروض بأن الذي يقوم بهذا الطرح عليه أن يقوم به وقد استكمل أدوات الصراع، أدوات التنقية، أدوات التخطئة، أدوات التصويب... إلخ أن يكون عنده الأدوات، وأن يكون مالكا لقواعد العلوم، وأعني بقواعد العلوم علوم الآلة، وخاصة علم اللغة، وأنا سأبين هنا بأن الدكتور لا يملك هذه الرؤية، وأن أتباعه ممن سموا بالتجديديين -كما يحبون تلقيب أنفسهم- حتى إني رأيت بعضهم يطلقون على أنفسهم لقب (التجديدي) مفتخرا بها، ولهم هذا الافتخار، ولكن لا يملكون أدوات التجديد، ويصرخون بكلمات غريبة جدًا.

وبالتالي خلاصة ما أقوله -وللناس أن يقبلوا وأن يرفضوا- على الجميع أن يطرح تقريراته بعلم وأدلة، وأنا أقول بأن الدكتور ومن رأيته يتكلم بلسانه لم يصلوا إلى درجة العالم، أو الذي يستطيع أن يقرر مثل هذه التقريرات، وسأبين ومع النفسية التي تكلمت عليها في اللقاء الفائت، ومع الطريقة المطروحة التي سأكررها في هذه الجلسة وهو ما يهمني في هذا الكتاب. الكثير من الإخوة ابتداء طلبوا مني الكتاب، وكان عندي قبل أن يطلبوه ضمن هذا المشروع، ولكنهم أرادوه لمسألة العبادة، يعني هم يريدون أن يروا أن هل ما قاله الدكتور أبو ماجد محمد المسعري في مفهوم العبادة هو قول صحيح، وهل تخطئة ابن تيمية ومن تبعه في هذه المدرسة، هل هذه التخطئة صحيحة مبنية على علم؟ جاؤوا لهذا الأمر، وأنا قلت دائما بأن ما يهمني في مناقشة الكتب منهجية الكتاب، فأنا لا أستطيع أن أناقش كل قضية، مثلا

لو أخذت منهجية الدكتور في علم الحديث، ستكون مصيبة علي، وأنا هنا ناصح، ستكون مصيبة، والمرء عندما يكتب كتابا لم يعد الأمر خاصا بالنقاش السري والنصيحة وغيرها، هو كتاب بين الناس، ونحن نتحدث عن كتاب بعيدًا عن شخصية، وكما يقول كثير من الكتاب: عندما أكتب كتابا ينفصل عني، وهذا الآنفصال جيد وعلى المشايخ أن يتحملوه، علينا أن نتحمله، وأنا علي أنا أتحمل، عندما يأتي رجل ويقول قد أخطأت علي أن أتحمل، وعلي أن أناقش وأرد وأقبل وهكذا، وعندما آخذ طريقة الدكتور في نقاشه للغة، فكذلك أرى أنها متهافتة، وليس عنده تلك الأدوات، وسأبين هذه النقطة فيما يأتي من الكلام إن شاء الله.

فالقصد بأن على الكل أن يقبل شعار التجديد، ولكن لكل مفتاح أسنان. المفتاح لإحياء الأمة هو التجديد، ولكن لا نريد أن نقع فيما وقع فيه الأب القريب لنا وأقصد به المشايخ الأقربين الذين رفعوا شعار الاجتهاد وأعطوه للصبيان.

عندما رفعُ شعار الاجتهاد والعودة للكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، على الرغم من أن الدكتور يرفض هذا القيد، وربما يناقش هذا في باب آخر إن شاء الله على الطريقة الصحيحة في تحرير المراد، لأن كثيرا من الخصومات تقع دون أن يعرف الناس على ماذا يتخاصمون فلا بد من تحرير المراد، انظر إلى العودة للكتاب والسنة وإزالة الكتب التي تعيق -كما سموها- العودة إلى الكتاب والسنة، ما الذي حدث؟ فوضى، لأنك إن كنت عالما بصيرا بحياة الناس، قبل أن تلقي الناس في اليم عليك أن تعلمهم السباحة، فكان من المفروض علينا قبل أن نلقي الناس في وادي التجديد أن نعلمهم أدوات التجديد، وكما هو الأمر في قضية إلقاء الناس في عالم الاجتهاد، علينا أن نعلمهم أدوات الاجتهاد قبلها، نقول نعم نحن مقصدنا الاجتهاد لكن أنتم عليكم أن تتعلموا وتتربوا، فنبدأ بهم بالصغير والكبير وهكذا.

فالقصد بأن الكتاب لا يعطي بشائر جيدة للدخول في عالم التجديد الذي قصده هؤلاء. هذه القضية أنا أحسمها وأنتهي منها وسآتي إلى بيان بعض منهجية الكتاب بالطريقة التي تبين مرادي إن شاء الله وتعطي الأدلة على هذا الكلام.

النقطة الثانية : أن آسف، والمرء في هذه الحياة أصابته جراح كثيرة، مما يحزن أن هناك ساحات من الخلاف، هناك ساحات السب، وهناك ساحات العلم، هناك ساحات الخلاف، فأنا أنصح نفسي أولا وأنصح الجماعات ألا يتخذوا الكلاب المسعورة حراسا على ما يقولون، فهذه تسيء لهم، وكأن المشايخ والكتَّاب وأصحاب المناهج كأنهم يملكون بيوتا أو يملكون مزارعا، وهذه المزارع يضعون حولها حراسا من السفهاء، دورهم السب، يعني أنت تأتي إلى أية جماعة فتتكلم كلاما علميًا، تصيب أم تخطئ مسألة ثانية، فلا ينبري لك إلا السفهاء وكأنهم قد استؤجروا لهم، وكأن الجماعات تحب ذلك، هذا مرض موجود للأسف، ومرات نظنه أنه خاص بجماعة وإذا هو متكرر في جماعات متعددة –ولا أريد أن أعمم–، ولمشايخ متعددين، دعوا الناس والمشايخ يضرب بعضهم بعضًا، وأنت ما عليك إلا أن تسكت، اجلس هناك ولا تتكلم إلا بالعلم، فإذا كان عندك علم تكلم، أما السب والشتم، فلا ينبغي أن تتكلم، خطئ إن كنت ترى في نفسك الأهلية لا أحد يقيدك، أنا لا أقول بضرورة وجود شهادة من أحد لأحد بأن يتكلم، لا أقول هذا، تكلم، تكلم بعلم، وأما أن تكون مع الاعتذار (كلبا مسعورا) لشيخ، فاربأ بنفسك، يعني لا تكن هكذا، أنت أنت لا تكن هكذا، والشيخ عليه كذلك أن يؤدبهم، والجماعة عليها أن تؤدبهم، يقول: هؤلاء لا يمثلوننا وليسوا منا، فهذا أمر ينبغي أن يُهتم له.

وأنا أنصح الطلبة وأنصح المبتدئين وأنصح المقلدين في العلم، إما أن يتكلموا في العلم في مستواهم –وقد يصيبون– يعني قد يأتي من هو أدنى في العلم ليرد على شيخ الإسلام، الطفل يرد على شيخ الإسلام لا مشكلة في هذا ، ولا يُطلب منك مستوى معين في العلم لكي ترد، تكلم، ولكن إذا وجدت نفسك لا تحسن إلا السب فقط فاسكت، وهذا محزن، لكنه لا يضر شيئًا، وبالنسبة لي هذا أمر لا يزيد ولا ينقص شيئا، ولكن نصيحة لمن أراد لنفسه هذا المقام أن يترفع عنه، ولن ينفعك الشيخ، ونسبتك إليه هي نسبة سعارية.

للأسف نحن نلاحظ كما يختصم الناس هنا في الأردن على برشلونة وريال مدريد، أرى الناس يختصمون في مسائل المشايخ والجماعات على هذا المعنى فقط، ولا تعرف لماذا.. أين الأدلة؟ لا يعرف

أن يقرر أين الصواب وأين الخطأ. يقول: أنا مع فلان، لماذا؟ حينئذ تظهر القضية على وجه من الجهل والاتباع والتقليد.

هناك أمور متعددة، ولكن أنا يهمني أولا منهجية الكتاب، ثم آتي إلى النقاط الأخرى.. أنا ذكرتها ولكن أحب الإخوة من الخيارأن أكر عليها مرة أخرى وآتي بأدلة أكثر تفصيلا مما ذكر.

ابتداء أريد أن أقول: الكتاب يفقد المنهجية، وأنا ضربت مثالا والآن أضرب أمثلة أخرى في نفس المواضيع؛ يعني عندما ذكرت مثلًا: أنه من غير علمية، ولا منهجية، ولا طريقة حديثية، ولا معرفة بمنهج صاحب الكتاب، أطلق كلمة "أساء للإمام مسلم"، هذه لا ينبغي! لا ينبغي لأنك لا تعرف منهجه!

والكلمة، والحديث الذي اختاره –هو معظم كما ترون في كتابه الدكتور المسعري– معظم لابن حزم، وابن حزم لما أراد أن يختار اللفظ الذي ينصر قضيته في قضية أنتم أعلم في أمور دنياكم اختار رواية مسلم، ولو دققت فيها بالعلمية لا تراها خارج عن المعنى الذي قاله في الكلام.. لا تجد!

فهذه العبارات يجب أن نترفع عنها عند الكلام عن الكبار، أنت تخطئهم لا يوجد مشكلة، نحن نتكلم كلام عن إساءة!

هذه منهجية، وهذه قفز منها –قفز من غير أن يبين– أنا قرأت كلامه في هذا من الباب أكثر، في قضية لماذا اختار هذا اللفظ الذي عند أحمد وغيره..

ولا تجد–لماذا هذا اللفظ سيء، لماذا هذه الرواية سيئة، والرواية الأخرى غير سيئة! لا تجد–وسنرى القفز، المنهجية هنا، نحن نتكلم عن قضية عظيمة جدًا وكيف يربي عليها..

مثلًا أعطيكم في منهجية الكتاب مما يشهد لما أقول: عندما جاء إلى الحديث الذي ذكرته، وهو لم يخضعه إلى الطريقة الصحيحة في قضية كلامه على ابن عباس رضي الله تعالى عنه

أريد فقط لأحد أن يقول فقط: هل هذا من العلم في شيء؟

وهنا أقرر مسألة: ابن عباس لم يشهد قضية لت السويق ولا غيره شهدها، وذلك لا يهمنا هنا، يعني أريد أن أقررها لأنها مهمة في قضية الفهم، وما وقع فيه الدكتور المسعري في كلماته العجيبة جدًا-يعني أنا لم أقلها في حقه، هو قالها في حق كلام ابن عباس!!

وسنرى خطورة هذه الكلمات أن تُقال في فهم ابن عباس للتوحيد، بعضهم قال: اللات أُخذت من مفهومٍ إلهي! وابن عباس قال: هو كذا وكذا، رجل يلت السويق الخ، فاتخذه الناس لاعتقادهم أنه فيه نوع بركة، نوع كما يسميها "ربوبية"، فهذا الذي يلت السويق عبدوه!

وأنا أكرر وأقول: هل فهم الشرك عند ابن عباس كان صحيحًا؟

يعني بأن يقول: بأن هذا الرجل الذي اعتقدوا فيه الصلاح لما يحصل من نفعٍ في سويقه الذي يُطعمه للناس، فحينئذٍ أقاموا على قبره على طريقة التعظيم، ثم زاد التعظيم حتى وصل إلى التأله ووصل إلى التعبد!

هل فهم ابن عباس للشرك الذي ينقض التوحيد بهذا المعنى، فهم صحيح، أم فهم خطأ؟

فهم صحيح، فهم صحيح..

بمعنى أن من قال أن التعبد يصل بهذه الطريقة لما ذكره هو ونصره، أو ما قاله ابن عباس...

في النهاية كلاهما يصل إلى أن هذا الفعل هو شرك، وهذا الفعل شرك..

كيف تطور الشرك في هذه الحالة إلى هذه الحالة، هذه مسألةٌ أخرى، لكن كلاهما وصلا إلى الحكم على هذا الفعل أنه شرك..

فإذن ابن عباس يعلم أن الشرك كيف يتطور-هذا ما يهمني، أن ابن عباس أثبت أن الشرك تطور من خلال هذا السياق الذي رواه..

ولذلك لا يُقال أخطأ ابن عباس في الرواية التاريخية-هذه قضية أصلًا تاريخية، ولا ابن عباس لم

يشهد، وهم لم يشهدون!

ولكل أحد أن يقول: بأن الأساس كان كذا، لكن ما يهمني أن التطور يقول هذا به الرجل، ويقول به هذا الراوي الأخر، وهذا الراوي، وهذا الراوي..

وكلام ابن عباس في هذا الباب، كلام صحيح، يوافق دين الله، لأنك لا تستطيع أن تقول إن ابن عباس قد أخطأ في فهمه للشرك المناقض للتوحيد، وأن الشرك لا يمكن أن ينشأ من تعظيم الرجال الصالحين.

لا يمكن أن تقولها–غير مقبولة! فلو قالها حينئذٍ هو يريد أن يزعم لنا أن بعض الصحابة لم يفهم الشرك الذي ينقض التوحيد في موضوع النسك.

لكن تأملوا هذه الكلمات، أين المنهجية فيها يا أحبتي، ثم ردوا عليَّ..

انظر إلى هذه المنهجية، يقول في صفحة تسعمئة وتسعة وستين: وقد جاء في بعض الروايات (لما تكلم عن قضية اللات وما فيها وثم بعد ذلك أصدر العبارات التي إن شاء الله أجدها فأقرأها... ثم جاء إلى قضية إيساف ونائلة، التي بعد ذلك يقول أنها صارت من المحكمات.. هذه عبارته) يقول: وقد جاء في بعض الروايات، أنه رأى تلك الأصنام في الشام، فأعجبته، فاستوردها، ولعل (انتبه هذه عبارته) منها إساف ونائلة وهذا هو عين قولنا (لعل منها! ثم صار: وهذا هو عين قولنا)، وما تأكده المصادر التاريخية المتضافرة، وكله يُبطل الخرافات والأساطير، من مثل (انتبه هذه عبارات تطلق الآن على من؟ على كلمة ابن عباس) هراء اللات الذي كان (يا دكتور ولله كلامك هراء!) الذي كان يلت السويق للحجاج–هراء، ويبطل غيره من خرافات (هو ماذا قال؟ لعل! انتبهوا هذه المنهجية) خرافات أساف ونائلة، وغيرها من الخرافات الشاطحة، والأساطير الشعبية المكذوبة! (هذه كلمته، أنا أناقش كلمته... يقول: ولعل منها.. يعني هو لا يوجد عنده جواب كيف جاءت أساف ونائلة! لكن لعله مما جاءت معه، ثم صارت هذه الأدلة التاريخية المتضافرة وغيرها ماذا؟ خرافات شاطحة، أساطير شعبية مكذوبة!) وينقض

مزاعم الطواف حول أحجار الكعبة التي تطورت إلى آلهة فيما بعد.

أنا أريد أتكلم على منهجيته!! هذا الكلام بـ(لعل) انتهى إلى قوله -هذه المنهجية عند الدكتور- يقول: وهذا الذي قررناه قد صار (بعد ذلك) من المحكمات.

هذه علمية الدكتور؟! في قضية خطيرة جدًا، في فهمه للموضوع، العبارات المطلقة فيها..

أنا طبعًا تكلمت: هذه قسمة غير منضبطة عن قضية التوحيد بأقسامها: توحيد الربوبية، الإلهية، الأسماء والصفات، وقلنا هو تقسيم قبل ابن تيمية، ذكرنا هذا لا أريد أن أعود عليه..

لكن انظر-هو لم يأت إليه، كيف غير منضبطة؟

يعني هي شملت فعل العابد وفعل الإله، فعل العابد المتأله هو فعل الإله شملت! كلها..، واستوعبت كل ما في الكتاب والسنة من مفهوم التوحيد، وهو أن تصرف العمل لواحد، والفعل والقول لا يكون إلا من واحد.

هذا هو التوحيد! التوحيد إما أن تصرف العمل لواحد، وإما أن تعتقد أن هذا الفعل والقول لا يصدر إلا من واحد!

فهذا يستوعبه!

يعني أنت لما تذهب على شرح العقيدة الطحاوية، وقرأنا لابن القيم، ولابن تيمية نفسه، أنه لا يرى الفرق بين التقسيمة الثنائية والتقسيمة الثلاثية لأنها مستوعبة!

القصد والطلب هو فعل العابد، الإثبات والمعرفة هو فعل المعبود، وهذا مستوفي لكل ما في الكتاب والسنة من توحيد!

لا خالق إلا الله، يستوفيه أن هذا الفعل لا يفعله إلا واحد.

لا رازق إلا الله، هذا يستوعبه أن الفعل هو فعله جل في علاه لا يصدر إلا من واحد..

الآن: لا أعبد إلا الله، أيضا استوعبه!!

الآن لنرجع إلى ما قلته في الدرس الفائت، من قضية أن العودة إلى قضية التأليه، أن الإله والرب هي قضية لغوية، والقرآن يشهد عليها!

وسنرد على ما يقوله هو، ويقوله بعض أتباعه بجهل، دون أن يستوعبوا مراده فيه، بالرغم أنه يقول: لا إله إلا الله–هو يقول: لا إله معناه لا معبود، هو يقول بالنص، لا معبود إلا الله، أو لا معبود بحق إلا الله.. هو يقولها في كتابه!

ويأتي هو وأتباعه يقولون: بأن هذا يدل على أنكم حين فسرتم الإله بالمعبود، دل هذا على أن الله لم يكن إله حتى وجد معبودا!! مع من تتكلمون أنتم!؟

هذا مستوى من الجهل.. هل هذا تحديد؟ أم أنه جهلٌ بأبجدية ما يُطرح في موضوع الأسماء والصفات؟

هذا جهل! كيف؟ هذا إن شاء الله أتي إليه..

لو أن اطردنا على هذا المعنى: فإن الله لا يجوز أن يُسمى بالخالقِ حتى يكون مخلوق!

وهذه قضية ليست إبداعًا منا، العلماء يقولون وأول نصٍ في الطحاوية، في كلام أبي جعفر الطحاوي–وليس في كلام الشارع! بأنه استحق اسم الخالق، قبل أن يكون مخلوقًا!

فإذا أجزنا أن يستحق اسم الخالق، قبل أن يكون مخلوق، واستحق اسم الرحيم قبل أن يكون هناك مرحوم يرحمه، لأن الله كان ولم يكن شيئًا معه، أو كما يقول ابن تيمية: كان الله ولم يكن شيئًا قبله.. ليس هذا البحث..

فإذا أجزنا أن الله يستحق أوصافه، قبل أن يوجد الفعل الإرادي لها، فحينئذٍ الله عز وجل إله يستحق

أن يُعبد قبل أن يكون هناك معبود! والحديث عن الاستحقاق، أما الوجود فقضيةٌ أخرى، تُبحث في مسائل الكلام! موجود أو غير موجود.

واضح الكلام؟ هذا موضوع أخر!

فلذلك لما يأتي هو ويقول: أنه لا يستحق اسم الإله حتى يكون إله! يقول: الإله معناها معبود..

ثم بعد ذلك يذهب في تفسير كلمة العبادة على ما قررنا في الدرس الفائت، وسنأتي عليها إن شاء الله بما نقدر، في أن هذا يعني أنه لا يسمى إله حتى يكون هناك متأله! مع من يتكلمون لا ندري!

القسمة غير منضبطة، هذه من العلمية.. غير منضبطة بمعنى ماذا؟ أنه يدخل فيها -هذا معنى غير منضبط- أنه يدخل فيها ما ليس منها!

فقل لي: توحيد الإلهية، والربوبية، والاسم والصفات، قل لي أشياء من التوحيد دخلت فيها ولا تستحق أن تدخل فيها! أو قل لي بأن هناك أنواعًا من التوحيد لم تستوعبها هذه القسمة الثلاثية؟ هذا المنهجية، هذه عبارات خطيرة تُطلق وهو يقول في بعض كلامه ولأناس يقولون قد آمنا بمنهج حزب التجديد، فيقول لهم: اقرأوا كتاب التوحيد قراءةً جيدة، قراءةً متمحصة، قراءةً متفحصة!

وهذا عندما يقرؤوها، فيأخذونها مسلمات، لأنها متنٌ من متون المقلدين، والمقلد يحفظ المتن ويردده دون أن يعي ما فيه!

فهذا متنٌ من متون الشيخ الذي يردده التابع، دون أن يدري.

غير منضبطة، لو سألته ماذا يعني؟ قل لي أين الدليل على أنها غير منضبطة؟ لا يوجد، لا يذكر، وبالتالي لم يناقش في هذه العبارات إلا قضيةً واحدة، وهي خطأٌ منه مئة بالمئة وهي قضية أن الإله هو الرب بالمفهوم الذي يقوله من خاصمهم..

قال: لتداخل أقسامها.. هو حين أتى إلى التقسيم الثنائي تداخلت أقسامها! وهو هل هذا من فعله؟

يمكن أن يكون من فعله؟ كالأمر، الآن الأمر الإلهي، مثل قضية حكم الله، فيتداخل من جهتين!

لو نظرت إليه من هذه الجهة، بمعنى من من يصدر؟ لعلمنا أنه يصدر من الرب! ولو نظرت إليه من جهة–ما هو المستحق له، فأن ينظر إليه العابد، وهو أن لا يحتكم إلا لله، فحينئذٍ جاءت كل واحدٍ من وجه، وليس عين المسألة مقتسمة بينهما!

انظر الفرق!! الفرق بين الأمرين يا إخوة.. أنه عندما يُسأل مثلاً شيخ يقول: ولله قل لنا هل توحيد الحاكمية من توحيد الأسماء والصفات، ولا توحيد الربوبية، ولا توحيد الإلهية؟

ماذا يقول الشيخ؟ يقول: هو توحيدٌ يدخل في الأقسام الثلاثة، لكن ليس في حالٍ واحد! وإنما يُنظر إليها من كل جهة.

فحين تقول: بأن الله هو الحكم، هو من الأسماء والصفات، وحين تقول: أن الله حكم، يعني قضى، –نتكلم عن القضاء الشرعي– فهو مما ماذا؟ من الربوبية، وحين تقول: أن العبد وحده في هذا الحكم، فكل واحد يقول! فأين غير منضبطة وتداخلت أقسامها!؟ أين هذا؟ قل لنا!

أما لو قيل بأن توحيد الأسماء والصفات يدخل في توحيد الربوبية فهذا حق! فهذا حق!

والسبب: أن هذه التقسيمة الثلاثية تنشأ عندما تنشأ البدعة النافية لهذا النوعِ من التوحيد!

يعني عندما جاءوا إلى توحيد الإلهية، فقالوا: هو توحيد النسك، توحيد الحكم والقضاء والتشريع، وتوحيد الولاء والبراء.

لماذا هذا التقسيم نشأ؟ لما ينشأ من بدع فيأتي التفصيل.

فانظر إليه، هذه علمية؟ أين العلمية؟ أنا أتكلم عن منهجية الكتاب هنا، وأضطر مرات أن أبين فأفصل..

قال: ولا حاصرة لخروج أصناف مهمة من التوحيد منها! أنا أتحدى أن يستطيع أحد أن يقول: بأن

التقسيمة الثلاثية يخرج منها نوعٌ من أنواع التوحيد، أتحدى! إلا إذا لا يفهمها!

مثلًا قيل: أين توحيد الولاء والبراء؟ نقول له: في توحيد الإلهية تجد البراء! أين توحيد الحكم والتشريع؟ في توحيد الإلهية! أعطني!

التقسيمة الثنائية، هي التي أصلًا التي يمكن أن يُقال فيها هذا، مع الخطأ طبعًا.

قال: وهي منكوسة–هذا بينَّاه–هذه الوحيدة التي هو أتى عليها.....الخ

ثم–انتبه–لعدم تطابق (هنا هذه العبارات الخطيرة في منهجية، كيف يلقي الكلمات الخطيرة، دون أن يستوعب معناها!) قال: لعدم تطابق محتوى كل قسمٍ مع المعنى اللغوي للفظ المستخدم للتعبير عنه!

وهذا بيناه: أن الرب هذا معناه في اللغة، والإله هذا معناه في اللغة!

الإله: هو الذي يُخضع له، الإله من التأله.. هكذا تقتضي اللغة!

والرب: هو الذي فعل، من التربية، وبينا، فمن الذي نكس اللغة؟ ولا يستطيع ولو ضرب أطناب الأرض على أن يأتي بعالمٍ واحدٍ على الذي قاله لا يستطيع! لأن الناس يحترمون أنفسهم!

هذا الذي أتى به المسعري!

دعك من قضية الاشتراط في الاعتقاد، هذه سبقه من سبقه..

لكن أن يأتي بعالمٍ واحد في تاريخ الأمة، قال –الآن سنرد عليه– قال: بأن توحيد الإلهية الذي يقوله خصومه هو توحيد الربوبية، أو أن توحيد الربوبية الذي يقوله خصومه هو توحيد الإلهية، أنا أتحدى.. هذا الجهل بكل معنى الكلمة، وهذا الذي يُقال له: هراء، وشطحات وو...، هذا الذي يستحق أن يُقال له هذا..!

على كل حال فسوف نتجنب استخدام القسمة الثلاثية، لأن شأنها أصبح ملتبسًا، لا يُعرف بدقة ما

المقصود به... هو القسم الأول: توحيد العلم والاعتقاد وهو على التحقيق توحيد الألوهية والربوبية.. إلى أخر ما يقوله.

أحضرنا كلامه في ما يقوله عن كلام ابن عباس ، وأحضرنا (لعل) التي صارت يقينًا ويُسب عليها.

تكلمنا عن قضية اللغة، فأريد هنا أن أبين نقطة، فيها الرد على ما يُقال، كما رددنا على قضية استحقاق الإله قبل أن يكون مُتأله.

وهذا أنا شرحته في التفسير، ولكن واضح أن المرء لابد أن يكرر مرات ومرات، يعني سنضطر للتطويل فيها مع أنها قد قيلت، فالذي سمع بالتفسير لا يعب علينا أن نكرر، لأننا وجدنا أن الناس لا يسمعون.

معروف أيها الإخوة الأحبة أن الكلمات في اللغة ليست منفصلة انفصال الجزر بعضها عن بعض بحيث لا تلتقي معانيها! فمثلًا لو جئت لكلمتي الرحيم والرؤوف، فإنها تتداخل! معنى الرحمة ومعنى الرأفة يتداخل معناه! فلا يعني أنك إذا قلت عن الرحيم والرؤوف، أنه لابد في لغة العرب أن لا يُستعار أحدهم معنى الأخر، وإنما يُستعار أحدهما للأخر عند اشتراكه في المعنى. فهذا القدر المشترك بينهما قد تستخدم هذه مكان هذه، وهذه مكان هذه، لضرورة من الضرورات، مثلًا في القرآن لا يوجد ضرورة الشعر!

تعرفون ضرورة الشعر التي ألف فيها العلماء؟، لا يوجد في القرآن هذه، ضرورة الشعر لا وجود لها، وإن أشار إليها بعض أهل العلم. مثلًا السيوطي، عندما قال: [**والتين والزيتون، وطور سنين**] وهي طور سيناء، فقال السيوطي، قال: إنما جاءت سنين من أجل توافق الفاصلة القرآنية.

والحقيقة أنه لا يوجد في القرآن شيءٌ يُجبر عليه الرب بأن قاله من أجل ضرورة السياق، وإنما يُقال لمعنى من المعاني، لابد أن ينتبه له.

يعني لماذا يأتي الحكيم المتكلم، القادر، فيستخدم كلمة الرأفة بدل الحكمة! مع أن الحكمة هي

الأقوى في هذا الباب-إنما هو لمعنى يريده

وهذا ذكرناه مرةً في كلمة عسى في القرآن، عسى يقول ابن عباس: موجبة، ولكن عسى للترجي، فلماذا تُستخدم؟ إذن هناك ضرورة! وقلت بأن الضرورة بأن عسى في القرآن عندما تأتي من الله (عسى الله) فإنها تأتي لأنها معلقة على فعل العبد، فقد يتخلف موجبها-أي موجب عسى، لماذا؟ لتخلف شروط فعل العبد التي توجب هذه الكلمة..

فهنا ينظر المرء لماذا يُستخدم هذا؟ وهذا كثير في القرآن، بمعنى أن تستخدم كلمة بدل كلمة مع أن الأصل هذه ولكن لابد لها من نظرةٍ بلاغية.

هذا شيءٌ يعرفه الناس! وللأسف هذه من أبجديات من يفسر كتاب الله، يعني مثال، لما يأتي قوله تعالى في سورة المائدة: [**إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**].

ما قال الغفور الرحيم، قال: العزيز الحكيم! لماذا قال العزيز الحكيم هنا، مع أن السياق أول ما يتبادر إلى الذهن يكون الغفور الرحيم؟! أن تغفر لهم!

وهنا ما نراه أن الموجب لها مع أن الغفور الرحيم حاضرة في ذهنه، العبد حين يقرأ هذه الآية حاضرٌ في ذهنه أن الله الغفور الرحيم، لأن المقدمة لها، وإن تغفر لهم.. فهو سيغفر لهم-لكن لماذا استعاض هنا بالعزيز الحكيم، السبب؟

لوجود الموجب البلاغي، والموجب البلاغي قال أهل العلم: ذلك لأنه يطلب من الله يوم القيامة أمرًا على من لا يستحقه! وهو أنهم معذبون، فذُكر العزيز الحكيم..

هذا ما قاله أهل البلاغة..

كذلك في سورة التوبة، قال: [**والمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ**

اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]. ماذا قال؟ قال: [أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ]. ما قال غفورٌ رحيم! لماذا؟

هذا موجود في كلام العرب، أن يأتي بكلمةٍ بدل كلمة مع اجتماعها في المعنى.. هل عزيز حكيم ليس فيها معنى الرحمة؟

انتبه لكلمة الحكمة! العزة دائمًا مع الحكمة، ويأتي العزة مع الرحمة (العزيز الرحيم كما في سورة تبارك): لماذا تأتي الحكمة؟ لأن من حكمة الله أن يرحم، وهذه يعرفها من درس أسماء الله وصفاته يعلم بأن دلالة الاسم على غيره فيها دلالة تضمن! تتضمن هذا المعنى

لماذا نقول هذا الكلام؟ هذا بيّن واضح، ومن لا يفهمه عليه أن يرجع إلى كلام أهل العلم فيه، وهو من أشهر ما يتكلم فيه في البلاغة، أشهر مسألة في البلاغة هي كلمة الاستعارة! الاستعارة بمفهومها العام وليس الاصطلاحي.

الآن هل ورد في القرآن كلمة إله في موطن كلمة الرب؟

أول شيء: يجوز هذا أو لا يجوز؟ الآن نأتي إلى معتقدنا الذي أقمنا عليه اللغة في الدرس الفائت، أنه هذا معنى الرب، وهذا معنى الإله، وهذا بيّن في اللغة، إذا ناقش فيه ناقش أئمة اللغة، وإذا أراد أن يتحكم فليتحكم بنفسه، وليضع لنفسه قانون لغوي خاص به، لا بأس، حينئذٍ هو يتعامل معه!

قلنا بأن الرب الذي اكتملت ربوبيته له حق التأله

وهذه كلمة الآن سآتي إليها: أنهم لم يفهموا لا كلام ابن تيمية، ولا كلام ابن القيم في موضوع، ما الذي يسبق؟ وما الذي إذا وجد لزم موجود غيره، أو لم يلزم وجود غيره؟

هذا هم لم يفهموا! لما أتي سأقرأ كلامه في كلام ابن تيمية أنهم لم يفهموا! سآتي بالنص..

لما استحق أن يؤله؟ لما رجعنا وقلنا: بأن الرب هو الخالق المتصرف، أو المالك المتصرف، أو السيد

المطاع. ما معنى السيد المطاع؟ هو المتأله؛ يعني بم استحق أن يكون سيدًا مطاعًا؟ لأنه هو الذي يملك! وبم استحق الملك؟ لأنه هو الذي خلق!

هذا بيناه، أنه جل في علاه هو الذي خلق، فالذي خلق له حق الملك، والذي له حق الملك له حق الأمر!

فبم استحق التأله؟ لأنه رب.. فالرب الحقيقي التام في ربوبيته هو الذي يستحق الإله! فحين تقول: الإله الحق، ينبغي أن تكون مساوية للرب المطلق!

إذن يمكن أن تستعيض كلمة الرب مكان كلمة الإله لوجهٍ من الوجوه، لسببٍ بلاغي عليك أن تبحث عنه! يعني أن تستخدم كلمة الرب مكان كلمة إله، أو إله مكان كلمة الرب..

الآن لما نحن نقول: لا إله إلا الله، أنت تقول: لا معبود إلا الله، يعني أثبت له حق العبادة! فأثبت له في داخلها أنه هو الرب!

فتوحيد الإلهية في داخله لا يمكن أن يكون إلا متضمنًا لتوحيد الربوبية! هذا قالوه! ليس مني! هذا قالوه!

لا يمكن للمرء أن يؤله أحد إلا وهو يعتقد ربوبيته! فإذن يمكن أن تستخدم كلمة إله بدل كلمة رب..

جاءوا إلى آيات وظنوا أنها حاسمة، وهذه من الدكتور ليست من أتباعه، ويأخذونها على طريقتهم..

وجاءوا إلى قوله تعالى في سورة المؤمنون: [إذن لذهب كل إله بما خلق، ولعلا بعضهم على بعض]! فقالوا: فإن الله عز وجل في هذه الآية لم يأتي بكلمة الرب ولكن أتى بكلمة إله، فدل على أن الإله هو الذي عنده القدرة على المنازعة، في أن يغلب كل من نازعه، إذن هذا الرب!

هذه على من تُطلق؟ الذي ما لو غُولب غلب كل من غلبه، هذه صفة من؟ هي صفة الرب!

هذه التي يأخذونها هي وغيرها في من قوله تعالى: [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا]. هذه دليل التمانع عند المتكلمين... وسأُبين لأنه هذه يحتجوا بها من الجهالات على قولهم فيها..

فهذه يسمونها دليل التمانع، بمعنى أن امتنع الحدوث، فامتنع الأصل.. فلما لم يذهب كل إلهٍ بما خلق، ولما لم يقع التنازع فدل على أن الله هو الرب هو الإله..

الآن يظنون أن استخدام كلمة إله هنا، يوجب أن تكون الإله هو الرب، ونحن نقول ذلك، لكن السؤال: الموطن حديث عن الربوبية أو حديثً عن الألوهية؟ هذا يرجع فيه إلى اللغة، واللغة قد قضت بما تكلمنا فيه، ولا يجوز لأحد أن يأتي ويقول: بأن وجود هذا الوصف (إله) –لأنه يجعله للأسف اسمًا! وهذا غلط كبير بينت بعضه، وإذا جاء الوقت–لأنها ليست من القضايا الرئيسية في البحث مع أنها مهمة– فجعل استخدام كلمة إله في هذا الموطن تعني أن لا يكون كلمة إله إلا بمعنى الخالق الوحيد في خلقه!

وهذا عجب، العجب لو تابعناه في ما يقول، لدل هذا على قضيةٍ واحدة: أن كل استخدامٍ في القرآن لكلمة في موطن يدل على أنها لا تُصرف إلا لهذا المعنى أساسًا وأصلًا! فأين يذهب بالآيات التي تدل على أن الناس اتخذوا آلهة من دون الله، ونسبوا إليهم، وصرفوا إليهم أفعالهم في التأله..

فهذا الاحتجاج باطل في اللغة، عليهم أن يوقفوه! لأنه يدل على ضحالة في طريقة عمل اللغة.

نأتي إلى قوله تعالى في الآية: **[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا]**.

يزعم من تابعه وكذلك هو، يزعم بأن: [لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا]، فدل على آلهة هنا بمعنى أرباب متعديين، لفسدتا، يقول المتكلمون: فسدتا أي لم يوجدا، لأن القوى تعادلت، فواحد يذهب والأخر يذهب بضده، واحد أن يخلق والأخر ألا يخلق، فيدل هذا على دليل التمانع والتعارض، فحينئذٍ يتساقط لوجود التعادل بينهما!

أليس كذلك؟ هكذا هم يقولون! يعني هذا يدل على عدم القراءة والاستيعاب حتى لأصول هذه

المسألة، يعني الأصل عندما يتكلم المرء في هذا الباب، أن يرجع إلى كيفية كلام خصومه فيها!

في كتاب شرح الطحاوية.. وهو نقل كما ترون في المقدمة الأولى في قضية تقرير التوحيد، هو نقلٌ تام من ابن القيم ومن ابن تيمية بألفاظه، وهو يستدل على جهالة المتكلمين بهذا الاستدلال، وأن كلمة إله لا تعني هو الرب!

لنرى أن الذين خاصمتهم هم يعيبون على هذا الاستدلال الذي تقول به، وكان ينبغي أن تنتبه له، وأن تقف عنده، وأن تناقشه!

أنا أقرأ لكم كلام ابن أبي العز، وهو كما قلت لكم وهو نقل تام عن من؟

للذكر فقط، هذه فقط للهوامش، الدكتور أخذ نفسًا طويلًا ليقول: بأن الشرك ليس هو تعادل الآلهة، وإنما أن يكون أن يكون في المعبود بعض نوع ربوبية فهذا شرك! هذه كلمة جميلة، وهذه كلمة صحيحة!

أعيد الكلمة لأهميتها: يبذل جهدًا طويلًا الدكتور في كتابه، من أجل أن يقول: بأن الشرك ليس معناه التعادل، يعني أن يكون الشريك يعادل شريكه، يعني مثلًا: بنات الله، يعني فيهن نوع الربوبية.

هذا الكلام الذي يبذل نفسًا طويلًا فيه، ويظن هو–الدكتور، أخذه في اتجاه للأسف في رده على ابن تيمية، رده على تقريراته، الغريب أن هذا من تقريرات ابن تيمية!

ابن تيمية حين رده على الإخنائي في صفحات طويلة ارجعوا إليها لتدلكم على أنه هو يقول بهذا!

يعني بأن مجرد اعتقاد نوع ربوبية في هذا المعبود هو شرك، بل يقول ابن تيمية بالنص: ولا يُعرف شرك التكافؤ في العالم أجمع إلا في القليل، وهؤلاء محجوجون عند كل العقلاء!

يقول: لا يوجد–هذا لا يوجد أبدًا أن هناك فيها أرباب يتكافؤون والناس يعتقدون تكافؤهم، هذا لا وجود له ولا يعتقده عاقل! ومن قال به فهو محجوج من كل العقلاء! هذا في رده على الإخنائي.

وهنا في في شرح الطحاوية، والأصل أن يكون هو من أوائل الكتب التي تُقرأ في هذا الباب! ليرد عليها–لا، أريد أن أقول: ليتابعها،

انظر ماذا يقول هنا، ودعونا نقرأ من البداية: وانتظام أمر العالم كله، وإحكام أمره، من أدل دليل على أن مدبره إلهٌ واحد، (مدبره إلهٌ واحدا!!، المسكين هو ذهب إلى كلام الطبري، والله أنا أحزن في الحقيقة، كما مرة قرأت لأحدهم يريد أن يثبت أن ابن جرير الطبري يقول في التأويل، في رسالة دكتوراه، وأعظم دليلٍ في كتابه لإثبات أن ابن جرير يقول بالتأويل، أنه يقول: وتأويل الآية كذا! يعني إذا وجد أحد يقول: رد عليه، فأنا سأسكت!) انظر إليه هنا يحضر الدكتور كلمات، أنه يستخدم كلمة إله بدل كلمة الرب، ويقول: انظر، هو يقول: الإله هو الذي يخلق، هو الإله الذي... عجب!

قال: من أدل دليل على أن مجبره إلهٌ واحد، وملكٌ واحد، وربٌ واحد، لا إله للخلق غيره، ولا رب لهم سواه، كما قد دل دليل التمانع على أن خالق العالِم واحد، لا رب غيره، فلا إله سواه (يعني يجب أن يؤخذ الكلام بأجمعه) فذاك تمانعٌ في الفعل والإيجاد، وهذا تمانعٌ في العبادة والإلهية، فكما يستحيل أن يكون للعالم ربان خالقان، متكافئان، كذلك يستحيل أن يكون لهم إلهان معبودان (يقرر هذه) وقريبٌ من معنى هذه الآية قوله تعالى: **[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا]**.

إذن هو يريد أن يقول: بأن معنى الآية: الإله هنا بمعنى المعبود، لو عُبد غير الله لفسدتا

الآن نرى كيف فسر الآية.. يقول: وقد ظن طوائف، أن هذا دليل التمانع الذي تقدم ذكره (بمعنى لعلا بعضهم على، نفس الآية، يقول: لا، لا هنا هذه الآية تختلف) وهو أنه لو كان للعالم صانعان، وغفلوا عن مضمون الآية، فإنه سبحانه أخبر أنه لو كان فيهما آلهةٌ غيره ولم يقل أرباب! (انظر كيف يفسرها) وأيضًا: فإن هذا إنما هو بعد وجودها لو كان فيهما (الله يقول: لو كان فيهما، فلو كان المقصود أرباب لما وجدتا! لما يقول: **[لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا]**، فالأصل فسدتا أي لم يوجدا! فيكيف يُقال فيهما؟ فإذن هذا الكلام بعد أن وجدت الأرض والسموات، فإذن شيءٌ أخر! لو كان فيهما آلهةٌ إلا الله، ما الذي فيهما؟ وما هو الفساد المترتب عليه؟

ليس فساد عدم الوجود، لأن الحديث عما بعد الوجود، لو كان فيهما! هذا من كلامهم!) وأيضًا: فإنه قال: لفسدتا! وهذا فسادٌ بعد الوجود! ولم يقل لم يوجدا (لأنه حديثٌ عن قضيةٌ أخرى، غير قضية الخلق) ودلت الآية على أنه: لا يجوز أن يكون فيهما آلهةٌ متعددة، بل لا يكون الإله إلا واحدًا، وعلى أنه لا يجوز أن يكون هذا الإله الواحد إلا الله سبحانه وتعالى، وأن فساد السماوات والأرض، يلزم من كون الآلهة فيهما متعددة، ومن كون الإله الواحد غير الله، وأنه لا صلاح لهما إلا بأن يكون الإله فيهما هو الله وحده لا غيره، فلو كان للعالم إلهان معبودان لفسد نظامه كله، فإن قيامه إنما هو (انتبه هنا،) بالعدل! (يعني هذه الآية الأصل أن نحتج بها على الذين يحكمون بغير الشريعة، وأن نتائج ما حكمت هو الفساد الحاصل، لفسدتا، لحصل فيهما الفساد.. لأن قيام السماوات والأرض بماذا؟ بالعدل، يعني الناس يقيمون العدل، أي يتعبدون الله بتنفيذ أمره) وبه السماوات والأرض وأظلم الظلم على الإطلاق الشرك، وأعدل العدل التوحيد.

هذا كلامه في الرد عليهم، فلا يعتقد أن هذا الأمر لم يمر على من تكلم بخلاف الأمر.

يعني أنا لا أريد أيضًا أن نلاحق الدكتور في موضوع المنهج، فهو طويل وكثير.

نأتي إلى قضية مهمة جدًا، دعوني أبدأ بها:

كيف فهم العلماء علاقة توحيد-الآن انتهينا نحن، أنا سأتكلم بعباراتي، وليس بما يقول توحيد الربوبية مكان الألوهية- العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الإلهية؟

أنا أريد أن أقدم مقدمة حتى تُفهم.. لنبدأ بمقدمات متفق عليها: لو أن أحدهم جاء وسألناه: ما حكم ساب الله؟ لقال: هو كافر كفر بالله. لو قال: لما كفرتموني؟ لرددنا عليه بعد سؤاله: بأنك تنقصت الله، وتنقص الإله شركٌ وكفر. فلو رد عليك آلاف الأيمان أن ما في قلبه من تعظيم الله يفوق ما في قلبك أنت ممن لم تسب، فما ترد عليه؟ ثم بم ترد عليه؟ وثانيًا: ما هي قيمة دعواه في وجود التعظيم، مع وجود الظاهر الناقض له؟ ما قيمة دعواه؟

انتبهوا، لو جاء رجل وتناقش علماء، وقال واحد: ما هو دليل أن ساب الله مشركٌ وكافر؟ فيحضر له الدليل [إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ] فيبين له أن الاستهزاء [إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ] فهو يأتي ويبين الأدلة، الآن الحكم بان بالدليل..

التفسير إما أن يكون ملحقًا بما هو في معناه من منصوصٍ عليه، وإما أن يكون منصوصًا عليه!

يعني عندما يأتي واحد ويقول: بماذا استهزأوا؟ يقول: كلمة الاستهزاء هنا وردت في لفظ على معنى ولكن يمكن أن يدخل في هذا الاستهزاء كل ما عده الناس استهزاءًا!

فإما أن يأتي منصوصًا عليه، وإما أن يكون داخلًا في معناه! والتحقير له وسائل لا تنتهي!

من هنا في الزواجر عن اقتراف الكبائر وفي آخرها في قضية المكفرات لابن حجر الهيتمي، أنه نص في بداية الأمر: فإن أعمال الشرك والكفر لا يمكن أن تنتهي. هل يمكن أن تنتهي؟ لا يمكن!

الاستهزاء، يتولد في الناس من أعمال الاستهزاء مالا ينتهي.. ما كان عند الناس مسرحيات، ما كان عندهم تمثيليات! وقد يستهزء المرء بأمور لا يمكن حصرها–لا يمكن، ولكنها داخلةٌ في هذا الضابط!

القصد أن أقول: انتبهوا، بأنك تسأل بم كفر فلان؟ تقول له: قال كذا، فأنت إما أن تأتي بالنص، ولا يجوز أن يُتلعب بالنص لعدم وجود المعنى، وقد دل النص على أن المعنى موجود في داخله حتى لو نقضه الزاعم.

أخذنا مسألة في قضية السب، لندخل في مسألة خلافية من المعاصرين ليس من الأوائل.

في قضية التشريع –للذكر هناك من الجهلة من زعموا أنه لابد من التفريق بين من أخذ شرع المشرع فلا يُشترط فيه الاعتقاد، وأن النُسك يُشترط فيه الاعتقاد!.. لما أنا ألزمت الدكتور في الدرس الفائت، وقلت: لم لم تشترط الاعتقاد في من شرع ليكفر؟ ما معنى ذلك؟ يعني الآن أنت تُكفر طاغوتًا من

الطواغيت آل فلان، تقول له لماذا؟ يقول: لأنه شرع!. فيسألك: هل يوجد أحد في الدنيا يعتقد فيهم اعتقاد الربوبية، اعتقاد الخالقية، التصرف، المدد، هل يوجد؟ لا يوجد أحد!

فأنت لما كفرت بعدم وجود شرط الاعتقاد في هذا الباب، كان عليه أن تتطرد لمجرد وجود الفعل!

الآن نبين أن شرط الاعتقاد هذا كم هو مُهلهل! فأنت عليك أن تتطرد القاعدة!

فبعض الجهلة-ما أدري هذا منه أم من غيره، أنا لم أتابع- وجدتهم يقولون: لا، النسك قضيةٌ أخرى غير قضية الأمر والنهي!

لكن أنا لا أرد عليهم، هو يرد عليهم، هو يرى: أن الشرك لا يكون في الأمر والنهي إلا بشرط الاعتقاد! يقول صفحة مئة وأربعٌ وخمسين: فلا صحة مطلقًا (هذه مدخل لما تكلمنا، مع الاعتذار، هذه فتح قوس للموضوع) فلا صحة مطلقًا إذن لما يُقال إنهم لم يكن لديهم شركًا في الذات، أي في النوع الإلهي، وأنه يجوز فيه التعدد، أو شرك في الأسماء والصفات، أو شرك في الربوبية، بل هذا هو عين شركهم (يعني عين شركهم أين؟ شرك الاعتقاد-الاعتقاد فيهم الفعل الذي هو خاص بربنا جل في علاه) وحقيقته لا غير (لا غير، انتبه-لا غير، لا يوجد شرك إلا هذا النوع) وعليه ترتب الإشراك في العبادة والحكم، والتشريع وليس العكس!.

إذن عنده في الحكم والتشريع، لا يمكن أن يكون الرجل كافرًا حتى تعتقد فيه الربوبية على قولنا، أو الإلهية على قوله، لا نريد أن نبقى في هذه الدوامة قولنا وقوله،

فإذن هو يقول: لا تفرقوا، لا تفرقوا بين شرك الحكم والتشريع وشرك النسك في ما هو شرك، فإنه لا يكون إلا باعتقاد.. هو يقول! وأما أن يدافع عنهم فيقول: لا، هناك فرق، فالرد بينهم..

هذا الكلام: كما زلت القدم بالإمام شيخ الإسلام أبي عباس أحمد بن تيمية تلك الزلة الشنعاء (طبعًا شيخ الإسلام وكذا-خذوها هو تبرير من أجل التمرير، نعم ، يعني اقرأوا كلامه هو لا يعتقد شيخ الإسلام، ولا يعتقده شيخ، وسأبين غلطه على ابن تيمية، الآن في حديثنا عما نحن فيه).

له نصٌ أخر، أنه لا يفرق بين شرك النسك، وبين شرك الحكم والتشريع، في فهمه له، أو في وجود شرط اعتقاد الربوبية في الفاعل! مع الرغم أنه لا يمكن حينئذٍ أن تُكفر أحدًا!

البرلمان لا يوجد أحد في الدنيا يعتقد أن فيهم صفات اختصاص الربوبية! فيهم سر–كأن يُقال هم أبناء الله، أو يُقال هم بنات الله، أو يُقال فيهم نوع ألوهية متولدة، أو نوع ألوهية خاصة بهم؛ لا يقول أحد! ومع ذلك أنت تقول هو شرك، فهذا من اللوازم.

نرجع إلى ما نحن فيه، وهي قضية كيف يُفسر الشرك؟

ما هي العلاقة بين شرك الربوبية وشرك الإلهية؟

العلماء يقولون كالتالي بالنص، وسأقرأ لكم..

نرجع إلى الأمثلة التي بين أيدينا، نحن ضربنا مثلًا على على الساب! فإنه لو زعم عدم التنقص لكُذب لأن كلامه فيه تنقص!

ولو أن رجلًا قال: أنا أنسب كل ما نسبه القرآن لله، وأنفي عنه كل ما نفاه عن نفسه، وأنفي عن غيره كل ما نفاه عن غيره، وأوحد فعله –أنه لا يصدر إلا منه جل في علاه– وأعتقد باطنيًا أنه يجب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، ويجب عليَّ أن أمتثل أمر ربنا، وأقتدي بأمر رسولنا صلى الله عليه وسلم.. ومع ذلك هو جاء وشرع دينًا جديدًا–انتبه–هنا عن التفسير أتكلم، أحضر للناس دستور مخالف لما في الكتاب والسنة، مخالف إما بالوصف وإما بالأصل، هل تسميه كفرًا؟ الجواب: نعم، تسميه كفرًا.

السؤال: لو قال لك المحتج: لم كفرتني؟ فإما أن تستدل عليه بالنص، تقول له: **ما لم يحكم ما أنزل الله، تقول لهم: شرعوا *** من الدين ما لا يأذن به الله! تقول لهم: [وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ].**

وإما أن تقول له: فإن فعلك هذا يعني أنك اتخذت آلهةً غير الله!

يقول لك: ما هذه غير الله؟

تقول له: اخذتهم أنت يأمرون وينهون!

يقول: لا، إنما أخذته على سبيل التلعب مني في هذا الأمر!

وهو يقول له: لا، بل أنت أخذته وقد أثبت لهم الربوبية...!

فيرد: لا، لا، والدليل كما ترى! أني لا أصفهم بصفات الربوبية!

فإما أن تتابعه على شرطك، وإما أن تحتج عليه بالنص!

الذي يحتج عليه بالنص -وهذا هو ما يجهله الدكتور- عليه أن يبين له أن دعواك في أنك تقول ما تقول-ليس شرط اعتقاد الربوبية في هذا الأمر الناهي-ولكن في كونك جعلت آمرًا غير الله، وفي داخل أمرك يقينًا أنك لا يمكن أن تعتقد أن كلام الله هو الحق، لا يمكن!

ماذا قال شيخ الإسلام لما تكلم في قضية تارك الصلاة؟ الناس لا يفهمون هذه الكلمات، يأخذونها شروطًا! وهي تفسير، فرق بين التفسير والشروط! لما قال شيخ الإسلام: الرجل تحضره وتقول له صل، يقول: لا أصلي، تقول: أقتلك! يقول: اقتلني ولا أريد أن أصلي!

ثم يقال له: هل تعتقد أن الصلاة هي أمر الله وأنك إن مت دخلت النار إن لم تصل؟ يقول: نعم، أعتقد أن الصلاة حق، وأنها أمر الله، وأن رسول الله جاء بها، ومع ذلك اقتلني ولا أريد أن أصلي!

هل يُصدق هذا؟ لا يُصدق!

بم رددت عليه، بم سماه الدكتور -كما بين في الدرس الفائت- القرينة، بم سميته القرينة!

الكلمة التي سنصل إليها: لا يمكن لك أن تكفر بتوحيد الإلهية إلا وأنت لزومًا ناقض لتوحيد الربوبية!

لا يمكن! لا وجود أبدًا لناقضٍ لتوحيد الإلهية إلا وهو ناقضٌ لتوحيد الربوبية.. إنما السؤال: بم تفسرها؟

هو يريد أن يقول: بأن الشرك لا يكون إلا بشرط اعتقاد الربوبية!

نقول له: نعم، في وجوه، نعم موجودة هذه، وفي وجوهٍ أخرى من الشرك ليست كذلك! كقضية التعظيم، كما ذكرنا في قضية التنقص!

يعني هو يقول وهنا كلمته إلزامه لشيخ الإسلام، وزعمه عليه، مع الاعتذار: هراء، يعني نستخدم عبارته من أجل أن نتعلم أن الكلمة إذا قيلت لنا فكانت شديدة لا نستخدمها على العلماء! لا نستخدمها في الخصومة.. يعني هذا يقال عن ابن عباس!

فهذا هراء! انظر إليه ماذا يقول: وعليه ترتب الإشراك في العبادة، والحكم والتشريع وليس العكس، كما زلت القدم بالإمام شيخ الإسلام ابن تيمية!

هو يريد أن يقول ماذا؟ أن ابن تيمية قال: لا يمكن أن يكون المرء ناقضًا لتوحيد الألوهية، إلا وهو ناقضًا لتوحيد الربوبية..

هذا الكلام صحيح، ابن تيمية يقول: هذا لازم لهذا. لكن الموضوع: على كيف تفسره؟ والموضوع: هل تشترط أم لا؟

لندخل في الأمثلة التي بيننا..

رجل كما يقول شيخ الإسلام فيه هنا –للأسف هذا الكتاب الرد على الإخنائي هو تقريبًا أصل فيما يعتقده شيخ الإسلام في هذا الباب، لأنه يرد على رجل يناقضه في هذا الباب، وهو قاضي القضاة الإخنائي..

لما يأتي ابن تيمية ويقول: بأن المرء لا نرى هذا الفعل منه، يكون في البحر وتصبيه الأمواج، وشيخه

بعيد عنه الذي يعتقد فيه الصلاح، فُيقال: ادع الله، يقول: لا، أريد أن أدعو هذا الشيخ!

ماذا تقول له؟ هذا مشرك أو غير مشرك؟ لنطبق القواعد، يقول: هذا مشرك، لأنه دعا الله دعاء الغائب..

فالآن تفسير ذلك، لو سُأل: ما الحكم؟

قيلت الأدلة، لأن الدعاء هو العبادة!

دعوت غير الله عبدته! يُقال له: هذا الدليل!

يُقال له: **[وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي]**

يُقال له: أنت دعوته فعبدته، هذا الحكم!

ولكن حين نأتي للتفسير، هل نشترط يقينًا -كما يقول الدكتور حاتم العوني- أم أن النص يفيدنا وجوده رغم أنوفنا؟

عندما يأتي واحد ويشرع دينًا جديدًا، فيُقال له: أنت لا يمكن أن تعتقد أن حكم الله هو خير من هذا الحكم، ولا يمكن أن تعتقد بأن حكم الله يؤدي للنصر! ولا يمكن أن تعتقد كذا! نلزمه بهذه اللوازم، نحن نفسر كلامه، ونرد عليه بما قال الله: **[إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ]**

ماذا قال شيخ الإسلام؟ شرح هنا، هذا وصف وليس شرط، لأنه لا يمكن للمرء أن يكفر بلا إكراه إلا وقد شُرح صدره!

ثم قال ربنا عز وجل: **[ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ]** لا يمكن أن يقع منهم على هذا المعنى الاختياري، إلا وقد استحبوا الدنيا على الآخرة!

لو جاء رجل وقال: لا، كل هذا غير موجود عندي، فأنتم كفرتموه لأنه يستحب الدنيا على الآخرة،

وكفرتموه أنا قلبي لم ينشرح، يردُ عليه بأنه لا يمكن تصور هذا وجود هذا الفعل إلا وفيه هذا المعنى!

هذا كلام أنا؟ هذا كلام ابن تيمية الذي أنت رددت عليه!

ابن تيمية يقول: لا يمكن أن يوجد سؤال العبادة، التي سماها الله عبادة، ودعاء العبادة التي سماها الله دعاء عبادة، لا يمكن أن تكون إلا وفي قلب هذا الداعي معنى الاعتقاد في سيده، لا يمكن!

نقرأ كلمة لابن القيم فقط لترد على هذا الكلام الغريب منه. هذا يدل على ماذا؟ يدل على أنه لم يقرأ كلامه، ولم يستوعب الدكتور ماذا يقولون في هذا الباب..

يقول ابن القيم في إغاثة اللهفان، المجلد الأول صفحة مئة واوحد، هذا كلامه: بأننا علينا أن نسمي ما سماه شركًا أنه شرك..

الآن تفسيره أنت تشترطه، الشارع يقول هو موجود لزومًا، رأيتم الفرق؟ هذه العبارة النهائية..

عندما يشرك المشرك في أمرٍ تعبدي نسكي، الشارع يقول: هذا شرك! فيرد الراد، يقول: أنا لم أرد المعنى الذي سميته شركًا! يقول الشارع: لا يمكن أن يكون هذا الفعل منك إلا وقد وجد هذا المعنى في قلبك..

يقول ابن القيم في إغاثة اللهفان، صفحة مئة وواحد، الجزء الأول: فالشرك ملزومٌ لتنقص الرب سبحانه. ماذا يعني ملزوم؟ يعني أنه لازمه في قلب العبد أن يكون قد تنقص الله! إما على معنى السب والشتم، وإما على معنى الإعراض، وإما على معنى الربوبية.. هذا لا يهمنا هذا التفسير..

قال: والتنقص لازمٌ له ضرورة شاء المشرك أو أبى!

قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، قال لهم: نخوض ونلعب هذا مبنيٌ على الاستهزاء! والاستهزاء لا يمكن أن ينشأ من القلب إلا مع قلة التقديس والتقدير الذي أمر الله عز وجل أن تأخذه في هذا الباب.

نفس الكلام يقوله ابن أبي العز الحنفي هنا، يقوله نقلًا عن ابن تيمية، بأن هذا الشرك الذي سماه الله

شركًا هو موجود في نفس العابد على ما اشترطته.

نذهب إلى نقطة أخرى، وجد من الناس -هذا ينبغي أن نعترف- من لم يقبل هذا التفسير -والحقيقة نستطيع أن نقول: أن هو ملزم لأمثاله ممن يرفض المعاني، بمعنى أنه هو يقول: الله سمى شيئًا شركًا فهو شرك! كما في سورة يونس: [**وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ**]

إذن اتخاذ شفعاء ما لم يأذن به الله هو شرك! فينبغي أن تسميه بما سماه الله من غير الاشتراط، لأن هذا الشرط الشرعي يعرفه ويلزم وجوده في قلبه، الأصل أن تسميه، كما سمى التشريع على خلاف الشرع شرك.

لكن ما الذي يحدث؟ كما في زمننا هذا، يأتي أحد ويقول: لا، لا يجوز أن تسميه شركًا إلا بالشرط الذي فسره الشارع وجوده، فلذلك قالوا في قضية التشريع: لا نسميه شركًا حتى يعتقد المشرع بأن شريعته أفضل من شريعة غيره، جعله شرطًا، وهذا باطل!

ويأتي بعض المتشددين (الجهلة) يقولون: بأن هذا الشرط باطل، وعند التفسير: يقولون بأن وجوده لا يمكن أن يكون.. نقول: لا، موجود! ولكن أن تبحث عنه ليس هو مطلوب الشارع وليس هو مقصود الشارع، لأنه يمكن أن يتلعب فيه، يعني عندما تضع شريعة مخالفة لشريعة الرحمن في مسألة من المسائل، هذه لا يمكن أن تنشأ عن تعظيم، إنما تنشأ عن تنقص! ولا يمكن إلا الاعتقاد أن بالشريعة نقص! فيأتي آخر ويقول: لابد أن نبحث عن هذا الشرط! وأن يأتي المشرع ويقول: شريعتي خيرٌ من شريعة الله!

فيأتي الرد عليه، يقول له: لا يمكن أن يكون–هو يبدأ بالتفسير، لماذا ينشأ الشرك؟ لأسباب كثيرة!

فكما من اشترط وجود الأمر القلبي عند الحكم في ما سماه الله شركًا لعلمه جل في علاه أنه لا ينشأ إلا من أمرٍ شركي قلبي، كما أنه ينشأ هذا من الغلط كذلك دعوى أن الشرك في الإلهية يمكن أن ينشأ من غير شركٍ في الربوبية!

كما قلنا بأنه: لا يمكن أن ينشأ شركٌ في الألوهية.. بعضهم قال: هذا اعترافٌ جديد، هذاخطأ، هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، كلام ابن القيم، كلام العلماء!- لا يمكن أن ينشأ شركٌ في الألوهية إلا وهو شركٌ في الربوبية!

لكن المشكلة في شرك الربوبية البعض يظن أنه في اعتقاد الفعل! لا هو اعتقاد التعظيم وعدم التعظيم، واحد يتنقص الإله هذا شركٌ في الربوبية! لأنه لا يمكن أن يتنقصه إلا وهو يراه ناقصًا لا يمكن!

طيب لو أنه رآه كاملا فتنقصه! إذا هو لم يخف تهديده! لم يعتقد بأمره ونهيه!

لكن الشارع هنا يفسر وأنت عليك أن تحكم، فبعضهم ذهب وجعل التفسير شرطًا من أجل يحكم، أن يظهره، أن يبينه، وآخرون زعموا يمكن أن ينشأ شرك الألوهية من غير شرك الربوبية! كلاهما مخطأ! لا يمكن...

فلا يمكن أن ينشأ شركٌ في التعبد، إلا ومبناه على أمرٍ قلبي، لأن علاقة الظاهر بالباطن علاقة تلازم لكن (غير مطلقة)، لماذا غير مطلقة؟ من أجل نخرج المنافقين، من أجل نخرج المكره.

ضربنا أمثلة كثيرة، واحد يُقال له: ادع الله في هذا المكان، يقول: لا، لا، أدعو شيخي! فيُقال له: اتخذت شفعاء!

أهون الشرك.. الله سماه شرك! لماذا شفعاء؟ لو سأل سائل: لماذا يتخذ الناس شفعاء؟ كما يقولون هم!

يقول: هذا أقرب إلى الله، فأدعوه ليدعو الله لي! هذا شرك! لأنه تنقصٌ في الله، وهذا توصيفٌ لربنا بما وصفت به الملوك الظلمة!

والله قال لك ادعوني مباشرة! لا تجعل وسطاء بيني وبينك، فإن جعلت وسيطًا فقد تنقصتني..

لو قال قائل: لما سمى الشارع [**وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ]

فلماذا جعلت عدم الإيمان باليوم الآخر هو كفرٌ بالله! لأن لازمه التنقيص بربنا! طعنت في حكمته!

وأنت لما تقول الله اتخذ شفعاء من أجل يوصلوا له حاجات الناس، هؤلاء بم حصل لهم هذا؟ حصل لهم بالتولد، الله أعطاهم جزء من الإلهية، والبركة الخاصة –البركة الإلهية التي فيهم خصوصية الوصول كما يعتقد الشيعة في أئمة آل البيت، كما يعتقد الصوفية في أئمتهم، أن الله أعطى الشيخ مرتبة هي تُحصل له هذا المقام– هذا قدح في حق الله!

فإذن هذا الاشتراط باطل، وتفسيره بغير وجود هذا المعنى باطل!

أين هؤلاء الذين زعموا أنه لا يمكن أن يكفر حتى يتحقق هذا؟ ووجد من أئمة الدعوة النجدية للأسف خلال شدتهم!، ووجد في الدعوة النجدية خلاف شدتهم في الرد على هذه القضايا من قال بهذا الكلام! وتصور وجود شركٍ في الإلهية دون وجود شرك في الربوبية! تصوروا! وهذا خطأ! فإن الشارع الحكيم –كما يقول ابن القيم– ألزم الناس بتوحيده، يعني يتألهوا ويعبدوه، بماذا؟ بتوحيد الربوبية! ألزمهم.. وكل القرآن مبنيٌ على أنه ما دام هو الرب فيستحق أن يُعبد، فلو نقضت عبادته لكنت ناقضًا لربوبيته.

طيب هل يمكن المرء أن يثبت الربوبية للناس ليخرج بالإسلام، دون أن يدخل في توحيد الإلهية؟

الجواب: نعم! يمكن، وهذا على أي معنى؟ على المعنى الأول في الربوبية، وليس من لوازمها!

يعني يمكن للرجل أن يقول: أنا أريد أن أقول: أن الخمر حلال! فيُقال له: لم قلت هذا؟

فيبدأ بهذه التفسيرات، فعلى هذا المعنى يمكن أن يوجد لأن توحيد الربوبية ليس هذا ما قصدوه من قضية توحيد الفعل وتوحيد الذات وتوحيد التصرف، فإن لهم معان أخرى معروفة عند من يدرس أن التوحيد أعظم من قضية الإثبات، التوحيد ليس أن تثبت له ما أثبته لنفسه من فعل فقط، كذلك أن

تثبت له ما أثبته لنفسه من استحقاق!.

نعود إلى المنهج.

قال: انخدع بهذه الأكذوبة (قضية اللات التي قالها ابن عباس) الأكذوبة الخرافية في محاولة لتفسير معنى اللات بردها إلى المادة الثلاثية "لتّ". يقول في صفحة مئة وخمسٌ وستين عن كلام ابن عباس: وهذا لعدم معرفة ابن عباس بأوضاع الجاهلية (يعني لا يعرف الشرك)

صفحة مئة وخمسٌ وستين يقول: حقيقة اللات رواية موقوفة، خرافات عربية، أساطير شعبية، ما قال قط أنه شرب أو أكل من ذلك السويق العجيب الخرافي (يعني ابن عباس لم يأكل من هذا، فبالتالي يحق له أن يتكلم.

انتهينا من قضية العبادة، قضية الإله والرب، وأرجوا أكون قد استوفيتها، تكلمنا عما ينسبه لشيخ الإسلام، وعليه أن يقرأه قراءة جيدة، وخاصةً أعيده إلى كتاب الرد على الإخنائي ومقدمة شرح الطحاوية التي أُخذت من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية..

يعني العبارات الأخرى لا أريد أن أناقشه.

انتبهوا لهذه الكلمة، يقول: وقد رخص الله للأمم السابقة (وهكذا عبارة في الهواء طائرة بلا أجنحة ولا أرجل، طائرة في الهواء هكذا، وهذا الذي يُقرأ متنًا ليُعلم) في خبائث وفواحش! أين قوله: (إن ربي على صراطٍ مستقيم)!! ولله هذه يُستتاب عليها..

للذكر: ما قلته في التفسير يقر به، لكن دعوني أجد النص، يجب أن تصبروا، ما قلته هو يعترف به وأن هذا عادةً موجود، بأنه لا يمكن أن ينشأ الشرك في الألوهية عادةً بما نقوله إلا مع شرك في الربوبية، يعني لا يوجد الاشتراط.

فقط أكمل هذه العبارة وأعود للنص: وقد رخص الله للأمم السابقة في خبائث وفواحش عادت وبالًا

عليها، كما هو بيّن في إحلال الخمر لهم (لا يمكن أن يجد في الكتاب والسنة أن الله حلل الخمر لأمةٍ من الأمم السابقين، التي هي أم الخبائث!) ومن مشروعية (هذه الكلمة التي يريدها، هذه تحتاج درس ساعة) المَلَّكية الوراثية لبني إسرائيل وهو نظام خبيثٌ ملعونٌ فاحشٌ ألح القوم عليه..

غريب جدًا يجعل عمل لقوم لوط، انظر إلى العبارة القبيحة.. الله يقول: [مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ] تقذيرًا لها، إنكم أتيتم بشيء لا يأتيه الأمم، لأن فطرة الناس ينكرونها.. لا أريد أن أناقش فهمه للمعاني، وأنا ذكرت لكم من عجائبه قضية الشرك الأصغر وأن الشرك الأصغر لا يمكن أن يدخل في الشرك الأكبر لا قياسًا ولا لغةً، ولا.. لا يمكن أن يدخل في معناه أبدًا، الشارع وضعه هكذا.

قال عن اللواط: فلو لم تأتي إلا آيات العنكبوت والشعراء، لما ثبت بها تحريم في هذه الشريعة الخاتمة!.

طيب: أنا أقرأ لكم عبارة الدكتور في قضية العادة، هو وضع كلمة عادة، ويمكن أن تكون.

هو يقول: لا يمكن أن ينشأ الشرك في عمل من أعمال النسك التي سماها الله عبادة، إلا وهو مشركٌ في باطنه.

الغريب أنه نقل كلمة، مما يدل على عدم المنهجية، كلام ابن جرير، صفحة مئتين وخمسين، يقول: عن عطاء (ابن جرير يروي عن عطاء هكذا مرات ينقل صفحات) يقول: يعلمون أن الله ربهم، وهم يشركون به بعد. هذه الجملة النهائية التي تحسم المسألة كلها!

وابن وهب يقول: [وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ] قال: يعلمون أن الله خالقهم ورازقهم وهم يشركون به.

طيب دعوني آتي بالعبارة لأنهي الموضوع، لأن ما قلناه هو كلام الدكتور، لكن أخرجه... سنختم بها وجزاكم الله خيرًا، والكتاب القادم إخواني هو كتاب "النبوات" لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

انظر ماذا يقول عن كلام ابن تيمية، وحتى لا تغتروا بقوله: شيخ الإسلام، يقول: من التخاليط

والوساوس، كذلك ما قاله الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية.. إلخ، فمن جعل الملائكة والأنبياء وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم، ويسألهم جلب المنافع ودفع المضار، مثل أن يسألهم غفران الذنب، وهداية القلب، وتفريج الكروب، وسد الفاقات..

يأخذ هذا النص ويستهزئ به فيقول: فيه تخاليط، ولا يأتي على أي قضية، على قضية تفريج الكرب، وشيخ الإسلام واضح كلامه في تفريج الكرب وهو يأخذه على المعنى الأخر، ويترك القضية الثانية، لا يأتي إلى قضية التوكل عليه، لا يأتي إلى قضية غفران الذنب، هداية القلب، هذه لا يأتي عليها.

جزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: هل سمعت مناظرة الدكتور المسعري مع تركي البنعلي؟

الشيخ: لا.. هل هناك سؤال آخر؟

السائل: بالنسبة لهم الاعتقاد مثلًا الذين يكفروه، مثلًا الذي يدعو للغائب، مثلًا الذي كان في سفينهالبحر ووجده هذا الغائب، هو لابد أن يكون أنه يعتقد عنده نوع من التأثير أنه ما دعا، يعني لا يوجد عاقل يفعل هذا، لكن هم يقولوا هذا التأثير حتى يكفروه لا بد أن يكون مطلق، أنه إذا هو شريك مع الله سبحانه وتعالى في الفعل ابتداء لا أن الله سبحانه وتعالى وهبه هذا الشيء.

الشيخ: أحسنت، أنت أتيت لقضية مهمة، يقول الشيخ: بأن الذين لا يكفرون، يقول: لا بد اعتقاد فيه الربوبية الذاتية، لمعنى من المعاني..

لو ناقشنا الدكتور لا يقول بهذا، يقول: لا، يمكن أن يكون ربًا ولكن رب تحتاني، يعني يمكن أن يكون جزءًا، وهو يتوافق مع ابن تيمية في هذا. فإذن إعطاء هذا الذي فيه، بم حصل؟ قال: بالتولد،

التولد لأنه هو صدر من الكبير إلى الصغير، هو أعطاه!

هذا يعتقدونه. بلا شك كل العلماء، هذه ليست جديدة فيما يقوله بأن قضية الشرك هي قضية واسعة لا تنتهي.. يعني كيف يعتقد هذا؟ ما الذي أعطاه هذا الربوبية؟ من أين حصلت له؟ فهذه قضية أصلًا مرات لا تفسير لها!

يعني: هنا نص لسعيد بن جبير، يقول: بأن عبادة الأصنام كان رجل عنده حجر فيعبده فيرى غيره أحسن منه، ويأخذه معبودًا!

الآن السؤال له ولكل أحد: ما هو هذا الاعتقاد الذي أحدثه لمجرد أخذه؟

إذن هي قضية صادرة من آخر في الربوبية وقد لا يعرف معتقده! هذه قضية يشرحها شيخ الإسلام كثيرًا، وقد لا يعرف المرء معتقده!

يعني لما يأكل العربي ربه الذي صنعه من تمر! هو صنعه، وأكله، وذهب أحضر واحد!

فكيف دخلت الألوهية بمفهومه، أو الربوبية بمفهومنا؟

دخلت في هذا العجل، أو هذا المصنوع من التمر، بم؟ فهذه قضية غير مفهومة!

كما أن النصراني لو سألته: كيف ابنه.. فيقول لك: الإيمان يبدأ بأن ترفع العقل!

فهذه قضية لا تنتهي، كيف حصلت؟ فيمكن أن يفسرها لك: بأن نوع نسله معزز، له كذا من الله أعطاه إياها! وهكذا!

العربي لما استأذن النبي صلى الله عليه وسلم، أن يذبح إبلًا ببوانة، فالنبي صلى الله عليه وسلم، قال: (أكان فيها عيد من أعياد المشركين؟ أكان فيها وثنٌ يُعبد؟) إذن المكان حلت فيه البركة بوجود شيءٍ فيه، هو يعتقد هذا.

طيب: لو أن رجلًا اعتقد أن مجرد هذا المكان الذي جلس فيه هذا الشيخ يحصل فيه معنى البركة! أن هذا الشيخ فيه شيءٌ ما، إذا وضع يده أحدث هذا الفعل! مع أن الفتى دعا الله، يعني لا يحصل البركة إلا بالدعاء.. فالناس يعرفون وليس بذاته، لم يكن لجسمه شيء، لكن نتكلم على اعتقادهم، فقضية تصور حدوث الربوبية لا تنتهي لمجرد

لو أن رجلًا قال: أعطاه الله إياها، فهو كقولهم: أعطى الأب ابنه!

ولكن ماذا قال الله عز وجل؟ لما قال: [مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ]

قال: (لو أراد الله أن يتخذ ولدًا لاستصفى مما يخلق ما يشاء) يعني هذا الاصطفاء بأن يكون له هذه حق الوساطة حق أن يُسأل، لم تكن! ولم يفعلها الله، لأن هذا كأن الله يقول: اعبدوا غيري!

فقال الله عز وجل: **[وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ]** فهذا نفي! لا تعبد! العربي يفهم العبادة، المشكلة اليوم الآن لا يفهموها!

اليوم واحد يقول: هل أنت تشترط.. نقول له: لم دعوته؟ فسر لي!

طيب: هل يسمعك؟ يقول: لا، لا يسمعني، أو يقول: يسمعني..

يقول: يعني الآن هو يسمعك، ويسمع التلميذ، أنتم اثنا وعشرون ألف تابعه له موجودين في العالم، لو كنتم في مقام واحد، وسألتموه مرةً واحدة، يسمعكم جميعًا؟

فيقول: نعم، يسمعنا!

ما الذي أعطاه هذا الحق في أن يكون سمعه بالغ لكم ولغيركم!

فيُقال: الله أعطاه! يعني أن الله أعطاه حق الربوبية..

يعني أنت الآن نسبت كذبًا على الله! لأن ماذا قال الله عز وجل؟ [وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ]

قالوا: شفعاؤنا عند الله! يعني هؤلاء الله أعطاهم.. ماذا رد عليهم؟ قال: [شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ]

المسألة أن إذا ضبطوا الشرك لحالةٍ واحدة، هنا يتلعبون! لكن حالة الشرك حالة واسعة!

وشيخ الإسلام في كل كلامه-هو الاتهام موجه لشيخ الإسلام، من أجل هذا أكرر الكلام له، شيخ الإسلام يفصل كثيرًا بأن الشرك ليس هو التكافؤ! يقول: ولا يوجد، وإذا وجد فالعقلاء كافة على رده، وإنما هو ينشأ بما قال بالتولد! بإعطائهم، بحصول ما، حتى بأنه يمكن للمرء أن يعبد الله عبادة حتى يصل إلى هذا المقام! ويصبح له هذا المقام!.. هذا علم الشرك!

والدليل أنا أسأل الآن كل أحد: العربي الذي كان إذا عجبه حجر أخذه، فماذا يقول؟ هذا فيه ربوبية! هو لا يستطيع أن يفسر معتقده لكن الشارع قال: هذا الفعل شرك، فعليك أن تلتزم بهذا النص..

السائل: شيخ، الآن بالنسبة مثلًا مرجئة الفقهاء-لما قالوا أن العبد إذا قال كلمة كفر، أو فعل فعل كفر، أنه مثلًا يكفر بقلبه، أو علامة على الكفر، طيب: هو بالنسبة لهذا التفسير أنه أي كفر، يعني يكفره الإنسان يعني كفر في الألوهية والربوبية!

الشيخ: أنا من اليوم وطالع بدي أصير من مرجعة الفقهاء أمام هذا الكلام!

أنا من اليوم وطالع يا إخوة -هذه شهادة مسجلة- من مرجعة الفقهاء، ريحونا! قالوا: ما سماه الشارع شرك هو شرك، خلاص انتهى الموضوع!

لا اشتراط، ولا كذا.. طبعًا هم بعد ذلك ولدوا الاشتراط، قالوا: لا، هو لا ينشأ إلا من الشرك، بعد ذلك فسروا الشرك بحالة خاصة. يعني: الجماعة منسجمين! المشكلة أنهم جاءوا إلى أعمال الشرك التي

في القرآن، فاشترطوا تفسيرها لوجودها، والناس يزعمون عدم وجودها، وهذا تكذيب للقرآن، أنه لا يمكن أن ينشأ هذا الشرك في العمل حتى يوجد الشرك في الاعتقاد، معنى من معاني الاعتقاد، ليس المعنى الواحد! المشكلة صرفوه لواحد، وهذا لا يطرد عندهم!

فلذلك يعني من وجهة الفقهاء: نوقف السب عليهم! يعني–حقيقة يعني مرجئة الفقهاء هؤلاء أحسن ناس!

السائل: هذا يعني كلامهم صحيح، على هذا المعنى، أن الإنسان لا يمكن أن يقوم بعمل إلا وينتقض نوع من أنواع التوحيد الموجودة في قلبه!...

الشيخ: نعم، أحسنت، نوع من أنواع التوحيد في قلبه..

السائل: شيخنا الآن، ظن الجن أنه كان يتلعبوا في من يعبد الأصنام، هل هو السبب في عبادتهم؟

الشيخ: ولله أنا تجنب هذا الحديث–قضية الجن، والحديث عن القرآن، تجنبته، لأنه يعني يوسع الموضوع، وإلا في الحقيقة أنا تكلمت عنه في بعض التفسير، أظن في العنكبوت، تحدثت كيف تطور قولهم في قضية الملائكة.. سموها أثنى أولًا، القرآن سماها انثى، ثم تطورت، أنثى من؟ فهي لما تقول أنثى إذن هن بنات الله.. ما معنى التولد؟ أنا ذكرت هذا باختصار في الدرس الفائت، لما يُقال ابن الله!

فهذه كلمة ابن أو البنات ليس على المعنى الذي قالوه، أنه يعني الله –أستغفر الله، أستغفر الله– نكح، لا، العربي لا يعتقدها، إنما هو الابن على معنى التشريف، على معنى التعظيم!

وهكذا أنا تركتها، ولكن إذا قُدر الرد تفصيلًا في كتب معينة، لابد من الإتيان إليها.

السائل: شيخنا، المسعري يعني كما يحلل العقاد .... في اللغة العربية، في البلاغة، في الحديث، حتى كتب التوحيد إذا قرأهم طفل أو شب لا يستوعبها كونه يعني نشأ..

الشيخ: خذوا أي عبارة تأخذوها على المكان الذي طُرحت فيه..

يقول الملا علي القاري في شرحه للفقه الأكبر: والحاصل أنه يلزم من توحيد العبودية توحيد الربوبية دون العكس في القضية!

إذا وجد الكفر في الإلهية لابد أن تكون الكفر في الربوبية، ولا العكس...

السائل: من خلال دراسة كتاب........

الشيخ: يعني هو في اللغة ليست له دراسات يعني، ولا يعرف طريقة العرب والطرق البلاغية.

شخصيته هو يستعجل... ولا أنصح بقراءة كتبه، لا أنصح البتة بقراءة كتبه، وليس فيها النفع اللازم في بناء طالب العلم، ولكنها يعني أول شيء.. ابن حزم مع شدته لكن فيه علم، يعني هو شدة مع إقرارنا بالعلم، لكن لا يكون شدة وهذه الألفاظ من غير علم! يعني نقبل الرجل أن يشد ولكن يكون عنده العلم ليُعلم!

طيب أنا إن شاء الله أحضر لكم نص وأضعه بين يدي الإخوة، هو بالنص يقول: بأن عادةً لا ينشأ الكفر في العبادة إلا بكفر الاعتقاد، يقول عادةً، لكن هذا ليس دائمًا، ونحن نقبل الحكم للأغلب..

والله تعالى أعلم، وبارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا..

والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

النبوات

لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الثلاثون

تاريخ المناقشة: ٢٦ آذار ٢٠١٦.

إنّ الحمد لله نحمدُه تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آلهِ الطيّبين الطاهرين، وعلى صحبه الغرّ الميامين، وعلى من تبعه بإحسان وهدىً وتقىً إلى يوم الدين، جعلنا الله وإياكم منهم، آمين آمين.

أهلا بكم أيّها الإخوة الأحبّة في لقاء جديد مع كتاب جديد في مشروع ألف كتاب قبل الممات.

والكتاب اليوم في مشروع ألف كتاب الّذي تعيّن البحث فيه هو كتاب (النّبوّات) لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

الحديث عن ابن تيمية ابتداءً حديثٌ لا ينقضي، وهو الّذي ملأ الدنيا وشغل الناس كما قال صاحب العمدة في المتنبي، والحقيقة أنّ الّذي ملأ الدنيا من عصره إلى يومنا هذا أخذًا وردا وقبولًا ومعارضةً هو ابن تيمية –رحمه الله–.

وأستعير هنا كلمة للعقاد –رغم علمكم بما أقوله فيه– في ترجمته لعبقرية عليّ قال: "إنّ الرجل العظيم هو الّذي يظهر فيه التباين الشديد بين محبّ ومبغض" وكذلك وقع الأمر في ابن تيمية، هناك من كفّره أخرجه من الملّة، وهناك من والاه وأحبّه ولم يغل فيه غلوّ الرافضة في عليّ، لا نعلم أحدا غلا فيه هذا الغلوّ، بل إن منهجه يأبى عليه أن يغلو فيه القارئ لكتبه هذا الغلو.

وإن كان عند وفاته حصل بعض الغلوّ، فعندما نقرأ ترجمته عند وفاته سنة ٧٢٨ هـ، تجد أنّهم تبركوا به أخذوا ماء غُسله وشربوه وتطهروا به، وصاروا يرمون عمائمهم وعصائبهم على نعشه تبرّكًا به، وشيخ الإسلام لا يقول بهذا فالقصد يمكن أن يقع هذا من العوام ومن النّاس يحبّون الشيخ جملة ولا يعرفون كلامه ويقعون في الخطأ فيه.

ونحن ما زلنا في هذا الزمان نعيش نفس الخصومة في شيخ الإسلام، هناك إلى الآن من يرى كفره ويألّف الكتب في تكفيره، والحقيقة لا بدّ أن نقرأ وأنا كما تعلمون ضدّ القراءة الطهرية أي لا نقرأ إلّا

الحقّ الّذي نعتقده، علينا أن نقرأ كل شيء، وابن تيمية علّمنا هذا، وأنا أعتقد أن ابن تيمية منهج عظيم في قضيّة وجوب قراءة المخالف كما الموافق، وعظمة ابن تيمية أنّه يذهب إلى المعاني التي يصاغ منها النص أكثر من غيره، فإذا قارنا بينه وبين ابن حزم إذا قدّر لنا أن نتكلّم عن الفرق بين منهجيهما، سنتبيّن الفرق واضحًا في ذلك.

ونرى أنّ هؤلاء الذين يسبّون على ابن تيمية أو يكفّرونه لا يقرؤونه، وأنا أضرب مثالًا دائما أضرب هذا المثال؛ لأنّه قريب الاستيعاب، يعني إذا تكلّمنا عن مسألة قدم النوع أو حوادث لا أول لها فهي تحتاج إلى شيء من المرونة والمعرفة المسبقة في كلام المتقدّمين في هذا.

لكن لنأتي مثلا إلى كلمة "الحدّ" يعني عندما يأتي جاهل ويقول أنّ ابن تيمية ومن معه من أشياخه كالآجريّ مثلا في كتابه "الشريعة" يثبت الحدّ لله، وهو يلقي الكلام على العوام، والعوام عندما يسمعون كلمة الحد يطرأ ببالهم الشيء المحدود، وهذا هو النفذ إلى اتهام ابن تيمية بأنه مجسِّم وأنّه يشير إلى إله يمكن حصره بين جهات مخلوقة (يمين، سار، فوق، تحت.. إلخ).

فيقول انظر الآجريّ يقول باب بيان إثبات الحدّ لله، وابن تيمية ينقلها في (درء تعارض العقل والنقل)، والعامي لا يفهم كلمة الحدّ إلّا أنّه المحدود والمحصور، وهذا من قلّة الدين وقلّة الورع، إن لم نقل بأنّه الجهل المطبق فوق الجهل الجاهلي.

والحدّ عند العلماء لا يعني المحدود بمعنى المحصور، الحدّ يعني التعريف، والمقصود بالتعريف هو التميّز، يعني عندما تقول بأنّني حددت شيئا أي: ميّزته في ذهني لئلا يدخل فيه المخالف له أو غير العضو في تعريفه وشروطه، أو لئلا يخرج منه من داخل هذا التعريف من أفراده إلى خارجه، وهذا يسمّى المانع الجامع، أي: يجمع جميع أفراد المعرّف ويمنع دخول غير أفراد المعرّف عليه.

فالحدّ يعني التميّز ومن هنا أخذ بعد ذلك الحدّ بمعنى الحصر؛ لأنّه يمنع دخول غيره عليه، فحدّ هذه الأرض يمنع دخول غيره عليها، كما أنه يمنع أن ينساب حقّه إلى خارجها، فالحدّ يعني التعريف والتميز.

ولما يثبت العالم الحدّ لله فإنه يثبت التباين أي: ليس فيه شيء من خلقه لا لفظًا ولا معنىً، وليس في خلقه شيءٌ منه، ولكن انظر إلى من يقول أنّ ابن تيمية يثبت الحدّ لله فيثبت أنه محصور فهو مجسِّم كافر، تتعجّب !

عندما يأتون إلى قضية إثبات حوادث لا أوّل لها، لا يعرفون، لا يقرؤون ما يقول ابن تيمية، ولا يرون المعاني الّتي يبنيها في داخل كلامه، والعجيب أصلا أنّ كلمة حوادث لا أول لها كلمة منطقية فلسفية كلامية، فهو يعالجها من داخلها، فعلى المرء عندما يردّ أن يفهم أن يفهم الكلام من أصله ويتعامل مع المصطلحات كما وضعها أهلها.

وابن تيمية اليوم طبعًا محارَب من جهات متعدّدة، كما حاربه خصومة في عصره، حاربه الصوفية كما في آخر محنة له وأنا سأذكر المحن الّتي مرّ بها، وكذلك محنته مع جماعة ابن عطاء الله السكندري في مصر عندما تكلَّم عليه فضربوه وهو خارج من السجن بعد سنتين فضرب من قبل أتباع ابن عطاء الله السكندري.

فخصومُه الصوفية مع أنّه في الحقيقة ينصف الصوفية فلا ينفي الصوفية البتّة، ولا يثبتها البتّة، بل يقيّدها بالكتاب والسنّة، بل نراه في الحقيقة يعظّم مشايخ التصوّف، وفي كل ما قرأت له لا يذكر الجُنَيْد إلّا بخير؛ لأنّ الجنيد في الحقيقة لا تعرف عنه الأقوال الفلسفية الّتي عرفت في غيره كأبي يزيد البسطامي وكابن عربي وكابن الفارض ، فأولئك عرفت عنهم كلمات فلسفية خطيرة فيما يتعلّق بوحدة الوجود والحقيقة المحمدية، والمقصود بالحقيقة المحمدية كما يعتقدها الصوفية وعلى رأسهم ابن عربي الطائي وهو صاحب (الفصوص) و(الفتوحات المكية) للذكر هو كان ظاهري المذهب في الفقه، فكيف يجتمع هذا وذاك؟ فهو يعظم الجنيد

وعندما يرسل الرسائل إلى أتباعهم يتكلّم عن كثير منهم بالكلمات الطيّبة الحسنة، كما ينقل عن البسطامي بعض كلامه الّذي فيه وجوب تقييد الصوفي بالكتاب والسنة، فهو لا يحسم الموضوع حسمًا نهائيًا معهم.

هؤلاء خصومه، والخصوم الآخرون هم الأشاعرة والمتكلّمون، وهؤلاء كثر في زمانه وبعد زمانه، ويخاصمونه على هذا الاتجاه. الصوفية لا يخاصمونه فقط للصوفية ولكن لبعض المسائل الفقهية كالتوسّل، ولا يفهمون كلامه، كذلك نهيه عن شدّ الرحال إلى القبور وإلى المشاهد والأماكن الّتي لم يأذن بها الشارع، **(لا تشدّ الرحال إلّا إلى ثلاث مساجد)**

لكن اليوم هناك خصوم جدد، يرون أنّ ابن تيمية كما قال هينري لاوست في بعض مقالاته "نثر قنابلًا، بعضها انفجر في زمانه وبعضها كمن، تنتظر انفجارا في عصور متأخّرة"، وابن تيميّة هذا حظّه، فهو يعيد إنتاج نفسه، فالدعوة الوهابية في أصلها دعوة صحيحة بغضّ النظر عمّا حدث ودخل عليها وبغضّ النظر عن تطوّرها سياسيّا، ولكن في أصلها دعوة للتوحيد، والشرارة الّتي انطلقت في ذهن ابن عبد الوهاب انطلقت من ابن تيمية رحمه الله.

اليوم قتال الممتنعين عن الشرائع بغضّ النّظر عن أحكامهم، سواء قلنا بردّتهم وهو الصواب أو قلنا بعدم ردّتهم كما يقول البعض ولكن امتنعوا عن الشرائع، ولكن نقول هذا القدر المشترك في الحكم على هؤلاء الطوائف أنّهم امتنعوا عن الشرائع، فهذا كلام ابن تيميّة رحمه الله، كتب ابن تيمية تملك هذه المعاني وتملك هذه الخاصيّة في إحداث الأثر، وأنا أعتقد –وهذا هو يقوله– أن ابن تيمية محظوظٌ جدًّا لوجود أعداء له، ومن لم يكن له أعداء فهو غير محظوظ، ويقول ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى في سورة الفرقان: **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا}** يقول ابن تيمية: وجود الأداء من نصرة الله للأنبياء، لولا وجود الأعـداء ما انتصر الأنبياء.

وابن تيمية انتصر بأعدائه في الحقيقة، الآن سأذكر لكم الفتن الّتي ظهرت ماذا أنتجت وماذا شهرت،

إذا أراد الله نشر فضيلة طويت أقام لها لسان حسودٍ

فابن تيمية محظوظ بوجود الأعداء، وهذا كذلك قاله ابن حزم، يقول: لولا وجود أعدائي ربّما ما كتبت حرفًا.

وهذا يعطينا شيئا من ظلال نفسية هذا الرجل.

عادة الإنسان، والكثير منهم ممّن لا يتشبّع بالمعاني القرآنية وسيرة الأنبياء وخاصةً سيرة حبيبنا محمّد صلى الله عليه وسلم وخاصّةً سيرة الصدّيق بعده بأنّ الهجوم المتكرّر الشديد يتعب الإنسان ويرهقه خاصّةً لما يكبر في السنّ.

في الابتداء يبحث الرجل عن المشاكل، لكن لما يكبر تصبح الخصومة تتعبه وترهقه، لكن هذا رجل لا يكلّ وكلّما جاءت مصيبة وذهبت ظنّنا أنّه قد انتصر، وصار له الاحترام في المجتمعات والاحترام عند الحكام والسلاطين، فآن له أن يهدأ، لكن ابن تيمية ليس كذلك، ما إن تنتهي مشكلة حتّى تقوم مشكلة كبرى له، وينتهي به الأمر أن يموت بعد سنتين وستة شهور تقريبًا يموت في السجن، ولما يؤتي لأخذه من بيته ليسجن يقول: "هذه اللحظة كنت أنتظرها"، وكأنّه يعرف كيف ستكون عاقبته وهو يمشي في هذا الطريق الغريب الصعب الشاق، المليء بالأشواك والغمرات.

إذًا ابن تيمية ما زال الآن يعيش بيننا؛ لأنّه مستند الكثير من أهل الحقّ، يستندون له من أجل تفعيله لواقعهم، وصارت كلمة ابن تيمية –وهذا من علم النفس في الألفاظ–، صارت تملك رصيدها، وأنا مرات كثير مضطر إلى أن أقول قال ابن تيمية وأنا أعرف أنّه يجب أن أقول الدليل، ولكن لأنّي أعلم أن من أمامي إذا قيل له ابن تيمية يسكت، فصارت كلمة ابن تيمية كأنّها تعطي الرصيد للكلمة، وهذا من نعمة الله أنّ الله عزّ وجلّ جعله شاهدا على الحق، قال الله: (**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**).

فاستشهاد بعالم أنّه ميزانٌ للحق ومحبوبا حتّى أنّ كلمته إذا قيلت صارت حاسمة، هذا طبعًا غير مقبول لكن أحيانًا تضطرّ إليها في بعض الحوادث، يعني أنا أميل إلى أنّ صدقة الفطر تجوز نقدًا، فذكرت الأدلة، فقال واحدُ إنّ هذا مخالف، تعرف العقلية المذهبية الجديدة، فقلت له هذا كلام ابن تيمية، فهو لم يستوعب: ابن تيمية يقول ذلك ونحن (السلفيين) نقول غير ذلك، فقلت له: ابن تيمية يقول بيجوز إخراجها نقدًا وقد تكون أفضل للفقير، فقال: لا لا، ابن تيمية لا يقول ذلك. فقلت له: تعالَ الأسبوع

القادم سأقرأ لك نص ابن تيمية، ماذا يقول في الفتاوى.

فهذا من رفعة هذا الإمام، بغضّ النظر عن هل هذا التلقي مقبول أو غير مقبول، ولكنّه من جانب آخر يعطيك عظمة هذا الرجل، هذا الدين لا يرفعه إلّا لوجود رفعة فيه **{أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}** الله لا يرفع إمامًا رفعةَ دائمة تطول وتمتحن في الزمن وهو فاسد في ذاته، لا يوجد هذا.

والإمام مالك لما ألّف موطأه وانتشر، يذكر في كتب المالكية بأنّ العلماء أصبحوا ينشرون كتبهم باسم الموطأ، فذكروا للإمام مالك فقال: "ما كان لله سيبقى"، قيل: فكأنّها غاضت في بئر. ولا أحد يذكر موطئًا إلا موطأ مالك، فهذا الدين له خاصية أنّه تعاملٌ مع الله وأنّ الله يرفع منزلة من يمتحن، مثل الذهب كلّما صهرته ازداد ألقًا، وكذلك هؤلاء العلماء.

يعني هذا الرجل العظيم الّذي امتحن هذا الامتحان، وبعد وفاته صار حمل كتبه يعتبر جريمة ويعرض للمساءلة، ثم لا يوجد اعتناء كما اعتنى الناس بفتاوى ابن تيمية وكلماته وأقواله وصار الناس كلهم يحتجّ به، حتّى أنّ محمّد عمارة مثلًا يريد أن يجعله العقلي ابن تيمية، وهذا حقيقة هو عقليّ ولكنّه يريد أن ينصر به عقلية المعتزلة، والصوفي يريد أن يؤلّف ابن تيمية الصوفي، والفقيه يريد أن يؤلّف الفقيه ابن تيمية، وهكذا..

فصار هذا الرجل معلَمًا من معالم الحق، هذا ليس لأمر دنيويّ فقط، لا؛ هذا أمر إلهي يخضع لقاعدة **{أَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ}**

الآن الخصومة ضدّ ابن تيمية شديدة، وصار العلمانيون وأتباع الطواغيت يكرهونه، وبمجرّد أن يحدث حدث فينتسب فاعله إلى ابن تيمية تجد الحروب عليه، وهذه معركة ستخسرونها، الفكر معركته هي الدليل ومعركته هي الصلاح ومعركته هي الحق، الفكر أمام المسدس أمام الطاغوت أمام السجن باطلة.

هذا من سبيل نصرة الحق، يعني أي إنسان يستخدم طريقة فرعون **{لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ}** أمام

الحقّ فليعلم هو أنّه بهذا ينصر الحق، وسينقلب الأمر إلى ضدّ مقصده، يجب أن نفهم هذا، ونترك الأمر لله ونترك الأمر للزمن وللتاريخ، وصيرورة الوقت. سيثبت هذا بأن هذا الرجل عظيم.

وابن تيمية رحمه الله تعجب –وهذا ممّا يتعجّب منه النّاس، عادة الّذين يخوضون –وهذه مسالة مهمّة ولا أريد أن أقف عندها كثيرا وأرجو أن تفهم بمقدارها– في طرق المتكلمين وطرق الفلاسفة والمباحث العقلية الّتي عليها القدماء عادة يصبح عندهم بعض تأثر، مهما كانت صلابة الحقّ عنده.

نحن عندنا في أذهاننا المتدين والعقلاني، المتدين هو صاحب النقل رجل يغلق ذهنه يقول هذا هو الدليل ويسكت، وما ذكرناه عن الدكتور المسعري أنه هكذا هو يتصوَّر الإمام أحمد أنّه رجلٌ محدِّث لا خبرة له بالكلام، وإنكاره لمسألة خلق القرآن لأنّه لم يفهمها على طريقة أهلها من المتكلين.

وهذه عادة يتّهم بها المتدين المتشدّد، و(المتشدّد) هنا ليس بمفهومها الشرعي من أهل الغلو وإنّما المتمسك بالكتاب والسنة، يعني عندما تجد رجلًا يلتزم بالسنة إذا قال الله وقال الرسول فيلتزم ويبتعد عن التأويل ويبتعد عن التحريف ويسلم لها فهذا يصنّف أنّه رجل أثريّ، يقابله رجل يحاول أن يوفق بين الكتاب والسنة وبين العقل وبين المنطق وبين الواقع وبين الظرف، فتجده يتحلّل وهذا يسمى معتدلًا، هكذا هي القسمة في تاريخنا للأسف.

نضرب أمثلة لتتّضح الفكرة، لو جئنا إلى رجل عظيم في تقيده بالأثر وهو ابن حزم، لا أحد يشكّ أنّ ابن حزم رجل أثريّ من الدرجة الأولى وصلب في الأثرية، حتّى القياس ينفيه، وينفي الحكمة والتعليل في أفعال الله وشرعه وأمره؛ وبالتالي ينفي القياس، والعقل عنده غير موجود إلّا أن تدرك معنى النص وتسلّم له، وأيّ محاولة للتعليل يرفضها، ويقول: الشارع لعدم التعليل يمكن أن يأمر بالشيء وضدّه؛ لأنّ هذا امتحان وابتلاء لنا، لا نعرف الأصول كيف هي ولا نعرف الأشياء كيف هي في أصلها.

ومع ذلك هو رجل دخل مع الفلاسفة ومع المتكلّمين، وله مشاركة في علومهم ورأينا له (تقريب حدّ المنطق)، ومع أنّ محبّيه يزعمون أنّه قرّب المصطلحات، لكن هذا غير صحيح، ابن حزم قرّب

المصطلحات ليجعلها دليلا له في التعامل، وجعل (تقريب حد المنطق) مقدّمة لكتابه (الإحكام في أصول الأحكام) في أصول الفقه.

ولما جاء إلى المباحث الكلامية رأيناه تأثّر بهم، مثل كتاب (تقريب حدّ المنطق) رأيناه في قضيّة تأويل الأسماء والصفات يؤوّل الأسماء والصفات، رأيناه ينفي الحكمة والتعليل في أفعال الله، ومع صلابته في الحق وقع بسبب تأثّره بهؤلاء.

عندما نرى الغزالي هذا الرجل الّذي يتّهم دائما بأنّه نصر الأشعرية الّتي تمثل الأثر والنص في مقابل المعتزلة الّتي تقّدم العقل والمنطق، يقول عنه تلميذه أبو بكر ابن العربي: "شيخنا دخل في جوف الفلاسفة ولم يستطع الخروج".

ولن نتكلّم عن الحفيد ابن رشد فأمره مشهور، لا نتكلم عمّن كان ضعيفًا في السنّة كالباقلاني، الجويني، وابن الجويني، كانوا ضعافا في السنة وكتبهم تشهد بهذا، لكن نتكلّم عمن كان متضلعًا في السنة ولكن عندما يقترب من هؤلاء تجد عنده هذه الفجوة الّتي يدخل بها الغلط من جهة هذا الفنّ، فنّ السفسطة، فنّ الكلام فن الفلسفة إلى آخره،

الغريب تجد أنّ ابن تيمية يخالف الغزالي، الغزالي دخل في جوف الفلاسفة ولم يستطع الخروج، ابن تيميّة أدخل الفلاسفة في جوفه، وهضمهم ثمّ أخرجهم بعد ذلك على ما هم عليه مميزين بما عندهم من صواب وخطأ، ولم يقف.

وهنا تأتي عظمة نفسه في نفسه، أنا دائمًا أقول لإخواني: لا يمكن أن تدخل التاريخ إلّا إذا أدركت موقعك من التاريخ، التواضع وما يسمّيه الناس تواضعًا وهو في الحقيقة ليس تواضعًا بل هو ضعف، عندما يتواضع المرء فيسكت عن الحقّ أو يسكت عن الباطل لعظمة من يقوله، ويخنع ويسكت، فهذا رجل لا يعرف موقعه من التاريخ فلا يدخل التاريخ إلّا بمقدار ما وضع.

هذا رجل محارب عظيم، يُحضر عنده من هم أئمة لأهل السنة، يحضر عنده الباقلاني الذي في الحقيقة

هو سيّد المذهب الأشعري، الباقلاني هو الذي أيّد فصّل ودعم ودلّل على مذهب الأشاعرة، فيحضر الباقلّاني ومن بعده ويدخل معهم في نقاش من غير أيّ سطوة لهذا الأسماء على نفسه، يدخل معها ويناقشها ويردّ عليها فيقسو ويرقّق بحسب الموضع.

لو أخذنا كلامه عن الغزالي مثلا، تعرفون أنّ الغزالي عند الغرب وعند المستشرقين شخصية آسرة، ويعتبرونه هو الممثل لفلسفة الإسلام وفقهه وتصوّفه، فيقول هنري لاوست عن ابن تيمية: "وهو الذي وصل إلى رتبة الغزالي"

أعود: لما يُحضر ابن تيمية الغزالي في كتبه، يتكلم عنه مرات برقّة، لما ذكر كتابه وأصل كتابه (الإحياء) وأنه أخذه من قوت القلوب لأبي طالب المكّي يرقّق معه، لكن لما يأتي لكتابه (بغية المرتاد) يشنُّ حربًا شعواء عليه، ولما تقرأ ترتجف، يعني هذا الكلام يقال عن الغزالي، فترتجف لهذه القسوة، لكن الموضع يقتضي ذلك، فهو يدخل في حرب متوازنة مع هؤلاء من أجل السنّة ومن أجل الحق.

وفي هذا الباب أي أن يعرف ابن تيمية موقعه من التاريخ، فلا يقف أمامه جبل إلّا ويحضره للنقاش، فيناقشه ويبيّن له ويبين لنا، وهذا الكتاب من هذا النوع، وسنأتي لذلك، وهذا كلّه مدخل لكتاب النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية.

إذًا نحن أمام رجل أدخل الفلاسفة في جوفه، هضمهم واستوعبهم، وبقي على صلابته مع السنة، ولم يكن يستطيع أن يفعل ذلك؛ حتّى صار الكتاب والسنة له معنى في نفسه وليس مجرّد التقيد بالنص، وهنا يأتي الفرق بينه وبين ابن حزم.

ابن تيمية جعل العقل ليس كما يقولون في المنهج العلمي "دلّ على صواب النقل ثم استقال"، ابن تيميّة هذه يرفضها؛ لأنّ هذه الكلمة توحي للناظر بأنّه يمكن للعقل أن يخالف النقل، في داخلها تعني هذا، ومنهج ابن تيميّة ضدّ ذلك، منهجه أن يثبت أنّ ما تقرره العقول هو عين ما تقرّره النقول أي الكتاب والسّنة، وبقي صامدًا على هذا، ولا يعرف عنه قط في كل كتبه –وهذه منقبة تذكر له– أنّه قال

هذه المسألة من النقول لا نعرفها والعقل يخالفها أو يمكن أنّنا لا نفهم هذا النقل عقلا، لا يقول هذا أبدا حتّى في المسائل الفقهية، هذه نقطة مهمّة جدّا لم يثبت عنه قطّا في كلّ كتبه الّتي يناظر حولها أنّه جاءت مسألة نصّية أنّه قال هكذا جاء النّص وسكتنا وصعب جدّا أن نستوعبها لكن الأصل أن نقول صدقت ونسلّم لها.

ما هو أساس كتاب ابن القيّم (إعلام الموقعين) في درء التعارض بين القياس والنّص؟ هو ابن تيمية، بين القياس والنص في المسائل الفقهية –ليس بين العقل والنقل–، وتتعجب كيف يخوض في العقل خوضًا عجيبا جدّا، يحترم العقل الإنساني، ومن هنا لا يستطيع أحد أن يقول ابن تيمية يفرض عليك النقل لمجرّد أنه نقل من المعصوم، لا يقول هذا أبدا ولكنّه يقول كلمة: "يمكن أن يأتي النقل بما لا يدركه العقل، لكن لا يمكن أن يأتي النقل بما يخالف العقل"، هذه قاعدته الّتي بنى عليها كتابه (درء تعارض العقل والنقل).

فهذا رجل مختلف، عجيب، بقي يقرأ للفلاسفة، يقرأ للمتكلمين، يقرأ لأعداء الملة والدين للنصارى، لليهود، يقرأ لكل أحد ومع ذلك بقي أثريا وهذه لا يوجد لها مثيل في تاريخ أمتنا بعد الكبار الأوائل، لم يرد إلينا أنّ مالكًا مثلًا قرأ مذاهب السفسطائية.

الّذي يذكر مثلا الشافعي له خبرة بعلم الكلام وحكَم عليه، ويقول الشافعي: "حكمي بأهل الكلام أن يضربوا بالجريد وآخر مذهب المتكلمين الزندقة"، لا بدّ أن نتصوّر أنّ الشافعي لم يقله إلّا بعد أن استوعب ما يقال، لكن لا يوجد في تاريخ الأمّة مثل ابن تيمية، وهذه منقبة تبقى له دون غيره، أنّ هذا الرجل قرأ لكلّ مخالف للدين وبقي أثريا، وقرأ لكلّ من أطلق شبهة من داخل المسلمين حول نصّ وبقي أثريا، بل إنّه جاء إلى الأثريّين ولم يرض مقدار أثريتهم، الحنابلة قبل ابن تيمية كلّهم مفوضة، ويعترف هو في الفتاوى أنّ آباءه كانوا على مذهب خاطئ، والمقادسة لهم كتب كانوا مفوضة، داء إلى هؤلاء الحنابلة فلم يعجبوه ذهب إلى أثرية أبعد من أثريتهم. هذه ميّزة في هذا الرجل.

عندما نقول: إن الله رفع شأنه وأبقاه بهذا، هذا ليس من غير أدلة في نفسه، الله لا يغيّب الدليل،

فقبل ابن تيمية لم يكن الناس بحاجة لابن تيمية؛ لأنّه لو قلنا بذلك لقلنا بغياب الدليل، والله لا يغيّب الدليل على الأمّة لأنّ الحجج لا بدّ أن تكون قائمة، لكن حقّا بعد ابن تيمية الناس بحاجة إليه، لمنهجه في البحث، لأقواله، لكلماته، وسيبقى بلا شكّ غصّة في قلوب العلمانيين وفي قلوب الذين يريدون أن يوالوا الطاغوت.

نأتي الآن إلى قضيّة مهمّة جدّا، ابن تيمية صنعه القرآن، هذا من أعجب ما يكون، فعَّل القرآن في حياته لدرجة رأيناها بأفرادها.. قطعا كانت في الأوائل، وهو عندما يردّ على الّذين يزعمون أنّ الصحابة لم ينشغلوا بهذه العلوم العظيمة لانشغالهم بالجهاد، وأن هذه العلوم الّتي تختص بمسائل معينة كانت غائبة عنهم حتى فجّرها هؤلاء، أناس يرون في نفوسهم أنهم أعظم جهادا من الصحابة !

يقول: وهذا جهل وكذب وافتراء، الصحابة كانوا يعلمون القرآن جملةً وتفصيلًا أكثر من غيرهم، وعلم السلفيّ ليس أفضل لأنّه أسلم هو أفضل؛ بل لأنّه حقّ في كل تفاصيله هو الأفضل، فهذه قضيّة مهمّة لمن يقرأ ابن تيميّة، وأنا أقول: بعد ابن تيمية كلنا بحاجة إليه، وأنا أنصح كلّ مسلم وكلّ من يعاني في البحث والنظر ويتساءل عن الحق يريد أن يعرف كيفية قراءة الكتاب والسنة سواء في المسائل الاعتقادية أو الأصولية أو الفقهية، فابن تيمية يفتح له هذا المنهج ويفتح له هذا الباب ويفصّل فيه، وهو يصنع عقلًا عجيبا، ابن تيمية يصنع عقلا خاصّا لو ذهبت إلى غيره لا تجد هذه الصناعة عند غيره.

النقطة المهمّة جدًا الّتي أتيت إليها أنّ له نفسًا عظيمة، وليس فقط في عقله الّذي يستوعب، للذكر كان وهو صغير يأتي له الرازي في الحلم ويناظره يعني حتّى أحلامه مناظرات؛ حتّى أنّه كان يقول "إن كثيرًا مما كتبته هنا إنّما هو من مناظرتي مع الرازي في مناماتي"، ويقول أنّ كتاب (أساس التقديس) للرازي هو أصل المتكلّمين، وردّ عليه في كتاب درء تعارض العقل والنقل، ويذكر عنه وهو صغير أنه ناظر يهوديا فأسلم كما يذكر عنه ابن ناصر الدين.

النقطة الّتي تهمّنا هنا هي الجانب النفسي، ابن تيمية لما تقرأ كلامه لا ترى هذه الآنفعالات الشديدة

إلّا في مواطن، مثلا في ردّه على الإخنائي تجد انفعالا بالرغم من أنّه حُلّف يمينا أن يردّ على القاضي المالكي الإخنائي، وذكر في مقدمة الكتاب أن من أحضر له الكتاب أقسم عليه أن أردّ عليه، ورد وفيه شيء من الآنفعال النفسي، أنا أتكلّم عن كتبه لا يهمّني ما كتبه الذهبي أو معاصروه وأنه كان يصكّ مخالفه صكَّ الجندل، ولكن الّذي نراه في الكلام نجد هدوءً، ولو أردنا أن نعرض ما عملوه عملا عمّا كتبه قولا لا نجد توازنا، فإنهم خاصموه خصومة شديدة وسعوا إلى قتله.

ولم تنبع (شدّته) في كلامه على مخالفيه بسبب ما أحدثوه فيه، ولكن بسبب أغلاطهم الشديدة فيه، يعني في كتابه (الرد على الإخنائي) يقول لما يأتي ويقول للقاضي:" أين دينك؟ تسبّني وتتهمني بأنّي أقول أنّه لا يجوز زيارة المقابر، هذا كذب علي، كان ينبغي عليك إذا كان عندك دين أن تذكر نص الفتوى الّتي ذكرتها"، لا يوجد إجماع على استحباب زيارة المقابر ويوجد علماء خالفوا ولكنّ النّص معه، ولكن نحن لا نراه يتحدث عن نفسه وعن مشاكله لدرجة الآنفعال في الردّ على خصومه، بالرغم أنه أمضى حياته مخاصمًا.

نمرّ على الحياة العجيبة التي مرّ فيها والتي تستدعي أن يكون متوترًا في كلامه الشخصي عن الآخرين، وهنا أستحضر سيد قطب في هذا الباب، زعم بعضهم أنّه ما تشدّد به في الحكم على المجتمعات، وسيد ليس صاحب حكم ليحكم، عباراته أدبية، يتكلّم عن قضايا عامة وليست أحكاما، وهو لا يملك القدرة على إطلاق الأحكام، ولا أحد يأخذ سيدا إلا إذا كان جاهلا ليأخذ منه الأحكام الشرعية على الأشخاص والناس والمحتمات.

يقولون أنّ الذي صنع هذا التشدد عند سيّد هو السجن، وبهذا يجعلون أنّ المعاني التي تنطبع في قلب المرء من القرآن معانٍ حسب عبارتهم (تاريخانية) أي خاضعة للزمن والحدث، وهذا غير صحيح، القرآن فوق ذلك، القرآن ليس خاضعا للتاريخانية لا عند سيد ولا عند غيره، ويقول في الردّ على ذلك أخوه محمد قطب، وهذا من أكبر الغلط الذي انتشر: "سيّد كتب الظلال وهو في أحلى أيامه؛ لأنّه في الحقيقة كان في المستشفى ويرى من العناية في المستشفى أكثر مما يرى في بيته." يعني لم يكن في حالة

توتّر وسبّ وشتم، ما كان هذا.

أوّل فتنة وقع فيها ابن تيمية مع أهله سنة ٦٩٨ هـ وهي فتنة الرسالة الحموية، وقاموا عليه فيها، وهي رسالة أرسلها لأهل حماة لسؤال تُوّجه به إليه، ثمّ بعد ذلك فتنة التتار. سنة ٧٠٠هـ سُفِّر إلى مصر وهناك اجتمع مع ابن دقيق العيد، وفي ٧٠٢ هـ قامت معركة شقحب الشهيرة الّتي انتصر فيها أهل دمشق على التتار، بعد سنتين ذهب وقاتل النصيرية، وهذه في الحقيقة تحتاج إلى شيء من التفصيل ليس هذا موطنه.

هو ينتصر ويقدم، فالأصل أن يحبه الناس وينتهي الخصوم.. وأنا أجمع هذا وأراجع نفسي في هذه قلت: أما آن للخصوم أن يسكتوا عنه، رجل ثبتت قوته في الحجاج، وثبت إخلاصه في الدفاع عن الأمّة، وثبتت شجاعته! يعني كفّوا عنه، ولكن لا الخصوم لا يكفّون.

وهذا ممّا يجب أن نتعلمها من الشيطان، يجب أن يكون أكبر أستاذ لك في هذا الباب هو الشيطان، وهو ألّا تسكت ولا تيأس وعليك أن تبقى محاربا إلى نهاية الأمر حتى في النزع الأخير، هذه نتعلمها من خصومنا وأكبر خصومنا هو الشيطان. أنت لست زجاجا هشّا بمجرّد القرع عليه ينهار وينكسر. سبحان الله!! الشيطان الكافر الذي يعرف جهنم لا يفعلها وأعداؤك لا يفعلون.

كم مرّة غزانا الكفار، كم مرّة غزانا الأوروبيون وما زالوا يغزوننا، وكم مرّة انهزموا ومع ذلك يعيدون الكرة، ونحن من أول مرّة إن لم تنجح كللنا، إذا ذهبنا للمسجد فوجدناه مغلقًا لقلنا الحمد لله جاءت منك وليست مني، ونذهب، وهذا خطأ. وكلما كثر الخصوم يجب أن تقوى معنوياتك، وكلما ازداد البلاء علمت أنّك على الطريق الحقّ. تثبت حتّى تلقى الله عزّ وجلّ.

في سنة ٧٠٥ هـ قام عليه ناصر المنبجي وابن مخلوف من أجل رسالته الواسطية، ثم رُحِّل إلى مصر وسجن هناك ١٨ شهرًا.

وفي رحلته الأولى لمصر ذهب ليستنجد بحكام مصر من أجل نصرة الشام ضدّ التتار، وفي الرحلة

الثانية حملوه لأجل أن يحاكم فبقي هناك ٧ سنوات تقريبا. في ٧١١ هـ ضرب في القاهرة من أتباع ابن عطاء الله السكندري.

وفي ٧١٨هـ فتنة الطلاق الثلاثي، عقد له المجلس سنة ٧١٩هـ، ثمّ المجلس الثاني سنة ٧٢٠هـ، ثمّ بعده سجن ٥ شهور وثمانية عشر يوما، ثمّ بعد ذلك سنة ٧٢٦ هـ قاموا عليه في مسألة الطلاق الثلاثي، ابتداءً وافقهم على التوقف بالفتوى به، ثمّ بعد ذلك رأى أن هذا التوقف خطأ وليس من حقّ الحاكم ولا القاضي أن يمنعه من الفتوى، وبالتالي عاد يفتي بها، ودخل السجن سنة ٧٢٦ هـ ولم يخرج منه إلّا ميتًا.

رجلٌ أمضى حياته في كلّ أطوارها وهو يقاتل ويعاني، وهو بلا شك وجد أعوانًا ولم يكن وحده، وهنا أنبّه على نقطة، أنّ المجدد والعظيم لا ينشأ مثل كوز الذرة لوحده، فعندما ترى عصر ابن تيمية تراه عصرًا مليئا بالجبال معه من تلاميذ وإخوة وأصدقاء يعيشون معه عظام وهو كان المبرّز فيهم ولكن الباقي كذلك جبال.

انظر من كان معه من تلاميذه: ابن القيم وهو تلميذه الذي عاشره ١٦ سنة، وكان ابن كثير وإن كان يعتبر من التلاميذ الصغار، كان الإمام الذهبي وهو قرينه، كان الإمام المزي هذا الإمام العظيم المحدّث الكبير وهو عمّ ابن كثير، كان ابن كثير متزوجا ابنته، إمام عظيم صاحب كتاب (تحفة الأشراف).. قبل مدة نشرت سماعا له ولشيخ الإسلام وعمر كل واحد ١٤ عاما يتشاركان في سماع الحديث.

ممّن قابله في السفرة الأولى إلى مصر ابن دقيق العيد، وهذا إمام، لو قيل لك: بعد الطبقة الثانية من أتباع الأئمة الفقهاء المتبوعين لم يأتِ في الفقه مثل ابن دقيق العيد فصدقه، ومن قرأ شرحه لكتاب (عمدة الأحكام) علم مقدار هذا الرجل العجيب، لا يوجد كتاب يربط الأحكام بعللها والأحكام القياسية بعللها كما يربطها هو، وكتابه يجب على كل طالب فقه أن يقرأه.. قابله ورأى عقله وفرح به في اللقاء معه.

كذلك ابن عبد الهادي تلميذه وإن كان مات شابا عليه رحمة الله، صاحب كتاب (المحرّر) وكتاب (طبقات الحنابلة) وله كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي فهؤلاء عظام، والإمام البرزالي الذي يقال أعلم الناس بعلل الحديث، حتى يقال أعلم الناس بالمتون ابن تيمية، وأعلم الناس بنقدها ابن عبد الهادي، وأعلم الناس بعللها البرزالي.

وكذلك خصومه كانوا عظاما مثلا السبكي، فلا تحتقروا هؤلاء العلماء وهو مدحهم بالحق لما أراد محمد ابن ناصر القلاوون ابن تيمية بعد الفتنة الأولى لما رجع من الكرك وأخذه على الشرفة يتحدث معه، فأدراك ابن تيمية ما يريد، هو يريد قتلهم ليس لأنهم أرادوا ابن تيمية بالشر، ولكن لأنهم ناصروا بيبرس الجانشكيري، فأراه الفتاوى في قتله، وقال له أريد منك فتوى بقتل بعضهم، فيقول ابن تيمية في نفسه: أدركت مراده فقلت له: هؤلاء خير أهل الأرض، هؤلاء علماء الإسلام، ودافع عنهم، ولذلك قال القاضي العظيم ابن مخلوف المالكي وهو من خصومه قال: "رحم الله ابن تيمية قدرنا عليه فأردنا سفك دمه، وقدر علينا فخلَّصنا".. هذه نفسية رجل عظيم.

هنا نقطة مهمّة جدًا، ابن تيمية ما هي عماد شخصيته العلمية؟ طبعا هو جمهرة أو كما يقال الناس اليوم: موسوعيّ، والشيخ شاكر علمنا أن نقول بدل موسوعي جمهرة، وقال هذا اللفظ المناسب الملائم لما قاله السلف عن مثل هذه الصور والتصورات.

فأين شخصيته؟ ابن تيمية فقيه وإذا تكلّم في الفقه أبدع، وكذلك يتكلم في أصول الفقه فيبدع، وإذا تكلّم في اللغة فله اختيارات جميلة، وتعرفون خصومته مع ابن حيان الآندلسي في قضيّة الكلام عن الكتاب لسيبويه، ولكن لو أردت أن تعرف عماد الصورة فيه فهو في قضيتين: قضيّة التفسير التي اشتهر بها، والثانية الكلام في أصول الدين.

وكان أغلب كلامه لو وعظ أو درَّس، وكان يجلس في مسجد دمشق بعد الخطبة ويفسر القرآن، وقيل أنه فسّر القرآن خمس مرّات في مسجد دمشق، لكنّه لم يكتب في التفسير إلّا من خلال الموضوع الّذي يكتب فيه يعني لا يعرف أنّه صار يفسّر كتابة، وسُئل لما دخل السجن -أظنّه البرزالي سأله- أن

يكتب كتابًا في التفسير على الطريقة المعروفة كل آية على حدة وهكذا، فقال الأمر لا يحتاج، وإن كان ذكر عن نفسه أنّ هناك من الحاجة في التفسير هو بيان آيات أشكلت على كثير من أهل العلم، وبالتالي أنا قلت مرة إن كتابه الذي انتشر مؤخرًا (تفسير آيات أشكلت على كثير من أهل العلم) من أواخر ما كتب؛ لأنّها تجيب على ما أراد، ومن قرأها علم ماذا يريد في هذا الباب، إلّا أنّه لم يكتب.

فالتفسير هو فنّه الذي يجري فيه مجرى عظيما ويسبق فيه كل علومه، يعني يسبق علمه في الحديث ويسبق علمه في الفقه، ولكنّه لم يكتب فيه بالطرق المعهودة.

يبقى كلامه في أصول الدين –وهذا المدخل لكتابه النّبوات–، سُئل ابن تيمية عن الكلام في الأصول لماذا أكثرت فيه؟ فيقول كما ينقل عنه ابن ناصر الدين: "لأنّي وجدت أنّ الذين تكلموا في أصول الدين من المتكلمين ومن غيرهم إنّما أرادوا به إفساد الشريعة، ووجدت أنّه إذا صلح أمر أصول الدين عند الرجل صلح دينه، وإذا فسد أمر أصول الدين عنده فيما يتكلّم فيه من مسائل فسد دينه"، ويقول: "ووجدت عاقبة ما يؤول كلامهم إليه في أصول الدين إنّما هو الزندقة والخروج من الشريعة".

إذا ابن تيمية تستطيع أن تقول بأنّ اعتناءه في الكتب الكبرى كان ينصب على مسائل أصول الدين، ما هي مسائل الدين؟ التي تتعلق بالاعتقاد: الإلهيات، والنبوات، والسمعيات، هذه الّتي يدور حولها كلامه وأغلبها لا يجري في قضيّة الإثبات فقط، يعني لا يتحدّث عن إثبات المسائل العلمية ولكنّه يحاجج الخصوم فيها وخاصّة المتكلّمين؛ لأنّه يعتبر –هنا النقطة– أنّ المتكلّمين العظام في تاريخنا ممّن تضلعوا في علم الكلام وتكلّموا في أصول الدين، كان أمرهم وسط بينهم وبين الزندقة، هم خيار يعني عندما نتكلّم عن عظام، نحن نتكلّم عن الباقلاني وقبلهم الأشعري وابن كلاب وعن الكرّامية، فمن دونه من تلميذه أبي المعالي الجويني إلى تلميذه الغزالي ومن كان معهم من الحنابلة إنّما هم دون أن يشعروا ومع همّتهم في نصرة الدين إلّا أنّ كلامهم كان قنطرة لمن يريد أن يتزندق؛ لماذا؟!! لفجوات فيما اختاروه في مسائل الكلام.

لذلك لا تراه ينشط كثيرًا في الردّ على ابن سينا مثلا، مع أنّه يقول في كثير في كلامه عنه: أنّه أمثل

الفلاسفة، ولا ينشط للردّ على الفارابي، لا ينشط للردّ على الزنادقة الكبار الذين خرجوا من الشريعة والدين كابن الراوندي، وإنّما ينشط لهذه القنطرة، وخلاصة كلامه يقول بأنّ هؤلاء إذا تكلّموا مع اليهود والنصارى والزنادقة جلبوهم للحقّ الّذي هم فيه، وإذا تكلموا مع أهل الإسلام جلبوهم للباطل الّذي هم فيه. هؤلاء الكبار من العلماء المتكلمين الّذين نصروا الدين بعلم الكلام -وسأقف على هذه وما هو موطن كتاب النبوات في الباب- كانوا شأنهم وسط بين أهل الإسلام الّذين هم على حقّ السنة والدليل وبين الزنادقة. فشأن هؤلاء هو ينصفهم ولا يرميهم كما يرميهم البعض ويقول هؤلاء ليس لهم قيمة، يقول: لا، هؤلاء كان لهم دور كبير إذا تكلّموا مع هؤلاء الزنادقة جلبوهم إلى الإسلام إلى الحقّ الّذي هو عندهم وهو الإقرار النبوّة والرسالة إلى آخره مع البدعة الّتي فيهم، ولكن إذا تكلّموا مع أهل الحقّ جلبوهم إلى الباطل الّذي هم فيه.

هذه القنطرة قنطرة شائكة ويحتاج الكلام عنها إلى عدل وإنصاف، وكما قلت سابقا: هؤلاء عظماء الأمة وكبار الأمّة وهم الّذين في وقت من الأوقات وصل الأمر بالإمام الدارقطني -وهو محدّث وليس له خبرة في الرد على أعداء الإسلام من الزنادقة- كان إذا مرّ بالإمام الباقلاني يقبل يده؛ لنصرته الدين ونصرته السنة. إذ لم يكن في ذلك الوقت من يقوم مقام الحقّ والسنّة في الطريقة الّتي أرادها ابن تيمية في قضيّة التعامل مع الزنادقة من خلال أسلوبهم وعلومهم ومنطقهم. فكان الذي يستخدم أسلوبهم وعلومهم ومنطقهم كان فيه نوع بدعة، ومع ذلك بالحقّ الّذي عنده يلزم هؤلاء الزنادقة.

وهذه مرتبة أقام ابن تيمية نفسه لها، وكتبه المهمة الكبيرة تقوم على هذا الباب، إنّما هي من أجل أصول الدين في بيان هذه القنطرة وما فيها من اختلال من أجل أن يرجعهم إلى السنة الصافية التي آمن بها وفهمها وأدركها واستوعبها.

وابن تيمية لم يدخل هذه المعركة مستوفيا بل اعترف أنّ معارفه كانت تنمو في المعركة، وهذا من إنصافه، يقول في كتابه الرد على المنطقيين: أنا لما بدأت البحث في هذه المسألة كنت أظن أن مباحث المنطقيين صحيحة والعلوم صحيحة ولكن الأسلوب غير صحيح، ثم اكتشفت بعد ذلك أن المباحث

غير صحيحة، فإذن وهو يحارب كانت تنمو لديه المعارف ويدرك المزالق ويراجع نفسه حتى استوفى هذا الجانب واستوى سوقه، ولذلك في آخر عمره لم يكن له شأن سوى هذا، وكتبه في آخره أغلبها تتعلّق بهذا الجانب –وهو جانب خطير– مثل: (بغية المرتاد) (التسعينية) "الرد على الإخنائي" هذا الكتاب الّذي بين يدينا (درء تعارض العقل والنقل) هذه الكتب الكبيرة جدّا والخطيرة تتعلّق بهذا الباب ولا ينتفع بها إلا من كان محيطا بمسائل المتكلمين.

لنأت لكتاب النبوات كخاتمة:

الزندقة لما نشأت في بلادنا.. من أنشأها؟ أنشأها الرفض، الرافضة هم أنشؤوا الزندقة، ومبحث الزندقة أي: الكفر بالكتاب والسنة وتحقريهما وعدم الاهتمام بهما كمرجع والاعتقاد بأنهما حق منشؤها الرافضة، والزندقة في وقت من الأوقات غلبت على أمّة الإسلام، وحكمت سياسيا وعسكريا بلاد المسلمين، فالعبيديون حكموا المغرب وحكموا مصر والشام والحجاز واليمن ودخلت قواتهم –البساسيري– بغداد، لولا أن جاء ألب أرسلان وطرده وأرجع الخليفة وما بقي بلد من بلاد المسلمين إلّا ما يذكر عن دمشق القليل فيها، وهذا ابن كثير في البداية والنهاية يعترف به، والحشاشون وانتشارهم المخيف وكذلك مشايخهم وجلوسهم.

ومن قرأ مجالس الرافضة في مصر، وهناك كتب كثيرة اسمها المجالس وهي غير منتشرة عندنا وهي مطبوعة، كانت مجالس للعبيديين حكام مصر ويجبرون كبار العلماء على الجلوس فيها، ومن قرأ تاريخ أمّة الإسلام في هذه المرحلة يبكي عليها، وهناك شهداء كثر من أهل العلم قدموا أنفسهم كالنابلسي الذي عرف أنه قال له الحاكم الفاطمي: سمعت أنك قلت: لو كان عندي عشرة أسهم لرميت فينا تسعًا وواحدًا في الروم، فقال: لا ما قلت هكذا، بل قلت لو كان عندي عشرة أسهم لرميت تسعًا فيكم والعاشر فيكم كذلك"، فقتلوه وسلخوه وحشوا بطنه تبنا والقصّة موجودة في كتاب (سير أعلام النبلاء)

.

فالقصد أنّ هؤلاء الزنادقة نشروا هذا الدين، وكان عمدة كفرهم الطعن في القرآن، ومن هنا نشأ في

أمّتنا الدفاع عن القرآن باعتباره معجزا، وذهب بعض العلماء إلى قضيّة إظهار إعجاز القرآن البياني، وبدأوا يألفون المؤلفات العظيمة في بيان إعجاز القرءان؛ لأنّ جزءًا من الهجمة الّتي تعلقت بالقرآن تعلقت ببيانه، وقام العلماء خير قيام، حتّى الإمام الباقلاني عليه رحمة الله مع كتابه (دلائل النبوة) العظيم، له كتاب اسمه (إعجاز القرآن) وكلامه فيه كلام عظيم، وممّا بحثه في قضية إعجاز القرآن إثبات النبوّة فكان الكلام عن المعجزة النبوية، وهنا وقعت القضية التي يتكلّم عنها ابن تيمية وهوي قضية المعجزة النبوية الكونية ما صفتها؟ ولا بدّ من تحرير القول فيها.

هناك من اشتغل اشتغالًا عظيمًا في بيان إعجاز القرآن، باعتبار أنّ القرآن هو الدليل الأقوى لصدق نبوة النبيّ صلى الله عليه وسلم، ما هو أعظم دليل في صدق نبوّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم؟ القرآن، والكلام هل هو معجز أو غير معجز هذا انشغل به علماء كبار عظماء من أعظمهم الإمام الباقلاني ومن بعده عبد القاهر الجرجاني، وكلامه في إعجاز القرآن كلام رائق وعظيم، ويحتاج كلام الباقلاني عن إعجاز القرآن إلى درس لوحده، لكن ممّا ذكره وبحث فيه أهل الإسلام المعجزة الكونية التي تعطى للنبيّ، يعني النبي صلى الله عليه وسلم أُسري به، عرج به إلى السماء.. هذه معجزة كونية، وخرج الماء من بين أصابعه، وانشق له القمر، النبي صلى الله عليه وسلم بورك في الطعام، دعا على الطعام فكفى الجيش من الناس.

هذه المعجزة لابد تحريرها، ومن هنا وقع المتكلّمون في مطبّ، وما زال إلى اليوم في المعاهد العلمية والجامعات يدرّسون الخطأ الّذي نبّه عليه ابن تيمية، والحقيقة لا أستطيع أن أقول أنّي مستوعب لكلّ من تكلّم في المعجزة والكرامة.. أقسام الخارق للعادة: المعجزة، الكرامة، الاستدراج، الإهانة؛ يقولون: الخارق للعادة إذا وقع على يد نبيّ فهي معجزة، وإذا وقع على يد وليّ فهو كرامة، وإذا وقع على يد كافر فهو استدراج، وإذا وقع ضدّ مراد كافر فهو إهانة.

هذا الكلام إلى الآن يدرّس بالخطأ الّذي ناقشه ابن تيمية في هذا الكتاب، من هنا تأتي عظمة هذا الكتاب أنّه يعالج هذه المسألة معالجة مهمّة جدّا.

نحن تعلّمنا وكل الكتب بين أيدينا إلى هذه اللحظة: ما الفرق بين المعجزة والاستدراج؟ كلهم يقولون أنّ النوع واحد لكن هذا مقترن بالنبوّة والتحدي وهذا غير مقترن لكن الجنس واحد، المدارس الدينية إلى الآن تدرّس هذا الباب بهذه الطريقة، لكن ابن تيمية في هذا الكتاب يبحث من أوّله إلى آخره في هذه النقطة، وعلى طريقة ابن تيمية تشدّه مسألة فيذهب إليها ثمّ يعود، وتشده أخرى ويعود، وأنا أقول: لا أزعم أني قرأت كل ما كتب في هذا الباب لكن أستطيع أن أزعم فيما قرأت أنّي لم أجد أحدًا ميّز بين هذه المراتب كما فعل ابن تيمية، لا يوجد عالم قطّ تكلّم في مسألة التفريق بين المعجزة والكرامة والاستدراج والإهانة كما تكلّم فيها ابن تيمية.. كلهم يقولون إن الجنس واحد ولكن الفرق في إدعاء النبوة مع التحدي، وهو يبطل هذا إبطالا عظيما جليلا.

والكلام سهل ميسور وهذا خطأ أقوله على كلام رجل مثل ابن تيمية-، وإذا قرأ المرء خمسين صفحة من كتاب النبوات في بيان هذه المسألة وكيف يفرق، مع ضرورة الكتاب في مباحث أخرى، فيه أشياء جميلة رائعة في كلامه مثلا عن الفرق بين النبي والرسول وقوله مع الأدلة يتكلّم فيها كلاما جيّدا رائعا، يتكلم عن مراتب العلماء، وكلامه كعادته إذا تكلّم في هذه الأبواب كان مبدعًا، وشيخ الإسلام مبدع في كل ما يتكلم، لكن في هذه الأبواب إذا تكلّم فيها دخل في أجواف أصحابها وناقشهم بأسلوبهم وطرائقهم وأبحاثهم واستخدم مصطلحاتهم واستخدم فنونهم وأتى بالزبدة لك صافية جليّة.

نختم باختصار إذا أردتم الفرق، يقول شيخ الإسلام بأنّ النوع الخارق يختلف من جهة جنسه، حتّى الكرامة وإن كانت من جنس المعجزة لكنّها ليس في مرتبتها. وكما أنّ فضل الله علوم الأنبياء على علوم أتباعهم، ففضل معجزتهم في النوع وإن اتفقت أنّها من الله —يقولون: الكرامة حصلت باتباع النبيّ- لكن لا يمكن أن تكون في منزلة المعجزة.

لذا كلمة "كل معجزة لنبي فهي كرامة لوليّ" هي كلمة خاطئة، نعم الجنس واحد في أنّها من الله وأنّها خارقة للعادة.

وهذه كلمات دقيقة هو يقول: الاستدراج، نعم خارق للعادة ولكنّه ليس من جنس الكرامة ولا من

جنس المعجزة؛ لأنّها ليست خروجا عمّا يقدر عليه المخلوق –هذه مهمّة جدّا–، ما هو الاستدراج؟ الاستدراج هو حصول خارق للعادة للكذّاب أو الكافر أو الفاسق، يقول: هذه ليست خروجا عمّا يقدر عليه مخلوق ما، اذكروا لي شيئا ممّا تقولون أنّه استدراج وأنّه ممّا لا يقدر عليه المخلوق، المشي على الماء! فالسمكة تسبح، فالمقصود هو تحدي لمن بعث إليه أي الآنسي والجني، فأشياء يقدر عليها الجني ولا يقدر عليها الآنسيّ، فهذه إذا قدر عليها الجنّي لا تسمّى خارق؛ لأنّ ما فعله النبيّ تحدّ لمن؟ للإنسي وللجنّي، وكل من الطير والجن يطير في الهواء **{أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ}** فجنس الاستدراج الّذي هو فوق قدرة المخلوق –لا أقول الإنسان– لا يوجد، والله عز وجل أجلّ من أن يعطي الفاسق آية يحصل بها الاشتباه مع آية النبيّ على صدق نبوّته، والدليل أنّه لما كان النّاس يسألون النبي صلى الله عليه وسلم آية تثبت صدقه لا تشتبه مع ما يفعله السحرة، ولو اشتبهت لديهم لقالوا هذا يفعله فلان، ولذلك آمن السحرة؛ لأنّهم علموا أنّ هذا من غير جنس ما أتوْا به، وهم أسياد زمانهم وكلّ زمان في هذا السحر، فالسحر ليس خرقا للعادة بالمفهوم الّذي ذكرناه، وعادة: هي ما يقدر عليه المخلوق.

وأمّا دعوى تحدي النبوة، فهو يكرّر في كلامه أن صحة الدليل تستلزم المدلول، ووجود المدلول يستلزم صحة الدليل، يقول: لو أنّ الفاسق والكافر يزعم أنه على الحق، وقد لا يقول أنا نبي بل يقول أنا إله فهل يعطى ما يحصل به الاشتباه أنّه هو ربّهم! الله أجلّ من أن يوقع هذا.

خلاصة كلامه رحمه الله في هذا الباب، ويقول الفرق بين المعجزة والكرامة وإن كانت الكرامة من جنس خرق أمر السنّة فيما يتعلق بالمخلوق، لكنها لا يمكن أن تصل لدرجة المعجزة؛ لأنّ علوم الأنبياء فوق علوم غيرهم. أي أنّ الأدلّة الّتي أعطيها الأنبياء هي أدلّة أعظم مما يعطى أتباعهم، وإن كانوا في وقت من الأوقات بحاجة إليها أكثر من زمن الأنبياء، وهذا يشرحه في الفرقان.

أما الإهانة؛ فيقولون أنّ مسيلمة الكذاب كان يتفل في الماء ليفيض فيغيض وأنّه كان يضع يده على الصبي يدعو له فيسقط شعره، فالإهانة أن يقع ضد ما قصد الزاعم.

في صفحة ١١٥ عبارة رائعة؛ لتفهموا شرح ما يقول، وانتبهوا لهذ الكلمة الرائعة تصاغ من ذهب، تدلك على عقل هذا الرجل يقول: "وما يأتي به الجني هو من نفس جنس ما يأتي به الآنسي ولكن يختلفون في الطريق". نحن نقول أنّ الجني يستطيع أن يذهب من مكان إلى مكان والآنسي يستطيع، لكن اختلفت الطريقة؛ وهو يريد أن يدلّل بأنّ ما يحصل للناس من خوارق تستطيع أن تفعلها لكن باختلاف الطريقة، لذا فعامّة سحر السحرة يأتي بالتعلّم، فهو فنّ وصناعة، يحتاج إلى الجنّي فيكفر، فالجني يعينه ويعلّمه الطرق التي لا يقدر عليها الآنسي ويعينه عليها.

ومن الأمور الّتي أحبّ أن نطلّع عليها في هذا الكتاب.. هو يشد في البداية على ابن حزم؛ لأنّه للأسف أتى بأشياء مخالفة، وزعم أنّه لا يوجد هناك استدراج، وابن حزم على طريقة بعض المعتزلة الذين يرفضون الاستدراج.

في صفحة ١٤٩ كلام رائع، خارج الإطار لكنّه مهمّ يقول :"وتأملت ما وجدته في الصفات من المقالات مثل كتاب المِلل والنحل للشهرستاني". وهذا الكتاب للشهرستاني له ميّزة لا توجد في كتب المقالات كلها –لم يذكرها شيخ الإسلام لكن أعرفها من الكتاب– وهي أنّ الشهرستاني كان يتقن اللغات الأعجمية وهذه ميزة له، فترجم كثيرا من كتب الباطنية السرية وكلماتهم في كتابه الملل والنحل وهو قد عاش معهم مستطلعًا لا متبعا، وهذه خاصة من خواص هذا الكتاب

وليت أحد طلبة العلم يكتب كتابًا جامعًا في كتب المقالات مثل (مقالات الإسلاميين)، مثل الشهرستاني، مثل (الفرق بين الفرق) للبغدادي، مثل (الفصل) لابن حزم، ويبيّن ميّزة كل كتاب، ويدلّل على هذه المزايا، حقيقة سيكون كتابًا رائعًا ومفيدًا، ويعرّف طالب العلم مفاتيح هذه الكتب.

ودائما شيخ الإسلام يثني على كتاب (مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري مع انتقاده له.

هذه الأيام رسائل الماجستير والدكتوراه كثيرة جدا، فربما كتب؛ ولكن كانت إحدى المباحث في ذهني أن أقوم بهذا، وهو أن أكتب كتابا عن مفاتيح كتب المقالات والمذاهب والملل.

نختم بهذا، يقول: "وتأملت ما وجدته في الصفات من المقالات مثل كتاب الملل والنحل للشهرستاني وكتاب مقالات الإسلاميين للأشعري وهو أجمع كتاب رأيته في هذا الفنّ، وقد ذكر فيه ما ذكر أنّه مقالة أهل السنّة والحديث وأنّه يختارها، وهي أقرب ما ذكره من المقالات إلى السنة والحديث، لكن فيه أمور لم يقلها أهل السنة والحديث. ونفس مقالة أهل السنة والحديث لم يكن يعرفها" وهذا مشهور عنه. يقول: "والأشعري أعلم بمقالة المختلفين من الشهرستاني" انظر إلى دقة ابن تيمية وتمييزه، ابن تيمية لا يقرأ قراءة الجرائد للذكر: أنا أقول لكم كلمة قلتها في فن القراءة وقلتها في بداية المشروع: لا يوجد أحد يعرف الكتب وهو يقرؤها قراءة البحث عن الموضوع في الفهرست، هذه قراءة للاستدلال والمرجعية من أجل تأليف كتاب ما. الذي يريد أن يعرف كتب الأئمة يجب أن يقرأها من ألِفِها إلى يائها، لا تستطيع أن تعرف مفتاح الكتاب حتّى تقرؤه جميعه قراءة مستطلعة وباحثة ومحققة للكتاب، أما أن قول واحد يقول: هاتوا لنا ما قاله ابن كثير في سنة ٧٢٠ مثلا من البداية والنهاية ويقرؤها فهذا لا يستطيع أن يعرف ما في البداية والنهاية؛ أو واحد يرد أن يقرأ فتح الباري لابن حجر فيقول: انظروا ماذا قال ابن حجر في هذا الحديث، فهذا لا يستفيد إلا هذه الجملة التي أخذها، ولكن أن يعرف مفتاح الكتاب ومنهج الكتاب ويعرف من هو ابن حجر؟ لا يعرف.

انظر إلى هذه الدقة من ابن تيمية، يقول: "والأشعري أعلم بمقالة المختلفين من الشهرستاني ولهذا ذكر عشر طوائف، وذكر مقالات لم يذكرها الشهرستاني، وهو أعلم بمقالات أهل السنة، وأقرب إليها، وأوسع علمًا من الشهرستانيّ. والشهرستاني أعلم باختلاف المختلفين ومقالاتهم من الغزالي، ولهذا ذكر لهم في القرآن أربعة مقالات، وعدّد طوائف من أهل القبلة. والغزالي حصر العلم الإلهي في أربعة أصناف،"هذا في كتابه الّذي تكلّمنا عنه (المنقذ) "في الفلاسفة، والباطنية، والمتكلمين، والصوفية، فلم يعرف مقالات أهل الحديث والسنة، ولا مقالات الفقهاء، ولا مقالات أئمة الصوفية، ولكن ذكر عنهم العمل، وذكر عن بعضهم اعتقادًا يخالفهم فيه أئمتهم."

هذه كلمات في صفحة، لكنّها تدلّ على كمّية القراءة الّتي قرأها؛ حتّى أخرج هذه الجمل اليسيرة.

ويقول "والقشيري أعلم بأقوال الصوفية (أي من الغزالي)، ومع هذا لم يذكر أقوال أئمتهم. وأبو طالب أعلم منهما بأقوال الصوفية، ومع هذا فلم يعرف مقالة الأكابر، كالفضيل ابن عياض ونحوه. وأبو الوليد بن رشد الحفيد حصر أهل العلم الإلهي في ثلاثة: في الحشوية، والباطنية، والأشعرية. والباطنية عنده يدخل فيه الباطنية الصوفية" .. إلى آخر ذلك، انظر كيف يمايز بين الرجال في هذه.

هذه جملة مما أحببت أن أقرأه لكم ختاما لما نحن فيه

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: هل صحيح أنّ شيخ الإسلام لم يكن ذا علم كبير بصناعة الحديث والعلل والرجال، وأنه كان يخطئ في الأسانيد أحيانًا؟

الشيخ: من اتهمه بهذا ؟! يعني نرد على شيء واقعي. هناك رسالة ماجستير لرجل معاصر لا أعرف اسمه يتكلّم عن ابن تيمية محدِّثًا، قرأت الكتاب قبل شهور فقط وهو يقول استوعب جميع ما نسبه ابن تيمية من أحاديث لمصادرها، ولما أراد أن يبيّن خطأ ابن تيمية وجده أخطأ في أحاديث قليلة –أربع أو خمس– نسبها إلى مصادرها ولم تكن كذلك، فنسب بعض الأحاديث للصحيحين وهي في المسند.

وذلك مع كثرة ما كتب وألف، وكثير من كتبه ألّفت من ذهنه، الحموية والواسطية كل منهم أُلِّف في جلسة واحدة.

وابن تيمية أرسل رسالة عندما غاب في مصر سبع سنوات، بعث إلى تلميذه في دمشق إذا أردتم أيّ كتاب من كتبي أو أيّ موضوع فيها فارجعوا إلى المزّي فهو أعلم بكتبي منّي؛ والمزّي أعلم الناس بالحديث، كما أنّ الذهبي أعلم الناس بالرجال، وكثيرًا ما يحتج ابن كثير في البداية والنهاية وغيره بشيخه

وعمّه –والد زوجه– في الأحاديث والأسانيد في قبولها وردّها.

فلا أعرف أحذا اتّهم ابن تيمية بهذا الاتّهام، يعني هذا الكتاب الّذي زعم صاحبه أنّه جمع كلّ ما كتب ابن تيمية من أحاديث فدرسها دراسة المطّلع فلم يجد إلّا أربع أو خمسة أحاديث أخطأ ابن تيمية في نسبتها إلى مصادرها.

كان مسند الإمام أحمد كأنّه بين عينيه، وكان له خبرة عجيبة جدّا بالصحيحين والسنن، أمّا عدم معرفته بالعلل فاتّهام عجيب، فهو مرجع في ذلك.

ولكن بلا شكّ أنّ الإمام المزّي أعلم بالأحاديث وأطرافها منه وهذا ليس قدحا فيه.

السائل: ما هو ضابط تحديد المجدّد وما هو قولك يا شيخ فيما قرّره الشيخ محمّد الطاهر بن عاشور عن هذا الموضوع؟

الشيخ: لا أعرف ما قاله الشيخ الطاهر بن عاشور في المجدّد ولم أطّلع على كتابته في الموضوع.

التجديد كما وصفه الإمام النووي، إما أن يكون فردًا كما وقع في الأوائل، كعمر ابن عبد العزيز أو كالشافعي، هذا أحمد ابن حنبل يقرّر أن أول مجدد للأمة هو الخليفة الأموي الراشد عمر ابن عبد العزيز ثمّ يأتي الشافعي وبعد ذلك يختلفون، وكما تعلمون أنّ الشافعي جدّد علمًا، وعمر بن عبد العزيز جدّد علمًا وجدد سلوكًا في السياسة.

ثم عندما جاء الإمام النووي إلى المجدد ذكر أنّ التجديد يمكن أن يكون جماعيّا، ويمكن أن يكون متفرقًا في البلدان ويمكن أن يكون متفرّقا في الموضوع.

والمقصود بذلك أنّ المجدّد سواء كان فردا يعاد إليه –وهذا صعب– أو أن يكون جماعة فالمقصود به هم الّذين يحيون الدين ويحيون السنن الّتي ماتت بين الناس، ويردّون على البدع الّتي تنتشر بين الناس، أمّا شروطه فلا شكّ أن يكون متضلعا بالكتاب والسنة وأقوال السلف.

السائل: عرجت يا شيخ في معرض حديثك عن النقل والعقل إلى الفرق بين ابن تيمية وابن حزم ولكنك استطردت ولم تذكر، فما الفرق بين الإمامين؟

الشيخ: جئت إليها عرضا، لا شكّ أنّك لو قرأت لابن حزم في مقدّمة كتابه (المحلى) تراه يذكر عقيدته، لو ذهبت إلى كتابه (الإحكام) لو ذهبت إلى كتاب (الدرة فيما يجب اعتقاده) وذهبت إلى (الفصل) في مقدّمته، لوجدت أنّه لا يرى الحكمة ولا يرى التعليل، وبما أنّه ينفي القياس فإنّه يلزم نفسه أنّ الشارع يمكن أن يأمر بالشيء وضده... فبدل أن ينظر إليها نظرة علمية لتوافق العقل الذي هو فطرة في الإنسان. ومدرسته الآن تكاد تكون غير موجودة إلّا في أفراد. وأسمعهم من أفراد يقولون نسلّم للنّص. نسلم للنص نعم، لكن أن تزعم أنّ النّص لي فيه ما يوافق الفطرة والخلق فهذا خطأ، نحن علمنا أنّ النّص حقّ لأنّه وافق الفطرة فينا.

نعود لكتاب النبوات، يقول بم علمت قريش أن رسول الله هو رسول الله حقا؟ بخصاله وأخلاقه أم بالآيات الكونية التي أتى بها؟ بخصاله فهو الصادق الأمين إلى آخره، ثمّ بما أتى به من الدلائل الكونية، فجعفر رضي الله عنه عندما حاجج النجاشي ومن معه حاججه بالتشريع الذي أتى به؛ وهذا يفصّله شيخ الإسلام في الكتاب.

وأنا أكون ظالما وتكونين ظالمين لي إن ظننت أنّي استوعبت كلّ ما في كتاب النبوات، علينا أن نرجع إليه وهو مهمّ جدّا، هذا العرض في كلّ كتاب، بعض الإخوة ينتظر أن أعرض الكتاب في كلّ نقاطه! لا ارجع للكتاب فأنا أرغّبك فيه وأجعل لك بعض المفاتيح المحيطة به وأمّا الكتاب نفسه فلا بدّ أن تطلّع عليه بنفسك لتعرف خزائنه وكنوزه، بعض الناس يقول ابتعدت عن الكتاب، أنا لم أبتعد عن الكتاب، الكتاب تركته لك ولكن جعلت لك مفاتيح فيه.

وهرقل هل سأل أبا سفيان عن آية كونية أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم أم سأله عن أخلاقه؟ سأله عن سيرة الأنبياء فيه، فبم علم صدق النبي؟ بسيرته بأخلاقه بموافقة ما جاء به للحقّ، ما الذي قرر الحق قبل أن يأتي الشرع؟ الفطرة، العقل الفطري كما يسميه ابن خلدون، العقل الفطري هو الذي قرر

الحق، فجئت إلى هذه الشريعة فوجدتها موافقة.. هذا هو الذي يثبت به.

وهنا الردّ على ابن حزم، عندما يقول: جاء الحق وعلينا أن نسلم. فأين القدرة لهذا العالم على أن يوّفق بين النص والفطرة، أو الرد على الذين يزعمون أنّ النص يخالف العقل؟ هذه مرتبة علمية عظيمة ابن حزم لا ينشط لها، ومن تربّى على كتب ابن حزم تموت عنده هذه الملكة، نعم له جوانب من النقاش العقلي للمخالفين للرسالة والنبوة كما في مقدّمة الفصل، يأتي عليها في قضية إثبات الإله لكنها ليست الطريقة ابن تيمية رحمه الله بهذا التفصيل الذي نحن فيه.

السائل: ما رأيكم شيخنا في قول شيخ الإسلام ابن تيمية عن ماردين وأنها دار مركبة؟

الشيخ: لا تعرف الدار المركّبة قبل كلام ابن تيمية، ولكن اسمعوني: الفقيه يجب أن يتعامل مع الواقع، وخاصة في الفتاوى، فالكتب موجودة، الإمام أحمد أحدث لنا دارًا هي دار الأعراب، ليست موجودة في الكتاب والسنّة ولكن يمكن أن تستنبطها، والأعراب ليس عندهم عصبة واحدة، فهي دار المسلم فيها مسلم والكافر فيها كافر، وطوائف متعدّدة في القبيلة الواحدة والعشيرة الواحدة، والعشيرة قد تكون مشتّتة، فقال الإمام أحمد: يوجد دار أعراب، أين نجدها هذه في كتب الفقه التي تصنف على طريقة الفقهاء؟ لا نجدها، لكن عندما يسأل ينبغي على الفقيه أن يعرف الواقع ويعرف كيف يفهم النّاس.

هل أحد من العلماء يقول –سوى الخوارج وهم شرّ الخلق والخليقة– أنّه إذا صارت الدار دار حرب صار كل من فيها محاربا حتّى لو كانوا مسلمين؟ لا أحد يقول هذا، فالمسلم مسلم أينما وجد، لكن هذه المفاهيم تغيب من أذهان الناس.

وابن تيمية في كتاب (الصفدية) كتاب غريب جدًا ورائع، وأنا تعجبني هذه الإشارات لأنّها تفتح لنا كيفية الفهم على كلام الفقهاء، يرد على من زعم أنّ كل باغ فاسق، يقول: هذا كلام غير صحيح، طيب لماذا يذكر الفقهاء ذلك؟ قال: لأنّه غلب عليهم أنّهم رأوا البغاة في أزمانهم فسقة، وإلا قد يكون الباغي أكثر تقوى ممن بُغي عليه من الحكّام.

وهو يتعامل مع كلمة الباغي بالمفهوم الفقهي وليس بمفهومه هو، والباغي عنده هو بعد الصلح وليس قبله، يعني لو أنّ جماعة من الناس خرجوا على الحاكم بسلاح لا يسميهم بغاة، لا يسمّيهم بغاة إلّا بعد الصلح بنص القرآن، بعد أن تصلح وتقول هذا الحق وتفصل بينهم، فالّذي لا يقبل الحكم هو الباغي وقد يكون هو المتمكنّ من السلطان. والغريب أنّه يقول في حديث "تقتلك الفئة الباغية" عن عمّار، له قول تقبله أو ترده فهذا شأن آخر، أن المقصود بالبغاة البغاة في الطرفين، كان في الطرفين أناس عصاة هم الّذين بغوا، وبالفعل عليّ كان عنده بغاة، هم قتلة عثمان أفجر الناس في زمانهم، من المسلمين أقصد.

القصد: ابن تيمية فقيه، وأنا أتكلم عن ما يعلم من حاله.. ماردين هذه دار من ديار الإسلام وبلد من بلاد الإسلام، فلو قال دار كفر ودار حرب فسيضطر لشرحها بعد ذلك، فقال: هذه دار مركبة، والدار المركبة هي وصف فقهي لما يقرّر في الدار المنقبلة من دار الإسلام إلى دار كفر. الدار المتحولة من دار إسلام إلى دار كفر هل تزيد واقعيا عما قاله ابن تيمية في الدار المركبة؟ إذا هو يشرح المعنى ولا ينشئ شيئا جديدًا، والفقيه يجب أن يراعي هذا ويعتبره في كلامه، هناك علماء كثر يحفظون الكتب ولا يعرفون الإفتاء وهناك أناس كثر يتعلّمون القضاء ولا يقدرون على القضاء، وهذه ذكرت في التاريخ، ومسألة الفتوى تحتاج إلى معرفة من يفتي وحال الناس ليتكلم معهم.

ولا تتغير الأحكام في الدار المركبة.

بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرا.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

في ظلال سورة التوبة

للإمام الشهيد عبد الله عزام رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الحادي والثلاثون

تاريخ المناقشة: ٢ نيسان ٢٠١٦.

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وعلى صحبه الغرّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عزَّ وجلَّ وإيّاكم منهم، آمين آمين.

أهلًا وسهلًا بالإخوة الأحبة مع كتاب جديد من مشروع "ألف كتاب قبل الممات". وبعض الإخوة سأل لو نرقّم الكتب؛ لأننا لم نعد عالمين بعدد الكتب التي نُوقشت، وسألت أحد الإخوة الذين لهم متابعة لهذا الشأن فهو على ذمّته يقول هذا هو الكتاب الحادي والثلاثون من المناقشة. الحمد لله، نسأل الله أن يتمّ علينا نعمته. ودائمًا المرء إذا وضع في نفسه الهدف البعيد وحضَّر نفسه له، فمهما قطع يكون قاطعًا شيئًا جيدًا، يعني وضعنا ألف كتاب؛ فإذا قطعنا ٩٩٩ كتاب يكون جيدًا إن شاء الله!

هذا الكتاب هو كما سمّاه الشيخ نفسه رحمه الله: (في ظلال سورة التوبة). والعنوان كما ترون هو مُقتبس ومأخوذ من كتاب الأستاذ سيد قطب رحمه الله: (في ظلال القرآن). وكما سيأتي بأن الشيخ رحمه الله هو متأثّر جدًّا كما كان يذكر عن نفسه وكما سنرى في تفسير هذه السورة أنه قد تأثّر بطريقة سيد في تقسيم المواضيع الموجودة في السورة.

الحديث عن الشيخ الشهيد رحمه الله وأنا ممن أجيز إطلاق اسم الشهيد خلافًا لمن منعه، وهذا حديث عن أحكام؛ يعني فلان شهيد أي مات ميتة الشهداء، وأما كيف هو عند الله فتلك مسألة أخرى، ولا حديث لنا معها في هذه الدنيا لأنها قضيّة بين العبد وبين ربّه. وأما نحن في هذه الدنيا فنتحدّث عن وقائع وأحكام دنيوية فنقول الشهيد.

وخاصة في هذا اليوم أو هذه الأيام التي يُطلق فيها هذا اللقب كذبًا وسياسةً؛ كذبًا على نصارى وكفار ومرتدين، وسياسةً يُطلق على دعم لمذاهب أو لقضايا فيُقال فلان شهيد؛ فنحن أولى في هذا الباب وفي هذا الوقت، وإن كان حتى من باب سدّ الذريعة أو من باب المنافسة في الخير أن نطلق على الرجال الذين ماتوا في سبيل الله أنهم شهداء. فنحن نجيز إن شاء الله أن نقول الشهيد حسن البنا،

الشهيد سيد قطب، الشهيد عبد الله عزام وأمثال هؤلاء.

هذا الكتاب (في ظلال سورة التوبة) هو ظلٌّ حقيقيّ لمتكلّمه، هذا الكتاب هو ظلٌّ تامٌّ لشخصية الشيخ عبد الله عزام رحمه الله. وسنتبيّن ما هي ظلال هذه الشخصية وكيف انعكست على تفسيره هذا الذي بين أيدينا.

ابتداءً نريد أن نقول بأن هذا الكتاب هو تفريغ لأشرطة ألقاها الشيخ في إحدى معسكرات التدريب وهو معسكر "صدى" فيما أظنّ، وكان الشيخ له أعمال متعددة مع الجهاد الأفغاني؛ فمرّات يقضيه في الجبهات، كما كان يذهب للمأسدة، وهذا عُلم عنه، وكما كان يذهب إلى المعسكرات التدريبية، وكان عامة أعماله تقوم في مكتبه خدمات المجاهدين للأعمال التي تخدم المجاهد؛ مالًا، وإعدادً، واستقبالًا، وتطبيبًا، إلى غير ذلك، فخلال وجوده في المعسكر بدأ في تفسير سورة التوبة.

وهذه الطريقة أي الطريقة التي بها يتم إلقاء الشيخ أو المدرّس أو العالم موضوعَه ثم يُفرّغ في أشرطة عليها كثير من الملاحظات، لكنها عند الكثيرين نافعة، يعني مثلًا نحن نرى أن من حاول أن يلقي بحماسة الشيخ عبد الحميد كشك رحمه الله.

يُرْغِي ويُزْبِدُ بالقَافَاتِ تَحْسبُها=قصفَ المدافعِ في أفقِ البساتينِ

يلقي بمثل هذه المعاني في صوته الجهوريّ وطريقة إلقاءه يلقيها على الورق فتموت، وكثيرًا ما حاول البعض تفريغ خطب الشيخ كشك فلم تنجح؛ لأنه غاب عنها أحاسيس الشيخ، وغاب عنها أن الإلقاء له معان غير القراءة، والقراءة لها معان غير الإلقاء.

وقد يكون الرجل قويًا في كليهما، يُقال بأن الشيخ البشير الإبراهيمي كان كذلك؛ كان قويًا في الإلقاء، وقويًا في الكتابة. وبعضهم يكون قويًا في الكتابة، لكنه إذا تكلّم كان متعتعًا وضعيفًا، وبعضهم يكون قويًا في الإلقاء لكنه إذا كتب لا تكون كتابته بمقداره، وبعضهم أصلًا يتكلّم ولا يكتب، يعني لا يُعرف عن الشيخ كشك مثلًا الذي ذكرناه وهو في الباب أنه كتب، وإنما كانت تُفرغ أشرطته ولا تنتشر

انتشار الأشرطة.

كذلك نحن نرى أن هذا الفارق يقلّ مع الشيخ الشعراوي، تجد أنك حين تسمع له على معنى، وحين تقرأ له يقارب هذا المعنى، وخاصة أنك ربما وأنت تقرأ للشيخ محمد متولي الشعراوي كأنك تريد أن تستحضر صورته وهو يلقي هذه الكلمات، وهذه يقع فيها المرء، أنه يقرأ كلمات وهو يعرف الرجل عن قرب كيف يتكلّم فكأنه يسمع ولا يقرأ، مع أنه يقرأ، لكن كأنه يسمع له.

وهذا نلاحظه، لو أنك مثلًا كنت مداومًا أو عالمِا بتفسير الشيخ الشعراوي إلقاءً في الأشرطة وفي الفيديو، ثم جئت إلى كلامه المكتوب –لأنه فُرغ تفسيرهُ للقرآن على الورق–، فلو أنك جئت إلى هذا الكلام لكأنك تسمع له، حتى الفواصل، والنفس، تحسّ هذه الفوارق في الكلمات.

فهذه طريقة موجودة ولكن ليست كما يكتب المرء.

وكذلك الشيخ ابن عثيمين وإن كان القائمون على تفريغ أشرطة الشيخ ابن عثيمين حاولوا كثيرًا ونجحوا إلى حدٍّ بعيد جدًّا في تجنيب الكتابة مزالق الإلقاء. يعني أزالوا بعض الأمور ورتَّبوا وهكذا، بخلاف مثلًا الشيخ كشك، كانت أشرطته تُفرغ ولم تُفرّد، وبخلاف الشيخ الشعراوي. والشيخ الشعراوي حتى نجد في تفسيره المطبوع بعض الكلمات على طريقة العامة أبقوها ولم يحذفوها.

وربما تُعرض عليه، وكثير من المشايخ وكثير من الملقين لو لم يكونوا مشايخ مثل العبد الفقير لا يحب أن يسمع لنفسه ولا أن يقرأ لنفسه. فيأتي أحدهم يقول راجع هذه الصفحة فلو راجعتها لصنعتها صناعةً جديدة. يعني أنا لا أستطيع أبدًا أن أكتب جملةً واحدة مرّتين ولو كانت جملة من سطر واحد فقط! ولو قيل لي هذه الموجودة اطبعها، فلو طبعتها ستخرج خلقًا آخر.

فلماذا لا يقوم الشيخ بذلك؟ هذه قدرات، وكذلك وجود المؤسّسة ورائه.

والشيخ عبد الله عزام لم يكتب كتبًا كثيرة، يعني الشهير له هو كتابه في رسالة الدكتوراه وهو الحديث عن (دلالة الكتاب والسنة على الأحكام من حيث الظهور والخفاء)، وهي رسالة جيّدة، واضح أن

الشيخ بذل فيها جهدًا عظيمًا، وهو قال عن نفسه بأنه استفرغ مخطوطات الأصول في الأزهر في هذه الأبواب.

و"الظهور والخفاء" لأن دلالة الأحكام والسنة على الأحكام لها مراتب؛ دلالة اللفظ على مراده إما من جهة الوضع، وإما من جهة الاستعمال، وإما من جهة الظهور والخفاء؛ فلها مراتب، الألفاظ كيف تُدرس، فمثلًا لو قلنا دلالة اللفظ من جهة الوضع لجعلنا مثلًا البحث العام في المشترك في المؤوّل وهكذا، فلو بحثناه من جهة الاستعمال لرأينا أنه يُنظر إليه من جهة المجاز، من جهة الحقيقة، من جهة الكناية، من جهة الاستعارة. لكن من حيث الظهور والخفاء نجد مثلًا البحث في مسألة تقسيم الحنفية من حيث المفسّر، المحكم، النصّ، الظاهر، ثم يقابلها أربعة: الخفي، والمؤوّل، والمجمل، إلى آخره.

فبحثَ وواضح أنه استوعب فيها. وهي مطبوعة مع مجموعته التي قام عليها الطابعون من ميراث الشيخ فيما سمّوه (موسوعة الذخائر العظام فيما أُثر عن الإمام الهمام الشهيد عبد الله عزام رحمه الله)، ووضعوا كذلك رسالة الدكتوراه في هذا.

ومما كتب أيضًا (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) وانتقده عليه الشيخ سفر، ورُدَّ على الشيخ سفر من قبل الدكتور أيمن الظواهري فيما أعلم. وكذلك كتب بعض الرسائل في هذا الباب كـ (آيات الرحمن في جهاد الأفغان)، وانتُقد عليه، يعني انتقد البعض عليه مسائل.

ولكن عامة جهده كان في الإلقاء والتربية.

فالقصد أن (تفسير سورة التوبة) للشيخ عبد الله عزّام هي ظلّ شخصيته. ومن عرف الشيخ وسمع له واستمع إلى أشرطته، وعرف تقلّبات حياته ومواطن تأثيره في العمل الإسلامي، يرى أن (تفسير سورة التوبة) هي ظلّ شخصيته، إذا أردت أن تعرف الشيخ فاقرأها.

وأنا قرأت كلّ ما أصدره هؤلاء له. وقدّر الله أن كنت يومًا منفردًا في غابة من الغابات وكانت هذه كلها عندي، مما صدر عن الشيخ، فقرأتها كلها. و(تفسير سورة التوبة) قدّر الله أنها كانت في يوم من

الأيام رفيقة لي في رحلة فقرأتها عدّة مرات.

إذًا عندنا هنا من يقرأ (تفسير سورة التوبة) عليه أن يقف معها موقف السامع وليس موقف القارئ، وكذلك عليه أن ينتبه إلى مراد الشيخ من هذه السورة، لماذا فسّرها، وهذا ما سنأتي عليه إن شاء الله في هذا الحديث.

النقطة الثانية أننا نريد أن نعرف عماد الصورة للشيخ عبد الله عزّام:

علّمنا الشيخ شاكر في دراسته للمتنبّي البحث عن عمود الصورة. عمود الصورة بمعنى أنك ينبغي أن تبحث عن العلّة المحرّكة للشخصية التي تبحث فيها، وإذا فاتتك هذه العلّة المؤثّرة في الشخصية تشعّبت عليك الدراسة ولم تستطع ضبطها، فلا بد أن نبحث عن عمود الصورة في شخصية عبد الله عزام التي بها ينطلق سلوكه وينطلق تعليمه، وأثره الفعلي، وأثره العلمي.

فلو أردنا أن نبحث ما هي عماد شخصية الشيخ الشهيد عبد الله عزام رحمه الله، لرأينا أن عماد هذه الشخصية هو صدق العاطفة، الشيخ عبد الله عزام صادق العاطفة، وصاحب تأثّر واستقبال رائع أمام مسائل الفداء والبطولة والعمل والشجاعة.

ولذلك أنا قَسّمتُ مرة وربما بعضكم اطّلع عليه عندما نريد أن نقرأ شخصيةً ما هل هي شخصية علمية أم شخصية إرادية؟ يعني الذين يريدون أن يدرسوا علم حسن البنا لا يجدون علمًا له، وإنما يجدونه صاحب إرادة، توافق أو تخالف هذا موضوع ثان، أنا لا أتحدث عن نوع علمه، أتحدث عن تقسيم شخصيته أين يكمن؛ هل هو رجل إرادة أو رجل علم؟ وقد يكون الرجل صاحب علمٍ في نفسه ولكن لا ينشط لهذا العلم ولا يقوم به القيام اللازم؛ فلا يتفرّغ لتحقيق المسائل العلمية، إلى آخره، لكنه يفرّغ نفسه وتمشي حياته من أجل مواضيع العمل التي يعيشها. وهذا موجود.

يعني لو أردت أنت الآن مثلًا أن تقرأ لمن أثّر في تاريخنا مثل أحمد عرفان الشهيد، وهذا قصته مجهولة عندنا، لكن لو أردت أن تبحث عن كتبه تجدها رسائل يهتم بها أهل بلدته؛ مسائل الشرك، مسائل

الإيمان، إلى غير ذلك. وللذكر رسائله رائعة ونافعة، وكتابه عن الشرك أفضل من كتب غيره في هذا الباب، ولكن أنت لا تستطيع أن تجد علمه، ولكن لما تسمع الناس يتحدثون عنه يتحدثون عن عالم، لكن أين تأثيره؟ في عالم الإرادة؛ التأثير في العمل، وفي قيامه كقائد.

وأنا كنت دائمًا أعيب عندما أرى وخاصة في النموذج الماركسي كثيرًا من رجال يفكّرون ويعملون، وهذه القضيّة يحصل فيها افتراق وفصام نكد؛ فنجد المفكّر في جانب والعامل في جانب، أن تجتمع هاتان الصفتان (وأنا لا أستطيع هنا أن أقول عالم وقائد، أريد أن أقول مفكّر وقائد)، الرجل المفكّر الذي عنده إبداع في موضوع الفكر والنظر والبحث هذا نفقده كثيرًا.

حتى في داخل الحركة الإسلامية في عمومها نجد أنهم يحتقرون ويقولون شيخ دراويش، وتجد القادة لهم صفات معيّنة، عندهم قدرة فرض الآراء بالكاوبوي، بالمسدسات، يعني ابن عشيرة كبير، وعنده جماعته، وصوته قوي، يعمل مشاكل، فيفرض نفسه بمثل هذه الأبعاد وبفهلوته!

لكنه لو طُلب منه أن يبيّن لنا علمًا من مسائل الحياة -ولذلك أنا ابتعدت عن كلمة فقيه وعالم- لا يستطيع أن يجيب ولا يستطيع أن يرتّب شيئًا ما.، لكن هو في واقع الأمر يسلك سبلًا براجماتية، ويسلك سبلًا فهلوية، وقائد، وإذا جاءه الشيخ يقول له ننظر في كلامك يحقّق مصلحة أو لا يحقّق مصلحة! يعني كأنه هو المنخل أو السدّادة التي تضبط حركة الشيخ! والشيخ لو قلنا حرّك هذه الدجاجة من هذا المكان إلى هذا المكان فهو يجهل.

هذا الفصام بين المفكّر والقائد موجود، في تيارات أخرى لا تجد أن الرجل القائد هو الذي يحصل به التفكير والرعاية لطريقة تربية الجماعة كيف يسلكون، كيف يتعلّمون، كيف يمشون.

القصد من هذا بأننا لو أردنا أن نصنّف الشيخ فالشيخ إذا أردت أن تأخذه فقيهًا فهو فقيه، ويكفي أن دراسته الأصولية تدلّ عليه، الشيخ حين يتكلّم في الفقه يذهب إلى أمهات الفقه وينشئ لك فقهًا، وخاصة في قضيّة فروض الأعيان. كذلك هنا يتكلّم عن مسائل علمية في التفسير، يستطيع أن يذهب

إلى كتب التفسير ويستوعب المراد ويلقي، لكن يبقى مشدودًا لشيء آخر.

فهل الشيخ عبد الله عزام من الشخصيات الإرادية أم الشخصيات العلمية؟ نستطيع أن نقول إنه يميل وينزاح قليلًا إلى الشخصيات الإرادية، وإن كان هو كذلك شخصية ممتلئة في الجانب الآخر ولا شك.

أما إعمال شخصيته فانظر إلى اختياراته. لما قلنا إن الشيخ عماد شخصيته هو صدق العاطفة، وتأثّره بصورة الفداء، والبطولة، والشجاعة، والإخلاص للأمر. انظر إلى اختياراته: يقول أنا في الفقه أحب النووي، وهو في (تفسير سورة التوبة) نجده يعظّم النووي، ويتكلّم عن (المجموع) بانبهار، ويرى أن النووي هو الذي ملأ قلبه فقهًا. ما شاء الله جيد، ولا شك أن النووي يملأ الناظر إليه فقهًا. وحين يأتي يقول التربية والعقيدة فيقول أنا آخذ ابن تيمية، فابن تيمية هو مرجعي، وهو الصورة التي أدخل فيها وأتمثّل فيها لو أردت أن أفهم مسائل العقيدة والأحكام، وهذه المسائل التي يسميها ابن تيمية مسائل الأصول. العقيدة هذا، والفقه هذا، قال وإذا أردت شيئًا في التفسير والحركة فسيد قطب إمامي في هذا.

في الحقيقة الجامع لهؤلاء الثلاثة هو الابتلاء الذي عاشوه، وصبرهم أمامه، وتضحيتهم بأنفسهم من أجله. يعني النووي بم سرقه؟ سرقه بزهده. النووي جذب الشيخ عبد الله عزام إلى داخله بزهد هذا الرجل، يعني أنت عندما تأتي إلى (رياض الصالحين) فلا بد أن تقرأ زهد هذا الرجل، وعندما تأتي إلى فقهه تقرأ زهد هذا الرجل؛ فالمدخل إلى الفقه وإلى المباحث التي تتعلّق بالنووي هو الزهد وصدق عاطفته، وربما تكلّمنا عنه القليل في مناقشة كتاب (الأذكار).

كذلك ما الذي يجذب الإنسان لابن تيمية؟ جوانب كثيرة ومنها جانب الشجاعة التي تحلَّى بها، والصدق مع ما يقول، والثبات على المبدأ، والتضحية من أجل هذا المبدأ، والوفاء على هذا المبدأ.

وكذلك سيد قطب، وما فيه ضرورة نتكلم فالصورة واضحة.

ولذلك هذه هي شخصية الشيخ عبد الله عزام، هي شخصية صادقة في عاطفتها، شخصية تأسرها

البطولة. وهذا صدق العاطفة والتمثّل للفكرة بكل جوانبها في كيان المرء وحياته هو الذي جعل الشيخ عبد الله عزام لا يهتم لما يهتم به عالم الفكر الإسلامي. وهذه كلمة تحتاج الوقوف.

يعني المفكّرون الإسلاميون من المعاصرين من الصعب أن نضع الشيخ عبد الله عزام "مفكّر" ولكن هو يتحدّث في الفكر، فإما أن نجده فقهيًا، وإما أن نجده مربّيًا، وإما أن نجده قائدًا، وإما أن نجده مجاهدًا، إلى آخره. ولكننا حين نرى المحيط الذي عاشه من الدكاترة، ومدرسي الجامعات، ومن القادة الذين عاش بينهم في جماعته، نجد أن الشيخ لا يتأثّر بما تأثّروا به. يعني هو لا تغرّه هذه الزخارف التي يتزيّا بها الآخرون. وهذا مصدر من مصادر شخصيته.

والأغلب في مشايخنا إن لم يكونوا كذلك يسعون أن يكونوا كذلك، وهو أن يدخلوا عالم الفكر بمعنى تجلّياته التزيينية؛ مفكّرين يُدعون إلى المحاضرات، ينتشرون من بلد إلى بلد، يُقدّمون في التلفزيونات، يلبسون الغِرافات مع المؤاخذة طبعًا لأن البعض يتضايق.

لكن هؤلاء عادةً يأنفون من أن يعيشوا الواقع المرير الذي يعيشه الشباب. يحبون أن يُدعوا للمحاضرات، يعني يلقي محاضرة، ثم يُدعى في الفنادق. المشايخ يحبّون هذا، دعكم مما ترونه، وإذا لم يكونوا كذلك يحبّون أن يلحقوا بهؤلاء.

وأما أن يعيش الشيخ وينام في المسجد مثلًا، وأن تجد الشيخ يعيش مع الناس وجالس في المسجد ونائم معهم، أو في معسّكر ومعفّر معهم، أو في رحلة لا يوجد فيها هذا الترف الذي يعيشونه في الفنادق، فهذا عامة المشايخ الذين وصلوا إلى درجة "د." لا يحبّونها.

الشيخ عبد الله عزام يختلف عن هذا. الشيخ عبد الله عزام هذه القضية كان كأنه يراقبها في نفسه أو كأنها حاضرة في نفسه.

وأنا أعتقد بأن مفتاح هذه القضية هو أن الشيخ عبد الله عزام من القلائل في عالمنا في هذه البلاد وفي زمانه الذين عشقوا القرآن عشقًا تامًا.

للذكر أنا كنت في الجامعة طالبًا لما كان الشيخ عبد الله عزام يدرّس، وهو درّسني مادة علوم القرآن. لما كان موجودًا الشيخ عبد الله عزام لا أذكر محاضرة من محاضراته لا يرغّب الشباب بالقرآن، الشيخ عبد الله عزام يحبّ القرآن، ليس حبّ الواعظ، مع المؤاخذة، نعرف وعّاظ اليوم يأتي يقول عما أتكلم فيأتي بكتاب (رياض الصالحين) ويقرأ باب فضائل القرآن، وهكذا.

فكثير من الناس يمارس هذا النوع من العمل، ولكن لو سألته مثلًا كم وردك؟ كم أنت تقرأ؟ فيقول أقرأ الحمد لله على طريقة الرجل المليونير الذي سأله والدي هل تزكّي؟ قال أزكّي الحمد لله، فقال كم تخرج؟ قال الحمد لله أنا أمرّ على هذا الدكّان فيه رجل فقير أو رجلين فأعطي هذا عشر قروش وهذا خمسة عشر قرشًا زمان! فأنت تزكّي؟ نعم أزكّي، أنت تقرأ القرآن؟ نعم أقرأ القرآن، بهذه الطريقة.

لكن الشيخ عبد الله عزام حقيقة من محبّي كتاب الله، وتستطيع أن تعرف هذا الحب من خلال تأثيره في غيره.

وللذكر أنا لا أعلم أني ركبت الباص من وسط البلد إلى الجامعة والشيخ عبد الله عزام في الجامعة قبل طرده منها، أقول لا يمكن أن أصعد الباص ويكون في يوم من الأيام ليس فيه شاب يمسك طبعة الشمرلي للقرآن ويقرأ فيه. طبعة الشمرلي القديمة التي ذهبت اليوم بسبب انتشار خطّ عثمان طه، وكانت أشهر طبعة هي طبعة الشمرلي هذه، لا أذكر أني صعدت الباص فلم أرى أحدًا يقرأ أو بنتًا مجلببة تقرأ، وهذا كله من تأثير الشيخ عبد الله عزام.

بل لو أنت خرجت من الكلية مثلًا ونظرت لا بد أن تجد بين الأشجار شابًا يمسك المصحف ويقرأ فيه. وكلهم هو الذي يحرّضهم على طبعة الشمرلي، وهذا سمعته منه مرارًا، وهو الذي يحرّض على قراءة القرآن، وهو الذي يرغّب في حفظه. هذه الصورة تلاشت بعده! لا نستطيع أن نقول ماذا وصل الحال اليوم، اسألوا الطلبة!

لكن أنا عشت الفترتين، هذه الفترة التي كان فيها مؤثّرًا، ثم لما غاب تحلّل الناس وبدأت تغيب معالم

صورة النظر إلى القرآن كما كنت تراها. أنا أتكلم عن ظاهرة، وليس مجرّد واحد أو اثنين، ظاهرة لشباب من كل الكلّيات الجامعية وليس الشريعة فقط، بل من كل الكلّيات يتأثّرون من هذا الرجل في قضيّة القرآن. هذا أثر الذي يعيش مع القرآن.

والشيخ عبد الله عزّام مع القرآن يعيش معه عيشًا حقيقيًا. يعني أذكر مرة أنه جاء صلى الفجر إمامًا، فقال له أحدهم ماذا أحضر لك؟ شاي؟ قال له لا، عندك حليب؟ قال نعم. فذهب قال له أضع لك السكّر؟ قال: لا، الله يقول **{لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ}** من غير سكّر!

فبلا شك أن هذه الشخصية كانت مؤثّرة في تربيتها على هذه النواحي العظيمة التي عاشها. هذا التأثّر بالقرآن صبغ على حياته.

النقطة الأخرى في قضية الشيخ عبد الله عزام أنه نشأ في فترة تجاذبت فيها الأفكار. هذا كلّه الذي أقوله لو قرأتم (في ظلال سورة التوبة) تجدونه. (في ظلال سورة التوبة) هو الكتاب الجامع لشخصية الشيخ عبد الله عزام. يعني لا يوجد كتاب أجمع في بيان الشيخ عبد الله عزام كما هذه الدروس التي هي دروس متعدّدة وفُرّغت في كتاب.

وأحد الإخوة قال عن التفريغ: لو أن القائمين فقط أتوا بها لوحدها –غير الإسلام والأعمال الركنية– نجوا إن شاء الله يوم القيامة لما أحسنوا من تقدمة هذه للأمة من حفظ ميراثه –عليه رحمة الله–.

القضيّة التي بين أيدينا وهي قضيّة محنة الشيخ عبد الله عزّام مع جماعته، ومع محيطه الذي يعيش فيه. تعرفون هذا ليس سرًّا ولا نتحدّث هنا إلا من قبيل الآنصاف ومن قبيل النقد؛ لأننا كلنا في مركب واحد وهو مركب الإسلام العظيم، أن الشيخ عبد الله عزام هو من الإخوان المسلمين.

ولما قلت أنا عليكم أن ترجعوا دائمًا إلى قضية صدق العاطفة، وأن الشخصية الآسرة لديه هي الشخصية العاملة، وعنده الشخصية العاملة تسقط السلبيات أو تضعف السلبيات، لا يهمه يعني؛ ومن أجل هذا من حقّه أن يكره السلفيين، ومن حقّه أن يكره حزب التحرير، وهذه ستجدونها في حياته.

يعني عندما كان يتكلّم عن السلفيين لأنه في الحقيقة ويعلن هنا في كتابه في تفسيره أنه استفاد كثيرًا من الشيخ الألباني في قضية تحقيق الأحاديث. وهو أخذ البكالوريوس من جامعة دمشق، والماجستير والدكتوراه أخذها من الأزهر.

ولذلك هو لما يتحدّث عن السلفيين يرى هؤلاء الذين يتنطّعون وليس عندهم عبادة، ولا يحترمون العلماء، وعاش معهم محنته في أفغانستان بما يشرحه كثيرًا، ويرى كذلك الجانب الآخر من نفس الجهة، وهم حزب التحرير الذين فقط كما يسميهم معهم دائمًا كروت؛ كرت إنجليزي، كرت أمريكي، كرت بريطاني، كرت عميل، إلى آخره من الكروت هذه مثل كرت البدعة، وكرت الشرك، إلى آخره من الطريقة المطروحة. فهو أمام صدق العاطفة يمكن أن يسمح، وبالتالي كان يتسمّح ويدافع كثيرًا عن المجاهدين الأفغان مثلًا. لماذا؟ لأنه يرى عندهم صدق العاطفة، يريدون الدين، فالجوانب الأخرى يتسمّح فيها، لكن هو لا يتسمّح في الجانب الآخر. أن تكون أعلم الناس ولكن غير صادق في ثباتك على دينك لا يتسمّح في هذا.

إذًا تركيبة الشيخ هي تركيبة تربوية في الأساس، وهذا اختصاص ربّاني، ونشأ هو وغيره في نفس الميدان، وفي نفس جماعة الإخوان، لكن تجد الفرق كبير بينه وبين من يسعى ليلبس الغِرافة ويبحث عن الندوات والمحاضرات وبين من يريد أن يعيش في المعسكرات. فرق كبير!

فبالتالي محنة الشيخ كانت مع عصره، ومع جماعته في أنه كان يترقّى. وما دام أنه يعيش مع القرآن لا بد أن يترقّى، ولا بد أن يفهم، ولا بد أن يصل إلى مرتبة الله يريدها، ونسأل الله أن يكون قد نال ما ابتغاه في أرقى درجات ما يبتغيه المرء وهو الشهادة. يعني الوصول للشهادة تحتاج لمثل هذا الشيخ أن يترقّى، ولا شك أن الشيخ كان يترقّى:

أولًا ترقّيه في قضية تعاونه مع جماعته. هو عاش مع جماعة، هذه الجماعة له رؤى، وأغلب هذه الرؤى سياسية، بل لو قيل للإخوان المسلمين ما فقههم؟ لا تجد فقهًا! بعض الناس يقول أعطني فقه الإخوان المسلمين؟ ما فيه فقه! وهم عندهم كروت متعدّدة، عند المحنة كما كتبت مرة يخرجون لك سيد قطب،

ويبدأ الكلام عن الجهاد، والتوحيد، والبراءة من الشرك. عند المحنة فورًا سيد قطب!

والناس لم يعرفوا أن هناك خلافًا بين سيد قطب وبين مدرسة الإخوان الرسمية إلا في أوقات متأخّرة، أن سيد لا يمثّل المدرسة الإخوانية تمثيلًا تامًا. هو منهم على معنى ولكن يخالفهم على معاني.

وأحدهم مرة سُئل سيد قطب يقول كذا، قال نحن لسنا من جماعة سيد قطب، نحن من جماعة حسن البنا. فيوجد هذا الفرق، ولكن الإخوان يستخدمون هذا عند المحنة، يستخدمون هذه الأوراق، ولكن عند المصالحة، وعند فتح الأبواب فورًا يخرجون لنا نموذج حسن هضيبي في جانب مثلًا، عمر التلمساني باعتباره الصورة الأكثر وضوحًا في التعامل المتساهل جدًا لدرجة شرب السيجارة وسماع الموسيقى! وهكذا، يعني الأوراق كثيرة عندهم.

فبالتالي لا يستطيع أحد أن يقول هذا فقه الإخوان المسلمين، لا يوجد عندهم فرق. هم جماعة براجماتية يتعاملون بحسب الواقع، وعندهم الأوراق كثيرة؛ ممكن تخرج تطرّف، ممكن تخرج تساهل، ممكن تخرج تميّع، وبحسب الحاجة، وبحسب الظرف، وبحسب الرؤية الخاصة للفقيه. يعني يمكن للرجل أن يكون صوفيًا في داخلهم، وممكن يكون سلفيًا كعمر الأشقر. فيمكن هذا الاحتمال، ويمكن ألا يكون لا هكذا ولا هكذا، ولكن على طريقة عائمة، لا يحب تحديد تبنّي المسائل.

فالشيخ نشأ في هذا.

إذًا عندهم الحزب مهم جدًا. الشيخ خرج خروجًا جزئيًا لا كلّيًا من إطار الحزب. يعني كان في كثير من المواطن يحتاج أن يجيب على بعض الأسئلة أو أن يقف بعض المواقف، وخاصة بعد ذهابه إلى أفغانستان. بعد ذهابه إلى أفغانستان الشيخ يقول أنا وُلدت ولادةً جديدةً.

يعني هنا الشيخ عبد الله عزام يوم الجمعة على المنبر مدح الخميني!

وعلى فكرة هذا ليس عيبًا، نحن في الأردن هنا خاصة لا نعرف الشيعة، فبالتالي الناس معذورون في عدم الكلام عليهم. لا يُعذر من يعيشون معهم ويعرفونهم. يعني لو ضربت الأردن طولًا وعرضًا عند قيام

الثورة الإيرانية ثورة الخميني لتجد كتابًا عن الشيعة لا تجد؛ لا مدحًا، ولا ذمًّا، ولا أصالةً، لا يوجد واسألوهم كلهم. فهو معذور في هذا.

وهناك كلمة سمعتها من أحد لا أريد أن أذكر الأسماء الآن في هذا الباب لأن فيها جزءًا من الخصومة، كان يردّد علينا ونحن طلبة في الجامعة يقول إن قادة الثورة الخمينية سُئلوا من مرجعكم في الثورة قالوا سيد قطب. طبعًا هؤلاء أكذب خلق الله، لا يعرفون سيد ولا غيره، ولكن هذا جزء من التسويق، وهذه سياسية التسويق.

ومع ذلك الشيخ لما ذهب إلى أفغانستان، وذهب إلى باكستان هناك ورآه تغيّرت نظرته، وصارت نظرة أخرى مختلفة تمامًا.

الشيخ في موضوع السلفية جلس عند الشيخ الألباني وأعلن تأثّره كما في كتابه هنا أنه تأثّر بالشيخ الألباني، لكن هو خرج وانتقده انتقادات شديدة بما يلائم تربية الشيخ في قضية احترام العلماء وتقدير العلماء. لأن الشيخ عبد الله عزام لا يحتمل واحد طفل صغير بحسب التربية مدرسة الشيخ الألباني يأتي طفل صغير عمره ١٨ أو ١٧ سنة ويقول النووي أشعري، هو لا يحتمل هذا، أو يتكلّم عن ابن حجر!

تعرفون إننا كنا نظنّ أن هذه أخبارًا غير صحيحة في أن أناسًا جمعوا كتب ابن حجر وكتب النووي وأحرقوها! كنا نظنّها أكذوبة على الناس، أنه لا يمكن أن يفعلها أحد، ولكن تبيّن أنها حقيقة! تبيّن أن هناك جماعة الحداد هذا جمعوا هذه، وحتى احتاج هذا الحدّاد زعيمهم أن يعتذر أنه اختصر صيد الخاطر على اعتبار أن ابن الجوزي مؤوّل، يعني أشعري في الأسماء والصفات. اعتذر أنه لماذا اختصر هذا الكتاب لرجل ضال ينبغي أن تُرمى كتبه كلها في الزبالة!

يعني هذا منهج. لا تظنّوا أن هذا غير موجود ونبالغ، نحن كنا نظنّ أنه مبالغة.

فالشيخ لا يحتمل هذا. يعني أن يجلس فيبدأ البحث ويأتي واحد يقول له يا شيخ ما رأيك في ابن حجر؟ ومن أنت حتى تتكلّم في ابن حجر؟! فالشيخ لا يحتمل. ومن هنا خرج.

يعني جلس كثيرًا، وتأثّر في قضية الصحة، وهذه كانت نافعة له بألا يبقى على طريقة الصوفية وطريقة المقلّدين بل ينفتح ذهنه كما اعترف هو، وبالتالي خرج عن هذا الإطار، ولم يقبل أن يمشي في هذه المدرسة كما هو حالها يومها.

لكنه بقي معظّمًا، ويعترف أنه لما جاء لبعض شقّ المدرسة الأخرى ورأى أعمالها وقال للشيخ ابن باز كما في تفسيره للتوبة هنا يقول إني قلت لابن باز والله إنك أحب إليّ من أبي وأمي، بل أني أتبعك ولا أتبع المرشد ولا المراقب. يعني أنت تعرف أني من الإخوان المسلمين، ولكن لو اختلف قولك مع قول المرشد سأتبعك أنت ولا أتبع المرشد. هذه محنة عاشها الشيخ ودفع ثمنها!

للذكر وهذا للأمانة ولا يستطيع أحد أن ينكر، الشيخ عبد الله عزام في هذا الباب من جماعته أُوذي أكثر ما أُوذي من غيرهم! يعني كما أُوذي من السلفيين، وكما أُوذي حتى من العلمانيين طبعًا، وخاصة في الكويت في آخر زيارة خرجها من بيشاور كانت إلى الكويت، وبدأت الصحف العلمانية، والعلمانية في الكويت قديمة أصلًا، أحمد الخطيب الكويتي هو أحد مؤسسي التيار القومي مع جورج حبش. فبدأوا وشنّوا عليه حربًا شديدة، أن هذا هو الدموي والإرهابي الذي يلقي بأبنائنا إلى الموت.

ولكن نعود فنقول بأن الشيخ أوذي من جماعته كما أُوذي من غيرهم، ولكنه بقي معظّمًا لرموزها، ولرجالها؛ لأنه هكذا هي تربيته، لأنه لا يستطيع وقد ربّوه، يعني يُذكر فلان –ولا أريد أذكر الأسماء– هذا كان شيخه وأستاذه ومربّيه وينظر إليه أنه النموذج وهو في الثانوية مثلًا، فكيف يعني يخرج عليه ويسبّه ولا يحترمه؟!

ولكنهم آذوه لماذا؟ لأن الشيخ في موضوع الجهاد الأفغاني –وهذه منقبة عظيمة له– خرج عن إطار الحزبية تمامًا، وبالتالي أنا أعتقد أن الشيخ في وقت من الأوقات صار أكبر من الحزب في قضيّة لا أريد أن أقول في كل بلاد المسلمين ولكن في كثير من بلاد المسلمين. يعني لو أردت أن تقول عبد الله عزام أم الإخوان المسلمين في القضيّة الأفغانية؟ فعبد الله عزام وليس الإخوان المسلمين. لو أردت أن تقول عبد الله عزام للمسلمين في الغرب أم الإخوان؟ فعبد الله عزام وليس الإخوان المسلمين. وعبد الله عزام أم

الإخوان المسلمين في الجزيرة العربية؟ عبد الله عزام وليس الإخوان المسلمين.

يعني صارت هذه الشخصية أكبر من التنظيم، لكنه لما رُبّي عليه بقي أسيرًا لداخلها. والحقّ –وهذا أخبر أكيد– أنه أعاد البيعة للتنظيم قبل وفاته وقبل استشهاده بستة شهور. يعني أحضروه إلى إسلام آباد وقام الدكتور أحمد العسّال الذي كان رئيس الجامعة الإسلامية وجدّد له البيعة للإخوان المسلمين، وهو لم يكن يرى نفسه في وقت من الأوقات أنه خرج من الإخوان. يرى أن هذا هو الطريق، هذا هو الدين، وبالتالي ينبغي أن تكون الإخوان المسلمين هي الدين.

وهذا الآنفتاح الذي عليه الشيخ عبد الله عزام جعله مادحًا لكل جماعة بما فيها إلا من خلت من الإرادة، وخلت من العاطفة، فبقي خصمًا ولا نقول عدوًا، بقي هذا الشيخ خصمًا للتحرير ولم يلتق معهم في شيء. وأنا قرأت كل ما كتب، ولم أجده يومًا ذكر حزب التحرير بخير لأن تجربته معهم على هذا المعنى وهم يستحقّون في الحقيقة. يعني هو يرى هذا الجهاد ويرى عظمته، فيأتي واحد ويقول له هذا الجهاد الأفغاني هو حرب بين الآنجليز والأمريكان؟! ما تدخل مخّه وما يقبلها وما تنسجم معه!

وخلا من هؤلاء الشباب الذين يُسمون بالسلفيين وشغلهم هو تكفير الناس في أفغانستان، وتحقير العلماء لمجرّد أنه يعلم حديث ضعيف وحديث صحيح، فهؤلاء بقي على الخصومة معهم على طول الخط.

محنته في أنه خرج هذا الشيخ من الجماعة، وهذا الخروج وهذه التربية التي عاشها جعلت منه شخصية عامة، ولكنها على ما تقدّم من الكلام وتكلّمنا فيه خرجت من إطار المؤسّسة إلى إطار الشعبوية.

لم يصبح الشيخ عبد الله عزام في يوم من الأيام رجل مؤسسة، ورجل مؤسسة يعني تبع الغرافة! يعني رجل يُدعى للمؤتمرات، وهكذا. وأنا أظن أن هذا تعرفونه، أنا أتكلم عن شيء واقع حاضر في أذهانكم لما يُسمى بالمنتديات الفكرية، المؤسسات الإسلامية، وهكذا.

فبقي الشيخ بعيدًا عن هذا العالم كلّيًا وانخرط في عالم الشباب، وعالم الشعبوية. صار أقرب إلى الناس

وإلى الشباب، وبالتالي بدأ الشيخ يحمل رمزًا جديدًا.

الناس عندهم ذكاء يا إخوة، يعني الآن يمكن للإخواني أن يتاجر في سيد قطب في وقت من الأوقات، لكن سيد قطب يبقى شخصية عامة فوق مستوى الحزب. لماذا؟ لأنه حقّق ذلك.

لأن سيد قطب بنفسه في كتاباته لم يلتزم أن يكون إخوانيًا، ولم يتحدث عن حزب. يعني لو أن إنسانًا منصفًا جاء إلى سيد قطب وقرأ (الظلال) أين يجد الإخوان المسلمين فيها؟ يعني أين تستطيع أن تقول هو يعني في هذه الجماعة إخوان مسلمين؟ لا تستطيع. تعال إلى خلاصة الظلال في (معالم في الطريق) كما قال، تريد أن ترى هل هو يسحبك للإخوان؟ لا تجد هذا.

فهو يتكلّم عن الإسلام كما يفهمه بصورته الواقعية؛ فبقي سيد قطب شخصية عامة للجميع.

فنفس القضية نطبّقها على الشيخ عبد الله عزام. الشيخ عبد الله عزام لما بدأ يتحدّث عن جهاد، ويتحدث عن أمّة، ويتحدّث عن قضايا، وإذا استشهد لا يمتنع أن يتكلّم عن أي جماعة إسلامية أخرى، ويستشهد فيها في أنها صاحبة فعل وتأثير. إذًا خرج عن أن يكون مرجعًا أو ظلًّا أو جزءًا من الإخوان المسلمين إلى شخصية إسلامية عامة.

أرأيتم هذا الصراع بين أن يبقى المرء أسير جماعة، وبين أن ينطلق ليكون موضوعًا إسلاميًا عامًا؟ هذه القضية مهمة جدًا في كيفية انعتاق المرء حتى لو بقي في التنظيم. يعني هناك أناس من غير ذكر أسماء تقرأ لهم وكأنه لا يرى الإسلام إلا من حزبه، فأنت مهما تكلّم من جمال تبقى على حالة حذر منه وبينك وبينه جدار، تقول هذا يريد أن يأخذني إلى الجماعة، خاصة إذا كنت تعلم الجماعة ولك موقف إلى آخره.

وهناك أناس حتى لو كان من جماعة إذا قرأت له شعرت أنه يتكلّم عن الإسلام ولا يهتم ولا يلتفت إلى الجماعة، وفي هذه الحالة لا بد بأن يكون ثمة صراع بينه وبين الجماعة. لا بد! ابحث تجد هناك مشاكل بينه وبين الجماعة، في كونه يتحدّث عن الجماعة بحيث يسرق الناس إليه ويتحدث عن

الإسلام.

لما خرج الشيخ عبد الله عزام من الجماعة -أنا قلت في آخر عمره، لكن لما بدأ حديثه عن الإسلام، حديث عن قضية أصلًا الجماعة لا توافق عليها. وهنا ليس سرًّا وأنا أعرفهم بالأشخاص أن الإخوان المسلمين عندنا في الأردن وفي غيرها أصدروا فرمانًا بعدم السماح لأي فرد من الإخوان أن يذهب للجهاد الأفغاني. وهناك من ذهب وجُمّد ثم فُصل؛ لأنه لم يستجب لأوامر القيادة.

فالشيخ عبد الله عزام لما ذهب للجهاد ذهب للجهاد ليس عضوًا في الإخوان، وبالتالي استوعب الأمة، كان يأتي إليه كل أحد. ويصارع الناس على اختلاف أطرافهم على ما يحمل من منهج هو وليس ما تحمله الجماعة، وبالتالي الجماعة لما رأت بعد ذلك بأن هناك ثمة انفلات من أفرادهم للذهاب إلى الجهاد ذهبت وكوّنت معسكرات، لكنها بعيدة عن الشيخ عبد الله عزام.

يعني كان هناك الشيخ عبد الله عزام يمثّل تيارً خاصًّا به اسمه عبد الله عزام والمجاهدين العرب بكل أطيافهم وأفكارهم، وتجد هناك مكاتب ومعسكرات خاصة للإخوان المسلمين.

بل إنني أجزم لكم أن هناك من قادة الإخوان من ذهب إلى أفغانستان ودخل إلى معسكرات الإخوان ورجع ولم يعرّج زائرًا مُسلِّمًا على الشيخ عبد الله عزام، وكان هذا يؤذيه ويؤلمه. وهذا أعلمه يقينًا.

ما يهمنا ليس الحديث عن ذكريات فقط ولكن الحديث عن الطريقة، بأن انعتاق المرء من الجماعة يجعل -مع أنه يبقى في الجماعة، يعني هو لم يُجمّد، ولم يُطرد، وفي آخر عمره عاد، لكنه صار (أُمميًا) ولم يعد حزبيًا، صار أُمميًا مسلمًا يعبر عن الإسلام من خلال رؤياه، ومن خلال ما يعيش، ومن خلال ما يتحدث.

وهذه أنا أعتقد بأنها من سرّ عظمة هذا الشيخ في اختيار الله له، الشيخ ليس صداميًا لجماعته. هناك كثير ممن خرجوا من الجماعة وسبّوا عليها وتكلّموا، أما الشيخ فقد بقي دافئًا، لكن تحت كلمة "دافئًا" وهذا بإقرار كل من كان في الإخوان ثم صار على وِفق طريقة الشيخ عبد الله عزام -هذا بإقرار،

أنا سألت العشرات لا الواحد والاثنين- ممن كان إخوانيًا ثم صار على طريقة الشيخ عبد الله عزام ومشى في طريقه فتسأله تقول له ماذا تقول في هذا الكتاب؟ يقول: كُلّه ردّ على الإخوان المسلمين!

فهو صحيح بقيت علاقته دافئة، لكن في الحقيقة من قرأ كتبه وكان عالمًا بالإخوان المسلمين وحياة الشيخ معهم علم أن الكثير مما كتبه هو انتقاد، ولكنه انتقاد الرجل الأديب الخلوق الذي لا يثرّب ولا يسبّ ولا يطعن.

يعني هذه محاولة لفهم عمود الصورة فيه وكيف ترقّى الشيخ في استيعابه لكل الحركات، تستطيع أن تقول إن الشيخ صار سلفيًا، وصار جهاديًا، ويكفي أن نقول صار مسلمًا فوق الشعارات، هذه أفضل. علينا أن نقول صار قرآنيًا فوق الشعارات، وصار مسلمًا فوق الحزبيات. هكذا الأمر في حياة الشيخ وأمره معهم.

النقطة التي تتعلّق بهذا التفسير:

قيل قديمًا عن تفسير الرازي (التفسير الكبير) فيه كل شيء إلا التفسير! تعلمون هذه الكلمة قيلت يومًا عن تفسير الرازي، والحقيقة أن الرازي فيه تفسير عظيم، وإذا أردت أن أفضح لكم الشيخ الشعراوي فاعلموا أن كثيرًا مما يقوله من نكت علمية يأخذها من الرازي، والشيخ الشعراوي محبٌّ لتفسير الرازي، ولكن لو أردنا أن نأخذ هذه الكلمة فنسحبها على تفسير لشيء مما يُقال له التفسير فنستطيع أن نقول بأن (في ظلال سورة التوبة) فيه كل شيء إلا التفسير على هذه الطريقة.

يعني الشيخ في تفسيره يبدأ بالمسألة العلمية التي بين يديه يقرأ الآية فيتكلّم عنها، وفقط بعد دقائق أو دقيقتين من الكتاب ربما لا تزيد عن خمس أسطر ومرات سطرين فقط يتكلّم ثم بعد ذلك يترك التفسير وما هو فيه، ويذهب إلى أثر عصاة القرآن أو هدى المهديين بالقرآن فيتحدث عنهم، ويبدأ الشيخ يذهب هناك حتى ينتهي الدرس في الساعة المحدّدة ربما كان يلقيه بين المغرب والعشاء.

فلذلك التفسير فيه قليل، وليس فيه شيء جديد كثيرًا، هو فيه بعض اللمحات الرائعة، ويشهد الله

أنه فُتح عليّ فيها قبل أن أقرأ ففرحت، وأنا في هذا فاضح لنفسي، لأنه مرات تأتي عليك الوارد من المعاني فتفرح لها ولكن تخاف هل هي صحيحة أو غير صحيحة فإذا قرأت أن عالمًا قد سبقك، لأن الإخلاص ضعيف والله أعلم به، فأنت تفرح وتحزن؛ أما فرحك فبأن ما أتيت به هو مما أتى به الآخرون من العلماء. وأما أنك تحزن فبأنك لو قلتها بنفسك ما أحد يصدقك أنك أنت أتيت بها بحالك ويقولون قد سرقتها، ولسنا بالغي درجة إمام الأمة وعالم هذه الملّة الإمام الشافعي عندما قال ليت هذا العلم تعلّمه الناس مني ولا يُنسب إليّ، هذه مراتب تُقطع دونها الأعناق بالنسبة للناس في هذا الزمان.

فمثلًا له فوائد لا أدري إذا سُبق فيها مثل قضية في سورة التوبة لماذا جاء قوله **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ}** ثم جاء بعدها **{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ}** فجعل هذا جوابًا على قضية الرزق، **{وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ}** فجاء الجواب بالجزية **{حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ}** فمثل هذه من الشيخ وهي قليلة جدًا في الكتاب حقيقة.

الشيخ في بداية التقسيم واضح أنه متأثّر بطريقة سيد، بل أخذ كلامه بحرفه، يعني الشيخ عبد الله عزام عندما جاء إلى سورة التوبة قسّمها إلى مقاطع على طريقة سيد.، وسيد في هذا أول من أتى بهذا الفن، لا يعني أنه غير موجود، أتكلم عن كتابة، وهذا يُقال له، هل في (ظلال القرآن) لسيد قطب فيه تفسير؟ فيه تفسير، لكن هو سماه (ظلال القرآن) أي انطباعات القرآن على نفسه، فسيد هو أول من قسّم السور الطوال إلى موضوعات، وحتى المفصّل، وحتى المثاني، فهو يقسّم السورة إلى موضوعاتها؛ يقول هذه فيها أربعة مقاطع، خمسة مقاطع، ستة مقاطع، وهكذا، فالشيخ عبد الله عزام في الدرس الثاني من دروس تفسير سورة التوبة قسّم سورة التوبة إلى سبعة مقاطع على طريقة سيد قطب، يعني أخذ الكلام بنفسه.

بل إن سيد لما جاء إلى المقطع الأول عدّ الآيات، قال من ١ لـ ٢٨ هو المقطع الأول، ثم بعد ذلك لم يعد، وإنما ذكر جملةً، بل ذكر في المقطع الرابع أنه أطول المقاطع وهو يزيد عن نصف السورة، هذا أخذه الشيخ عبد الله عزام رحمه الله وهو من تأثّره به، وكان يحب سيد كثيرًا، ويحب (الظلال) كثيرًا عليه رحمة

الله.

فإذًا ما الذي نستفيده؟ لا نجد كثيرًا مما يتعلّق بالتفسير، إنما هو الأشياء المعروفة في كتب التفسير يلقيها، وهو مقصده من التفسير هذا أن يبيّن أن هذه السورة هي خاتمة العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم، خاتمة الأحكام التي ينبغي على المسلم أو يجب على المسلم أن يأخذ بها في علاقته الدولية مع الآخرين، لأن خاتمة هذه السورة العلاقة بين المسلمين وغيرهم.

إذًا الجزء المتعلّق بالتفسير قليل جدًا، فماذا بقي؟ ماذا ممكن أن نستفيد من البقيّة هذه والصفحات الكثيرة من التفسير؟ فأنا أجملت لكم بعض ما فيها من مواضيع يمكن أن نستفيد بها، وبها نختم إن شاء الله.

أولًا نجد في هذا التفسير كذلك أن الشيخ يمدح جماعات ليست من الإخوان المسلمين، وأنا لي كلمة من الأمانة أن أقولها، يعني مثلًا عندما يتكلّم الشيخ عن جماعة الفنّية العسكرية، الشيخ صالح سرية، وكارم الآناضولي، ويقول بأن مرافعة كارم الآناضولي في المحكمة تُعد وثيقة تاريخية ستبقى أقوى من كلّ كلمات مشايخ الأزهر –وسنأتي إلى نقده للمؤسّسات الدينية–.

وصالح سرية في الحقيقة هو ضحية من ضحايا الإخوان، وللذكر المخابرات المصرية لما أعدمته قالت إنه من حزب التحرير لأنه فلسطيني، لأن من كوّن حزب التحرير كما تعلمون تقي الدين النبهاني وهو فلسطيني فيمكن نسبة التهمة إليه، والصواب أن صالح سرية من الإخوان مسلمين، وهو كان مسؤول الكفاح المسلّح الفلسطيني في العراق، وكان تحت إمرة الدكتور عبد الكريم زيدان قبل حلّ الإخوان المسلمين فهو منهم لكنه لما طُرد من العراق من قبل صدام حسين أو هرب، صدام حسين كان هو الحاكم الحقيقي زمن البَكر، وهرب إلى سوريا ثم إلى مصر، وجاء التنبيه عليه والتحذير منه من قبل الإخوان المسلمين، بالرغم أنه استقبله بعض الإخوان المسلمين مثل الحاجة زينب الغزالي، وهي على طريقة الشيخ عبد الله عزام هي من الإخوان المسلمين ولكن عالمية، يعني منفتحة، وهذا مما يُذكر من فضائلها عليها رحمة الله.

فاستقبلته هناك وكوّن تنظيمًا جهاديًا، وهو من أوائل التنظيمات الجهادية التي تؤمن بعسكرة التنظيم ضد الآنظمة هذه وإسقاطها عسكريًا لأنه رجل عسكري وعبقري.

فالقصد أنه من الإخوان المسلمين، ولكن صالح سرية من ضحايا الإخوان عندما خرج عليهم في بعض الأمور حذّروا منه وانتهى أمره،

لو سأل سائل: لماذا الشيخ يمدح هؤلاء؟

في الحقيقة في وقت من الأوقات بسبب الإغلاق في الأردن، وهذا نتكلّم عنه في علاقة الشيخ مع مروان حديد، وهو يعترف أنه قابله شخصيًا وجلس معه قبل وفاته، في وقت من الأوقات ونقولها لله وللأمانة، والآن ليس وقت محاسبة التاريخ وأنا لا أحب أن أفتح التاريخ من أجل الخصومة لكنها للفائدة: الإخوان المسلمون أذكياء، كلما اشتهر رجل قالوا منا، حتى إذا صارت فتنة قالوا ليس منّا، فخلال فترة "منّا" يأتون بأناس! وهذه كنت أعيشها في الجامعة، يعني كثيرًا ما اكتشفنا أن أقوامًا ليسوا منهم وهم يقولون منّا، أو يعطيك إيحاء أنه من الجماعة.

وأنا ذكرت لكم الدكتور الذي كان يقول بأن الثورة الخمينية إنتاج إخواني لأنهم تأثّروا بسيد، أغرب من ذلك أنا في جلسة في بيت مع هذا الدكتور الإخواني نفسه كان يقول بأن الذي قتل أنور السادات من الإخوان المسلمين! لأن قتل أنور السادات كان عَظَمة؛ أنور السادات الخائن، والأمة والتجييش الحكومي ضده، فهناك كره كبير له، فأن يُقال بأن جماعة الإخوان هي التي قتلته هذا تسويق، يعني كان في وقت من الأوقات الحديث عن هؤلاء هو حديث عمن؟ عن الإخوان. حتى تعرفوا أن الإخوان أذكياء، يعرفون متى يستخدمون الحركة الإسلامية ومتى يستخدمون الإخوان المسلمين، لما يكون هناك نجاح يقولون الإخوان المسلمين، ولما يكون هناك بلاء يقولون الحركة الإسلامية حتى تأتي معهم! لكن أنت تعالوا لتنصرونا هذه المسألة عندهم فيها نظر.

نحن الآن فقط نعرف أن مروان حديد ليس من الإخوان المسلمين، أنا أتكلم عن التنظيم، هو

صحيح إنتاج إخوان مسلمين، يعني تربّى في مدارسهم، لكن تعدّاهم، يعني الآن مصطفى شكري ألم يكن من الإخوان المسلمين؟ جماعة المسلمين أو التكفير والهجرة كما سمّتها المخابرات، لكن هل تستطيع أن تقول هو من الإخوان مسلمين؟ هو ليس من الإخوان مسلمين، وكذلك مروان حديد فليس من الإخوان.

لكن الشيخ يتحدث عن ابتلاء الجميع مع الإسلام فهذه قضية تُحسب له حين يتحدّث عن هذا الباب.

يمدح خالد الإسلامبولي في هذا وللأسف حتى جماعة خالد الإسلامبولي تبرّأوا منه! وأصدروا بيانًا بأن أنور السادات مات شهيدًا كما مات عثمان شهيدًا بقتل فيه تأويل!

الحمد لله الشيخ من زمان وأنا سمعتها منه مباشرة ذكر مرة الملك فيصل وذكر عنه منقبة من مناقب العاطفة الإسلامية، ولكنه استدرك. هذه وأنا طالب عنده في الجامعة وفي الدرس الذي نحن فيه مادة علوم القرآن في ٧٩ لما ذكر فيصل في منقبة وهي أنه لماذا قُتل، وقد قُتل لأنه أراد أن يصلّي في القدس، تعرفون هذه القصة المشاعة والله أعلم بصحتها، لكن قصة تُشاع من أجل ربما مقاصد، فذكر أن فيه عاطفة لكنه استدرك بقوله: ولكني أسأل الله أن أموت وليس في قلبي حب لطاغوت من الطواغيت!

فالشيخ يكرههم كلهم، ولكن قد يصرّح وقد لا يصرّح، ولكنه في كتابه هنا يصرّح بأسماء صريحة في كفرها كونها صدرت فيها فتاوى مُجمع عليها، فيذكر هو جمال عبد الناصر، وتعرفون الإخوان المسلمين مسألة جمال عبد الناصر جيدين نحن وإياهم فيها! يعني ما فيه مشكلة بيننا وبينهم على جمال عبد الناصر لإجرامه، يذكر بورقيبة بصراحة، ويذكر حافظ الأسد بصراحة، ويذكر القذافي بصراحة. هذه أسماء يذكرها وغيرهم يعرّض بهم تعريضًا آخر.

وتجد الآنفعالية واضحة لما يتكلّم عن سبّ الأزهر، وتقدمة كارم الآناضولي على مشايخ الأزهر، لما كان شاب متحمّس رحمه الله.

كذلك مما يشهد لقضية انفعالية الشيخ وعاطفته أنه لما جاء إلى ظاهرة مصطفى شكري في تفسيره تكلّم عن سبب لحوق الشباب به؟ لشجاعتهم، كان يدرّب أفراده أن يأتوا إلى ضبّاط الشرطة ويسبّوهم لأجل أن يدخلوا السجن حتى تُكسر الهيبة بينهم وبين الشرطة؛ فلذلك كان فيهم هذه الشجاعة ومدحها هو، وقال هذه الظاهرة التي جعلت الناس يلحقون به وهذا من تأثره في قضية ما ذكرنا كذلك من حب الناس ومدحه لمروان حديد وشجاعة الشيخ مروان حديد –رحمه الله–.

مما ينبغي الاهتمام له أن هذا الكتاب كشف لنا كثيرًا من تجارب الشيخ، وعلاقته بالأفراد. يعني قابل أناسًا كثيرين الشيخ، وتحدّث بصدق عنهم؛ مادحًا، ذامًا، ناقدًا، متوقفًا. مما ذكره مثلًا أسماء كثيرة ذكر عنها قصص أُخذت منهم مشافهة كما ذكرت لكم عن قضية مروان حديد أنه قابله وقال آخر كلمات قالها لي يا شيخ عبد الله أما اشتقت إلى الجنة رحم الله الشيخ.

كذلك مقابلته الشهيرة لأمين شنار التحريري زعيم من زعماء حزب التحرير وأخذها نموذجًا لقلّة التربية، وهذا في الحقيقة لأن أساس التربية ذكرنا عند انتقاد مدرسة حزب التحرير تقي الدين وكلامنا عن الدكتور المسعري أنهم يُسمّون التربية الروحية كما يُطلق عليها التربية بأنها وعي المرء على الفعل بأنه لله بدون النظر إلى الإحسان، النظر إلى معاني المراقبة، ترقّيات درجات العلم في القلب، ودرجات المراقبة، ودرجات الإصلاح القلبي، لا يلتفتون إليها، وتَقي على هذا.

فأمين شنار هذا كان يقول في يوم مرة سبعة عشر ساعة وهو يتكلّم عن حزب التحرير ويرد ويناقش ويرى أن حزب التحرير هم الحق وأن جماعته هم الذين سيرثون الأرض ومن عليها، فجأة ذهبوا إلى المخابرات، وإذا ٤٨ شخص أو ٤٧ غيره هو سقطوا وأعلنوا براءتهم من الحزب، وبقي هو يقول للشيخ عبد الله عزام أنا بقيت عنجهية وليس ثباتًا على المبدأ. يعني ليس لأنه حق أو غير حق. فهذا أدّى إلى ارتداد شديد. وذكر أن أمين شنار زار تقي الدين النبهاني وشكا له هذه الظاهرة من عدم الثبات والصبر والبلاء. والحق أن الإخوان المسلمين لو قارنّا بين محنة الإخوان المسلمين ومحنة حزب التحرير لوجدنا أن العلامة الإيجابية ستُعطى لمن؟ للإخوان المسلمين بلا شك، يعني خرجوا أكثر صلابة وثبات وغير ذلك،

مع وجود أناس قد سقطوا من القيادات، سواء كان عبد العزيز كامل، الباقوري، وكما يسقط الآن غيرهم في حبائل العسل المسمم من قبل الطواغيت.

فذهب إلى الشيخ تقي الدين وشكا له هذه الظاهرة فقال له أنت تريد تحوّل لي الجماعة لدراويش وبالتالي صارت عنده صدمة وجلس في بيته وعاش عيشة الزاهد. وللأسف أظن أن أمين شُنار انتهى به إلى الإيمان بوحدة الوجود، لأنه تعلّق بكتب ابن عربي تعلقًا شديدًا بعد تعلّقه بكتب الغزالي. كتاب الغزالي (الإحياء) تعلّق به تعلّقًا ثم بعد ذلك دلّه على كتاب (الفصوص) و(الفتوحات) والله أعلم.

وكذلك ذكر تجربته مع الشيخ الألباني الله يرحمه، وتجربته مع ابن باز ومن هو الشيخ ابن باز ومحبّته، وتجربة محمد نجيب المطيعي الفقيه المشهور، إلى آخره.

طبعًا هو الشيخ عبد الله يظهر منه قليلًا في هذا الكتاب ولكن يظهر منه كثيرًا في مقالاته التي كان يصدّر بها مجلّة الجهاد، وهو محبّته الشديدة للمتنبّي. قلّما كان هناك مقال في مجلّة الجهاد دون أن يذكر للمتنبّي استشهادً به، يحبّه حبًّا عجيبًا.

هناك كلمة لا تستطيع أن تعرفها كثيرًا لأنها تحتاج إلى شرح وربما مررتم عليها أنه ذكر سوق أفغان كالوني، سوق أفغان الكالوني الجماعة الذين يشترون الشهادات. لما تكلّم عن الذين يسرقون ويكذبون باسم الشريعة وباسم الدين وخدمة الدعوة فأتى إلى الذين يشترون الشهادات الشرعية من سوق أفغان كالوني. طبعًا هناك من أعرفه وهو الآن مُصدّر وهذا اشترى الشهادات من سوق أفغان كالوني! أفغان كالوني منطقة كانت خارج إطار السيطرة العالمية، فيُباع فيها المخدّرات وتُوزّع لمن علمها. وأنا رأيتها، تُباع المخدّرات كما يُباع ويُعرض الخضار. فهي منطقة خارج الإطار، ثم أُزيلت كلها.

فهذه المنطقة تذهب إليها وهؤلاء الباكستانيون أئمة تزوير، وهناك تعطيه مثلًا مسدّسًا في المنطقة فتقول له أريد مثل هذا المسدّس بالتمام فيخرج لك مثله تمامًا وهو جالس على الأرض، يعني عنده الحدائد وعنده الشاكوش وعنده النار، يعني متقنين، يزوّرون ماذا تريد في الدنيا، فيزّورن الشهادات،

تذهب تقول له أعطني شهادة باسمي أني متخرّج من أوكسفورد، متخرّج من جامعة كذا. فواحد من جماعتنا الموجودين هنا سرق الشهادات كلها من هناك، وأنا أذكره لأني كنت شاهدًا وهو يذهب كل يوم على السوق في المواعيد ليحضر شهاداته!

فهذه قضية شهادات أفغان كالوني.

من الأمور المهمة ولا نريد أن نطيل: الشيخ ينتقد المؤسسات الدينية انتقادات شديدة جدًا، وهو معه حق؛ لأنه خبرها فوجدها جماعة تجّار، الناس جالسين حتى يكسبوا الأموال، فاتحين دكاكين يتكسبون منها وقلّما يأتي منها الخير لأمة الإسلام بل هي تُستخدم في مرّات كثيرة لمن يدفع أكثر. انتقد وزارة الأوقاف بشدّة عندما ذكر قصة اجتماع وزراء الأوقاف في روسيا، وذكر أنهم قاموا وأشادوا بروسيا ومدحوها، إلا وزير أوقاف واحد خالفهم.

ويتكلّم عن الأزهر كذلك عندما جاء إلى الذين أفتوا بقتل سيد وأن الإخوان خوارج وأعطوا الحجّة لجمال عبد الناصر بقتلهم وإعدام سيد. وتكلّم عن الجامعات وماذا تُخرّج. وتكلّم عن السلفية السياسية عندما تكلّم مع الشيخ ابن باز قال له أنا سلفي ولا أحد يزاود عليّ، وأنا لا أريد منك منفعة، ولم يحصل أني انتفعت منك بشيء شخصيًا، لكن أنا سلفي إذا كانت السلفية هي الدعوة، لكني أكره أن تتحوّل السلفية إلى حزبية أو إلى جماعة أو إلى دولة. وهذه نظرة صحيحة هو يتكلّم عنها بألم من ممارسات الشباب.

مما ينبغي الاهتمام به أننا ما زلنا نعاني من هذه العقلية الأحادية الفردية الذرية في قضية عموم الأمّة، وعاني منها الشيخ كثيرًا. وهم الذين ذهبوا إلى أفغانستان فرأوا مظاهر ما لم يستوعبوها، أو أنهم حملوها – يعني مثلًا هو يذكر خصومة جرت بين شاب مبتدئ وبين الشيخ حقّاني أو يونس خالص في قضية التوسّل، فيصرّ له الشيخ حقّاني أن التوسّل حرام ويصرّ التلميذ أن التوسّل شرك، وإلى الآن الناس يقولون التوسّل شرك، التوسّل بمعنى أسألك بجاه رسول الله. وما أحد من العلماء يقول إنها شرك، هذا من الجهل المنتشر من قضية الإصرار على السنن في عالم لا يرى –يعني ابن العربي يذكر قصةً أنه كان في

سفينة فبينهم من المالكية فجاء رجل حنفي أظن وصلّى ووضع يديه على صدره فقالوا يهودي وقاموا يريدون قتله. لأنه ليس خاصًا بالأحناف واحد يسبّ على الأفغان، هذه خاصة بالمناطق المغلقة. والناس الآن منفتحون، التلفزيون أنت ترى ماذا يحدث في أي بلد، الآن نعم الناس منفتحون لكن في وقت من الأوقات الناس لا يعرفون دين الله إلا هذا.

بل الآن لو جئت لبلاد الحرمين، وقلت لهم إن الأذان الأول هو الذي فيه "الصلاة خير من النوم"، وأردت أن تلزمهم به كمسألة فقهية، وأنا أقول بهذا "الصلاة خير من النوم" ليست في الأذان الثاني كما يفعلون وليس كما يفتي لهم الشيخ ابن عثيمين أو غيره، وإنما هو في الأذان الأول على الصحيح، وتأويل الأذان الأول بمعنى الإقامة والأذان الثاني بمعنى الإقامة هو تأويل بعيد ولا يُصار للتأويل إلا بعد تعذّر الحقيقة، فأن تقيم عليهم ذلك الناس يقومون عليك، وهم الذين عندهم العلماء ويتحدّثون معهم!

فالرفق بالناس وأحوالهم.، الأمّة عاشت ظروفًا بعيدة كل البعد عن الإسلام، ومن كان فيه الإسلام كان إسلامًا فيه جهل وفيه تعصّب وفيه انغلاق. الآن الحمد لله انفتحت هذه الأمور، في ذلك الوقت كان الشيخ يعاني من هؤلاء كثيرًا، حتى إنهم كفّروه! فالشيخ عبد الله عزام هناك من كفّره جهلًا، والشيخ تحمّل كثيرًا من هؤلاء، وكان ينصحهم بأن يراعوا، ويقول هو في كتابه هنا للذكر: نحن نتمنّى من الأفغان أن يخرجوا من عصبيّتهم، لكن إذا لم يخرجوا من عصبيّتهم فلا أقلّ على قاعدة التبليغ: اللي ما يطيعك طيعه، يعني ما دام هناك مجال للمسألة نطيعه، بل هو ينصح بأن ينتسب الطالب هناك إذا سألوه أن ينتسب إلى مذهب؛ لأن هكذا هم، لا يعرفون الإسلام إلا من هذه المذاهب. وهذا ليس خاصًا بهم.

وأنا ذكرت قبل أيام في تغريدة لي أن جمال الدين القاسمي أرادوا سفك دمه لمجرّد أنه اجتهد وخالف المذاهب ولم يسر على منوالهم وقالوا إنه يريد أن يأتي بالمذهب الجمالي أو المذهب القاسمي، وأظن سموه جمالي حتى لا ينسبوا قاسمي إلى محمد صلى الله عليه وسلم. فهذه قضية موجودة.

فعلى الناس العقلاء أن يتعاملوا مع هذا التعامل الحكيم، وما زلنا على نفس الحالة للأسف، الآلام والظروف التي عاشها الشيخ عبد الله عزام وحكاها في (ظلال سورة التوبة) عن واقع الشباب المتهوّر

الجديد الذي أسلم البارحة ولا يعرف من الدين إلا الأشياء الجديدة يجلس مع جماعات منزوية. ولكن الآن للأسف جماعات الغلو، وجماعات الجهل، وجماعات الغضب بلا حكمة، موجودين من زمان، كانوا موجودين في أفغانستان، وموجودين في البوسنة، وموجودين في الشيشان، لكن كانوا يعيشون على الهامش، كانت هناك قوّة كبيرة من العلماء والمجاهدين يقفون أمامهم فيبقون على الهامش. المشكلة اليوم صار الحق على الهامش، وهؤلاء غلبوا لأن الصورة منتشرة الآن، والصورة هي التي تسرق الشباب لا العلم.

فانتقاده لهذا يعني الشيخ كان حكيمًا في ذلك والحق معه عليه رحمة الله، والصدق معه، نسأل الله عزَّ وجلَّ أن يرحمنا وإياه، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يلحقنا به شهداء وأن يكرمنا بكرامته، آمين.

الكتاب القادم إن شاء الله أنا ربما أختار إما لأركون وإما لحسن حنفي، أظن فيه كتاب اسمه (التراث والتجديد) لحسن حنفي كنت واضعه، أو (مفهوم النص) لنصر حامد أبو زيد، إن شاء الله سأعلن عن هذا، يعني لأحد هؤلاء الثلاثة؛ إما نصر حامد أبو زيد، وإما محمد أركون، وإما حسن حنفي، والثلاثة نستطيع أن ندخلهم في طبقات الزنادقة!

وجزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: كيف أن جماعة الإخوان المسلمين كانوا يفصلون من التنظيم من ذهب للجهاد ، والشيخ عبد الله عزام خالفهم في أمور كثيرة، وأنت قلت كان عندهم إرادة صلبة لطرد أي واحد يخالفهم، فكيف بقوا ضامنين للشيخ عبد الله عزام مع أنه كما قلت كل من ذهب إلى افغانستان طردوه، كيف هذا الشيخ وبالذات ما قلته، وهو ثقيل على القلب، أنه قبل مقتله بستة أشهر كان معهم، لا أعرف كيف كانت المودة بينهم.

الشيخ: وأنت تسأل أشعر أني ذهبت إلى أطراف الدنيا، ولذلك تجميع هذا الجواب علي صعب، ولكن سأذهب إلى نقطة مهمّة جدًا يمكن ألا تكون هي المقصودة ولكنها مهمّة:

في وقت من الأوقات الإنسان لا يعرف قيمته في اللحظة التاريخية. هذه مهمة جدًا. في وقت من الأوقات يبقى المرء أسير البدايات التي نشأ فيها ولا يستطيع أن يفهم موطن رجله في اللحظة التاريخية التي هو فيها.

يعني أنا من زمان أقول الشيخ عبد الله عزام كما ذكرته الآن في أول الجلسة قلت إن الشيخ عبد الله عزام في العالم الإسلامي صار اسمه أقوى من جماعته، الشيخ لا يشعر هذا الشعور، والإنسان مرّات كثيرة لا يشعر هذا الشعور، يبقى أسير اليوم الذي نشأ فيه وهو تحت قيادة هؤلاء، ويبقى ضعيفًا أمامهم، ويتحرّك ضمن هذا الشعور القديم الذي عاش فيه.

فأعتقد أن الشيخ وقع في هذا الإسار؛ ولذلك في وصيته حاول التوازن. وأنا لم أتعرّض للوصيّة وأرجو أن تُقرأ الوصية، وهي تحتاج إلى دراسة خاصة، ودراسة كتابية ليست إلقائية فقط، الشيخ حاول أن يوازن فقال أنا أنصح أبنائي أن انتظموا في الحركة الإسلامية. والمقصود بالحركة الإسلامية الإخوان المسلمين، لا نستطيع أن نذهب بعيدًا، هو يقصد الإخوان. ولكنه قال: لا يُطاع أحد في الجهاد، وهذا غير مقبول عند الإخوان، وهو عاش هذا الظرف، لكنه حاول أن يوازن بين ما هو الأفضل لهذا، ولكن في أن يعيش على هذا المنوال من كونه من جماعة مسلمة اسمها الإخوان المسلمين وبين أن يخرج عنهم إذا جاءت المسألة مما تتعلّق بالأمة والحزب لم يصل إلى مستوى الأمة ورفض أن يرتقي إلى مستوى الأمة فعليك أن تلتحق بالأمة وتترك الحزب. والمقصود بالأمة عند الجهاد.

وللذكر الشيخ كما تكلّمت عنه في أنه بناء قرآني فتستطيع أن تقول هو بناء جهادي. الشيخ يموت في الجهاد، ويحب الجهاد، وهو قال عن نفسه: مرة دعوه لمؤتمر في إسلام آباد، وما أريد أن أذكر الحضور وماذا عرّضوا به، وأنا لم أحضر هذا اللقاء ولكن سمعته، قال لهم والله لو دعوتموني لأتكلم على الكمبيوتر لأنفذن من الكمبيوتر إلى الجهاد الأفغاني! يعني ما عندي غير هذه الكلمة، ما عندي غير هذا

الموضوع، يعني التكلّم عن الجهاد.

وفي النهاية كما يقول وهذه استعارها من الشيخ تميم العدناني والحق أن الشيخ تميم العدناني يحتاج إلى إبراز قيمته، لكن هذه قاعدة الشمس إذا وُجدت تغيب النجوم أو الأقمار، فتميم العدناني رجل عظيم لكنه أمام الشيخ عبد الله عزام ذهب ككثير ممن يذهبون عند ظهور الشمس، فيستعير بأننا يا جماعة نحن حالنا مع هذا الجهاد كحال المرأة التي رجوناها ثلاثين سنة وأربعين سنة لتنجب ولدًا، فلما أنجبناه جعلنا نسبّ عليه؛ عيونه صغيرة، وجه أسمر، أنفه كبير، يا عمي مشان الله مصدقنا أن جاء الولد! فنحن كذلك مع الجهاد وهذه حقيقة.

وهنا أنا أريد أن أنبّه أن الشيخ عبد الله عزام –وهذا من الفتوح، بعض الناس يظنها قراءة فكرية وهي ليست قراءة فكرية هي فتوحات ربّانية في القيام في الصلاة تأتي. الشيخ عبد الله عزام في البداية كان يرى الجهاد نفسه هو الذي سيرقى حتى يصل إلى منتهاه في تحرير العالم، هكذا كان يرى. تغيّر الشيخ في آخر أمره، ولم يكن يرى الجهاد الأفغاني، كان يرى الجهاد الأفغاني إعدادًا لأمة الإسلام لأن تنتشر في الأرض لتصنع الجهاد. هذا في آخر عمره يرى أن الجهاد هذا خلاص انتهى. وكان يقول لأتباعه لن يصطلح قادة الجهاد، تعاملوا معهم بشيء موجود. كما يتعامل الرجل –وهذه عبارتي– مع امرأته، وأعوج ما في الضلع أعلاه. استمتع بها على عوج. خلاص، الجهاد موجود، وامشوا معهم على هذا. ولكن في النهاية تعالوا تربّوا.

وخاصة عندما ظهرت قضية حماس، ولا نستطيع أن نستوعب في هذا الدرس كل الشيخ، ولا بأس أذكرها للتاريخ: لما صدر ميثاق حماس شرحه الشيخ، وهذا من الكتب التي كتبها شرح ميثاق حماس، وتشجّع له وراح أحضر بعض الناس المدرّبين وفتح معسكرًا لحماس. حماس أرسلت وفدًا ولا يستطيعوا أن ينكروا، لو أنكروا فهم أحرار، ولكن هي حقيقة وخذوها كما أنكم تروني الآن، أرسلت وفدًا للشيخ عبد الله عزام وهدّدته (وسبّته)! وسبّته بكل معنى الكلمة، أن ارفع يديك عن حماس.

وبالفعل الشيخ ماذا يصنع يعني، في النهاية رفع يديه عن حماس، وأغلق المعسكر وانتهى. وقيل هذا

بعد ذلك بأن هذا من أسباب قتل الشيخ عبد الله؛ لأن إحدى المتّهمين بقتله هو الموساد لأنهم رأوه عملًا عسكريًا ضدّهم. بالرغم من أن الشيخ تخلّى عن هذه الفكرة، لأنه جاء الأمر وأنا أعرف الشخص الذي جاءه وطلب منه و(سبّه) وهذه صحيحة واذهبوا كما شئتم من ألفاظ الشيوخ إذا سبّوا، من أجل أن يرفع يديه.

أرجع إلى النقطة الأولى: الشيخ لم يشعر في وقت من الأوقات بقيمته التاريخية، والله في النهاية وحكمة الله يعني أنا فرحان أن الشيخ استشهد. تقول فرحان؟ نعم فرحان، يعني تصوّر لو الشيخ عبد الله عزام ظلّ حيًا بعد ما الجهاد الأفغاني تبهّدل هذه البهدلة من القادة السبعة ماذا يكون حاله؟! تصوّر لو أن الشيخ يعيش بيننا، والذي كان يرى أن سيّاف هو الإمام الذي لم تنجب الأمة مثله، وسيّاف طلع بعيد عنك حذاء طاغوت ملعون! الآن هو عدوّ من أعداء الدين مرتد ناصر الأمريكان ضد الطالبان. فماذا سيكون موقفه يعني؟!

فخذها من أخيك: من رحمة الله أن يموت المرء بعد التجربة الأولى، خلاص يقولوا شهيد وانتهى، لكن يبقى حيًا يظلوا يفتحوا له الملفات! يعني لو أردنا أن نفتح ملف الشيخ عبد الله عزام ماذا قال وهو حي مع إلغاء أنه استشهد ماذا سيكون النقد؟! لا أجرؤ أنا بالرغم أني أقل شيء منصف له إن شاء الله تعالى وأعرف جوانب العَظَمة فيه بفضل الله عزَّ وجلَّ وأرجو أن أكون كذلك وتجنّبت جوانب الإخفاق إلا في جوانب مع محيطه القاسي عليه، فأعتقد بأن الشيخ عبد الله عزام لم يستوعب قيمته التاريخية وكذلك عودته لأني أظن وهذه في الهامش أنه يأس من أمله في الجهاد الأفغاني كما كان يرجو ولم يكن له إلا الرجوع إلى جماعته، يمكن هذه أن نفسّرها، وإن كانت الأولى هي الأقوى أن الشيخ وهذه كثيرًا ما يقع فيها البعض أنه لا يعرف قيمته التاريخية، صار أكبر من حزبه، والشيخ عبد الله عزام أكبر من حزبه وهذه شرحتها إن شاء الله بما فيه الكفاية.

أرجو أن أكون قد اقتربت، وأنا أعرف السؤال وسيع بهذا الباب.

السائل: هل يُصنّف الشيخ عبد الله عزام الله يرحمه بأنّه مفتي.

الشيخ: بلا شك، الشيخ عبد الله عزام وإن لم يكن له اشتغال بالفتوى، يعني غير جالس مثل الشيخ فلان وعلان يفتي، لكن الشيخ بلا شك أنه عالم فقيه، والشيخ أصولي. وهذا لا أشكّ فيه لحظة، أن الشيخ لو أنه تفرّغ للفتوى لظهر منه الفتوى، ولو تفرّغ لتدريس الأصول لكان أصوليًا في الباب الذي هو فيه، لا شكّ في ذلك.

لكن هناك الكثير من الناس تشغله الحياة الأخرى وهذه محنة يعيشها المرء، وهذا تجده الحقيقة هنا، يعني مرّات كثيرة تعرف أن هذا هو فقهه ولكن ليقنع من أمامه وهذه تكلّمت عنها أكثر من مرة في هذه الجلسات، لقنع من أمامه يقول قال ابن تيمية. هو في الحقيقة فقهه، قاله ابن تيمية ولا ما قاله، يعني لو افترضنا أن ابن تيمية يخالفه هذا فقهه الذي عاشه ورأى أنه هو حكمة الوضع في هذا الباب. لكن لأجل أن يقنع من أمامه، من أنت؟ فيقول ابن تيمية. ومرّات كثيرة يضطر يقول وهذا قول ابن باز.

يعني الشيخ عبد الله عزام يكفّر القذّافي، ويكفّر بورقيبة قبل أن يرى الشيخ ابن باز، وقبل أن يعرف ماذا يقول، يرى أنهم غير مسلمين. ولو الشيخ ابن باز قال هؤلاء ليسوا كفارً لخالفه، ولكن هو يعرف أن هؤلاء صدرت فيهم فتوى خاصة بأنهم كفار. وهذه هي الطريقة، وهذا الواقع.

السائل: لماذا حماس تتمسّك بالشيخ وتعتبره رمزًا من رموزها بعدما ذكرت قضية حماس؟

الشيخ: ما فيه جواب! أنتم أحرار، يعني عبد الله عزام هو يتمنّى أن يجاهد في فلسطين والكل إلى الآن يتمنّى أن تقود الراية حماس بالمفهوم الشرعي الصحيح، ما الخطأ يعني؟ الناس لا يحبّون المنافسة، ويحبّون أن ينتصر الدين.

أنا آسف أظهرنا بعض الأسرار ولكن للضرورة يعني. وكلنا أصحاب ذنوب.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

من فيصل التفرقة إلى فصل المقال

أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟

للأستاذ محمد أركون

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الثاني والثلاثون

تاريخ المناقشة: ٩ نيسان ٢٠١٦.

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أهلًا وسهلًا بالإخوة الأحبة مع كتاب جديد، وهو الكتاب الثاني والثلاثون من مشروع (ألف كتاب قبل الممات).

والكتاب الذي بين أيدينا الآن هو كتاب المفكر الجزائري –نسميه (الإسلاموي) على طريقته– محمد أَرَكُون، أو محمد أَرْكُون –وهي الصحيحة–.

وللذكر، وهذه فائدة مهمة: فإن الأسماء يقع فيها الخلط كثيرًا، وعدم ضبط الأسماء قضية ليست بالشيء الذي يُعاب به المرء؛ لأن الأسماء عادة قلّما تخضع للقياس، فالناس يسمون وقلّما تخضع تسميتهم للقياس؛ فربما تنطقها أنت على القياس والناس يستهزؤون بك ولا ينطقونها هكذا، كما رأينا في مُلَيْكة ومْلِيكَة، وخاصة إذا كان الاسم بربريًا، وظاهر أن أركون بربري، وهو كذلك، فهو اسم غير عربي.

وللمعلومية: كان تشرشل ينطق الأسماء غير الآنجليزية بما يحب؛ فيُعاب عليه، فيقول: نحن الآنجليز يحقّ لنا أن ننطق الاسم كما نريد.. هكذا تصنع الأفكار الاستعمارية والسيطرة!!.

هذا الكتاب هو "من فيصل التفرقة إلى فصل المقال: أين هو الفكر الإسلامي المعاصر"، وترجم الكتاب وعلّق عليه: هاشم صالح.

وهاشم صالح إسماعيلي.

وسنرى هذا التوافق بين الأصول.. كما يُقال دائمًا عن أدونيس؛ فإنه عندما ناقش كتابه "الثابت والمتحوّل"، فإن أحد أساتذته قال: هذه الجهود في قضية رمزية اللغة كما تريدها يتوافق مع باطنية الإسماعيلية.

وأئمة الباطنية هم الإسماعيلية، هم الذين يفتحون الباب في تأويل الأحكام وتأويل الأخبار؛ فهي متوافقة مع الرمزية التي يدعو إليها كثير ممن يريد تفجير اللغة، وعدم إعطاء الدلالات الوضعية لها كما

وُضعت عند أهلها، أو عند من أنزلها كما هو قول بعض أهل العلم بأن اللغة منزلة ووقفية.

الكتاب شرحه: من "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة"، هذا كتاب للغزالي.

وهذا العنوان –في الحقيقة– كبير على الكتاب، ومعنى (كبير) أن العنوان لا يمت إلى ما في داخله بصلة، إلا في فقرة يسيرة ينقل فيها ما يقوله الغزالي في موضوع التكفير.

ولا شك أن الغزالي أشعري، ويرى أن الكفر لا يكون إلا بالاعتقاد، كما هو عندهم.

أهل الإرجاء يقولون هذا لعدم إدخالهم العمل ركنًا من أركان الإيمان، وبالتالي الإيمان عندهم هو الاعتقاد، فيُقابل الإيمان ما هو ضد الاعتقاد.

فينقل عنه فقط هذه الفقرة؛ من أجل أن يستخدمها في عدم وجوب التعامل مع الخصوم من خلال التكفير، على الرغم أن الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة" كفّر الفلاسفة في ثلاث مسائل، وردَّ عليه ابن رشد في "تهافت التهافت".

ما يهمنا: أن هذا العنوان كبير جدًا على الكتاب.

النقطة الثانية: وهي قوله "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" هذا كتاب لابن رشد الحفيد.

فهو يرى –لما يرى غيره.. وأنا لم أرصد بداية هذه الظاهرة، لكنها ظاهرة صارت الآن موجودة، وهي التي يقولها محمد عابد الجابري خاصة، نشرها الجابري على نطاق واسع، هل هو من أحدث هذا أم غيره؛ في أن المعركة ما بين العقل والنقل قامت بين مدرسة المعتزلة –أو مدرسة الفلاسفة، أو مدرسة الحكماء، أو مدرسة المتكلّمين– وبين المدرسة الأشعرية؟ فيقول هؤلاء، كما يقول الجابري في نقده للعقل العربي، يقول: إن هذا الصراع قام بين شخصيتين؛ شخصية الغزالي الممثلة للنصّ والنقل والأشعرية، والمدرسة الثانية التي تقابلها هي مدرسة الفلاسفة الحكماء المتكلمين العقلاء. ويقول هؤلاء، الذين منهم

أركون وفي هذا الكتاب يشير إليه، ويقوله محمد عابد الجابري: بأن هذا الصراع بين مدرسة النقل ومدرسة العقل تمثّلت في هذين الكتابين لكل واحد منهما، يعني: الكتاب الأول "فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة" والكتاب الثاني "تهافت الفلاسفة" للغزالي، والكتابان اللذان يقابلانهما لابن رشد: "تهافت التهافت" في الرد على الغزالي، و"فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال".

مقصود ابن رشد بأن العقل في تأملاته يمكن أن يصل إلى الحقيقة من غير الوحي، وإذا خلا عنه التأثير الخارجي فيمكن أن يصل إلى الحقيقة التي وصل إليها الأنبياء. هذه "بين الحكمة والشريعة من اتصال"، ما المقصود بكلمة الحكمة عند هؤلاء؟ المقصود بها الفلسفة؛ ولذلك سُموا الحكماء. وأصلًا كلمة "فيلسوف" اسمها محب الحكمة، فهؤلاء حكماء، فالحكمة والشريعة من الاتصال.

لكن نحن يقابلنا الغزالي في كتابه العلم، وهذه قضية خطيرة جدًا تحتاج إلى قفزات هائلة من أجل قبولها داخل المنهج القرآني، في قوله بأن العلم يمكن أن ينشأ عن طريق الرياضة. الغزالي يقول: يمكن – هكذا عباراته قاسية وغير مقبولة، فلا يمكن أن نعدّ الغزالي في هذا الباب، في موضوع الوصول إلى الحقيقة الغائبة عنا، لا يمكن أن نقبل كلامه باعتباره يمثّل أهل السنة، غير صحيح، العلم يقول إما طريق الوحي، لا يقول طريق العقل والتأمل ولكن طريق المجاهدة.

فلذلك كما ترون نحن بين شقين: بين شق التصوّف الذي يرى طريق العرفان، وبين طريق الفلسفة التي يسمونها بالحكمة.

هؤلاء يقولون بأن هذا الصراع انتهى بحسم المعركة، يعني انتصرت معركة الأشعرية وغيُبت مدرسة العقل. ولا يمدحون المعتزلة إلا بهذا المقدار. هذه المدرسة لا تمدح المعتزلة إلا بهذا المقدار، لا يمدحونها، يعني المعتزلة لا يفرحون فرحًا كثيرًا، ما عندنا معتزلة الآن إلا القليل، في داخل يمكن معاهد العلم، في الجامعات واحد، لكن الأغلب لا يوجد معتزلة اليوم، ومن ينتسب إليها ربما لا يعرف الكثير عن أصولها. ولكن يقولون بأنه قد انتصرت بعد المتوكل وبعد انتصارهم في فتنة خلق القرآن انتصرت مدرسة الأشعرية، مدرسة النص، مدرسة التسليم، أمام مدرسة العقل.

أنا فقط أقول: هذا الكتاب لا يمتّ إلى هذا العنوان بصلة، الكتاب ليس فيه لا فصل مقال ولا فيه فيصل التفرقة، بل هو يقول -انتبهوا، ومن هنا تأتي الزندقة الصريحة من محمد أركون، يقول إذا قالوا فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال، هو يقول: وأنا أقول إن مشروعه هو بيان كذلك فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الآنفصال! هو يصرّح بهذا في المقدمة.

وللذكر هنا في كلمة "المقدمة" أريد أن أعطيكم فائدة مهمة جدًا: هذا الكتاب هو ليس كتابًا بالمفهوم الذي جلس عليه صاحبه وكان في ذهنه مواضيع مرتبة، وإنما هو كذلك مع شيء آخر فيه إضافات لمقالات قدمّها محاضرات في أوقات متفرّقة تلتقي مع هذه القضية التي يدعو إليها.

وهؤلاء كثيرًا ما يكتبون كتابًا واحدًا، وهذا الكتاب يُعتبر الأم، ثم يبدؤون يفرّعون منه. المشروع الواحد من خلال الكتاب الواحد ويبدؤون يفرّعون منه كتبًا أخرى لا تزيد ولا تنقص عن هذا المراد.

ولذلك أنت تقرأ للرجل كتابًا واحدًا يكفيك. يعني لا يوجد ضرورة في أن تذهب لمحمد أركون تقرأ كل كتبه حتى تفهم مشروعه وماذا يريد وما هي عمده، لا لا، بل هو كتاب واحد تذهب إليه.

ولكن لو سُئلت لماذا اخترت هذا الكتاب، فسأبيّن لماذا اخترت هذا الكتاب عن بقية كتبه، فهي مثل نقد العقل الإسلامي؛ لأنه يخالف الجابري في العقل العربي، وخلاف لا قيمة له كثيرة إلا في التسميات، وكذلك في قراءته للقرآن. بالرغم أن أركون من ميزته لا -يعني محمد عابد الجابري وسنختار كتابًا له، ربما (نقد العقل العربي)، محمد عابد الجابري ابن هذه البيئة، ولذلك هو قارئ جيد للتاريخ الإسلامي، قارئ جيد للمذاهب الإسلامية، قارئ جيد للأصول، قارئ جيد للسياسة الشرعية.. لا يصل إلى درجة جورج طرابيشي الذي اخترنا كتابه (مذبحة التراث) لا يصل، ولكنه في النهاية قارئ لهذه البيئة.

محمد أركون ما شاء الله لا يعرف شيئًا عن الكتاب ولا السنة! ولما ناقشنا كتاب (الدولة المستحيلة) رأينا وائل حلّاق ذكيًا عالمِا، يعني قارئ جيد للأصول، قارئ جيد للسياسة الشرعية، قارئ جيد للتاريخ

الإسلامي. محمد أركون واضح من كتبه أنه بعيد كل البعد، بل لا يعرف من الإسلام إلا الكتب التي كُتبت وتُرجمت إلى الفرنسية. مثل هذه الكتب تُرجمت للفرنسية وخاصة كتب ابن رشد. هو لا يقرأ، ولا يعرف من الأصول شيئًا، ولا يعرف من الفقه شيئًا، حتى سأذكر لكم نصًا هو المسكين لا يعرف ما المجاز في موضوع الأسماء والصفات، هو لا يعرف معنى المجاز، يرى المجاز فقط عملية تزيينية. يعني في نص له يقول: المجاز فيما يطرحه السابقون هو عملية تزيينية للنص، عملية تزيينية للقرآن، فكأنها مسألة بلاغية، وهي مسألة بلاغية ولكن هو لا يعرف مداها الواقع لتفسير النص.

لكن لو قال قائل: لم اخترت هذا الكتاب؟ السبب لأن هذا الكتاب هو كتاب معدّل. يعني: لو أراد الرجل أن يقرأ الرجل في حالته الهادئة وغير المصادمة للإسلام والمصادمة للقراءة (الكلاسيكية التقليدية) فالكتب المعدّلة والجلسة المعدّلة لهذا النقاش هو هذا الكتاب. ولذلك أنا اخترته لأنه في الحقيقة كتاب لا يوجد فيه هذه المصادمات التي يصادم بها في مواطن أخرى ويقسو بها.

والسبب، وهذه مهمة جدا، أن أركون ككل المفكّرين الذين عاشوا في الغرب من المسلمين وعندهم شيء من الإحساس بالرغم أنه يحاول جاهدًا أن ينفيها وأن يرفع موضوع الفكر عنها بشيء من الوطنية الإسلامية. وكلمة "الوطنية الإسلامية" مهمة جدًا، وهذه غير موجودة عندنا في الشرق، موجودة في الغرب الإسلامي.

عندنا نحن يمكن أن يكون قوميًا ولا يكون مسلمًا، أما في الغرب فلا يتصوّرون هذا، الغرب الإسلامي في الجزائر خاصة لا يوجد تصوّر لموضوع الوطن إلا مسلم. يعني هم لا يتصوّرون عربي، حتى أنتم لو عشتم مع المغاربة ومع الجزائريين ومع التونسيين تقول له نصراني عربي يستغربها، هو لا يتصوّر النصراني إلا غربي؛ لأنه لا يوجد عندهم نصارى وطنيين؛ فقضية الوطن مرتبطة بالدين عندهم.

فهذا الرجل يعيش مشكلة في أنه –هو يقول وهذا اعترافه– يقول أنا أذهب –هذا الذي جعله في هذا الكتاب يكون معتدلًا في الهجوم ولكن الفكرة هي هي، يقول المشكلة أنني لما أذهب فأعمل –هو هناك موجود في داخل الغرب حلقات علمية تكون على مستويات فكرية ما كالصالونات لكنها عادة

تنشأ خلال مجموعات، فيقول لما كنت أذهب إلى فلان وفلان يذكر أسماءً مثل واحد عالم لاهوت نصراني، المقصود به قسيس، وبعض المؤرّخين وبعض الكتاب فنعمل لجنة، فلما أبدأ بالكلام عن قضية تطوير الإسلام تنفرج أساريرهم؛ يعني الكلام عن المرأة، الكلام عن الديمقراطية، الكلام عن قضية ترفّع النص عن أن يكون مخوّفًا في قضية ألا يدخل الجنة إلا المسلمون.. فيقول أنا أجدهم ينفرجون. قال وبعد مدة أقول وكذلك النصرانية واليهودية بحاجة، فتنقلب وجوههم مغبرّة! يعني هم يدّعون العلمانية. في فرنسا العلمانية متبنّاة من قبل النظام، ولذلك لا يدرّسون المذاهب الدينية في الجامعات. أنت تدرس دين لحالك، فلسفة لحالك، لكن الدين غير متبنًّى.

فيقول هؤلاء العلمانيون أجلس معهم، لما أتكلم عن ضرورة تحويل الإسلام إلى علمانية أو إسلام علماني فتنفرج أساريرهم ويفرحون، ولما أبدأ أقول وهذا كذلك موجود عندكم وما زالت النصرانية مؤثّرة في وجودها مع دعواكم العلمانية وأبدأ أسير في هذا الاتجاه تبدأ الوجوه تغبّر وعليها قترة ولا يقبلون مني.

ففي الحقيقة هذا أوجد لدي أنه يجب أن يكون المشروع متكاملًا، وبالتالي صار عنده شيء من الوطنية الإسلامية، بحيث يتحدّث عن الشرق والغرب، وأن المشكلة موجودة عند الشرق وموجودة عند الغرب، وأن قضية بنية العلمانية في داخل الغرب أساسها فيها نوع استعماري، نوع استعلائي، وقائمة هذه على إرث تاريخي يتعلّق بالنصرانية.

وبالتالي هذا الكتاب اخترته لهذه المسحة فيه.

وأنا كنت أقول قديمًا، تأثرًا ببعض من كتب عن أركون: بأن أصوله يهودية. في الحقيقة الكتاب ينفي هذا، يعني تجد عنده شيئًا من الغضب لما لا يسمحون له بأن يتكلّم عن دينهم كما يسمح لهم أن يتكلّموا عن دينه، ولو كان أمثال مثلًا أمين معلوف اللبناني النصراني الماروني، يعني هو لما يتكلّم عن بيئتنا يتكلّم بانحطاط شديد وبأبعاد خلقية خطيرة، كما في كتابه "القرن الأول بعد بياتريس" هذه قصة يريد أن يقول بأني ترقّيت من حسِّي المشرقي في قضية النظر للعرض. و"بياتريس" هي بنته المتخيّلة في القصة.

فيتخيل نفسه أنه خرج من الإطار الشرقي ككل (إسلامي أو مسيحي) في قضية الاهتمام بالعِرض، والاهتمام بقضية علاقة البنت مع عشيقها قبل الزواج، في أنه خرج عن هذا وصار تقدّميًا في هذا الباب أكثر من زوجته الفرنسية مع أنه لبناني. يعني تَفَهَّم ابنته في هذه العلاقة أنها حملت وأنجبت قبل الزواج في أنه هو الذي رعى هذا المشروع الأممي العظيم.

فهذا إحساس عادة يبقى عند من نشأ إسلاميًا، وأتكلم على الخصوص سنيًا، يعني مهما بلغ من الانحراف –مثل ما قال محمد قطب وذكرناها في كتاب (واقعنا المعاصر) أنه البنت لما جاؤوا بها تمثّل على الشاطئ فطلب منها المخرج تجلس جلسة أكثر انفتاحًا فرفضت، فقال لها يا آنسة أنتِ متخلّفة، فانفرجت الأمور!

فيبقى عند الذي نشأ إسلاميًا كلمة "العيب" لها حضور، بخلاف غيرهم. مثل أدونيس، أدونيس في لقاء معه –أنا أتكلم لأن هذه مدرسة فرانكفونية؛ أركون، أمين معلوف، أدونيس، هذه مدرسة فرانكفونية. وصحيح أن أدونيس للذي يدفع أكثر، يعني مثلًا مجلّة (شعر) التي أنشأها يوسف الخال، هذه المجلّة واضح أن البنتاغون هو الذي أنشأها أو يدعمهم، وهم اعترفوا بهذا. والبنتاغون كان يتعامل مع نيويورك مرّات، فطلّع قائمة الكتب أو المنشورات أو المجلّات أو المفكّرين الذين يُدعمون، في النهاية وضعوا مجلّة (شعر) فصُدم الناس؛ قالوا البنتاغون ما دخله في وزارة الثقافة. ولكن البنتاغون لأنه يعتبر الفكر دبّابة.

القصد نرجع إلى أدونيس، وهو معروف أنه إسماعيلي، سُئل من قبل الصحفي رئيس تحرير جريدة الحياة، قال له: أنت تحب –والرجل عجوز على حافة قبره، وعمره تقريبًا ٧٥ سنة– وتعرف الغرب كلمة "حب" ليس معناها البريء جدًا في بيئتنا. يقولون علاقات الحب تصل إلى ما لا نهاية، هذا معنى الحب عندهم هو الجنس، كلمة حب يعني جنس. قال له: نعم بلا شك.

زوجته كذلك من نفس الجيش، وزوجته إسماعيلية أيضًا، واسمها خالدة أحمد سعيد، فقال له زوجتك تغضب فما تحاسبك؟ قال له وأنا أعطيتها الإذن أن تحب أيضًا! يعني الحالة مفتوحة إلى ما لا نهاية في

هذا الباب.. نسأل الله العفو والعافية.

نعود إلى الموضوع، فالقصد أنا صرت أعتقد بأن أركون ليس صاحب أصل غير إسلامي، لكنه بلا شك نشأ فرنسيًا وتغذّى فرنسيًا ونبت فرنسيًا وليس له علاقة بما يُسمى بالفكر الإسلامي، ولما يتكلّم عن الإسلام يتكلّم بالعموم وليس كما يتكلّم غيره.

يعني حسين أحمد أمين في كتابه (دليل المسلم الحزين) يأتي إلى مسائل فقهية محدّدة ويريد أن يطرحها من أجل التغيير؛ يأتي إلى قضية الحدود، يأتي إلى قضية الطاعات، العبادات، وغيرها، يناقشها من أجل تحويرها وإزالتها من التكليف الشرعي. هذا لا، يأتي إلى قضية فلسفة القضية أصلًا، وبالتالي هو ليس عنده الدراسات الإسلامية، هو رجل فرانكفوني مائة بالمائة، لكنه مرّات لما يشوف الآخر يقول ما لك دخل في المسيحية فتصيبه شيء من الغصّة فيقول وأنت ما دخلك في الإسلام كذلك، يعني لهذا المعطى له.

ما الذي يريده هؤلاء؟ هؤلاء الذين نشأوا على أفكار الفرانكفونية، والمقصود بها الفرنسية.

وللذكر وللمعلومية: بأن فرنسا تنفق على وزارة الثقافة كما تنفق على وزارة الدفاع! وهذا لا يوجد لا في أمريكا ولا في بريطانيا؛ والسبب لأن الثقافة الفرانكفونية مستهدفة من قبل الثقافة الآنجليزية. يعني يشعر الفرنسي الدولة والشعب والفرد والإنسان العادي بأنه يصارع من أجل تثبيت الفرنسية: الثقافة الفرنسية، الأدب الفرنسي، اللغة الفرنسية، لماذا؟ لأن طاغوت اللغة الآنجليزية والثقافة الآنجليزية المتمثّلة بالفتى الأرعن الذي ورث الجدّة الشنعاء بريطانيا وهي أمريكا هي بثقافتها تريد أن تزيل الثقافة الفرنسية، وبالتالي هم ينفقون ملايين تعادل إنفاقهم على صناعة الدبّابات والطيّارات! وكما يدرّبون الجيش يدرّبون المثقف الفرانكفوني. ولا توجد دولة في العالم عندها جوائز لغير الفرنسيين مثل فرنسا. يعني عندها مجموعة كبيرة جدًا من الجوائز مخصّصة لغير الفرنسيين الذين يقدمون أدبًا فرنسيًا. لماذا؟ لأنها ثقافة مستهدفة. من قبل من؟ من قبل الثقافة الآنجليزية.

ولذلك هؤلاء البقر الذين عندنا ولله في خلقه بقر! هؤلاء الذين يعتقدون بأننا لا ينبغي أن نهتم كثيرًا في موضوع الصراع الثقافي ويقولون ما هذا التخلّف وما قضية اللغة هذه، وإيش فيها ... بالآنجليزي وفيها إيش وضع كتاب بالآنجليزي، ودع الأولاد يتعلّمون الآنجليزية من الصفّ الأول. في الصفّ الأول يعلمونهم الآنجليزي، والآن هناك أيضًا لغة جديدة وهي الفرنسية حتى يلاحقوا العصر!

وهذا مع أنه لا يجوز، فالأصل أن يُبنى المرء بثقافة وطنه، وثقافة أمته، ثم بعد ذلك يخرج. وما فيه أسهل من ذلك، في سنين قليلة يستطيع أن يتكلّم بلغة أخرى ويتقنها.

أعود فأقول: ممنوع في فرنسا وضع لافتات باللغة الآنجليزية. أنت تعرف أنهم يعتبرون كلمة " McDonald's (ماكدونالدز)" هي جزء من صراع الثقافة، أما نحن الآن "ماكدونالدز" وما ورائها كذلك! ولوقت قريب كان يُمنع الفرنسي أن يدخل ماكدونالدز إلى بلده لأنها تمثّل ثقافة.

وليس هذا في السياق ولكن للأسف هو ألم يتجدّد وكلما فُتح لا بد من الحديث عنه. خرج تقرير للبنتاغون يقول بأن مجموعة الـ "MBC" هي ناشرة للثقافة الأمريكية أكثر مما ننشر نحن في قناة الحرّة، قناة الحرة سموها على اسم قناتهم التي كانت موجّهة إلى هتلر في الحرب العالمية الثانية. فيمدحونها أنها تنشر الثقافة الأمريكية والقيم الأمريكية.

فالقصد بأن هؤلاء نشأوا بثقافة أخرى، ويريدون أن يحملوا ما حصل من صراع تاريخي في أوروبا على ما حدث، وهو يعترف رجل ليس عنده كتمان يعترف بأن ما حدث من صراع بين العلمانية وبين الأرثوذكسية (يعني السلفية) أصحاب الخط المستقيم، هذا لغة. فهو يقول: الأرثوذكسية ليس بمعناها الديني ولكن معناها الفلسفي، الأرثوذكسية معناها الخط المستقيم لغة، يعني الجماعة الماشين على الدين صحيح مثل عندنا "السلفية" تمامًا.

حتى البعض يستخدمها "نكت" على جماعتنا السلفيين يقول الأرثوذكسيين هؤلاء. وواحد ينكّت نكتة أخرى قال عن واحد سلفي: هذا يتعاطى السلفية! كأنها مخدّرات يعني.

فهؤلاء نشأوا وبالتالي يريدون أن يوجدوا الثورة في داخل الإسلام كما وُجد في داخل الديانة المسيحية في أوروبا من أجل التحوّل إلى حالة مهمة جدًا، ما هي؟ ما هو مشروعهم؟ مشروعهم هو أنسنة الإسلام! وهذا يصرّح به أركون، وغيره يصرّح به وبعضهم يمشي فيه على حياء على شواطئه دون أن يصرّح بالرغم أنه يستقي من مائهم ويغرّد على طريقتهم.

ما هي أنسنة الإسلام؟ تعرفون أن هذا الدين ربّاني، وربّاني ببعديْه: ببعد النصّ، وببعد التمثّل؛ النصّ من خلال القرآن والتمثّل من خلال السيرة. فهذا أساسه التعبّد، وبالتالي هذا التعبّد ينشئ قيم: الله عزَّ وجلَّ هو الحق، فمصدر الحقّ منه، وهذا الحق ينشئ أمامه باطلا، ولا يمكن أن يكون هناك حق إلا وأن ينشأ أمامه باطل. هم لا يريدون هذا، هم يريدون قيمًا مشتركة في الإنسانية ككل، يقولون بأن العلمانية تصلح لهذا، –مع أنهم فشلوا– حقّقت هذه الثورة الإنسانية ضد البعد الديني في أوروبا هذه الآنسنة. ويعترف أركون بأنها لم تصل للدرجة المطلوبة، بمعنى أنهم ما زالوا يعيشون في داخل الدين الوطني! وشرحنا ما هو الدين الوطني. يعني ما زال الفرنسي مع علمانيته يعيش حالة استعمارية في أن هناك آخر ضدّه تمثّله ثقافة أخرى، وتمثّله حالة أخرى. بل يقول بأن ما كُتب –وهذه فائدة حقيقة له تعود، مثلًا لما يأتي مثلا إلى جيل كيبل وهذا مشهور في كتابته خاصة عن الحركات الإسلامية، وهذا الصحفي جيل كيبل بدأ اهتمامه بنا بعد حالة جبهة الآنقاذ وما حصل من عودة عجيبة إلى الإسلام في داخل المجتمع الفرنسي، وبدأت قضية الحركات الإسلامية تثير فرنسا.

يعني أمريكا اهتمّت بالإسلام بعد الثورة الخمينية، والكثير منهم اهتمّوا بعد الثورة الخمينية، حتى بعض الحركات القومية العربية اهتمّت بالإسلام، كما سنذكر بعض الكتب فلا ضرورة لذلك الآن، لكن اهتمام المجتمع الفرنسي بالإسلام بطريقة دراسية: ما هو الإسلام من خلال الحركات بدأ من خلال ما حدث لجبهة الآنقاذ.

هو يقول لأن هؤلاء الذين كتبوا عن الإسلام الثوري والإسلام السياسي أو كما يسميه هو الإسلاموي بطريقة احتقارية للأسف وهذه يستخدمها المعاصرون، إسلاموي للتفريق بينه وبين الإسلامي

على أساس أن الإسلامي هو الإنسان المنفتح على الآخر، والإسلاموي هو المتعصّب لإسلامه ضمن قوقعته مع اعتباره أن الذي لا يعيش مع داخله هو شيء آخر له نظرة أنه في جهنّم، وهذه مهمة كبيرة ومشكلة.

يعني وأنا أقرأ في هذا الكتاب تعجّبت، وهذه تعيدك إلى الحالة الأولى التي عاشها النبي صلى الله عليه وسلم. أكبر قهر عند الآخر لما تقول له: أنت ذاهب إلى جهنم وأبوك ذهب إلى جهنم. الأصل ألا يهتم، ولكن مجرّد هذا الكلام هو شعور بالاستعلاء عليه، ويشعر أنك أنت ملكته وصرت أكبر منه، وبالتالي يحقد عليك حقدًا عجيبًا يؤدّي إلى إفنائك. يعني لما النبي صلى الله عليه وسلم يقول لهم أبوك في جهنم وأنت في جهنم، كفار لو متم تذهبون إلى جهنم. تصوّر هذه الكلمة الآن كل الصراع الذي يعيشه دعاة عدم الولاء والبراء كله من أجل هذه النقطة. يقول: كيف تحكم عليه أنه سيذهب إلى جهنم.

تصوّر أن المعركة تنتهي فيها نهايات السلم فيها إلى بدايات الحرب لمجرّد أن تقول له: أنت كافر وستذهب إلى جهنم؛ أن تقول لنصراني أنت كافر وذاهب إلى جهنم، يا علماني أنت كافر وذاهب إلى جهنم. تصوّر أن الكتاب من أوله إلى آخره يدور ضمن إسقاط هذه الكلمة، معركة شديدة إلى أن الآخر لا يصح أن تقول عنه أنه ذاهب إلى جهنم، هذا إنسان، والرؤية هي رؤية إنسانية، وبيننا وبينك السمن والعسل وما فيه مشكلة، أنت إنساني وأنا إنساني، والذي تدعو إليه أدعو إليه وما فيه مشكلة.

يعني تتعجّب من هذا الاستعلاء الإيماني الذي يعيشه المسلم ويريدون تجريدنا منه، بالرغم أننا في كل شيء تحتهم! يعني نأكل من أكلهم، واللباس يأتي من عندهم، والأموال تأتي من عندهم، والسلاح نشتريه من عندهم، ومدعوس على رقابنا من كل جوانب الحياة، لكن يتعبه أن تقول: أنت ذاهب إلى جهنم! تصوّر أنه يفقد كل أسلحته ويشعر بالإهانة، وبالفعل يصبح ضعيفًا أمامك.

هذه عقيدة الولاء والبراء شيء غريب جدًا في داخل هذا الدين العظيم، والتي تنشئ الصراع على أساس الدين وهو صراع ممدوح عند رب العالمين.

طبعًا هم يقولون: يريدون السلم العالمي، ويظنون أنه بمجرّد التخلّي عن الدين يمكن أن ينشأ السلم، وهذا من أكابر الكذب. وهل هتلر قاتلهم على يهودية وإسلام وعلى نصرانية وإسلام؟! لا يوجد هذا البتة.

وبالتالي مشروعهم هو أنسنة الإسلام؛ أي إفقاد النصّ فعاليته وإفقاد النبوّة معناها الأصلي. فماذا يبقى؟ يبقى التأويل والمجاز، وهذا كله سنقرأه الآن، واليوم ستكون القراءة كثيرة. إبقاء التأويل وإبقاء توظيف النبوّة.

التأويل أين ينتهي؟ ينتهي إلى اعتقاد أن ما جاء به النصّ هو أسطورة.

محمد أركون يقول: هذا النص ما دام هو أسطورة وأتى من قضية كلام يحتمل عدة معان، وأتى من قضية قصص ومخيال، فهذا نرميه في الخارج؟! كما يقول بعض العلمانيين وهذه شرحناها في (مذبحة التراث) نرميه وما له قيمة؟ قال: لا، خطأ، بل نوظّفه؛ فإن المجتمعات بحاجة لهذا المخيال أي الأسطورة.

وصاحبه هاشم صالح يعلّق في إحدى الهوامش أن محمد أركون عندما يقول لأنه تلميذه، ١٣ سنة وهو مرافق له يقول: لما يقول محمد أركون الأسطورة فكلمة الأسطورة عنده بمعنى الخرافة! هذا تلميذه الذي يفسّر. فالدين قائم على الأساطير، هذه الأساطير المجتمعات بحاجة إليها؛ لأنها تصنع مخيالًا داخلهم يؤدّي إلى الأمان والسلام، يؤدّي إلى الراحة النفسية في داخل المجتمع. فإزالة الأسطورة يؤدي إلى إفقاد عنصر القوّة التي يعيشونها. إذًا ماذا نصنع؟ قال: علينا توظيف النبوة.

كلمة "توظيف النبوة" منتشرة من أول الكتاب إلى آخره.

ما هي توظيف النبوّة؟ الآن يأتي إلى المساحة الأخرى وهي قضية تفسير الإسلام.

إذًا ما هو أنسنة الإسلام؟ هو إبعاد قضية الوحي عن الإسلام؛ أن هذا ليس وضعًا إلهيًا، وأنه ليس نصًا معصومًا، وأن قدسيته –وهذه يهرب منها، أن النص هل هو مقدس من الله؟ قضية لا تعنيه، المهم ما دام هو موجود بيننا فإنه محكوم بالعادات، هذا القرآن أنشأته العادات، تفسيره موجود أنشأته القيم

التاريخية من الزمان والمكان، وأنشأته كذلك العقول بحسب ثقافتها المعاصرة لها، فهذا هو الإسلام. وبالتالي يجب علينا أن ننشئ إسلامًا يوافق هذا العصر الحديث الذي نحن فيه!

أنسنة الإسلام إلام تنتهي؟ نستطيع أن نقول: إن أنسنة الإسلام تنتهي إلى أن الإسلام ماديٌّ. إلغاء القضية الغيبية تمامًا؛ قضية الجنة والنار، والكفار إلى جهنم، إلى آخره، قضية يجب أن تنتهي وتبدأ بالعقائد وتنتهي بالشرائع. يجب أن يُفسّر الإسلام تفسيرًا جديدًا يوافق معطيات العلم الحديث كما يزعمون، ومعطيات الفكرة الإنسانية المعاصرة. هذا هو الذي يجب أن نفسّر النصّ به ونفسّر التاريخ الإسلامي به.

واضح ما هو مشروعهم؟ يعني هذا الدين الذي بين أيدينا هو صناعة إنسانية.

طبعًا هو كذّاب هنا، ودليل على أنه ما قرأ، هو يستخدم كلمة في أول (الإحياء) ولم يذكرها، ولم ينقل إلا نصًا عن الغزالي في كتابه (فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة)

الغزالي لماذا أنشأ الإحياء؟ انتبهوا، هنا تأتي قراءتك للآخر ومعرفتك لما يتكلّم فيه. الغزالي في مقدّمته في أربع أو خمس صفحات تقريبًا اعترف بأن مشروعه (إحياء علوم الدين) هو لأن العلماء صاروا أهل مادة، وصاروا متلاعبين، وصار التزامهم بالدين ضعيفًا.

وابن القيم معروفة كلمته، ماذا قال؟ قال لما أنت تتكلم عن الدين، وتتكلّم عن الكرم، وتتكلم عن العبادة في قولك، وفعلك مخالف لذلك، فأنت قاطع طريق إلى الله. وأنت في كلامك مرشد إلى الله، فيبدأ الناظر إليك في الصراع ما بين قولك وبين فعلك، أن هذا فعلك يقطع الطريق إلى الله وقولك يدلّ الناس على الله، فيقول الناظر إليك: لو كان صادقًا ومؤمنًا بما يقول لكان على قوله. يعني كان فعله على قوله. لكنه لما كان شاكًا فيما يقول خالف فعله قوله فلذلك يصبح هذا الرجل الذي يدلّ الناس على الله بكلامه ويقطع الطريق بدلالة فعله يصبح صادًا عن سبيل الله.

الغزالي في المقدِّمة يشير إلى هذا. يقول أركون أن الغزالي تكلم عن العلماء ولكن السؤال هنا هل في

تاريخنا -وأنا أتكلم عن الفقه وليس عن الفتوى، الفتوى يحصل فيها وإن كان قليلًا جدًا. يعني نادرًا ما نجد فتاوى للعلماء توافق السلاطين، نادر جدًا. نعم استغلّوا السلاطين من أجل مقاصدهم كما كان المعتزلة يريدون قتل أحمد فيقول ابن أبي دؤاد اقتله ودمه في رقبتي يستغلّ السلطان، لكن أن يفتي للسلطان بما يحب ويبغض هذه قليلة في أمتنا.

لكن أتكلم عن الفقه، تفسير القرآن. أعطوني تفسيرًا واحدًا للقرآن نشأ لرغبة حاكم؟! يعني أنه أنشأ هذا التفسير من أجل أن ينافق الحاكم في هذا التفسير.. تفسيرا واحدا فقط؟! لا يوجد. أعطوني كتابًا فقهيًا واحدًا ألّفه عالم من أجل أن يضعه ليخدم به مصالح هذا الحاكم؟ المؤسسة العلمية في تاريخنا مؤسسة صارمة وقوية جدًا.

ولذلك أنا مع الذي يقول وحتى هذا بعض المستشرقين يقولونه يقول: أول فساد طرأ في العالم الإسلامي هو تجريد المؤسسة العلمية من سطوتها عن طريق تقنين الشريعة كما فعل سليمان القانوني، هذا أول هدم لعزل العلماء عن الأمة.

يقول بأن الغزالي ينبّهنا على أن العلماء فسّروا موافقةً للحكام. يعني يريد أن يقول إن تفسير الكتاب والسنة مربوط بالزمان والمكان، وبالتالي ليس مقدسًا، وليس معصومًا!

التفسير الإنساني للكتاب والسنة يعني مادية، عزله عن الغيب، لا يحمل قداسة، إنما هو إنتاج إنساني ينبغي أن نأتي إليه بقوّة وصلابة ونردّ ما نريد ونقبل ما نريد؛ لأنه إنسان مقابل إنسان، وليس إنسانًا يريد أن يحوّر ويبدّل النص!

الآن دعوني أقرأ لكم، ولن أطيل عليكم إن شاء الله، لكن أنا قلت شيئًا مهمًا وسأبدأ به وهو أن محمد أركون مفعم. يعني أنا الحقيقة أتعجّب، يعني أنت ضعفت أمام الآخر وما ضعفت أمام حال أمتك؟! انظر إليه في نصوصه وهو يتألّم من مشاعر الفرنسيين نحوه ويراعيهم! محمد أركون في كتابه يراعي المفكّر الفرنسي، ومرة قال أنا مضطر أن أصرخ وأن أتكلم الآن أني كذا لأني أعرف الفرنسيين كيف

يفكّرون.

يعني مثلًا عندما جاء إلى نص أنه علماني، هل يا أركون أنت علماني؟ قال نعم نعم علماني. فما الذي يجبرك كمفكّر أن تصرخ هذا الصراخ؟ قال: لأني أعرف المدرسة الفرنسية، إذا أنت جئت كرجل عربي وكرجل مسلم تتكلّم لا يقبلون منك، دائمًا في ذهنهم أنك رجل إرهابي، أو رجل مسلم يحترم تراثه، إلى آخره؛ فبالتالي أنا أريد أن أقول لهم أنا علماني حتى أطمئنهم من أجل أن يسمعوا لي! بالله عليك هذا محكوم بسلطة الفهم وسلطة العلم فقط أم أنه محكوم كذلك بالبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها؟! أنت جئت إلى الإسلام من أجل أن ترضي الآخرين.

الحالة النفسية هي حالة مهمة جدًا عند قراءتك نصّ الكاتب، لماذا كتبه نفسيًا. لا يوجد شيئًا اسمه "فكر" هكذا مطلق. يزعمون ويكذبون ويقول أنا أفكر، بل أنت محكوم؛ محكوم ببيئتك، محكوم بما أنت فيه من ظواهر اجتماعية.

انظر إليه ماذا يقول في هذا الباب، في المقدِّمة يعترف ويقول بأن المدرسة الوطنية الدينية –وهذه كما قلت لكم في الغرب موجودة، والجزائريون يبغضون الفرنسيين، على أي اعتبار؟ على اعتبار إسلامي، وهذا وطني. يعني العربية يفهم أنها الإسلام، ولما قام الشيخ الإبراهيمي وعبد الحميد باديس هم قاموا من أجل تثبيت العروبة لأنها هي الإسلام. والفرنسيون يريدون الفرنسية لأنها ضد الإسلام، ولأنهم يعتقدون أن الإسلام هو المانع الأقوى الذي لا يصلح غيره في الوقوف أمام التغريب، وأمام الفرانكفونية.

فهو يريد أن يبرّئ نفسه يقول أنا هنا لست ضمن هذا السياق. عندما أدعو للإسلام فأنا لست في هذا السياق ولكن في سياق آخر. هذا هي بيئة النص التي يقولها. يقول: لا أقصد بهذا اللمحة التاريخية، بعد أن تكلّم عن اللاهوتيين فلاسفة أوروبا وأمريكا. "لا أقصد بهذه اللمحة التاريخية السريعة" بالله عليك هذه البراءة، أنتم تستطيعون تفسيرها كما تحبون.

"لا أقصد بهذه اللمحة التاريخية السريعة تأييد الخطاب الوطني الكفاحي". من دافعك؟! عمن

تتحدث؟! يعني لو كان يتكلّم عن بيئة إسلامية، طبعًا هو للذكر لم يؤلّف كتابًا باللغة العربية، كل كتبه مؤلّفة بالفرنسية؛ فخطابه لمن؟ خطابه للنخب الفرنسية. فلو كان واحد في داخل بيئة إسلامية ويهمه مشاعر المسلمين ماذا يقول؟ هذا كتاب يحصّنكم ضد التغريب، هذا كتاب يحصّنكم ضد الاستعمار، هذا كتاب يخلّصكم من بقايا الوساخة التي عشتموها خلال حكم الاستعمار. لكن هو يخاطب الغربيين!

يقول: "لا أقصد بهذه اللمحة التاريخية السريعة تأييد الخطاب الوطني الكفاحي المعروف في البلدان المستعمرة لتغطية مسؤولية النخب الوطنية بعد الاستقلال، ووضع مسؤولية الفشل الراهنة على الاستعمار والإمبريالية فقط، بل أقصد عكس ذلك لأنبّه العقل الإسلامي إلى أن ذاك الخطاب المتداول والمتردّد على ألسنة الخواص والعوام يمجّه جميع الناس بالغرب".

ما هو منطلقه؟! أن خطابنا الغرب متضايق منه، لباسنا غير جيد ولا يعجبهم، فلذلك لا بد نصير مثلهم!

هذا هو مقصود الكتاب.

قال: "يمجّه جميع الناس بالغرب ولا ينتج إلا المزيد من الرفض والاستبعاد وسوء التفاهم؛ ولذا فمهمة العقل الإسلامي أن يدرك أسباب هذا الوضع بإمعان النظر في خطاباته هو منذ اندلاع حروب التحرير".

كأن حروب التحرير يُعتذر منها! كأن حروب التحرير خطيئة! وكأن المشكلة بين الغرب أننا نحن من صنعناها؟! من صنعها؟ الحروب الصليبية هي التي صنعتها!

يقول: "وفيما تثيره ردود الفعل أو التحريض للغرب على الإصرار في الهيمنة واستراتيجية الإخضاع والتسيير والتحكم بالعالم المتخلف، هذا ما يتكرّر على الآذان والعيون في العشرين سنة الماضية، للغرب حق الحماية لقيم مدنيته، والدفاع عن أمانته أمام قوى العنف والجهل وعدم التسامح".

يعني ماذا يريد أن يقول؟ إن خطابكم هذا يثير الخوف، يثير الرعب. خطابكم الإسلامي الموجود المتداول بيننا.. هذا إسلام وأننا ذاهبون على جهنم، طبعًا هذه القضية من أول الكتاب إلى آخره "ذاهبون إلى جهنم" مشكلة عندهم.

وهذه أنا كتبتها في (صبغة الله الصمد) لي بعض الملاحظات ولكن لم –وهذا من الكتب التي قرأتها قبل السجن، وبقي في ذاكرتي، وإنما في الحقيقة لما أنت ترجع مرة ثانية له لتدرك رعب الغربي لمجرّد أنه في جهنم.

نصّ آخر.. لتروا نفسية هذا الكاتب، هؤلاء يزعمون الفكر، ويزعمون أنه يجب علينا أن نتخلّى عن أمراضنا. من الذي عنده أمراض؟!

نحن نكرهكم وأنتم تكرهوننا والله يشهد أنا نكرهكم ولا يغضبنا أنكم تبغضوننا، يعني ليست مشكلة نحن نبغضكم وأنتم تبغضوننا.

فالأصل أن تدعو إلى الحق، وليس إلى أن تغيّر لباسك وتغيّر جلدك من أجل أن يقبل الخصم.

هذا نص.. نصّ آخر نفس الشيء، انظر وهو يصرخ إلى علمانيته، في صفحة ٤١ يقول: "إني أستخدم كلمة علماني هنا عن قصد؛ لكي أعلن على الملأ عقيدتي العلمانية بالمعنى الإيماني لكلمة "عقيدة" –ليس فكريًا!– والسبب هو أن المجتمع الفرنسي والفكر الفرنسي يفرضان ذلك".

يعني ليست مشكلة أن يمسك القرآن ويقول هذا أسطورة وخرافة! ليست مشكلة، ولا تتضايق ويجب عليك أن تتقبَّله باعتباره تجديدًا! ولا تتضايق لأنه يجب أن نفتح باب التفكير العقلاني للكل! أما أنت مجرّد أن تقول لست علمانيًا عند الفرنسيين فلا، يجب أن تقدّم الثمن أولًا!

انتبه هذه نصوص مهمة جدًا. والكتاب في مجمله هو هذا؛ تجريد الإسلام من عقيدته، ومن غيبيته، ومن أنه وضع إلهي، وتجريد الإسلام من خصوصيته ومن تميّزه إلى أن يكون نافعًا من أجل أن يخدم العلمانية، هذا مشروعه.

لماذا العلمانية؟ لأن العلمانية هي التي يريدها الغرب منّا. هذا خلاصة الكتاب.

قال: "والسبب هو أن المجتمع الفرنسي والفكرة الفرنسية يفرضان ذلك وبخاصة عندما يكون المتحدث مسلمًا".

الجماعة غير خائفين لا من بوذيين ولا من كونفشوسيين ولا من أحد، يخافون فقط من الإسلام.

"فهو مشبوه أكثر من غيره، فمن المعروف أن هناك فكرة شائعة في فرنسا وعموم الغرب ولكن في فرنسا أكثر من غيرها".

بلا شك أن المجتمع الفرنسي من المجتمعات الأولى في العنصرية، ليس ضد المسلمين فقط، يعني العنصرية الفرنسية هذه شيء مميّز.

"وتقول هذه الفكرة بأن المسلم لا يمكن أن يكون إلا مضادًّ للعلمانية".

وهذا صحيح.

"وذلك لأن الإسلام والعلمانية شيئان لا يتفقان ولا يجتمعان، وهذه الفكرة الدوغمائية (يعني الفكرة غير المقبولة والمشبوهة) راسخة لدى المستشرقين أو علماء الإسلاميات كما يُقال اليوم.. إلخ.

كذلك عندما تكلّم عن قضية الإسلام يجب تجريده من الثورة، لماذا؟ خدمة لهم! يقول: "وإذا ما قطعنا هذا المسار بشكل صحيح (المسار هو تجريد الإسلام من الثورة وأنسنته، يعني جعله متوافق كما يقول في نص هنا يقول: من أجل جعله موافقًا لحقوق الإنسان كما هو في بعده الإنساني) فإن الفكر الغربي سوف يكفّ...".

هل توافقونه على هذا الكلام؟!

كنت أقول لبعض الإخوة المساجين: مشكلة حتى لو عشت مثلهم لكن لا تستطيع تغيّر لونك. يعني حتى لونك، يعني ممكن تلبس مثلهم، وتغني مثلهم، وتتقصع حالك في لغتهم مثلهم، لكن في النهاية

ينظر إليك أنك أراجوز، في النهاية أنت شيء آخر.

يعني مهما فعلت. تعرفون قصة انزل بطاطا انزل بطة؟ هذا قضية من يريد أن يصبح غربيًا، ويريد أن يكون مثلهم. هذه من نكت وطرائف والدي العجيبة. قال: في أيام الصوم ممنوع يأكل النصارى اللحم، فواحد يشتغل عند القسيس، وطبعًا أهل بيت لحم مسلمين ونصارى يشتغلوا في الكنيسة زمان، ما فيه أكل فيشتغلوا، يدخلوا يقطعوا حطب ويولعوا نار للكنيسة، فهذا المسلم ادّعى أنه نصراني فقال له أيام الصوم الآن ما تأكل غير خضار ولا تأكل لحمة، فالقسيس نظر وإذا البط الذي عنده كل يوم يخس، يبحث عن البط كل يوم يفقد منه واحدة، فراقب البط فوجد هذا الذي تنصّر يمسك البطة ويضعها في المية المقدسة يقول لها انزلي بطة واطلعي بطاطا، فقال له إيش هذا يا فلان شو بتسوي، قال له يا سيدي أنت تمسكه تقول انزل مسلم اطلع نصراني وتظبط معك، أنا أقول انزلي بطة واطلعي بطاطا ما تظبط معي؟

فلذلك لو أنت غطوك في البحر ألف مرة ستبقى كما أنت.. القضية عنصرية.

هناك كتاب قرأته خلال الاختفاء ولا أدري كيف أتاني وتعبت في البحث عنه نسيت اسمه لمنشقّ ألماني شرقي هو فتح علي هذا الباب هذا الكتاب، لما انتهت الحرب العالمية الثانية وانقسمت ألمانيا إلى قسمين، برلينر ماور "سور برلين" فيقول في كتابه وهو قيّم جدًا، أذكر مرة اكتشفت ما هو ثم فقدته، يقول هذا الكتاب، وهذه نقطة مهمة جدا، بأن الروس كانوا يتّخذون الشيوعية ستارًا لاستعمار الشعوب وإلا فالاشتراكية والأممية كله كذب. الشيوعية الأممية عندهم فقط من أجل سرقة الشعوب. والدليل أنه قال كل المصانع، كل الأموال، كل الثروات التي في ألمانيا الديمقراطية –المقصود بها الشرقية، لما كان هناك ألمانيتان–، قال كلها تذهب إلى روسيا.

إذًا يريد أن يقول بأن البعد القومي هو الأصل، وإنما هذه الأممية والشيوعية هي ستار من أجل الضحك على الشعوب، وهذا حقّ. حتى وجدت هذه الفكرة قديمًا في إحدى كتب منير شفيق، أشار إليها، وأنا قرأت كتبه مرة واحدة قديمًا ولكن أظنه في (الإسلام والانحطاط المعاصر) هكذا هو كتابه

أظن.

وكذلك الآن ترون كما ذكرت لكم مرّة عن قضية إيران، إيران الآن دخولها في العراق ودخولها مع حزبالة وكذا هو دخول قومي. هم يتخذون التشيّع ستارة لهم للاستغلال القومي، نعم عندهم الاعتقاد، لكن لو تصادم الاعتقاد مع القومية فالقومية مقدّمة، والدليل الحرب القائمة الآن بين الأذريين والأرمن؛ الأذر روافض والأرمن نصارى، نصروا الأرمن على الأذريين، والسبب هو الصراع القديم: أن الأذر يرفضون السيطرة الفارسية عليهم.

القصد لا تظن أنك إذا تخلّيت عن عقيدتك يقبلوا بك الندّ للندّ، أنت ما زلت مهانًا عندهم، أنت حقير. يعني تعجّب من هؤلاء الذين يتخلّون عن قيمهم الوطنية -لا نتكلم عن الإسلامية الآن- مقابل الآخر من أجل أن يرتفع قيمته، هذا الإفريقي الذي يذهب إلى فرنسا ويلبس لباسهم ويتزيَّ بزيّيهم ويضع العطر وهو يظن المسكين أن الفرنسيين قبلوه، ولكنهم إذا أشاحوا بوجوههم عنه احتقروه، حتى لو دخل في دينهم. تذكرون ما قاله الخبيث زويمر في "دمّروا الإسلام أبيدوا أهله"؟، يقول بأننا لسنا من مهمّتنا أن ندخل المسلمين النصرانية فتلك مكرمة لا يستحقّونها، نريد أن نجعلهم بلا دين. أنت لما تصبح مثلهم هم يضحكون عليك.

يقول: "وإذا ما قطعنا هذا المسار بشكل صحيح فإن الفكر الغربي سوف يكفّ عن اتخاذ موقف احتقاري أو عنجهي تجاه الإسلام".

إذًا هو مفعم بهذا!

كذلك نصّ عجيب في هذا الباب، وسامحوني؛ اليوم كلها مناقشة لنصوص ولكن هذه هي الزندقة، في صفحة ١٢٠، في الهامش هاشم صالح رأى هذا من أركون وأنه متألّم، من ماذا متألّم؟ مما ذكرناه.

وأنا للأسف لم أتكلّم عن هاشم صالح ومشكلة -لأنه في الحقيقة كتب مقدمة مهمة للكتاب، أرجو ألا أنسى فذكّروني بها.

هاشم صالح يكشف نفسية أركون يقول: "لا يمكن للقارئ أن يفهم أركون وفكره إلا إذا عرف الموقع الذي يحتلّه أو ينطلق منه، فموقعه داخل الساحة الفرنسية كأستاذ في السوربون وكمدافع عن حقوق الجاليات الإسلامية المغتربة في فرنسا وشتَّى أنحاء أوروبا".

في الحقيقة أريد أن أقول لكم شيئًا مهمًا: أنا لا أخاف من هؤلاء.

المعتزلة ما سبب فشلهم؟ أن فكرهم لم يستطع أن ينزل من الحالة الأكاديمية الخاصة النخبوية إلى الشعبوية. يعني ما الذي نصر الأشعرية؟ الأشعرية خطباء جمعة، معلمين في المجالس، وهم الفقهاء الذين يعلّمون الناس الصلاة والصوم والزكاة والحج فيُسألون عن العقيدة فيدرّسونها. أما المعتزلي لا يعمل، يقول يجب أن أتكلم بالفكر، فمن يذهب إليك؟ النخبة أمثالك، والنخبة يحتقرون الشعب، فما الذي ينتصر؟ ينتصر (**إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا**) هذا الذي ينتصر، فلا يخيفون. أين المشكلة؟ للأسف هؤلاء وهذا الذي أحذّر منه وهو موجود، أن هؤلاء يتنشّق ويتعاطى أفكارهم قادة فكر وجماعات إسلامية، يقرؤونها فيتأثّرون منها، ويترجمون هذه الأفكار إلى فقه. ولذلك أرجو من هذه الأفكار مهما بدت الزندقة عالية خطورتها ولو رشح منها واحد في المائة إلى عقلية الفقيه.

يعني تكلّمنا عن قضية الآنسنة، أين الخطورة؟ ليست الخطورة في هذا الكلام، من يقرأه هذا؟ والآن ربما كثير من السامعين يحتقرون هذا الكلام ويقولون أين يذهب أبو قتادة وما دخلنا بأركون أو غير أركون، لكن هذا أين أرجله؟ أين أرجل هذا الكتاب؟ في الفقيه الذي يقول لا يوجد حكم في المرتد. أين الخطورة؟ الخطورة في قائد جماعة إسلامية يقول نحن أبناء وطن واحد لا فرق بين مسلم ونصراني فيه. هذه الأفكار أين رشحت؟ إلى الفقيه، وإلى الخطيب. لا تستطيع بنفسها أن تصنع شيئًا، لا خطورة فيها، لكن أين الخطورة؟ أن ترشح تلك المعاني إلى أحكام شرعية وإلى فقه. وهذا موجود في مشايخ وصلوا إلى هذه الحالة.

سُئل شيخٌ عن نصراني مات في الجيش وهو يقاتل مسلمين مبتدعة: شهيد أو غير شهيد؟ فقال له:

اذهب اسأل الإفتاء العسكري، ما دخلي أنا! ما دام أنه متخصص في الجيش فاذهب إلى الجيش ما لي دخل!

وهناك شيخ مشهور، سلفي وليس أزهريًا، لما ماتت ديانا أتوا به على القناة الآنجليزية فسألوه: ديانا غير مسلمة ماتت ذهبت إلى الجنة أو إلى النار؟ فقال لهم: الله يقول: (**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**).

هنا المشكلة، هنا الخطورة، الخطورة أن تتحوّل هذه الأفكار إلى فقه من خلال بعض من يتأثّر بها.

وللأسف؛ إن كثيرًا من الجماعات الإسلامية تربّي أبنائها على احتقار ما يُسمى الفكر الإسلامي أو احتقار ما يُسمى الكتب الصفراء من أجل هذه الكتب، ومن هنا تأتي الخطورة.

يعني للأسف النهضويون جماعة الغنّوشي قلّما أحد منهم لم يقرأ لعابد الجابري، لكن اسألهم: قرأتم العقيدة الطحاوية؟ كم واحد منكم قرأ كتابًا فقهيًا؟ (كفاية الأخيار)، أو كتاب (الرسالة) لأبي زيد القيرواني على أساس أنكم مالكية؟ يحتقرون هذه الكتب. لكن لو سألتهم عن عابد الجابري يغرّدون بها كأنها الفاتحة في ألسنتهم! تنشقّوا الأفكار هذه وأخذوها إليهم. بل تجد هذا في كلامهم على الفضائيات.

يعني أنا سمعت بعضهم بأذني يتكلّم بما يتكلّم به الجابري بنفس الكلام ونفس الألفاظ، وأقصد بها راشد الغنوشي! راشد الغنوشي على قناة الحوار مرةً سمعته بنفسي يغرّد ويتكلّم بما يتكلم به عابد الجابري تمامًا في قضية وجود منهج مغربي ومنهج مشرقي!!

ابن خلدون صحيح نشأ في المغرب ولكن أين مات؟! في المشرق. وابن عربي الصوفي أين نشأ؟ في المغرب ولكن أين مات؟ في دمشق. عبد الوهاب المالكي نشأ في العراق، ولكن ذهب إلى مصر وصار قاضيًا فيها ومات هناك.

بل في الحقيقة لم يؤخذ المذهب الأشعري عند المالكية إلا من خلال ما أخذوه من المشارقة. يعني

المهدي ابن تومرت الموحّد العظيم تلميذ من؟ تلميذ الغزالي. أبو الوليد الباجي لم يسطع له اسم حتى جاء المشرق.

يعني القصد لا يوجد مشرقي ومغربي، يوجد إسلام. لا يوجد هذه التي نريد منها اليوم أن تُعمّق لدينا ولكن يغرّدون تغريدهم.

فهؤلاء ليس هناك خطورة منهم، الخطورة ممن يقرأ فيترجمها فقهًا ويترجمها نظرية إسلامية داخل جماعته. هنا الخطورة.

ولذلك انظر، هذا الكتاب أين ظلّه؟ وعادة الظل يكون باهتًا مقابل الحقيقة، لكنه في شكله العام يمثّله، هذا الكتاب لو قال لي أحد: أين ترجمته؟ لقلت: الحريات العامة في الدولة الإسلامية لراشد الغنوشي. هذا الكتاب أين ظلّه؟ الحريات العامة.. الخطورة هناك.

طبعًا أنا قلته لتعظيم... كأن محمد أركون مدافعًا أو كذا، لا، هؤلاء جماعة أكاديميون في الجلسات، ليس لهم لا دفاع عن إسلام ولا مسلمين، بل هؤلاء في الغرب إذا ظهر الإسلام الذي هو إسلام السنة وإسلام الالتزام وإسلام المفاصلة وإسلام عدم الذوبان في داخل المجتمع لو قامت جماعات بهذا فأول من سيحاربهم هم هؤلاء، وأنا شاهد على هذا. كان خصومنا هم هؤلاء، بل المشايخ كانوا خصومنا، وكانوا يقولون عنا مجانين، بمجرّد أننا رفضنا الذوبان في داخل البيئة الغربية. فهو ليس مدافعًا في الحقيقة.

إلا إذا وصل المسلم في فرنسا كما صارت وزيرة الثقافة. تعرفون وزيرة الثقافة مغربية، استقالت هي، ولكن انشغلوا هم تسعة شهور من هو أب الولد الذي في بطنها! ولم يعرفوا إلى الآن طبعًا. هذه مسلمة تمثّل الثقافة المسلمة في داخل المجتمع الفرنسي!

لا أدري نتابع أم يكفي.

طبعًا النقاط المهمة جدًا أن العلمانية الفرنسية ما زالت مغلّفة بالدين هذه يعترف بها.

هذا الكتاب هو كتاب من كتب طبقات الزنادقة، يعني هو مثلهم لكني اخترت كتابه هذا لهدوئه في هذا الكتاب.

أنا قلت لكم هو ينتهي قضية اتصال الحكمة، هو لا يريد فقط أن يصل الحكمة بالشريعة هو يريد كذلك أن يبيّن ما بينهما، وإذا حصل الآنفصال بين الحكمة والشريعة فالأصل ما هو؟ الحكمة.

وهناك نقطة لا بد أن أذكرها، لأنها في الحقيقة قراءة عامة: لا تصدّقوا أن ما يُكتب في الغرب هو يُصدّر إلينا، وحتى هذه موجودة في داخل الفقهاء والمشايخ. يعني ذكر بعضهم –وهذه في الحقيقة تحتاج إلى دراسة– عن أبي الأعلى المودودي لأن أبا الأعلى المودودي لا يكتب بالعربية وبلا شك أنه مفكّر عظيم وله دور في تثبيت الهوية الإسلامية مقابل التغريب وعلى الرأس والعين وكتبه نافعة جدًا، وإن شاء الله سنختار كتابًا له ربما كتاب (التجديد) أو كتاب (الربا) والتجديد ربما هو الذي سنختاره أو كتابا آخر له، لكن ذكر بعض المحقّقين بأن بعض ما يقوله في لغته الأردية لا يُترجم إلى العربية مخافة الاصطدام بالعقلية العربية، فهذا احذروا منه.

في الترجمة كثير من المترجمين يخافون من ترجمة النصوص لبيئتنا، أنا ذكرت أبا الأعلى وهو مع نظافته وصدقه يخافون من عقليتنا أن تصادمه.

مثلًا: محمد جلال كشك الصحفي الشهير كشف في كتاب له كبير بأن الكتب التي كتبها هيكل للغرب لما تُرجمت إلى العربية حوّرها وأزال منها الكثير، واعترف هو في كتابه (حرب الخليج) بأنه اضطرّ أن يزيل بعض الأمور في ترجمته العربية؛ لأنه كثيرًا ما كان يكتب لدور نشر غربية لشهرته تعرفون حسنين هيكل هذا، وفطس قبل مدة.

كان يقول جلال كشك وهو يحقّق لأن جلال كشك عاش في الغرب في لندن، فيحقق بأن كثيرًا من النصوص عندما يترجمها للعربية يزيلها أو يغيّر بعض الكلمات التي لا تفيد المعنى، لماذا؟ لأنه مرّات يكتب كتابات من أجل الغرب توافق طريقة تفكيرهم وتفسيرهم.

مثال: فؤاد زكريّا في كتابه "كم عمر الغضب" لأنه ألّف هيكل بعد وفاة السادات كتابًا سماه (خريف الغضب) في كشف السادات. نحن ما عندنا مشكلة في المجتمع المسلم في قضية اللون.

يعني أسألكم: هل سمعتم مصريًا أو عربيًا نظر إلى السادات في قضية أن عنده عقدة اللون؟ يعني لو سألنا أي باحث، لا يوجد في المجتمع المسلم ولا المصري يومًا من الأيام نظروا إلى السادات باحتقار لأن لونه من جهة أمه النوبية السوداء. فهو يقول بأنه كتب عقدة السادات أن أمه نوبية وأسود –هذا فؤاد زكريا يقول– لم يكتبها لنا لأنها غير موجودة لدينا، وإنما كتبها للغرب لأنها تصلح عند الغربي تفسيرًا للحركة. يعني عندنا لماذا تصرّف السادات هذا التصرف؟ ممكن تقول عنه قليل دين، ممكن تقول عنه عميل، ممكن تقول عنه يكره الإسلام إلى آخره، لكن لا تقول إن تصرفه هذا بسبب اللون. لكن عند الغربي هذه ماشية، وقضية اللون قضية كبيرة.

إذًا الترجمة تتغيّر وتتحوّل.

أنا جئت إلى هذه القضية لأن أركون هنا في كتابه اعترف أن كثيرًا من عناوين كتبه يغيّرها. لماذا؟ والأخطر لماذا يا أركون تغيّر عنوان الكتاب من عنوان إلى عنوان لما يكون بالفرنسي كذا والعربية كذا؟ لنسمع كلامه من نفسه، وهو من أغرب ما ستسمعون. يقول: "إنها تؤكّد ما قدّمته في الكتب السابقة –(لأن له كتب سابقة منها (نقد العقل الإسلامي) و(تاريخية الفكر العربي الإسلامي) وغيره) وتندرج في مشروعي العام الذي أعلنته عام ١٩٨٤ حين نشرت لأول مرة كتابي بعنوان: (نقد العقل الإسلامي)، استعملت هذا العنوان بدون تردّد للطبعة الفرنسية؛ لأن اللغة الفرنسية مؤيّدة للنقد الفلسفي والتاريخي والعلمي عامة، ولها أرضية خصبة من الجهاز المفهومي الداعي إلى المزيد من الدقّة والتعمّق في النقد، أما اللغة العربية فلا تتحمل اقتران النقد بالعقل الإسلامي".

هذا الكلام في قضية عجز اللغة عن حمل المفاهيم. هو يجعل اللغة عاجزة عن حمل المفهوم الصحيح، ضعف اللغة.

عابد الجابري، كما سنبيّن عند كلامنا عنه، يقول أخطر من هذا الكلام، يقول: "مشكلة اللغة أن النصّ يسبق الفهم، وأن الحافظ أولًا يتلو ثم يفهم". قال هذه مشكلة خطيرة في اللغة، يعني مشكلتنا نحن أصلًا عاهات! لأننا نتكلّم بالعربي فنحن عاهات، ولن ينصلح حالنا؛ لأن مشكلتنا مشكلة لُغوية، وفي بنيويتنا اللغوية نحن عاهات وما فيه مجال للإصلاح. يعني ما المطلوب؟ نصير فرنسيين ونرتاح.

هذا الكلام الذي يقوله هاشم صالح في مقدّمته لهذا الكتاب يعترف أن هناك مشكلة كبرى، وهذا دليل.

أنا الآن كل ما تكلّمته عن هذا الكتاب لم أتكلّم عن الجانب الإسلامي، ما هو؟ وما هي عظمته، وأين نحن من الإسلام، كيف ينبغي أن يُفسّر الإسلام. هذه قضية أظنّ أنها مفهومة لدى طالب العلم ولدى المؤمن بهذا الإسلام إيمانًا صحيحًا. لكن المشكلة لما يأتي واحد ١٣ سنة مشارك للرجل وحتى ترجمة مصطلحات أركون يعاني منها وكل يوم تتغير. يعني أين المشكلة الآن؟ يعني ١٣ سنة نقعد نعمل مشاكل يا أركون لأجل ماذا؟ طبعًا أركون واحد من هؤلاء، واحد من هذه المجموعة العجيبة جدًا الفرانكفونيين الذين جاؤوا من الجزائر ومن تونس ومن المغرب. يعني حتى نطوّر إسلامنا كم سنة نريد أن نجلس معك حتى نفهم ماذا تقول؟!

يعني إذا كان هذا واحد دارس جامعي مثلك ومعه ليسانس لغة عربية وذهب ١٣ سنة وهو يدرس في الجامعة وأخذ معه شهادة دكتوراه الدولة مثلك ومعاشر لك ويقول في المقدمة الطويلة: إني عانيت في قضية ترجمة المصطلحات، لأن لها دلالات لا أعرف كيف أضعها! في ١٣ سنة حتى تقول استطعت أقرّب مفاهيم أركون إليكم يا عرب. إذًا نحن حتى عندنا شك أنك ما أوصلت لنا الأفكار صحيحة. فحتى ننطلق إلى مساحة ما تريد الوسيلة إليها لم نبلغها أصلًا. وهذا أنت جلست ١٣ سنة ورجل فرنسي وتعيش في فرنسا وتفهم عربي، فنحن الذين لا نعرف الفرنسية ماذا نفعل؟!

اسمعوا هذا النص الخطير له، يعني من خطورة الكلمات الخطيرة للزندقة، يقول: "إن الأسطورة بهذا المعنى تلتقط وتجمع بواسطة التركيب النموذجي للمعنى كل أنواع السلوك المثالية والصور الرمزية". الدين

أسطورة! وهناك نص ابتعدت عنه يجعل الدين مركّب من ثلاث قضايا خطيرة تحتاج لوحدها إلى شرح.

"الصور الرمزية" كل ما يُقال عن الغيب كلها صور رمزية تريح الإنسان ويعيشها جماليًا.

يقول: "ثم تقدِّمها على أبهى وجه وأزهى حُلّة لكي تُستبطن وتُكرّر من قبل كل عضو من أعضاء الجماعة وبالتالي فإن الأسطورة تملأ وظيفةً في الوجود لا يملأها شيء سواها".

ترون ما هو الدين؟! حتى لا يظن أحد أن الأسطورة كلمة لا يريدها. هو هاشم صالح في شرحه يقول: الأسطورة عند أستاذنا أركون هي الخرافة من نوعها لكنها أرقى منها. يعني قضية مخيالية لا حقيقة لها.

تعرفون الكوميديا الإلهية لدانتي في جهنم، يعني لو وضعته في أي طبقة من طبقات الزنادقة في جهنم يحتاج إلى أحدهم لوضعه في مرتبة من مراتب الخروج عن الإسلام وتدميره وللأسف هؤلاء هم مقدمة للاستحمار كما يسميها علي شريعتي.

وما دام ذكرنا علي شريعتي فإن شاء الله الكتاب القادم هو (العودة إلى الذات) للأستاذ علي شريعتي. وكنت أريد أن أختار كتابًا لحسن حنفي ولكن الكتاب القادم إن شاء الله هو (العودة إلى الذات) لعلي شريعتي.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا والحمد لله رب العالمين

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: ذكرت شيئا عن مقدمة المترجم!

الشيخ: ذكرت قضية الترجمة ومشقتها عندهم.

وأنا أريد أن أقول شيئًا: لا تغرّكم الكلمات الكبيرة. وهناك فائدة فاتني أن أذكرها في قراءة كتب هؤلاء العلمانيين: لا تهتموا لقراءة ما في الداخل كثيرًا. عندهم فائدة ليت المشايخ يتعلمونها حتى يريحونا، وهو أن كل مرادهم يضعونه في المقدِّمة، فما في داخله هو ترجمة وتبسيط وتمثيل ومناقشة للمقدِّمة. وهذا تجده في عابد الجابري، تجده في أركون، تجده في عادل ضاهر العلماني، تجده في العظمة. تجد هؤلاء يريحونك، فتقرأ المقدِّمة ثم تدخل الباقي هو ترداد، فأنت لو قرأت المقدِّمة لأركون في الكتاب يكفيك. هذا واحد.

النقطة الثانية لا تخف كثيرًا من العبارات الكبيرة، هم يضخِّمون العبارة مع أنها فارغة، لكن لا يريد أن يقول لك إياها بعبارة سهلة ثم تصبح بعد ذلك مادةً سهلة ثم تسقط هيبة العالم، فبالتالي يأتي بها بالفرنسية، يزغردها من هنا ويضبطها من هنا ولكن في الحقيقة هي عبارات سهلة فلا تهتم.

طريقتهم: نريد أن نقول كلامًا لا نفهمه نحن ولا يفهمه الناس حتى يُقال علماء. ففي الحقيقة لما تدقّق تجد كلمات سهلة، فلا تغرّك ولا تخف من عباراتهم الكبيرة.

وأنا لا أدعو لقراءتهم إلا من قبل متخصص، لأنها في الحقيقة يكفي فقط أن ترفع مقصدها أسلوبها نفسية كاتبها كما فعلنا، إن شاء الله نكون قد وُفقّنا في مثل هذا الأمر، حتى يمجّها كل مسلم يدين بهذا الدين، وإنما يفرح بها بعض من يزعم تخلّفنا وغير ذلك فينحلّون من الدين، هم يريدون التخفّف من الشريعة فيعجبهم هذا الأمر.

السائل: ما الفرق بين الأسطورة والخرافة؟

الشيخ: ما فيه فرق. وإذا تريد أن نقرأ النص: أن الأسطورة من نوع –طبعًا المعلّقين الله يسامحكم، حزب التجديد العظيم الذي يريد أن يعيد مجد الدّين معلّقين على مناقشتي للدكتور المسعري فقالوا ضيّع الوقت وهو يبحث عن الموضوع...

الأسطورة تعني أول شيء مخيال، وكلمة المخيال عندهم تعني شيئًا ليس له ضابط علمي، مهم ولكن

لا تسألني عن علميته، قد ينشئه الخيال، قد تنشئه الظروف التاريخية، قد تنشئه القصة المكذوبة؛ فالدين هو أسطورة، ليس شرطًا أن يكون منشئًا كذبًا لكنه فيه مجموعة من المكوّنات الكثيرة؛ تاريخية، وإنسانية خاصة، وعلمية خاصة.. إلخ، فهو مجموعة كاملة.

وأركون يهرب كثيرًا من قضية النص مقدّس أو غير مقدّس، يأتي عليه ولكن لا يريد أن يدخل فيه؛ لأنه يعلم أن هذه المنطقة شائكة وأنه لو صرّح بها التصريح التام بأن الدين في النهاية خرافة وإنتاج بشري في أصل نصّه وليس في تفسيره لما قُبل منه ولانتهى مشروعه ميتًا قبل أن يبدأ.

يقول في صفحة ٥٢، يفسّر هاشم صالح معنى الأسطورة عند أركون يقول: "هذا هو المعنى الإيجابي والمثالي العذب للأسطورة"، يقول: "الأسطورة هنا والخرافة، والأولى ذات معنى إيجابي بحسب استخدام أركون وأما الثانية فذات معنى سلبي، ولذلك يخشى من التباس معناهما في اللغة العربية، فالأسطورة بالمعنى الآنثروبولوجي الذي يستخدمه أركون تعني المجاز الرائع أو الخيال المجنح أو القصة الحسنة التي لها نواة في الواقع وإن لم تكن واقعية أو تاريخية بالمعنى الحرفي للكلمة". يعني ليس شرطًا أن تكون حقيقية.

ولذلك يقول: "وإن لم تكن واقعية أو تاريخية بالمعنى الحرفي للكلمة (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) والعقل الوضعي المتطرّف لا يعترف بالأسطورة ولا برطوبة الخيال أو عبق الأوهام".

هو يقول لا، إن الأوهام والخيال والأسطورة نافعة ومهمة للبشرية.

توجد كلمات عجيبة له، مثلًا يقول عن القرآن هذه العبارات، وهذه العبارات ليست مدحية، يقول: "والنصوص القرآنية قد ألهمت ولا تزال تلهم تأويلات متغيّرة بتغيّر الزمان والمكان كما هو شأن كل نصٍّ غزير المعاني قصصي البنية رمزي المقاصد".

"غزير المعاني" هذه لا تحملها على معنى الكلمة الواحدة تفيد معان كثيرة جوامع الكلم، بل المقصود بغزير المعاني يعني متعدد يمكن أن يكون حمالًا لأوجه متعددة. فغزير المعاني ليست على المعنى الإيجابي.

"قصصي البنية" ما شاء الله القرآن قصصي البنية، بالمعنى الحرفي للمثقف، إنشاء قصصي! يعني الآن

التوراة أين فُتح باب التأويل؟ أساس دمار التوراة عند اليهود هو التأويل، فأين فتحه؟ كان من خلال نشيد الآنشاد وغيره. تعرفون نشيد الآنشاد يعني فاضح. فلما يأتي إلى فضحه وإلى قذارة ما فيه يُقال المقصود به رمزية وليس المقصود به الحرفية.

"رمزي المقاصد" كأننا هنا نتكلّم عن ابن الفارض وليس عن كتاب الله الذي هو تفصيلًا لكل شيء وتبيانًا لكل شيء.

يكفي هذا.

السائل: هل يعتبر هو من المتأثرين بأحكام المستشرقين؟

الشيخ: لا، هو في هذا الكتاب يعتبر أن دراساتهم نحو الكتاب والسنة هي دراسات فيها استعمارية.

هو يعترف بذلك، يقول دراسات المستشرقين لا تحمل ثقة، وهي مبنيّة على قضية الآخر، وتقزيمه.

يعني مثلًا ذكرنا هذا جيل كيبل، وأنا ذكرته لأهميته؛ لأنه كتب كتبًا كثيرًا عنا، من زمن الآنقاذ إلى يومنا هذا، يقول عندما يدرسون مثلًا ظهور اليمين المتطرّف في فرنسا يقول لما يكتب كتابة عن لوبون وهي الحركة القومية الفرنسية المتعصّبة اليمينية، الآن ابنته زعيمة حزب ومرشحة هي أن تستلم إلا أن يحدث أشياء. يعني لو قامت انتخابات فابنة لوبون هي التي ستنتصر في الآنتخابات الفرنسية. فيقول لما يُدرس صعود اليمين المتطرّف في فرسا فيُعزى إلى دراسات اجتماعية واقتصادية. يعني قضية الهجرة، قضية الاقتصاد وقلّة الإدارة، لا يوجد مال، وجود الأجانب، إلى آخره. فقال دراستهم هكذا تنطلق، أما لما يدرسون وجود التطرّف الإسلامي لا يذهبون إلى هذه التفسيرات وإنما يذهبون إلى النص القرآني. يقول والدليل على أن دراسات المستشرقين غير نظيفة وهي لخدمة أفكار مؤصّلة لدى الفرنسي أو لدى الغربي.

السائل: كلمة من الشيخ حول من يتبنون فكرة ابن رشد الحفيد في التأويل وإخراج اللفظ من دلالته الحقيقية إلى ما يوافق النظر البرهاني وكثير منهم للأسف أساتذة في الجامعات يدرّسون أبناء المسلمين

ويربّوهم على هذا.

الشيخ: ابن رشد الحفيد بلا شك أن منهجه في قضية تعظيمه للحكمة اليونانية باطلة مائة بالمائة.

وللذكر فإن ابن رشد الحفيد فلسفي صوفي، يجمع بين الحكمة الإشراقية كما يسمونها وبين الحكمة الفلسفية.

وللأسف كتبه في هذا فاسدة جدًا.

واعتناء شيخ الإسلام ابن تيمية في (بغية المرتاد)، وفي (التسعينية)، وفي (الصفدية) عندما يتكلّم عن قضية انحراف هؤلاء في النصّ يتكلّم بتوسّع عن المشارقة، عن الجويني صاحب (الغياثي)، وفلان وفلان، ويأتي لابن الوليد ابن رشد، لكنه لا يأته كثيرًا، والظاهر أن كتب ابن رشد لم تكن بهذا الآنتشار في المشرق.

ولكن في الحقيقة ابن رشد منهجه منهج فلسفي، بالرغم أن جدّه ابن رشد الجدّ فقيه مالكي ليس له علاقة بالفلسفة، إلا أن العلماء لاحقوه وحكموا عليه بالزندقة، ولكن المجتمع الآندلسي لم يكن دقيقًا في ملاحقة هؤلاء إلا إذا خالفوا المالكية؛ فالظاهر أن ابن رشد أرضى الفقهاء المالكية في كتبه الفقهية، ككتابه (بداية المجتهد) أرضاهم، يعني أنه ما زال فقهيًا.

لكن منهجه المعرفي في قضية النصوص والتأويل منهج باطل، وغير صحيح، ويكفي بطلانًا اعتقاد أن الحكيم يصل إلى المعرفة التي يصل إليها النبي عن طريق التأمّلات البعيدة عن الدوافع الذاتية والشخصية والشهوانية، وهذا باطل. هذا ضدّ القرآن، هذا ضدّ مبدأ أن الحقّ لا ينشأ من داخل الإنسان، وأنا هذا شرحته في التفسير، وإن شاء الله لما نأتي عليه عند قوله تعالى: {**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**}، {**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا**}؛ فالإنسان لا يوجد عنده أبدًا آلية، ولا يوجد عنده معارف سابقة لينتج حقًا.

وقضية الصوفية وقضية الغزالي أن يجلس فينقّي نفسه بالتربية والذكر المفرد وحتى ترك القرآن، الغزالي

يقول بالنصّ في رسالته (أيها الولد المحبّ) وفي كتاب (الإحياء) يقول: عليه أن يبتعد عن قراءة القرآن! هكذا يقول الغزالي.

يعني عظمة الغزالي شيء آخر، ولكن هكذا يقول في منهجه، يقول يجلس ويذكر الله فتصفو نفسه حتى يصل هذا الصفاء إلى أن يعانق الحقّ فيتجلّى له عيانًا! وهذا منتهى الباطل.. وهذا لا يوجد، والدليل أنه ما من فلسفيّ وصل إلى الحقيقة التي يصل إليها فلسفيّ آخر. يعني الخلاف بين الفلاسفة ما فيه فيلسوف جاء أو كما يسمونه العقل البرهاني أو الذي يسمونه الدليل العقلي، ما من واحد جاء فأيّد الذي قبله. كلهم {**كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا**}، وغلّط بعضهم بعضًا. ما فيه فيلسوف أيّد الآخر وقال أنا أوافقه. إذًا أين هذا؟!

وهذا الذي احتجّ به أبو سعيد السيرافي على مَتَّى النصراني، قال له: المنطق اليوناني بحاجة إلى العقل ليعصمه من الخطأ. فقال له أنتم منكم نصارى، ويهود، وزنادقة، إلى آخره، وأخلاقكم فاسدة، فلماذا لم يوصلكم العقل المنطقي إلى الحقيقة الواحدة؟!

هذا واحد.

أما بالنسبة للمعرفة الصوفية فكذلك الصوفية كل صوفي كُشف له من الحجب ما يناقض الآخر! فبالتالي هذا الاختلاف دليل على عدم صحّة الدليل، لو صحّ الدليل لاتفقت المعارف ولاتفقت المنتوجات.

وللأسف اليوم يتبنّاها كما قلت لكم أكاديميون في الجامعات، ويتبنّاها بعض من انسلخ عن دينه. وانظر إليهم تجد عامتهم لا يتقيّدون بالشريعة، ولا يتقيّدون بالالتزام الدينية؛ لا يصلّون، ولا يحجّون، ولا يزكّون، وتجد عندهم انحلالًا خلقيًا مع النساء، وغير ذلك؛ لأن هذا هو دين أسلافهم وهم ورثوهم في ذلك!

السائل: يقول أخ وقعت عليه مظلمة وسرقة من طرف صاحب العمل في إحدى الدول الأوروبية

فاضطرّ إلى أن يشتكيه إلى المحكمة الإدارية لضمان حقّه، فهل يدخل هذا في التحاكم إلى الطاغوت؟

الشيخ: إن شاء الله أتكلّم عنها بتفصيل في موطن آخر، الفرق بين الاستنصار والتحاكم.

وبالاختصار التحاكم معناه، واذهبوا إلى كتب القضاء، هو طلب الحكم للالتزام. فيه تنازع، فنطلب الحكم للالتزام، فيذهب إليه. فهذا لا يجوز، هذا هو الكفر؛ أن تطلب حكمًا من غير شرع الله لتلزمه.

أما من ظُلم فرفع دعوى لردّ مظلمته فهذا استنصار، فهناك فرق.

وإن شاء الله بالتفصيل في مواطن أخرى نبيّنها.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

العودة إلى الذات

للدكتور علي شريعتي

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الثالث والثلاثون

تاريخ المناقشة: ١٦ نيسان ٢٠١٦.

إنّ الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيّبين الطاهرين، وعلى صحبه الغرّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عزَّ وجلَّ وإيّاكم منهم، آمين آمين.

أهلًا بكم أيّها الإخوة الأحبّة مع لقاء جديد وكتاب جديد ضمن مشروع "ألف كتاب قبل الممات". وهذا الكتاب هو كتاب (العودة إلى الذات) للدكتور عليّ شريعتي، ورقم الكتاب في هذا المشروع هو الثالث والثلاثون.

هذا الكتاب من الكتب الجيّدة والنافعة، سواء في طريقة بحث صاحبها، أو في كونه يُعدّ علامةً على زمنٍ ما من الأزمنة؛ فأنت ربّما تريد أن تستطلع أفكار النّاس في وقت من الأوقات أو في حالة من الحالات فتستطيع أن تعرف هذه الأفكار من خلال كتب هذه الحقبة الزمنية.

وعليّ شريعتي، الكلام عنه ملغوم، بمعنى أنّه بمجرّد رفع شعار التشيّع، وأنّه رجل شيعي، يمكن أن تسبّب هذه الكلمة شيئًا من الاستفزاز المؤدّي إلى الرفض المطلق لبحث هذا الرجل.

في الحقيقة ليتنا نستطيع أن نصل إلى دراسة شاملة وكاملة عنه؛ لأنّ هذا الرجل في حياته سبّب مشاكلًا، وبعد وموته صار هناك توظيف له؛ فمثلًا مترجم هذا الكتاب كما غيره مثل الخميني، ومثل خامنئي، ومثل موسى الصدر، استغلّوه ووظّفوه. هو مات أو قُتل –والصواب أنّه قُتل– سنة ١٩٧٧م، قبل سنتين من الثورة الإيرانية الخمينية.

فهذا الرجل وُظّف بعد حياته لأمر، وفي حياته حُورب من جهات متعدّدة؛ يمكن أن نستطلع مَن أعداءه مِن خلال قراءة أفكاره، ولكن من الصعب جدًا أن نصل إلى قولٍ حاسمٍ فيه. لكن مما لا شكّ فيه أولا أنّ الملالي قد حاربوه، وهذا ما يحاول أن يتكلّم عنه المترجمون له باستحياء، وهذا مثلًا إبراهيم

الدسوقي شتا وهو من ترجم كتابه -على الرغم أنّني وجدت أنّ هذه الترجمة الّتي قالها إبراهيم الدسوقي شتا قد سُرقت من جهات متعدّدة! يعني حتّى موقع حزب اللات اللبناني "المقاومة" وجدته قد نقل ترجمة عليّ شريعتي كاملة من هذا الكتاب! وأنا أردت أن أعرف ماذا يقولون عنه، هؤلاء الذين يدّعون الثورية، كون عليّ شريعتي ولا شكّ أنّه ثوريّ شيعيّ.

مقدار التزام الرجل بالتشيّع سنتكلّم عنه باختصار، لكن أستطيع أن أقول أنّه وُظِّف بعد وفاته؛ حيث زعم بعضهم سواء الخميني أو الخامنئي أو غيرهم أنّه من مفجّري الثورة الإيرانية. وهذا طبعًا غير صحيح إلّا على نسقٍ ما، وهو أنّ هناك جماعة من الإيرانيين كان لهم شيء من الاستنارة في عدم الغوص والتبنّي والإيمان والاعتقاد بالمذهب الشيعي لكنّهم نشأوا شيعة؛ فكانوا يرفعون الشعار رفعًا اجتماعيا، مثل مالي بزركان الّذي يمدحه عليّ شريعتي،؛ فهذا الرجل كما يقول هو أنّ الملالي قد ضحكوا عليه وعلى أمثاله ممن قادوا الثورة على الحقيقة الاجتماعية؛ لأنّ الملالي ركبوا هؤلاء (التكنوقراط) وركبوا المفكّرين المستنيرين، وحتّى ركبوا حزب "تودا" اليساري الشيوعي المشهور، وركبوا كذلك ما يُسمّى الآن مجاهدي "خَلْق".

ومجاهدو "خَلْق" البعض يراهم هم الدينامو الحقيقي للثورة الإيرانية وتجييش الشعب من أجل الآنقلاب على الشاه. وهؤلاء عندهم طبعًا قواعد إسلامية عامّة مع بناء يساري، وربما تغيّروا ولكن هذا هو أساس انطلاقهم في أنّهم يرون (الإسلام الاشتراكي). فالبعض يرى بأنّ المحرّك الرئيسي هم هؤلاء مجاهدو "خَلْق". وإنّما الملالي كالخميني مثلًا استطاع أن يمتطي هؤلاء لينفذ إلى مراده؛ حيث صُدم الجميع بعد ذلك أنّه يكذب عليهم وأنّه اتخذهم مطايا ووسيلة من أجل تجييش الشعب ثمّ انقلب عليهم.

والكلّ بعد ذلك نفر منه وخرج، وحتّى بازركان خرج منه، وكذلك الصدر رجع إلى فرنسا ولا أدري هل لا زال حيًا الآن أم مات، وكذلك جماعة مجاهدي "خَلْق" كذلك انقلبت عليهم؛ لأنّهم رأوا الخميني سَرق كلّ أحلامهم في إنتاج ثورة اجتماعية تغيّر الواقع، وقلبها إلى ثورة ملالي، ثورة عقيمة، تتحدّث عن المذهب؛ حيث تبنّت الثورة شعار المذهب فقط، ليس الإسلام ولكنّها تبنّت المذهب الجعفري الاثنا

عشري كما يسمّونه أي الرافضي.

وكذلك كان يعتقد هؤلاء كلّهم بأنّ الواجب أن يعود الملالي إلى مدارسهم، وإلى حوزاتهم العلمية، وأن يقوم التكنوقراط غير المسيّسين بقيادة البناء في داخل إيران على أساس الديمقراطية كما يقولون، وعلى أساس البناء العام دون تسلّط جهة على جهة، لكن الخميني قضمهم جميعًا بعد أن امتطاهم. وللأسف راشد الغنّوشي مدح الخميني فيما ذمّه أهله عليه!

الغنوشي يمدح الخميني بأنّه استطاع أن يضع الجميع تحت إبطه –أظنّ هذه عبارته–. يعني هو يقصد أنّ هذا "الإمام" الخميني قد استطاع جميع القوى والأحزاب المعارضة من أجل الوصول إلى تغيير، ولكن لم يتابع الكلام كما قاله هؤلاء الّذين وُظّفوا بحيث انقلب عليهم، كيف يصبح هؤلاء الملالي الغلاة المتخلّفين قادةً فيسرقوا الثورة من هؤلاء الفاعلين!

هذه رؤيتهم جميعًا بأنّ الخميني سرق أحلامهم، وسرق أفكارهم، وكذب عليهم. وبازركان يصرّ قبل وفاته على أنّ الخميني كذب عليهم، ويقول لم أتصوّر أن يكون مُلّا بعمامة سوداء، أو بعمامة رجل دين أن يكذب، هذه صدمته.

طبعًا نحن عندنا كتاب سنأتي عليه إن شاء الله ونناقشه يتحدّث عن الثورة كما سمّاها صاحبها موسى الموسوي (الثورة البائسة) وهو من أفضل الكتب التي تحدّثت عن الثورة من داخلها. مع كتابيه الآخريْن: كتاب (الشيعة والتصحيح) مع كتاب (يا شيعة العالم استيقظوا) وكل واحد سنعقد له درسًا أو درسين.

لأنّي أعتقد كما قلت للأستاذ الشيخ المنتصر البلوشي أنّ شعار "يا شيعة العالم استيقظوا" يصلح أن يكون "يا مسلمي العالم استيقظوا"! وهو شعار لكلّ المسلمين بأن يستيقظوا، وحقيقة فيه كلام مهمّ ورائع وجيّد، ويصلح أن يكون مانفستو لحركة ما في طرحه. طبعًا أنا أجرؤ على هذا الكلام؛ لأنّه حتى المدرسة السلفيّة تبنّت كُتب موسى الموسوي، كونه حطّم الأسس الفقهية والعقدية عند المتشيعين في كتابه (الشيعة والتصحيح) حتّى صار سلفيًا أكثر من السلفيين أنفسهم في كتابه هذا! فهو ممدوح، وكتبه

هم الذين قاموا على نشرها وطبعها وتوزيعها.

ولكن الحديث عن عليّ شريعتي لا يوجد، ويوجد بعض الجهلة وبعض الخصوم ممن يقول ها هم يمدحون رجلًا شيعيًّا. الصحيح أنّ عليّ شريعتي وُظّف، وزعموا أنّ الثورة قد انطلقت من أفكاره كما يقول الخميني في بعض خطبه، وكما يقولها الخامئني في إحدى محاضراته، ويقولها غيرهم حتّى أحمد الخميني ابن الخميني كذلك قالها. وأنا أعتقد أنّ هذا توظيفٌ رخيصٌ، كما وظّفوا سيّد، يعني كان يقول بعضهم ويشيعون أنّ الثورة الإيرانية انطلقت من أفكار سيّد قطب!

تعرفون الشيعة يوزّعون لمن يريد؛ إذا جاءهم الإخواني قالوا نحن صناعتكم، وإذا جاءهم المفكّرون قالوا نحن صناعتكم، وهكذا. وهم في النهاية يقضمون الكعكة؛ حتّى ابتلعوها تامّة.

يعني الآن الذي يتحرّك سياسيًا وقياديًا وإداريًا في إيران هم الملالي، وحين يضعون أشخاصا كما وضعوا أحمدي نجاد، يضعونه فقط ألعوبة، وإلا فالباقي كلّهم ملالي، ويلعبون الأدوار، توزيع ما بين إصلاحيين وما بين محافظين. وهذه قضية نتركها لأهلها، ولكنّها بيّنة لكل من تابع.

عليّ شريعتي لا يوجد عنده شيء من التشيّع في كتبه، وأنا قرأت بعض كتبه الّتي تُرجمت مثل هذا الكتاب، وكتاب (هي فاطمة)، وكذلك كلامه عن (النباهة والاستحمار). وللذكر فإنّ عامة كتبه هي تفريغ لمحاضرات كان يقولها فتُفرّغ، أو أنها تُكتب فيلقيها على أتباعه وعلى مستمعيه كمحاضرة، وثمّ بعد ذلك تُجمع في داخل الكتاب. حتّى هذا الكتاب الّذي بين أيدينا وهو (العودة إلى الذات) هو مجموعة من محاضرتين له؛ العودة إلى الذات، والكلام عن المفكّر، هذا هو خلاصة ما يدعو إليه هنا.

فعليّ شريعتي لم يبق منه من التشيع إلّا الاستشهاد. وهذه النقطة هي من أخطائه ومن عوامل انتشاره في جانب. كيف من أخطائه؟ هو انطلق بتفعيل دور المفكّر، كما كان متأثرًا بالمدرسة الفكرية الّتي عاش فيها، كون عليّ شريعتي درس علم الاجتماع، وكانت رسالته في الدكتوراه عن علم الاجتماع الديني. فإذًا هو يؤمن بالدين، بلا شك أنه كان معتقدًا بالإسلام، كما يسمّيه في محاضرة له الإسلام

النبويّ أو الإسلام الحسيني أو الإسلام الفاطمي، يعني الشيعة قبل انحرافها، ويسمّي ما يقابلها من الانحراف بالإسلام الصفويّ.

والحقّ أنّه بلا شكّ أنّ الدولة الصفوية زادت وملأت وأغنت –بالمفهوم اللُغويّ– التشيّع بكل أبعاده المنحرفة. يعني أوصلته إلى قمّة الانحراف، وقمّة الغلو، حتّى قال سيدهم: ما كان غلوًّا عند أئمتنا صار ضرورة من ضروريات مذهبنا. هذا الذي صنعه التشيّع الصفويّ. والصفويّون هم أول من أنشأ قضيّة الضرب أخذا من المسيحيين الأرثوذكس في روسيا، وهي قضية التطنيب والضرب والإيذاء والضرب بالسكاكين وكذا، هذه كلّها دخيلة في الزمن الصفويّ. والكثير من العقائد التي قالوها هي من التشيّع الصفوي.

وهنا مدخل للّذي أريد أن نقوله: عليّ شريعتي الشيعة عنده هي فقط توظيف، باعتباره عالم اجتماع يريد أن يوظّف الدين. هل يؤمن بالدين؟ نعم، هو يؤمن، ليس على طريقة المفكّرين الإسلاميين المعاصرين كما تحدّثنا عن أركون مثلًا في درس فائت، أو كما يتحدّث عنه لويس عوض، أو كما يتحدّث عنه حسن حنفي؛ لا يعتقدون في الدين ولكن يعتقدونه ضرورة مهمّة للحياة موجودة لا يمكن الاستغناء عنها؛ لأنّ المجتمعات لم ترق إلى درجة الفكر المستنير، وعامّة الناس عوام، ولا يمكن صناعة الثورة والتغيير إلا من خلال استغلال دبّابة العوام، والعوام المحرّك الحقيقي لهم الدين؛ فبالتالي الدين هو الذي ينبغي أن يُوظّف اجتماعيًا للتغيير. هكذا هم يقولون.

هل يؤمنون بالدين؟ يقولون الدين ليس المهم البحث عن صوابه وصحّته على طريقة الوجوديين. والوجودية إمّا أن تكون مؤمنة باعتبار أنها تؤمن أن الله موجود وبعد ذلك تخلّى عن الوجود، وإمّا أن تقول بأن الله غير موجود ويسمّونها الوجودية الملحدة.

نحن أمام نفس قضية المفكّر المستنير المسلم. هناك من لا يريد أن يبحث قضيّة في حقّ الدين هل هو صحيح أم خطأ، يقول هو في النهاية رقم اجتماعي موجود، فلا يجوز أن نلغيه. وهناك أناس يقولون لا، الدين صحيح ولكن علينا أن نستغلّه. عليّ شريعتي من هذا النوع؛ هو يؤمن بالدين ويدافع عن الدين

دفاعًا صريحًا، وحاول -وهذا من ذكائه- أن يستغلّ الوجود الديني حتّى في مؤسّساته من أجل توصيل أفكاره.

يعني عليّ شريعتي أنشأ ما يسمّى الحسينية الإرشادية. وهذه لم ينتبه لها الكثير، لما رجع إلى إيران بعد أن كتب الدكتوراه أنشأ حسيّنية، بالرغم من أنّ فكرة الحسينية هي فكرة باطلة، هي فكرة ضالّة مثل الزاوية الصوفية. يعني هذه الحسينية والزاوية الصوفية في الحقيقة هي هدمٌ لرسالة المسجد، وهي توظيف مذهبي أو لنقل عَقَدي (الشيعية المذهبية والصوفية العقدية) توظيف لها من أجل خدمة مؤسسة؛ فهي سيّئة، ومع ذلك هو لم يناقش هذه القضيّة من أجل أن يهدمها. فالأصل أن يعود على فكرة الحسينية بالإبطال، وأن يعالج الحسيّنية باعتبارها فسادًا في داخل المذهب الشيعي وهي تمثّل التشيّع الصفويّ مقابل التشيّع الإسلامي. ولما نقول التشيّع الإسلامي على طريقته، لا نريد أن نظهر أفكارنا نحن وإنما نتكلّم عن معالجات.

فكان ينبغي له أن يتكلّم عن الحُسيّنيّة باعتبارها مظهرًا من مظاهر السوء، وأن يعيد الفعالية للمسجد. ولكن انظر إليه وباعتباره عالم اجتماع لم يأت إلى مقرّرات المجتمع ولا إلى تصوّرات المجتمع من أجل أن يهدمها، ولكن جاء إلى ما بناه المجتمع نفسه واستغلّه؛ إذًا هو يؤمن بتوظيف الدين.

وفي كتابه الأول (العودة إلى الذات) أو الوعي على الذات كما يصحّ أن يُسمّى كتابه كذلك، أنّه يريد أن يقول كلّنا باعتبارنا مفكّرين يجب أن نكون في صعيد واحد، حتّى لو اختلفت المنطلقات على أساس وحدة المسؤولية. وهذا انحراف كبير وقع فيه عليّ شريعتي ووقع فيه بعض المفكّرين المسلمين، كما وقع فيه مالك بن نبي. ولم يريدوا أن يعيدوا انطلاق الأمّة من أساس التديّن، وإنما أرادوا أن يعيدوا توظيف الأفكار من أجل إصلاح المجتمع، ولم يعودوا إلى الدين باعتبار أنّه هو الذي ينشئ المجتمع! هو لا يصلحه هو ينشئ المجتمع، وبالتالي ينبغي أن نعود إلى الدين ونصلح ما فيه من أخطاء من أجل أن يعود إلى الدين كما هو وكما أنزله الله، ليس باعتباره وظيفة وليس باستغلال ما فيه.

يعني ما الذي جعل الحركات الصوفية تمشي خطوة في الحركة كما مشى المفكّرون تمامًا؟ يعني لما تريد

أن تعرف ماذا حقق المفكّرون المستنيرون قارنهم بالصوفية! الصوفية مَشت ضدّ الاستعمار وقاتلت، ولكنّها لم تواصل الرسالة. والسبب وجود التعوّق، ووجود الفساد في داخلها في فهمها للدين نفسه. صحيح ممكن يأتي أحد ويقول أنّ سبب الهزيمة عسكري، مثل عمر المختار مثلًا. يقول عمر المختار – وهو صوفي سنوسي– أنّ سبب الهزيمة كان عسكريًا وليس بسبب الأفكار الّتي يحملها.

ويمكن كذلك أن يقول قائل بأنّ حركة المهدي ضدّ الآنجليز ومقتله على يد الجنرال غوردون كان بسبب القدرة العسكرية الهائلة لدى الخصم المستعمر ضد هذه الطوائف. لكن كذلك كان هناك ثمَّة تعوّق داخلي في هذه الحركات، وهذا التعوّق الداخلي سببه عدم قيام هؤلاء بتصحيح الدين، وعليّ شريعتي من هؤلاء، يعني لم يوجّه اهتمامه إلّا لمسائل خفيفة من أجل إصلاح الدين، وليس من وجهة معالجة الأفكار نفسها، ولكن بمعالجة الظواهر المتعلّقة بها. ما معنى هذا الكلام؟

يعني هو لما يتحدّث عن الشيخ النجم، وعليّ شريعتي بلا شكّ رجل ذكيّ، وذكيّ جدًا. يعني لو أردت أن تقول أنّه من أذكياء هذا العصر لأصبت في هذا. وهو في الحقيقة يتكلّم عن قضايا وظواهر ما زلنا نعيشها. يعني يتكلّم عن عولمة الثقافة، وهذه العبارة أو هذا الموضوع موجود بعدم الظهور وعدم البيان، لكن هو أظهره وبيّنه أنّ عولمة الثقافة إحدى جرائم المستعمر. الكلام عن الشيخ النجم هذه لم نكن نسمعها، يسمعها المعاصرون الآن. الشيخ النجم صناعة فلان وفلان، الذي يأتي ويتكلّم كممثّل وكمغنّي، فالناس يذهبون إليه من أجل أن يسمعوا له للمتعة، وليس للالتزام. كلام جميل، وحلو، فنذهب على المحاضرة وننظّف أنفسنا في هذه المحاضرة، ونسمع أفكارً جميلة، مثل المسرحية أو مثل الممثّل ومثل المغنّي، فنخرج من غير التزام. هو يتحدّث عن هذه الظاهرة "الشيخ النجم".

ويتحدّث عن رجال الدين ودورهم في شرعنة الانحراف، وهو عدوٌّ للمشايخ في هذا الباب. فحين يتحدّث عن التشيّع الصفوي يتحدّث عنه باعتباره ظاهرة منتكسة إلى الداخل على طريقة الصوفية، وعلى طريقة استغلال المستعمر والطاغوت والمستبدّ لها، والمستثمر لقدرات الأمّة لها، لكن لا يعود إلى الأفكار نفسها، ولا يعود إلى التشيّع نفسه.

حتى هذه الكمّية من المعارضة السطحية له للتشيّع، لم تجعله بريئًا من التهمة؛ وبالتالي تحالف ضدّ عليّ شريعتي الشاه الذي بلا شكّ كان يرى أنّ عليّ شريعتي ودعوته الثورية والآنقلابية والتغيريّة إلى آخره كان يراه خصمًا؛ وبالتالي سجنه، ثم نفاه إلى باريس وهناك مات. لكن ممّا يكذّب كل من تكلّم اليوم عن علي شريعتي حتّى الّذين زعموا أنّه منهم أو أنّه فجّر ثورتهم لا يذكرون أنّ عليّ شريعتي تحالف خصومه الملالي مع الشاه ضدّه! وأنّ قبول المجتمع لنبذه كان بسبب تحالف الملالي.

الملالي هم الّذين ناصبوه العداء وحاربوه، وجعلوا منه هدفًا لسهامهم وضربهم؛ فاتُّهم بالوهابية، واتُّهم بأنّه سنيّ، واتُّهم بأنه عميل، واتُّهم أنّه يريد اختراق المذهب، وأنّه يريد تبديل المذهب، إلى غير ذلك من الاتهامات التي أُنشئت. وبالتالي للأسف الذين يتكلّمون عنه يتكلّمون عن ثوريّته، ولا يتكلّمون عن خصومه؛ لأنّ بحث خصوم عليّ شريعتي سيؤدّي إلى توجيه التّهمة إلى أمثال الخميني الذي زعم أنّه منهم! وأنا أقول دائمًا بأنّ استغلال عليّ شريعتي لاسمه بعد الثورة هو من الأكاذيب.

والملالي صحيح ثبت أنّهم جهلة في كل شيء، ومن استهزاء علي شريعتي بالمشايخ قال كان عندنا شيخًا –وذكر اسمه مُلّا من الملالي– يقول لنا ونحن صغار ممّا يدلّ على اعتناء الله بنا وعلى خصوصيّتنا في الوجود، وعلى دور المذهب في رفعتنا في العالم؛ أنّ الله سخّر لنا الكفار يذهبون إلى المناجم، ويتعبون، ويموتون، ويصنعون لنا السيّارات، ويقدّمون لنا السيّارات في داخل مغلّفات منمنمة جميلة إهداءً لنا، يعني الله سخّرهم لنا. فهو يتكلّم على الغباء هذا.

وكما يفعله بعض المشايخ أيضًا، يأتي شيخ يقول نحن يأتون إلينا ويقولون فلان وصل إلى القمر ونحن نصل إلى ربّ القمر! هذا نوعٌ من أنواع المخدّرات. هو يحشّش ولكن تحشيش فكري! وأفيون فكري! هذا الكلام هو إعطاء نوع من أنواع التخدير، وهذا الذي سمّاه عليّ شريعتي "الاستحمار"، وفي كتابه هذا يقول داؤنا الاستحمار ثمّ الاستحمار. وفي كتاب آخر يقول داؤنا الاستحمار والاستبداد والاستثمار.

فثبت أنّ الملالي من الخبث والشيطنة بحيث استطاعت هذه الشيطنة المشيخية في ملالي إيران أن

يضحكوا على المفكّرين وأن يضحكوا على السياسيين! بازركان سياسي قديم عتيق، والصدر سياسي قديم عتيق، وهكذا، ولكن كلّهم امتطاهم المشايخ! ولما وصلوا إلى البحر وأخذوا القيادة وُضعوا في السجون وقُتلوا وضُربوا وراحوا وانتهوا. مما يدلّ على أنّ هؤلاء الملالي بالفعل تجّار وأذكياء.

والآن انظر إلى صراعهم –وأنا أقول فيه جزء من الحقيقة– انظر إلى رعايتهم لقضيّة الحرب السياسية بينهم وبين خصومهم، وإدارتهم للخصومة. تصوّر الملف النووي له كم سنة؟! أكثر من عشر سنوات، يديرونه بذكاء. دلّ على أنّهم يعرفون كيف يلعبون لعبة الإصلاحيين والمحافظين. يعني لا يشبههم في هذا إلّا اليهود في ذكائهم الشيطاني وخبثهم!

القصد هل بقي عليّ شريعتي شيعيًا؟ هو لا يبحث هذه القضيّة؛ لأنّه ليس عالم دين، ليس مثل موسى الموسوي، فذاك رجل مُلّا. ففي النهاية وصل لدرجة من القناعة أنّ هذه الممارسات العقدية الشيعية والممارسات التعبّدية الشيعية النُسكية والممارسات المشيخية مثل أخذ الخمس، ومثل المتعة وغيرها، هي قضايا دخيلة على الدين الإسلامي بكلّ مذاهبه! عبادة القبور دخيلة على الإسلام سواء كان إسلامًا شيعيا أو إسلامًا سنيّا. ولكنّ الدكتور عليّ شريعتي في كلّ كتبه لا يمسّ هذه القضايا وإنّما أتى إلى التشيّع كما هو في بلده فأثبته، ولكنّه أراد أن يقول بأنّنا يجب أن نفعّل هذا الدين تفعيلًا يؤدّي إلى تحمّلنا للمسؤولية من أجل بناء أوطاننا والوقوف ضدّ الاستعمار.

هذه الخلاصة، فلا ينبغي لأحد أن يقول هو شيعي. هو مفكّر لا يعنيه هذه الأمور، وإتيانه للتشيّع باعتباره مادّة من مواد المجتمع الّذي عاشه بتفعيله من أجل تحقيق التقدم والرّقي ومصارعة الأفكار الدخيلة الّتي انتبه لها عليّ شريعتي.

خلاصة هذه الفكرة عند عليّ شريعتي تلتقي مع كلمة "توتو". "توتو" هو قسيس جنوب أفريقيا الّذي كان معارضًا للفصل العنصري، بالرغم أنّه قذر في عدائه للإسلام وفي تعصّبه للنصّرانية، وأخذ بعد ذلك جائزة نوبل للسلام، في مذكّراته يقول بأنّ الغربي جاء إلينا –ومن هنا تأتي كلمة "العودة إلى الذات"، وطبعًا هذا كلام عليّ شريعتي قبل "توتو" يقول بأنّ "الغربي جاء إلينا بالآنجيل فأعطانا الآنجيل

وأخذ منّا الأرض". جعلنا نصارى ولكن أخذ منّا الأرض؛ أخذ منّا الثروات، وأخذ منّا حرّيتنا، وأخذ منّا بلادنا، وأعطانا الآنجيل!

كان يدرك عليّ شريعتي بأنّ الأفكار الغربية المتمثّلة بأدنى صورها وأعلى صورها؛ أدنى صورها حتّى اللباس، لمجرّد أنّك تلبس لباس الثقافة الغربية قد صرت خادمًا له، وخادمًا لمشروعه. الأفكار عند شريعتي هي خادم للمشروع. وهو يريد أن يقول فلنجعل مناهجنا وديننا وواقعنا خادمًا لنا في مشروعنا ضدّ الخصم.

يقول أنّ الغرب لا يمنع الأفكار الجميلة أن تنتشر فيه، ولكنّه في النهاية يستخدم ثقافته؛ من أجل الاستعلاء على الآخر من أجل غلبته، فلنستخدم نحن أفكارنا الذّاتية من أجل الوقوف أمام الخصم وتحقيق استقلالنا. ومن هنا هو يمدح كثيرًا صديقًا له وربما لا يعرفه الإخوة ولكنه شُهر في وقت من الأوقات وهو فرانس فانون صاحب كتاب (المعذّبون في الأرض). هذا الرجل صحيح تجنّس بالجنسية الفرنسية، وهو من إحدى الجزر المستعمرة من الفرنسيين وكان يعيش في فرنسا، وذهب إلى الجزائر ورأى ماذا يفعل المستعمرون الفرنسيون في الجزائر وكذا، وألّف كتابه الشهير (المعذّبون في الأرض). وكان له دورٌ في فضح الممارسات الاستعمارية.

فهو يقول بأنّنا كلّنا معنيون بهذه العودة، العودة إلى الذات، أي أنّنا علينا أن نبني أنفسنا بناءً ذاتيًا من خلال قيمنا. وهو هنا لا يريد أن يبحث أنّ قيمنا خيرٌ من قيمهم، كما يريد الدين أن يطرح نفسه.

ولذلك هو يقول ما فيه شيء اسمه إلحاد، هناك ملحدون، ما فيه شيء اسمه الدين هناك أناس اسمهم متديّنون. وهنا يأتي الخطأ الأكبر الّذي يرتكز عليه أمثال عليّ شريعتي من المفكّرين؛ أنّهم ينظرون للدين أنّه نافع، وبعضهم يؤمن به وبعضهم لا يؤمن به على ما قسّمنا من التقسيمات.

إذًا هو يقول علينا أن نعود إلى الذات، علينا أن نبني أنفسنا من خلال قيمنا وثقافتنا، ومن خلال أفكارنا، ومن خلال مناهجنا؛ من أجل صناعة الأمّة الّتي تجابه الغرب. ولأيّ درجة؟ هو في هذا

متطرف سلفي مثلنا، يعني لا يقبل من الغرب شيئًا! وهذه تُحسب له، أنّه سلفي في هذه النقطة، وأنّه لا يقبل ما يُسمّى باشتراك المئذنة على طريقة الغنوشي. مرّة عمل مؤتمرًا في بريطانيا من أجل الإسلام والعصرنة، فرفعوا صورة مسجد وصورة دولاب، فالدولاب يأتي من الغرب، والمسجد يأتي من عندنا؛ فاتحاد الروحانية مع المادية! وهذه الطريقة موجودة، ويؤمن بها الكثير من المفكّرين، بأنّنا بحاجة للغرب ليصنع لنا ماديتنا، وبحاجة إلى الشرق من أجل أن نصنع خصوصيتنا! وعليّ شريعتي يرفض هذا رفضًا مطلقًا.

ولذلك هو يقول اتركوا الغرب بخيره وشرّه –وهذه أنا أضعها مني من أجل أبيّن فقط–، ويمدح إلى درجة التطرف في إنكار الغرب؛ الغرب هو حالة استعمارية مطلقة، يجب علينا أن ننبذها وأن نتركها. يتكلّم عن قضيّة المؤسّسة الغربية.

وطبعًا هو له صداقات، ومعجب بجان بول سارتر باعتباره وجوديًا، مدحه وترجم له بعض الكتب، وبعض الرسائل مثل رسالة (المثقّف)؛ لأنّها تخدمه. وأنا قلت في درس فائت بأنّ مشكلة المثقّف وفاعليته في الوجود شغلت الكثير؛ شغلت ماركس، شغلت جان بول سارتر، شغلت إدوارد سعيد، وكذلك شغلت الشيخ شاكر.

إذًا هذه خلاصة ما يريده في كلّ استخدامه لأدواته. وكلمة "استخدامه لأدواته" عليّ شريعتي واضح جدًّا أنّ أدواته المعرفية هائلة جدًّا، لكنّها ليست في الدين! الأدوات المعرفية لديه كونه عالم اجتماع، وأنت تعرف عالم الاجتماع هو عالمٌ جمّاعٌ! حتّى تدرس المجتمع تحتاج إلى قراءة تاريخه، وإلى قراءة المؤثّرات فيه، وإلى قراءة الاقتصاديات فيه، وإلى قراءة دينه، وإلى قراءة لغته، وإلى قراءة تركيبته الاجتماعية؛ فهو دراسته الجامعية تعلّقت بعلم الاجتماع الديني، يعني أثر الدين في علم الاجتماع، فاعلية الدين في المجتمعات وفي تثويرها.

ولذلك الذي يقرأ لعلي شريعتي بحاجة إلى قاموس يبقى معه من أجل أن يفسّر له؛ عندما يتحدّث عن سارتر، عن فرانس فانون، عندما يتحدّث عن دي شاتل البرجوازي وماذا يقول، عندما يتحدّث عن

أسماء خطيرة، ويتحدّث كذلك عن مصلحيين إيرانيين؛ يتحدّث عن عمر الخيّام، يتحدّث عن جلال الدين مولانا -كما يقولون-، جلال الدين الرومي وهو يؤمن بوحدة الوجود، وصاحب الطريقة المولوية. ويتحدّث كذلك عن بازركان، وهكذا.

فهو يحمل كمًّا هائلًا من المعرفة الثقافية ليخدم فكرته، وهذه خصوصيّة له. وأنا مرّة جلست بيني وبين نفسي أقول من يشبهه فينا، ووجدت بأنّ طريقته في قضيّة الطرح -مع التميّز عند الآخر- تُقارن بمحّمد قطب في طريقة طرحه، وفي طريقة توصيفه للظواهر الصغيرة من أجل تعميمها، وهو ما يُسمّى قياس التمثيل. يعني التمثيل من أجل أن يدلّنا على الشمول. فهو يشبهه في هذه المعرفة الهائلة الّتي يوظّفها لأفكاره.

وهذه طريقة جميلة جدًّا، وأنا أحضّ طلبة العلم عليها؛ لأنّه مرات الفكرة ذاتها لا تعني شيئًا، وإذا دقّقت فيها تجد أنّه لا قيمة لها، فأين يأتي الجمال؟ الجمال في الأطراف الّتي تُشرح.

يقول ناصر الدين الأسد عن كتاب في الشعر الجاهلي لطه حسين: "إنّ طه حسين يستخدم الأدوات الّتي تُبهرك وتعميك عن رؤية قوّة هذه الأدلّة من أجل صناعة الفكرة". يعني رجل عنده صوت عال، فالصوت العالي يجعلك مقتنعًا دون أن تناقش الفكرة. فنفس الشيء يقول: "لو أزلنا هذه البهارج، وجمال العرض، وجمال العبارة، والتسويقات، والمؤثّرات غير الموضوعية الأخرى المحيطة بها؛ فإنّا لو جرّدنا الكتاب عن هذه المؤثّرات لما اقتنع بها طالب علم في التوجيهي". ولكن أنت الذي يهمّك الجمال الّذي يدور حولها.

وهنا يأتي دور الثقافة العامة المتّسعة الّتي تخدم الفكرة، وتجعل الآخر يستفيد حتّى ولو لم يقتنع، في النهاية وجد مادّة أنت تطرحها. وفي الحقيقة عليّ شريعتي في هذا أستاذ، خاصّةً في هذا الكتاب، وهو أفضل كتاب له، وأوسع كتاب له وإن كان حتّى ألّف قصّة ومسرحية.

فهذا الكتاب يدلّ على هذا الاتّساع الهائل في قراءته لتاريخ الفلاسفة عنده، وتاريخ الشعراء، وقراءته

للفكر الغربي وهو متبحّرٌ فيه، وحتّى في كتابه هذا ناقش ما يُسمّى الأيدولوجية الماركسية، يعني حاول أن يجرّد الماركسيين من فهمهم للماركسية، وبلا شكّ أنّه استخدم أسلوب الالتواء! والفلسفة الماركسية هي أيدولوجية؛ لأنّه لما يصل لدرجة أن يجعل ارتباطها بالتاريخ، وحركات التاريخ، والحتمية التاريخية؛ فلم تعد مجرّد رُؤى واستنتاجات، وصارت شيئًا مرسومًا حتميًا أنت تملكه. ولكن هذه المناقشة في آخر الكتاب -وهي مناقشة ممتازة أنصح بقراءتها- حين يناقش الماركسيين، يقول لا يوجد شيء اسمه أيدولوجية ماركسية! وكأنّه يريد أن يقول إنّها صُنعت من أجل خدمة الحزب والمؤسّسة التي تبنّت الماركسية، وهذا شيء معروف.

الأمر الّذي يهمّنا كذلك في قضيّة عليّ شريعتي أنّ فهمه لدراسة الظواهر الكبيرة الّتي يعيشها فيها شيءٌ من الغَبَش. وهذه يقع فيها أمثاله ممن فقدوا معايير الحكم القرآني على الحوادث! هذه قضيّة أرجو أن نعتني بها قليلًا لأنّ هذه نحن بحاجة إليها. اليوم ربّما يكون الكلام مختصرًا كثيرًا؛ لأنّ هذا الكتاب كلّ صفحة فيه أفكار متعدّدة، فمن الصعب أن نجمّع لكثرة وتشتّت الأفكار. لو أردت أن تقول ما في الكتاب؟ أقول لك هو يتحدّث عن العودة إلى الذات كما شرحت، ويتحدّث عن المفكّر الملتزم بغضّ النظر عن عقيدته، وبغضّ النظر عن دينه وعن إلحاده إلى آخره. هذا ما يريده الكتاب وخلاصة ما فيه، لكن الكتاب ليس ذلك فقط.

عليّ شريعتي وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه مالك بن نبي تمامًا. نحن قلنا وإن كنا لم نأت بعد لمناقشة مالك بن نبي في كتاب خاص له، لكن لما قرأنا كتاب (الفكر الإسلامي المعاصر) لغازي التوبة، رأينا نقده وإن كان ليس كبيرًا لأنّ الكتاب ليس لهذا، وإنما هو ينشئ –الأستاذ غازي التوبة– علامات في بيان الانحراف. وهكذا نجد حتّى بعض المسلمين في قراءتهم للواقعة، وهذا نحن وجدناه عند جماعتنا لما دخل صدّام الكويت، وظنّوا أنّ بداية النهضة وبداية التغيّر وبداية حركة الإسلام نحو الإصلاح ونحو التغيير بدأ بصدّام! وسيأتي غيره، كما يقول البعض الآن في أردوغان!

عليّ شريعتي يرى كما يرى مالك بن نبيّ لما قرأ ظاهرة باندونغ وهي حركة عدم الآنحياز الّتي أنشأها

عبد الناصر وتيتو ونهرو، فجاء المسكين مالك بن نبيّ منبهرًا وعدّها أنّها المشروع الإسلامي العظيم الّذي سيجعل هناك قطبًا ثالثًا يعادل القطبين الموجودين على الواقع؛ القطب الرأسمالي، والقطب الشيوعي، وأنّ حركة الإسلام ستبدأ من هنا، والآنطلاق، والثورة، وكذا، وبدأ يدرس بعض الظواهر البسيطة في قضيّة التصنيع وبناء السدّ العالي وغيره، نفس قضيّة علي شريعتي لما حصلت الثورة الجزائرية وحصل الاستقلال وبدأ يبشّر أنّه من هنا نبدأ! انبهر بها وحركة التحرّر في أمريكا الجنوبية والاستقلال والثورة ومن هنا ستنتهي عصور الإمبريالية، وهكذا.

ونحن أيضًا وصلنا إلى نفس الشيء واعتقدنا أنّ صدّام سيحقّق، ومرة من المرّات بعض المسلمين اعتقدوا أنّ عبد الناصر سيحقّق، وهكذا.

وهذه كلّها منشؤها عدم وجود الحكم القرآني لهذا الحدث. وأنا لا بأس من حقي أن أستغل هذه الفكرة لشرح فكرة كما رأى بعض المشايخ الّذين ظنّوا أنّ القفز إلى المسرح جاء دوره لهم في قضيّة الخلافة مثلًا! نفس القضيّة، أنّ الناس لقوّة الآندفاع الأولى تحقّق الآنبهار، وتسرق الأضواء والآنظار والأعين؛ بحيث المفكّر يحاول أن يجعل أفكاره العظيمة مختزلة في داخل هذه التجربة لتحقّق الآنطلاق لهذه الأمّة.

من أين ينشأ هذا الخطأ؟! لماذا تتكرّر هذه الصورة وستتكرّر؟! كما رأينا كانت الصورة إنسانية مثلًا عند مالك بن نبي ولم ينظر إلى الدين، لما حكم على مؤتمر باندونغ والفكرة الإفروآسيوية. ما حكم بالدين، وحكم باعتبار إنساني وأنّها حركة إنسانية، إلى آخره. نفس الشيء عليّ شريعتي لما نظر إلى ثورات أمريكا الجنوبية.

أوّلا خطأ هؤلاء مبناه على عدم القراءة القرآنية لهذه الظواهر. والقراءة القرآنية تعيد المسألة إلى بناء الدين، والدين الصحيح وليس الدين النافع!

وأنا أعجبني هنا عليّ شريعتي في شرحه ما هو دور المثقّف، لما أراد أن يشرح دور المثقّف قال هو

دوره أن يصنع آليّات تحريك الوعي. هذه كلمة كبيرة! فليس دور المفكّر أن يضع الأفكار! عند الناس دور المفكّر أن يصنع أفكارً عظيمة ثم يأتي التكنوقراط فيصنع لها الأرجل لتمشي. هو يقول لا، دور المفكّر أن يصنع للوعي الكبير العام أرجلًا تحرّكه. هذه نقطة مهمّة! هذه إذا طبّقناها على مفكّري العالم العربي كلّهم تضعهم في داخل شوال وترميهم في أقرب مزبلة!

لأنّه لا يوجد عندنا مفكّر إلّا بعضهم من غير المسلمين أتكلّم دخلوا أحزابًا وصنعوا لأفكارهم أرجلًا. قليل! عامّة المفكّرين وما يُسمى مفكّرًا عندنا يصنع أفكارً ويطلق وعيًا عامًّا ثم يقول يا رؤساء الأحزاب أنتم ضعوا لها أرجلًا تمشي عليها، وأنتم اصنعوا لها وقائع مادية تحقّق فعاليتها على الأرض. عليّ شريعتي يقول لا، دور المفكّر أن يصنع للوعي العام فعالية على الأرض.

ومن هنا دوره في الذهاب للحسيّنية مع ملاحظة ما تكلّمنا عليه. صنع حسيّنية، يعني أراد أن يذهب إلى الواقع فيشغّل هذه القوى الفاعلة في المجتمع، وأن يصنع منها حركةً ما. هنا تنشأ خطورته. وتحالف العلمانية (الإمبريالية) المتمثّلة بالشاه مع الملالي صريحة وواضحة في قتل عليّ شريعتي!

نرجع إلى موضوعنا، إذًا أين خطأ هؤلاء في تعظيمهم لهذا الدفقات الأولى القويّة؟ أنهم ما نظروا لفاعليّة الإيمان، والإيمان بمعناه الصحيح؛ فيجب أن تأتي بالإيمان الصحيح القرآني، ولا يكفي أن تقول فاطمة هي فاطمة؛ لأنّ له كتاب اسمه (فاطمة هي فاطمة). ولا يكفي أن تقول أنا نموذجي في الحركة والتثوير هو الحسين في الثورة، هذا ليس كافيًا، هذا يمشي بك كما مشت الصوفية مسافةً قصيرةً في حركة التحرّر لكنّها لم تواصل، ولم تحقّق النصر النهائي.

يعني الصوفية استُغلّت ومشت، ولكن لم تصل إلى النهاية. يمكن أن تقول بسبب الضعف العسكري، ويمكن أن تقول المجتمع لم يتفاعل معها. تعال كذلك لحركة أحمد عرفان الشهيد نفس الشيء، لم تحقّق النموذج الكامل لها للغلبة العسكرية أو لعدم تجذّرها في داخل الشعوب؛ فتحالف الصوفيّة مع الآنجليز ضدّ حركة إسلامية بعثية آمنت بانبعاث الأمّة، وبناء الأمّة على مستوى الدولة. فيمكن أن تقول هذا، لكن في الحقيقة هذه الأفكار بذاتها لا يمكن أن تمشي طويلًا حتّى لو صنعت مقدار القنبلة النووية في

ابتدائها!

أنا أتكلّم الآن باعتبار تاريخي، لكن لو واحد مثلًا جاء ونظر إلى فكرة الأفروآسيوية، ومالك بن نبيّ وقال انظر ما الذي بقي؟ هنا في حركة عدم الآنحياز قطب جديد يريد أن يقف أمام الرأسمالية وأمام الشيوعية. ولا يعرف أنّ أغلبهم اشتراكيّون! ولكن هو استقطاب سياسي. ويقول انظر إلى الصناعات الّتي تتحقّق، وانظر إلى السدّ العالي، وانظر إلى حركة الناس، وانظر إلى الصراع الّذي بدأ والعالم يخاف منه!

يعني لو جئنا إلى الصّحافة الغربية عندما كانت تتحدّث عن ناصر -كما يسمّونه، وهو العبد الخاسر، أو كما يسمونه الخالد أو الخالد في جهنّم- عبد الناصر كيف كانت تتحدّث الصّحافة الغربية عنه؟ تقول إنه المهديّ!! حتى للذكّر أنّ طائفة الدروز اعتقدوا لوقت أنّ عبد الناصر هو الإله الجديد المتأنّس! واحد من دار بلّان درزي كان يبشّر أنّ عبد الناصر هو الإله الجديد المتأنّس بعد الحاكم بأمر الله الفاطمي. وبالتالي لما عبد الناصر أنشأ الوحدة مع سوريا ظنّوا أنّه سيعطي الإمامة للدروز؛ لأنّ عندهم الجهّال لا قيمة لهم والعقّال هم الّذين يستلمون، فذهبوا كلهم واشتروا طرابيش العقّال حتى يُعطوا الإمامة! فلهذه الدرجة وصل الإيمان به!

فيأتي مالك بن نبيّ يقول هذا هو بداية الآنبعاث! ونفس الشيء عليّ شريعتي يقول هذا بداية الآنبعاث. والسبب أنّه لم يُنظر إلى قاعدة القرآن في قضية التغيّر.

نفس الشيء عندنا الآن لما طلعت دولة وبدأ الآنسحاق والتقدّم والآنبهار والكلام عليها. حتّى بعض الناس يقول جاؤوا بكلام أنا أوّل مرة أسمع به ولم أجد أحدًا ينسبه لكتاب إلّا كلمات عامّة، قالوا للشافعي كيف نعرف الحق؟ قال انظر أين الكفار يسبّون تعرف أين الحق! فهذه لو طبّقناها زمن عبد الناصر لخرج، ولو طبّقناها زمن صدام لخرج.

وأنا زارني جماعة من المفكّرين في وقت من الأوقات من أجل مؤتمر أسموه "استسقاء النصر والشهادة"

فعامّة النقاش وكلّ عمادهم أنّ صدّام هو الحق! انظر هذا الهجوم الخطير من الغرب عليه، والخوف الشديد من تجربة عبد الناصر وخوف الغرب منه. هو فقط هكذا، نفس الحاجة تجد الشباب المتديّن؛ لأنّ التجارب تتكرّر لكن بغلافات متغيّرة والداخل واحد: فساد، ضلال، عدم اهتداء بالكتاب والسنّة، إلى آخره. لكن الغلاف مختلف: واحد مكتوب دين، واحد مكتوب قومية، واحد مكتوب أممية. وكل واحد له شيء، ولكن الداخل وسخ واحد.

وأنا أقول لهم أي انحراف هذا فيقولون انظر إلى خوف الغرب منه! أحضر لك الصحافة ماذا تقول عن صدّام حسين؟ وكلّ هذا الخوف وتريد أن تقول هو لا شيء وهو هباء وهو على قاعدة فقّاعة؟! وهذه كلمة ليست جديدة وإنّما هي كلمة قديمة. حتّى قلت لأحد الإخوة هذه مثل حبوب الفياجرا تعطي بعض النشاط الشديد وبعد ذلك تؤول إلى الخسارة وتؤول إلى الذهاب والتعب! لأنّها مناقضة للسنة، ومناقضة لطريقة القرآن، ومناقضة للحقّ الذي جاء به القرآن، ومناقضة لمفهوم الإيمان. فأحدهم علّق قال حبّة الفياجرا كبيرة شوي يا شيخ. لا يعرف أن ما مرّ هو أكثر، يعني يتكلّمون عن سنتين أو ثلاث أو خمس، هذه مرّت عشرة أو خمسة عشر سنة إلى آخره ومع ذلك كانت هباءً ولا قيمة لها.

يعني الآن لو جئت للرافضي وقلت له ما دلائل أنّكم على الحقّ؟ يقول نعم هذه دولتنا موجودة على الواقع، العالم كلّه ضدّها وهي تمشي بتوافق. والآن نحن نحكم أربع مدن عربيّة: اليمن، والعراق، ولبنان، وسوريّا. متى كان هذا لنا؟ متى كانت دولة شيعية بمثل هذا الاتّساع؟ وهذا الصراع كلّه في مصلحتنا! لو كان الحكم عندك ينبع بمثل هذه الوقائع لسلّمت له أو انقطعت حجّتك.

نفس الشيء هذا وجدته حتّى عند الجماعات. في نقاش مع أحد الإخوة جزاه الله خيرًا وكان نقاشًا ممتعًا، التبليغي عندنا يعتقد بأن حركة الوجود مربوطة بحركة رجلي جماعة التبليغ في الأرض، والوقائع تنصرهم مثل نصرة الروافض، نفس القضية. كيف؟ يقول دخلت جماعة التبليغ إلى أفغانستان وضُربوا وطُردوا ولم تنتشر. وبالفعل أنت لو نظرت إلى جماعة التبليغ في شبه القارة الهندية وما حولها تجدها منتشرة في الهند بكثرة، في باكستان بكثرة، في بنغلاديش بكثرة، أمّا في أفغانستان فلا وجود لهم.

مساكين، كالفقير المتسوّل على موائد اللئام ما فيه أحد! يقول وإنّ ما وقع من البلاء على أفغانستان لرفضهم الدعوة إلى الله! وانظر إلى البلاد الّتي ليس فيها دعوة: ليبيا منعت الدعوة فانظر إلى ما آلت إليه! تونس منعت الدعوة فانظر إلى ما آلت إليه! سوريّا منعت الدعوة، وهكذا.

نفس الشيء عندنا يقولون كلّ التجارب التي قمتم بها هذه النتيجة، فكل تجاربكم خطأ. هو لم يُمتحن، ففي النهاية ما اختاره هو الصحيح. ونفس الشيء نحن انتصرنا، نحن فعلنا، نحن حقّقنا، انظر إلى هذا الدفق القويّ الّذي تحقّق خلال شهور! هذا منطقهم، وهذه منطقة الغباء فينا. منطقهم لكن توافق منطق الغباء في الأمّة، والأمّة الّتي تُسرق من خلال الآنبهار لا يمكن أن يتحقّق بها الوعي.

ومن هنا لا بدّ من العودة إلى الوعي كما يقول عليّ شريعتي. ولكن هناك بعض الناس عندهم الوعي هو فقط النماء الذهني العقلي مع أرجل مثل عيدان الكبريت! يعني عنده وعي مثل قبّة المسجد الأقصى كبرًا لكن رجله مثل الكبريت! عنده وعي كبير ولا يقوم إلى صلاة الفجر! هذا وعي لا يصنع حركةً ولا تغيّرًا في العالم.

أين الخطأ عندهم؟ هو هذا، أنهم لم يقرؤوه قراءة القرآن، ولم يحكموا عليها حكم القرآن. هم نظروا إليها باعتبار آليّتها ونظر الغرب إليها، والغرب يخاف منها ويقاتلها! لكن أين فهمها للقرآن؟ أين فهمها للسنّة؟ أين فهمها لسنّة الأنبياء؟ أين فهمها لسنن التاريخ؟ هذا لا يهمّهم، المهم أنّها الآن موجودة، وقويّة، ويجب أن ندعمها، ولا بديل لنا إلّا أن نمشي في ركابها. هذا للأسف وقع فيه الدكتور علي شريعتي.

النقطة الثانية: من يقرأ هذا الكتاب يصل إلى نتيجة مهمة، يعني هذا من الإيجابيات لهذا الكتاب. وبعد المحاضرة ضعوا ما قيل من إيجابيات وما قيل من سلبيات ويعود الأمر إليكم.

هو يتكلّم عن ذهابه سنة ٥٩ لفرنسا، وتكلّم عن هذه الحركة الثورية في داخل فرنسا؛ أناس بثقافة معيّنة، المفكّرون يقومون ضدّها، وحركة ثقافية قويّة، السؤال أين هذه؟ هذه تؤدّي إلى أنّه ينبغي أن ننتبه

إلى شراسة المؤسّسة! نحن لسنا أمام مجموعة أفكار تتناظر، لكنّنا أمام مجموعة قيم مهما كانت وأفكار رؤيوية رائعة مهما بدت، ماذا يقابلها؟ يقابلها مؤسّسة ساحقة، تملك العسكر، تملك المال والاقتصاد، وبعد ذلك تملك الدعاية! والغريب أنّ الدعاية الّتي تملكها المؤسّسة دعايةٌ ساذجة ومكرّرة إلّا أنّها في النهاية للأسف فيها فعالية كلّ أفكارك! كلّ أفكارك تصبح ضعيفة هشّة أمام الدعاية المبنيّة على الكذب والمبنيّة على ما يسمّيه الاستحمار، أي إغفال العقلانية والوعي والاستمراريّة. والعجيب أنّها نفس الآلة، ونفس الأدوات، وفي كلّ مرّة تمارس نفس العبارات وتنجح أمام مقدار كميّة الوعي المقاوم لها!

يعني أنت تتعجّب، هذا من سنة ٥٠ والناس يقولون عنه وهّابي، نفس العبارة! أنا أريد أن أتكلّم عن البناء الديني حتّى تقبله. نفس العبارة، هذا يريد أن يصلح الشيعة إذًا هو وهّابي! موسى الموسوي ظهر بعد الثورة الإيرانية في ٧٩ وبعدها تقريبًا بأربع سنوات أو بخمس سنوات بدأ يكتب في الكتابات ونفس القضيّة ما التهمة؟ وهّابي! فأي إصلاح هو وهّابي!

وهذه نفس الكلمة استخدمها الآنجليز ضدّ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: وهّابي! وأنا أقول والله إنّ الّذي خطب به بوش هو عين ما خطب به نابليون بونابرت لما دخل الأزهر، وبتمام الألفاظ! يعني تقول هو بالفعل فتح الكتاب وما زاد إلا أنّه فقط نقل العبارات وغيّر الأسماء لكن نفس العبارات. الغريب أنّها تنجح مع الأمّة وتمشي وتجد لها صدى في الواقع! وما زالت كلمة "عميل" إلى اليوم مستخدمة! ولو أنت أتيت بكلّ الأدلّة ومشيت أو سبحت بحرًا من بحرها فسبحت حتى وصلت إلى جبل طارق لا تتنظّف من كلمة واحد خبيث جالس ليقول عنك "عميل". فعاليتها تمشي وتستمرّ!

طبعًا هم فقط دورهم أن يثيروا الدخان، والدخان لا يقتلك، وعندها يستخدم الدم. ومن هنا قاعدتهم الكبرى: الصغار ينسون، والكبار لهم القبور! الكبار يُقتلون، عليّ شريعتي قُتل، وغيره قُتل، وأيّ واحد يعترض! فهم يثيرون الدّخان. هل تتوقّف الطائرة بدون طيّار؟ هو شغّال، المؤسسة شغّالة، والمؤسسات الإعلامية في إدارة الدّخان شغّالة، ومؤسّسة القتل شغّالة، ومؤسّسة التفقير؛ إفقارك،

وسجنك، وتدميرك، نفس الشيء، ونفس الممارسة الّتي جرت قبل ٢٠٠ سنة عندما دخلت خيول نابليون بونابرت الأزهر! نفس الآلة، نفس الكلمات، نفس العبارات، ونفس الطريقة في المعالجة وتنجح!

الآن أنا فيما نقدته؟ نقدّته في قضيّة أنّ الدين يجب أن يُنظر إليه كحقيقة، وأنّ العمل له؛ لأنّه هو الذي يواصل قضيّة التقدّم والحركة، ولا ينتهي بك. المؤسّسة الدينية يجب أن تكون خارج المؤسّسة العسكرية، والمؤسّسة الرسمية، والمؤسّسة السياسية، يجب أن تكون خارجها من أجل مواصلة الدفق. هذه مهمّتك، وما يصح تقول هذه هي الحقيقة التي نمثّلها، ما دام أنّ الدين بعيد فالدين هو المطلوب.

من أجل هذا انظروا اليوم في قضيّة الجهاد السوري مثلًا، ما الذي يمثّل ربع المرحلة؟ هو الوطنيّ، ولكن يقول أسقط بشّار. يا مجنون هم أسقطوا بن علي فما النتيجة؟! أسقطوا مبارك فما النتيجة؟!

ما المطلوب؟ المطلوب هو المواصلة، أن تضع هدفك التوحيد، هدفك الإيمان، هدف النبوّة الذي لا ينتهي ولا ينقضي، ويموت النبيّ وآلة الجهاد حيّة: (**أرسلوا بعث أسامة**). هذا أين؟ هذا الوعي مفقود!

أنا أتكلّم هنا من جهة الوعي على بعث الأمة بالبعث الصحيح، وعلى وعي الأمّة على حركة الاستعمار كما يقول. فما المطلوب اليوم من المثقّف أكثر مما طرحه عليّ شريعتي؟ لا يوجد أكثر من ذلك. هو قِمّةٌ، لكن لماذا لم يحقّق شيئًا هو وأصدقاؤه ومن معه؟ لشراسة وقوّة المؤسّسة. أنت فكرٌ أمام مؤسّسة! وإذا نشأت مؤسّسة لديك تكون مخترقة من داخل عملائهم ورجالهم!

يعني من مثّل دور الوطني في حركة التحرير كان خبيثًا قد اقتبس من أفكارهم، بل كان يعمل خلال خطّتهم! يعني هو لما يأتي يمدح بومدين ، وقبله أحمد بن بلة! وأحمد بن بلة هو الّذي ضرب الشيخ الإبراهيمي على وجهه! وكلّهم قاوموا مهمّة العلماء ودمّروها.

ومن عبد الناصر؟! قتل كلّ العلماء ووضعهم في الزرايب ووضعهم في السجون وعمل ما عمل! هؤلاء تعتبرهم قوّاد التحرّر؟!

فأنت حين تمارس فكرًا فقط وتترك الجانب المادي لعملائهم فستتكرّر الصورة!

وأنا أستطيع أن أقول أنّ أيّ مفكّر نظيف عظيم أراد أن يكتب كتابًا جيّدًا في تحرير الأمّة في هذا العصر لا يستطيع أن يكتب مثل هذا. إذا أراد أن يكتب مرّة ثانية فلا يحتاج إلى كتاب جديد، خذ عليّ شريعتي وغيّر قليلًا فيه وأخرج الكتاب! في قضية التثوير، في قضيّة تفعيل الدين، وعودتنا إلى قيمنا الذاتية، وبنائنا، إلى آخره من العمد التي قالها بغضّ النظر عن السلبيات الّتي قلناها.

لكن لماذا لم ينجح؟ ولماذا تتكرّر الصورة؟ هذا الّذي أريد أن أقوله بأن المؤسّسة صارمة، وقاضية، وقاتلة، وقوية. ووعينا الضعيف عليها يؤدّي إلى خسارتنا دومًا. ومن هنا اعرف عدوّك! إذا عرفت عدوّك تمامًا كما يقول سون تزو في كتاب (فنّ الحرب) هو نصف الطريق إلى النصر. أن تعرف من عدوّك، وتعرف آلاته، وكيف يتحرّك، ومن عوده، وليس فقط أن تعرف رجاله الّذين يعيشون بينك بل أن تعرف كذلك المغفّل النافع! المغفّل النافع هو الذي يصفّق لهم. مثل هؤلاء الّذين يبيعون دماء المجاهدين ويريدون نصف الطريق، هؤلاء سواء قلنا بأنّهم خبثاء دخلوا على الخطّ من أجل حرفه أو قلنا إنّهم حسنوا النية وبالتالي انحرفوا مع حسن نيّتهم! وللذكر النتيجة واحدة ولا يهمّ في هذا.

هذا تقريبًا خلاصة ما عندي في هذا الكتاب. يعني أرجو أن أكون قد بيّنت.

هناك كلمات أنا أنصحكم بالعودة إليها وقراءتها. وهو عنده وعي جيّد ورائع في كتابه هذا على آلية الاستعمار، أنّها آلية اقتصادية، آلية ثقافية. وأنا ذكرت لكم حتّى أنه يتكلّم عن اللباس!

ومن هنا في وقت من الأوقات نشأت معركة بين القديم والجديد رفع رايتها طه حسين وقبله صادق الرافعي "راية القديم والجديد"، وسمّاها الأستاذ صادق الرافعي (تحت راية القرآن) امتدّت إلى الطربوش! كان هذاك يريد القبّعة الفرنسية الأجنبية، وذاك يريد الطربوش؛ لأنّه يمثّل قيمة وتراث. هذه يجب ألّا نستهزأ بها.

وللأسف اليوم يتخلّون عن هذا، ويعتبرون أنّ هذا شيء من المصالحة التي تنشأ بين الأصالة والمعاصرة. وعليّ شريعتي في هذا طيّب.

تكلّمت عن استهزائه برجال الدين وتصوّراتهم. ورسالة المفكّر وضع لها عنوانًا كبيرًا مهمًّا جدًا.

وهناك نقطة من أجل ما قرأت في هذا الكتاب قديمًا وكنت أظنّ أنّها خاصة به، وقبل كم يوم أحضر لي الأخ جزءً من رسالة للشيخ عبد الرحمن المعلّمي صاحب كتاب (التنكيل)، والظاهر أنّه كتبها في صغره؛ لأنّه يستخدم عبارات الصوفية، بالرغم أن المعلّق على الكتاب ولا أعرف من قصد عندما قال: وهذا قولٌ وجدته بعد ذلك في كتاب الشيخ الأكبر. من المقصود بالشيخ الأكبر؟ ابن عربي. فكان المعلّمي من مراجعه المعظّمين له الشيخ الأكبر. وهنا لما قرأتها اعتبرتها مصالحة. يعني عليّ شريعتي يرفض قضيّة الصراع السنّي الشيعي ويقول كلاهما شيء واحد، الديمقراطية وكذا شيء واحد، وإنما يأتي إلى مسألة قدرية وجدت المعلّمي يقولها. وهذا عجيب، وللذكر هو فقط أحضر لي مجلّدًا واحدًا هذا الأخ؛ لأنّه ضنين بمجموعة المعلّمي الرائعة.

عليّ شريعتي كرجل عالم اجتماع واعي على قضيّة جغرافية الكلمة وتاريخيتها. وهذا مهمّ جدًّا، أيّ كلمة يجب أن تُقرأ من خلال جغرافيتها ومن خلال تاريخيتها. فيقول مرّات التاريخية مفسدة للفكرة ذاتها، ويأتي إلى قضيّة الصراع بين عليّ رضي الله عنه ومعاوية رضي الله عنه، يقول: لو أنّ المثقّف -هو يخاطب طبعًا جمهورًا شيعيًا، وعلى فكرة الّذين عندهم حساسية أنّ علي شريعتي يريد أن يخترق السنة يريّحوا حالهم! هو يريد أن يخترق جدار رجال الدين الفاسدين في بلده، ما عنده مشكلة مع السنّة! لأنّنا عندنا مشكلة أيّ قضيّة نربطها فينا! حتّى لما يضعون لحم خنزير في بعض المأكولات يقول لك حتى لا يقبل الله دعائنا! ألم تجد بعض المشايخ يقولون هم يضعون لنا دهن الخنزير في بعض الأطعمة لأنّهم يعلمون أنّنا إذا أكلنا الحرام لا يُقبل الدعاء! يعني هذا دليل على وهم الشيخ، وصورة أنّنا قطب العالم في تفكير الخصم لنا. هذا ليس إغفالًا لما يُسمى بنظرية المؤامرة؛ لأنّ جزءًا من المؤامرة الاستهزاء بنظريّة المؤامرة كما قلتها لكم سابقًا.

ما هي الفكرة؟ نحن الآن أخذنا شطرها الأوّل، أنّ أيّ فكرة وأيّ كلمة يجب أن تُدرس بجغرافيتها وتاريخيتها. يقول وهذا لا ينبغي أن يكون دائمًا بل علينا أن نحرس من ذلك؛ فإن بعض الأفكار لو

قُرأت تاريخيتها فيها إفساد. ويضرب مثالًا بقضية الصراع بين عليّ ومعاوية؛ فلو أنّ رجلًا قارئًا مثقّفًا دارسًا قال إنّ فكرة خصوم عليّ هي أسلم، لماذا؟ قال: لأنّهم أرادوا أن يكون الملك (الخلافة) لغير بيت النبوّة من أجل إبعاد شبح الظنّ أنّ النبوّة ملك. هذه يقول الشيخ المعلّمي أنّ الله هداني إليها.

طبعًا أنا لا أريد أن أناقشها وهي خطأ؛ فالدين ليس وضعًا بشريًا، والخلافة كانت وضعًا إلهيًا لقوله صلى الله عليه وسلم: (**يأبى الله ورسوله والمؤمنون**). فكانت اختيارً إلهيًا وتدبيرًا إلهيًا، والواقع أثبت ذلك. يعني هذا من باب إكرام الله عزّ وجلّ للمؤمنين أن اختار لهم ودبّر لهم ما هو الأفضل لهم.

فيقول المعلّمي من فوائد ألّا يتولّى عليّ الخلافة –لا أناقش صوابها- بعد أبي بكر حتّى لو افترضنا أفضليته فهذا خير لهذا الدين لئلا يقول النصارى أنّ هذا الدين ملك، كقوله (**الأنبياء لا يُورثون**) قال السلف حتى لا يُتّهم أنّه يأخذ الغنائم والأموال من أجل عشيرته، كما يُتّهم المرء أنه يجمع المال من أجل ورثته! فعليّ شريعتي مقلوبة عنده الفكرة بوجه ما يقول: لو جاء ناظر أو مفكّر وقال بأنّ الحمد لله الّذي أعطى الملك لمعاوية وليس لعليّ حتّى لا يُظنّ فيه الملك، فيقول لو قرأناها بهذه التاريخية وبهذه العلمية لكنّا مخطئين!

هي فكرة جميلة منه وذكاء في قضيّة خطابه لجماعته.

هو يعيب عيبًا كبيرًا وهذه في الحقيقة ليتها تُلخّص وتُعطى للمشايخ خاصة جماعة "د." فهم بحاجة إلى عباراته المتكرّرة في عيبه على المثقّف وانسلاخه من قيم أمته لإظهار نفسه بمظهر المتنوّر! وهذه حتى في مشايخنا، يعني لئلا يُتّهم الشيخ أنّه متخلّف يلبس الغِرافة، ويلبس البنطلون الضيّق من الخلف، والآن يلبس الكابوي أيضًا. فهو نفس الشيء، وعليّ شريعتي يعيب على هؤلاء المثقّفين.

وفي إحدى محاضراته جلس أمامه أحد المثقّفين فتكلّم هذا المثقّف في عيب رجال الدين قال: أنت من حقّك أن تنقد رجال الدين، لكن يكون أفضل منك لو نقدت المثقّفين! يقول أنت باعتبارك مثقّفًا أفضل أن تكون ناقدًا للمثقّفين.

وهناك بعض الأمور، تكلّمنا عن الشيخ النجم وقلنا إنّه تكلّم عنها بكلام جميل رائع.

نحن قلنا هنا عندنا وعي مع أرجل من أعواد كبريت، ولا يوجد حركة. هو يدرك هذا، عليّ شريعتي من فضائله إدراكه أنّ الوعي لا يكفي، لا بدّ من الوعي مع العشق والإيمان. وهذه عبارةٌ جميلةٌ في الحقيقة، يقول لا بدّ من الوعي المختلط والممتزج مع العشق والإيمان. حتّى يصنع حركة، فلا يكفي كلمة الوعي. يعني ليت الذين يكثرون اليوم كلمة "وعي" أن يضعوا هذه العبارة، الوعي المقترن بالعشق والإيمان.

وطبعًا الإنسان الأعجمي يتحدّث عن أعظم الحبّ والوله بكلمة العشق، على الرغم أنّ كلمة العشق كما ينقدها أبو الفرج ابن الجوزي أنّها عادةً تُطلق على الحبّ مع الارتباط الجنسي! لكن صارت عندهم على هذا المعنى. فليت الذين يتكلّمون عن الوعي عندنا -وهم كثر- يجعلون معهم شيئًا من الملح والقطران وهي كلمة العشق والإيمان.

ومن مباحثه الجميلة أنّه ينقد المستشرقين نقدًا عامًّا، كما هو مشهور في نقد المستشرقين واهتمامهم بالجوانب السيّئة في أمّتنا. وفي الحقيقة هو ليس خاصًّا في هذا، فعامّة من قرأ للمستشرقين رأى اهتماماتهم المفسدة لأمّتنا.

يكفي هذا الطرح لهذا الكتاب.

إن شاء الله الدرس القادم يكون في مناقشة (إنجيل برنابا) إذا قُدّر لنا أن يكون هناك درس قادم.

وجزاكم الله خيرًا وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

إنجيل برنابا

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الرابع والثلاثون

تاريخ المناقشة: ٣٠ نيسان ٢٠١٦.

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفيه وخليله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، وصل الله وسلم على أصحابه، وعلى ذريته، وعلى أهله الطيبين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدىً وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم.. آمين آمين.

هذا الكتاب الرابع والثلاثون من مشروع (ألف كتابٍ قبل الممات)، وهو في دراسة ومناقشة ما يسمى "إنجيل برنابا".

وهذا الموضوع كما هو شأن قضايا الأديان، والبحث فيها، وتاريخ كتبها، كلها فيها المشقة والتعب، وفيها الاختلاف الشديد، والبحث في هذا الباب يحتاج إلى عدل وإنصاف، وإلى علم، ولا ينبغي للمرء أن ينساق وراء شهواته، أو رغباته، أو ما يتمنى.. المرء يتمنى مثلًا في هذا الباب، أن يجد المسلمون، وأن يجد العالم أجمع، الآنجيل الصحيح الذي أنزله الله تعالى على عيسى ابن مريم عليه السلام. ولكن هذه الرغبة والأمنية لا ينبغي أن تصبح مؤثرة حين بحثنا عن كتابٍ وجدناه، يجب أن ندرسه، لأنه في الحقيقة هناك قضية مهمة: لا يوجد باطل يدعم الحق، هذه قاعدة، لا يجوز لنا أن نتصور أن ثمة باطل يمكن أن يدعم الحق.

ثانيًا: لا يجوز لنا أن نعتقد أن الحق بحاجةٍ إلى الباطل ليدعمه.

وبالتالي الحق يجب أن يبنى على دليلٍ حق، والحق يجب أن يكون قيمًا على الباطل بإبطاله ورده حتى لو التصق به، حتى لو التصق به، وزعم أنه يناصره.

ولعلى هذه المقدمة تشير إلى ما سنأتي إليه من قراءتنا لإنجيل برنابا.

موضوع النصرانية، وكذلك اليهودية، باعتبار أن النصارى يعتبرون أن الإرث اليهودي المكتوب بما يسمى بالعهد القديم هو إرثٌ نصراني، وهذا الجمع بين ما يسمى العهد القديم والعهد الجديد، هذا

شيءٌ حادث لم يكن قديمًا، وبعضهم يعتبر أن جمع العهد القديم مع العهد الجديد –المقصود بالعهد القديم "التوراة" والمقصود بالعهد الجديد "الآنجيل"– أن يوضع في كتابٍ واحد، يسمى "الكتاب المقدس" عندهم، يعتبرون أن هذا من اختراق اليهود للكنيسة النصرانية.

والاختراق في الحقيقة قديم، منذ أن جاء شاؤول أو بول، كما يقول العجم، أو كما يُسمى في تراثنا الإسلامي بولس" الذي كان اسمه شاؤول، فهذا الاختراق قديم في تغيير الديانة النصرانية وتغيير الشريعة، وتغيير جوهر النبوة التي بُعث بها عيسى عليه السلام.

فالبحث في هذه اليهودية والديانة النصرانية شاق، كان شاق قديمًا على اعتبار أمور متعددة، أن هذا الضلال، هذا الانحراف، هذا الخطأ، كان مسورًا بسوار الدين نفسه، بأنه لا يجوز لأحد أن يبحث فيه، يجب أن يؤمن به، ولا يجوز لأحد أن يقرأ هذا الكتاب قراءةً زائدةً عن التعبد، إلا لصاحب سمةٍ ما هو القسيس، هو البابا، هي المؤسسة الرسمية.

وبالتالي جاءت البروتستنتية، من خلال مارتن لوثر وصاحبه كالفن، وهما قسيسان ألمانيان، جاءا من أجل أن يكسرا المحرم في قراءة الكتاب (المقدس) عندهم، نحن لا نعتبر هذا الكتاب مقدسًا لوجود الخطأ فيه، مع أن العلماء اختلفوا –هنا أضع في الهامش أنا أعرف الهوامش كثيرة لكنها فيها فائدة– في هذا الكتاب الموجود بين أيدينا، هل هو موضوعٌ كله؟ أم أن الأصل صحيح ولكن زِيِّد وأنقص وبُدِّل وغُيِّرَ وحُرف؟ ابن تيمية يرى أن الكتاب في أصله صحيح، ولا أريد أن أذكر المذاهب الكثيرة، ولكن أذكر أكبر من تحدث في هذا الباب، وابن حزم يرى أن التوراة والآنجيل ليس من الحق في شيء، هذه كتب أخرى غير المنزلة. ابن تيمية لا يرى هذا، ابن تيمية يرى أن هذه الكتب في أصلها صحيح ولكن فيها التغيير، التبديل الزيادة، النقصان، التحريف، وبالتالي منهج كل واحدٍ يختلف. يعني ابن تيمية يعتمد في قراءته لإبطال ديانة اليهود، ولإبطال ديانة النصارى، من خلال الكتاب، لأنه يقول أنه متناقض، وهذا فيه حق وباطل، فيمكن أن نكتشف الباطل من خلال الحق الذي يوافق الكتاب. أما ابن حزم يمسك الكتب ويرميها، ويعود إلى القرآن من أجل بيان ما فيه من حق حول هذين الكتابين.

القصد: بأن النصارى في اعتقادي في هذا الكتاب وضعوا سياج الدين، وثم سياج الحرمان، أول شيء: سياج الدين يمنع هذا الدين أن يقرؤوه، ثم جاءت بعد ذلك البروتستانت كسرت هذا المحرم، وقالت: على كل شخص أن يقرأه، وكان هذا بركة وخير للنصارى أنفسهم، لكنها لم تخرجهم للأسف من الضلال إلى الهدى، أخرجتهم من الضلالة إلى التيه، يعني أخرجتهم من الإيمان بالنصرانية إلى عدم الإيمان بها. وبقي المؤمنون بهذا الكتاب بأنه من عند الله على حيرة من أمرهم، يُمارس عليهم التغييب، والذين اكتشفوا أخطاءه اعتبروا أن مثل هذه الأخطاء يكمن أن تُجبر ولا تعود إلى أصل الديانة نفسها، القائم على قضية تأليه عيسى عليه السلام، وأنه ابن الله وجاء من أجل تكفير الذنوب التي حملها آدم عليه السلام.

التاريخ -دائمًا انتبهوا لهذه القضية، وأنا كررتها كثيرًا، ولا بأس أن أكررها كل يوم- التاريخ هو مادة الحق التي بها يثبت الصواب من الخطأ، عندما نبحث في هذه القضية، والقرآن قرر هذا (قل قد لبثتم فيكم عمرا من قبله) بين أن التاريخ الذي عشته معكم يبين أني لا أستطيع أن أتي بهذا الكتاب، ولم يكن هناك مقدمات.

ذكرت في درس التفسير عن الإعجاز، والرماني له كلام، وقلت بعد أن أنهيت: ما قاله الرماني وقاله الخطابي، وقاله الجرجاني، وقاله الباقلاني.

والرماني له كلمة جميلة مختبئة خلف بعض كلامه، يقول: بأن المرء حين يتكلم يترقى، نرى كل الشعراء في بداية أمرهم غير ما هم عليه بعد ذلك. قال: وهذا القرآن ليس كذلك، خرج مرةً واحدة على هذا السبك، فهذا من الإعجاز.

وبالتالي فالتاريخ مهم جدًا، يعني الآن عندما نريد أن نثبت أن ما أثبته القرآن في قضية تحريف أهل الكتاب لكتبهم، نرجع للتاريخ، هناك ظُلمة في حقبة من حقب التاريخ، التوراة غابت خلال السبي البابلي، غابت لا يعرفونها أهلها!

الذين يروون هذا الكتاب هو "الآنجيل" بالأسانيد، فهناك ظُلمة! سند مقطوع، مقطوع بين الكاتب والشاهد، بين الكاتب والراوي!

فالتاريخ مهم جدًا.

نحن لسنا هنا في هذه المناقشة من أجل إثبات موضوع التحريف في الكتابين: العهد القديم والعهد الجديد". يعني لو نحن ذهبنا إلى مؤرخي النصارى لهذين الكتابين لاكتفينا، لا نحتاج إلى شيء زائد، فإن هؤلاء يثبتون أنها محرفة ومبدلة، وفيها التناقض وفيها الاختلاف وفيها التبديل وفيها المناقضات التاريخية والمناقضات الجغرافية وهكذا..

نجد العجائب فيها، العجائب! هذه من جهة تاريخية.

من جهة دينية نرى الأعجب من ذلك، نرى فيها السب على الله، والسب على الأنبياء، والسب على الصالحين وهكذا..

ومن جهة علمية: نرى الأكاذيب، كيف الشياطين تدخل في الخنازير، وكيف الأمراض كلها تتعلق بدخول الجن في الإنسان مما لا تثبته الوقائع، ونرى كلامًا غريبًا جدًا! ونرى شرائع أغرب! وهكذا..

فهذا بابٌ لا ينتهي والعلماء تكلموا فيه، ولا نستطيع أن نزيد عليهم في الحقيقة، يعني إذا أراد المرء المشاركة يمكن أن يشارك بشيءٍ جديد، لكن ما قيل يكاد يستوعب ما قيل، وأنتم تعرفون أن أفضل الكتب في هذا هو كتاب "إظهار الحق" لرحمت الله الهندي، وأنا أنصحكم بقراءة مقدمة تاريخ هذا الرجل في مناظراته مع النصارى.

ما يهمني في إنجيل برنابا أن نعود إلى أن هذا الآنجيل لما ظهر فرح به المسلمون، نعود إلى القضية التي هي مدار الحديث حولها. لما ظهر هذا الآنجيل وفرحوا به وشعروا بالبهجة في أنه حضر كتاب يؤيد ما عليه القرآن، ولم يجزم عالم –فيما قرأت، هناك كلام مضطرب، ولا يستطيع أحد من العلماء المسلمين قرأ الكتاب جيدًا، وهو من المؤرخين الجيدين ومن الباحثين المهتمين الذين لهم كلمات حقيقة وعلمية

ومهمة، يقول: بأن هذا الآنجيل هو إنجيلٌ صحيح.

ثمة إنجيل ذُكر قديمًا مُنع من قراءته، ذُكر في كتب تاريخ النصرانية، تاريخ اللاهوت النصراني، ذُكر أن هناك ثمة إنجيل لبرنابا، لكن الكلام عن هذا الذي بين أيدينا الذي قام على ترجمته خليل سعادة -للذكر خليل سعادة مترجم هذا الكتاب هو والد "أنطوان سعادة"، لمن يهتم بالتاريخ، وأنطوان سعادة هو مُنشئ ما يُسمى الحزب القومي السوري الذي أعدمه الصلح في بيروت، وقُتل رياض الصلح رئيس الوزراء هنا جاء زائرًا للأردن وهو ذاهب للمطار للعودة فقام الحزب بقتله هنا في الأردن.

المهم: خليل سعادة هو الذي ترجم هذا الكتاب من الآنكليزية طبعًا، لأن الكتاب أصله من الإسبانية، وهذا منفذ سآتي إليه إن شاء الله، وهو أن أصوله الإسبانية التي أتوا بها مع تعليقات على هوامشه باللغة العربية كذلك.

موضوع الآناجيل وتاريخها باختصار لمن لا يعرف -وأظن أن المتابع الذي له انشغال بهذا الأمر يعرف تاريخها، ولكن لابد أن نأتي عليها لأنها لها علاقة في ما بين أيدينا- كان هناك أكثر من ثلاثمائة إنجيل متوزعة بين الناس، وقررت المجامع الكنسية النصرانية الفصل فيها. يعني ما هو الآنجيل الصحيح.. يعني هناك روايات متعددة، وفيها تضارب، وفيها اختلاف. اجتمعوا مرةً، ومرةً، ومرةً، وخاصة في القرن الرابع الميلادي -أول اجتماع ربما ٣٢٥ أو ٣٢٦- فاجتمعوا ثم اجتماع ثان، وثالث، ورابع، وخامس، وسادس، خلال القرن الرابع الميلادي. وفي النهاية لم يستطع أحد أن يقدم لهم إنجيلًا مُقاربًا لما يريدونه.

وقطعًا كانت النصرانية قد حُرفت في هذا الوقت، وهذا سأمر عليه لأنه لها علاقة بكلمة "برنابا"، لماذا من كتب هذا الكتاب، إن كان غير برنابا، لماذا اختار هذا الاسم إنجيل برنابا؟

وأرجو أن يكون ما أقوله هنا لم يُقل من قبل، يعني أرجو أن ما سيقال في هذه المناقشة حول برنابا لم يقل في أي مجلس آخر أو في أي كتاب آخر، أو في أي دراسة أخرى.

اجتمعوا فلم يستطيعوا أن يقدموا روايةً مقاربةٌ لما يعتقدونه، بالرغم من أن ديانتهم كانت مُحرفة،

وأعتقد-التثليث، وفي ذلك الوقت في هذا المجامع التي اجتمعوا فيها كان البحث كذلك في قضية الطبيعة العيساوية: طبيعة المسيح، من هو: لاهوت أم ناسوت؟ ما هي علاقة اللاهوت بالناسوت، يعني الرب مع البشر؟ من هو الغالب؟ لما صُلب، من الذي صُلب: الناسوت أم اللاهوت؟... إلخ.

فكان هناك نقاش حاد وشديد بينهم، ومن ذلك النقاش حول هذه الآناجيل المتعددة، ثلاثمائة إنجيل!! ويُذكر أكثر.

في النهاية وصلوا إلى نتيجة، قالوا: لنترك الاختيار للرب، فلن يتركنا في حيرة.

فأحضروا هذه الآناجيل، وبدأ التقييم.. وبالتقييم استطاعوا أن يصلوا إلى سبعين إنجيل أو ثمانين إنجيل، والبقية استبعدوها، واعتبروها نصوص هرطقية ونصوص غير صحيحة.

وصلوا تقريبًا إلى سبعين إنجيل، قالوا: هذه مقاربة. فكيف الحل بين هذه الآناجيل؟ قالوا: الحل هو كيفية طريقة انتخاب البابا عند الأرثوذكس. كيف؟

انتخاب البابا عند الكاثوليك يتم عن طريق المجمع المقدس، يجتمعون وحينئذٍ يتفقون، يختلفون في الداخل وكذا، مع وجود ما يُسمى بمحامي الشيطان، قصة... وبعد ذلك يخرج الدخان من داخل الكنيسة -دخان لا أدري ما لونه، الدخان الأزرق أو الأبيض- علامة الاتفاق، وإذا لم يحصل الاتفاق يأجلونه يوما أخر، المهم أن يتم الآنتخاب.

لكن كيفية تعيين البابا في الكنيسة الأرثوذكسية القبطية، كيف؟ يتم التداول حول أشخاص، ومن ثم يبدأ التنازل إلى أن يبقى واحد اثنين ثلاثة من أجل الآنتخاب، ومن ثم يُدخلون طفل صغير غير بالغ هو امن سينتخب، ويعتبرون أن هذا هو اختيار الإله، كون هذا الطفل لم يعص الله عز وجل. وفي النهاية يعتبرون أن هذا اختيار الرب لهذا القديس.

بلا شك أن الأرثوذوكس لا يعتقدون عصمة البابا بخلاف الكاثوليك، الكاثوليك يعتقدون أنه معصوم لا يُخطئ.

المهم: الطريقة نفسها حدثت في اختيار الآناجيل، وضعوا الآناجيل السبعين بعد مداولات طويلة في استبعاد الآناجيل داخل غرفة، وقالوا: الرب هو الذي سيختار لنا الآناجيل الصحيحة. فقاموا في الصباح فوجدوا أربعة أناجيل، كيف ذهبت الآناجيل الأخرى؟ لا ندري، هم يعتقدون بوجود معجزة ونحن نعتقد بوجود لصوصية.

المهم أنه بعد ذلك اعتمدت هذه الآناجيل الأربعة الموجودة بين أيدي الناس.

من بين هذه الآناجيل الثلاثمائة كان موجود شيء اسمه.. ذُكرت رسائل، ليست كلمة إنجيل برنابا، ذُكرت رسائل خلال التاريخ في الكتب التي أصدر هوميروس الروماني قرارا بعدم جواز قراءتها، ذكر ورقات أو كلمات برنابا.

هذا ليس في الاجتماع الذي تم فيه الاختيارات، لكن من أجل أن نبين أن كلمة برنابا، في أن له رسائل وأوراق كانت موجودة. لكنه أعلن منع قراءتها.

لا يوجد كلمة إنجيل برنابا في هذا النص، وإلا لجزمنا بوجود إنجيل، ولكن كلمة (إنجيل) لا توجد.

إذا هذه طريقة الاختيار التي أدت إلى وجود هذه الأربعة المعتمدة، واعتبرت هذه كلمة الرب، وكلمة الرب لا تخرج عن هذه الأربعة، مع وجود الاختلاف والغلط... إلخ، مما يعرفه أي طالب علم يقرأ هذه الكتب.

طبعًا هناك كتب أخرى معتمدة عندهم، مثل: رسائل لبولس، ورسائل لبطرس، موجودة في الأخير تسمى رسائل الرسل.

الآن من هو برنابا؟ هذا المفتاح. كل الصيغ الآنجيلية تذكر أن حواري عيسى كانوا ثلاثة عشر، ومنهم رجل اسمه برنابا، هذا موجود والنصارى يثبتونه، وله مَعلَم بارز في الديانة النصرانية، هنا آتي إلى أشياء معروفة، لكن من أجل أن تخدم القضية التي نصل إليها.

برنابا هذا له مَعلَم بارز في تاريخ النصرانية، وهو كالتالي: شاؤول اليهودي كان في مجلس معروف يُسمى مجلس ..... مجلس يهودي، كان دوره تَعقُّب الموحدين من أتباع عيسى عليه السلام لقتلهم!

وكان أشدهم هو شاؤول، أشد اليهود في ملاحقة الموحدين المسحيين أتباع المسيح عليه السلام، وهم موحدون، لم يكن هناك ثمة تثليث ولا شرك ولا كذا، كان هو التوحيد.

فكان يلاحقهم لأنهم يعتبرون هذا هرطقة... إلخ. ويرون أن مريم –نسأل الله العفو والعافية (وكفرهم وقولهم على مريم بهتانا وإثماً عظميا) وذلك بادعاء الكلام الفاحش كيف أنجبت...إلى آخر ما يقوله اليهود في حق نبي الله عيسى عليه السلام وأمه.

فما الذي حدث؟ هذا الرجل شاؤول، حمل رسالةً من حاكم القدس ورحل بها إلى دمشق، هذه الرواية هي متفق عليها في التاريخ. وحمل هذه الرسالة وفيها أسماء الموحدين أتباع عيسى عليه السلام، من أجل أن يوصلها إلى حاكم دمشق ليقتل هؤلاء. وصل إلى منطقة هناك اسمها "داريا"، الآن اسمها "داريا"، نزل فيها جماعة الصحابة والتابعين وأغلب من سكن فيها أهل خولان، خولان من هم؟ أهل اليمن. يوجد كتاب اسمه تاريخ داريا –مثل تاريخ بغداد، مثل تاريخ دمشق– تجد فيه أن عامة من نزل فيها من الخولانيين، يقول النصارى: سُميت داريا، لأنها دار الرؤية، فسُهلت على عادة الناس: داريا، وإلا فالأصل هي دار الرؤية، لماذا دار الرؤية؟ لأن شاؤول نزل فيها لينام، وجاءه عيسى عليه السلام في الليل وقال له: لماذا تقتل أبنائي وأتباعي... إلخ ويزجره، حتى قام وقد نوى التوبة من اليهودية ومن معاداة الموحدين، ودخل دمشق موحدًا، في ظاهره.

هنا نأتي إلى برنابا، ما هو دوره؟ لما دخل دمشق وأعلن وبدأ يذهب إلى النصارى ويُخبرهم، وكلهم لمعرفة تاريخه زجروه وأبعدوه، الحواريون عليهم السلام ورضي الله تعالى عنهم ابتعدوا عنه وزجروه... إلا برنابا!!

فبرنابا تبناه وبدأ يدعو الآخرين إلى تبنيه: الرجل تاب إلى الله فاقبلوا منه التوبة، وبالفعل برنابا استطاع

أن يُقنع الحواريين بأن شاؤول هذا رجل تاب إلى الله وحسُنَ إسلامه وحسُنَ دينه وترك ما عليه من العداء للآخرين، هذا هو معلَّم هذه الشخصية.

النقطة الثانية في تاريخ برنابا، مهمة جدًا: بدأ الحواريون يذهبون يكرزون -كما يقول الآنجيل- يعني يعظون. وبدؤوا يخرجون إلى البوادي وإلى القرى وإلى المدن، هنا تأتي قصة برنابا القصة الثانية.

فخرج يومًا شاؤول، وبرنابا، وبطرس -بطرس اسمه الأصلي "سمعان"، كلمة عربية، وكل الكلمات التي ترونها كلمات عربية، ولا أريد الآن أن أتحدث عن اللغة العبرية وكيف تتحور إلى عربية، والسريانية، ....الخ، هذه قصة سهلة، نشرحها في وقت من الأوقات، ولكن كلها أسماء عربية. لماذا سُمي بطرس؟ بطرس معناه الصخرة، ذلك لأن عيسى عليه السلام قال لسمعان الصفا: كن أنت صخرتي التي تُقام عليها كنيستي، ولذلك الكنيسة الكاثوليكية تعتبر أن مصدر لدينهم هو بطرس، وإلا فاسمه سمعان، ودائمًا هم ولايتهم لبطرس على اعتبار أن الكنيسة تقوم على بطرس.

من تناقضات الآنجيل، عيسى يلعن بطرس ويقول له: يا ملعون، يا كذا، هذا من تناقضات الآنجيل.

تقريبًا هذه الأخبار شبه متفق عليها في التاريخ. فذهبوا ولما وصلوا إلى أنطاكيا، برنابا وبطرس وشاؤول الذي تسمى باسم بولس، ذهبوا وبقوا في الدعوة إلى الله حتى وصلوا إلى أنطاكيا. في أنطاكيا انفصل الثلاثة، اتفقوا على الآنفصال، وكل واحد يمشي في طريق للدعوة إلى الله. بطرس رجع إلى دمشق، وبرنابا -هنا النقطة- ذهب إلى قبرص، ركب البحر وذهب للدعوة إلى الله، من الذي واصل الطريق حتى وصل إلى روما؟ السيد شاؤول. وكما ترون المسافة بين دمشق وبين روما طويلة جدًا.

المهم: شاؤول معه صك واعتماد أنه مُقرب من الحواريين -معه اعتماد من برنابا، وكان مع بطرس- وقبلوه، وبدأ هناك بولس يدعو إلى الديانة الجديدة، هناك!

في هذه الفترة بدأ بولس يدعو إلى قضية العقائد النصرانية: الأساس، الآنبثاق، الإله.

بطرس رجع إلى دمشق، برنابا ذهب إلى قبرص، شاؤول واصل طريقه إلى روما، وبدأ هناك يدعو إلى

الديانة الجديدة. وصل الخبر إلى لحواريين فطار صوابهم، وينسب هذا إليهم! وينسب هذا إلى ديانة عيسى!

بطرس أخذه الحماس الديني، وهو رجل من الحواريين رضي الله تعالى عنه، ذهب ماشيًا، من دمشق حتى وصل روما، ليبين ضلال شاؤول وأن الذي يدعو إليه باطل، بطرس مكث في روما بعد وصوله أسبوعا واحدا فقط، وقُتل!

من قتله؟ لا ندري. لماذا يُقتل؟

الغريب أنه مكث شاؤول في الدعوة إلى ديانته في روما بعد مقتل بطرس سبع سنوات! ثم قُتل. لكن في سبع سنوات كان قد أرسى ديانة نصرانية على هيئتها الني نعرفها اليوم.

هنا تأتي قضية مهمة جدًا، ومفتاح لغز رسائل برنابا التي أُمر بعدم قراءتها: إن برنابا لم يستطع الذهاب إلى روما، ولكنه قام بإرسال رسائل يبين كذب شاؤول وادعائه الديانة الجديدة، ويبين ضلاله، هذه هي الرسائل.

لا تستطيع أن تفهم مقدمة إنجيل برنابا إلا بعد أن تفهم أن هناك رسائل لبرنابا. ورسائل برنابا هي التي ذُكرت في التاريخ قبل بعثة النبي صل الله عليه وسلم- في القرن الرابع الخامس الميلادي تقريبًا أُعلن عن الكتب الممنوع قراءتها، ومنها أوراق برنابا. ما هي؟ هي هذه التي يبين فيها...

واضح أن الذي كتب الآنجيل كان على اطلا ع على هذه الرسائل.

لنضع هذه النقاط على حدة، ثم نرجع إلى موضوعنا.

الغريب في الأمر: الآنجيل هو كلمة الله عندنا، وهناك فرق بين كلمة الله -نحن نعلم أن عامة الآنجيل هو أمثال، وإنما أنزل الله عيسى ليرد اليهود عن غلوائهم، في معاصيهم، وأكلهم الربا، وافتراءهم، وتغييرهم، وتبديلهم، وكذلك لرفع مستواهم الإيماني بعد أن صارت ديانتهم ديانة مادية!. إذن هو

مجموعة أمثال تربوية ليس فيها تشريع، يعني عيسى لم يأت بتشريع، وإنما جاء على التشريع الذي كان في التوراة، وفي النص عبارة مُتفق عليها (ما جئت لأنقض الناموس ولكن جئت لأتممه) كلمة الناموس معناها الشريعة. فما جاء لينقض أي ديانة، ولكن جاء ليُثبت، وذكر لنا بعض الأمور عليهم، أنه جاء ليرفع بعض الإصر عنهم، بعض الأحكام التي عوقبوا عليها بسبب معاصيهم (**فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ**)، فجاء ليُحل لهم هذه الطيبات. ولكن في الجملة ليس هو كتاب تشريع، وإنما كتاب مواعظ، كتاب تربوي، وهكذا نزل من الله عز وجل.

إذا الآنجيل ليس هو سيرة عيسى، وليس هو كلام عيسى، ولكن كل الآناجيل التي بين أيدينا وهي الأربعة وإنجيل برنابا تتحدث عن شخصية عيسى وعن تاريخه، حتى إنجيل برنابا. وبالتالي هذا مدخل لنعرف أنه ليس هو الآنجيل! يعني لا يجوز أن يُسمى إنجيلًا، مع ما سيأتي.

الآنجيل الذي بين أيدينا، سواء إنجيل برنابا أو الأربعة الموجودة التي بقيت... ماذا فعلوا بالبقية؟ ماذا صنعوا في الثلاثمئة؟ حرقوها، من أجل أن يقولوا: هي باطلة، ولا نريد أن يغتر بها الناس. على الرغم من أنه بقي في أيدي الناس بعض الآناجيل الخاصة بهم، لكنها بادت وانتهت، ولوحق أهلها كما لوحق الأريسيون أتباع أريوس.

فالآنجيل الذي بين أيد الناس هو وصفٌ لعيسى، من هو عيسى؟ إذن هو حديثٌ عن سيرة نبي، أصابت أم أخطأت، ونحنا نجزم أنها أخطأت، لكن ليس هذا هو الحديث. وإنما الآنجيل الذي نزل به الروح الأمين على عيسى عليه السلام هو إنجيلٌ تربوي فيه مواعظ، وفيه أحكام جديدة لبني إسرائيل فيها ما تقدم ذكره.

هذا مدخل مهم في قضية معرفة تاريخ برنابا، وما يكفينا من قضية الآناجيل. فنريد أن نأتي إلى هذا الآنجيل الجديد، والذي فرح به الناس أنه الآنجيل الذي أخفاه النصارى، يعني الكثير من الناس يحبون هذا، ونحن كنا نتمنى أن نعرف الآنجيل.

وهنا نقطة استشرافية، لا أحب أن أناقش الناس حولها، لكنها في ظني وفي وهمي: نحن نعرف أن التوراة موجودة، وفيها أحكام، وفيها أسفار، وفيها أذكار.. يعني لو من هو الأقوى في أدلته عندما تقرأ التوراة، قول ابن حزم ولا قول ابن تيمية؟ قول ابن تيمية هو الأقرب، بعلامة أن فيها أحكاما نحن نعرفها من كتاب الله ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وفيها أخبار صحيحة نعرفها من كلام الله ومن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم، لكن فيها تحريفات، أما القول أنها موضوعة كليًا فيصعب قبول هذا.

المشكلة أنه لا يوجد بين أيدينا هذا الآنجيل حتى لو كان مُحرفًا، بخلاف التوراة فإنها على قول ابن تيمية –والقلب إليه يميل– موجودة ولكنها مُحرفة، لكن الآنجيل الذي نزل غير موجود لا يُعرف، الذي بين أيدينا مواعظ لعيسى، كلمات لعيسى، الرد عليه ومناقشات إلى غير ذلك مما يعرفه كل قارئ للإنجيل.

عندي نقطة: أنا أعتقد أن عيسى كان في منطقة النَزَلة في منطقة نائية، وليس في منطقة مشتهرة، وأن أتباعه لما رفع هم قلة، وبالتالي هذا الكتاب لم يحصل له الآنتشار، والناس لم يهتموا به والنصارى لم يهتموا به، لأنهم يرون أن التوراة كافية للحفاظ على دينهم.

القلب يميل إلى أن عيسى عليه السلام كان في قريةٍ نائية، لم يكن في مصدر الصراع، لأن أصلًا لو صدقنا –أنا أقول لكل أحد: إن التاريخ الذي يفرضه كتاب العهد القديم لا تصدق منه شيئا، وحتى تاريخ عيسى عليه السلام: الذين يقولونه أنه ولد هنا، وهنا، وهنا، وهنا، فهذه عليها كلام يعني تستطيع أن تناقش فيه– فأعتقد بأن عيسى عليه السلام كان في منطقة نائية، وليس بهذه الشهرة الذي يذكرها الآنجيل عنه، وأنه يتحدث عن تنقلات وو... إلخ. والله أعلم هذه تحتاج إلى وقفة! لأننا مازلنا نبحث عن هذا الآنجيل! بل عن أثره المحرف، وإنما الذي بين أيدينا مما يُسمى أناجيل إنما هو سيرة عيسى فقط! وهذا ليس هو الآنجيل قطعًا.

الآن: إنجيل برنابا، هل هو صحيح؟ وهل يحمل قيمةً تاريخية؟ وهل يحمل قيمةً علمية؟ الجواب عندي

-وأدلتي كثيرة جدًا، يعني لا يستطيع أحد أن يدفعها لا مسلم ولا يهودي ولا...، للذكر فقط: النصارى يبذلون الجهود، ولو رجعتم إلى مواقعهم فإنهم يعرقون كثيرًا في إثبات أن هذا الآنجيل مكذوب، وكأن دين المسلمين في إثبات أن عيسى بشر بمحمد كان يحتاج إلى هذا الكتاب! يعني وجد أم لم يوجد، نحن لسنا بحاجة! ولإثبات ضلال الآناجيل التي تؤمن بها كاف لردها، وما فيها أي الآناجيل الأربعة من باطل أكثر مما في هذا الآنجيل من باطل. يعني الآناجيل التي يؤمنون بها ويعتبرون أنها كلمة الله فيها من الباطل أكثر من إنجيل برنابا! يعني ما سنقوله لا يُنقص المسلمين ولا يُزيد النصارى، إنما هو علمٌ يجب أن يُقرأ.

ذكرتُ في مناقشة "بروتوكولات حكماء صهيون": عندما يغيب السند لابد من دراسة النص، هذه قاعدة، ونحن علينا أن نعود إلى النص لقراءته. السند هو الذي يبين لنا هذا صادق، صادق، صادق، مشهور، الكتاب يمشي في طريق النور لا الظلمة، فأنت تُصدق هذا الكتاب. لكن عندما يغيب السند لا بد من دراسة النص، تذهب إلى النص، كما فعلنا في برتوكولات حكماء صهيون، عندما جاء المشككون لقضية اكتشاف البرتوكولات، ذهبنا إلى قراءة واقعها، هل هي -كما قال أحدهم في البرتوكولات، قال: تستطيع أن تقول البروتوكولات مكذوبة، لكن الحرب العالمية غير مكذوبة! يعني تستطيع أن تقول هذا كذب، لكن الواقع موجود. فعندما يغيب السند، وتغيب القراءة التاريخية المعروفة كقراءة الرُقم، يعني عندما تأتي لنا مادة يُقال هذه من زمن مثلًا الدولة الأموية، فلابد أن يقرؤها المرء لمادتها، كالذين يقولون اليوم يوجد شعرة للنبي صلى الله عليه وسلم موجودة في المتحف في تركيا، هات السند! أو هذا سيف علي وهذا سيف فلان! أين السند!

وهنا أُنبه على نقطة حتى لا يفهم فهمًا خطأ: كل شيء له سنده، ولا نريد أن ندخل في قصة الفقيه الذي عاب عليه ابن حزم أنه طلب سند الحديث لسند الخمر!! أكررها، لا بأس، لأنها ضرورية حتى تبين خطأ العقل المعاصر: ابن حزم يذكر عن مُحَدِّث جاهل أنه ركب سفينة، فجاء إلى رجلٍ نصراني، وهذا النصراني عنده قوارير خمر، فقال له: ما دينك؟ قال: أنا نصراني قال له: ما هذه التي عندك؟ قال: قوارير من خمر قال له: ممن اشتريتها؟ قال: من يهودي. فأخذ قارورة وشرب، فقال له: أنت مسلم،

كيف تشرب؟ فقال له: أنا يحدثني مسلم عن مسلم لا أصدقه، تريد أن أُصدق ما رواه يهودي عن نصراني، أو نصراني عن يهودي.

فهذا بعض المسلمين يريد أن يطبق مبادئ علم الحديث على كل علم، كمن يريد أن يُطبق مبادئ الحديث على قضية تواتر القرآن وطريقة رواية القرآن! وهذا غير صحيح! بيَّنَّا هذا سابقًا.

فالقصد: بأن سند كل شيء يعود إليه، يعني واحد الآن جاء بدراسة الرُقم ونظر لهذه، وقرأها قراءة علمية، وضعها تحت المختبرات وبيّن أن هذه بحسب الكربون التي محتوية له أنها قبل ثلاث قرون! هذا يجب أن نصدقه! هذا هو العلم. فكما أننا نقول عن شيءٍ يقولونه باطل، نقول عما يقول بعض المسلمين أنه باطل! كما ذكرنا لكم، واحد يقول هذه شعرة للنبي صلى الله عليه وسلم، هذه شعرة لأبي بكر، هذا لباس النبي، من أين جئت بهذا؟ لا يوجد أدلة! ولذلك ننكرها ونردها.

وبالتالي ماذا قال ابن تيمية؟ قال: وكل قبور الأنبياء لا تصح، وقبر الخليل مشكوكٌ فيه! يعني قبر. قال: كل هذا الكلام من وضع الناس، حتى أخرجوا لنا أنبياء جدد، نبي اسمه: جاد! وتذهب إلى أي منطقة يقولون لك عندنا أهل الكهف، ذهبتُ إلى اليمن قالوا عندنا أهل الكهف! قلت: لا، تركتهم وراءنا في الأردن! وفي تركيا عندهم أهل الكهف، وفي سوريا عندهم أهل الكهف، وآخر أمر طلع في أفغانستان يوجد أهل الكهف! يعني من أين هذا؟ كله من القراءات الباطلة الموضوعة بدون أدلة، فقط من أجل استشراف البركة المكذوبة وابتزاز المال.

فإذا القراءة العلمية للنص هي التي تُنبئنا بما فيه.

ابتداء أنا فقط سأقرأ لكم العبارة التي هي المفتاح، أن هناك ثمة رسائل لبرنابا، وأعتقد أن كاتب هذا الكتاب قد اطلع عليه. أنا لا يهمني ماذا قال خليل سعادة في قراءته، تستطيعون الرجوع إليها، وأنا وعدتكم أن آتي إلى شيءٍ جديد، خارج مما طُرح.

يقول الآنجيل الصحيح ليسوع المسمى "المسيح" نبي جديد....الخ، برنابا رسوله.

برنابا رسول يسوع الناصر المسمى المسيح، يتمنى لجميع سكان الأرض سلامًا وعزاء، أيها الأعزاء: الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمةٍ عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى.

هناك كاتب لبناني، وهو يُتقن اللغة الإيطالية، فاستدعوه من أجل ترجمة الآنجيل، وترجم الآنجيل ترجمةً عربيةً قوية جدًا، فرفضوها! وطردوه، وهو ذكر هذه القصة. أسلم بعد ذلك، ولكن المقصود أن هناك ترجمة للإنجيل -أنت لما تقرأ الآنجيل تجد فيه عبارات سخيفة- ويقدم لا تُقدم! لما واحد يقول: العظيم الله! يعني عجيبة لا تُلقى في العرب، فيعني تقديم الصفة على الموصوف إلى غير ذلك.. فبعد ذلك تُرجم هذا الآنجيل وتُرجم هذا الكتاب بالترجمة المهلهلة التي فيها النكارات. فالقصد: لا يهمكم يعني عدم استقامة العبارة.

بولس، من الأمور التي فورًا من أجل أن يُرغب الناس بالدين الجديد، يعني لما قرأت النص قديمًا ذكرني بقصة سجاح ومُسيلمة لما تزوجوا، فلما خرجت إلى قومها، قالوا: ماذا أمهرك؟ قالت: لم يمهرني شيئا! قالوا: ادخلي إليه اطلبي منه المهر، كيف تتزوجين من غير مهر؟ فلما دخلت إليه فقالت: قومي يطلبون منك أن تمهرهم، يعني أعطني مهر! فقال: أسقطت عنهم صلاة الفجر والعشاء!

فنفس الشيء بولس كان من أجل أن يُدخل الناس في الدين يُسقط عنهم أحكاما، ومن ذلك الختان؛ وذهب يبرر لهم وارجعوا إلى رسائل بولوس برر لهم إياها باعتبار أن الختان كان عقوبة إلهية بسبب معصية آدم وورثت للأبناء والآن انتهى بصلب الأب لابنه، فالبشرية ليست بحاجة إلى عقوبة وإلى كفارة..، ومن ذلك الخنزير، لأن عامة طعامهم وثروتهم الخنزير.

نرجع إلى عبارته التي هي مدخل، وهذا المعنى انقطع بعد ذلك في داخل الكتاب. يقول: التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى، مُبشرين بتعليمٍ شديد الكفر.

ما يهمنا أن هذه العبارة هنا في مصدر الكتاب، تقول أن سبب الكتابة التي شرع بها كاتب هذه

الكلمات أن هناك ثمة كُفر كُذب على رسالة عيسى. ومن هنا فأقول بأن رسائل برنابا كانت موجودة، صحيح أعلن أنها ممنوعة، لكن واضح أنها بقيت في الأقبية وكذا، واطلع عليها من اطلع عليها، وأن الذي كتب هذا الكتاب اطلع على هذه الرسائل!

قال: مُبشرين بتعليمٍ شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله!. هذه الكلمة تدل على أنها بعده. هل يوجد في القرآن قط أن أحدًا في زمن عيسى ادعى أنه ابن الله؟! يعني: نحن ليس عندنا غير القرآن يُثبت أو ينفي، فلم أجد نصًا يوهم هذا ولا يقترب منه، مما يدل على أن قضية البنوة وقضية ادعاء أنه ابن الله هي قضية حادثة بعد ذلك، أما في زمانه لم يأت أحد يقول له أنت ابن الله. مما يدل أن هذا الكتاب كُتب بعد عيسى هو هذا، يقول: هناك من قال أن عيسى ابن الله، فأنا كتبت هذا الكتاب من أجل أن أرد عليه. لكن لا يوجد في زمن عيسى أحد قال له هذا أنت ابن الله، لا من الحواريين الذين آمنوا به، ولا من أعدائه!

قال: مُبشرين بتعليمٍ شديد الكفر، داعين المسيح ابن الله، ورافضين الختان الذي أمر الله به دائمًا، مجوزين كل لحمٍ نجس الذي ضل في عدادهم أيضًا بولس الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى، وهو السبب الذي لأجله أُسطر ذلك الحق الذي رأيته وسمعته أثناء معاشرتي ليسوع، لكي تخلصوا ولا يضلكم الشيطان، فتهلكوا في دينونة الله، وعليه فاحذروا كل أحدٍ يُبشركم بتعليمٍ جديد مضاد لما أكتبه، لتخصلوا خلاصًا أبديًا.

فإذن من كتب هذا الكتاب إنما أراد أن يرد على أكاذيب بولس، ولماذا نسب إلى برنابا؟ تقدم الكلام عليه.

هذا نص مهم، ولم يتكلم عن هذا النص أحد! لكن يدل هذا على أن الرجل مُطلع، طيب لو كان مُسلمًا –على ما يقولون النصارى، لا يهمنا كثيرًا، لكن فقط من أجل تعلم قراءة النقد– يريد أن يثبت قضية رسالية عيسى وأن فيه "محمد رسول الله" والذكر، لماذا يذكر الختان؟ ما هي مشكلة الختان؟ فدل على أنها مشكلة مهمة جدًا في زمن من كتب هذا الكلام. يعني قضية إلهية عيسى مهمة، ولكن قضية

الختان كذلك مسألة مهمة، فلابد أن يكون هناك حوار حولها، ومشاكل تدور حول هذه القضية.

هذا يُرجح أن هذه المقدمة مسروقةٌ ومأخوذةٌ من رسائل برنابا، لكن هل الكتاب هذا هو رسائل برنابا؟ قطعًا لا، لماذا؟

أعجب ما في إنجيل برنابا، بالنسبة لنا المسلمين، وهو أنه يؤمن بالحقيقة المحمدية!

تعرفون ما الحقيقة المحمدية؟ الحقيقة المحمدية، عمادها على قضيتين: أن أول ما خلق الله نور محمد، ثم يفلسفونها، يقولون: بعد ذلك انبثق الوجود من هذا النور! بعض الصوفية يعتقدون أن الوجود انبثق من نور محمد. إذًا أولًا: خلق الله نور محمد، ثم خلق البشرية والوجود من هذا النور، إذا: أول ما خلق الله النور، ثانيا أن الله خلق الوجود من أجل محمد!

طبعًا يوجد حديث موضوع، أو حديث مكذوب، يزعمون أن الحديث موجود في مصنف عبد الرزاق، ولكن ولكن لا وجود له في النسخ الصحيحة في مصنف عبد الرزاق. وهو حديث جابر "أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر!"

وهذا حديث مكذوب، لا وجود له حتى في الكتب! ومن زعم أنه في مصنف عبد الرزاق، قد كذب على المصنف.

ما هي الحقيقة المحمدية؟ من غير تطويل لأننا نتحدث مع بيئة مسلمة، هذا بلا شك أنه باطل، لكن ما هو أساس هذا الضلال؟ أساس هذا الضلال هو قضية الفيض التي أتى بها أفلاطون.

أول من أتى بقضية الفيض أو العقل الكلي الذي انبثقت منه العقول وأساس الوجود، هو أفلاطون، ومن ثم أخذ بها النصارى، وأخذ بها فلاسفة الصوفية، لأن الصوفية أقسام.

أفلاطون يقول: العقل الكلي انبثق منه الوجود، فالصوفية لابد أن يجدوا شيء أهم منه، فوضعوا محمد هو أساس هذا الوجود، يعني نفس النظرية، ولكن هذا باطل في ديننا.

إذا ما هي الحقيقة المحمدية؟ إن أول ما خلق الله نور النبي، وبعد ذلك انبثق منه الموجود، وثانيًا: ما خُلق الوجود إلا من أجل محمد. وفي ذلك حديث موضوع للأسف موجود في المستدرك، ومما عيب على المستدرك وجوده، وهو قوله: (لولاك ما خلقت الأفلاك).

ولكنها في الأصل هذه نظرية صوفية باطلة لا تمت للإسلام بصلة.

جيد أن يأتي لنا صاحب إنجيل برنابا ويقول: أن الآنجيل يثبت نبوة محمد عن طريق قول عيسى: **(هناك نبي من بعدي اسمه أحمد)** آمنا. لكن أن يشرح هذه النبوة على طريقة الصوفية! فبدأنا نستكشف إن الذي وضعه واحد عفريت!!

اتركوني أكشف السر من أوله: في كتاب الأعلام للزركلي، أذكر أني قرأت فيه نصًا، لكن الكتاب غير موجود عندي، وبحثت في كتب الآندلسيين لكن الوقت ضيق، أن هناك ثمة فيلسوفا صوفيا كان في الآندلس، وكان يجلس المسلمين فيفتيهم، ثم يخرج من عنده المسلمون فيدخل عليه اليهود فيفتيهم ويعلمهم دينهم، ثم يخرج من عنده اليهود فيدخل عليه النصارى ويعلمهم دينهم!

وأنا عندي اعتقاد أن الذي كتب هذا الكتاب هو هذا الشخص، هذا الذي يرى هذه الأديان ومحيط بهذه الأديان، وأظن أنه هذا الشخص.

أنا أقول لكل طالب علم: أرجو من عرف اسمه أن يخبرنا به.

للذكر فقط: مما يدل على أن هذا الكتاب ليس إنجيلًا، من أقدم من تكلم في الآناجيل الأربعة؟ الطبري، الطبري ذكر الآناجيل الأربعة عند النصارى في كتابه "تاريخ الأمم والملوك" ولم يذكر فيه هذا الآنجيل، لا يُعرف عندهم.

ابن حزم أندلسي —وهذ علامة على أن هذا الشخص بعد ابن حزم في القرن الخامس الهجري– لا يذكر هذا الآنجيل، مع أنه يذكر أوراق اليهود ويذكر أوراق النصارى، ومطلع عليها اطلاعا جيدا!

ابن تيمية لم يذكره عندما كتب عن النصارى، ابن القيم لم يذكره عندما كتب عن النصارى، وكذلك الشهرستاني عندما لما تكلم على مذاهب النصارى ذكر الآناجيل الأربعة ولم يذكره، مما يدل على أن هذا الكتاب لا يعرفه الإسلام، وواضح أنه كان مخفيًا عندهم كما كان مخفيًا عند أصحابه.

أقرأ لكم بعض نصوص الحقيقة المحمدية...... كل هذا يدل على أن الذي كتبه مسلم غير صحيح، مسلم في إسلامه غبش.

العجيبً أصبحوا يقسمون الآنجيل والتوراة إلى آيات من أجل أن يقاربوا القرآن، وهذا غير موجود أصلًا.. على طريقة الشيعة صار عندهم فيه تقسيم للرجال، أول من أنشأ علم الرجال عند الشيعة هو الحلي الذي رد عليه ابن تيمية، لا يوجد عندهم علم رجال، لا يوجد عندهم لا ضعيف ولا صحيح، كله صحيح.

وهذه القضية نفس الشيء، فلذلك لا أحب أن أقول الآية كذا في الآنجيل، أو الآية كذا في التوراة. فلنعود إلى الصفحات بحسب الكتاب.

للذكر: الكتاب طُبع مرتين، طبعه أول طبعة الشيخ محمد رشيد رضا، وطُبع طبعة ثانية غير مشهورة.

أقرأ لكم النص في ص ٥٧ لتروا الحقيقة المحمدية، يقول: فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابةً تتألق كالشمس، نصها: لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله، ففتح حينئذ آدم فاه، وقال: أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت-فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات: محمدٌ رسول الله، فأجاب الله: مرحبًا بك يا عبدي آدم، وإني أقول لك: إنك أول إنسان خُلقت، وهذا هو الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء! الذي متى جاء سيعطي نورًا للعالم، الذي كانت نفسه موضوعة في بهاءٍ سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئا.

الحقيقة المحمدية واضحة هنا!

كذلك يقول عن قضية خلق آدم، وكيف أكل من الشجرة: فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس، فلما التفت آدم رأى مكتوبًا فوق الباب "لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله" فبكى عند ذلك، وقال: أيها الابن، عسى الله أن يريد أن تأتي سريعا وتخلصنا من هذا الشقاء.

العبارة لا قيمة لها هذه "أن تأتي وتخلصنا من هذ الشقاء"، إلا اختلاط عقيدة الخلاص مع عقيدة المسلمين.

نص طويل في ص ١١٠ يقول: سيأتي لا تضطرب قلوبكم ولا تخافوا لأني لست أنا الذي خلقكم، بل الله الذي خلقكم يحميكم، أما من خصوصي فإني قد أتيت لأهيئ الطريق لرسول الله الذي سيأتي بخلاص العالم، ولكن احذروا أن تُغشوا لأنه سيأتي أنبياءٌ كذبة (الحديث عن أنبياء الكذب موجود في أيدي الناس، وأفضل الآناجيل هو إنجيل بطرس، يعني فيه رقائق وكذا، هذا حقيقة) يأخذون كلام وينجسون إنجيلي، حينئذٍ قال أندراوس: يا معلم اذكر لنا علامة لنعرفه، أجاب يسوع: إنه لا يأتي في زمنكم، بل يأتي بعدكم بعدة سنين، حينما يبطل إنجيلي ولا يكاد يوجد ثلاثون مؤمنا في ذلك الوقت، يرحم الله العالم فيرسل رسوله الذي تستقر على رأسه غمامة بيضاء، يعرفه أحد مختاري الله وهو سيُظهره للعالم، وسيأتي بقوة عظيمة على الفجار، ويبيد عبادة الأصنام من العالم، وإني أُسر بذلك لأنه بواسطته سيعلن ويمجد الله، ويُظهر صدقي، وسينتقم من الذين سيقولون أني أكبر من إنسان الحق".

طبعًا هنا هذه النقطة الثانية ذكرتها، كثيرًا ما يُناقش أنا لست الله.

الغريب هنا نص سنأتي إليه إن شاء الله.

وكثير ما يقول لعيسى: أني لست الله، ولست ابنه، الغريب أنه يقول هذا لأقرب حوارييه!. يعني يسأل بطرس يقول له: من أنا، يقول: أنت ابن الله، فيزجره! تصور أن الحواري لا يعرف أن عيسى هو عبد الله ورسوله!.

يكفي هذا في قضية الحقيقة المحمدية.

الأمر الأخر الذي يجعلنا نقول أنه فيه فلسفة: نحن نعرف طريقة الأنبياء في توحيد الله، وما جاء به القرآن من توحيد الله وذكر صفاته ونفي الغلط عن الله، هي طريقة القرآن، وطريقة القرآن هي طريقة الآنجيل وهي طريقة التوراة، لأنها حديثٌ عن الله عز وجل! يعني لا يوجد فيها هذا الذي يفعلها الفلاسفة والمتكلمون!

الغريب لما يتكلم هذا صاحب إنجيل برنابا، مما يدل على أنه فيلسوف: أنه يأتي إلى تفصيلات لا تُعرف إلا في كتب المتكلمين والفلاسفة، كنفيه أن الله جسم!! ويقول عبارةً لا توجد إلا في كلام الفلاسفة: الله بسيط ولا يوجد أبسط منه!. وهذه الكلمة لا توجد إلا في كلام الفلاسفة، لأنه لا يتجزأ ولا يتعدد وليس مركبًا.. هذه لا توجد إلا في كلام الفلاسفة!

فالأولى تعطيك أنه صوفي، وهذه تعطيك أنه فيلسوف.

أقرأ لكم النص بسرعة إن شاء الله لأنه يصف الله عز وجل بأوصاف لا تُرى في كُتبه جل في علاه، يتحدث عن الله يقول: أجاب يسوع: يا فيليبس ، إن الله صلاح بدونه لا صلاح، إن الله موجود بدونه لا وجود، إن الله حياة بدونه لا حياة، هو عظيم حتى أنه يملئ الجميع وهو في كل مكان (يعني ممكن الترجمة خطأ [وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ] يعني هو في كل مكان إله يعبد، فإذا صحت هذه العبارة بهذا النص فواضح أن واضعها من القائلين بوحدة الوجود، لأنه قوله: أن الله في كل مكان تلتقي نهايتها مع وحدة الوجود) وهو في كل مكان هو وحده، لا ند له، لا بداية ولا نهاية له، ولكن جعل لكل شيءٍ بداية، وسيجعل لكل شيءٍ نهاية، لا أب ولا أم له، لا أبناء ولا أخوة ولا عشراء له، ولما كان ليس لله جسم فهو لا يأكل ولا ينام ولا يموت ولا يمشي ولا يتحرك، ولكنه يدوم إلى الأبد، بدون شبيه بشري، لأنه غير ذي جسم (انظر) وغير مركب (هذه لا يقولها إلا الفلاسفة: غير مركب، وغير مادي، وأبسط البسائط، هذه العبارة التي تترجم بكلماتٍ كثيرة عندهم) وهو جوادٌ لا يحب إلا الجود، وهو مُقسط.... إنه لا يمكنك أن تراه، (انظر) وتعرفه على الأرض تمام المعرفة، ولكنك ستراه في مملكته إلى الأبد، حيث يكون قوام سعادتنا ومجدنا.

لما يتحدث في نصٍ آخر ويأتي إلى قضية المقابلة لله يوم القيامة، يقول: ولكني أذكرك أنه لا يُرى.

لما يناقش قضية من الذبيح، واضح أنها مناقشة مسلم يناقش من يزعم أن الذبيح إسحاق. على الرغم أن المؤرخين والمفسرين لتأثرهم بالتوراة وتفسيرها للتاريخ يجعلون الذبيح هو إسحاق، وهو خطأ طبعًا، سورة الصافات كاشفة!

من الغرائب قضية أصل الختان، ما أصل الختان؟ أسطورة، أن الله عاقب ابن آدم بأنه أزاده هذه القلفة، وعاقبه بأن يقطعها. هذا نص أسطوري ونص خرافي لا يلتقي مع الحق.

من غرائب الأمور -وهذه لا توجد في الآنجيل، وما كان معي وقت أن أرجع إليها وأبحث فيها في كتب الموضوعات، لكنها معروفة في كُتب الموضوعات، وهي قضية تقبيل اليدين ووضعهما على العينين بعد الأذان- فهو يُفسر كيف بدأت، وهذه غير موجودة في الآناجيل الأربعة، فواضح أن الرجل وضعها لقضية.

أذكرها لكم، يقول ص ٥٩ ، وهو تابع لنص النور المحمدي: فضرع آدم إلى الله: يا رب هبني هذه الكتابة على أظفار (يعني لما رأى آدم مكتوبا في الجنة "لا إله إلا الله ومحمدٌ رسول الله) أظفار أصابع يدي، فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه، على ظفر إبهامه اليد اليمنى ما نصه "لا إله إلا الله" وعلى ظفر إبهام اليد اليسرى ما نصه "محمدٌ رسول الله" فقبل الإنسان الأول بحنوٍ أبوي هذه الكلمات، ومسح عينيه، وقال: بورك ذلك اليوم الذي ستأتي فيه إلى العالم.

أنا لم أقرأها في كتب المسلمين، ربما موجودة، لكن موجود هذا النص في التقبيل، ويفعله كثيرًا من العجم، وهو حديثٌ موضوع كما تعرفون.

القصص كثيرة.. من غرائب الأمور في إثبات قصة أن مريم ستر عليها يوسف النجار... إلخ، وهذه القصة القرآن لا يذكرها، ولو كانت لكان في ذلك الشك، لو وجد أن يوسف تزوجها لكان في ذلك الشك، لو تزوجها ليستر عليها، فأين الآية؟

قصة المجوس مأخوذة من الآنجيل، موجودة.

في هذا الكتاب يتحدث هذا أن هناك كتابا أُنزل على عيسى، فإذا هذا ليس هو الآنجيل.

واضح كذلك أن واضعه صوفي في التوسل!

نحن نعرف أن قضية التوسل حتى الذين يثبتونها لا يثبتونها بأحاديث صريحة، يعني أحاديث التوسل، إما أنها صحيحة غير صريحة، وإما أنها موضوعة ولكنها صريحة، فلا يوجد، لكن هذا الآنجيل يُثبت قضية التوسل بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

لما جاء اليسوع من الجبل وذهب إلى أورشليم، التقى بأبرص هناك، والأبرص قال له: اشفني، كما يُذكر كثيرًا في الآناجيل الأربعة، قال: فأجاب الأبرص: يا سيدي أعطيني صحة. فوبخه يسوع، قال: إنك لغبي، اضرع إلى الله الذي خلقك، وهو يُعطيك صحة، لأنني رجلٌ نظيرك. فأجاب الأبرص: أعلم يا سيدي أنك إنسان، لكنك قدوس الرب، فاضرع إذًا إلى الله وهو يُعطيني صحة. فتنهد يسوع وقال: أيها الرب الإله القدير، لأجل محبة أنبيائك الأطهار، أبرئ هذا العليم.

واضح التوسل! لأجل محبة أنبيائك.. يعني يحق للصوفية أن يحتجوا بهذا على أن التوسل صحيح، هذا إذا كانوا يعتقدون صحته.

الغريب فيه مما يُناقض القرآن قضية فرح مريم بالولادة، وفي القرآن تقول: (**يا ليتني متُّ قبل هذا**).

كذلك قصة الشفاعة، يعني يذكر قضية الشفاعة العظمى لنبينا يوم القيامة، ولكن فيها خلط عجيب، فيها أساطير وقصص، مع صحة الأصل، مما يدل على اشتراك المادة كما قُلنا.

هل يستطيع أحد أن يجد في كتاب ربنا وفي سنة نبينا أن الله يُعبد لذاته ولا يُعبد خوفًا من ناره ولا طمعًا في جنته؟ نحن نقول: إن من عبد الله عز وجل شكرًا وحمدًا، خير ممن عبده من أجل مطالبه، ولكن المطالب لا يمكن أن تنفك عن الإنسان، يعني لا يوجد أحد في الوجود، ولا رسولنا محمد صلى

الله عليه وسلم، عبد الله وهو خال من قضية طلب النجاة ورغب بلقاء الله ودخول الجنان. لكن يغلُب في بعض المرات أني أعبدك لأنك طلبت مني، لأن هذا تحبه وترضاه، هذه المرتبة موجودة، ولكن ليس معنى هذا أن إذا وجدت هذه المرتبة نُفيت الأخرى، فهذه موجودة وهذه موجودة، وكلها على معنى واحد!

لما يسأل الصحابة رضي الله عنهم، لما بايعه الآنصار، رسولنا صلى الله عليه وسلم، قالوا: فما لنا؟ فماذا قال لهم؟ قال: (الجنة).

الغريب لما يُسأل عيسى هنا: ماذا لنا بعد ذلك؟ يقول: ليس لكم شيء، عليكم أن تعبدوا الله لأنه سيدكم. على المعنى الذي يقوله الصوفية، وهذا في الفصل الثامن والستين من هذا الكتاب.

لا أريد أن أقرأ لكم النصوص الكثيرة، نصوص كثيرة جدًا ينفي فيها عيسى من قال له أنت ابن الله، وكأنها موجودة في ذهن مؤلف الكتاب، ولا نظنها ذلك، لأن عدم وجودها في القرآن يُثبت أن القضية حادثة وليست في زمنه عليه السلام.

وأرجو أن أكون قد وفقت في تقديم هذا الآنجيل المدعى، وأن كاتبه على ما ذكرته لكم، وأما اسمه فأسأل الله أن يوفقني إلى إعادة قراءة الكتب من جديد واكتشاف اسمه، أو الظن باكتشاف اسمه.

بارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: ...... وهذا هو صاحب الكتاب، من أجل نشر صوفية، ومن أجل.......

الشيخ: لا ، هو أراد أن يقدم إنجيلًا يجمع ما في الآنجيل، يجمع ما في الإسلام، يجمع ما في اليهودية ويقدمه.

وهذا موجود في الفرق الباطلة، يعني نحن نعرف أن الدرزية ما يسمى عندهم "القرآن المفرد"، وهذا موجود في كتبهم وغير موجود في الحقيقة، والذي أخبرني به من أخبره به وجد القرآن المفرد، وقد كتبه كمال جنبلاط. وكان هناك عرض لشراء هذا الكتاب، وقع بيد -من غير ذكر أسماء- أحد المهتمين بالتراث، القرآن المفرد الذي هو عند الدروز. ولكن في الكتب القديمة موجود ذكر القرآن المفرد، وغير موجود على الواقع، يعني لا يعرفونه، حتى جاء كمال جنبلاط وكتبه وترّبه، يعني وضع عليه التراب من أجل أن يدل أنه قديم، ويفركه قليلًا، مثلما يفعلون اليوم في لباس الجينز، فتربه ليُقال أنه قديم، وهذا من الكذب.

فربما هذا الكاتب أراد أن يقول هناك إنجيل، وهذا الآنجيل هو هكذا... من الفنون التي تقع في أيدي الناس، ولكن الاحتفاء به ينبغي أن يكون على حذر، ولا شك أننا نؤمن بأن الآنجيل الذي نزل على عيسى عليه السلام غير موجود. حتى الآناجيل غير حاوية له، ممكن أن تكون بعض النصوص كُتبت، ولكن الأصل أنه غير موجود.

السائل: يا شيخ، يعني هل ترجح أن لليهود صلة في يد متطاولة في هذا الموضوع؟

الشيخ: لا اليهود ليس في اعتقادي أي دور في قضية إنجيل برنابا، وحتى القصص المتداولة حول هذا الكتاب لا توحي بمثل هذا، ولكن اليهود لهم دور في إفساد الدين المسيحي، كما ذكرنا عن شاؤول، وهذا يكفي إن شاء الله.

السائل: هذا سؤال للتخمين، شيخنا، بالنسبة لبطرس وبولس، أنت قلت: لما بولس -شاؤول، ذهب لنشر ديانته، لحقه بطرس، فقلت بطرس قُتل!

الشيخ: قُتل بعد سبع سنوات..

السائل: يعني من تُخمن في الأول، ومن تُخمن في الثاني.

الشيخ: هذا يحتاج لشيء من قراءة التاريخ، وأمر عليه بسرعة لهذا السؤال: معروف بأن القديس

قُسطنطين، الإمبراطور الروماني الذي نصر الديانة النصرانية، والتي أمه هي القديسة هيلانا.. من غير قديس، نذكر حسب ما يسميه عند أقوامه. لأن أصلًا قُسطنطين الكبير الذي نصر الديانة النصرانية التثليثية، في الحقيقة قيل –على صيغة التضعيف– أنه عُمد على فراش الموت، والأغلب أنه مات من غير تعميد، يعني مات وثني.

أمه الحجة هيلانا!! القديسة هيلانا، مما يدل على أنها كذابة كبيرة ومنافقة، أنها هي التي دعته لتبني النصرانية، لكن لماذا كذابة؟ هي التي رأت في المنام الخشبة في بيت لحم، التي صُلب عليها عيسى، رأت في المنام.....

وبالتالي: الكاتدرائية هي كل مكان مقدس أو كنيسة يوجد فيه قطعة من هذه الخشبة، تُسمى كاتدرائية.

ما يهمنا: لماذا قُتل؟ تاريخيًا كان هناك صراع بين عائلتين في روما على الإمبراطورية، ويعرف إخواننا أهل الأدب قصة يوليوس قيصر ولماذا قُتل ، لمن أراد أن يعرف قصته يرجع إلى شكسبير "يوليوس قيصر"، يجدها.

في وقت من الأوقات لشدة الصراع بين العائلات والكبار والقادة في روما، اتفقوا أن لا يكون هناك عليهم قيصر، بل يكون هناك مجلس شورى، مجلس ديمقراطي، أو على رأي القذافي: ديمكراسي!!.

فلما يوليوس قيصر قام بحرب فعين نفسه قيصرا، فقتلوه! ومن هنا العبارة الشهيرة "حتى أنت يا بروتوس" لأنه شارك في قتله.

ما يهمنا في هذا، أنا فقط من أجل الصيغة التاريخية، لأنها هي التي تكشف لماذا قُتل شاؤول، هذا المرجح.

كان هناك عائلتان يتصارعان من يكون القيصر، فاتفقوا على أن يولى هذا سنة وهذا سنة، من أجل حل المشكلة. كما ذكرت لكم في وقت من الأوقات، اتفقوا ألا يكون هناك قيصر، لأن القيصرية أثبتت

فشلها، وفيها طغيان ودماء وهكذا..

اتفقوا أن هذا عام وهذا عام، فمما حصل في وقت قُسطنطين الكبير، القديس الكبير، فكثُر أتباع شاؤول، وواضح أن شاؤول عقلية يهودية، يعني يقوم بسرية ، والآندساس والدخول مع القادة، فمما يُقال بأن أم قسطنطين لما آمنت بشاؤول صارت هناك قرابة وصارت هناك معرفة! فأراد قُسطنطين أن يستغل الشاؤوليين (البولسيين) أن يستغلهم من أجل نصرته على العائلة الثانية ليستمر ملكه، وهكذا كان، ودخل في الصراع شاؤول وجماعته في الصراع السياسي من أجل نصر قُسطنطين على الملك الأخر، وبعد ذلك حصل الذي حصل..

وهنا أنا عندي الإشكال، الذي قتل شاؤول هو الصراع بين العائلتين، أنه هو رأس الأفعى المديرة، فقُتل. ولكن قتله بعد سبع سنوات لا يحمل أي دلالة دينية، بخلاف قتل بطرس بعد أسبوع!

شاؤول عنده جماعة نصابين حشاشين، مثل جماعة الحسن ابن الصباح الحشاشين أهل الاغتيال، فضوا عليه.

وهنا الكنسية النصرانية تعتبر بطرس شهيد، وهو شهيد ولا شك، نحن نعتقد بشهادته وأنه ولي من أولياء الله وحواري.

لكن شاؤول يعتبرونه كذلك شهيد، لا، هو صراع سياسي من أجل نصرة مذهبه، وبالتالي تبنت روما الديانة، وهذا أقرب ما يمكن استنباطه في هذه القضية وقراءتها، والله تعالى أعلم.

السائل: أفضل ما كُتب إظهار الحق، ماذا يوجد كتب جيدة عنهم؟

الشيخ: يعني إظهار الحق من أجمل ما كتب، ولكن يأتي معه تلميذه، والفضل للأول يبقى، وهو كلام ديدات في كلامه على الآنجيل، وكتاب العهد القديم والجديد، يعني يأتي بأمور لم يُسبق إليها، وهذا من فتح الله عليه، رحمه الله وأجزل مثوبته. فلو جُمعت مقالاته ونُسقت يكون هذا جيدا في قضية قراءة الآنجيل.

نحن لا يوجد عندنا تاريخ النصرانية ، يعني لا تقرأ في كتب المسلمين غير قضية بولس وكذا، ....الخ. لكن تاريخ النصرانية يُعرف منهم، ولذلك نحن بحاجة إلى ترجمة كثير من كتبهم في قضية تاريخ النصرانية، وأغلبها ليست عربية، أغلبها مكتوبة باللغات الأجنبية لأنها تتعلق بدينهم.

فلو تقرأ تاريخ النصرانية.. ليس التاريخ الذي يُكتب عندنا فهو تاريخ سريع، وهناك تاريخ موثق من خلال وثائق ودراسات وإلى غير ذلك من الأمور.

عندك كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، الجواب الصحيح، كلام هداية الحيارى لابن القيم، لكن كلها تتعلق بالاعتقاد، والاعتقاد واضح.. وأنا أقول: هناك دينان على الأرض لا يمكن لعاقل يملك مسكة عقلٍ واحدة أن يدين بهما "النصرانية والرافضة الشيعية"، اليهودية فيها شيء من العقلانية، البوذية فيها شيء من العقلانية! شيخ الإسلام يعتبر وحدة الوجود فيها شيء من العقلانية!

لكن النصرانية... المطويات النصرانية توزع بكثرة وأول كلمة فيها: الإيمان ليس هو العقل.

ثانيًا: الرافضة لا يوجد عقل بالمرة! لا أحد يضحك عليك ويقول لك النصوص، أيّ نصوص يا رجل؟! أيّ نصوص؟

الدين خاطب فينا إنسانيتنا، خاطب فينا فطرتنا، فأول شيء نعرضه على الفطرة، وهذه قوة الدين، هذه قوة الإسلام! أنك إذا حدثت أي أحد عن الإسلام فورًا تستجيب له فطرته، لا يُناقش، من هو الله؟ الرسول؟ القرآن؟ هو يستجيب..

ومن ثم قضايا التشريع.. بسبب اختلاف الفطرة وتبدلها! واحد يقول لك: لماذا تقتلون الزاني، أو لماذا تجلدون.. واضح تغير الفطرة، ولكن لا أحد له عقل يؤمن بالنصرانية، فلا يوجد.

وأنصح بكتاب "المناظرة بين الإسلام والمسيحية" هذا كتاب راقي، وجيد، وعاقبته كانت خيرًا، مجموعة من القسيسين النصارى السودانيين طلبوا مناظرة، وكلهم بعد ذلك أسلموا، لما تكلم المسلمون بالحق، فكان يُنتظر أن يقوموا النصارى ليردوا عليهم، فردوا عليهم بأن أسلموا.

موجود الكتاب، مطبوع ومنتشر، ورائع.

السائل: ما رأيك في القول أن أهل الكتاب ليس لهم وجود اليوم؟

الشيخ: هذا كلامٌ غير صحيح، أهل الكتاب على ما هم عليه من الضلال والانحراف هم ما كانوا عليه من الضلال والانحراف زمن النبي صلى الله عليه وسلم، والقرآن تحدث عن انحرافهم العقدي والسلوكي، ومقاتلتهم وتغييرهم لدين الأنبياء، ومع ذلك سماهم أهل كتاب.

هذا واحد..

الشيء الثاني: إذا أراد المتحدث بنفيه أهل الكتاب بمعنى أنهم قد تحولوا إلى ملحدين وتغيرت ديانتهم، هذا كثير، نعم حصل، كما حصل في المسلمين، لكن ننفي وجود المسلمين؟ هم الأصل، والنصرانية مازالت قوية، يعني الآن في روسيا النصرانية قوية! الدين في أمريكا شيءٌ رئيسي في داخل الأسرة الأمريكية!

نعم بعض البلاد يغلب فيها الإلحاد، وهناك دراسة علمية اطلعت عليها أن أكثر ديانة فيها الإلحاد هي اليهودية!. أكثر ديانة في العالم خرج أهلها من ديانتهم هم "اليهود"، رقم واحد، تعجبوا!!

قبل لربيّ -لا يستحق، لكن كلمة هكذا يسمونه- قيل له: هل يبقى اليهودي يهوديًا حتى لو ألحد؟ قال: نعم. لأن اليهودية عندهم نسب وليست دين.

القصد من هذا: بأن القول بأنه لا يوجد أهل كتاب في هذا الزمان، هذا قولٌ باطل في كل المعاني، والله أعلم.

السائل: ما الضابط في التعامل مع حديث النبي صلى الله عليه وسلم (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) كما جاء في البخاري من حديث عبد الله بن عمرو، في وقتنا الحاضر وفيما مضى؟ وهل من الممكن أن نحدث عنهم الآن بضوابط؟

الشيخ: الأخبار التي سماها سلفنا بالإسرائيليات، هذه مراتب:

هناك ما هو ثابت أنه غلط، لا يجوز أن يُقال إلا من قبيل التنكير، ومن قبيل التقبيح والتشهير بقائلها وبأصحاب ديانتها، كسبهم الأنبياء، كادعائهم الكذب على الأنبياء، شربهم الخمر، الزنا، الفسوق، الفجور، ادعائهم على الله ما لا يجوز، كقول: أنه تأنث ونزل إلى الأرض وقاتل يعقوب وهكذا... فهذه لا يجوز لأحد أن يقولها إلا على سبيل النكارة.

وهناك أمور ثبتت في النص أنها عندنا وعندهم، موجود هذا، فهذه نقولها على سبيل الحق لأن الرسول قالها.

وهناك أمور ليست من هذا ولا هذا، فالطريق ماذا؟ قال (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج). بمعنى أنك إذا حَدَّثت بها لا تكذب لأنها قد تكون صحيحة، لأنها ليست معارضة، ولا يجوز لك أن تصدقها لأنها قد تكون باطلة، فيجوز للمرء أن يُحَدِّث، ولكن هذا لا ينبغي أن يُفتح الباب لكل عاميّ، كما يفعل بعض خطباء اليوم، حين يأتي بقصص مكذوبة ويصعد على المنبر ويحكي قصصا لا أساس لها، ويكون فيها التهافت والسوء والشر وهو لا يعرف، هذا ينبغي أن يفعله العلماء الذين يدققون في الألفاظ ويعرفون ما في خبايا هذه الكلمات من باطل، لأن كثيرًا مما يُقال من القصص تُقال وفيها ما فيها من الباطل!

يعني كتاب المعارف لابن قتيبة ذكر في مقدمته كيفية الخلق، وذكر كل ما في التوراة!

الإمام ابن جرير، أتى بسفر التكوين كله! فيه من الباطل والكذب ما لا يجوز، فينبغي أن تُذكر للتنبيه.

وهؤلاء اعتذروا: هكذا وصلتنا فنثبتها، ولكن ينبغي أن لا يسكت الحديث عنها، ينبغي أن يبين أنها باطلة ومكذوبة.

فالقصد: (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج) هذه للعلماء لأنه تكذب وتصدق، هذا واحد.

الشيء الآخر: هذا لا ينبغي أن ينشغل به الناس! يعني واحد جالس يريد أن يعلم الناس درسًا- خطيبًا يعلم الناس درسًا من الدروس، ما الأولى؟ يعلمهم "إياك نعبد وإياك نستعين"؟ يعلمهم الصلاة؟ أو يأتي لهم بقصة من بني إسرائيل من أجل أن يروي الغرائب؟ ينبغي أن يقدم الأهم. هل خلا القرآن من كل الخيرات حتى يذهب إلى قصة من بني إسرائيل؟

فهذه إنما تُقال من مُلح الجلسات، يعني جلسات التي فيها زيادة، زاد الجلسة لا بأس بتلك القصة، لكن أن تُذكر على سبيل الأهمية، وأن تروى، وأن يصبح فيها جلسات ويتحدث بها! فهذا خطأ يُحذر منه.

اليوم أنا لا أُجيز لأحد أن يقرأ ليروي، إنما يقرأ لينتقد، يقرأ ليُبين، هذا لا بأس، أما أن يقرأ كما يفعل بعض الجهال من الصوفية أو من القُصاص يذهب إلى كتاب العهد القديم، من أجل يبحث عن قصص جميلة يُحدث بها الناس، هذا لا يجوز البتة.

السائل: هل اللوح المحفوظ هو أم الكتاب؟ وأين يقع الإثبات، هل فقط في اللوح؟

الشيخ: كلمة أم الكتاب كلمة مجملة، قد تُطلق على القرآن، كالفاتحة نقول أم الكتاب، يعني أم القرآن، وقد تُطلق على أصل الشيء، كقولك أُميّ، يعني على الأصل، لماذا يُقال عن الأُمي: أُمي؟ نسبةً لأمه، يعني على الأصل قبل أن يتعلم، فأم الشيء أصله، فإذا قُصد بأن هذا الكتاب (القرآن) في أم الكتاب (**وأنه كتابٌ مكنون**) في أم الكتاب فالمقصود به اللوح المحفوظ، نعم.

وهذا هو الجواب.

أما ما هو المحو والإثبات في أم الكتاب؟ هذه قضية طويلة لا أُريد الآن أن أقف عندها الآن، وللعلماء فيها مقالات: هل هي في الشرع؟ هل هي في القدر؟ هل في الحسنات كما يقول ابن جرير: يمحو الله السيئات ويُثبت الحسنات؟ كلام طويل لا أُريد أن أقف عنده الآن.

دعونا نختار كتاب جديد، كتاب صغير وأرجو أن يُقرأ، وهو "مؤتمر النجف"، كتاب مهم وخطير، ولا

يعرف الناس قيمته. على الرغم أنه قصة، قصة مفتي الدولة العثمانية لما ذهب لمناظرة الشيعة.

الناس طلبوا، أول حاجة تفتح دكانك وتبيع ماذا تريد، لكن لما تُصبح مشتهر تصير تبيع ماذا يريده الناس. واحد واضع في ذهنه ماشي، فكل واحد الآن يعجبه كتاب، يقول لك: يا شيخ هذا الكتاب بالله هذا الكتاب ضعه معك-يحتاج مناقشة، فالكل يطلب، فيصبر علينا الناس، نحن عندنا ألف كتاب يعني.

لكن لا بأس، مؤتمر النجف، وإن شاء الله الذين يطلبون عن سيد وعن غيره، إن شاء الله-نحن ما دمنا أحياء، ومادام في بالتوك، لن نتوقف إن شاء الله تعالى عن المناقشة.

بالرغم أني كل أسبوع أنوي أن يكون هذا أخر كتاب، لأن الحقيقة هذا مشروع متعب، ولله يا إخوة مجرد أن تفتتح الموضوع وكيف تدخل فيه، وكيف تمشي يتعب، هذا آخر يومين قبل المناقشة فقط لترتيب الأفكار، كيف تضعها، الموضوع ليس سهلًا.

يعني بعض الأخوة قال: ما أنت قرأت الكتب من قديم! طيب قرأتها، لكن لا تحتاج العودة إليها؟ ألا يحتاج تنسيق كيفية الكلام فيها وهكذا، فمتعب، ما كنت أظن أنها في هذا الإرهاق ، ولكن نسأل الله أن ينفع بها الأمة، وأن تكون في سبيل إظهار دينه، ونصرة دينه، وفي تنظيف العقل المسلم، ونسأل الله أن يجعلها في ميزان العمل الصالح يوم القيامة.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

مؤتمر النجف

للأستاذ عبد الله السويدي

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الخامس والثلاثون

تاريخ المناقشة: ٧ أيار ٢٠١٦.

إنّ الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيّئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيّبين الطّاهرين، وعلى صحبه الغرّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عزَّ وجلَّ وإياكم منهم، آمين آمين.

أهلًا وسهلًا بالإخوة الأحبّة في هذا اللقاء من مشروع "ألف كتاب قبل الممات"، وهذا هو الكتاب الخامس والثلاثون من المشروع. وهذا اليوم هو للحديث عن كتاب قيّم ومهمٌّ مع صغر حجمه وهو الحديث عن كتاب (مؤتمر النجف) الّذي كتب قصّته الشيخ العلّامة عبد الله العباس السّويدي.

ابتداءً أعرّف بالكتاب تعريفًا يسيرًا فهو جزءٌ ممّا سجّل الشيخ في رحلته التي تُسمّى بـ (النفحة المسكية في الرحلة المكّية)، وهذا الكتاب لم يُطبع في ظنّي إلى الآن، لكن هذه القصّة الّتي جرت معه سنة ألف ومائة وستة وخمسين من الهجرة أظنّ سجّلها في هذه الرحلة لما كان في مكّة، على غرار الشيخ رحمت الله الهندي صاحب كتاب (إظهار الحق) فإنه لما جاء حاجًّا انبرى الشيخ زيني دحلان رحمه الله وهو مفتي الديار الحجازية في الدولة العثمانية فطلب منه أن يسجّل مناقشاته وما جرى بينه وبين النصارى من مناظرات في القارة الهندية. فكان هذا من فضائل هذا الشيخ بأن سجّل الكتاب العظيم المشهور الذي هو بين الناس وهو ركنٌ من أركان الردود على النصارى، فكذلك هذا الكتاب للشيخ عبد الله العباس السّويدي.

وسُمّي بالسويدي نسبة لعمّه من جهة أمّه وهو أوّل من تسمّى في هذه العائلة باسم السّويدي؛ لأنّ عمّه شقيق أبيه من جهة أمّه اسمه أحمد بن سويد، فُسمّي بالسويدي؛ لأنّ عمّه هذا قد ربّاه فانتسب إليه وإلّا فهو ليس من عائلة السويدي ولكن بعد ذلك العائلة صار يُطلق عليها السويدي. ولذلك في ترجمة ابنه عبد الرحمن بن عبد الله السويدي في كتاب (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) للمرداوي الحنبلي نسبه السويدي فنسب الابن كما نسب الأب، بالرغم من أنّ الأب منسوب من جهة

التربية ولكن صارت هذه النسبة جارية في عائلته.

فلمّا جاء وكتب هذه القصّة الرائعة وكتب هذه الحادثة العظيمة الّتي هي مع صغرها لكنها مليئة بالفوائد. وهذا كتاب من الكتب النادرة التي يُحبّذ قراءتها، وهو مجرّد ورقات صغيرة يمكن للمرء أن يقرأه في جلسة، لكن الفوائد فيها عظيمة جدًّا، وينبغي للناس أن ينتبهوا لكل لفظة وأن ينتبهوا للحالة النفسية وينتبهوا للفوائد وينتبهوا للنقاش الأصولي الرائق والرائع والراقي فيها، فهي قصّة رائعة وسلسلة من ضمن مشروع ينبغي دائمًا أن يبقى في أذهاننا ضمن الصّراع وهو قضيّة إزالة الحجج الّتي يتعلّق بها أهل الباطل، وكذلك التقريب الحقيقي بين الفرق المختلفة إسلاميًا.

وهذا ليس معيبًا اليوم؛ لأنّ الطريقة التي سُلكت فيها (طريقة التقريب) هي طريقة غير صحيحة، وهي عدم مناقشة المناهج وعدم مناقشة العقائد، وأن نتجاوز هذه المناقشة لنجلس لنكون واحدًا. هذه الطريقة ليست مهدية، بل نحن ننتسب للإسلام، أنتم تقولون ننتسب للإسلام ونحن ننتسب للإسلام، نقول عنكم أنّكم كفّار، وتقولون عنّا أننا نواصب كفّار، فيجب أن نجلس وأن نتناقش. نعم هناك عوائق كثيرة لهذا تاريخية وعقائدية؛ تاريخية تاريخ الدم الّذي فُرض دائمًا من قبلهم، من قبل الروافض في الحقيقة.

نحن نقرأ أنّ أهل السنة لم يتمالؤوا قطّ ضد الروافض مع أعدائهم، لم يحصل قطّ في التاريخ. هذه أنا أطلقها عبارة وأنا مدركٌ لأبعادها، وإنّما الذي حدث دائمًا أنّ الآخر هو الذي يتمالأ مع الأعداء ضدّ أهل السنة، والتاريخ فيه كثير؛ من نصير الدين الطوسي العدو الّذي يُمدح بأنّه انتقم للروافض من أهل السنة، وحتى الثورة المعاصرة هذه لو سأل سائل من الذي فتح باب الدم؟ هم الروافض.

يعني عندما قامت الثورة الخمينية قامت على أساس أنّها بشعار إسلامي، والناس ناصروها إلا قلّة قليلة كانت تدرك أهمية قراءة الفرق من خلال عقائدها، وهذه قلّة قليلة موجودة في المجتمع إلى يومنا هذا. ومن رفع هذا الشعار طبّقه بطريقة غير سديدة. ومع ذلك لما انتصر الخميني وضع المذهب الجعفري في الدستور وبدأت تظهر القبائح والسوء ضدّ المسلمين وضدّ أهل السنة في تطبيقاتها العملية

في داخل إيران، تعاملوا معهم بالإقصاء وتعاملوا معهم بالقتل وتعاملوا معهم بالتعذيب إلى يومنا هذا.

لكن إذا وُجدت فُرجة وفرصة للحوار مع أيّ عالم فينبغي على السنيّ ألّا يعرض عنها، وألّا يغلقها، بل يجب أن تبقى مفتوحة. على الرغم أنّ الآن كما ترون أنّ الشُقّة واسعة جدًّا بيننا وبينهم؛ لأنّ الإعلام الذي توسّد أئمة الشيعة فيه مُكرّس فقط لسبّ الصحابة ولإسقاط دين الصحابة.

يعني أنت لو ذهبت إلى القنوات السنّية فتجد التنوّع؛ هناك من يتحدّث في التفسير، وهناك من يتحدّث في الحديث، وهناك من يتحدّث في التاريخ، وهناك من يتحدّث في الفقه، وهناك من يتحدّث في الفرق، وهكذا، فتجد تنوعًا. لكنّك إذا ذهبت إلى قنوات الروافض لا تجد إلا همًّا واحدًا، هذا الهمّ هو الطعن بدين الصحابة، وذكر التاريخ الذي هم يتبنّونه من أجل إيغار الصدور والحقد ضدّ أهل السنة.

والغريب هنا أنّ الّذي قام على نشر هذا الكتاب وطباعته للمرة الثانية هو الأستاذ محبّ الدين الخطيب، ومحب الدين الخطيب كان ضدّ دعوة التقريب بالهيكل الذي طُرحت به في وقته، وهو قال في مقدّمة هذا الكتاب أنّ هذه الطريقة في التقريب وهي إلغاء الدراسة العقائدية وعدم المباحثة حول من هم ومن نحن، هذه فتنة وضلال ومخالفة للحق. والحق هو هذا التقريب، ما فعله الشيخ عبد الله السويدي هو هذا التقريب الحقيقي بأن يجلس وتتم المناقشة. والكتاب طُبع قبل أن يطبعه الأستاذ محبّ الدين الخطيب -رحمه الله- صاحب المكتبة السلفية، ولكن هو الذي قام على طباعته بعد ذلك ونشره حتى وصل إلينا، يعني نحن لا نعرف الطبعة الأولى ولا توجد في ظنّي.

في الحقيقة عندما أقرأ هذا الكتاب وهو كما قلت لكم لا يحتاج جلسة وممكن حتى في جزء من جلسة لكن كلّما تقرأ هذا الكتاب تحاول أن تبعده عن هذا الخطّ وهو خطّ الصّراع السنّي الشيعي؛ لأنّ هذا الكتاب بهذا المبحث واضحٌ وبيّنٌ، وهو مهمٌّ ولكن الكلام فيه كثير. ولا تستطيع أن تضيف أكثر مما هو موجود على الواقع من الصّراع السنّي مع أهل الرفض، لكن الحقيقة يمكن للكتاب أن يُقرأ بجوانب أخرى.

يعني مثلًا من الأهمّيّة بمكان أن نقرأ هذا الكتاب من خلال علماء العصر، هذا الرجل (عبد الله السويدي) مع الاعتذار وهذا إحدى همومي التي تشغلني في الحقيقة، عندما يأتي طالب العلم ليتحدّث عن الفرقة الناجية ويتحدّث عن عقائد أهل السنة وأن أهل السنة وأهل الحديث وغير ذلك فيقفز من ابن تيمية إلى مثلًا ابن عبد الوهاب، أين هؤلاء؟ أين العلماء؟ هؤلاء أين هم؟ نحن لا نجد.

وهذا غير صحيح، ولكن نحن غيّبناها من حديثنا، وغيّبنا ذكر العلماء. ولذلك أنا أكرّر وأعود إلى مقصدي في عرض كتاب مصطفى صبري رحمه الله شيخ الدولة العثمانية؛ لأبيّن أنّ الصراع مع العلمانية لم يقم به ما يُسمى (أصحاب الدعوة السلفيّة)! وإنما الّذي قام به علماء ما يُسمّون اليوم علماء التقليد، ومشايخ المذاهب، ومشايخ التعصّب إلى غير ذلك.

وقراءة التاريخ من خلال علاقة العلماء بالمذاهب هذه قراءة قاصرة وظالمة، أو قراءة العلماء من خلال التصوّف مثلًا، أنّ هذا متصوّف. يعني هذا الشيخ عبد الله السويدي له كتاب اسمه (شرح دلائل الخيرات)، و(دلائل الخيرات) فيه الكلام الكثير؛ لأنّ فيه أذكار وفيه توسّل بالنبي صلى الله عليه وسلم، فهل نأتي لهذا العالم الجهبذ من خلال هذا الكتيّب فقط؟! وهو له شرح على البخاري كذلك. وللذكر هو شافعي، حاولت أن أبحث عن مذهبه فوجدت ابنه ينتسب للشافعية ووجدت كذلك أنّ عامّة مشايخه من الشافعية، على الرغم أن المترجم له وهو المرداوي رحمه الله من الحنابلة.

القصد أنّنا إذا قرأنا علمائنا قبل ما يُسمى بـ (السلفيّة) بالمفهوم المتأخّر فإننا نلغي هؤلاء العلماء، ونُعمي أبصارنا عن جهودهم العظيمة في نصرة الدين.

وأنا ليس من مهمّتي أن أذكر جحافل من العلماء الّذين كان لهم صلات في دعوة الدين. الآن ذكرنا رحمت الله الهندي في إظهار الحق، من هو هذا؟ حنفي ديوبندي. من هو الشيخ عبد الله السويدي؟ شارح دلائل الخيرات الصوفي، وله طريقة، وهكذا. ومن هو الشيخ مصطفى صبري؟ الحنفي، شيخ الإسلام في الدولة العثمانية.

فلا يجوز لنا أن نقرأ التاريخ بالعيون القاصرة التي نعيشها اليوم، وهذا ظلم. والعلماء الذين أنتجتهم حتّى المدرسة العلمية وصار عندهم وضوح لم يتخرّجوا من مدارس السّلفية، تخرّجوا من المدارس العلمية الموجودة. يعني الشيخ عبد الرحمن المعلّمي تخرّج من المدارس الموجودة على الساحة، المدارس المذهبية والعلماء وكذا، ثم بعد ذلك لكثرة اطلاعه في تفرّغه لتحقيق الكتب صار شيئًا آخر، كانت له ولادة أخرى –عليه رحمة الله–، وهكذا.

هذه قراءةٌ مهمّةٌ جدًّا، ويجب علينا أن نعيد إحياء كتب التراجم المتعلّقة بهذه الفجوة. يعني ذكرت لكم كتاب (سلك الدرر) وهو كتاب عظيم ورائع، والمطبوع منه كأنّه مطبوع على الطريقة الحجرية ومصوّر فقط بهذه الطريقة، لا يوجد اعتناء، ولا يوجد اهتمام به، بالرغم أنّه مليء بتراجم معاصرين في هذا القرن، ومليء بأئمة عظام لهم جهود عظيمة في الفقه والجهاد والأصول، ولا تظنّوا أنّ هؤلاء ليسوا شيئًا! يعني لا تقارنوا الشيخ عبد الله السويدي رحمه الله بعالم ترونه معاصرًا.

لأنّ حالة الآنهيار العلمي المعاصرة ليست خاصّة بأصحاب المذاهب، وإنما هي كذلك لمن يدّعي الاجتهاد هي حالة. والدليل أنتم رأيتم هذا النقاش الراقي، يعني لما الشيخ عبد الله السويدي ناقش الملا باشا وهو إمام الرفض في الدولة التي بناها نادر شاه وهو الّذي ناظره في هذه المناظرة كيف ناظره في الأصول، كيف تكلّم عن قضيّة العموم والخصوص، وقد احتاج إلى هذا العلم ولا يستطيع أن يلزمه إلّا بالأصول.

يعني عَلِم الشيخ عبد السويدي علمًا يقينيًّا أنّه لو ناقشه بالنصوص لما انتصر؛ لأنّ النصوص أنا أنكر نصّك وأنت تنكر نصّي والنص يحتمل الدلالة فإذًا لا بدّ من الأصول. فكيف هذا الرقي عند هذا الرجل، مما يدلّ على أنّ هذه فترة مليئة بالعلوم العظيمة والرجال العظماء، هذه قراءة مهمّة جدّا في هذا الكتاب.

القراءة الثانية والّتي لا يملكها الشيخ ولا نادر شاه وهي قضيّة كيفية التغيير. يعني نحن نعلم بأنّ الشيخ عبد الله السويدي انتصر في مناظرته مع الشيعة في هذا الخبر، ونادر شاه ألزم شعبه الإيراني بها.

لأنّ نادر شاه كان ملكًا على أربعة شعوب؛ فكان ملكًا على الإيرانيين، وهذا الحديث يدور حولهم لكونهم رافضة، وكان ملكًا على تركستان، وكل هذه الولايات الجنوبية الإسلامية قد حكمها، حتّى الشعب الثالث هو الأفغان، وقليلا ما ذُلّت أفغانستان وغُلبت ولكنّه غلبها وقتل ملوكها ودخلت أفغانستان تحت ملكه، كان ملكًا على الولايات الجنوبية الإسلامية من داغستان، تركستان، وأوزبكستان، كلّها دخلت تحت سلطان نادر شاه هذا الرافضي.

بل دخل الهند وحكمها، وأخذ منها الأموال العظيمة، وألزم ملكها السنّي بأن يكون تابعًا له؛ لأنّ الدولة الصفوية لم تُقاتل فقط من قبل العثمانيين، بل قُوتلت من قبل أهل السنة في أفغانستان وقُوتلت من قبل الهنود المسلمين السنّة، وقُوتلت من قبل الدولة العثمانية.

ونادر شاه طاغية من طواغيت التاريخ ورجل محارب من الدرجة الأولى وقاتل من الدرجة الأولى كذلك، ولكنّه ذكيّ في الحرب جاهل في العلم. هو ليس فيه شيء من العلم، وإنما هو يريد الاستقرار لملكه كما سيأتي في شرح هذه المناظرة.

وهذا الفرمان العظيم الذي أصدره بتحريم سبّ الصحابة لم يكن له أدوات تطبّقه لتغييره في عقائد الناس، فلم ينجح وعاد السبّ ومات نادر شاه بعد ثلاث سنوات بالاغتيال، وقيل إن سبب اغتياله فيما ذكر علي الوردي وهذه في "لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث"، وأنا إن شاء الله سأختار كتابًا لعلي الوردي لشهرته، مع أن لي رأيًا في كتبه سأبسطه عندما نتحدّث عن بعض كتبه، ويمكن أن نختار كتاب "وعّاظ السلاطين" أو بعض كتبه الأخرى.

فيقول بأنّ نادر شاه اغتيل بعد ثلاث سنوات من هذه المناظرة، والسبب ربما يهدينا أنّ الإيرانيين كانوا غير صادقين في تغيّرهم. وطبعًا أنا أستخدم كلمة إيرانيين؛ لأنّها هكذا تُذكر في التاريخ، فيُقال إيرانيين نسبة للشيعة. وأنا لا أسقط في الأخبار رؤيتي إلّا بعد أن أذكر النصّ كما هو. فيقول علي الوردي –وهو ينقلها عن مستشرق– بأنّ سبب قتل نادر شاه هو أنه أراد أن يزيل كل القادة الإيرانيين والجيش. ويقول كلمة: أنه أراد أن يقتلهم. وهذه صعبة، واحد يقتل القادة الإيرانيين في جيشه، هذه

صعبة جدًّا. لكن هو يقول هذا المستشرق أنا أعتقد أنه أراد إزالتهم ولعلّه رأى عدم الصدق فيهم أو أرادوا خيانته بعد هذا المؤتمر وأراد أن يقرّب الأفغان ويقوّي الجيش فقام عليه قوّاده وقتلوه بعد هذا، فهل هذا من تداعيات هذا المؤتمر؟ أنا أعتقد نعم فيه جزء كبير من تداعيات هذا المؤتمر أنه لم يرتح لهم، لكنه رجل كبير ولم يعرف الأدوات.

ما هي أدوات التغيير؟ هم العلماء. وهذا أدركه إسماعيل الصفوي تمامًا، وإسماعيل الصفوي هو الذي أنشأ الدولة الصفوية، وهو حفيد صفي الدين الأردبيلي أو كما يُسمى الكردي لأنّه كردي. صفي الدين الأردبيلي بينه وبين إسماعيل خمسة آباء تقريبًا، هذا ماذا فعل ليقلب إيران السنّية العظيمة أصفهان؟ ارجعوا إلى كتاب (تاريخ أصفهان) لأبي نعيم.

أصفهان كانت تنافس بغداد في العلم، ولا يوجد فيها سنّي واحد الآن! فماذا فعل إسماعيل الصفوي؟ أحضر كلّ علماء السنة وقتلهم، وما أبقى عالما ولا إمام مسجد ولا واحدا مما يُرجع إليه في الفتوى أو يقوم بأعمال الدين في الإمامة وغيرها والقضاء في داخل إيران. وأحضر علماء الروافض وأغلق المدارس السنّية وبدأ بملء هذه المدارس بعلماء الرافضة.

ومن هنا بدأ التحوّل للغلوّ الشديد عند الروافض؛ ذلك لأنّ إسماعيل الصفوي لما قتل علماء أهل السنة احتاج إلى علماء رافضة ولا يوجد، فأرسل للنصيريين من أجل أن يحضروا له علماء تحت مسمّى الشيعة الاثنا عشرية ليعلّموا الإيرانيين دين الرفض وإنّما علموهم دين النصيرية! ومن هنا انتشرت هذه العبارة: ما كان غلوًّا عند أئمتنا أصبح من ضروريات مذهبنا؛ لأنّ النصيرية غالية جدًّا. وهذه أنا ذكرتها أكثر من مرّة وأكرّرها لا بأس، لأنّي أعاني من مشكلة أنّ ما قلته في موضع، يأتيك أخ يقول لك اذكر لي الشريط الّذي ذُكر فيه هذا حتى أرجع إليه، فلا بأس من التكرار في هذا الأمر بسبب الحال

فالمهم الدولة الصفوية هي دولة نصيرية في عقائدية. والرفض الموجود الآن ليس هو الرفض الذي يتكلّم عنه قبل الدولة الصفوية، الرفض اليوم هو العقائد النصيرية. وهم يعترفون بهذا، ويقول أحدهم بالنص ما كان غلوًّا عند أئمتنا صار من ضروريات مذهبنا، كيف؟ بهذا التحوّل.

القصد ما هي الطريقة؟ هي طريقة العلماء.

نظام الملك -رحمه الله وأجزل مثوبته- كيف قضى على الباطنية؟ نعم هو وزير لا يعرف إلّا الأشعرية، يعني عنده الدين هم الأشاعرة، كما أنّ صلاح الدين لا يعرف دين أهل السنة إلّا الأشاعرة أمام الإسماعيليين في مصر والإسماعيليين في اليمن.

انتهت فتنة الباطنية التي غزت؛ ولذلك لا تهتموا بانتشار البدعة، هي لما تقوم مكتوب عليها أن تزول **{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً}** مهما انتصرت. الباطنية الإسماعيلية غلبوا على أهل الإسلام. شيخ الإسلام لما تقرأ له تذهل، لما تقرأ تاريخ الأمّة في القرن الخامس الهجري، السادس الهجري، السابع الهجري، الثامن الهجري، تتعجّب أنّ الإسلام كاد أن يُباد، وما فيه إلا الرفض الذي ينتشر؛ بلاد الشام بيدهم، مصر بيدهم، المغرب بيدهم، اليمن بيدهم، خرسان بيدهم، الرافضة يسيطرون على العالم الإسلامي، وأين ذهبوا؟ تلاشوا! كيف تمّ القضاء عليهم؟ ليس سياسيًا وعسكريًا، سياسيًا وعسكريًا له أسلوبه صلاح الدين يقتلهم ويغيّر الأذان إلى آخره من القصص المعروفة لكن الطريقة في التغيير هي طريقة العلماء والمدارس، ومن هنا نشأت المدارس النظامية نسبة لنظام الملك. هذا وزير صدق وعلم وفتح المدارس، فقضى على القرامطة، وقضى على الخوارج، وقضى على الباطنية عن طريق العلم. ولا يمكن القضاء إلّا بهذا.

تجربة عبد الله السويدي رحمه الله تُثبت هذا، وهي تجربة عظيمة؛ نادر شاه طاغية، قانونه معمول به، والناس فرحوا به وصفّقوا ولكنّه لما مات انتهى هذا الآنتصار العظيم، لماذا؟ لأنّ تطبيقات هذا النصر لم تغز الأمة ولم تغز الناس.

وطبعًا الشيعة مع تقيّتهم وأئمتهم وهو يدرك عبد الله السويدي رحمه الله أنّهم يتلاعبون، وذلك لمن قرأ الكتاب في الخطبة كيف كسر عمر، قال من عمرٍ بن عمرٍ فكسرها، قال وهذا من خبثه مع أنّه من أبصر الناس بالعربية هذا الخطيب ومع ذلك كسر عمر في الخطبة حتى يبعد عنه العدل ويبعد عنه العالمية. انظر إلى هذه الدرجة من الخفاء والخبث في هذا الباب.

فهذا الكتاب وهذه التجربة تدلّنا على أنّ الطريقة هي طريقة البناء من الأصل، طريقة عودة المدارس، طريقة العلماء بأن تنشر العلماء في الناس. لا يُقضى على وجودهم فقط بالعمل السياسي العسكري، ينبغي أن تناظر علمائهم وينبغي أن تحيّد علمائهم.

يعني لما شيخ الإسلام رحمه الله صعد إلى الجبل واستتاب الدروز واستتاب النصيرية ما النتيجة؟ لا شيء! والمساجد التي بناها ابن تيمية في القرن الثامن الهجري في الجبل عند الدروز وعند النصيرية ذهب أساتذة ممن كتبوا تاريخهم كما ذكر الطنطاوي وغيره ذهبوا إلى هذه المساجد فوجدوها زرائب لأنعامهم! منذ أن بُنيت نزلوا من الجبل وملؤوها بالحيوانات. لم تتغيّر إلى اليوم. الطريقة ليست بناء مسجد، يجب أن تضع العالم، يجب أن تعزل قادتهم القذرين عن الباب، وحتى لو قتلتهم إذا رأيت منهم كما رأى هذا الخبيث منهم فينبغي أن يحصل هذا.

فهذه إذًا إحدى القراءات لهذا الكتاب.

قراءة أخرى لهذا الكتاب وهي مهمّة جدًّا وهي القراءة التاريخية، يعني هذا الكتاب ممّا يصحّ فيه قول القراءة تولّد قراءة. هذا طهماسب قُولِي –وأنا كنت أقول قُولَى ولكن صوّبني مرةً الشيخ أبو المنتصر–. هذا هناك علاقات بينه وبين الدولة العثمانية، فهذه القراءة تولّد ما هي هذه العلاقة؛ فتستطيع أن تجد أنه منذ وقت قبل حتى هذه المناظرة ووجدت في كتاب (سلك الدرر) –وربما أقرا النص– أنّه أرسل رسالةً للخليفة قبل ثلاث سنوات من هذا المؤتمر مع فيلة وأراد التقرّب للخلافة، يعني هو أراد إنهاء المشكلة، لم يستطع أحدهما أن يزيل الآخر؛ لا الدولة العثمانية أزالته ولا هو استطاع أن يزيل الدولة العثمانية والصراعات كبيرة فنتصالح. وهذه كذلك رؤية لرجل عسكري كبير حكيم وذكيّ.

هذه قراءة.

قراءة أخرى لهذا الأمر: هل نادر شاه طهماسب قولي هذا كان حقيقة يريد الآنهاء أم هي مسألة سياسية؟ يعني هذا نادر شاه طهماسب قولي الذي عمل هذا المؤتمر فأرسل لأحمد باشا والي بغداد

ليرسل له العالم فأرسل له عبد الله السويدي هل كان الرجل حقيقة يريد أن يبحث الدين؟ هذا السلطان الكبير الذي قضى على الدولة الصفوية والتي انتهت؛ لأنّ طهماسب هو آخر ملوك الدولة الصفوية وابنه عباس بعد ذلك وجاء هذا القائد العسكري كما يذكر عن نفسه أنّ والده ليس ملكًا ولا سلطانًا هو قائد عسكري انقلب على سيده طهماسب وانقلب على ابنه بعد ذلك، لأنّه أزال طهماسب فقد كان سكيرا وعربيدا وبذكاء أزاله، أشربه يومًا الخمر وأخرجه للناس وقال لهم هذا يصلح أن يكون ملكًا وسلطانًا وشاه؟! فأزالوه ووضعوا ابنه عشر سنوات ثمّ انقلب على الابن وأزاله، فانتهت بذلك الدولة الصفوية لآخر حكام الصفويين ثمّ بدأت هذه الدولة الأخرى الجديدة التي بناها نادر شاه. هل كان نادر شاه هذا يبحث عن الحقيقة؟ أم أنه يريد الدين النافع؟

الحقيقة أن الرجل من عجائبه أنه كان يشنّ بعض الحروب على مناطق ضدّ الدولة العثمانية من أجل القضايا التالية: أولًا أن تعترف الدولة العثمانية بأنّ المذهب الجعفري مذهب خامس يجوز التعبّد به! والذي أعطيناه نحن لهم بالمجان فيما بعد! الشيخ محمود شلتوت الله يرحمه أعطى هذا الأمر كانت تُشن حروب والعلماء السنة المساكين التقليديين والصوفية والمذاهبة هؤلاء والمتحجّرين، اليوم في الحقيقة أفتح هامشا يا ليتهم ظلّوا على هذا، اليوم جاءنا شيوخ ادّعوا التحرّر وادّعوا الآنعتاق من المذاهب وفتح باب الاجتهاد وبعد ذلك إذا هم فتحوا جدرًا وفتحوا فجوات عظيمة في جدار الإسلام لدخول الضلال فيه!

يا ريت ظلّوا العمائم التقليدية اللي بتطلع بتقول أنت رافضي، تقول استنى شوية اروح اشوف كتاب ماذا يقول، الرافضي زنديق، أنت زنديق، فيقول يا رجل نظف مخك شوي ما تروح على الكتب الصفراء، يقول له هذا دين لا ألعب فيه.

فليتهم ظلّوا وما جاءنا هؤلاء المتفتحون الذين فتحوا للأسف الدين اليوم تحت باب الاجتهاد، وتحت باب التنوّر، وتحت باب فقه الواقع، وتحت باب المصالح، حتى أزالوا كل الحواجز بين الحقّ والباطل. فلا نريد هذه الصور.

فهذا نادر شاه كان يقاتل ويشنّ حروبًا على الدولة العثمانية تحت هذه الدواعي، يطالب باعتبار

فتوى من السلطان العثماني وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية بأن يعترفوا بأنّ المذهب الجعفري مذهب خامس.

ومن أجمل الردود عليه هو ما قام به الشيخ عبد الله السويدي في آخر المناظرة في جلسة بعد ختام المناظرة وتقريراتها جلس مع الملا باشي وناظره في قضيّة هل يوجد شيء اسمه مذهب جعفري حقيقةً؟ وناظره مناظرة من أروع ما يكون بعبارات قليلة. عبارات ممكن تستغرق ثلاث صفحات بهذا القِطع الموجود الآن ولكنها من أبلغ ما يكون حيث سلّم له الآخر، ليس فقط الملا باشي ولكن من معه كذلك سلّموا أنه لا يوجد شيء اسمه مذهب جعفري.

وكان من مطالبه في الحروب كذلك محرابًا للرافضة! لأنّه كان في مشكلة، كان هناك في مكّة مظهر من مظاهر الخطأ أربعة محاريب للصلاة، يصلي أولًا الحنفي، ثم المالكي، ثم الشافعي، ثم الحنبلي، يصلّون على التتابع، فهو طلب محرابًا للرافضة. وكان إحدى نتائج المؤتمر أين يصلّي الجعفرية في مكّة على أساس أنهم تابعون للمذهب الشافعي فيذهبون للصلاة عند الشافعية ويريحوا، لأنّ الشيخ عبد الله السويدي الظاهر أنّه يمون على مذهب الشافعية.

فإذًا هذه مطالبه مطالب شيعية.

وثالثًا يريد أن يتولّى إمارة الحجّ.

إذًا هو رجل يستغلّ الدين، فجأة يصبح هذا الرجل يقول بكلامه الصريح للشيخ عبد الله السويدي لما دخل عليه، قال له اسمع أنا عندي مشكلة، في الجيش عندي ناس أفغان، وتركستان، وعندي إيرانيين، هؤلاء يكفّرون هؤلاء، وأنا لا أرضى بأن يكون بعض شعبي يكفّر الآخر، فأريد حلًّا وأنا أتيت بك حتى تزيل هذا التكفير وأسباب التكفير بعد المناظرة التي تجري بينكم.

ثم بعد ذلك هو أظهر بعض الكلمات تدلّ على أنّه مال إلى السنة، يعني بعض الكتب الذين درسوا هذه المسألة قالوا صار سنيًا، وأنا لا أعتقد هذا. يعني لا يعنيه أن يكون سنيًا أو شيعيًا، بل يعنيه أن

يكون ملكًا قد استقرّ له ملكه.

فيقول له بعد ذلك أرجو أن يدعو لي أهل الإسلام بأنّي أول من منعت السبّ وعاقبت على من يسبّ الصحابة رضي الله عنهم، وخاصة أنّه كبر. وكما يقدّر الشيخ عبد الله السويدي رحمه الله أنّ عمره ثمانون عامًا، وأنا حقّقت ووجدت أنّ هذه الكلمة عليها مقال والتاريخ الميلادي لا يلتقي مع هذا التقرير ربما هو في الستين لكن واضح أن حروبه قد أعجزته، حتى يصفه الشيخ عبد الله السويدي أن أسنانه قد سقطت، أسنان طهماسب قولي.

عندما يكون الحاكم بهذا الاتجاه فهل يجوز أن نستغلّه وأن نقول هو فقط يريد استقرار ملكه، هو لا يهتم بالعقيدة، هو لا يهتم بالتوحيد، أم أن نمشي في هذا الطريق وأن نستغله؟ في الحقيقة هنا يأتي تقدير الحكيم في مثل هذا الباب وينبغي ألا نطلّق عبارة كاملة، ينبغي أن تُدرس كل حالة على حِدَةٍ، كل حالة تُقرأ على طريقة زياد الثّقة عند المحدّثين وكل حديث يُقرأ على حِدَةٍ، وكل حادثة تقرأ على حدة، ربما يكون في ذلك استغلال لنا من غير منفعة، وربما لا، نحن الذين ننتفع بديننا ونستغلّ مقصده لما بني عليه.

فهذه قراءة أخرى لهذا الكتاب.

تعجبني الحالة النفسية، وأنا دائمًا أبحث عن نفس الكاتب. أعجبني هذا الرجل، مع أنّ الشيخ محمود شكري الألوسي صاحب الكتب النافعة مثل (غاية الأماني في الردّ على النبهاني) وهو علّامة العراق الشهير، يُذكر أنّ هذا الرجل كان من أشدّ الناس قوّةً في المناظرة. فالشيخ السويدي لم يخرج من الفراغ، واختيار أحمد باشا والي بغداد له ليس من فراغ، يعني تجاوز كل العلماء وأحضره، فهذا رجل له خبرة في المناظرة، وله سلطان على المناظر الذي يقابله.

وبالفعل لما أنت تقرأ طريقة مناظرته لهذا الرافضي الملا باشي تعجب لقوّة أصوله، وهضمه للأصول، وطريقته في تدوير المسألة من جهة العقل، وهو يعترف ويقول لو جادلتهم بالنص لا أستطيع، ولو

جادلتهم باللفظ فهم يستغلّون دائمًا مقالة أنّ اللفظ إذا تطرّق إليه الاحتمال بطل به الاستدلال. وللأسف هذه دائمًا يستخدمها المعاصرون من أهل الكلام إلى اليوم ليس فقط الرافضة! وأنّ النصّ يجب أن يتّفق عليه المتناظرين ليكون مقبولًا، فلو أحضرت لهم نصًّا لقالوا هذا مكذوب حتى لو كان عندنا معتمدا إلى آخره. ولكن كيف استطاع هذا الرجل أن يدير المسألة بعقله مع البساطة والطرح السهل الميسور الذي يفهمه العامي؟ هذه قدرة عجيبة.

لكن القراءة المهمّة أنّ الرجل تكلّم عن نفسه كلامًا ينبغي أن يُراعى، وهذه يجدها كل مخلص في نفسه يقول إنه وصل من الهمّ وهو سائر من بغداد إلى النجف من أجل أن يناظر وصل إلى درجة من الهمّ أن صار يبول دمًا! هذا من الصدق. وخلال الطريق ما أبقى مسألة تدور بين السنّة والشيعة إلا أدارها في نفسه وحضّر لها الجواب؛ الجواب الأول والثاني والثالث. هذا الذي يشدّني، أن أقرأ الإنسان في داخل هذا الخبر، وهذا الصدق، وهذه الأمانة، وهذه القوة.

بقيت مسألة عدم المتابعة، والشيخ عبد الله السويدي لا يملك في الحقيقة، فالخلاف بين الدولتين خلاف كبير ولا يملك أن يتابع؛ ولذلك نراه في آخر المطاف يتنازل عن أمور تُسجّل وهو لا تعجبه، ولكن يكفي أنّه انتصر ويكفي أنّه حقّق القذيفة الكبرى بتنازل الروافض عن المسألة وهي أعظم قضيّة وهي قضيّة سبّ الشيخين.

وهنا نأتي إلى نقطة كذلك مهمّة وهي أنّه لو جاء رجل اليوم مجادل أو كما هو شأن كثير من الناس اليوم إذ أنّ الرجل إذا قلّ علمه كثر اعتراضه! لماذا لم يذهب إلى مسائل أعظم بيننا وبين الشيعة؟ يعني لم يتحدّث عن قضيّة تحريف القرآن، ولم يتحدّث عن الاستغاثة بغير الله، وإنّما ذهب إلى الشعار وهو شعار سبّ الشيخين؟

أنا أعتقد أنّ هذا من ذكائه ومن مهمّته وهي التي تهمّ من يسمع من الناس. يعني ماذا يعرف العاميّ وهؤلاء الجنود يقول:" فلما التفتّ وإذا عدد الحضور يزيد عن خمسة آلاف حاضر من العلماء ثمّ بعد ذلك الجنود في جيشه عشر آلاف أو عشرين ألف" الذين حضروا بعد ذلك الصلاة وحضروا بعد ذلك

توقيع المعاهدة وتوقيع الصلح أو توقيع النتائج التي أدّى إليها المؤتمر، فإذا جئت إلى تحريف القرآن ماذا يعرف عن تحريف القرآن؟! لا يدري! والقضايا الأخرى لا يعرفها كذلك. فإنّما ذهب إلى شيء العالم والعامي قد اشتركا فيه وهو قضيّة سبّ الصحابة؛ لأنّها المنفذ؛ فقضيّة سبّ الصحابة نتيجتها تحريف القرآن، وإسقاط كلام الصحابة إسقاط للحديث، وهو الشعار الذي يتداوله الناس والعوام. فبالتالي الذهاب إليه كان مهمًّا جدًّا مع مناقشة قضيّة الإمامة، وهو ناقش الإمامة وناقش سبّ الصحابة بذكاء واقتدار وقوّة.

الآن نأتي لما وعدت به، أرجو أن يُفهم هذا أنّ الكتاب مع صغره في ورقاته لكنّ الكتاب يمكن أن يُقرأ قراءات متعدّدة ذات فائدة، وأنا أنصح بقراءته مرات، لا تقرأه مرة، هذا من الكتب المتجدّدة، وإذا كان الكتاب متجدّدًا بمعنى أنّك كلما أتيت إليه قارئًا ازددت منه فوائد، والكتاب كذلك.

ما هي القصة؟ القصة هي الصراع التاريخي بين السنة والرافضة، وآخر صراع كان قائمًا قبل هذا الصراع المعاصر الّذي نعيشه والذي تتداخل فيه العقائد مع السياسة والاستغلال مع الحقّ، يعني نحن نقول مع الاعتذار وبعض الناس ربما تحمرّ أنفه بأنّ كثيرًا من الصراع الّذي يجري الآن بين السنّة والشيعة العلماء فيه أدوات! ولو تُرك من غير هذا الاستغلال الّذي يستغلّه السياسي لكان يمكن الحديث. وهذا ليس تخفيفا لما يقوله مشايخهم وعمائهم السوداء وقلوبهم السوداء لكن الكثير مما يوضع تحت النار من الوقود إنما هو لدافع سياسي.

يعني الذي حارب مرسي لأنّه الإسلام هو الذي حارب الخميني لأنّه الإسلام ولا يعنيه أنّ هذا إسلام سني أو إسلام شيعي، إسلام مرسي تحت شعار سني ومع ذلك حاربوه؛ لأنّهم لا يريدون إسلامًا مهما كان، والذين حاربوا الخميني حاربوه لأنّه إسلام ليس لأنّه شيعيا. يعني ليس لأنّ الجماعة من أهل السنة فحاربوا الروافض، هذا كذب. يعني مثلًا هل يستطيع أحد أن يقول أنّ صدام قاتل الخميني لأنّ صدام سني وإيران شيعية؟ غير صحيح، بل هو قاتلهم لأمر سياسي، أرادوا تصدير الثورة فهو كما يقولون تغدّى بهم قبل أن يتعشّوا به، مع أنّ القصة أعمق من ذلك، يعني أنا فقط أمر سريعًا، وإلا فقضيّة

الحرب العراقية الإيرانية هي بنفسها تحتاج إلى جلسة. وممكن نختار (مدافع آية الله) لمحمد حسنين هيكل من أجل أن أبيّن ما عندي إن شاء الله في هذا الباب وما عندي من أخبار وكذلك رؤى.

كذلك هل تظنّون أنّ إيران –مع أنّها شيعية– لكن هل في جوهرها في قضيّة الصراع مبعث فارسي أم مبعث شيعي؟ يعني لو تصارع المذهب مع القومية في داخل الدوائر الرسمية الشيعية الإيرانية ما الذي ينتصر؟ القومية! هذا ممّا لا شكّ فيه. والدليل إصرارهم على تسمية الخليج الفارسي، سمّوه الإسلامي وغيّروه الكل بعدين يقولون إسلامي. يعني هذا مظهر يسير جدًّا، ومرات المظاهر مع أنّها بسيطة لكنها معبّرة عن جوهر عميق.

حدّثتكم كم مرّة عن الصراع الأذري (أذربيجان) مع الأرمن، الأذر روافض والأرمن نصارى. تصوّر تركيا (السنّية) تؤيّد الأذر، وإلّا فالحقيقة ليست المسألة لا شيعية ولا سنّية وإنما تركيا تؤيّد الأذر؛ لأنّهم تاريخيًا ضدّ خصومهم الأرمن الذين كانوا دائمًا هم مخلب القط للدولة القيصرية في قتال الدولة العثمانية، يعني قضية تاريخية. ولكن لماذا إيران الرافضة تناصر النصارى الأرمن ضدّ الأذر الشيعة؟! السبب صراع قومي قديم؛ الأذر يرفضون إمامة الفرس لهم ولو كانوا روافض. فإذًا الجوهر في داخله هو جوهر استعماري.

وأنا ما زلت أبحث عن هذا الكتاب لأحد المنشقين الألمان عن ألمانيا الشرقية قديمًا، يقول إن المسألة ليست قضية أممية وشيوعية واشتراكية كلها كذب، وإنما هي سيطرة أمّة الروس علينا. يعني هي سيطرة قومية تُستخدم بها العبارات الاشتراكية وغير ذلك، وهذا موجود.

فإذًا الصراع الموجود اليوم كثير منه هو استغلال للشيوخ! هذا التضخيم الذي نراه اليوم في قضية الشيعة والسنة، العقائد عظيمة ولكن في الحقيقة الكثير مما يجري هو استغلال وليس سني وشيعي. وأنا قلت لكم إن الذي حارب مرسي السني هو الذي حارب الخميني الشيعي؛ ذلك لأنّه صراع على من يتولّى كرسي الإمامة الإسلامية في العالم، بل هؤلاء على استعداد لو قامت ضدّ إيران دولة شيعية أخرى تنافسها لقاتلتها! وكما أنّ الناس يقاتلون الذين يريدون إسلامًا بعيدًا عن سلطانهم، أو دولة بعيدة عن

سلطانهم، لماذا حوربت طالبان من قبل هؤلاء؟ كما حورب الخميني، نفس الشيء، لا يريدون إسلامًا آخر ينافسهم على كرسي الصدارة والتحدّث باسم الإسلام.

كان الصراع الصفوي، والصفوية دولة خبيثة، وكل مظاهر التشيّع الرافضي والبدعي العميق في داخل الشيعة اليوم إنما تكوّن زمن الدولة الصفوية. يعني هذا اللطم، وهذا الضرب لا يُعرف عند الشيعة. الذي أنشأه هم الصفويون وأخذوه من النصارى الأرثوذكس في روسيا! أعجبهم كيف أن النصارى يعذّبون أنفسهم من أجل الخلاص من الذنب فقالوا نحن أصحاب ذنب أولى فلنخلّص أنفسنا من ذنبنا من مقتل الحسين وتخلّينا عن نصرته فأخذوها من النصارى.

يقول هو في هذا الكتاب بأنّ إعلان السبّ للصحابة في المساجد إنما قام به إسماعيل الصفوي حفيد صفي الدين الأردبيلي، وهذا غير صحيح طبعًا. وإلا فالحقيقة السبّ معلن، ونحن إذا قرأنا حوادث القرن الخامس الهجري في ابن كثير وارجعوا إليه فهو مهمٌّ جدًّا حوادث ٤٣٦، ٤٦٠، ٤٧٠ وهكذا، الصراع في بغداد بين السنة والشيعة كله يقوم على سبّ الأئمة! يعني يأتي الشيعة فيرفعون رايات لعن الشيخين فيقوم السنة الحنابلة بمهاجمتهم ويصطلحون مرّات على اليهود. وليتنا اليوم نصطلح على اليهود.

وابن كثير أنا راقبته وهو يتحدّث عن هذه المصطلحات فيمدحها، حتى لا يأتي أحد يسبّ علي يقول الشيخ يمدح فيهم ويقول نتصالح معهم، ليتنا نوقّف الدم ونترك العلم يمشي، هذا جيّد حتى لا نُستغلّ. لكن المسألة السياسية هي الّتي ستقوى. فابن كثير يمدح كثيرًا ما كانت تقوم صراعات بين الشارع، وليس السلطان، كان صراع بين الخليفة وبين الشيعة موجودا، والبساسيري الرافضي الباطني جاء ودخل بغداد وانتصر فيها، ثم جاء محمود بن سبكتكين وأخرجه.

فالصراع السنّي الشيعي موجود. لكن كذلك على مستوى الشارع كان هناك صراع بين الأعظمية وبين الكاظمية وبين الكرخ وغيرها من المناطق. وفي أكثر من مرّة راجعته فوجدت أنّ أكثر ما اصطلح السنة والشيعة وتحابوا وتباوسوا وأزالوا مظاهر العداء كان من أجل الهجوم على اليهود، قال فيتّفقون على اليهود ويدخلون عليهم، ثم بعد سنة أو سنتين تتغيّر المعادلة ويقومون على بعضهم البعض.

فلذلك قوله إن إسماعيل الصفوي هو الذي أعلن السبّ، لا الحقيقة السبّ قضيّة قديمة موجودة.

فقط للذكر حتّى لا يختلط التاريخ لو واحد بحث هناك طهماسب الأول وطهماسب الثاني؛ طهماسب الأول ابن ابنه الذي أقام الدولة وهو إسماعيل الصفوي وهذا يُسمى طهماسب الأول.

فهذا الصراع العثماني الصفوي صراع عظيم وكانت مظاهره دموية بائسة، وكان ينتصر هؤلاء مرّة وهؤلاء مرّة وإن كان في الحقيقة لو جمعنا عدد الآنتصارات لكان للرافضة الأكثر. وأنا هذا يستوقفني في الحقيقة وأريد أن أتكلّم عنه، ومنذ أن بدأت أقرأ عن تاريخ الفرق وأنا أتعجّب من انتصارات الفرق (البدعية) في الدفقة الأولى وأتعجب أين يذهبون؟

يعني والله ما زلت إلى يومي هذا، لما كنت أقرأ قبل ظهور الخوارج الجدد وأقرأ انتصارات الخوارج في دفقهم الأول ضدّ الدولة الإسلامية الأموية، يسوق لهم الخليفة الجيش من عشر آلاف مقاتل وهم بخمسمائة مقاتل يبيدونه! فأقول كيف انهزموا وأين ذهبوا بعد ذلك؟! يعني هذه الآنتصارات الكبرى الّتي حُقّقت في اللحظات الأولى أو في الزمن الأول بعد الظهور أين ذهبوا بعد ذلك؟ تتعجّب أين ذهبوا؟ والله لا تجد تفسيرًا لذلك إلّا تفسير واحد وهو **{فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً}**.

الآن إسلاميًا في زماننا كم فسادا إسلاميًا هو خير من حكم العبيديين وحكم الباطنيين في القرن السابع الهجري والثامن الهجري والتاسع الهجري اليوم إسلاميًا خير، أنت تتعجّب أين هؤلاء ذهبوا؟ أين هؤلاء الدعاة؟ لما تقرأ تاريخ الدعاة الباطنية تتعجّب كيف سيطروا على المساجد، لا يوجد مسجد لأهل السنة! يذكر بعض المؤرّخين أنّه لا يوجد مسجد في حلب يُخطب فيه لسنّي، أين ذهب هؤلاء؟ إذًا هذا الدين منصور فلا تخف.

بل إنّي لما قرأت تاريخ الصراع بين الدولة العثمانية والصفوية وجدت أن أغلب تاريخ الدولة العثمانية مدافعة؛ لأنّ الدولة العثمانية كانت مترامية الأطراف، ومشغولة بالحروب الكبرى المتعلّقة بالعاصمة. يعني الدولة العثمانية كان من سوء الجغرافية أن العدوّ يقارب العاصمة (أسطنبول) أطرافها الموجودون إلى

أقاصي البلاد عندهم الداي والباي في المغرب وفي تونس وفي الجنوب إلى البصرة يعني إلى مناطق بعيدة وهم في مصر، لكن أين الأرمن؟ أين الأرثوذكس؟ أين القياصرة؟ أين النصارى في مناطق القرم في البلقان؟ حول العاصمة يعني، فلذلك لما يأتي يستنجد الوالي العثماني في بغداد يستنجد بسليمان الأول أو سليم الأوّل أو بايزيد ابنه فيستنجد به تعال انجدني أين سيتوجّه ليرسل جيوش إلى أطراف الإمبراطورية والبلد، أم ليدافع عن المعركة الّتي تقترب من العاصمة وتقترب من مكان مركزه وكرسي مملكته؟

فبالتالي الدولة العثمانية كانت في أغلب قتالها مع الدولة الصفوية كانت مدافعة، والله ينصرها بنصر عجيب. يعني لما تقرؤوا هذا نادر شاه كم مرّة حاول الدخول لبغداد وكيف صُرف من الدخول لبغداد لا ترى إلا آية من آيات الله كيف تحقّق هذا.

بل ممّا يُتعجب منه أنّه يُذكر أن السلطان العثماني كان آمرًا لأحمد شاه هذا الذي أرسل الشيخ عبد الله السويدي ليناظر علماء الرافضة كانت الأوامر العثمانية له والسلطانية بأنّه لا يجوز له أن يخرج خارج بغداد ولو سقطت عمامته خارج السور، لا يجوز له أن يخرج ليحضر عمامته، وابق فقط داخل بغداد محصورًا للدفاع، فكيف بعد ذلك ذهبت ولم تستطع أن تحقّق نتائجها هذا شيء عجيب.

الدولة الصفوية في آخر أمرها قد تلاشت، طهماسب هذا بدأت تظهر عليه أمارات الفسق والفجور والتخلّي عن الدولة، فظهر قائد عسكري قوي الشكيمة صاحب رؤى توسّعية وكذلك صاحب طموح فاستنجد به، وجمع الأوباش في بداية الأمر جمع خمسة آلاف مقاتل تحته، فالمهم تحالف مع طهماسب والملك لأنّه سلطان رضي بالاسم وسمّاه عبد طهماسب. طهماسب قولي يعني العبد طهماسب، ومع ذلك رضي لأنّ كلمة العبد عندهم تعني الخادم أكثر منها بمعنى العبد بالمفهوم العبادة، واسمه نادر شاه.

فتحالف معه، وبعد ذلك من خلال رحلة طويلة استطاع نادر شاه أن يزيل العائلة الصفوية وأن يحكم، ومعركته امتدّت كما قلت لكم وصل الهند وأزال كثيرًا من حكّام المسلمين، وذهب إلى الأفغان وسيطر على أفغانستان كلّها وأزال ملوكهم، وذهب إلى الشمال وسيطر عليه. ولما بدأ يمتدّ إلى الدولة

العثمانية، وصل إلى البصرة ودخلها، ووصل إلى الكوفة ودخلها، ودخلت تحت سيطرته، ووصل إلى بغداد وحاصرها ثلاث مرات ولكن لم يستطع. فالظاهر أنه بدأ يدرك بعد طول عمر له أنّه لا بد من مصالحة الدولة العثمانية.

هل هذا طهماسب السيد حاول أن يلتقي مع الدولة العثمانية؟ يمكن، وهناك بعض الدلائل على ذلك، المهم أنّ طهماسب هذا أراد أن ينهي المشكلة؛ فأرسل فجأة رسالة إلى أحمد باشا والي بغداد يقول له أرسل لي عالمِا سنّيًا ليناظر والذي ينتصر هو الذي سيحكم أمرُه. فيصف القضية الشيخ عبد الله السويدي هذا العالم العظيم فيقول أنّه جاء إليه المرسال فذهب وقابل أحد ندماء أحمد باشا وتحدّث معه في القضية وهو رفض في الابتداء، وهذا من إنصافه قال أين أذهب؛ صورة نادر شاه صورة طاغية وخاف على نفسه، ولكن محادثاته خلال الطريق تدلّ على إخلاصه؛ أني سأقول الحقّ وأموت، أموت لكن سأقول الحقّ عليه رحمة الله، لم يداهن ولم يحاب والنهاية حُمل إلى نادر شاه.

والقصة من أروع ما تكون في روايتها بأنّ نادر شاه كان ذكيًا أو طهماسب قولي وأنّه جعل مخابرات على الجلسة وكل مخابرات عليه مخابرات، وأحضر علماء الرافضة بكثرة. يقول أنا ما رأيت سنيًا ولكنه كان قد أرسل هذا نادر شاه قبل حضور الشيخ عبد الله السويدي مرسالًا لعلماء الأفغان السنة ما وراء النهر علماء تركستان وغيرها وأحضر مجموعة من العلماء الكبار ليشهدوا هذه القضيّة، لكن المناظر الرئيسي في ذلك هو الشيخ عبد الله السويدي.

وأنا أعجبني الشيخ ناصر القفاري في كتاب (مسألة التقريب بين أهل السنّة والشيعة) ذكر من فوائد هذه المناظرة أن تتعلم كيفية مناظرة الروافض. مثال ذلك فيما جرى من مناظرة قال له أول الأمر: ماذا تقول في الصحابة؟ قال ارتدّوا إلا خمسة، معروف هذا، وكان صريحًا ذاك الرافضي، ليس كما يقول المعاصرون من باب التقيّة والكذب في بعض جلساتهم وإن كان الآن التكفير علنًا والسبّ علنًا إلى آخره.

فناظره في هذه النقطة في قضية تكفير الصحابة ودخل عليه في مدخل زواج عمر بابنة علي أم

كلثوم، فقال كيف زوّجه؟ قال: غصبًا! هذا العظيم، هذا الكبير، هذا الإمام، هذا الشجاع، هذا سيد بني غالب كيف يقبل أن يزوّج عرضه غصبًا؟! ففشل ولم يستطع أن يجاوب.

قال له الرافضي إذًا هي ربّما جنّية تشكّلت له. فقال له بهذا تسقط الشريعة، يعني الشريعة كلها كلما تزوّج رجل يقول جنّية، والرجل إذا جاءته زوجته قال ربما أنت جنّية، فهذا الاحتمال لو وُجد في كل تصرّفات المسلمين لبطلت كل تصرّفاتهم. فالمهم سكت في هذا وانتهى أمره بعد هذا.

ثم جاء إلى قضيّة مهمة، قال ماذا تقول في أئمة الجور؟ هل تنفذ أقضيتهم؟ قال: لا، لا تنفذ أقضيتهم.

قال: محمد بن الحنفية من أمه؟ قال: أمه من بني حنيفة. قال من أين هذه أمه؟ قال: لا أدري. ويقول هو كذاب، هو يعرف.

فانبرى أحد الرافضة للردّ قال نعم هي من سبي بني حنيفة. قال له: من سباها؟ قال: لا أدري. وردّ آخر قال: الذي سباها أبو بكر. فقال: كيف هو يستحلّ فرجًا قد سُبي بإمام جائر؟! يعني كيف علي يقبل بذلك؟ فقال: ربما وُهبت له. قال: أين الخبر؟! هو يعرف أن هذا لا وجود لنصوص عندهم فيه وإنما هي احتمالات.

وهذه تقريبًا هي خلاصة ما جرى في قضيّة الإلزام بينهم، إلّا أنّ المناظرة التي جرت بعد ذلك تدور حول أحقّية عليّ، وأجمل قسم في المناظرة وهو احتجاج الرافضة بحديث (أنت مني بمنزلة هارون)، وهنا يظهر عمق المناظر أصوليًا والحديث عن قضيّة الخصوص والعموم.

وهذا الذي نقوله دائمًا لطلبة العلم وجرّبناه مع أهل البدع، أهل البدع المعاصرين –الذين ينتسبون للسنّة وليس الرافضة– مشكلتهم في الأصول سواء كان سلفي أو مرجئ أو خارجي المشكلة هي ضعف الأصول! الكل يحتجّ بنفس النص، ولو أن الرجل يعلم الأصول لالتزم.

والظاهر أن هذا الشيعي الرافضي كان ذكيًّا. وهل اقتنع أو لا؟ بلا شك أنه لم يقتنع لأنه لم يتغيّر،

ولكنه أُلزم أقلّ القليل، والدليل على أن الذي أمامه يعلم عندما حدّثه عن قضية (أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي) قال له إذًا الذي نفاه من الاستثناء فقط.

ومقصد هذا الرجل أن يقول الذي نُفي فقط (لا نبي بعدي)، فبقي كلّ شيء من العلاقة بينهما وهي الإمامة والوصاية. يعني (لا نبي بعدي) انتهت هذه، فماذا بقي؟ (أنت مني بمنزلة هارون)؛ إذًا أنت لك كل الخصائص التي أحملها غير أنك لا تحمل النبوّة بعدي. فماذا ردّ عليه الشيخ؟ ردّ عليه بقضيّة أصولية رائعة، وهي أن العموم أولًا إذا دخله الخصوص كانت دلالته على أفراده ظنّية. وهذه رائعة منه وهذا رجل يفهم.

قال ومن ذلك الدلالة الظنّية أن يقول (لا نبي بعدي) إذًا كان هو نبي معه. يحتمل اللفظ أم لا يحتمله؟ ما دام أن بقاء الأفراد تحت العموم بعد خروج التخصيص دلالة ظنّية ومن ذلك أن الحديث يقول (لا نبي بعدي) إذًا يمكن أن يكون نبيًا معه لكن ليس بعده.

إذًا ما تريد أن تقول بأن كل ما بقي بعد التخصيص داخلٌ في قضيّة العطاء النبوي لعلي غير صحيح، ومن ذلك الإمامة، أنها ليست هي المقصودة. إذًا ماذا بقي؟ هنا نتابع مع الشيخ، بقيت قضيّة وهي قضية أنك أنت تخلفني عندما أخرج.

قال له الرجل إذًا أنت خصّصت بالسبب. وهنا تأتي شافعية الشيخ عبد الله السويدي. يعني الذي بقي من (أنت مني بمنزلة) فقط أن تقوم بسياسة المدينة إذا خرجت إلى تبوك.

قال له أنا ما خصّصت بالسبب ولكن كان السبب هاديًا لمعرفة المراد، وكأنه يقول بمعرفة المراد بعد أن تبيّن لنا أن العموم غير مقصود. إذًا ماذا بقي؟ لا بد أن نرجع للسبب ليكشفه. وهنا هذه طريقة الشافعية، وهذا ليس ما يُسمى ليست العبرة بخصوص السبب ولكن العبرة بعموم اللفظ، ولكن المقصود بذلك أن السبب يخصّص المراد وهذا الذي يقول به الشافعي، مع مخالفة الآخرين له ويحتجّ به الشافعي رحمه الله كثيرًا في هذا. هذه العبقرية الأصولية في استحضار هذه الأمور تُشهد للشيخ.

الغريب وهذه من القراءات العجيبة أنه مما خطر على باب الشيخ عبد الله السويدي أن يحضر محكّمًا يهوديًا أو نصرانيًا! قال لو أحضرنا السني سيُتهم بالمحاباة للسنّة، ولو أحضرنا شيعيًا لاتُّهم بالمحاباة، فمن نحضر؟ قال نحضر محكّمًا عاقلًا يفهم يهودي أو نصراني، هذه خطرت على باله، لم تُطرح، الله عافاه من هذه القضيّة وانتهت.

طبعًا اليوم لو حضر يهودي أو نصراني سينصر الروافض علينا لأنّ الحلف اليوم حلف يهودي رافضي ونصراني رافضي ضدّ أهل السنّة.

يقول: وحصل لي في الطريق ضيق حتى صار بولي دمًا عبيطًا. تصوّر! وهذا تطبيق لقوله تعالى: **{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا}** هذا قول ثقيل، رجل يتحمّل هذا الأمر ليس بالشيء السهل.

من الحديث الذي جرى كذلك قال لو أنّنا افترضنا أنّ نادر شاه مال إليهم فماذا أصنع؟ قال سأناظر نادر شاه وأبيّن ضلاله، وأبيّن خروجه عن الملّة حتى ولو أدّى لقتلي! وهذا المعنى تردّد كثيرًا وهو ماشيًا في رحلته. هذه هي الشجاعة، قارنوا بين هذا (المذهبي) الشيخ عبد الله السويدي شارح (دلائل الخيرات) وبين شيخ يُسأل عن المثلية فيعطيهم أدنى ما يُقال في الكلام! اقرؤوا لعلماء الواقع والسلفية المعاصرة تجدون الفرق بين علماء الأوراق الصفراء وبين علماء اليوم المتفتّحين ويفهمون الواقع ومقاصد الشريعة كما يقولون!

الآن معنا نقطة تنصر قضيّة أنّ نادر شاه ليس إلّا سياسيا وليس إلّا عسكريا، فليست المسألة عقائدية عميقة عنده: لما قابل مفتي الأفغان واسمه الملا حمزة القلنجاني قال قلت له: يا ملا حمزة، تحسن العربية؟ قال: نعم. فقلت: إن الشاه أمر برفع كل مكفّر عند الإيرانيين فربما ينازعونني في شيء من المكفّرات أو أنّهم لا يذكرون بعض المكفّرات ونحن لا نعرف أحوالهم ولا عبادتهم -بالرغم أنّه يعيش في بغداد-، فما اطلعت على مكفّر فاذكره لي حتّى أرفعه.

فقال: يا سيدي، إيّاك أن تغترّ بقول الشاه، إنّه إنّما أرسلك إلى الملا باشي ليباحثك في أثناء الكلام

وفي خلال المباحثة فاحترز منه.

فقلت: إني أخشى عدم إنصافهم. قال: كن أمينًا من هذه، يعني في نقل الكلام له، وذكر كيف وضع المخابرات والمخابرات على المخابرات إلى أن يصل الخبر سليمًا إلى نادر شاه.

ننتقل إلى نقطة أخرى وهذه دائمًا أتذكّرها وأنا أقرأ للإمام العظيم الباقلاني المناظر للزنادقة، لما كان يدخل عليهم يقولون: جاءكم الشيطان! فيقول لهم: قال الله تعالى: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا}**، فهو يقول هنا لما جاء هذا الرافضي إلى آية **{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ}**، واحتجّ بها على إمامة عليّ، فقلت لهذه الآية عندي أجوبة كثيرة، وقبل أن أشرع في الأجوبة قال بعض الحاضرين من الشيعة باللغة الفارسية يخاطب الملا باشي بشيء معناه: اتركوا المباحثة مع هذا فإنه شيطان مجسّم، وكلما زدت في الدلائل وأجابك عنها انحطّت منزلتك!

أعتقد بأنّي استوعبت ما أريد أن أقوله إلا إذا فاتني شيء. فقط هنا "الدولة الأفغارية" تُسمى عادةً الدولة التي ورثت الدولة الصفوية بـ "الأفغارية" لأنّ نادر شاه أفشاري أو أفغاري بحسب الكلمة الفارسية لهذه.

مداخلة من أحد الإخوة: وُضعت من القاجاري؟

الشيخ: لا، هذه غيرها، القاجارية هذه نسبة للمدينة، أما الأفشارية عائلة. أفشاري أو أفغاري هكذا مرات تكتب.

السويدي عليه رحمة الله مات بعد المناظرة تقريبًا بـ ١٨ سنة عليه رحمة الله. وذكرنا كيف مات طهماسب وقُتل في سنة ١٧٤٧م؛ لأنّ المناظرة تمّت سنة ١٧٤٣م، ففقط بعد ثلاث سنوات تقريبًا قُتل. وذكرنا لكم ماذا قال الوردي إلى آخره.

أرجو أن أكون قد استوعبت الحديث عن هذا الكتاب القيّم والإخوة يقولون الكتب الّتي تطلبها كبيرة وهذا الكتاب في الحقيقة صغير الحجم عظيم الفائدة وفيه منافع عظيمة، أسال الله –عزَّ وجلَّ– أن

ينفع به الأمة وأن ينفع بما قلنا المسلمين جميعًا، والله عزَّ وجلَّ يرحمنا ويرحمكم.

هل هناك أيّ كلام حول الموضوع؟ لأني وعدت ببعض الأمور وربما فاتني منها شيء.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: كان فيه تعليق على كيف أنه اتغيّرت مثلًا للمذهب للرافضي الدولة المسلمة فمن هذا الباب تغيير المناهج الآن، فأنا من الناس اللي كنت أقول مثل هذه الكلمة يعني انه لا يضيرنا أن يحذفوا آيات الولاء والبراء وآيات الجهاد أو تغيير المناهج أقول نحن نحفّظ أولادنا ونعلم أولادنا ولكن يبدو من الكلام هذا أنّه لا، فيه خطورة حقيقة في تغيير المناهج لعزل الجيل يعني.

الشيخ: يا سيدي أي موطن ضعف في داخل البيت يؤثّر على البناء، ويؤثّر عليك في داخلك؛ فالتقليل من شأن أي منفذ من منافذ دخول الشيطان علينا أو إزالة الحقّ هذا خطأ!

أنت قارن بين المسلم الّذي يعيش هنا في هذه البلاد لمجرّد وجود والده يقول له كلمة "عيب". يعني ما فيه واحد منّا ما قال لابنه في يوم من الأيام كلمة "عيب". مستحيل! أنا أتكلّم على بلاد المسلمين عمومًا. هذه الكلمة كم لها حضور يوم من الأيام لابنك أن يهتدي بأنه يمارس خطئًا. يعني لما يذهب فيمارس خطئًا يبقى في إحساسه وفي بناءه الداخلي وفي عمق نفسه وقلبه كلمة "عيب"، بحيث في يوم من الأيام تزيل هذا الغبار الذي طرأ عليها من خلال مسيرة معيّنة أو تغير بيئة أو فساد جرى عليه فتعود متألّقة وتفعل فعلها.

من عجائب دراساتهم: كيف يُبنى الإرهابي؟ وجدوا أن كل ما يقولونه لا قيمة له، يعني يمكن للرجل أن يخرج من الخمّارة، ويتوب في نفس الليلة، ويرى منظر قتل الكفار للمسلمين والتبشيع بهم، فيخرج من الخمارة يتوب إلى الله يقول والله لأنتقمن. عندهم هذه صناعة إرهابي.

فكيف صُنع؟ وما الذي أثار هذه الحفيظة؟ هي التربية الأولية التي نشأ عليها في داخل البيئة؛ من المدرّس، من الأب، من الأم. والآن تربية الآباء قليلة في البيت، الناس منشغلون بلقمة الخبز، والآباء عامّة يتكلّمون مع أبنائهم لكن كيفية التربية؟ في المدارس.

فإزالة الآيات المستحضرة عند الطالب هذه مهمّة جدًّا، وهي طريقة لإنشاء جيل لا قيمة له مع الدين! والقوانين للتقليل من أهمية الصراع في قضية وضع المناهج. الآن القوانين مثل قضية المرأة، الذي يضرب زوجته تذهب إليهم ويعاقبونه، والأستاذ إن ضرب الطالب يُعاقب، وغيرها، ماذا أنتجت هذه القوانين؟ أنتجت جيلًا منحلًا! أنتجت امرأةً مُتفلّتة! أنتجت بيوتًا منهارة! فالتقليل من هذا هو خطأ كبير جدًّا، وهم يعرفون النهاية.

النقطة الثانية أن تنظر إلى قضية ما يُسمى الابتعاث الذي بدأه محمد علي من خلال إرسال البعثات العلمية إلى أوروبا. الابتعاث هذا كان يتم في هوامش بسيطة، يعني يُرسل عشرين أو ثلاثين واحدًا في داخل مجموعات لفرنسا بلد النور والحضارة، من الذي أنشأ التعليم وقاد السياسة؟ هم هؤلاء! رجع هؤلاء فاستلموا مفاصل الدولة، ومفاصل الفكر، ومفاصل التربية، ومفاصل الإعلام، والنتيجة كما ترى! أفراد قلّة أُخذوا ومع ذلك وصلنا إلى هذه النتائج العظيمة من الفساد المروع في داخل الآنهيار، وهم قلّة!

وأنا أرجو أن يُقرأ كتاب (المفاوضات السريّة العربية الصهيونية) لأنّه مهمٌّ جدًّا وليس مدحًا لكاتبه، وإن شاء الله ربما نختار كل مجلّد على حدة، وأهم ما فيه هو الوثائق، دعكم من آرائه وهو محمد حسنين هيكل. ولا يوجد في الحقيقة التاريخ المعاصر رجل يملك الوثائق كما يملكها هيكل! ولا الدول حتى! يعني لا توجد دولة عربية تملك وثائق كما يملكها هذا الصحفي! وكل وثائقه في سويسرا. يعني مات الآن فراحت علينا، كان هناك سعي أن يحضرها إلى مصر، ومعه الحق ألّا يحضرها لأنّهم سيحرقونها بما فيها من مصائب لكن كان يسعى أن يخرج منها فقط الصور يعني تُصوّر وتُحضر. وهو رجل عجيب مع إجرامه وفساده.

أوّل قضيّة تقرأها في قضيّة الصراع من زمن نابليون لليوم، الشعوب مع دينها، ومع فطرتها، الأمة في

زمن قبل ال٤٨ الأمة متديّنة أم فاسدة؟ متديّنة، مصلّون، صوّام. يكرهون اليهود أم لا يكرهون اليهود؟ يكرهون اليهود. وأُقيمت دولة إسرائيل ولا ما أُقيمت؟! اصطلحنا معهم ولا ما اصطلحنا؟! هناك أحد استشاركم؟!

اذكروا لي أنتم باعتباركم جزء من الأمة العجيبة هذه، هل هناك أحد استشاركم في قضية تمّت؟! ما الذي يدير سياسة الصراع والصلح والسلم؟! نحن أدوات نتلقّى فقط! يديرها هؤلاء الذين صُنعوا وهؤلاء المفاصل، وهم الذين يذهبون للتفاوض! وأنتم تعرفون هذا أين بُني؟ أين قال؟ أين تكلّم؟! وأنت لا شيء!

إذًا هذا يدلّ على أنّ المنافذ الصغيرة هامّة ولا تنظروا إلى كبرها.

والمناهج الكبيرة الآن جاؤوا إلى سدّها؛ فأول المنهج الغربي هو الابتعاد وأخذ المفاصل وترك الشعوب على ما تعيش. دع الشيوخ يتكلّمون كما بدا لهم، ويسبّون على إسرائيل مثل ما يريدون، ويتكلّمون عن آيات الولاء والبراء، اتركوهم مثل ما يريدون.

كانت هذه هي الطريقة، لكن أحضروا لنا ابن فلان وابن علان من أولاد العائلات وأولاد الأقلّيات؛ لأنّ الأقلّيات مهمة هذه ومدروسة. وتاريخ وضع اليد الكافرة في أمّتنا إنّما مبناها من الأقلّيات بغضّ النظر أقلّيات قومية أو دينية، مش مشكلة حتّى قومية حتى لو كانت سنية إسلامية؛ لأنّ الأقلّيات تشعر بالضعف فهي تريد الحماية من الخارج، هذا تاريخها.

وبالتالي لو تقرأ الطريقة الّتي دخلوا بها في مصر سواء الفرنسيين، وسواء الآنجليز دخلوا فيها أو في بلاد الشام، دخلوا فيها بأي حجّة؟ حجّة الأقلّيات، الأقلّيات يستنجدون بهم. جدّهم هذا بشّار الجحش أرسل رسالة يستنجد فيها بفرنسا أن تعالوا لنا.

حتى في لبنان ما الذي صنع الروافض؟ والروافض طول عمرهم مجرّد عبيد عند إقطاعيي أهل السنة الصيداويين في الجنوب، يعني عائلة سعد يستخدمون الروافض عبيدًا في جبل عامل والبقاع. لكن ما

الذي صنع الصدر؟ جاء وأنشأ شيئًا سماه ثورة المحرومين، حرّك هؤلاء وصنعوا شيئًا. وتقرأ تاريخ مصر أو تاريخ أي دولة تجد هؤلاء هم الذين يتحرّكون والشعوب نائمة لا قيمة لها.

كانت هذه هي الطريقة أولًا، الاهتمام ببناء المفاصل من أبناء الأقليات.

الآن وجدوا هذا الإحياء الذي نراه اليوم، أن الأمة بدأت تدخل في المبادرة. وهنا شغِّل الشيوخ! يعني لا يستطيع أن يأتي صحفي يقول الشعب ما له قيمة، يردّ عليه مفكّر ومفكّر. لكن لما يأتي الشيخ الذي يصلي بالناس ويقول مجرمين، والشعوب التي ثارت مجرمة، هؤلاء مخالفين لأهل السنة، هؤلاء ضلّال، إلى آخره. هذه الجوقة المجرمة التي أرادت أن تعيق دور الأمة في الحركة.

وبالتالي أهل السنة بدون تخطيط وإنما خروج عن القاعدة وهداية ربّانية بدأت الشعوب تتحمل النتائج، صارت الشعوب هي التي تقوم بالجهاد، لا تسأل عن حكّام ولا عن علماء ولا كذا. والثورات الأخيرة دليل على هذا، أن الشعوب بدأت تصنع بنفسها.

والآن طبعًا ما يُسمى بالثورة المضادة والدولة العميقة هي عودة هؤلاء الذين نتكلّم عنهم (المفاصل)، وإلّا فالأصل أنّ الأمة بدأت سواء كان الجهاد في أفغانستان، سواء كان الجهاد في الشيشان، من الذي قام فيه؟ الناس.

هم أدركوا أنّه لا بدّ من ملاحقة الشعوب وليس فقط بناء المفاصل المهمّة. يعني أولًا لم يكونوا مهتمين بهذا وتاريخ الاستعمار البريطاني عمره ما تدخل في الدين، بل في بعض البلاد التي حُكمت بالبريطانيين كانوا ينشؤون مساجد في داخل الجيش، وهم الذين يفرقون الأئمة ويدفعون لهم الأجور. هؤلاء ليسوا مشكلة، المهم الذين فوقهم (المفاصل) هم بعقليتهم وبتربيتهم وسياقهم.

ولذلك هؤلاء بعضهم ابنه لا يعرف كلمة إسلام، لا يعرف كلمة صلاة، عندهم هؤلاء (المفاصل) الخمر كما الماء في بيتك أنت.

لكن الآن بدأت الشعوب تتحرّك، إذًا النتيجة ما هي؟ ملاحقة هذا البناء؛ الشيوخ ممنوع تحكي،

ويُصنع شيخ. اليوم ارجعوا إلى تغريداتي ذكرت وأنا أجمع، هذا أفيخاي الناطق الرسمي باسم الدولة الإسرائيلية وارجعوا إلى تغريدته الأخيرة في تويتر، يتكلّم كلاما والله ولا أولياء الله الصالحين! يدعو دعاءً كل المشايخ نسوه من كثر ما هو في الولاية والإحسان! حتى ليس درجة الإسلام والإيمان بل درجة الإحسان!

هناك شيخ وأنا أبحث في هذه المواضيع وإذا شيخ كان ماركسيًا انقطع عنه الرزق، فصار إمامًا عشرة سنوات يصلّي بالناس وهو ماركسي بلا وضوء ثم بعد ذلك تاب!

لكن الآن لاحقوا الشيوخ ممنوع يتكلّموا، وأتوا بشيوخ وملأوها في التعليم إلى آخره. لماذا؟ ملاحقةً لهذا الباب الذي غفلوا عنه، وهو أنّ الشعوب بدأت تبدأ المبادرة إذًا يجب أن نملأها ويجب أن نسكّرها. فبدأت قضيّة ملاحقة معاهد التعليم وعمرهم ما تكلّموا عنها، وملاحقة كتب ابن تيمية، وملاحقة المشايخ الّذين يتكلّمون فقط خارج السياق، وإحياء الأديان أو المذاهب الباطلة لإيجاد صراع.

الآن كثير منّا يعيش صراع سلفي إخواني، سلفي مذهبي، سلفي صوفي ويظلّ فيها. الكل سلفي خربان، والصوفي خربان، اليوم سلفي عميل، وصوفي عميل، وقطبي عميل، يعني لم تعد هذه الشعارات تعبّر عن ولائك للأئمة. يوجد في كل الطوائف ومع كل الجماعات هذا الانهيار.

وبالتالي التهوين من شأن المدارس، والمساجد، والتعليم، هذا خطأ كبير جدًّا! والله تعالى أعلم.

السائل: بالنسبة للذي ذكرته عن الذين كانوا في الجيش الإيرانيون يكفّرون الأفغان والأفغان يكفّرون الإيرانيين؟

الشيخ: في الحقيقة هذا تصوّري ولكن هو حسب الرواية هنا هو يذكر أن التركستانيين والأفغان الظاهر هم حرشيين شوية، هم الذين كانوا يكفّرون الإيرانيين، ولكن لم يذكر هنا أن الإيرانيين يكفّرون ما ذُكر وإن كان هذا معروف أن الروافض يكفرون أهل السنة لنصبهم ولكفرهم بالإمامة.

السائل: طيب هل انتهى الأمر بعد المناظرة؟

الشيخ: خرج فرمان وانتهى، واعتبر أن هذا نهاية وهذا غير صحيح. القانون لا ينتهي بمجرّد خروجه لا بد من متابعة تطبيقه، ولا بد من علماء، وهذا أشرنا له. فبالتالي القانون لم يتغيّر، صحيح الناس صفّقوا وحمدوا الله وإلى آخره ولكن بقيت الأمور على ما هي عليه فيما ذكرت لأنّ هذه قراءة مهمّة.

أنا أعتقد بأن هذه التجربة على ما فيها من فوائد علمية فيما ذكرت وفوائد تاريخية تخدم قضيّة المفهوم السنّي لقضيّة التقريب الصحيح، إلّا أنّ أعظم ما فيها أنّها تدلّنا على طريقة التغيير الصحيح، كيف التغيير؟ هل المؤتمرات التي يجرونها ويضحكون عليهم بها بما يُسمّى التقريب وحوار الأديان وجالسين في الفنادق، هذه لا تصنع شيئًا، والروافض يستخدمونها والأعداء يستخدمونها ستارًا، والشغل يبدأ من أسفل. والشيخ مصطفى السباعي ذكر هذا في كتابه (السنة ومكانتها في التشريع).

والشيخ يوسف القرضاوي حقيقة من محاسنه أنّه تاب إلى الله من قضيّة التقريب قبل موته وإلا لو مات لبقيت الشيعة يحتجّون به إلى يومنا هذا. تصوّر أنّه قال أنا ثبت أني كنت مخطئ، وهذه حقيقة من محاسنه جزاه الله خيرًا فيها. يعني لو أنّه مات مع بقائه من حملة دعاة التقريب والقمني والجماعة هؤلاء لكانت مصيبة ولبقي الاحتجاج به كما الاحتجاج بالشيخ شلتوت، ولكن الرجل يقول ضُحك علينا، كذابون.

ووصل إلى ما وصل إليه الشيخ مصطفى السباعي، مصطفى السباعي باعتباره ماشي على سيرة أستاذه حسن البنا رحمه الله لأنه خُدع. وهذا ليس سبًّا، الذي لا يعيش مع الروافض لا يعرفهم، تحتاج تاريخ. فبدأ في قضيّة التقريب ثم اكتشف أنّهم يتحدّثون معه على التقريب والكتب التي تُبث كتب مباعدة ومفاصلة ومقاتلة، واعترف بهذا في كتابه.

فكان ينبغي مثل هذه الصور ألا تخدعنا مرة بعد مرة! يعني ينبغي أن نضع الحصان قبل العربة، وعلينا أن نناقش المذهب وأن نناقش الدين، وأين أنتم؟ إذا تريد مفهوم سياسي وأن نقاتل معك عدوًّا هذا موضوع آخر، لكن لما نتكلّم عن دين ينبغي أن يكون هناك حديث على العقائد؛ من أنت ومن أنا حتى تتحدّد الصورة. هذا هو المنطق الصحيح في قضية التقريب، وكما يطرحه أعدى أعداء التقريب وهو

الأستاذ محبّ الدين الخطيب رحمه الله وجهوده عظيمة في هذا الباب في منع قضيّة اختراق الروافض لأهل السنة مع اغترار بعض المشايخ بهم، وقف لها الأستاذ محبّ الدين الخطيب وهو خال الشيخ علي الطنطاوي وصاحب المكتب السلفية وقف جهبذا عظيما في هذا الباب، رحمه الله.

السائل: شيخنا توقعاتك بما أننا ندرس الآن في دين الرافضة تقريبًا، هل تتوقّع أن بداية أحداث الشام بدأ الناس يدرسون دين الرافضة ويتعلّمون لأنّ قبل أن نصفق للرافضة نراهم الآن يلعنون الرافضة.

الشيخ: الحقيقة فتحت بابًا ليس هذا وقته ولكن مهمٌّ جدًّا. يعني أنتم تعرفون أن الذين يدرسون عقائد الأمم هم الذين يكتشفون الحقائق قبل غيرهم، ابتعدوا عن النظر للعمل، ابتعدوا عن النظر للأقوال، انظر للعقيدة فيما أنت فيه. مثلًا جاءك مسلم هو عقيدته مسلم وعقيدته أنه سني لكن هو مفهومه الديني في مسألة التعامل المالي معك يجيز استحلالك وأن يسرق مالك! هذا المقصود، دراسة عقيدة رجل في الأمر الذي تريد أن تبحث فيه.

يعني أعطيك مثالًا: جاءك شاب سنّي وما شاء الله عليه ويريد أن يخطب ابنتك، وأنت تعرف أنه من مدرسة جواز المسافر مع نيّة الطلاق! الأصل أنّك تفهم هذا حتى تسكّر عليه الباب وتقول له اطلع بره امشي، يعني أنت غير مستعد لتجوّز ابنتك عشرة شهور ثم بعد ذلك يرميها في بيتك وتنتهي، صحيح؟

فينبغي قراءة العقيدة. ولو جاءك وقال الحمد لله نحن مسلمين وسنّة وما شاء الله وتسأل عنه أنّه متديّن وعنده أموال وعنده كذا، لكن عليك أن تقرأ عقيدته فيما تريد التعامل معه، هذا مفهوم العقيدة.

يعني الآن واحد عابد وكذا وهو خارجي يراك أنّك كافر، إذا أدخلته بيتك من أجل أن تذهب إلى داخل المطبخ لتحضر له كأس شاي ماذا سيصنع؟ سيسرق منك، هو يجيز مالك، ممكن يرى ... يضعها في جيبه! وهو شيخ وملتحي وكذا.

وأنا كنت فاتحًا معهدا صغيرا لدورة شرعية في بيشاور، فكان عندنا باص صغير خربان ولكن حتّى نحضر الخضروات للإخوة حتى يأكلوا، لأنّه كان هكذا نظام الدورات هناك. فيوم أنا أدرّس حتى أذكر

الدرس كان على القياس، فجاءني مسكين هذا الأفغاني قال لي سُرق الباص!

فقلت له إيش سُرق يا رجل، البيت مستأجر وعادة المنطقة فيها لصوص كثيرة لأنها بجانب القبائل ففيه مدخل للباص الأصل أنه يدخله ويسكّر عليه لكن الرجل مسكين أحضر شيئًا ونسي شيئًا آخر، قال أضع فقط الكيس في الداخل ويرجع ليأخذ السيارة ليحضر ما نسيه. تصوَّر دخل بالكيس إلى المطبخ ورجع من أجل أن يركب الباص فوجد الباص مسروقًا! يعني مرصود المكان.

فأنت الآن ما الذي يخطر على بالك؟ من الذي سرقه في منطقة يكثر فيها اللصوص والقبائل وكذا؟ لصوص. وأنا أتحدّث متألم، راح الباص، يعني الباص لا يسوى ١٥٠ دينار أو ٢٠٠ دينار لا شيء. فتعبت، يعني أنت تشعر بالألم أنّك تُسرق وأنّك تُهان، يعني لو واحد طلبه أنت تعطيه إياه. فرأيت جماعة جالسين في الدرس كان الدرس فيه حوالي ٢٢ شاب معي في الدورة وإذا الشباب يضحكون!

فاستغربت، يعني أنا كم متألم وهم يبتسمون! فقلت بالله عليكم أنتم سرقتموه، قال لا ما سرقناه. المهم بعد طول كلام قالوا ما سرق الباص القبائل ولا اللصوص، فقلت من؟ ما صدّقت، قال هؤلاء تكفيريون. هذا باص في دورة شرعية! وبقيت وتألمت قلت يا جماعة اتقوا الله ما تتهموه، قالوا هو الّذي سرقوه. ومضى الألم ومضى التفكّر فيها، حتى قابلت أخ لا أريد أن أذكر البلد دعاني لبيته فقال سامحني قبل أن تأكل من طعامي فقلت له إيش؟ قال والله تعشينا على الباص في الليل، بعناه في العصريات والعشاء كان على حساب الباص. هذا أنت تحتاج أن تعرف عقيدته فيك قبل ما تسلّمه الباص.

فالأصل هو قراءة العقائد. يعني الآن هذا الشيخ الّذي يعرف التقية، بمجرد وجود التقية مشكلة. فأنت ماذا تفعل إذا كان عند الرجل تقية؟ عليك أن تكون خبيرًا بكل لفظ يجريه على لسانه.

وبالتالي الشيخ عبد الله السويدي راقب كسر عمر ففهم منها مراده! لم يقلها خطئًا، لا تكون مغفلًا، لست بالخب ولا الخب يخدعني.

فإذًا لما ظهر الرفض كثير من المسلمين قاموا له. ونرجع لقضية الشيخ يوسف القرضاوي وغيره انخدعوا

بهم، ولم يأخذوا بتجارب الآخرين، وهذا خطأ. وكثير من الناس كانوا يتحدّثون عن (حزبالة) أنّه المقاوم وصاحب الوعد الصادق! الأستاذ أميرهم وإمامهم وأمينهم والناس لا تستطيع أن تتحدث عند أهل السنة يقول تكلّم عن عقائدهم كما تريد لكن هم الذين يقاتلون، هم أصحاب الشرف، هم أصحاب المعركة.

أنا سألت أخًا، دائمًا الحديث تذكرون قضية ستة تموز لما هاجر الروافض من البقاع إلى سوريا لما بدأ القصف اليهودي الشديد واستقبلهم أهل سوريا استقبالًا عجيبًا جدًّا، وبعضهم فرّغ بيته من أجل إدخالهم. أنا كعقلية تآمرية موجودة عندي دائمًا في النظر للأمور قلت هذه الدولة أجبرتهم، لأنّه تعرف باعتبار الدولة النصيرية والدولة البعثية، لكن أنا قابلت أناسًا من أهل الخير وكانوا في تلك البيئة لأنّ عامتهم ذهبوا إلى درعا، يعني من منطقة قريبة أدخلوهم إلى جهة جنوب دمشق ثمّ حوران، قال لي أقسم بالله في كل بيت في حوران ربّما تجد صورة بشار أو لا تجدها لكن لا يمكن أن تخطئ بيتًا ليس فيه صورة حسن نصر الله! قال لي اعتقاد الناس بإمامة حسن نصر الله حقيقي وليس مجرّد دولة أو غير دولة.

الآن نأتي إلى الجانب الآخر: هل كانت جهود عظيمة لكشف الشيعة أم لا؟ كم أصدر الناس من كتب؟ كم تكلّموا فيه من خطب؟ كم تكلّموا فيهم من خطب؟ **{كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ}**. الناس يقولون دعك من هذا، حتّى حضر الجهاد فكشّر الشيطان عن وجهه.

ومن هنا يقول من الكلمات التي ينبغي أن تُحفظ بأنّ الشيطان –وهذه قلتها قديمًا– أنّ الشيطان لا يظهر على حقيقته إلّا عندما يشتدّ الحقّ، ما دام الحق مائعًا فالشيطان قادر أن يتميّع. وبالتالي متى ظهر الشيطان؟ ظهر الشيطان لما كان النبي صلى الله عليه وسلم في صدر النبوّة، الناس رأوه والنبي رآه، لأنّ الشيطان يصبح في معركة حقيقة لا تحتمل التلاعب من الأسفل، المعركة أصبحت سافرة، فينبغي أن يسفر عن نفسه.

فالآن لأن المعركة سافرة. كانت مهمّة الروافض في عالمنا الإسلامي وهي تقدمة أنفسهم بمظهر الإنسان الذي يتبنّى قضاياهم، وأعظم قضية تُتبنّى هي قضية فلسطين. لكن الآن هل (حزبالة) اللبناني

وأمينه وهل الروافض يهتمّون بمشاعر الأمّة الإسلامية كلها؟ لا. لماذا؟ لأنّ الصراع حقيقي! القضية ليست قضية عواطف، هي قضية أرض يريد أن يحتلّها ومدن يريد أن يسيطر عليها، وممالك يريد أن يملكها.

وبالتالي الميوعة هي الّتي تصنع التقيّة، إذا أردت أن تكشف التقيّة فعليك بالصراع الحقيقي، تدخل في معركة حقيقية. وهذا تعرفه من نفسك، يعني لو أنّك جئت لرجل يريد أن يتميّع معك فأنت تتميّع معه، **{وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ}** لكن تعال للرافضي: يا أخي نحن إخوة –هو يبدأ– وما فيه بيننا فرق، وهذه تفرقة من أمريكا. فتقول: الرافضة في كتبهم أقلّ شيء كفار. فيقول: يا أخي نحن إخوة وبلاش تكفير وبلاش هذا الكلام. فتقول: الرافضة في كتبهم كفار؛ لأنّهم يقولون بكذا وكذا، كفار غير مسلمين، أكفر من اليهود والنصارى! فيصبر معك جولة أولى، ثانية، رابعة، خامسة، عاشرة، ثم يقول لك والله أنتم كفار، يا نواصب، يا أعداء الله! أنت تظنّ أنّه قالها غضبًا! لا، هو قالها لأنّ المعركة بدأت وانتهى الأمر.

فلما قام الجهاد في الشام كشف الروافض ما لم تكشفه عقود من العمل العلمي المجرّد! المعركة هي الّتي تكشف، المعركة هي التي تبين.

مقاطعة: هذا كتاب (المراجعات)

الشيخ: في الحقيقة كان إحدى المداخل ولكن وجدت أنّ هذا ليس مهمًّا كثيرًا. وللذكر الشيعة بعضهم يرفضون هذا الكتاب الذي بين يدينا (مؤتمر النجف) لكن مذكور في بعض تواريخ الشيعة هذا الكتاب. يعني المعاصرون من الشيعة في مواطن المواقع يقولون هذا كتاب مكذوب كذبه أهل السنة ولم يحدث، ويظنّون أنّ أهل السنة بحاجة إلى الكذب كما كذب عبد الحسين شرف الدين في كتابه (المراجعات).

و(المراجعات) لا يحتاج إلى أن نقرأه إلّا بعين ما كتب به صاحبه، يعني أوّل جملة في الكتاب وأوّل

صفحة في الكتاب يعترف بأن الكتاب ليس حقيقيًا! (المراجعات) لعبد الحسين شرف الدين الذي زعم أنّه ناظر فيها شيخ الأزهر اعترف أنّها تصوّرات ذاتية، هكذا تخيّلها وهكذا كتبها.

السائل: يقول جرت مناظرة

الشيخ: لم تحدث.

هو يعترف في مقدّمة المراجعات وارجع إليها يعترف بأنها تصوّرات ذاتية، هو كان يتخيّل.

وَإذا ما خَلا الجَبَانُ بأرْضٍ *** طَلَبَ الطِّعْنَ وَحدَهُ وَالنِّزَالا

يعني شيخ الأزهر يقف أمام هذا بكلمات جاهلة ويسلّم له وقبلت كلامك وجزاك الله خيرًا أيها العلّامة! هذا خيال ذاتي.

(المراجعات) طرفة شيعية لا قيمة لها.

جزاكم الله خيرًا وبارك الله فكيم. والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق

للشيخ المجاهد أبي الحسن البليدي رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب السادس والثلاثون

تاريخ المناقشة: ١٤ أيار ٢٠١٦.

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده رسوله، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغرّ الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عزَّ وجلَّ وإياكم منهم، آمين آمين.

أهلًا وسهلًا بكم أيها الإخوة الأحبة مع كتاب جديد في مشروع "الألف كتاب قبل الممات"، وهذا هو الكتاب السادس والثلاثون من الكتب المختارة وهو كتاب الشيخ المجاهد الشهيد –نحسبه والله حسيبه– أبو الحسن البليدي: (الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق).

إخواني: قبل الحديث عن هذا الكتاب بالخصوص، الحديث عن قضية أساس هذا الموضوع وأهميته بالنسبة لحاضرنا.

بلا شك أن التاريخ الإسلامي منذ أن أُقيمت المدينة النبوية وكان قائدها وإمامها رسول الله ﷺ وارتفع الإسلام وبسط بجِرانه في الأرض وحصل له التمكين، ثم صارت الخسارات جزئية داخل الممالك الإسلامية التي خرجت وضعفت في تواصلها واتصالها مع بعضها البعض؛ فدخلت عوامل من الانحراف والخطأ، ومن الأفكار والمناهج التي لم تكن مضبوطة بضابط الشرع، ولم تكن محكومة بحكم الشرع وفتوى الفقهاء.

ولذلك نشأت ثُنائيات متعدِّدة في داخل التاريخ الإسلامي، منها قضية "السياسة والشريعة"، ورأينا أن أول من أدخلها هم التتار، وناقشها العلماء منذ ابن عقيل الحنبلي حيث تكلّم فيها كلامًا كما نقل عنه ابن القيم في (إعلام الموقعين) وناقشه، وقبله بكثير الإمام الشافعي رحمه الله تكلّم عن قضية مفهوم السياسة كما نقل ذلك كذلك ابن القيم في (إعلام الموقعين).

فهذه الثنائيات والعوارض تنشأ في تطبيق الشريعة، ومن ذلك كلمة "المصلحة" مثلًا. كلمة "المصلحة" تكلّم فيها العلماء قديمًا بأن الشريعة جاءت لتحقيق المصالح ودرء المفاسد، تكميل المصالح الموجودة

ودفع المفاسد الموجودة وعدم زيادتها.

فهذا كلام قديم وكان يُعبَّر عنه بألفاظهم كالمناسب المؤثر وغير المؤثر، المصلحة الملغاة والمصلحة المعتبرة والمصلحة المرسلة، فكانت مثل المسائل القديمة. فصارت كلمة "المصلحة" موجودة في داخل النص الأصولي الإسلامي وحاضرة بقوة، ولا يوجد لها نكارة من قبل العلماء. وأقول هذه الكلمة –بعد استقراء شبه تام لما كُتب في المصلحة من تاريخ أمتنا: أنهم لم يروا المصلحة دليلًا من أدلة الشرع.

يعني لا يوجد أحد من أهل العلم قال: ومن الأدلة الكلية أو المجملة في الشريعة هي المصلحة، نعم تكلموا عن المصلحة المُرسَلة، ولكن ليس المصلحة بالمفهوم الذي عليه كلمات الأصوليين بعد ذلك.

فمنذ أن بدأت كلمة "المصلحة" بالظهور؛ بيّنة والضرورات والحاجيات والتحسينات والكليات الخمس، منذ أن تكلّم عليها أبو المعالي الجويني في كتابه (البرهان)، ثم جاء تلميذه الغزالي في كتابيه (شفاء العليل) و(المستصفى)، و(المستصفى) هو آخر ما كتبه الغزالي. ومع أن (شفاء العليل) يبحث في هذه المسألة على الخصوص إلا أن (المستصفى) أكثر بيانًا وإشارة لهذا الموضوع.

ثم بعد الجويني والغزالي جاء القرافي وتكلّم في هذه المسألة، والقرافي هو تلميذ الغزالي، مع أنه مالكي إلا أنه تتلمذ على يد الغزالي. ثم جاء ابن تيمية، وجاء تلميذه ابن القيم، ثم جاء الشاطبي وإن كان على شبه معاصرة مع ابن القيم، وأرسى قواعده التامة المستخلصة من كلام العلماء في المجلد الثاني كما هو مطبوع في (الموافقات).

"فالمصلحة" لم يرَ أحد من أهل العلم بأنها مُضادَّة للنص بحيث نبحث في كيفية مُصادمتها للنص وكيفية الخروج من هذه المصادمة.

إلا أن عالـمًا من علماء الأصول عليه الكثير من الكلام ويدور حوله الكثير من النقاش في ترجمته في كتب جماعته أو مذهبه، وهو نجم الدين الطوفي. فهذا نجم الدين الطوفي عليه كلام، لم يتكلم أحد عنه في هذا الباب فيما قرأت في ترجمته سواء في ترجمة ابن رجب له، وذلك في حديثه عن حديث (الأربعين

النووية) لأنه شرحها وجاء إلى حديث (**لا ضرر ولا ضرار**) وتكلّم عن هذا الحديث كلامًا عجيبًا جديدًا، وكأن هذا الكتاب لم يكن له انتشار؛ ولذلك لم يعلّق عليه أحد لا من معاصريه ممن اتهموه واستتابوه وطردوه، ولا ممن تكلم عنه بعد ذلك.

يعني عندما راجعت ترجمة ابن رجب في ذيله على (طبقات الحنابلة) في بحثه عن هذا وماذا تكلم فيه العلماء، وجدت أنه يشدُّ عليه شدًا باتهامه بأنه متلعّب في موضوع الرَّفض، وهو شرح (روضة الناظر) لابن قدامة وله كتب متعددة في هذا الباب، وكتبه نافعة. وشدَّ عليه في موضوع أنه كان يترفّض، لاجتماعه مثلًا لما كان في الحجاز مع شيخ الرافضة السكاكيني، وأنه استُتيب ثم سُجن ثم نُفي إلى الشام، وفي الشام كذلك حدثت معه فتن. وبالرغم أن العلماء المعاصرين يقرأون كتبه فلا يجدون هذه المعاني التي قيلت فيه، حتى ما ذكره ابن رجب في ترجمته عن شرحه للأربعين النووية، وهذا يدلّ على أن ابن رجب اطلع على شرحه على الأربعين النووية؛ لأن ابن رجب كما تعلمون شرح في (جامع العلوم والحكم) الأربعين وزاد عليها حتى وصل إلى الخمسين.

فاتهمه وسبّه سبًا مُقذعًا لزعمه أن الصحابة لم يقوموا بحق هذا الدين ولم يكتبوا الشريعة فحصل التعارض، هكذا يُشير. مع أن الكتاب الذي طُبع اليوم وهو في (شرح الأربعين النووية) نكاد لا نجد مثل هذا.

القصد ليست الجلسة في تحقيق حال نجم الدين الطوفي، وإنما هو الوحيد الذي برز من بين جميع العلماء في وضع المصلحة معارضةً للنص. وقال: لو تعارض النص مع المصلحة فما هو المقدَّم؟ وبعد ذلك للأسف ذهب يُضعِّف النص بدلالاته، ويضعِّف الإجماع في دلالته وأن المصلحة شيء يقيني؛ ولذلك قدّم المصلحة.

وهذا الكلام فاسد، ولا شك أن العلماء لا ينظرون هذه النظرة. وبقي هذا الكتاب خفيًا لا قيمة له في كتب الأصول ولا يُعرِّض عليه أحد، حتى المعاصرون الذين يُعظّمون الآن نظرية المقاصد لا يأتون على هذا الكتاب ويحاولون أن يتجنّبوا كلام الطُّوفي، إلا ما حصل من بداية نهضة "عدم التقليد" -لا

أريد أن أسميها السلفية لأنها ليست معبرة تعبيرًا صادقًا عن الحالة-، فقام جمال الدين القاسمي بنزع هذا الشرح من الأربعين النووية وشرحه ونشره صاحب (المنار).

وقد أشرت أن الذين قاموا على نشر (الموافقات) من محمد عبده إلى تلاميذه حتى الشيخ دراز – الوالد وليس الابن- فإنه أشار إلى أن الذي أعلمه بقيمة (الموافقات) هو محمد عبده. فقضية المقاصد والمصالح بالمفهوم الذي أحبوا أن يوسّعوه دون النظر إلى تقييدات الأئمة أو إلى وصف المصالح، هم في الحقيقة تيار أنا أسّميه "اختراقي"، فهو تيار غير سلفي بالمفهوم السني الصحيح.

ولذلك لما خرجت هذه الدراسة وعلّق عليها القاسمي، وكان متهمًا بأنه يريد أن يوجد مذهبًا جديدًا وهو مذهب القاسمية. القصد بأن العلماء ردّوا عليه، وأول من ردَّ عليه ردًا جيدًا هو زاهد الكوثري، وقد طُبع مقاله في (مقالات الكوثري)، مقال في الرد على هؤلاء الذين يزعمون أن النص يمكن أن يتعارض ويتصادم مع المصلحة فتُقدَّم المصلحة! وردَّ عليه علماء كثر في الحقيقة.

وبقي أصحاب نظرية المقاصد كما يسمونها يجتنبون كلام الطُّوفي؛ لأنهم يعتمدون على الشاطبي، والشاطبي واضح من أول كلمة قالها بأن المقصود ليس بالمصالح ما تشتهيه النفوس وما تلتذه ولا ما يحقق مقصد الدنيا، المقاصد هي كيف نجعل هذه الدنيا سلمًا للآخرة. هذا المقصد الكلي الذي وضعه الشاطبي، وبالتالي لا تلتفوا لكل ما يُقال.

لكن لو أردنا أن ننصف نجم الدين الطوفي فهل المصلحة تعارض النص؟ الجواب: لا.

ما الذي يبحثه العلماء؟ أن النص يخالف النص. قد يقع تعارض: الحسنة مع السيئة، قد تتدافع الحسنتان، قد تتدافع السيئة مع السيئة، قد تتدافع الحسنة مع السيئة، ولا بد من التقدير؛ قد تتدافع الحسنة الواحدة مع سيئات، قد تتدافع السيئة الواحدة مع حسنات، فهذا هو الذي ينبغي أن يُلتفت إليه. أما البحث عن تصور معارضة المصلحة للنص فهذا لا وجود له على الواقع، النصّ هو الذي يُحقّق المصلحة، وعندما نظر العلماء إلى النص رأوا أنه يحقق المصلحة، وليست المصلحة شيء خارج إطار

النص.

فأنتم ترون الحديث اليوم على المصلحة بمفهوم التَّشهّي، ومفهوم الاستحسان البِدعي وليس الفقهي الأصولي. ومن أجل ما حدث اليوم من هذا الأمر في قضية المصلحة والحديث عنها حديثًا بدعيًا وحديثًا انحرافيًا؛ صارت كلمة المصلحة ممجوجة! وبمجرد أن تسمع الفقيه يتحدث عن كلمة المصلحة ترفع راية حمراء وتتخوّف، تضع نفسك في موضع الضوء الأحمر وأنك متخوّف لما سيقوله بعدها؛ لأن المصلحة صارت عند المتلعّبين وأصحاب الاشتهاء والهوى قفزة فوق النص وفوق الشريعة.

وهناك من العلماء المعاصرين من يدعو إلى نظرية المقاصد، لكن يدعون إليها كما أوردها الشاطبي، يفهمونها فهمًا صحيحًا، ولا يرون أن المقاصد تُنشئ النص أو تنشئ الحكم، هي تضبطه على القاعدة التي قلناها وهي "تدافع الحسنات والسيئات".

لكن الأغلب من أصحاب الاشتهاء والهوى والتفلُّت من الشريعة والخروج من التكليف ينظرون إلى المصلحة النظرة التي بها يعكسون لوازم ما يقوله الطوفي؛ بأن النص يخالف المصلحة والمصلحة مقصود للشارع إذًا علينا أن نلتفت إلى المصلحة والنص يُؤخّر! هذا كلام باطل لا يمكن أن يطرأ على نفس الفقيه.

وأنا أنبّه على نقطة أصولية هنا مهمة جدًا وهي عماد الرد عليهم: ما الذي يُنشئ القاعدة الكلية؟ هي الفروع. حتى الشاطبي مع أنه متأخر توفي سنة ٧٩٠، ومن بعده عالة عليه، يعترف الجميع أنه لا يوجد نص في الشريعة يقول بالضرورات الخمسة، ولكنهم نظروا إلى مجموع النصوص الفرعية الجزئية فتكوَّنت منها القواعد الكلية والأحكام الكلية.

إذًا ما الذي أنتج الكلي؟ هو الجزئي؛ فالجزئي هو الأصل. نحن لم نستطع أن نعرف الكلّي إلا من خلال تجميع هذا الجزئي واتفاقه على هيئة واحدة واضحة وبيّنة أن هذا مراد الشارع.

إذًا هنا مع أنه كلي إلا أنه فرعي، أي أنه في النهاية قاعدة كلية لكن الذي أنشأه هو الفرعي. ومع

أن الفرعي هو النص الجزئي المقصود به إلا أنه أصلي. ما المقصود بالجزئي؟ لما يأتي مثلًا الشارع يأمرنا بإقامة الصلاة، يأمرنا بذكر الله، يأمرنا بحب الله، يأمرنا بالجهاد في سبيل الله، فهذه جزئيات أنشأت لدينا حكمًا كليًا وهو مقصد إقامة الدين، ومقصد تحقيق الدين ورضا ربّ العالمين.

لما رأينا الشارع يمنع قتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق، يمنع من هلكة البدن، يأمر بالسعي من أجل الأكل والشرب؛ علمنا أن الشارع بمجموع هذه الأحكام الجزئية قد أنتج حكمًا كليًا وهو وجوب المحافظة على النفس. وهكذا لما رأينا الشارع يحضّ على الزواج ويمنع الزنا علمنا أهمية العرض والنسل. ولما رأيناه يمنع السرقة إلى غير ذلك ويقطع يد السارق مع أحكامها الأخرى علمنا أن الشارع يهتمّ بالمال، وهكذا؛ فالذي أنشأ هذه القواعد الكلية هو تجميع الجزئيات.

فالجزئي وإن كان اسمه جزئيًا إلا أنه أصلي في هذه المسألة، والكلي وإن كان هو حكمًا كليًا إلا أنه فرعي؛ لأنه منتَج، والجزئي هو منتِج.

وإذا كانت المسألة كذلك فالقاعدة المقرّرة التي يقولها الشاطبي بأنه لا يجوز للفرع أن يعود على الأصل بالإبطال؛ الأصل ينبغي أن يبقى قائمًا والفرعي لاحق له، فكيف يريد هؤلاء للكلي أن يُبطل الأصلي؟! بالرغم من أن الذي أنتج هذا الكلي هو الأصلي! فالأصلي وإن كان فرعيًا إلا أنه أصلي؛ فلا يجوز أن يعود عليه بالإبطال وهو الْمُنْتِج وذاك الْمُنْتَج. هذه قاعدة أصولية.

للأسف يأتي الجهلة ويقولون هذه فلسفة! هذا هو دين الله، هكذا هو خطاب الفقهاء، وخطاب الدين، وخطاء الأحكام الشرعية.

القصد لا يوجد عالم ولا فقيه ولا ابن الخطاب رضي الله عنه عطّل حكمًا فرعيًا بحجة المصلحة! وإنما عطّل حكمًا لوجود حكم آخر يدفعه؛ يعني نصٌ يدفع نصًا. ولا يجوز لأحد أن يقول: "هذه مصلحة"، بل ينبغي أن نضبط المصلحة، لأنها غير مضبوطة عند أصحاب الأهواء في هذه الأيام، لكنها مضبوطة في وضع الشارع لها، كما أراد العلماء وكما قال الشاطبي: "المصلحة هي مقصد الشريعة الأول". ما هو

مقصد الشريعة الأول؟ إخراج العبد من عبادة هواه إلى أن يكون عبدًا لله. هذا هو المقصد الكلي، **{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}**. مقصد الشريعة هو إخراجك من هواك؛ ألَّا تأكل في رمضان، إذا حضر الأذان تقوم وتصلي، وتقوم من النوم فتصلي، أن تخرج المال للمسكين والفقير، كل هذه مجاهدة هوى، فأين المصلحة على المفهوم الذي تتركَّب عليه مذاهب اللذة المعاصرة التي يقولونها؟!

واحد يُجيز الربا مخافة أن يفوت المال، هو لا يفوته المال لما يأكل أموال الناس بالباطل! هو نظر إلى مصلحته أن يأكل الربا، لكن لم ينظر إلى مصالح الفقراء والمساكين، ودمار العالم الذي يترتب على أكل الربا. هذا باطل، ومتَّفق بين أهل العلم أنه لا يجوز لك أن تُنقذ روحك أنت مقابل أن تهلك روح غيرك! يقول شيخ الإسلام هذه مُجمَع عليها.

يعني لا يجوز لك أن تهرب من الموت مقابل أن يحلّ غيرك في هذا المكان الذي أنت فيه من المسلمين، يعني لا يجوز لك أن تنتزع قلب أحد لتضعه بدل قلبك المريض الذي يوقن على الموت والهلكة. لا يجوز أن تأخذ دمًا من إنسان يؤدي إلى موته من أجل أن تُحيي دمك. هذه قاعدة من قواعد الشريعة.

فإذًا النصوص تتضارب بحسب الواقع، وليست المصلحة تعارض، المصلحة بالمفهوم الذي للأسف يطرحه الطوفي في كلامه.

أردت أن أبيّن هذه فقط لانتشارها، ولأن كلمة المصلحة موجودةٌ في الشرع ومعتبرةٌ في كلام العلماء، ومتَّفقٌ على وجودها، ولا يعيبها أن يجهلها الجاهل ولا أن يتَّخذها المبتدع أو صاحب الهوى سُلَّمًا لأهوائه.

إخواني لا يوجد علم بلا فتنة؛ الله يضع العلوم ويضع الفتن معها؛ فلذلك كلمة "مصلحة" معها فتنتها.

من هذه الكلمات: كلمة "السياسة"؛ ابتعدنا عنها لكثرتها ولأنها اليوم غير مستخدمة، وإن كانت

مستخدمة في زمن ابن عقيل بكثرة، وفي زمن ابن القيم بكثرة.

من هذه الكلمات كلمة "التدرج". وهذا الكتاب الذي بين أيدينا يبحث موضوع التدرّج.

الآن كلمة "التدرج" كأنها قنبلة موقوتة؛ ذلك لأنها الستار الذي يتَّخذه كل الطغاة في تعطيل الشريعة. بعضهم يُصرّح أنه لا يريد الشريعة، وأن الشريعة فات وقتها، بل يعاقبون أي أحد يدعو إلى إقامة الخلافة. يعني لو أنك الآن دعوت إلى الخلافة فتذهب إلى المحكمة وتُحاكم وتُسجن!.

في بلاد المسلمين لو دعوت إلى إقامة الشريعة ورأوا أنك تُنظِّم مجموعة من الناس لتقوم بالدعوة إلى توحيد الله في التشريع والقضاء لعُدَّ هذا جريمة!

لكن لما تقوى الدَّعوات ويكثُر الدعاة ويُدرك الطاغوت أنه لا بد من فتح مساحة، وفتح مجال ما من أجل استيعاب غضب الناس ودعوتهم، فيفتح لهم الشريعة ويقول هذا الذي نستطيعه الآن، واذهبوا فضعوا لنا قانونًا إسلاميًا، دستورًا إسلاميًا، وناقشوه يا علماء، حتى إذا فرغتم منه عرضناه على العلماء والنقاش وبعد ذلك أقررناه!.

ما من مجلس نوائب -وليس مجلس نواب- في دولة من دول العرب إلا وفي داخل أدراجها دستور إسلامي وقانون شرعي. كل دولة من هذه الدول الطاغوتية المرتدة الموجودة على ظهر الأرض في داخل أروقة دراسات الدساتير والقوانين يوجد ملفات للشريعة؛ فتُخرج متى يُراد وتُوضع في الأدراج متى يُراد.

ولذلك صارت كلمة "التدرج" مفهومة لدى الناس بأنها مطيَّة للهروب من تطبيق الأحكام الشرعية، تُطبَّق بقدر ما، يأتي النميري فيقيم بعض الحدود، باكستان تقيم بعض الحدود، ودول أخرى كالسعودية وهكذا، يقيمون بعض الحدود والباقي على التدرُّج وعلى القدرة، أو يزعمون أن هذا أصلًا من الشريعة، وبعضهم يقول الشريعة مطبَّقة ٩٠٪ وباقي ١٠٪! بحسب رؤيتهم للشريعة.

فكلمة "التدرج" منذ بداية قيام الدولة الطاغوتية صارت كلمة ممجوجة، وصارت كلمة مفهومة لدى الناس بأنها تعني الهروب من التطبيق.

ككلمة "المصلحة"، لما واحد يقول لك: "هذه هي المصلحة"، كأنها كلمة سوقية؛ بمعنى يستخدمها أهل الأسواق، ويستخدمها العلماء والمشايخ بنفس المعنى. تسأله لماذا أجزت ذلك؟ يقول لك: للمصلحة، مع أن هذا الحكم قد يكون قطعيًا يقينيًا، ولكن هكذا جاءه الرجل وأظهر له أن من المصلحة أن يفعل كذا وكذا فأجازه، بغض النظر عن أنه مخالف للدين، وأنه يؤدي إلى مفسدة أعظم منه، وأن هذه المفسدة تؤدي إلى مفاسد عند الآخرين إلى آخره، هذا لا قيمة له عندهم. أنه يخالف نصًا هذا لا قيمة له عندهم، ما يحب الله ويرضى هذا لا قيمة له.

وكذلك هي هذه الكلمة التي بين أيدينا "التدرج". هل كلمة "التدرج" هي موجودة في داخل الشريعة؟ يعني يمكن أن نستنبط أن ثمة فقهًا يُسمى فقه التدرّج عند تطبيق الشريعة؟ أم أن هذه الكلمة من الكلمات الشيطانية التي تُوبق مُعتقِدها في الضلالة والبدعة والخِسّة التي نراها عند العلمانيين أو عند الطواغيت عندما يهربون من تطبيق الشريعة تحت دعوى التدرّج؟

هذا الكتاب الذي بين أيدينا يبحث في هذه المسألة، ومن هنا له الأهمية، مع أن صاحب الكتاب – جزاه الله خيرًا- هو جمّاع في هذا الكتاب، ونجد أن رؤاه في داخله قليلة، وكأنه أراد فقط أن يُقدِّم أن هناك من العلم الذي يُنكره من ينكره موجود في كلام الأئمة، وخاصة كلام الأوائل.

تكمن قيمة هذا الكتاب عند الكثيرين بأنه كتاب صدر من مجموعة يُنظر إليها ويُحكم عليها بأنها لا تؤمن بالتدرّج.

وهنا أنا ربما أضطر إلى فتح عدة أقواس واستطرادات مهمة، يظن البعض أن جماعات الجهاد لا تملك رؤية واقعية، بل هي تقفز على الواقع، وأنها تتجاوز معطيات ما يُسمى عند دارسي التاريخ بـ"الظرف التاريخي". وأنا سميته في (صبغة الله الصمد) بـ"الظرف السنني"؛ لأن الظرف السنني مهم جدًا.

الآن التفاعلات الكيماوية في الوجود لا بد لها من مُحيط وإلا لا تُنتج المعادلة، ربما المعادلة تنتج من مادتين، لكن لا بد من وجود محيط وبيئة لهذا التفاعل حتى تنتج هذه المعادلة المطلوبة.

الظرف السُّنني مهم جدًا في الآنتصار والهزيمة المادية، وليس الدينية؛ الدينية تتحقق بمجرّد انتصار إيمانك، حتى لو مُتَّ فهذا انتصار. لكن لماذا هلك أهل الأخدود؟ مع أنهم موصوفون بالإيمان، ولم يأتِ من الشارع ما يقدح عقيدتهم أو يقدح سلوكهم أو اختياراتهم؟ بل مُدِحت المرأة التي جاءها الطفل وقال: "**يا أمّاه، إنك على الحق**"، ولم تتخذ سبيل المصلحة ولا التدرّج. ما الذي جعل الآنتصار المادي يتخلّف عن هذه الحادثة الإيمانية القرآنية العظيمة؟

هو عدم وجود الظرف السننيّ، بمعنى الإيمان موجود لكن القوة غير موجودة. اليقين موجود، ولكن القوة التي بها يتم التكافؤ ليس فقط العددي ولكن التكافؤ في القتال. حتى هذه كلمة "التكافؤ"، كثير من الكلمات يستخدمها الناس وفي الحقيقة لها تصورات باطلة في أذهانهم، كلمة "التكافؤ" مغلوطة في أذهان الناس وهي كلمة صحيحة؛ لأن "التكافؤ" عند الناس لا يعني إلا القوة، مع أنه يمكن خمسين واحدًا يقتلون ألفًا! وهذا ليس فقط في ديننا، ليس فقط في الوعد القرآني **{الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ}**، حدث هذا حتى في طوائف كفرية بعلّة الصبر.

مشهورة حادثة في تاريخ اليونان لما قاتلوا مجموعة هائلة من الجيش الفارسي، تقريبًا ٣٦٠ شخصًا يونانيًا إغريقيًا قاتلوا مجموعة من عشرات الآلاف من الجنود الفارسيين وانتصروا عليهم، هلكوا كلهم لكن أهلكوا الجيش الفارسي كذلك. لماذا؟ لوجود عامل التكافؤ الذي يملأ جانب العدد وهو "الصبر".

وجود الصبر واليقين على القضية والاندفاع نحو المبدأ والتمسّك به هذه من عوامل التكافؤ؛ لأن كلمة "التكافؤ" لو أُطلقت اليوم يقولون لماذا تقاتلون وأنتم لم تتكافأوا؟ لعدم نظرتهم للمطلوب. يقول ابن قدامة في (المغني): "يجوز للمسلم أن ينغمس في جيش الكفار حتى ولو أيقن بالهلكة". ما الذي يُدخله في جيش الكفار إذا أيقن بالهلكة؟! قال: "من أجل أن يُظهر محبة المسلمين للآخرة". هذا مقصد. فليس القصد دائمًا أن تقاتل من أجل أن تنتصر وتغلبه.

تعرفون وديع حداد النصراني، وقد تحوّل إلى شيوعي وكان في الجبهة الشعبية. لما سُئل لماذا قمت

بعملية اختطاف الطائرات؟ هو له مقصد، خطف الطائرات لا يؤدي إلى زوال إسرائيل، ولا انتصار القضية في المعركة مع إسرائيل، قال: "أردت أن أنشر القضية الفلسطينية في العالم لأنهم لا يعرفونها، وفي غفلة عنها، أردت أن أُسمع العالم أن هناك ثمَّة شعبًا مظلومًا، فيجب أن يسمعوا قضيتنا".

يُخطئ أو يصيب هذا موضوع آخر، لكن أتكلم على أن الناس يستخدمون العمل المادي من أجل أعمال متعددة كثيرة، بالنسبة للمسلمين وغير المسلمين، والمسلم كذلك.

فالقصد: ابتعدوا عن التصور الساذج.

أنا كنت لما الإخوة يقولون: ذهبنا للبوسنة لنقيم دولة إسلامية، أسكت، أقول هي طريقة للدولة الإسلامية لكن لن يكون، لعدم وجود الظرف السنني. الظرف السنني مهم جدًا في عملية التغيير، ولكن الفعل ليس مطلوبًا منه في ذاته أن يُحقّق من ابتداء الأمر النتيجة الكلية، هذا لا وجود له.

نرجع للموضوع: القصد بأن الجماعات الجهادية عند الناظرين إليها عن بُعد يظنُّون أنها تقفز فوق السنن الواقعية، فتقفز فوق الوقائع والسنن.

والمعلوم -أيها الإخوة الأحبة- أن السُّنن القدرية أقسى وأقوى وأثبت من السنن الشرعية، هذا مما لا شك فيه.

يعني أنت عندما لا تجد الماء: الشرعي يتغير، لكن الماء يبقى مفقودًا. تبحث وتبحث، لا تستطيع أن تصل إليه، أو هو غائب عنك، غير موجود في المحيط الذي أنت فيه. من أقوى؟ ما الذي تغير؟ الحكم الشرعي أم الحكم القدري؟ الحكم الشرعي.

عند بعض الفقهاء لو قيل لرجل: لا يمكن أن تشفى -أي شفاءً حتى لو كانت لقمة الخبز التي غصّت في حلقك- إلا بهذا الكأس من الخمر، يشربه. ما الذي تغير؟ يتغير الحكم القدري أم الحكم الشرعي؟ الحكم الشرعي الخمر حرام لكنه تحوّل للجواز.

فالحكم القدري أقسى، أي أكثر ثبوتًا، وأكثر صلابة. الحكم الشرعي يتحوّل لأنه منوط بالقدرة، الله عزَّ وجلَّ قال: {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ}.

فبالتالي هناك اتهام كبير لجماعات الجهاد أنها تقفز على الوقائع، تقفز على التاريخ، تقفز على الجغرافيا، تقفز على السنن، لماذا؟ لجهل هؤلاء المتحدثين؛ أولًا جهلهم بهذه الجماعات، ثانيًا لجهلهم بطريقة التغيير السنني.

يعني الذي يزعم من المشايخ المعاصرين أنه درس السنن، ويعلّم الناس فقه الواقع، ويدعو الناس إلى قراءة الخصم والعدو وقراءة الواقع قراءة جيدة إلى آخره. ثم ينتكس في نهاية قراءته وينتهي إلى تصور، وقد قرأ الواقع، قرأ اليهود، قرأ (أعمدة الحكمة السبعة)، وقرأ (بروتوكولات حكماء صهيون)، وقرأ السياسة الأمريكية، وقرأ الترابط السياسي بين أوروبا وأمريكا، إلى آخره، وانتهى إلى القول: هذا عالم لا يمكن أن نقدر عليه، فبالتالي علينا أن نتعامل بمقدار ما فُتح لنا من أبواب من الدين!!

قراءة الواقع جعلته ينتكس، جعلته ينهزم، فلم يقرأه قراءة صحيحة. هذا لم يقرأ التاريخ، ولم يعرف أن أكبر القوى في التاريخ الإنساني كله جُوبهت ببناء صغير، كما بُني الأنبياء حتى انتهوا إلى انتصارهم. وأعظم نموذج هو النموذج النبوي الشريف الذي خرج شخصًا واحدًا يتيمًا وفقيرًا، ثم تغيَّر التاريخ. هذا لم يقرأ التاريخ قراءة إيمانية.

وللأسف نحن نرى المشايخ اليوم الذين يزعمون قراءة الواقع أكثر الناس انقلابًا على عالم السنن!. نحن نرى أن ماركس يقرأ السنن خيرًا منهم. أن الكفار والطوائف البدعية والطوائف الشركية تقرأ السنن وطريقة التغيير خيرًا منهم. انتهى الكثير منهم إلى التَّماهي مع الباطل والطاغوت!.

أما القول بأن الجماعات الجهادية تقفز على السنن، فهناك فرق بين القفز على القانون الذي يُريد الإنسان أن يأسرك في داخله. هناك إنسان يريد أن يُدخلك في بطنه، ويُدخلك في داخل قفص الفأر. فهو يريدك كحزب وكداعية وكعامل داخل متاهة الفأر هذه، هو يضعك فيها. فهو يقول لك: هذا هو

المتاح لي، والمتاح له هو متاهة الفأر.

فبعض الناس يقولون: اليوم منَّ عليكم الطاغوت بأن فتح لكم العمل السياسي ادخلوا في الآنتخابات. متاهة الفأر فُتحت له! قال: هذا من السنن، الطاغوت يدخل في معركة ويجعلها معركته، تُؤوّل إسلاميًا حتى تصبح معركة الطاغوت، وهو لم يُستأذن، هو نائم استيقظ الصبح وجد معركة بين طواغيت ليس له فيها إلا أن يكون للأسف سنًا في داخلها، فيزعم أن هذا من العبقرية.

هناك فرق بين أن تكون داخلًا في لعبة متاهة الفأر التي يصنعها خصمك، وبين أن ترتقي فوق هذه المتاهة لتصنع سُنّتك التي تريد. الجماعات الجهادية هي الوحيدة التي فعلت هذا.

اضربوا رؤوسكم بالحائط.. هذا الواقع؛ كل الجماعات العاملة سياسيًا للتغيير، بغض النظر عن العاملين للدعوة إلى الله في قراءة القرآن، في جلب الناس للمساجد، كل هذه أعمال جليلة، في نشر الدين، نشر المفاهيم الإسلامية مثلًا الذين نشروا مفهوم الأمة مقابل المفهوم القومي، الذين نشروا الإسلام مقابل الهجمة التغريبية التي قدمت علينا، الذين قاوموا الإسلام البدعي المتمثل بالتصوّف الضال الذي يُستخدم من قبل الطاغوت من أجل ضرب الإسلام السنّي المقاوم. الذين كشفوا الروافض الذين يريدون جرّ السنّة إلى مربعهم، كل هذه أعمال جليلة لا نتحدث عنها، هذا قامت به طوائف متعددة، وكل الجماعات لها خيرات في هذا الباب.

لا أريد الآن أن أقسّم الخيرات بين المسلمين فهذا كل منصف يراه، أن كل الجماعات حتى الإمام في داخل المسجد وهو يقوم بالأعمال الدينية في إمامة المسجد نفع المسلمين، فقدم خيرًا عظيمًا للمسلمين. حتى الذي يجلس في المسجد ويعلّم أطفال المسلمين هذا صنع شيئًا عظيمًا، لا أقول شيئًا يسيرًا من الدين، وكل أعمال الدين عظيمة.

ولكني أريد أن أقول بأن الذي يتماشى مع السنن في قضية تحقيق مفهوم الأمة في وجودها وصراعها مع الآخر، في تحقيق مقاصد الإسلام الكلية المتعلّقة بالأمة، الذي حقق النتائج –شئتم أو أبيتم– هم

الطوائف الجهادية فقط!

ولو نريد أن نفتح الباب ونفتح النقاش لرأينا، والمسألة ليست بما فكّر به أحدهم فلم يصنع شيئًا. هناك الكثير من الناس، لا يعلمهم إلا الله جلسوا في بيوتهم فحلموا ووضعوا الحلول ووضعوا النماذج العظيمة، وفي النهاية ناموا فلم يسمع بهم أحد!.

كثير من المسلمين من العباقرة جلسوا مع بعض وصنعوا النظريات العظيمة، مثلًا اليهود غلبوا العالم بالمال، لماذا لا يقوى لدينا المال وندخل الآنظمة الاقتصادية ونسيطر على العالم بالمال؟ صحّ النوم!! لماذا لا نصنع مثل اليهود "لوبي" في داخل الكونجرس الأمريكي من أجل أن نسيطر على أمريكا؟ صباح الخير!!

هناك الكثير من الأحلام، لكن أتكلم على الذين سلكوا الطرق، ومشوا، وكوّنوا جماعات وعملوا، في الحقيقة الذين انضمت إليهم الجموع وحضروا هم هذه الطوائف. وكلما اتُّهمت بأنها تقفز على الواقع رأينا أنها تصنع واقعًا جديدًا. أنا أخالفهم، أنت تخالفهم، هذا موضوع لا يغيّر من الأمر شيئًا.

بمعنى أنا لو كانت السفينة تمشي والأعاصير قادمة عليها، لو وقفت على مقدمة السفينة وصرخت بكل قوّتك هل تُوقف هذه الأعاصير؟ هل تُغير شيئًا من الأمواج؟ لو سببتها لا يتغير شيء، الواقع يمشي رغم أنفي وأنفك!

الوقائع تثبت أن هذه الجماعات هي التي حقَّقت، وصارت هذه الجماعات اليوم –شئنا أم أبينا– كالثقب الأسود الذي يجتذب إليه الآخرين ويدخلون فيه.

والذين بقوا على هذا الإطار الآخر لم يصنعوا شيئًا، وربما تماهوا مع الباطل نفسه كما نرى في جماعات العمل السياسي.

فالجماعات الإسلامية وجماعات الجهاد لم تقفز على الواقع، هو إعمال للسنن، وهو طريق سنني، وهذا يحتاج إلى كثير من البسط وكثيرٍ من الاتساع لتفهيم العقل المسلم أن يخرج من إطار الوعظ، ومن

إطار التدريس، ومن إطار القراءات الكلية التي استهزأ بهم ابن خلدون في مقدمته لما قال: فقهاؤهم أبعد الناس عن السياسة وأبعد الناس عن العمل وأبعد الناس عن المصالح وأبعد الناس عن القيادة؛ لأنها جماعات عقلياتهم كلية، تبحث في الكليات، والوقائع لا ينفع معها هذا.

مما يُشار إليه ونحن نحتجُّ بكل ما يساعدنا على بسط الفكرة.

مما يدلّ على هذه الخصومة بين الذي يقرأ وبين الذي يعمل، هذا الخبيث السادات الذي هلك -إلى جهنّم وبئس المصير-، لما أراد أن يذهب إلى إسرائيل فأحضر بطرس غالي واستشاره، فناقشه وقال له في النهاية: أنت شغل كتاتيب وجامعات، والسياسة لا ينفع معها هذا.

فهذه فقط نظريًا، مرات الكتاتيب والقراءة تجعل المرء يعيش أحلامًا خاصة به فوق الواقع! وهذا الذي كنت أحب من الشيخ البليدي أن يتوسّع فيه في قضية فقه التطبيق.

للذِّكر مرة واحد من الناس قال: كيف تجزم أن جمال عبد الناصر في جهنم خالدًا فيها أبدًا؟ نعم الكافر خالد في جهنم أبدًا، ويجب على كل مسلم إن اعتقد أن فلانًا كافر بالله أن يعتقد أنه خالد في جهنم، ولا شك أن جمال عبد الناصر هو كافر ومجرم، فهو خالد في جهنم. وأما قول أهل السنة: لا يُحكم لأحد بجنة أو نار، هذا المقصود به الفاسق المليّ. ارجعوا إلى شروحها في (الطحاوية)، وإلى شروح العلماء، المقصود به المسلم، يعني لا يجوز أن تجزم لمسلم بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار، أي أنك معذَّب أو أنك ناجٍ، وإلا فكما قال النووي: "الإجماع على أن المسلم نهايته الجنة".

القصد من هذا أيها الإخوة الأحبة أن هناك اتهامًا لهذه الطائفة بأنها تقفز على السنن، تقفز على الواقع، تتجاوز العالم بكل سلطانه، تتجاوز ميزان القوى، إلى آخره. ولكن ثبت أنهم هم الذين يرِثون الثورات عندما تسقط.

والعبد الفقير تنبّأ بأنه لو سقطت الدول في وقت من الأوقات فمن سيتلقفها؟ لن يتلقّفها إلا المتحضِّر، الذي عنده تحضير لشيء لهذه الوراثة.

هذا الكتاب من إحدى الردود على هؤلاء؛ بمعنى أنه يُثبت أن تلك الجماعات لا تتجاوز الواقع، ولا يفرضون الرؤى الذاتية على الوقائع، بل هم يتعاملون مع السنن بما هي مستحقَّة في دين الله عزَّ وجلَّ.

كلمة "التدرّج" كما قلنا كلمة مستقبحة؛ لأن الذي يرددها إما الطواغيت أو من أراد أن يدخل في لعبتهم.

وهذا الشيخ أبو الحسن البليدي مكث خمسة عشرة سنة أو أكثر تقريبًا في الجبل يقاتل، وهو بليدي من البليدة في الجزائر، وهو الشرعي الأول لما يُسمى (تنظيم القاعدة في بلاد المغرب)، ويؤلّف هذا الكتاب ويقول: لا بد من التدرّج، والشريعة بحكمتها وبأقوال الفقهاء فيها وبحكمة سنة النبي ﷺ فيها فإن التدرّج هو المعمول به والذي ينبغي أن نسلكه.

وهذا أكبر ردّ أن هذه الجماعة في النهاية تفكّر.

ومن القراءة الخارجية لهؤلاء أنهم في كل المعارك التي خاضوها انتصروا على خصومهم حتى في المسائل الفكرية. يعني من الذي انتصر في الإعلام إلى الآن؟ انظروا إلى حجم الإعلام الغربي والإعلام المضاد لجماعات الجهاد. ومع ذلك هؤلاء يسرقون الناس، والشباب بمئات الآلاف لو فُتحت الحدود والسدود لوجدنا الملايين تهفو قلوبهم إلى هؤلاء.

فحتى المعارك الجزئية ينتصر بها هؤلاء في الحقيقة.

فالدعوة أن هؤلاء يقفزون على الواقع غير صحيح، لكن المعركة شديدة، لا تملك أنت إلى الآن الأدوات التي يملكها خصمك. أنا أسألكم: افتح التلفاز من أول قناة إلى آخر قناة، كم قناة تلفزيونية تتكلم مثلًا عن جماعات الجهاد وتنشر فكرهم وتناقش المخالف؟ لا يوجد! ومع ذلك يصلون إلى الناس.

وعندما تسقط النُّظم بفعل خارجي كما حدث في الثورات فإنهم الأقدر على الوراثة، لولا التجييش ضدهم الذي يدعو إلى الاستئصال، ذبح، قتل، حتى للمتعاطفين معهم، وإلا فالنتائج محسومة. ومع ذلك هم ما زالوا جماعات يسيرة، أنا أذكر عندما كان الناس يعدّون جماعات الجهاد قبل عشرين سنة أو

أقل فتقول مثلًا: هناك جماعة في البلد الفلاني عددها عشرة، تقول ما شاء الله هؤلاء بركة!. اليوم انتهت مسألة العد، صارت هي حركة الأمة في النهاية، وهذا هو المطلوب.

لا تتحدث عن قضية نوعية الفقه الذي يأسر، لكن تحدث عن قضية السلوك الذي يمشون به. ليس الفقه أن هل هم سلفية ولا هل هم صوفية، لا، تحدَّث عن طريقة التعامل مع الواقع في الحلول التي تتبناها كل طائفة.

إذًا هذا الكتاب مع أن الذي كتبه رجل في الجبل، ليس عنده المكتبة الكبيرة، ورجل تاريخه أمضاه كله قبل أن تشيب لحيته وهو في الجبل مجاهدًا كما يؤمن، ومع ذلك أصدر هذا الكتاب قبل وفاته بشهور فقط، ثم قُصف بالطائرة وقُتل عليه رحمة الله، وكان هذا الكتاب وهو (الشريعة الإسلامية وفقه التطبيق).

وعندما يعرّف الشيخ مقصد الكتاب فإنه يأتي إلى موضوع التدرّج، فالكتاب يدور حول هذه القضية، وبين المانعين وبين المُجيزين وهل الفقه الإسلامي يدعو إلى التدرج، ويدخل المداخل المتعددة النافعة المهمة في هذا الباب.

بلا شك أن هذا الكتاب مسبوق من غيره؛ لأن هذه المسألة طُرحت والناس على حذر منها. ولا يستطيع أحد هنا أن يقول بأن فقه التدرّج هو الذي أتى به، أو الجماعة أتت به منهج سني؛ فقد سُبق كما يذكر هو عن نفسه أنه سُبق في بيان هذه المسألة من قِبل أناس يعتمدون السنة والأصول الصحيحة في تثبيت وتحقيق معنى التدرّج. فليس هو السابق، لكن الشيء المهم في الباب هو أن هذا رجل من هذه الطائفة التي يُزعم أنها لا تهتم بقضية السنن ولا التدرج ولا التربية إلى آخره.

والغريب جدًا أن الجماعات غير هذه الجماعات المجاهدة كلهم يبدؤون بالكثرة! لما تقرأ مثلًا أي جماعة تجدها قد بدأت بالكثرة والاتساع والآنتشار، السنوات الأولى نجد أنها تقتحم وتسيطر ويتبعها الأتباع، ثم بعد ذلك تبدأ بالتلاشي والضعف والتكيّف بحسب الواقع، ويبدأ الواقع يضغط عليها وتزيد وتنقص وهكذا لكن التنامي غير موجود. الغريب أن هذه الجماعة الوحيدة هي التي نشأت بالضعف،

ونشأت بالقلة، ثم بعد ذلك الآن هي الأكثر، والجماعات تمشي وراءها.

فحتى في فقه التدرّج في قضية عدم تجاوز الواقع هذا موجود في سلوكها السني العام.

هذا الكتاب لا أستطيع أن أقف عند كل نقطة فيه؛ لأنه من الكتب الفقهية التي تتحدث عن مسائل متعددة.

افتتح الشيخ أبو الحسن البليدي رحمه الله الكتاب بمجموعة مقدمات، وكانت له عبارات رائقة ورائعة وراقية في قضية مهمة وجود القواعد عند الحكم. وهذه النقاط التي افتتح بها الكتاب كمقدمات في الحقيقة كل واحدة مُستلّة من كتب متعددة، وكل واحدة تحتاج إلى كتاب. مثلًا: التفريق بين سلوك النبي ﷺ كقائد، وكمفتي، وكمشرّع. هذه مسألة الإمام القرافي له كتاب مشهور فيها، حقّقه الشيخ أبو غدة.

الكلام على قضية اعتبار القدرة؛ أن الشريعة مناطها على القدرة، بمعنى أن الله لا يكلّف نفسًا إلا وسعها، ولا بد للقدرة أن تكون موجودة، ولا بد من اعتبار مقاصد الشريعة؛ لأن مقاصد الشريعة يجب أن يُنظر إليها من خلال مقصد الشارع.

هذه القواعد التي افتتح بها الكتاب كل واحدة تحتاج إلى شرح، تحتاج إلى بيان طويل، ولا نستطيع في هذه الجلسة أن نوفي ذلك، ونحن عادتنا في هذه الجلسات –أيها الإخوة الأحبة– ليست شرح الكتب. ليس هذا من مواطن أن نأتي بالكتاب فنقرأ هذا الكتاب ونناقش كل جزئية فيه، ونشرح هذه ونبيّن وجه الصواب فيها ووجه الخطأ إذا كان موجودًا، فليس هذا من مهمتنا، فالكثير من الإخوة طلبوا مني أن أشرح هذا الكتاب وأن أعلّق على بعض المواطن فيه؛ لأنهم اتخذوا هذا الكتاب من مناهجهم في الدراسات في داخل ندواتهم ودوراتهم العلمية الشرعية. فليس هذا من المقدور عليه في هذا المكان.

النقطة الثانية: أن موضوع التدرج الذي بناه الشيخ وهو يميل إليه، مبني على عدة عُمُد وليس على عماد واحد، وهو موضوع القدرة.

وأنا أنبّه هنا على نقطة مهمة جدًا، تكلمت فيها ربما قبل عشرين سنة ولكني مضطر في كل موطن

يُفتح هذا الباب أن أتكلم عنها، وكنت أحب للشيخ أن يأتي على هذه النقطة: هناك من يزعم أن الفاروق رضي الله عنه عطّل الشريعة كما هو منتشر اليوم، -الشيخ لم يقل هذه الكلمة، لكنها منتشرة حتى على ألسنة للأسف الدكاترة وبعض المشايخ وبعض الخطباء-، يقولون: إن عمر عطّل الشريعة. وأنا قدّمت وأشرت وشرحت موضوع المصلحة شرحًا يسيرًا بما يناسب المقام لأن له تعلّقًا بما نحن فيه، وهو أن النصوص هي التي تتعارض؛ فالتَّقدِمة للنصوص وليست التقدمة للمصلحة. ما معنى هذا الكلام؟

ينبغي على طالب العلم حين يشرح للناس أن يقرّبهم من الدليل من أجل إزالة الخلاف، مما قاله العلماء في آداب المفتي: إذا كان النص الشرعي يحقق المراد لدى السامع -أي هو نص في المسألة-، والسامع يفهم المراد في الخطاب، فالواجب على المفتي والفقيه أن يجيبه بالنص؛ لأنه أدعى للقبول ولقطع الهوى والمخالفة. يعني لو أن رجلًا سألك: ما حكم ماء البحر؟ ما الواجب أن تقول له؟ لا تقل له: الوضوء فيه جائز، بل قل له: قال رسول الله ﷺ: (**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**). لو أن رجلًا سألك: هل هناك فرق بين قليل الماء وكثيره في قضية سقوط النجاسة فيه؟ فتقول له: قال ﷺ: (**الماء طهور لا ينجسه شيء**)، طبعًا هذا إذا كان الذي يسأل فقيه أو طالب العلم.

فالإجابة بالنص أدعى للقبول ولقطع الخلاف، وترقية للسامع بأن يفهم المراد، وتوصيل للجواب بأعظم وسيلة وجواب وهو جواب النبي ﷺ.

اليوم لأن الذي يتكلم غير فقيه، تجدهم يتكلمون عن صور باحتمالات تدعو الناس للخلاف، لو أنهم أجابوها على طريقة الأصوليين لانقطع الخلاف.

انتبهوا إلى الفرق بين الطريقتين، ما هي الأدعى للقبول لدى العلماء، ودعكم من العوام، العوام ماذا تقدِّم لهم يأكلون، الأطعمة اليوم كالشاورما لا يعرفون ما فيها، العامي مسكين يدخل المسجد ويخلع عقله عند حذائه، يدخل الشيخ يتكلم، يقول الشيخ قال والشيخ تكلم. نحن لا نتكلم عن هذا، نحن نتكلم عمن عنده فقط القليل من العلم ويشدوه، كيف نتكلم؟ كيف نصيغ العبارات له؟ هذه قضية مهمة، مبناها ما تكلمته في موضوع النص.

رجل يأتي ويقول: "إخواني، ينبغي ألا ننظر فقط إلى الحكم، ينبغي أن ننظر إلى سياقه. يعني لو أن رجلًا مثلًا سبّ الدين، فهذا حكمه أن تقتله، ولكن ينبغي أن ننظر إلى السياق فربما لو قتلته قتلك وقتل مائة. فالسياق منع تطبيق الحكم وبالتالي كذا وكذا!"

هذه يفعلها الكثير، وتجد المتكلمين من الخطباء والمدرسين يستخدمون مثل هذه الطريقة في الحديث. هل هذه هي طريقة الفقهاء التي يُقطع بها المخالف؟ يعني لو أن رجلًا مثله في العلم في مستواه، يقول له: أي سياق؟ الله عزَّ وجلَّ يقول: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ}**، والنبي ﷺ يقول: **(من بدّل دينه فاقتلوه)**.

هذا لأن ذاك الرجل الأول تكلم كلامًا ليس مضبوطًا أصوليًا، فالآخر من حقّه أن يرد عليه على طريقته؛ فتبقى المساحة هي مساحة الجهل، مساحة عُشر علم مع تسعة أعشار جهل، والثاني مثله؛ فيبقى هذا الصراع بينهم.

لكن لو أن الفقيه المتكلم الأول ضبط عبارته أصوليًا على طريقة العلماء، الفائدة الأولى أنه يقطع شغب المخالف. وثانيًا أنه هو لو كان فقيهًا فإنه وهو يتكلم يستطيع أن يكتشف أين خطؤه، وهذا هو الأهم.

تحدثنا عن قضية المقاصد والمصالح والمفاسد، لو أن رجلًا تكلّم بكلام العلماء، وهو يتكلم لو أراد أن ينحرف يعرف أن هذا خطأ؛ لأن له أصولًا في ذهنه يعود إليها. وهذا أنا أكبرتُ الشيخ أبا الحسن البليدي وهو يشير إلى أن المفتي تكون له قواعد في ذهنه يتكلم بها والسامع لا يسمعها ولا يعرفها، والمفتي لا يأتي عليها وهو يتكلم، لكنها حاضرة في ذهنه.

يعني لما أنت تفتي أحدًا هل تقول له: والأمر يفيد الوجوب؟ أو: أن العموم هذا دخله الخصوص والعموم الذي دخله خصوص يفيد الظن فالظن هذا .. إلى آخره، هل تتكلم معه بهذا؟ تعطيه الحديث الملائم للمسألة وتجيبه عليها، مع أن القواعد التي استندت عليها في فتواك حاضرة في ذهنك.

فهذا الذي أحبه حتى يقلّ الخلاف؛ بأننا نتعامل بكلام الأئمة في قواعدهم وفي أصولهم وفي أحكامهم.

أولًا: ينبغي أن يكون الحديث في مسائل الاجتهاد حديثًا على طريقة الأصوليين؛ لأنه به يقلّ الخلاف، فحينئذ نعرف ونكتشف. لما يأتي العالم يقول: "هذه علة"، واحد يشدو العلم يفهم معنى العلة، وفورًا يستحضر ما هي ضوابط العلة. وهو يتكلم لما يفهم معنى العلة ويفهم ضوابط العلة أنها منضبطة وأنها مضطردة. لكن لو أنه قال: "يا إخوان هذه أمور الشارع يحبها، والله أمرنا بها في نصوص كثيرة"، وهكذا يتكلم بمثل هذا الكلام العام. يرد عليه الآخر بالنص، ويبدأ النقاش في منطقة طويلة من الخلاف.

لكن لو تكلم أصوليًا فهو يُلزم المخالف، ولو تكلم أصوليًا يستطيع هو أن يكتشف خطأه وهو يتحدث. وهذا يعرفه المرء من نفسه. كل واحد يتحدث كلامًا أصوليًا وكلامًا منضبطًا هو يعرف قبل أن يتكلم به أن هذا كلام خطأ فيتراجع، وإذا راجع نفسه إذا كان قد بحث في هذه المسألة قبل أن يتحدث فيها يكون قد راجعها على هذه القواعد العلمية. لماذا أقول هذا؟

عندما يأتي الفقيه ويتحدث عن قضية التدرّج في الشريعة، كنت وأحب أن يضع الشيخ هذه القواعد، وهذه من الأمور الحاضرة، أنا وجدته استخدم العبارات الشرعية الأصولية.

عندما نقول بأن الحكم الشرعي هو خطاب الله تعالى للمكلفين. واحد الآن يقول: أنت فعلت كذا ولكن أريد أن أنبّهك إلى أمر: يقول الفقهاء والأصوليون: إن الحكم الشرعي هو خطاب الله تعالى للمكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع. أين يدور حديثنا في موضوع الشريعة والتدرج فيها؟ في الوضع، هو الحكم القدري. ما هو الوضع؟ هو الحكم القدري. يقول له: انتبه، الشارع وضع لكل حكم شرعي شروطًا، منها الشروط المعروفة أصوليًا مثل القدرة، وكذلك يعتبر الموانع، فالرجل يفهم. هذا الخطاب مقبول لدى الآخر ومسموع، وهو يستطيع أن يضبطه أصوليًا إذا كان مصيبًا ولما يكتشف الخطأ يعود إليه.

الذي يدعو إلى التدرّج لو أنه ضبط هذه المسألة على طريقة الأصول بما نحن نتكلم فيه لانقطع الخلاف. لو أن الذين تكلموا في المصلحة على طريقة الأصوليين الذين تكلموا فيها، ليس على أنها أمر زائد ولا على أنها أمر خارج النص، بل النص هو الذي يقولها فهي خلاف بين نصوص، نُقرِّب ما هو الأدعى منها، للترجيح بين النصوص، النصوص تتدافع.

أضرب لكم مثالًا، بعضهم يقول إن صلح الحديبية يخالف النص، وهو مصلحة شرعية مقابل النص. يقول: أكبر دليل أن النبي ﷺ قال: (**المسلم أخو المسلم لا يسلمه**) لا يجوز للمسلم أن يُسلم أخاه، والنبي ﷺ أسلم أبا جندل وأبا بصير إلى قريش، فلماذا؟!

هو وضعها بهذه الصورة من أجل أن يفتح أبوابًا كثيرة من الشر، وعند الضبط لو رجعنا إلى النص ورجعنا إلى طريقة الفقهاء، وهكذا كما نقول للذين يكفّرون بغير المكفّر ارجعوا إلى فقهاء، كما يكفّرون الجاسوس بالجملة، ويكفّرون من قاتل تحت راية الكفر بالجملة حتى لو كانت لمصالح إسلامية، والذين يكفّرون بأمور يجعلونها على هذا المعنى أنها مكفرة والفقهاء يضبطونها أنها ليست كذلك. كمن يقول مثلًا بأن العمل هو دليل استحلال، ويحتجُّون بحديث أبي معبد المقداد بن الأسود رضي الله عنه أنه أرسل خاله من أجل أن يقتل رجلًا تزوج بامرأة أبيه. أنت ترجع إلى الفقه لا تجد هذا الكلام، كل هؤلاء الأئمة لم يعبروا على أن هذا الفعل استحلال، كل الأئمة لم يعبروا عن الفعل بهذا، حتى يأتي المعاصر فيقول: هذا عمل دليل الاستحلال فلذلك هو كافر. أنت تتعجب من أين أتوا بهذا؟!

وبالتالي الفقه يضبط الأصول.

مرة الإخوة التجأوا إلى السودان زمن القذافي –عليه من الله اللعائن في قبره–، فجاء السودانيون باعتبارهم دولة إسلامية فسلّموا الليبيين للقذافي، قالوا لهم: تسليمنا كفر وهذا لا يجوز، قالوا لهم: لا، النبي سلّم أبا جندل وأبا بصير لقريش!

وهذا كله من الكذب، وليس كذلك. انظر إلى التلعّبات، هذه العبارات بالعموم هكذا تُطلق، أن

النبي سلّم! وكما يقول أحدهم مثلًا من الفقهاء المعاصرين، هؤلاء الفقهاء الجدد المتسيبين يقول: النبي ﷺ أجاز لمحمد بن مسلمة أن يكفر من أجل المصلحة! أنت تضع يدك على رأسك تقول عجبًا من أين يأتون بهذا الكلام؟!

الرجل قال: "ائذن لي أن أقول فيك قولًا". قال له: أذنت له. ماذا قال؟ ما مقدار ما قاله؟ كما يبيّن هذا ابن القيم -هذا كلام العلماء، ومن هنا ضرورة العودة إلى كلام العلماء لضبط مفاهيم الأحكام-، قال: "إن هذا الرجل قد جاء وعنّانا، قال: وما زال يُعنِّيكم"، إلى آخره. هل النبي عنّاهم أو لم يُعنِّهم؟ هل حمّلهم تكاليف جديدة؟ أين الكفر؟! هو أخذ العبارات هكذا، هذه طريقة الفقهاء المعاصرين!. من أين أتيت بهذا الكلام؟ الكفر للمصلحة؟! يقولون: لأن النبي ﷺ أجاز لمحمد بن مسلمة أن يكفر لما ذهب يقتله، انظر مصلحة قتل كعب بن الأشرف مصلحة يسيرة لكن أجاز له أن يكفر!

هذا ضلال ما بعده ضلال!! هذا جهل ما بعده جهل!!

كما أن الذين ذهبوا إلى قضية موالاة الكفار، تذكرون في سنة ١٩٨٢ لما تحالف الإخوان المسلمون مع البعثيين والشيوعيين، وأحضروا قضية حلف الفضول!، وكلمات كبرى وأحكام تُطلق لتجييشات كبيرة دون العودة إلى النص.

أنا أدعو في قضية أن النبي أسلمهم أن يرجعوا إلى كلام الشافعي، هذا الإمام العظيم الذي يضبط النص ضبطًا عظيمًا فيُبيّن أن هذا ليس فيه شيء. مثلًا يقول: لو أن الإمام عقد صلحًا مع الكفار على أن يسلم إليه مسلمًا بطل هذا العقد. لماذا؟ طيب النبي ﷺ عاقد على أن يرده؟ كلمة "يرده إليهم" وقف عندها الشافعي واستخرج منها أحكامًا عظيمة نأتي لبعضها، فقال: هل النبي ﷺ أسلم أبا جندل وأسلم أبا بصير؟ قال: أسلمهما إلى أهلهما وهو يعلم أن أهلهم يموتون في الدفاع عنهم ولا يقتلونهم. وأما هؤلاء الذين يُسلمونهم اليوم يقتلونهم. يعني أبو بصير لما أبوه أخذه هل قتله؟ أما القذافي لما يأخذهم يضعهم في الأسيد، أين هذا من هذا؟!

هذه قراءة النص. قال: يرده إليهم. أما يُسلمه يعني يُمسكه ويُعطيهم إياه، يقبض عليه فيقول أنا قبضت عليه تعال فخذه، كما يفعل هؤلاء الطواغيت لأمريكا، يقبضون ويسلمونهم. قال: يرده إليهم يقول له: أنا لا أحميك، هذه أرض الله واسعة، اخرج إليها. وهذا يكون بعد العقد، لا أن يأتوا إلى ناس هاجروا مسلمين، لأن هذا حديث يدور اليوم: ماذا ستصنع في المهاجرين بعد أن تنتصر ونردهم إلى بلادهم. بعد أن ينتصروا! من الآن يفكرون. وتحت دعوى أنهم يسلموهم إلى بلادهم!

هذه الطريقة هي طريقة الباطل.

الآن نعود إلى قضية التقريب بين المتحاورين إذا كانوا من أهل العلم، وإذا كان المختلفون لا يريدون الهوى؛ فإذًا لا بد أن نتخاطب خطابًا أصوليًا.

أنا أضرب هذا المثال دائمًا وهو دعوى، -وقضية الخراج كذلك وارجعوا إلى كلام الشافعي في ذلك- . عندما يأتي يقول: وقد عطّل عمر رضي الله عنه حدّ السرقة في عام الرمادة؛ إذًا الشريعة تُعطَّل، يجوز للحاكم لظرف ما أن يعطّل الشريعة!! وبعد ذلك تصبح الشريعة عُرضة لهواه، دون ضبط أصولي فقهي.

هنا نأتي إلى قضية المانع، هو امتنع أن يقيم الحد عليهم، إذًا لا بد أن نبحث المانع من جهة أصولية؛ لأن من الحكم الشرعي الحكم بالوضع، ومن الوضع الشروط والموانع؛ فنريد أن نعرف هل أعمل عمر الموانع أو لم يعمل الموانع؟ وهل الموانع هذه مطلقة كما يريدها أهل الأهواء؟ هل هو عطّلها بالكلية أولًا أو أنه حديث عن مسألة حادثة يجب أن تُقرأ وتُفهم؟ أم أنه أعلن إعلانًا: كل من سرق يا قوم في هذا العام فلا تُقطع يده؟!

هو لم يعطِّل الشريعة، لكنه وجد موانع من إقامة الحد من إيجاد الشرع لهذه الموانع. وبالتالي نظر إليهم فوجد أن سيدهم قد أجاعهم، يعني بمعنى أنهم بين حدَّين: الهلكة أو السرقة.

وأنا قلت لكم أكثر من مرة بأن العلماء يُجيزون سرقة من منع الزكاة، هل يُجيز الشارع للرجل الذي يخاف الموت والهلكة لبعض بدنه أو بعض أهله أن يسرق؟ هل يقيم عالم الحد على هؤلاء إذا وصلوا إلى

هذا الحد؟ وإذا كان العلماء أجازوا السرقة من الرجل الذي يمنع الزكاة، وهذا نصّ عليه ابن حزم: "لو أن أهل بلدة منعوا الزكاة جاز للفقراء أن يسرقوا أموال الأغنياء بمقدار الزكاة"، لماذا؟ لأنهم لا يسرقون أموال الأغنياء وإنما يسرقون أموالهم هم.

بم تثبت الملكية؟ تثبت الملكية بما أثبتها به الشارع. بم ثبتت ملكية الإرث؟ بالشارع. بم ثبتت ملكية الفيء والغنائم؟ الشارع، الناس يجاهدون في سبيل الله، ثم يصبح هذا المال مالهم، ويكون هو وأبوه وجده وجد جده قد بنوا هذه الأرض وبنوا هذه العمائر وبنوا هذه البيارات وبنوا هذه البساتين، وهي بعرف الناس وأعرافهم أنها لهم، لكن بوضع الشارع صارت ملكًا جديدًا لآخر الذي هو المسلم الذي فائت إليه أو الذي غنمها منهم.

وبالتالي -أيها الإخوة الأحبة- كنت أحب لكلمة التدرّج أن توضع في هذا الإطار، أن هناك ثمة موانع. أول مانع هو يشير إليه القدرة، ما عند المسلمين قدرة، لا يستطيع أن يقيم كل أمر؛ وبالتالي المقدور عليه هو الذي يستطيع أن يقوم به. وحتى هذا المقدور له ضوابطه الشرعية. اعتبار المآلات؛ لأن كلمة "المآلات" تتعلق بالقدرة؛ لأن القدرة ليست فقط النظر إلى الحالة أنك تقدر عليه، لكن النظر كذلك إلى القدرة على الردع. هذا مما يتفق عليه الفقهاء ويتفق عليه العقلاء جميعًا أن الردع من القدرة.

تستطيع الآن أنت أن تضرب رجلًا بالعصا، وهذا يقدر عليه كل أحد. لو أن رجلًا ضعيفًا فقيرًا لا ملك له جاء ورأى ملكًا يكفر بالله فضربه، يقدر أو لا يقدر؟ لكن هل القدرة عند الفقهاء على هذه الحالة فقط؟ أم القدرة على منع المضروب من إيذائه بعد ذلك فوق ما آذاه؟ إذًا المآل يدخل في القدرة، وهكذا.

يستطرد الشيخ في هذه الأبواب استطرادًا طويلًا جيدًا، وبقيت بعض المسائل.

ينبغي أن تُضبط العبارات على طريقة الأصوليين والشيخ أحسن أيَّما إحسان، ولكن ككل أعمال البشر يقع فيها بعض الهنّات التي تدل على إنسانية الإنسان؛ لأنه كما يقول الشافعي: "أبى الله أن يُتمّ

إلا كتابه".

نأتي إلى هذه النقطة: وجدت له كلمة ما كنت أحب أن تُكتب منه، قوله أن ابن أُبيّ يستحق القتل يوم استأذن عمر رضي الله عنه لقتله ولكن النبي لم يقتله. هكذا هي عبارته. ومثل هذه العبارة تحتاج إلى ضبط من قِبل الفقيه المعاصر.

هل حقًا ابن أُبيّ استحقّ القتل؟ هذه أرجو أن يُراجع فيها البحث الذي كتبته، وهو بحث (المنافقون وأهل التأويل)، وفي الحقيقة جمهور أهل العلم على أنه لم يثبت عليهم بما يُقام عليهم الحجة، وذلك بعد قوله تعالى: **{لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ}** قال ابن حزم: "فلما انتهوا رُفع عنهم الحكم". فقول ابن أبيّ: **{لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ}** هل هذه كلمة صريحة؟ هم يعرفون من يقصد، لكن هل هي كلمة صريحة يُقام بها الحكم؟

ولذلك الحقيقة هذه من الأمور التي تُضبط في هذا الكلام.

بقيت مسألة العمل بالمرجوح، قال كلمة: "يُعمل بالمرجوح لدرء المفسدة لا لجلب المصلحة". وهذه كلمة صحيحة؛ ذكرها الشيخ عبد الله عزام –وقد أخذ فتاوى من شيخ الإسلام ابن تيمية– أنه قد يكون الرجل ربما في بلدة على صيغة ما من العبادات، مثلًا، وهذه مسألة مشهورة، وأنت تصلي في مكان كلهم أحناف، والأحناف لو رأوك تصلي على طريقة ما ربما قتلوك لأنك يهودي!!. وذكر ابن العربي المالكي أنه كان في سفينة فقام حنفي يصلي ووضع يديه على صدره، يعني قبض بيده اليمنى على يده اليسرى، فقام إليه المالكية ليقتلوه لظنهم أنه يهودي، حتى قام ومنعهم!.

فهل المرء لدفع هذه المفاسد يجوز له أن يعمل بالمرجوح عنده؟ نحن نعرف الفرق بين المسائل الاجتهادية والمسائل الظنّية؛ فليست كل مسألة اجتهادية يُعذر فيها المخالف، وليست كل مسألة مُختلف فيها يُقال عنها اجتهادية، المسائل الاجتهادية هي التي يجوز فيها الخلاف، والأدلة فيها بين راجح ومرجوح. أما بين راجح وبين باطل فهذا لا يُعمل به! لا يجوز للمرء أن يعمل بالباطل ولا أن

يقول الباطل.

ولذلك يجوز العمل بالمرجوح من أجل درء المفاسد. لكن هل يجوز للرجل أن يعمل بالمرجوح من أجل أن يحقق مصلحةً شرعية؟ الذي أعتقده أن هذه تدخل فيما قاله، وهي قضية التدرّج في البلاغ من أجل مصالح شرعية، وهو لم يحتجّ بفعل يوسف.

يوسف عليه السلام متى بلّغهم التوحيد؟ بعد أن كان يحدثهم عمَّا يأكلون، ويحدثهم عن الإحسان، إلى آخره، وبعد ذلك لما سألوه عن الرؤيتين أجابهم، فتأخر البيان؛ فهذا التدرج يدخل في هذا الباب، أن المرء لا ينبغي أن يقفز من أجل أن يحقق المقصود؛ لأنه لو بدأ بهم لما حقق المقصود، وما علموا منه، وربما نفروا منه؛ لأن ما سيأتي به عظيم.

قد يقول قائل: هل النبي ﷺ استخدم التدرّج في الدعوة إلى الله؟ الجواب: حاله كان قد ثبت لديهم أنه صادق.

يعني يأتي شاب يتعلم مسألة من مسائل الفقه، والناس لا يعرفونه إلا البارحة، كان يلعب في الشوارع والطرقات، أو يعلمونه لصًا كبيرًا، ثم يأتي المسجد ويريد أن يقول لهم: إن دينكم كله باطل! هل هذا يُسمع منه؟! خاصة إذا أتى إلى المسائل المختلف فيها بين العلماء أنها بدعة أو أنها سنة مثلًا، هذا لا يُسمع منه.

فيقول قائل هل النبي ﷺ تدرّج؟ الجواب: نعم، لأنهم يعلمون أنه الصادق، عاش بينهم، ولم ينزل عليهم بالمظلّة يقول لهم: أنا كذا، فيسمعون منه أو لا يسمعون منه.

إذًا هل يجوز للرجل أن يعمل بالمرجوح ليقبلوا منه ما هو أعظم؟ يعني يوافقهم في بعض أقوالهم المذهبية من أجل أن يُمرّر ما هو أعظم من ذلك ليسمعوا منه؟ العبارة تقتضي أنه يقول لا، ولكن كلام بعض أهل العلم في داخل المستشهَد به يقول: نعم، وهو الصواب، والله تعالى أعلم.

هناك نقطة مهمة جدًا ينبغي أن أقف عندها، وهي أن الشيخ البليدي ذكر فتاوى علماء المالكية في

جواز العقوبة المالية عند عدم القدرة على حكم العقوبات الحديَّة. يعني الرجل الذي يزني لا نقدر على أن نقيم عليه الحكم؛ فهل نعاقبه بعقوبات تعزيرية من العقوبات المالية تنفيرًا له عن هذا الفعل؟ فهذه المسألة مركبة.

لا يجوز لأحد أن يأخذ كلام الفقهاء المالكية الذين أجازوا هذا، وقد ذكر نصوصًا يُرجع إليها، والكتاب سهل وطريقته معاصرة ليس فيه الأمور التي تُعرف في بعض الكتب الأصولية الشاقة أو القديمة التقليدية.

قد يحتج بأن هؤلاء الفقهاء استبدلوا، هذا كذب، وإنما لم يقدروا على الأصل.. فرق؛ الاستبدال عند قدرتك على الخيارين. واحد عنده قدرة على هذا الفعل وهذا الفعل، فهذا الفعل هو حكم الله والفعل الثاني هو حكم آخر بديل، كما يُسمى بالشرع المبدَّل؛ فإذا ترك الحكم المنزَّل مع قدرته عليه إلى الحكم المبدَّل اختيارًا منه فهذا الذي يُقال عنه: استبدل فكفر.

لكن الحديث هنا ليس على المقدور عليه، الرجل لم يقدر، والناس لا يقدرون على الحكم المنزَّل، هل يجوز أن يأتوا بحكم مُبدَّل آخر من أجل أن يحقق الرَّدع، لأن مقصود العقوبات هو الردع، فمن أجل ردعهم وبيان ما هم عليه من فساد؟ هذا الذي يتحدث عنه، وهي مسألة فقهية، واختار الشيخ جواز ذلك في استدلالاته.

هذا ما عندي، وأسأل الله عزَّ وجلَّ أن أكون قد بلّغت في بيان هذا الكتاب وفضل صاحبه، ونسأل الله أن يرحمه وأن يتقبل منه، وجزاه الله خيرًا.

وأنا أكرّر إن فضل هذا الكتاب يعود إلى قيمته الكلية بردّ دعوى أن هؤلاء القوم لا يفقهون ولا يعرفون، ويتجاوزون الواقع، فهذا جزء من كتيبة الرد على هؤلاء المبطلين في دعواهم وافترائهم على هذا الجهاد المبارك.

يكفي إلى هنا، وإن كان الكلام فيه كثيرًا.

الأسئلة بعد المناقشة

بعض الإخوة أكرمهم الله يريدون بعض الأسئلة الخاصة وهم يدرّسون هذا الكتاب، فأنا آتي إليها بسرعة إن شاء الله وربما أجبت على بعضها في الكلام.

السائل: الشيخ البليدي رحمه الله في الأول اعتبر العُرف دليلًا نقليًا، فهل هو دليل نقلي؟

الشيخ: هو يقول هذا، لكن هذا التقسيم غير مضبوط ضبطًا استقرائيًا تامًا؛ فقد يقول إن بعض الأدلة التي نُدخلها في الأدلة العقلية تكون نقلية والنقلية تكون عقلية، لكن هذا باعتبار الأغلب.

الآن العرف، هل الذي يُنشئه العقل أم ينشئه التاريخ؟ الذي يُنشئه هو التاريخ. بخلاف القياس مثلًا، القياس ما الذي ينشئه؟ قراءة المرء للعلة، استنباطه للعلة، ثم تعدية هذه العلة من الأصل إلى الفرع، ثم الآنتهاء بالحكم؛ فهو دليل عقلي.

صحيح أن القياس ثبت بالنص فهو دليل نقلي من جهة أصله، لكن حاله عند النظر فيه هو دليل عقلي؛ فالعرف ثبت بالنقل والمرء يعتمد عليه، ولا شك أن العرف ليس دليلًا يُنشئ الحكم، لكنه دليل يفضُّ الخصومة بين المتخاصمين في مسائل.

السائل: ما الحكم الجزئي والحكم الكلي؟

الشيخ: هذه قضايا هو شرحها شرحًا ليس طويلًا، لكنها تحتاج إلى دروس وليس فقط إلى ردود. ولكن المقصود لما نقول: القرآن، هو دليل كلي. إذا ذكرنا الأدلة الإجمالية بمعنى الأدلة الكلية، عندما نقول: قرآن، السنة، القياس، الإجماع، هذه أدلة. ما هي أدلة الأحكام؟ نقول هذه الأحكام.

لكن عندما تأتي إلى المسألة الخاصة فتقول: في الكتاب آية على هذا، فتكون هذه الآية دليل جزئي على مسألة جزئية، ويكون القرآن دليل كلي على الحكم الشرعي. فهذا هو المقصود بالأدلة النقلية

الكلية والأدلة النقلية الخاصة.

وأما الحكم الكلي والحكم الجزئي؛ فالحكم الكلي هو الواجب بالأحكام الخمسة. لكن الحكم الجزئي هو أن تعلم أن الصلاة واجبة، وأن الصلاة فريضة، وأن الزكاة واجبة وفريضة إلى غير ذلك. مسألة يسيرة ليست بالشيء الكبير بإذن الله عزَّ وجلَّ.

السائل: شيخنا في صلح الحديبية بعض المعاصرين يقولون إنه خاص بالنبي ﷺ.

الشيخ: هذا وجه، والدليل أن إجماع العقلاء الذين حضروه حتى مِن الرسول ﷺ أنهم لم يفهموا مآله. والنبي ﷺ لما جاءه عمر فناظره فيه قال: (**إني رسول الله، ولن أعصيه، ولن يضيِّعني**). انظر إلى قوله: (لن أعصيه)، فالنبي ﷺ لا يُدرك مآله أين سيؤدي، أنا عبد الله هكذا أمرني ربي؛ فهو أمر إلهي منزّل.

فلو قال قائل: إن هذا أمر إلهي منزَّل يخالف ما استقرّت عليه العقول، فمن حضر له مثل ما حضر لهذا الحادث فيجوز له ولن يكون لغيره، لأنه ليس هناك أمر منزل. هذا وجه.

الوجه الثاني: أنا أريد أن أقول حلّلوا لنا هذا الصلح، وهذا مبحث واسع، لكن سأقتطف منه مقتطفات يسيرة:

الناس ينظرون أن الصحابة قد غضبوا، أنا أسألك: غضب الصحابة فيما حدّث به عمر رسول الله ﷺ وحدّث به أبا بكر رضي الله عنه، هل يدور على مصلحة للشرع؟ هل حديث عمر –وعمر محدِّث معبِّر عما يقوله الناس الذين هم وراءه–، لما حدّث رسول الله ﷺ وسأله وحدّث به أبا بكر فكان الجواب: "الزم غرزه، إنا على الحق، لن أعصي الله ولن يضيعني" إلى آخره. ما هو الأمر الذي جاهدوا أنفسهم فيه ففوَّتوه؟ هل هو أمر عندهم يحقّق مصلحة الدين أم شيء كامن في نفوسهم رأوه إذلالًا لهم؟

فقط بقيت مسألة واحدة: هي مسألة "كيف نسلمهم؟"، أما بقية الحديث: أنت حدثتنا أننا سندخل البيت، أنت وعدتنا أن نصلي في البيت الحرام، قال له: (**قلت لك هذا العام؟**)، هو نسي،

هو مثل ما قال نوح –عليه السلام–: {إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ}، ومثل ما قيل لإبراهيم عليه السلام: {لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} ثم بعد ذلك هو ظلّ في ذهنه أنه لا يأتِ أحد من الظالمين، ولذلك لما قال ربنا: {وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} صار إبراهيم عليه السلام يضبط الكلام، قال له ربنا: {وَمَنْ كَفَرَ}.

من بركة العلم أن تنسبه إلى أهله، هذه تعلمتها من شاه ولي الله الكشميري في شرحه على البخاري، وشرحه على البخاري تعرفون تلاميذه هم الذين جمعوه، يعني ليس من جمعه، فقال: لماذا جلس رسول الله ﷺ باكيًا مستغيثًا مستنجدًا بربه في بدر مع أنه موعود بالنصر؟ من أعلم بربه ومن أقرب إلى تنفيذ الوعد أبو بكر أم رسول الله؟ رسول الله ﷺ، ومع ذلك أبو بكر يقول له: "إن الله منجزك ما وعدك"، يرفق به. هل رسول الله بحاجة إلى تذكير أبي بكر أن الله منجزه؟ فقال الكشميري –وله في كتابه هذا شرح البخاري فوائد أظن أنك لا تجدها إلا فيه–، يقول: "أنا أظن أن موقف النبي ﷺ من دعائه واستغاثته أنه كان يخاف أن ثمة شرطًا للنصر وعد الله عزَّ وجلَّ به رسوله فخاف أن يفوت الشرط فيفوت النصر".

كما في حالة نوح، أنت وعدتني بابني، إن ابني من أهلي، {إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ} أنا تكلمت عن أهلك، هذا ليس من أهلك، وهكذا. فقال: "خاف أن يكون النصر الذي وعد الله به رسوله مشروطًا بشرط، فخاف أن يتخلف الشرط فيتخلف النصر، فقام يستغيث"، مع أنه موعود. هذه قلوب الأنبياء!.

القصد: ما الذي أغضب الصحابة؟ نحن الآن للأسف نقرها أن ثمة مصالح للصحابة قد فاتت، أي مصالح فاتت؟! أنهم وُعدوا أن يدخلوها، قال لهم: لم أعدكم هذا العام. ما الذي ملأ قلوبهم قهرًا من حِلّهم من عمرتهم؟ أنهم ظهروا بمظهر الضعيف، فقط هو مظهر المنتصر وهو ليس مظهر المنتصر في معركة، صحيح هي ضعف منك، ولكن أين الفوائد التي جُنيت لو لم ترجع؟ إذًا هي ليست صراعًا بين مصالح في صلح الحديبية، هي صراع مع نفوس استعلت بالإيمان رأت في هذا أنها ليست على المبلغ

الذي وصلت إليه، فلا يريدون أن يرجعوا إليه. فقط أمام مصالح عظمى للدين.

بقيت مسألة واحدة فقط: وهي التسليم، وهذه تكلمنا عنها، ارجعوا إلى كلام الشافعي. بعضهم كما يقول: هذه لا تجوز، وهذه على قاعدة الشافعي في أن السبب مُخصِّص، وليس عموم اللفظ وخصوص السبب، أي الحال الذي وقع فيه، وهذه طريقة الشافعي، وهي طريقة عظيمة وفائدة عظيمة فيها على طريقته، أن السبب مخصِّص، كما يخصِّص في قضية من يؤم الناس؟ قال: **(يؤمهم أقرأهم)**. لماذا قال: "أقرأهم" ولم يقل "أعلمهم"؟ فقال: السبب الذي أن الناس كانوا في العلم سواء؛ لأنهم تعلموا الدين مرة واحدة كلهم تعلموا، فهم يتفاوتون في القراءة، وأما العلم فهم سواء؛ لأنهم أسلموا كلهم في عمر واحد. المقصود بالعلم الذي يظهر وليس العلم الذي هو باطن القلوب والذي يتميز به الناس. هذه طريقة الشافعي.

القصد بأنه لو قال قائل –وهذه طريقة بعضهم–: إن صلح الحديبية حادثة عين لا نفقه عِلَّتها فلا يُقاس عليها. لصحَّ من جهة، ولكن بإعمال هذه القواعد نرى أنها ليست كذلك –إن شاء الله تعالى–.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا.

والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

حياة الصحابة

للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب السابع والثلاثون

تاريخ المناقشة: ١٦ تموز ٢٠١٦.

الحمد لله حمدًا كثيرًا، طيبًا مباركًا فيه، والصلاة والسّلام على سيد الخلق، وإمام المتقين، حبيبنا، وإمامنا، وسيدنا محمد، وعلى آله الطيّبين، الطّاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ، وهدىً، وتقىً إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين آمين.

أهلًا بالإخوة الأحبة مع الموسم الثاني، أو الثالث بحسب ما تحبون، من جلساتنا التي نسأل الله عز وجل أن يبارك فيها، في نقاش ومداولة الدراسات حول بعض الكتب المهمة، تحت مشروع ألف كتاب قبل الممات، واليوم اخترنا كتاب حياة الصحابة، للشيخ الإمام الحنفي محمد يوسف الكاندهلوي.

للحديث عن هذا الموضوع أيها الإخوة الأحبة، يمكن أن نعيد تكرار بعض القضايا سريعًا، التي تتعلق بموضوع القراءة جملة، ثم نعرّج على المباحث المتعلقة بهذا الكتاب.

أولًا القراءة في هذا الكتاب هو جزء من قراءة التعبّد، التي نحتاج إليها، تقريبا على شبه إجماع من أهل النظر، من العلماء، والمحققين القدماء على أن التقوى، ودوام المتابعة، وعدم التهاون، والتسويف، والقيام بالعبادة على وجهها الصحيح، يحتاج إلى أمرين، الأمر الأول: هو دوام النظر في كتاب الله، والأمر الثاني هو دوام النظر في كتب الاعتبار والتاريخ وأعظم هذه الكتب اعتبارًا واهتمامًا بالنسبة للقارئ العابد، هو النظر في حياة الصحابة رضي الله عنهم، بعد النظر في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فالصحابة رضي الله تعالى عنهم هم النموذج بالنسبة إلينا، الرباني، الذي صنعه الله عز وجل على عينه، واختاره الله عز وجل لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم، ليتحقق بهم نموذج الدين (فبهداهم اقتده) وليكون هذا الجيل كما سمّاه الأستاذ سيد رحمه الله، الجيل القرآني الفريد، ليكون هذا الجيل دائما هو الراية، والصورة، والمرآة التي ندخل فيها، نحاول أن نصل إليها، لابد أن نتمثل دائما صورة الصحابي، في علمه، في جهاده، في عبادته، في تقواه، في أي حدث، ومنعطف يعيشه المسلم، النموذج العظيم الذي يتمثل به المسلم، هي النماذج القرآنية، وخاصة الأنبياء، ومن تحدَّث الله عنهم، كأصحاب الأخدود، أو كصاحب يس، والأنبياء جميعًا فهؤلاء دائما، أنت إذا حدث معك أي حدث، فورًا تذهب إلى نموذج نبي من الأنبياء، في القرآن فتتمثل به، ولكن نحن نرى شيئا مهما، أن القرآن يتحدث

في أعظم ما يتحدث عنه، وإن كان يتحدث في جوانب أخرى، لكن أعظم ما يتحدث عنه، وهو مسيرة الأنبياء مع أقوامهم، ومسيرة الأنبياء مع أقوامهم حين يسلمون، وخاصة موسى عليه السلام حين أسلم قومه، ثمّ ماذا حدث معه، وقد تحدث القرآن عن هذا كثيرًا، لمشابهة حال النبي صلى الله عليه وسلم بحال موسى، فتحدث القرآن كثيرًا عن معاناة موسى مع قومه، ولذلك في الحقيقة، في سورة البقرة، نحن نجد أنّ حديث القرآن عن موسى نجده حديثًا عن قومه فقط، ماذا تعامل موسى مع قومه، ولم نجد حديثًا عن تعامل موسى مع فرعون في البقرة، لم نجد، لا يوجد حديث، إلا من قبيل ذكره ما حدث مع بني إسرائيل مع فرعون من قبيل المِنّة كالنجاة، كإنجاء الله عز وجل بني إسرائيل، لكن نجد الحديث كثيرًا يدور في سورة البقرة عن قضية معيشة موسى عليه السلام مع قومه، وهذا ما يحتاجه النبي صلى الله عليه وسلم مع أمته، وإن كانت أمة النبي صلى الله عليه وسلم أسمى وأعظم وأجلى بحسب واقعها، وليس بحسب الاختيار الإلهي فقط من أمة موسى، فمثلًا فأمة موسى طلبت مطالب لم يطلبها الصحابة

القصد بأنّ النماذج القرآنية تتحدث عن مسيرة الأنبياء مع أقوامهم الكفرة، مع صبرهم، مع ابتلائهم، ونجد كذلك حديثًا مع أهلهم، كحديث يوسف عليه السلام مع أهله، كحديث زكريا، ومعاناته في محبة الولد، ولذلك سورة الأنبياء كما سميتها في تفسير سورة الأنبياء، هي حديث الأشواق الإنسانية في داخل النفس النبوية، الحديث الشوق النبوي، ماذا يريد الأنبياء، الأنبياء بشر، ولذلك افتتحت سورة الأنبياء في مطلعها بالحديث: (**وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ**) الأنبياء بشر، فتحدثت عن حديثهم الشخصي، عن مريم التي أحصنت فرجها، عن زكريا الذي يطلب الولد، عن بلاء أيّوب عليه السلام وما وقع له، وبلاء ذي النون يونس عليه السلام، ففي حديث القرآن عن الأنبياء وعن نماذج الإنسانية في أشواقها الإنسانية، موجود، ولكن التفاصيل الإنسانية نجدها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، يعني أي إنسانية سامية وأنت تسمع قوله صلى الله عليه وسلم: (**حبب إلي من دنياكم الطيب والنساء**) هو حديث إنساني بريء كحديث المرء مع نفسه، كما يتحدث طّيبو النفس والبرآء من الناس مع أنفسهم ماذا يحبون ماذا يشتهون، ولو أراد المجرم الخبيث أن يحمل كلامه على الشر لحمله، يعني يمكن أن يأتي خبيث ويقول: انظر هذا نبيّ شهواني، وكأنّ هذا الخبيث، ليس

شهوانيا، وليس زانيا، وليس مجرمًا، ولكنّ هذا الحديث الإنساني حديث عظيم، حديث يتحدث عن أشواق إنسانية، يعني (حبب لي من دنياكم الطيب والنساء) هو يتحدث عن مشاعر إنسانية ببراعة، وكأنّه أمام أناس لا ينظرون إلا بحب، هذا هو واقعه مع أصحابه، ولكن في الحقيقة من يدرك الحياة البشرية، لا يستطيع أن يتصور الوصول إلى القمم العالية إلا من خلال المراتب التي يصل إليها، التي يترقّاها، من خلال الدرجات، وكذلك كانت حياة الصحابة، والله مدحهم في مواطن، ورفع درجتهم، وسمّاهم المهاجرين والآنصار والسابقون، وتحدث عن الصحابة حديثًا عظيمًا، وأنزل الله عز وجل عليهم السكينة في مواطن، في حنين كما في سورة التوبة، وهكذا حديث عظيم عنهم (**وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ**) جابر يقول في آية (إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ): لا أحب أنّها لم تنزل، قال: هذه نزلت فينا معشر الآنصار بني النجار، ذكر أنّها نزلت فيهم، وقال: (إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلاَ)، كاد أن يهربوا. بعد ذلك، قال: (وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا) قال: خلاص، (وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا) مش مشكلة تفشل، (**ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**).

حديث قوله: (**عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ**)، أشبه بحديث العتاب منه بحديث الزجر، ولذلك يقدم في قوله (عفا الله عنك)، فالصحابة رضي الله تعالى عنهم هم معيار الحق البشري بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وهاهنا مسألة مهمة، قبل أن نتحدث عن قضية قراءة التعبّد، مسألة مهمة: مما يفك الإشكال ويفك الاشتباك في قضية النماذج.. يأتي ابن حزم -فلنأخذ النموذج الأشد ابتعادًا في جانب والأشد ابتعادًا في الجانب الآخر- يأتي ابن حزم يقول لك: ما في غير كتاب وسنة، لا صحابة، ولا شرع ما قبلنا... خلاص كتاب وسنة، ونجد أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر)، و"إذا جئت فمن أسأل؟" إلى آخره، تحدّث عن أتباع، فيأتي ابن حزم عليه رحمة الله وأمثاله ممن

يتبعونه، وجزاهم الله خيرًا، فيقولون: طيب، لما كان الصحابة، الصحابة من يتبعون؟ يعني أنتم تقولون أنّ عمل الصحابة، وأنا لا أقول أنّ عمل الصحابة حجة، لكن هذا لا يلغي أنّ الصحابة نموذج، لهم جانب، وهذا جانب أصولي سأتحدث عنه، يتعلق بالحديث ويتعلق بالأصول في هذا الجانب، وأفتتح بهذا الجانب الأصولي ثمّ أعرّج على الجانب الحديثي في موطن قادم- فيأتي ابن حزم وأمثاله فيقول: طيب الصحابة خوطبوا بماذا؟ هل خوطب باقتداء بعضهم لبعض، وخاصة أنّنا نجد أنّ الصحابة يعيب بعضهم على بعض، ويرد بعضهم على بعض، ويجادل بعضهم بعضًا، فلو كان أحدهم حجة على الآخر لما حصل هذا، وبالتالي أنتم تريدون أن تحدثوا دينًا لم يكن عند الصحابة. هذه الطريقة التي تستخدم في الحوار من أجل إبطال صورة النموذج، والحقيقة أنّ هذه الطريقة ليست جيدة، ربما تصلح في قضية الحجة، وانتبهوا هناك فرق بين الحجة والدليل، الحجة قاطعة للآخر والدليل تقيم المعنى، الحجة تقطع، خلاص تقول قال الله تقطع، الدليل يقيم المعنى المراد ولكن لا يقطع المخالف، فقد يصلح هذا الكلام لمعنى الحجة، بمعنى أنّ فعل الصحابي ليس حجة، لا يقطع، ولكن هل نلغي فعل الصاحبي بالكلية أو أنّ فعل الصحابي له دور في تثبيت المعنى، دور في تثبيت الصورة، خاصة حين ننظر إلى الصورة الكلّية، إلى الصحابي الكلّي، وليس صحابي دون صحابي؟

طيب لو نرجع إلى طريقة الصحابة في التعامل، يعني عندما يأتينا البعض ويقول السنة هي مثل الكتاب، ويقول أنّ دليل السنة مثل دليل الكتاب، فنبحث في كلام الصحابة فنذهب مثلا إلى الفقيه والمتفقّه للخطيب، ونريد أن نعرف كيف تعامل الصحابة مع الكتاب والسنة؟ فيقول: لا، لا ،نجد أن عمر يقول: اذهبوا إلى الكتاب ثم اذهبوا إلى السنة، فالسنة ليست مرتبة مثل الكتاب، وإن كانت لا تخالفه، وإن كانت تفسّره، ولكن هذا له دور في المعنى النفسي، ودور في المعنى العقلي.

أما الدور في المعنى العقلي، فإنّك تطلب من الرجل أن يبحث فيما يحتاج إلى جهد ومشقة، وبه يحصل الارتقاء.

انتبه، لما تقول له لابد لكل حادثة تقع معك أنّ لها معنى في الكتاب، ويقرأ في الكتاب ولا يتذكر ولا

يعرف إلا كما يقول بعض الفقهاء آيات الأحكام، فيذهب إلى آيات الأحكام في القرآن فلا يجد، فماذا تقول له؟ انبش، استنبط، انبط، احفر، فيبدأ العقل في الحفر، هنا أقام عقله من أجل التعبد، وهذا أعظم التعبد في ديننا.

إذا سئلت ما أعظم التعبد في ديننا، فاعلم أنّ أعظم التعبد في ديننا، هو التفكر في كتاب الله من أجل الإجابة على نوازل البشر، بهذا يتميز العباد، والعلماء، والصحابة، وبهذا يتميز الناس

ما هو أعظم التعبّد؟ أعظم التعبد في ديننا هو البحث والنظر في كتاب الله للإجابة على نوازل ما يقع للبشر، والإجابة على المسائل العلمية والعملية، لا يوجد في دين الله أعظم من هذا التعبد.

وذاك لما واحد يظن أنّ آيات الأحكام هي التي فقط تجيب عن أسئلة الوجود، فيخطأ، فإذا نزلت نازلة، أين هي في كتاب الله؟ يقول لك الصحابي، يقول لك العالم، يقول لك البصير: اذهب إلى كتاب الله وابحث، فهو يبحث فلا يجد، تقول له لا، أنت بحثت عن السطح، تحتاج أن تنزل إلى تحت السطح، فينزل تحت السطح ٥سم فلا يجد، تقول له: لا يكفي، لابد أن تنزل أكثر. وهنا تبدأ حالة التعبد العظمى، الاستغفار، والتوبة، وتنقية القلب، والتطّهر، والاستغاثة بالله، والنظر، وعبادة التفكر، والذكر.. حتى يصل إلى المراد، حين يصل يكون قد وصل إلى القرب مع الله في أعظم ما تقرب به العباد.

فإذًا أنت لما تقول اذهب إلى الكتاب، فقد أرسلته إلى أعظم ما يرسل إليه من الإجابة، فبعد ذلك هو يقول: والله يا شيخ ما وجدت، يقول: طيب لا بأس اذهب إلى السنة، ما وجدت! هي موجودة، ما وجدت، لا بأس، هذا مقدارك لا زلت عشرين سم، ما معك اذهب إلى السنة، فيذهب إلى السنة، فيتعبد.. تعبده في النظر إلى السنة ليس كتعبده في الذهاب إلى الكتاب، بل إنّ من مراتب تعبده في السنة، كما يقول ابن القيم رحمه الله، أن يدرك السنة في الكتاب. ابن القيم في بدائع الفوائد يقول: إنّ أعظم ما يميّز الفقيه عن الفقيه هو اكتشاف الفقيه أين هذا الحديث في كتاب الله، فكلّما ارتقى المرء في معرفة موضع الحديث في كتاب الله يكون فقيهًا.

نحن الآن في المرتبة ألأولى ماذا قلنا؟ قلنا إنّ أعظم التعبد هو أن يدرك حكم النازلة من الكتاب، هنا من أعظم مراتب الفقه أن يدرك الحديث أين هو في الكتاب، انظر هذا هو التعبد العقلي.

التعبد النفسي، حين تقول للمرء: اذهب إلى السنة كما تذهب إلى الكتاب، انظر إلى هذا الحديث، وتقول لا، اذهب إلى الكتاب، فيبدأ هذا التعظيم والنظر العظيم لكتاب الله في نفس المرء، هذا الأثر النفسي، هو ما عاشه الصحابة.

ولكن أنتم تعرفون، يقولون هذا خطأ، لابد أن تذهب إلى الكتاب والسنة، وتميز الكتاب عن السنة، لكن لا تجد عند الصحابة هذا.

نرجع إلى مسألتنا: عندما قام عبد الرحمن بن عوف مثلًا، ماذا قال عمر لما مات أبو بكر؟ قال هو الرجل، هو الإمام، لئن اتّبعت غرزه وغرز صاحبه -وصاحبه محمد صلى الله عليه وسلم- هذا عمر يقول، ما يتكلم عن النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم عن أبو بكر. يقول: هو الرجل، عن مين؟ عن أبي بكر، لئن اتبعت غرزه إذًا لقد نجوت، ولئن اتبعت غرزه وغرز صاحبه، إذًا حط مين في الاعتبار؟ زاد أبا بكر.

ولما جاء عبد الرحمن بن عوف ليبايع علي، ويبايع عثمان ايش اشترط؟ السير على كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم وسنة الشيخين، عندما يمضي هؤلاء الأئمة يصبحون جزءً من الدين، وهذا كله أدب قرآني، كما استشهد الله عز وجل ب(**وَشَهِدَ شَاهِد مِنْ أَهْلِهَا**)، والله يقول (**كَفَى بِاَللَّهِ شَهِيدًا**) لكن عندما يرتقي المرء إلى الحق وإلى التعامل معه، يصبح وجود هذا الرجل علامة على الحق، في سورة هود لما قال الله عز وجل بعد قوله (**قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ**)، هذا استشهاد بمن؟ قال العلماء في تفسيرهم، استشهد بعبد الله بن سلام، الذي هو أصلًا حبر اليهود، استشهد به. اختلف أهل العلم في سورة هود لما قال الله عز وجل: (**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**)، هنا اختلف أهل العلم، وبعضهم قال: من الشاهد؟ والصواب أنّ الشاهد هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل تلاوة رسول الله هذا النبي الصادق الذي علموا حكمته

وعلموا صدقه وعلموا من هو، الله جعله دليلًا على الحق.

القصد من هذا، كلّما مضى قرن يصبح لمن قبله أتباع، هذه قضية بشرية.

العجيب: تجد الأمام أحمد فمثلًا يئن وقت موته فيأتي إليه أحدهم يقول: سمعت ذا النون، المصري العابد المشهور، يقول: أنّ الآنين شكوى، فكف الإمام أحمد عن الآنين. هل هذا دليل؟ اليوم لو أقوله لكم لقيل أين دليلك. يقول: أنّ الآنين شكوى، فكف الإمام أحمد عن الآنين، اقتدى به، ونحن نرى اليوم وهذه بشرية، تجد الشباب اليوم والطلبة والمقتدين من الدعاة والطلبة والفقهاء لا يستشهدون إلا بالمتأخرين، وأنت تعجب وتقول: لم تستشهد بمتأخر؟، هذه كلمة قالها فلان، قالها الشافعي، ولا يحفظ ما قال الشافعي، ذهب الشافعي، لا يعرف إلا ما يقوله المعاصرون، مع أنها خطأ لكن هذه هي الطريقة البشرية أنّ الأقرب إليه هو الذي يقتدي به، ولذلك الله عز وجل جعل في كل قرن وفي كل زمن جعل أئمة، يقيمهم للحق ويكونون هم معيار وطريقة ووسيلة.. والناس يرتقون، لكنّ عامة الناس لمن ينظرون؟ ينظرون إلى الذي يعيش أمامهم وقبالتهم، فإذا ذهب جاء آخر وهكذا، وحين يرتقي الناس يرتقون إلى أين؟ إلى ما تكلمنا به ابتداءً، إلى الكتاب. يعني الناس ينظرون من يشاهدون، فإذا ارتقى العلماء نظروا فقط –حتى السنة لا يعودون إليها، إلا عند عجزهم– إلى المراد في الكتاب.

بهذا نفهم أنّك يمكن لك ألا تفهم الكتاب إلا من خلال السنة، ولا تفهم السنة إلا من خلال الصحابة، والصحابة تتوزع أخلاقهم وعلومهم في الناس، فلذلك يقول الربيع: "قال الشافعي: الماء طهور، قال الله تعالى: (**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا**)، يعني الربيع لا يستطيع أن يذهب إليها، هل علم أنّ الماء طهور فقط من قول الشافعي؟!! هذا لبركة العلم، ولأنّ هذه وسيلته التي وصل إليها، هذا ما وصل إليه.

أنا أسألكم اليوم: هل هناك أحد يستطيع أن يزعم أنّ هناك أحدًا في الدنيا لا يذهب إلا إلى الكتاب وإلى السنة، أم أنّه أولًا يذهب إلى كتب الفقهاء فيرتقي بها، ثمّ بعد ذلك تصبح له هذه ملكة، أن العلماء سلكوا، هذا السبيل في هذا الاجتهاد، فأصبح عنده ملكة في طريقة العلماء، ثم إذا حدث به

النوازل فلم يجد كلام العلماء، أين يذهب؟ للسنة فإذا لم يجد أين يذهب؟ إلى الكتاب. هذه هي الطريقة، هذه الطريقة الواقعية التي يسلكها الناس. ومن هنا فإن معرفة طالب العلم لحياة الصحابة ضروري ومهم، بل إن بعض الفقهاء لم يحصل له الفقه إلا بمعرفتهم بفقه الصحابة؛ يعني من أين فقه سعيد بن المسيب، مع أنّه لم يدركهم؟ كان سعيد بن المسيب حافظًا لفتاوى ونوازل وقضايا عمر كحفظه للكتاب والسنة، مع أنه لم يدركه. لكن بم ارتقى؟ بم صار فقيها؟ بفقهه لفقه عمر وطريقة عمر.

عندما تذهب أنت لحياة الصحابة حتى تدخل في صورهم، وحتى تتمثلهم عندما تقع عليك الوقائع التي تتمثل، تحضر لك الصورة، والصورة الدقيقة تكون قريبة إلى النفس أكثر من الصورة العامة، يعني أنت ربما تتمثل موسى عليه السلام، وتتمثل نوح، ولكن الصورة القريبة الدقيقة المشابهة لواقعك تكون لما هي قريب منك، وربما حتى لا تذهب إلى الصحابة فتذهب إلى شيخ، تقول فعل السيد، أو تقول الشيخ الفلاني أو تقول العالم الفلاني، ولكن تبقى حياة الصحابة هي المدد الأعظم الذي يرتقي به العباد والعلماء للوصول إلى أعظم درجة يتحقق بها التعبّد، وهو النظر في الكتاب فقهًا لحل النوازل والإجابة على الوقائع والحوادث، فحياة الصحابة من هنا تكمن أهميتها.

أما النقطة الثانية، وهي كيفية التعامل مع حياة الصحابة إسنادًا:

حياة الصحابة رضي الله عنهم لا أحد يذهب إليها فقهًا مجردًا، حتى ننهي المسألة؛ يعني لا يوجد أحد من أهل العلم يذهب إلى حياة الصحابة ليجيب على معنى الحجة، يعني: لا يقول أريد أن أفهم ما هذه في دين الله فيذهب للصحابي، لا أحد يذهب لهذا، لا أحد من العلماء يفهم هذا، وإنّما يستدلون بها كما رتبنا، انتبه فإذا ما هي؟ هي وسيلة للوصول إلى التعلم، للتدرب، ولأنها الأقرب نفسيًا وحياتيًا للمبتدئ. الناس لا يصلون إلى العلماء إلى كونه عالم مرة واحدة، إلى أنه فقيه قادر، لا يوجد من هذا، لا وجود له إلا في أذهاب بعض الناس الذي يكذب عليك يقول اذهب إلى الكتاب والسنة تجيبك، هذه "لا تذهب إلى ما قال الشافعي، ولا ما قال فلان، ولا ما قال أبو ثور، اذهب إلى الكتاب والسنة" هذه قالها لأبي داوود لم يقلها لنا، فانتبهوا لهذا، يعني لنكن على حذر في هذا الباب، لكن مع عدم

إعماء وإلغاء ما تكلمنا عنه أنّ الفقه الأعظم والعبادة العظمى هي هذه التي نريد أن نصل إليها. طيب يعني هذه من فعلها؟ فعلها الذين ندموا، هذا ابن تيمية في آخر عمره يندم أنّه أضاع عمره في غير الكتاب، هذا الرجل الذي كان يصفه الذهبي يقول: كأن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ينظر فيهما، أنا لما قرأت هذه أنزع الناس لآية ، فكيف هو في حياته كأنه ينظر إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم بين عينيه، كأنها أمامه، ومع ذلك في آخر عمره يندم أنه أضاع عمره في غير الكتاب، آخر المطاف أين؟ هذه النتيجة، والمرء يوم القيامة بم يدخل الجنة؟ بآخر ما يموت عليه، لذلك قال صلى الله عليه وسلم (الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به) مع من؟ (مع السفرة الكرام البررة) فإذا أنت تسعى للوصول لهذه، تسعى، تحاول وتتدرب من خلال هذه الوسيلة.

إذًا أثبتنا هذه النقطة أنّها وسيلة، إذًا ليست شروطها هي شروط ما يتلقى من الكتاب والسنة.

انتهينا من المسألة الفقهية، نأتي للمسألة الحديثية.

في شرح الموافقات كانت كلمة، وأنا ما سمعتها من عالم، ولكني فهمتنا من حياة الفقهاء والمحدثين، وحياة الصحابة، وحياة الذين كتبوا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وكتبوا في السيرة كمحمد بن إسحاق وكموسى بن عقبة، فهؤلاء الذين كتبوا في السيرة ومدح العلماء كتابتهم، لم يكتبوا في السيرة كما كتبوا في الحديث، لم يشترطوا في كتابة السيرة ما اشترطوا في كتابة الحديث، بل القاعدة التي قلتها في شرح الموافقات "يجب النظر إلى قوة الدليل بمقدار الاستدلال به،" وهذه هي القاعدة اليوم للأسف لا يعمل بها إلا قليلا، وهي على المرء أن ينظر ما الذي تستدل به، يعني تصور أن رجلًا يريد أن يثبت قضية من قضايا الاعتقاد بحديث يركب من أحاديث ضعيفة، أو أنّ رجلا يريد أن يثبت ركنا من أركان الوضوء أو الصلاة التي لا تصح عبادة المرء إلا به بحديث ضعيف، مثل حديث (ولا وضوء إلا باسم الله)، هذا قلته أنا كثيرًا لكن ننبه عليه لأننا أمام هذا الباب، وهناك كثير من الناس ممن يسمعون جانبًا أو أشرطة دون أشرطة، لما يكون قوله صلى الله عليه وسلم: **(ولا وضوء إلا باسم الله)** معنى ذلك أنّ من لم يسم بطل وضوؤه، فهو إذًا ركن أو شرط، فهل هذا الشرط الذي يلغي بتخلفه العبادة، وهي

عبادة عظيمة، هل يمكن أن تكون بعيدة عن ذهن الصحابة بحيث لا يعلمه الصحابة؟ هل يمكن أن تكون بعيدة عن التابعين؟ تصور أنّ بعض الصحابة يعلمها دون بعض هذا صحيح، ولكن من علمها أن لا يكون ناشطًا لروايتها لتلاميذه، بحيث كلّما جاء إليه فوج من طلبة العلم علّمهم إياها، لأنها من ضروريات ومهمات الدين، هل يمكن أن تتصور هذا؟! ثم حين يكون مثل هذا الحديث بمثل هذا المعنى من الشرطية لا يهتم له هكذا التابع من التابع حتى يأتي الفقيه كأحمد رحمه الله الذي أحاط بأعظم ما أحاط به العلماء من سنة النبي صلى الله عليه وسلم فيرد هذا الحديث ولا يقبله ويضعفه، فنأتي نحن في آخر الزمان لنجمع هذا الحديث كما نجمع التشيء، لنقول بأن هذا الحديث حسن وبه نثبت الشرطية، بحجة أنّ الحديث الحسن تثبت به الأحكام، هل يصلح هذا؟! هل يصلح أن يغيب عن أهل الإسلام اسم من أسماء الله عز وجل، وهم الذين عنايتهم بأسماء الله أشد عناية، والدليل لما سأل أُبي عن أعظم آية في القرآن الكريم ماذا قال؟ **(الله لا إله إلا هو)** لماذا؟ لأنها حديث عن الله؛ فعلم أنّ أعظم ما يتحدث به ربنا ورسولنا صلى الله عليه وسلم هو الحديث عن الله، فيأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتحدث عن اسم من أسماء الله فلا يتلقفه الصحابة ولا يأخذوه ولا يحرصون على تعلمه، فيبقى ضعيفا لا يتلقاه إلا في الزوايا والناس الذين لا شهرة لهم في العلم، فحتى يأتيه فيتجمع من هنا ومن هنا وهذا حديث حسن وأثبتنا به اسما من أسماء الله، هل يصح هذا؟

هذه التي نتكلم عنها ليست ما يقوله من قضية العقائد لا تؤخذ إلا بالمتواتر لا، ليس هذا، لم يقل بهذا أهل الإسلام، لكن عنايتهم بما هو شرط من شروط العبادة التي بها لا تصح عبادة المرء إلا به من العبادات الركنية في الدين، فلا يهتم بها الصحابة ولا يهتم بها العلماء، بل يردونها ولا يقبلونها، أو يتحدثون عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه عن أسماء الله فلا يهتم بها! حتى يأتي المتأخر فيدرك ما لم يشتهر عند الأوائل؟!!

إذًا ينبغي النظر إلى المستدل به: ما هي مرتبته، لنعرف مرتبة الدليل الذي أقام هذا المدلول، هذه هي القاعدة يجب علينا أن نعرف هذا.

بالتالي ما المقصد من حياة الصحابة؟ إذا كان المقصد أن تقيم الحجة، فلا نذهب إلا إلى الكتاب والسنة الصحيحة، لكن إذا أردت -كما ذكرنا الآن- أن تتمرن، أنت الآن عندما تتمرن على طريقة الفقه... أعطيكم مثالا: طريقة الفقه، كيف يفكر الفقهاء؟ فأنت لا تهتم كثيرا بصحة السند، لأنها تنبؤك عن طريقة علمية، بعض الذين يحققون فتأتي إلى تفسير الطبري جامع البيان، فأكثر روايات ابن عباس عن علي بن أبي طلحة، فيأتي علي بن أبي طلحة يروي عن ابن عباس، وحديث رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فيه انقطاع، ولكن العلماء يعلمون أنّ علي بن أبي طلحة عامة ما أخذه عن ابن عباس أخذه عن مجاهد، وتفسير مجاهد عن ابن عباس شيءٌ مقطوع بصحته، لأنّه يقول عرضت القرآن عن ابن عباس ثلاث مرات، ويقول الشافعي إذا جاءك الحديث عن مجاهد فعليك به، اقبض عليه يدك. عامة الأحاديث التي يفسر ابن عباس، الكثير منها، إنّما هو تفسير لغوي، بالله عليك لما نأتي إلى عالم لغوي كسيبويه يتحدث في كتابه أو الخليل في العين، أو حديث الأصمعي في تفسير لفظة، من أقوى؟ ما يأتينا به علي بن أبي طلحة عن مجاهد، أو عن من سمعه من ابن عباس في قضية لغوية، من أولى بأخذها؟ هذه الطريقة، أم طريق الأصمعي عن أعرابي قاعد بالصحراء لا نعرف من هو أصلًا، من أولى؟!! فلماذا يأتي أحدهم ويشكك برواية من طريق هذا السند، ويكون التفسير لا يتعلق به حلال وحرام، وإنما يتعلق بلغة؟!!

وسأختار إن شاء الله كتابًا في قضية الاحتجاج بالحديث النبوي في اللغة، وسبب هذه المشكلة أن سيبويه في الكتاب أعرض عنها، لم يعرف عنه إلا أنّه ذكر ثلاثة أحاديث فقط، إن لم أكن واهمًا، فاستغرب الناس: هل يستدل به، أم لا يستدل به؟ ووقع هاهنا الخلاف، والصواب المقطوع به الذي لا ينبغي الالتفات إلى غيره أنّ الحديث حجة في اللغة. يقول قائل: لكن الحديث روي بالمعنى، والذين رووه بالمعنى أليسوا من أئمة اللغة؟ وما يعترض على الحديث في بعض المواطن لغويًا، يعترض فيه على الكتاب (إنّ هذان ساحران) هل أبطلوا بها الآية أم بحثوا عن مخرج لها؟!، لم يأت هو الأكثر، لكنّه وجه من وجوه اللغة، مثلا قالوا: إنّ بمعنى نعم، مثل ما قال رجل لعبد الله بن الزبير: لعن الله ناقة حملتني إليك فقال: إن وراكبها، فإنّ بمعنى نعم. هنا لا يرد ولكن يوجه، كذلك الحديث؛ كما أنّه وقع هذا في القرآن

وقع في الحديث، فيوجه ولا يرد.

فأريد أن أقول بأنّ مراتب العلوم ودلالتها على مدلولها ينبغي أن تميز وتوضع العلوم بمرتبتها.

الآن انتبهوا، حياة الصحابة رضي الله عنهم، هل المقصود بها إقامة الأحكام أم مقصود بها مقاصد كثيرة جدًا ليس إقامة الأحكام؟ ولا مقصد واحد، إلّا من يقول بأن قول الصحابي حجة، وقول الصحابي حجة متى؟ إذا عدم المخالف، يعني لو وجد المخالف قول أحدهم لا يكون حجة على الآخر، وهذا باتفاق، فقول الذين يقولون بأنّ قول الصحابي حجة، لا يقولون بأنّه حجة كما يقول أحمد (قوله أنّ قول الصحابي حجة) لكن لا يقول قط أنّ قول الصحابي إذا اختلف الصحابة أنّ قوله حجة على بعض، لا يقول إلا بالكتاب، بم يقطع خطأ الصحابي؟ بالكتاب والسنة، كمن رد حديث فاطمة بنت قيس في المطلقة البائنة هل لها نفقة وسكنة أم لا؟ فبعض الصحابة رد حديث فاطمة بنت قيس والعلماء لم يقبلوا كلامها، كأحمد لم يلتفت إليه، والشافعي لم يلتفت إليه، أخذ به أبو حنيفة لكن جمهور أهل العلم لم يأخذوا به. فإذا ما الذي يقطع قول الصحابي؟ هو قول الله، فإذا اختلف الصحابة فحينئذ يقع هنا الترجيح بالمرجحات، وإذا لم يوجد إلا قول الصحابي بالمسألة فحينئذ قال بعضهم: قول الصحابي دليل آخذ به ولا ألتفت إلى غيره، لأني لا أعلم إلا هذا القول من أقوال الصحابة. إذًا لا نذهب إلى أقوال الصحابة وإلى حياتهم لأنها حجة، لم نذهب إليها؟ لمقاصد متعددة، أعظم المقاصد أنها تمرين ومرتبة للوصول إلى أعظم أنواع التعبد الذي ذكرناه، كيف؟ حينئذ عليك أن تدرك أصول الفقه ومراتب العلم والفقه من خلال هؤلاء الصحابة. كيف؟ دائمًا يعجبني ابن مسعود رضي الله تعالى عنه يقول لأصحابه بمعنى كلامه: كنت أفتي بعدم جواز قراءة أقل من ثلاث آيات عقب الفاتحة. يعني إذا المرء وهو يصلي ماذا يقرأ؟ الفاتحة وثلاث آيات، أقل من ثلاث آيات لا أستحب له ذلك، من أين أتيت بها يا ابن مسعود، هذه عجيبة؟! أنا ذهبت إليها لأنها من غرائب ما يستدل به وإلا فمعروف كيف ينظرون إلى الكتاب والسنة ووو إلى آخره، يقول: لأني نظرت إلى كتاب الله فوجدت أن أصغر سورة عددا في آياتها ثلاث آيات. هذه عجيبة!! قال نظرت في القرآن فلم أجد أصغر سورة هي ثلاث

آيات، فقلت لا أستحب ولا أرضى للناس أن يقرؤوا بعد الفاتحة أقل من ثلاث آيات، كون أصغر سورة ثلاث آيات، فبها يقام التعبد، حتى علمت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(من قرأ بآخر آيتين من سورة البقرة كفتاه)**. انظر!! في الأول اجتهد على معنى معين عجيب! ولا يستطيع أن يلزم به الناس، يقول هذا الذي عندي لا ألزمك، ولكن إذا جاء كتاب الله وجاءت سنة النبي صلى الله عليه وسلم انقطعت الآراء، لكن هل الوصول إلى هذا الرأي منهج؟ انتبه انقطع القول الفقهي الذي يقوله ابتداءً ولم يعد يفتي به، لكن منهجه في الاستدلال هل انقطع أم يبقى؟ هذه الطريقة في البحث تبقى أم أنّها تذهب؟ هذه تبقى وإن ذهبت المسألة الفقهية. ولذلك الذهاب إلى حياة الصحابة أمر ضروري، بالاعتبار الذي ذكرناه، وباعتبار النقطة التي سنذكرها كذلك.

النقطة الثانية في الموضوع الحديثي: بعد أن قررنا أن مرتبة الدليل يجب الآنتباه إليها في التعريف، والنظر إليها بحسب المدلول، وهي أنّ العلماء في حياة الصحابة لم يشترطوا هذه الشروط التي يشترطونها في كل علم، فإنّ لكل علم فنّه الملائم له في إقامة الدليل، كل علم له دليله، والدليل كالتالي: هل تعلمون أنّ حفص الذي تقرؤون روايته للقرآن أنّ حديثه مردود غير مقبول؟ كيف هو حجة في القرآن، وأسانيد القرآن تنتهي إليه، وقراءته متواترة نتعبد بها ربنا منه، وهو حجة في هذا الباب من القراءات، وليس له اعتبار ولا قيمة في الحديث؟ فلو أننا طبقنا قواعد علم الحديث عليه لرددنا قراءته. وهذه يفعلها البعض!! ألا ترون أنّ الجهلة نفوا علم التجويد لعدم وجوده في الحديث، نظروا في البخاري ونظروا في مسلم ونظروا في السنن الأربعة فلم يجدوا علم التجويد ولم يجدوا مخارج الحروف، فنفوها، قالوا: لا يوجد علم تجويد، ولم ينتبهوا إلى هذه القاعدة. من الذي علم الناس مخارج الحروف؟ أهل اللغة، أول من تكلم بها الخليل، هذا حرف متفشٍ وهذا حرف مطبق وهكذا ، من الذي علمه؟ لأنه هو الذي سمع هذه اللغة كيف تنطق من أصحابها، هو الذي سمع كيف القرآن ينطق من أصحابه، فكتب هذا. فكل علم طرقه التي يثبت بها، وأنا دائمًا أستشهد بقصة ابن حزم التي ذكرها أظن في طوق الحمامة، قال: أنّ محدثًا (وليس مثل محدّثي هذي الأيام) صعد إلى السفينة فوجد رجلًا يبيع قوارير الخمر، (ذكرناها كثيرًا، لكن لا بأس) فقال له: ما هذه؟ قال: قوارير خمر، فقال له: ما دينك أنت؟ قال له: يهودي، قال: ممن اشتريتها؟ قال:

اشتريتها من واحد نصراني. فأخذ الزجاجة وشربها فقال: أنت مسلم كيف تشربها؟! قال: حديث أرده من مسلم عن مسلم، فكيف أقبل حديث يهودي عن نصراني!!، هو مسكين طبق علم الحديث على زجاجة الخمر.

ولذلك تجد بعض المسلمين اليوم يقول لك: كيف تقبل كافر يكتب محتويات هذا الطعام؟! وهو يعلم أنّ الكافر في بلده أصدق من المسلم عندما يكتب محتويات الطعام في بلده، لا يعرف أنّ هذه لها شروط غير التي لا تقبل من مسلم، يعني لو جاءتك من بلد مسلم كباكستان فالأصل أن تردها حتى يثبت العكس، فإذا جاءك طعام من بلد يصدر لبلدك ويكون أجنبي وهناك طرق للتحقق والمتابعة، تقبلها أحسن مما تقبلها من مسلم.

القصد من هذا بأن العلوم لها طرقها في الإثبات، ويجب اتباع هذه الطرق، فلكل علم فنّه الذي ينبغي أن يتبع.

لأجل هذا أيها الإخوة بعد هذه المقدمات نأتي إلى هذا الكتاب:

الذين يتحدثون عن حياة الصحابة للشيخ محمد يوسف الكاندهلوي لا يفهمون هذه الأمور، وخاصة من يسبه ومن يتهمه.

أيها الإخوة الأحبة، انتهينا من قضايا كلّية تتعلق بالقراءة، والمقصود في كل عملنا هو تحصيل العبادة.

أيها الإخوة الأحبة أكرر كلمة بحاجة أن أكررها بكل لقاء، وهي: أي كتاب تقرؤه لا يقربك إلى الله فقد فشلت في القراءة، ليس لأنه لا يقرب، فأنا لا أعرف كتاب في الدنيا لا يقربك إلى الله، والله لو قرأت سيرة امرأة ممثلة عليك أن تفهم أنها تقربك إلى الله وتثبت لديك الحق، وتعرفك بالدين، وتعرفك بالبشر، من أجل أن تستفيد بها على حكم الله إلى غير ذلك. لا يوجد كتاب أو كلمة في الوجود، باطلة أو حق، إلا وهي تقرب المتعبد العاقل الذي ينظر إلى الأمور بحكمة وعلم، وتأنٍ ودراسة، إلا وتقربه إلى الله؛ فلذلك نحن في قراءتنا نتعبد، علينا أن نفهم هذا، وإذا لم يحصل لديك التعبد فاعلم أن

منهجك في القراءة خطأ، وليس المنهج فقط، فمرات أنت لم ترتب الدوائر والحبيبات الفضية الضوئية التي وصفتها لكم.. ماذا قلت لكم؟ كل شيء في الوجود، كل نظر، كل قراءة، كل تفكر في الوجود، ينبغي أن تضعه في إطار التسبيح (سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر) وكل معلومة تشكل لديك حبة إنارة تبين لك معاني هذه الكلمات الأربع العظيمة، الباقيات الصالحات، لكن أين الخطأ؟ كل معلومة تنير موضعها ولكن الخطأ أن تضعها في غير موضعها، يعني لو رتبتها ترتيبا صحيحا، لو كنت عاقلا وذكيا وفنانًا، فإن كل إضاءة في الوجود وكل كلمة في الوجود تضعها فتقول: سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر، هذه الكلمات لابد أن تستحضرها في كل علم تفهمه وتتعلمه.

هناك شخصيتان في هذا العصر، في علمي طبعًا لابد أن هنالك ناسا لا نعلمهم، الله يعلمهم، ولم يشتهر أمرهم، أو لم نطّلع عليهم، وهما من أعظم من رأينا لهم حديثًا عن الصحابة وشغفًا بالصحابة رضي الله عنهم، والحديث عنهم والكتابة عنهم، هما الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي في كتابه حياة الصحابة، وعبد الرحمن رأفت الباشا في كتابه صور من حياة الصحابة، ثمّ كتب صور من حياة التابعيين، وهذا كتاب إن شاء الله ربما نأتي عليه وهو من الكتب المهمة جدًا، ولكن نبقى مع هذا الرجل أولًا.

الذين يتكلمون عن هذه الكتب لا يميزون، فتجد البعض يسب عليه، لأنه لا يحب جماعته، أو خلينا نقول لبعض الأسرار التي نعرفها من خلال المعايشة، في الحقيقة: إنّ البعض يسب على أي إنتاج لا يكون لمدرسته، وإنّ البعض يسب على أي إنتاج لا يكون من بلده، يعني لو كان سيد عندهم من بلدهم أو من مدرستهم لصفقوا له ولأوجدوا له التبريريات، والدليل أنّهم يقبلون تبريرات ابن القيم في أبي إسماعيل الهروي، يعني كلمات أبي إسماعيل الهروي في ظاهرها في "منازل السائرين" أشد ضلالًا وإجرامًا من كلمات سيد التي يحملون عليه، لكن هذا دافع عنه ابن القيم، وهو من هذه المدرسة كما يزعمون، وكأن الإسلام في هذا الباب مدارس ينبغي أن تنصر بغض النظر عن حقيقتها تعصبًا.

وأنا قرأت لبعضهم، مثلا الشيخ سعد الحصين عندما تحدث عن قضية الدعوة إلى الله، انتصر لها بلديًا وليس انتصارًا سنيًا، يعني الدعوة إلى الله في جزيرة العرب، اقرؤوا هذه الرسالة له، على الرغم أنّ

هذا الرجل عجيب، عقليته لا تستقيم مع العلم في شيء عندما يكتب في العلم، تصور أن كتابًا له أصدره أول قصة لم ينفها سندًا ولم ينفها تاريخًا بل جعل هذه القصة سببا في اتهام صاحبها وهو المعتصم. يعني المعتصم معروف لا هو معتزلي ولا هو سني، الرجل عنده عضلات وعقله أصغر من حبة، عنده نخوة رجال ونخوة مسلمين، ولكنه لا يفهم في الفقه شيء لا يفهم في الدين شيء، والمعتصم كان أميا، وذلك أنّ أبوه أخرجه من الكتاتيب من أول عمره.. أتى يوما إلى أبيه هارون الرشيد فرح يضحك، فتعجب من ضحكه! قال له: ما لك؟ فقا: صديقي مات اليوم، وتخلص من الكُتاب، فأنا فرح لتخلصه من الكتاب -يكره القراءة والعلوم-، قال له: أو لهذه الدرجة تكره الكتّاب، والله لن تصلها أبدًا، وأخذه ورماه في الصحراء، فكان يصارع الأسود، ترمى له الأسود فيصارعها ويقاتلها وجه لوجه. وكان يضع يده في فم القاضي ابن أبي دؤاد ويقول له: عض، فكان ابن أبي دؤاد يعض على ذراعه، ويقضم بكل قوته، والمعتصم مشغول بالحديث مع جاره، غير متأثر به، لشدة بأسه، والرجل يحب أخاه المأمون، والمأمون صاحب اعتقاد، فقال له: اسمع نصيحتي وامش على هذا المنوال في امتحان كل من يقول بأن القرآن غير مخلوق، فالرجل أخذ ذلك دينا من أخيه. المهم هذا رجل مجاهد، وأمير المؤمنين حقًا، لكن عنده هذه الفتنة، فلما صرخت امرأة: وا معتصماه، أجابها، والعلماء دائمًا يذكرون هذه الحادثة على أي صفة؟ صفة النخوة، صفة الرجولة، صفة الحمية الإيمانية، صفة قوة الإسلام في وقت يذل به كل الأعداء، فحملها وجعل يسب على المعتصم ويسب على القصة، ويعتبرها دلالة قلة عقل، ما دام هو قليل عقل في قضية خلق القرآن فإذًا هو قليل عقل في قضية نصرة امرأة في عمورية.. يعني أصبح أبو تمام بفهم أكثر منا في هذه الأيام، وبلا شك أبو تمام عالم الشعراء وشاعر العلماء.

المهم فتجد أن البعض ينتقد المدرسة فقط ولو أنتجت خيرًا، وأنتم تعرفون قصة الأصمعي كان لا يحب إلا الشعر القديم والشعر الجاهلي، فأحضر له أحدهم قطعة من الشعر المعاصر له وقرأها عليه وقال له: هذا شعر قديم، فجعل يمدحها يذكر فيها الخير، فقال له: هذه من الشاعر الفلاني المعاصر لك، فجعل يذمها فيها ويقول فيها هنات هنا وهنا وهنا.. هذه طريقة بشرية، والمرء عليه أن يقاوم نفسه فيها.

فالذين يسبون حياة الصحابة، يسبون لأنه لم تعجبهم لأسباب، كون هذا الكتاب انتجته مدرسة، وأن الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي ورث والده في إمارة جماعة الدعوة والتبليغ، وأبوه هو محمد إلياس الكاندهلوي، هو رجل صاحب حمية إيمانية وليس عالمًا من المشهورين بين أهل العلم، وقام بهذه الدعوة من أجل الحفاظ على المسلمين في الهند، وتعرفون قاعدة "الشيخ لا يطير ولكن التلاميذ يطيرونه"، هو عنده أن يحافظ على المسلمين وأخذها التلاميذ وبدأت الدعوة كأنّ هي الإسلام وبدؤوا يقننون لها ككل شيء للأسف، والآن يعتقد جماعة التبليغ أنهم هم ميزان الوجود وأنّ حركتهم مربوطة بها حركات الغيب، يعتقد الآن جماعة التبليغ أنّ وجودهم في بلد هو صمام الأمان لهذا البلد، فإذا خرجوا كانت الفتن، والحقيقة لو كان الواقع هو الدليل لكان ينجدهم وينفعهم، مثلا هم يقولون: أفغانستان دمرت لأنها رفضت الدعوة، وبالفعل القارة الهندية كلها تقبل الدعوة إلا أفغانستان، أفغانستان طردوا التبليغ، فأتاهم الروس!!، ليبيا تدمرت لأنها طردت التبليغ، سوريا تدمرت لأنهم طردوا التبليغ، الحمد لله الأردن أمان لأن فيها التبليغ، وهكذا!!! فالواقع يشهد لهم!!! هكذا يعتقدون، أنا لا أتكلم بها استنتاجًا، أتكلم بها معايشة لهم، وأنا أزورهم وأسمع منهم هذا الكلام ، يعني هم يعتبرون أن وجودهم في بلد يحقق الأمان.

ليس الموطن موطن جماعة التبليغ في الحديث عنه، ولكن هذا الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي هو ابن الشيخ محمد إلياس الذي كوّن هذه الجماعة، وهو كان في الابتداء رافضًا لجماعة التبليغ، وكان لا يحبها، وكان يسلك مسالك المشايخ الهنود، ولذلك كان صديقا لصديقه محمد زكريا الكاندهلوي الذي شرح موطأ مالك برواية محمد بن الحسن، فسمّي كما سماه الغماريون حنّف الموطأ، يعني جعل الموطأ حنفيًا، له إيضاح المسالك في شرح موطأ الإمام مالك، محمد زكريا الذي اعتبر في فترة من الفترات إمام أهل الحديث في الهند، وهو على طريقة الماتريدية ومدرسة ديوبند إلى آخره، وأنا رأيته وكان في مرضه، لما جلست معه مع إخوة آخرين.

القصد أنّ الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي كان طالب علم، وشرح قطعة جيدة من كتاب شرح معاني الآثار للطحاوي، شرحها على طريقة الأحناف، وكان مغايرا لطريقة أبيه، بعد ذلك، على طريقة

الصوفية بما يؤمنون، جاءته النفحة الإيمانية فالتحق في الجماعة، والله قبل دعاء الأب في ابنه، وبعد وفاة الشيخ محمد إلياس صار أميرًا للجماعة وكانت طريقته.... الشيخ أبو الحسن الندوي رجل صادق، رجل دمث الأخلاق، لا تأخذ منه في الجرح خذ منه في المدح، يعني إذا جرح لا ينفع في الجرح ويكون كلامه سهلًا، وفي المدح ترقب منه، خاصة عندما يمدح مدحًا علميًا. فكان أبو الحسن الندوي كان صديقًا جدًا لمحمد يوسف، وذكر عن هذا الرجل شيئًا غريبًا وشيئًا عجيبًا في شغفه في حياة الصحابة، كان يقول: كأنّ حياة الصحابة بين عينيه، وكأنّه يتمثلهم في كل لحظة وفي كل وقت، ويعيش معهم بوجدانه كله، ويحبهم حبًا عجيبًا، ولذلك كان في كل كلامه مع جماعة التبليغ عندما يدرسهم يلقي عليهم القصص، فطلب من المتفرغ في طلب العلم، وهو محمد زكريا، أن يكتب كتابًا في حياة الصحابة، من أجل أن يضعه نموذجًا لقراءة الخارجين مع التبليغ، فوضع كتابًا، موجود هذا الكتاب، ولكن هذا الكتاب لم يشف قلب محمد يوسف، فتوجه بكليته إلى تجميع حياة الصحابة بحسب ما يرى، وألّف كتاب حياة الصحابة، وعلى طريقة مشايخ ديوبند لا يهتمون كثيرا بالأحاديث الصحيحة والضعيفة والتحقيق، ولهم منهج في هذا على طريقة المتأخرين، يتسمَّحون بالأحاديث الضعيفة في ذلك، ونحن نتسمح بها، لكن ما لا يتسمح به، وهذا ما ينبغي أن يزال من الكتاب وهو السيئة الوحيدة في الكتاب، ذكر القصص المنكرة، وهناك فرق بين الضعيف والمنكر، يقول الإمام أحمد: المنكر منكر والضعيف يستفاد منه في وقت.

ما هو المنكر؟ أن تأتي قصة مخالفة لدين الله، مخالفة لما استقر عليه أهل العلم، مثال ذلك وليس هذا وقت تجميع القصص المنكرة.

وللذكر: في كتاب حياة الصحابة أحاديث منكرة أقل من الأحاديث الضعيفة في السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني، في (حياة الصحابة) أحاديث منكرة أقل من الأحاديث الضعيفة التي قررها أهل العلم والصنعة والتي صححها الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة.. حتى تقع الموازنة.

ولذلك قام هذا الشيخ بعد ذلك بكتابة هذا الكتاب وبناه، وهذا يعني مما ينبغي الآنتباه له، بنى هذا

الكتاب بناء قلّما يدرك الناس منهجه فيه. البعض يظن أنّ الكتاب على طريقة، وأنا ذكرت لكم من مهمات قراءة هذه الكتب أن تقرأ من الألف إلى الياء، لأن الناس يقرؤون الكتب نتش، يعني الواحد يريد أن يرى قصة في حياة الصحابة، فيفتح الكتاب ويقرأها، وهذا لا يعرفك بمنهج الكاتب ولا بطريقته ولا بمراده، ومثل ذلك الذي يذهب إلى فتح الباري ويريد أن يرى ابن حجر ماذا يقول في هذا الحديث، فهو لا يستفيد، هو لا يمكن أن يبني المنهج عنده، ولا يمكن أن يعرف منهج ابن حجر في كتابه، لا بد أن يقرأ الكتاب قراءة علمية.

في الابتداء وضع ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وهذه الأمة في الأمم السابقة، أول باب في هذا الكتاب حياة الصحابة ذكر هذه المسألة، فهو أدرك، وهذه نقطة مهمة، وأنا لم أقرؤها من الكتاب، ولكن قرأتها من خلال فهمي لهذا الكتاب، أدرك أنه لا يمكن لهذه الأمة أن تنبعث في تبليغ دين الله – كما يرى، أو كما نرى نحن– لا يمكن إلا بهذا المعنى، وهو معنى الاستعلاء الإيماني في قلبك، وهذا المعنى الذي أراده الشيخ ابتداءً، وأنا على يقين أنه أراده، أن هذا هو منطلق أي حركة نحو الآخر، أي حركة لهذه الأمة نحو الآخر من أعدائنا ومن خصومنا إلى آخره، ما هو المبعث الأصلي؟ هو الاستعلاء الإيماني، وهو أن تشعر أنك خير أمة، إذا ذهبت إلى الآخر وأنت تشعر أنك خير أمة استعليت بإيمانك ولم تغرك، وأنت حينئذ تنطلق ثقة باليقين، وثقة بالوعد الإلهي، وثقة بما معك من الحق، وثقة بحاجة الناس لهذا الحق، الناس يحتاجون إليه، فلذلك لابد من هذا الشعور، وهذا الفصل هو من أهم فصول هذا الكتاب، وهو فضل هذا النبي صلى الله عليه وسلم وفضل هذه الأمة على بقية الأمم، وهذا مذكور في الأمم السابقة، قبل أن يتقرر في القرآن مذكور في الأمم السابقة، فالأمم بحاجة لهذا ونحن بحاجة إليه، ولا يمكن أن ننطلق إلى مقاصدنا إلا من خلال هذا المعنى، أن يبنى في أنفسنا هذا المعنى.

هل جماعة التبليغ تشعر بهذا أو لا تشعر؟ هذا موضوع آخر، أنا أتكلم عما رأيته في الكتاب.

الكتاب يتدرج.. بعد هذه وصل إلى الدعوة، تكلم عن الدعوة إلى الله، دعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وهي قصص عظيمة ومهمة، وبهذا المعنى الذي ذكرناه، وكذلك هي قصص محفزة لما عاش النبي

صلى الله عليه وسلم عليه، بعد الدعوة إلى الله تكلم عن الجهاد، وكأنه يرى –على الرغم من أن هذه قضية نظرية عند الجماعة، ولكن نتكلم عن الكتاب وما يمكن أن نستفيد منه– تكلم عن الجهاد وقتال الصحابة، ثم بعد ذلك تحدث بتوسع واهتمام وبسط شديد عن الأخلاق التي يحتاجها المسلم في حياته، في الدعوة إلى الله، في خروجه في سبيل الله، في جهاده إلى غير ذلك، فهذه خصال من كرم الصحابة، من شجاعة الصحابة، من صبر الصحابة، من خدمة بعضهم بعضا، من احترامهم، من تقديرهم إلى آخره. الكتاب في هذا منهج ينبغي أن يدرس، يجب أن يعلم، ولذلك أنا، وإن كنت سأستبق في ذكر هذا، أنصح كل تجمع إسلامي في قراءة هذا الكتاب، على أن يقرأه طالب علم يستطيع أن يزيل المنكر فقط، وأما الذي نحتاجه من أجل ما أراده صاحب هذا الكتاب فإنه ينفع فيه غير المنكر مئة بالمئة. والمنكر مثل ماذا؟ مثل حديث عبد الرحمن بن عوف "تدخل الجنة حبوًا"، هذه من القصص المنكرة، هذه لا تصح عنه رضي الله عنه، وعبد الرحمن مبشر بالجنة يدخل حبوًا! فهذا مخالف ومنكر ولا نقول ضعيف فقط.

أما وجود الكذب فلا يوجد حديث في داخل الكتاب فيه رجل كذاب، وبين أن الرجل لم يرد فقط أن يعطي القصة فقط، ولكن يريد أن يعطي الدلالة على صحتها، على طريقة ما، فإنه يذكر ماذا قال الهيثمي، ماذا قال ابن كثير، يذكر في الحكم على الأحاديث، على الطريقة التي عندهم وليست الطريقة التي ينبغي.

ودعكم من قضية التحقيق، الكتاب من الكتب التي بسبب انتشارها بين مشايخ التبليغ، كثر محققوه، على طريقة تحقيق رياض الصالحين، لكثرة من يشتريه كثر المحققون له.

ثم هو بعد هذا الكم الهائل مما يحتاجه الدعاة إلى الله والعلماء والمشايخ والمجاهدون، من الآداب والأخلاق السلوكية، التي هي إيمانية، وهو كتاب نافع في هذا، يأتي إلى آخر أمر، وهي قضية يناقش فيها للأسف، وهي منفذ صوفي، اعتبر آخر باب في كتاب حياة الصحابة، وهو نزول الآيات الإلهية من الكرامات والبشارات على الصحابة، يعني هو في آخر فصل في الكتاب يتحدث عن هذه النقطة، لأي

معنى ذكره؟ معنى أن ختام الأمر حصول النصر بهذا المعنى، أن تحصل لديه الكرامة، وهذه النقطة من أشد النقاط فسادًا عند جماعة التبليغ.

يوم الأربعاء كنا في عرس أحد الإخوة، حتى يعرف الناس كيف التعامل، ليس اقتداءً، ولكن نذكر ما عندنا، فبعد العرس خرجنا وإذا رجل يقول: أنا فلان الفلاني في البلد الفلاني، هذه البلد التي نحن فيها، وذكر من فساده، حبوب وكذا، فقال: أريد أن أتوب. أين تأخذه؟ قلت: اليوم أربعاء، غدًا جماعة التبليغ في المسجد الفلاني، تذهب إليهم. فهم ينفعون لما يسمى الخطوة الأولى مئة بالمئة، وهذا ليس منة لنا، نحن نذكر الحق الذي عند الناس وننفر من الخطأ الذي هم فيه.

أفسد ما عند جماعة التبليغ، وهذا ما أعرفه عنهم وأنا من أقرب الناس إليهم، هو ظنهم أنّ هذه الأمة يحصل له النصر والتأييد كما حصل للأمم السابقة، أنّ عليك أن تبقى تدعو إلى الله حتى يحصل الفصل فالنصر. كيف النصر يحصل؟ بآية إلهية كونية، كما أن الله دمر قوم نوح، كما الله أنجى موسى عليه السلام وقومه من البحر، فحينئذ حصول النصر الإلهي يحصل بمثل هذا. وأنا تكلمت أن هذا انتهى، هذه الآيات الكونية التي تحقق النصر ذكرها الله ليدل على أن النصر آت، ولكن النصر يختلف من نبي إلى نبي، وأعظم ما يتحقق به النصر أنه لم يقع بآية كونية، يعني فتح مكة وقع على غير ميعاد منهم، بل أرادوه في يوم الحديبية فالله عز وجل صرفه لوقت آخر، لأن الله عز وجل رفع الآيات الكونية، انتهت هذه الآيات الكونية، وهذا شرحته في باب آخر. فأعظم ما يعاب عليهم، هي هذه النقطة، أنه يعتبر في آخر الأمر بأن نهاية الأمر، لابد من دخول البشارات الإلهية والكرامات الإلهية، والحق أنّ الكرامات الإلهية تكون في الابتداء أكثر من الآنتهاء، يعني الناس في ابتداء الدعوة يكونون في حاجة إلى البشارات والتأييد والكرامات أكثر من غيرها، لأنهم حين يكونوا في القوة والكثرة في آخرها، فإن الله يمدهم بمدد من عنده، ويمدهم بالصبر واليقين، ولكن في البداية لضعفهم تكون البشارات، ولعل النظر إلى بعض الكرامات التي حدثت للصحابة تجدها في زمن البعثة الأولى، كالطفيل بن عمرو الدوسي عندما طلب آية ليرجع إلى قومه.

وفي الختام أقول، والله عز وجل الموفق: هذا كتاب أنا أنصح به كل بيت وكل أخ أن يقرأه، أنصح كل أخ أن يكون هذا الكتاب أنيسه، وأن ينظر فيه لأن النظر فيه يحيي لدى المرء ما يحتاجه من حياة الصحابة كنموذج وكأحوال كما يسميها التبليغ، يعني الذي يحتاجه المسلم في حياته، في دعوته.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي صاحبه خير الجزاء، وأن يرحمه برحمته، وأن يجزيه عن هذا الكتاب خير الجزاء، ورحم الله الرجل.

ومحمد يوسف الكاندهلوي مات شابًا، لم يعمر كثيرًا، لمرض كان فيه، ولسمنة شديدة كانت فيه، كان سمينًا جدًا، وبقي أقرانه فمحمد زكريا الكاندهلوي مات متأخرًا عنه، وكذلك الشيخ أبو الحسن، وهو يعرفه، وإن كان محمد يوسف أكبر من الشيخ أبي الحسن الندوي عمرًا، ولم يحصل له أن جاء إلى الدول العربية إلا حاجًا فقط.

غفر الله لنا وللجميع، وجزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، وأرجوا أن أكون قد وصلت إلى تعريف كامل بهذا الكتاب، والحمد لله رب العالمين.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: شيخ بالنسبة الأحاديث المنكرة، نسبة كثيرة أم قليلة جدًا؟

الشيخ: لا ليست كثيرة

السائل: هل نبه عليها المحقق؟

الشيخ: لا، للأسف وإنما طريقة المحقق هو أن يذكر من أين أتى به، وهذا خطأ وقع فيه، لكنه معذور ربما لقلة الطباعة في ذلك الوقت. مثلًا الحديث يكون عند الطبراني، ويأخذه من مجمع الزوائد، وهذا معذور فيه، فإن معجمات الطبراني لم تطبع إلا متأخرا وبعد حياته، فيأخذها من مجمع الزوائد،

وإذا سألت عن مصادره، فهو يأخذ كثيرًا من البداية والنهاية لابن كثير، مجمع الزوائد يأخذ منه كثيرًا، وكذلك البخاري ومسلم والمصادر من السنن، ومرات للأسف بعض السنن يأتيها من المصادر الفرعية. وإنّما عامة ما يأخذه من ابن كثير، ومن مجمع الزوائد، ويأخذ من المستدرك كثيرًا ويأتي بما يعلق به الذهبي. وإن كان تعليق الذهبي كما تعلمون ليس له قيمة، الذهبي اعترف في سير أعلام النبلاء بأن تعليقاته على المستدرك لا تصل إلى التحقيق العلمي التام، إنما هي تدريب له، كان يتدرب في شبابه على هذا الكتاب، وللأسف أخذها الناس كأحكام نهائية على المستدرك، هذه تقريبا هي مصادره في هذا الكتاب.

يأخذ من كتب التفسير، تفسير ابن كثير يأخذ منه الآيات وبعض أسباب النزول، يأخذ من تفسير الطبري بعض الأحاديث لكن لا يأتي بالأسانيد، وهو من الكتب الفرعية في هذا.

السائل: شيخنا كتاب الشيخ حمود التويجري........؟

الشيخ: نعم قرأته، يعني كلام هؤلاء المشايخ على جماعة التبليغ، الكثير منهم لا يعرفها، ويقال له ما يقال فيها.

ثانيًا: الكثير منهم يحكم عليها بأحكام جزئية ويجعلها كلية، وهذا خطأ.

وأريد أن أقول لكم شيئًا مهمًا جدًا في هذا الباب: الذي ليس في بلده فتنة ترك الصلاة، فلا يقال له سؤال عن جماعة تدعو إلى الصلاة في بلده، يعني الواحد يقول: من يترك الصلاة!!، لكن عندما تأتي إلى بلد من البلاد الإسلامية الكثيرة يسبون الدين ويسبون الرب ويتركون الصلاة، فإن أعظم من يمدح فيها الذي يعيد الناس إلى الصلاة، فهؤلاء ناس يعيشون في مشاكل بلادهم ويظنون أن المشاكل التي في بلادهم هي مشاكل العالم الإسلامي الأخرى، وليس كذلك.

جماعة التبليغ ليس فيها شر، وإن كان فيها نقص، والشر الذي فيها يمكن جبره بقليل من العلم، يعني هناك كلمات لا ينبغي أن تأخذ على المعنى التي تؤخذ عند الآخرين. مثلا عندما يقولو: ما مقصد لا إله

إلا الله؟ إخراج اليقين الفاسد، لا يقصدون بها أن يلغوا مفهوم التعبد، ما هو مقصود لا إله إلا الله؟ هو أن لا نعبد إلا الله، وليس هناك معبود بحق إلا الله، ولكن هذا خطأ أن ينبه على هذا، ولكن ينبغي استثماره، يعني كذلك من معاني (لا إله إلا الله) التوكل على الله، خذها بهذا المعنى، يعني لا ينبغي أن تضخمها وتجعلها مضادة للتوحيد... يعني يقول إخراج اليقين الفاسد عن الأشياء، تستطيع أن تقول لها معنى صحيح في هذا الجانب وهو التوكل على الله، أن تأخذها كأنها هي دعوة للتوحيد بالمعنى الشركي الذي يفهمه كفار قريش، يستطيع الشيخ أن يأتي بها على هذا المعنى، يقول انظر، يدعوننا إلى التوحيد الذي عليه كفار قريش، بالله عليكم هل هذا عدل وإنصاف؟ هل هذا المعنى الذي يريده جماعة التبليغ؟ أن يعيدوا التوحيد إلى ما كانت عليه قريش!!.

القصد أنا لا أحب مثل هذا القول في الجماعات، وأعتقد أنّ هذا فيه مبالغة، كمن ألف كتابًا عن الديوبندية، ومدحه بعض المشايخ، الشيخ سفر مدح هذا الكتاب، وهذا مع الاعتذار (جهل)، الذي حمى الإسلام في القارة الهندية هي ديوبند، الذي نشر العلم في القارة الهندية هي ديوبند.

مثلًا لما قام بعض العلماء في الدعوة إلى الاجتهاد، فرد علهم علماء ديوبند، تقزم كل علماء هذه المدرسة في صراعها مع السلفيين في هذه النقطة، هذا دين؟! وتجعل أعداء هؤلاء في قضية الحنفية وعدم التقليد، تجعلها سنة مقابل بدعة؟! هذا ليس إنصافًا، هذا لا يسمى إنصاف أبدًا، ولا يقبل منه.

جماعة التبليغ، هل تريد أن نفتح بابها فيما عليها وما لها، هذا جانب يطول، ولكن الذين يريدون أن يجعلوا جماعة التبليغ جماعة ضلال وجماعة خارجين عن الحق، وهي جماعة بدعة وضلال، لا، ليس من الآنصاف في شيء.

الذي نراه أنها جماعة ينقصها الخير الكثير، وتقوم بالخير الكثير، وجزاهم الله خيرًا، هذا الذي عندي.

ولو سألني شخص كما سألني هذا العامي في الخارج: أريد أن أتوب؟ أين تذهب به؟ إلى جماعة التبليغ، بعد شهر أو شهرين يرجع وإذا هو قد أطلق اللحية وكذا. ثم يراه أحد في المسجد، فيقول له:

أنت مع من؟ يقول: مع جماعة التبليغ، فيقول له: هؤلاء مبتدعون. السنة كذا وكذا، فيذهب بطريق أخرى، لكن من نظفه أولا؟!

السائل: شيخنا هناك كتاب مختصر حياة الصحابة، هو مجلد واحد، أخرج منه الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

الشيخ: يعني أنا لست متابع لهذا، لكن اطلعت على عناوين بعض التحقيقات، ولم أتبين منها شيئًا.

أنا أحب الكتب الأصلية، وقلما أطلع على المختصرات إلا إذا فقدت الأصلي، المختصرات هي صناعة معاصرة اليوم، يعني لو قلت لي: اشتر كتاب مختصر... تعبت من كثرة ما رأيت "اختصره ابن كثير!".

الكتاب مهم جدًا، وعظيم، وينبغي على المدرس الذي يدرس هذا الكتاب أن يكون طالب علم، ولو علق عليه تعليقات يسيرة بهذا المعنى على طريقة العلماء في سوق السير.. محمد بن إسحاق، ماذا فعل؟ أرسل كثيرًا، لكن لماذا كتبه؟ هل كتبه للحلال والحرام، أم كتبه سيرة؟ لماذا مدح الإمام مالك موسى بن عقبة؟ مع أن موسى بن عقبة أرسل الأحاديث، أحاديث محمد بن إسحاق في سيرته أسلم وأسند من أحاديث موسى بن عقبة، وسيرة محمد بن إسحاق كبيرة جدًا مقابل سيرة موسى بن عقبة، سيرة موسى بن عقبة صغيرة، وكان الإمام مالك يوصي الآباء أن يعلموا أبناؤهم سيرة موسى بن عقبة في البيوت لماذا؟ لأن هذا من المقاصد، لأن يعرف الناس تاريخ أهل الإسلام، أن يعرفوا السيرة، ماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم؟ أين كان؟ هذا أين تجده؟ لو أنت أردت أن تعلم ابنك سيرة النبي، هل تذهب إلى صحيح البخاري؟ لا تصلح، حتى يصل لبدر ويصل لأحد.. فلذلك هذه الكتب التي فيها السيرة تسمّح العلماء برواية بعض الأحاديث، لأنها تدخل ضمن السياق المقبول، ولأنها تشكل المعنى المطلوب من روايتها.

السائل: شيخنا بالنسبة لهذه النقطة، وهي التساهل في رواية السيرة، ذكرني بكلام عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم، يعني لا أتكلم عن سيرة حياة الصحابة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المغازي والسيرة النبوية بشكل عام، ونحن نريد أن نقرأها لنقتدي به عليه الصلاة والسلام، والاقتداء به عمل، والعمل يحتاج إلى حلال وحرام، وواجب ومستحب، يعني أحكام شرعية، فكيف نوفّق بين هذا الأمر.. أنا أشعر أنّ هناك نوع من الإشكالية، في أن أقتدي وأنا أنظر أنّ هذا كتاب لا آخذ منه الأحكام؟ لأنه لا يرقى لهذا المستوى!.

الشيخ: أنا ذكرت لفظا وسأذكر غيره، أريد أن أوسع الدائرة

المنهج الحديثي بالطريقة التي تستخدم الآن ليس فيه إلا البلوكات فقط، من غير فهم لموضعها من جملة الرواية، والصناعة الحديثية. أعطيك مثال: نحن طبّلنا كثيرًا لضعف حديث موطأ الإمام مالك أنّ عمر رضي الله عنه جمع الناس على عشرين ركعة.. انتبه للقضية كيف نتعامل مع الأمور لنخرج من هذا الإطار الذي أنت ذكرته، أو يعتبره الخصوم هو نقطة الإشكال. الإمام مالك روى الحديث في موطأه أنّ عمر جمع الناس على عشرين ركعة، فانتبه للرواية كيف تفهم!! جاؤوا وقالوا: هذا حديث ضعيف، لأنّه من رواية رجل لم يدرك عمر. أنا أسألك سؤالًا: تخيل نفسك أنت جئت إلى المدينة المنورة فلم تدرك عمر وقد مات، دخلت المسجد النبوي بعد سنتين، ووجدتهم يصلون عشرين ركعة، وسألتهم: يا ناس يا قوم لماذا تصلون عشرين ركعة؟ يقولوا: جمعنا عمر عليها؛ فهل روايتك مقبولة أم مردودة؟ هل تحمل معنى الدليل أو لا تحمل معنى الدليل؟ على الرغم أنّها في علم الحديث مرسلة.

حال يزيد بن مع عمر كحال بعض من أسلم في زمن النبي ولم يره. وتقول طارق بن شهاب لم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم، فحديثه مرسل لماذا؟ لأنّه لم ير النبي صلى الله عليه وسلم، فصار حديثه مرسلًا، لكن هل هذا إرساله مثل واحد من صغار التابعين؟! يمكن سمعه من تابعي، إلى تابعي، إلى صحابي.

القصد أنّه هناك أمور ثابتة ومقررة وبالرواية... أنا أسألك: شهرة بدر وما حدث فيها من أمور كلّية عامة هل تحتاج إلى رواية صحيحة؟ أم أنّها في مجملها يسوقها الناس أخبارًا تغلب وتكثر حتى تصبح

أقوى من رواية الفرد إلى الفرد.

الأذان، هل يحتاج الأذان –أنا أتحدث عن زمان ١٥٠ سنة بعد النبي صلى الله عليه وسلم، أو ٧٠ سنة– هل يحتاج إلى رواية؟ هل يحتاج اليوم أن تقول: راوي هذا الحديث ضعيف؟ ولو رواه ضعيف، ولكن هو في زمانهم لا يوجد له مخالف.

انتبه!! ما هي من أسباب المراسيل؟ وللذكر بعض أهل العلم يرى أصلا أن رد المراسيل بدعة. كمحمد بن جرير الطبري قال: أول من نفى المراسيل الشافعي، هكذا اتهم الشافعي، وهذا غير صحيح طبعًا، ولكن أقول لك كيف كان يفكر الأوائل.

من قضايا الرواية قصص وأعمال دخلت في القضية الكلية المنتشرة عند الأمة في مجموعها، فتدخل فيها الروايات، هكذا الناس كانوا يسوقونها ولا يأخذون منها، فإذا جاء رجل وقال: آخذ منها بالأحكام، نقول: توقف الأحكام لها طريقها. لكن لأجل هذا البناء البناء النفسي، الذي يتحدث عن كرم، عن شجاعة، عن حكمة، عن حنكة إلى آخره، هذا كان الناس يتسمّحون فيه، وهم أنفسهم إذا رووه لا يروونه على المعنى الآخر.

حتى ابن حزم، وحتى كل من كتب الآنساب، كأبي عبيدة القاسم بن سلام، كلهم أخذوها من ابن السائب الكلبي، وابن السائب الكلبي كذّاب في علم الحديث لكنّه في الآنساب لا أحد يجاريه. هذا الذي ذكرته في قضية العلوم واختلاف مراتبها.

إذن عليك أن تنظر ما هو المقصود منه، فتحقق له مقصده.

الآن هم وضعونا في أزمة: أنت إذا عملت، من قال لك أن تعمل مثله، هو أوصلك إلى قضية أن تكون شجاعًا، هذا الوصول أنت تقول النبي شجاع، هذه القصة أوصلتك إلى هذه المرتبة أن تكون شجاعًا ولم توصلك لتعمل حكما في قضية ما غير هذا الباب.

وهذه من القضايا التي زعموا بها أنّ الحديث الضعيف لا يقبل، بحجة: كيف تريد أن تنشّئ حديثًا

بلا اعتقاد، لأنه ينشّئ عملًا؟ نعم ينشّئ عملًا بلا اعتقاد، كيف ينشأ عملًا بلا اعتقاد في هذه الجزئية؟ هذا الحديث أنتج لديك الشجاعة. هذا الحديث باطل؟ هل قلنا أنه مكذوب؟ لا، قلنا: هذه رواية موجودة، وتحتمل هذا المعنى، وواقع الحال يحتملها، هذه الرواية دلتك على الكرم، هذه الرواية دلتك على حكمة النبي في التعامل مع الأمر، هذا الأمر موجود، وهو يدل على المعنى النهائي فيه، وأما قضية الأحكام في الحلال، والحرام فهذه قضية أخرى.

إذًا يا سيدي، ما يوصل إليه هذا الحديث غير المنكر من معانٍ، هذه قضية اعتقادية ومطلوبة ومهمة جدًا، ولأنّ الصحابة علموها، والتابعون علّموها لأبنائهم، وهكذا بقية العلماء، فنحن نبقى على طريقتهم، أرجوا قد أكون قد أجبت في هذه النقطة.

السائل: يوجد في كتب المتقدمين من ذكر السيرة الصحيحة فقط؟

الشيخ: لا، كتاب سيرة واقتصر على الصحيح، هذه بدعة جديدة أنشؤوها لنا، صحيح السيرة النبوية!!

كمن أنتج لدينا صحيح الأدب المفرد.. الإمام البخاري أليس قادرا على إنشاء كتاب أدب مفرد صحيح على شرطه في البخاري؟!! يستطيع أم لا يستطيع؟ يستطيع؛ إذًا لماذا توسع فيه؟!! آتوني.

من مهمات تدريس طلبة العلم في علم الحديث، وكنت أظن أنّ القضية مقررة فكنت أقولها من قبيل أن نمشي فيها لغيرها، فتجد الطلبة ينظرون لبعضهم بعضا، وتجدها غير مقررة، تقول له: أنت تعرف أن أبا داوود في علم العلل أعلم من الإمام مسلم؟ هو فورًا يتوهم: سنن أبو داوود أفضل من صحيح مسلم!! الإمام أبو داوود في علم العلل أعلم من مسلم، هذا مقرر عند أهل الصنعة، فلماذا يأتي بكتاب لم يشترط فيه ما اشترط فيه مسلم؟ لأنّه لم يرد ما أراده مسلم، ولو أراد كتابًا كما أراده مسلم لصنع صنيعًا أشد من مسلم وأكثر دقة منه، لأنّكم تعرفون كم انتقد على مسلم من قبل الرازيّين ومن قبل أهل الحديث وعلماء الصنعة. لكن الناس يظنّون أنّ الكتاب الذي فيه الضعيف إنّما نشأ لضعف واضعه في

العلم، بالله عليكم صحيح أم غير صحيح هذا المعنى؟ موجود أم غير موجود؟ يعني لو سألت أنصاف طلبة العلم، لأنّ العلماء يعرفون هذا، قلتَ لهم: من أقوى الإمام مسلم أم أبو داوود في الحديث؟ يظنّون أنّ الإمام أبو داوود أخطأ في أحاديث الضعيفة بسبب ضعفه، هكذا يظنّون. حتى أحدهم مرة كتب شيئًا، الدارقطني انتقد حديثًا في مسلم، كعادته في الإلزامات والتتبع، وكذلك في كتابه العلل موجود انتقادات لبعض الأحاديث في الصحيحين، فقال: بدل أن ينتقدهم يروح يشوف حاله في كتابه السنن!!، هذا معنى كلامه وهو لا يعرف أصلًا أن الإمام الدارقطني كتب كتابه من أجل أن يجمع فيه الأحاديث المعلّلة في الفقه، يعني هو أراد الأحاديث المعلّلة.

الذين جمعوا صحيح السنة اليوم، القدماء لا يعرفون..

السيرة النبوية لا يشترطون لها ما يشترطون للأحكام ولما يشترطون للفقه...... أرجو أن تكون قد وصلت هذه القضية، مع اهتمامكم بها.

بارك الله فيكم إخواني، وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

في نظريات التغيير

للأستاذ منير شفيق

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الثامن والثلاثون

تاريخ المناقشة: ٢٣ تموز ٢٠١٦.

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدىً وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم.. آمين آمين.

أهلًا وسهلًا بالإخوة الأحبة مع الكتاب الثامن والثلاثين، وهو كتاب "في نظريات التغيير" لمنير شفيق.

هذا الكتاب، قد يكون الحديث حول هوامشه ومؤلفه الكثير من الكلام، قبل الخوض في هذا الكتاب، في الخصوص وما فيه من منهج وطريقة تحليل يتبعها الكثير من أمثال الأستاذ منير شفيق.

أولًا: أُريد أن أُعرف بمنير شفيق لمن لا يعرفه.

منير شفيق نصراني من القدس، نشأ نصرانيًا من أبوين نصرانيين من القدس، لكنه بعد أن نما وترعرع صار ماركسيًا ماويًا، والفرق ليس كثيرًا بين الماركسية اللينينية والماوية، أهم الفروق بين الماركسية الماوية واللينينية، تعرفون الماركسية هي عقائد. ولكن الماركسية كانت فقيرة للأرجل، ماذا يُقصد بالأرجل؟ طرق تطبيقها، كيفية إعمالها على الأرض.

وإن كان ماركس يؤمن بالعنف، ويرى أن العنف داية التاريخ، الداية التي يتولد منها التاريخ.

ولكن كيفية التعامل معها؟ هنا اختلف، فجاء لينين وطرح نظريته الثورية التي فيها الأممية، يعني كان يرى لينين ضرورة الثورية الأممية، وطرح قضية حرق المراحل، كيف نقصد بحرق المراحل؟

كان ماركس يرى بأن الشيوعية يجب أن تمر في أطوارها التاريخية، الحتمية التاريخية، من خلال الديالكتيك، من خلال الجدل، من خلال التناقضات التي تنشأ في داخل المجتمع.

فلينين يرى أن يُسارع قبل أن نمر بالماركسية، ثم الاشتراكية، ثم الشيوعية، بل ننتقل من الماركسية إلى الشيوعية مباشرة مثلًا! ولماذا نضطر أن نمشي في هذه الخطوات.

ماو هو الزعيم الصيني، ولينين هو الزعيم الروسي، الذي تحول بعد ذلك إلى الاتحاد السوفييتي. النظرية الشيوعية واحدة، ولكن الأسس العملية تختلف عند الاستراتيجيات أو التكتيك.

فأهم الفروق أن الماويين أتباع سيدهم ماو يرون أن الماركسية اللينينية هي ماركسية إمبريالية جديدة، هي إمبريال جديد، ماذا يعني إمبريالية؟ استعمارية جديدة.

وهذا أساس مهم جدًا، يقول: بأن الروس يستخدمون الشيوعية من أجل سيطرتهم على العالم، وهذا يقوله منير شفيق في أحد كتابيه -أنا لا أذكر لأني قرأت كتابين معًا، الكتاب الأول وهو "الإسلام وتحديات الآنحطاط المعاصر" والكتاب الثاني أظن "الإسلام ومعالم الحضارة" أو هكذا. وهما أول كتابين أصدرهما تقريبًا من أجل شرح توجهه الإسلامي الجديد، فيقول هذا، وهذا يقوله قديمًا، وقد قرأت هذا الكتاب قديمًا يعني هذا الكلام قبل ثلاثين سنة ولم أعد قريبًا إلا إلى كتابه الإسلام وتحديات الآنحطاط المعاصر، والكتاب الثاني لم أعود إليه مع قراءتي القديمة له- فالأستاذ منير شفيق، يقول: بأن الماركسية اللينينية هي إمبريالية تريد أن تسيطر على العالم، أي يريد الروس أن يسيطروا على العالم من خلال الشيوعية.

وهذا كان خصوم الشيوعيون الماركسيون وهم الأكثر في عالمنا العربي، لكون أنه هو الحزب المدعوم، ماو لا يتدخل في أي حزب بالعالم، هو حر يقول: ليس لنا دخل فيه، يريد الاستشارة نعم. ولكن لم يفتح مؤسسات تدريبية للشيوعيين، لم يرتبط بأي حزب ماوي خارج إطار الصين، فبقي اقتصاره على الإمبراطورية الصينية، مع كل مآسيه. هذا لا يعني أنه رجلٌ جيد، هم قتلوا عشرات الملايين من المسلمين التركستانيين، تركستان الشرقية دمرها الصينيون الشيوعيون، لكنه لم يكن له اهتمام خارج الصين، ولذلك الاشتراكية أو الشيوعية أو الماركسية الماوية لم يكن لها انتشار كبير لعدم الدعم.

وعامة الأحزاب الشيوعية في العالم الإسلامي كانت تتبع مطر موسكو، لأن خصوم الشيوعيين كانوا يقولون: إذا أمطرت في موسكو حمل الشيوعيون في العالم العربي المظلات! يعني هم يعيشون هناك وليس هنا.

فهذه الفكرة هو شرحها في إحدى كتابيه: أن الشيوعي الماركسي اللينيني إنما هو عبد ومأجور وعميل لإمبراطورية ذات قومية روسية، ولكنها تتستر بالشيوعية.

وخلال الاختفاء قرأت كتابا عجيبا، أتمنى أن أتذكر اسمه، لأحد المنشقين الألمان الشرقيين، تعرفون أنه بعد الحرب العالمية الثانية، وصل الجيشان السوفييتي وقوات الحلفاء إلى برلين، والمعلومات التاريخية تقول بأنه تقدم جيش الحلفاء قبل أسبوع ولكنه وقف على أسوار برلين، حتى جاء الجيش السوفييتي ودخل برلين وأخذ القسم الأكبر منها ثم دخلوا.

وهنا لا يوجد أي تفسير لماذا تأخر دخول جيش الحلفاء بعد الجيش السوفييتي.

القصد أن برلين قُسمت، فصار القسم الشرقي تابعًا للاتحاد السوفييتي، وصار القسم الغربي تابعًا لحلف الناتو والمعسكر الغربي.

هذا المنشق الألماني الشرقي هرب! كان وزيرًا تعددت مناصبه، وألف بعد هروبه كتابًا عن هذه النظرية -أنا أشرح فقط ما معنى كلمة ماوي، يعني لا تعلق لها بهذا الكتاب، ولكن لها تعلق بشخصية الكاتب- وشرح هذه النظرية شرحًا موسعًا بأن الشيوعية هي مجرد ستار للقوميات، وهي إمبريالية. والدليل، يقول: إن ألمانيا الشرقية كانت مجرد مزرعة خلفية وحديقة خلفية للاتحاد السوفيتي ولا قيمة لنا. الألمان لا قيمة لهم أمام العرق الروسي الأبيض الذي يُسيطر على الأحزاب الشيوعية.

وبالتالي منير شفيق مرة تعرض لاغتيال وهو يلقي محاضرة، كما أخبرني بنفسه، وصار لنا لقاءات معه، ربما أعرج عليها إذا كان هناك ثمة فائدة نتكلم عنها، لكن صار بيني وبينه حوار مباشر وكلام، وزارني في البيت، والتقيت معه في أماكن أخرى.

فالحديث يتعلق بما يُسمى بسرايا الجهاد إذا تذكروها قديمًا، فتعرض لاغتيال من قبل الشيوعيين الماركسيين اللينينيين، لأنه كان يرفض الهيمنة الإمبريالية الروسية التي تريد أن تتخفى وتركب على حمير الشيوعيين العرب التابعين لها.

هو كان نصرانيًا كما قلنا، ثم تحول إلى ماركسي ماوي، وألف كتبًا في هذا، ومن ذلك له كتاب في " فن الحرب" وهو موجود مطبوع ومتداول، له كتب تتعلق بالديالكتيك وتتعلق بالثورات إلى غير ذلك، وكان مدير مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، ويعني قريب جدًا من عرفات، وأظن أنه إلى وقت قريب كان يتلقى الرواتب من المنظمة، قبل أن تُقطع عن الجميع.

وكان هذا الرجل بهذا الاتجاه، وكان عضوًا في حركة الفتح، وعضوًا في المجلس الوطني الفلسطيني، حتى أنه يقول في تقريبًا سنة ألف وتسعمئة وستة وسبعين، وهذا وقت مُبكر.

ظهرت النتائج بعد الثورة الإيرانية، لكن قبل الثورة الإيرانية، يقول: أنه قبل الثورة الإيرانية صارت له دراسات مع مجموعة من الناس، حول كيفية إيجاد نظرية ثورية من داخل الثقافة العربية.

هو يقول: بدأت الدراسات –أنا فقط أُعرّف كما يقول، وليس عندي معلومات عن هذه الحقبة، عندي معلومات عما يليها، عندما أصبح ما يُسمى بكتيبة الجمرق ودخل فيها، عندي بعض المعلومات حول هذا.. يقول أنه صارت هناك ثمة نقاشات عميقة مع مجموعة من الشيوعيين، المنطلق ما هو؟

مادام أن ماو يقول اتركوا الناس وخياراتهم. فهم بدأوا: كيف ننتج النظرية ذاتية المنبت؟ أي عروبية المنبت! وبالتالي لابد من العودة للإسلام، لأنه هو المؤثر.

وهنا يأتي ما أحذر منه دائمًا من قضية الإسلام النافع، لأن هناك من يأتي ليستغل الإسلام لا ليؤمن بالإسلام!

الذي يتميز به فيما يقول هو –وإن كان الآن سأذكر أن له خصوم أشداء، حتى إن رابطة أُدباء بلاد الشام جعلته في قائمة العار! وهي قائمة أصدرها مجموعة أُدباء الشام في من ناصر بشار ضد الثورة،

وهم وضعوه، وأنا حاولت أن أتتبع أقواله هل هو كذلك؟ فلم أجد الحقيقة شيئًا صريحًا يقوله في هذا.

بل له كلام يميل إلى المصالحة، كما هو نظريته في هذا الكتاب، يميل إلى إمكانية التوافق الإسلامي القومي، وسآتي إن شاء الله إليه، لأنها تعبر عن طريقته ومنهجه في العمل الإسلامي، كما صار إسلاميًا بعد ذلك.

المهم، أعود وأقول: القضايا كيف تنامت عندهم. يقول: بأنه صار هناك ثمة حوار داخلي بين مجموعة من الشيوعيين الماويين، لأنه ليس هناك ثمة نظرية عالمية ماوية يمكن أن تتطبق، والماوية لا يؤمنون بهذا، وليسوا إمبرياليين ولا استعماريين، فبالتالي يريدون أن ينتجوا إنتاجًا ذاتيًا، فوجدوا أن الإسلام هو المحرك.

هل وقف منير شفيق عند هذه المحطة في كون الإسلام يمكن أن يكون نافعًا؟ أم أنه تخطاها؟ ولكن هل هذا التخطي كذلك كان تخطيًا كليًا أم جزئيًا؟

ما هو التخطي؟ ما هي النقطة؟ إن الكثير من الناس يستخدمون الإسلام ولا يؤمنون به، أو أنهم يستخدمون الإسلام ويؤمنون به بمقدار ما يستخدمونه! يعني يقولون الإسلام ثوري، فإذن هم يؤمنون بالإسلام الثوري فقط، ولا يهمهم غير ذلك. يقولون الإسلام اقتصاد، يقولون الإسلام تحرر! فيأخذون هذا الجزء من الإسلام يؤمنون به، وبعضهم قد لا يؤمن به، ويستخدمه من أجل مقاصده، كما أنه ورقة من ورقات المجتمعات التي ينبغي أن يتعامل معها.

وهناك -هذه ليست في المسلمين على فكرة- هناك من المفكرين من يرى أن لا تُجابه الأديان لأنها جزء من تركيبة الإنسان، بغض النظر إن كانت صوابا أو خطأ، وهذه نظرية وجودية. يعني الفلسفة الوجودية تقوم في بعض أجزائها على هذا المعنى، وهو ترك المرء على ما هو عليه، واستغلال مصادر القوة فيه، إذا كان الدين من مصادر قوته يجب أن نستغلها. ونظروا إلى أن الدين هو عاملٌ تاريخي في حركة الإنسان، إذا يجب أن نتعامل مع الدين كأمر واقع، لا ينبغي أن نتعامل بالصدِّ ولا بالضدِّ، بل

يجب أن نتعامل من خلاله، لأنه جزءٌ من وجود الإنسان. مع أنهم لا يؤمنون بالأديان، فهذه ليست قضية خاصة بالمسلمين، يعني ليست قضية داخل المجتمعات الإسلامية، قضية أكبر من ذلك.

وأنا ذكرت لكم في كتاب "مذبحة التراث" مع جورج طرابيشي، أنه كشف هذه المسألة، عندما قام الشيوعيون الروس بمراجعات: هل نلغي التاريخ الروسي أم أن نستغله؟ تذكرون هذا المبحث.

ووجدوا أن تدمير التاريخ... هم روس في النهاية، في عظامهم هم روس وقوميون قبل أن يكونوا شيوعيين.

وللذكر فقط أريد أن أقول كلمة على الهامش، وهي مهمة جدًا: كل الذين دخلوا هذه المذاهب القومية واليسارية كلهم دخلوا ومعهم تاريخهم، إلا المسلم السني! كل الذين دخلوا دخلوا وفي داخلهم البقاء على ما هم عليه! يعني الرافضي دخل رافضيًا، والدرزي دخل درزيًا، والنصراني دخل نصرانيًا، من الذي تخلى عن دينه كليًا وصدق اللعبة؟ هو السني فقط! والدليل: أننا نرى في هذا الواقع كل الذين كانوا ينادون بالثورية والقومية وما شابه ذلك، كلهم عادوا إلى منابتهم الأولى، إلا السني بقي حمارًا، تخلى عن دينه وبقي على جهله، وظن أن المسألة حقيقية وأن هناك دين جديد اسمه "القومية" أو اسمه "اليسارية" أو "الناصرية"، وإلا فكلهم عادوا إلى دينهم، النصراني عاد إلى دينه، الدرزي عاد إلى درزيته، النصيري البعثي عاد إلى نصيريته.

نعود إلى المسألة الذي نحن فيها، فقط هذه على الهامش، وهي تحتاج إلى مبحث خاص.

أعود فأقول: هذا العودة إلى التراث مارسه مسلمون، يعني حسين مروى أراد أن يقرأ التاريخ الإسلامي قراءة مادية! وهكذا فعل عابد الجابري -هو يساري وكان شيوعيًا، ثم تحول إلى قومي، كما هذا الأستاذ تحول في وقت من الأوقات إلى قوميته.

السؤال: هل تجاوز منير شفيق تجاوز هذه القنطرة؟ يقول هو في إحدى حواراته: بأنه وجد أن العودة للإسلام لا يمكن أن تكون بلا عودة إلى منطلق الإسلام، يعني لا يمكن أن نثور الإسلام تثوريًا حقيقيًا

في داخل الأمة، حتى نعود إلى أس ما يثور به الإسلام وهو "العقيدة". فقال: تجاوزنا هذه النقطة، يعني: هل نريد أن نتعامل مع الإسلام باعتباره نافعًا أم نعود لعقيدته التي تنفع هذا النفع الذي ينتج منها؟ فقال: عدنا، ثم قال: بعضنا لم يتجاوز هذه القنطرة بقي للإسلام النافع، يتحدث عن مجموعة. ثم رأى أن مجموعةً تطورت أن دخلت الإسلام عقيدةً! وهو يقول: وجدنا –يتحدث عن شخصية مثلًا في داخل المجموعة التي يتحدث عنها– وجدنا أنه لا يمكن أن ننتفع بالإسلام عقيدة حتى ندخل به عاطفةً. فيتحدث أن بعضهم يقوم الليل ويبكي مع القرآن! يعني تماهى مع الإسلام كليًا.

تحول هذا الشخص من نصرانيته التي نبت عليها، والنصرانية لا تملك عقيدة، العقيدة النصرانية عقيدة مشوهة، وأنا دائمًا أقول: هناك دينان لا يمكن لعاقل أن يتبناهما إلا بإلغاء عقله: النصرانية والرافضة، لا يمكن حتى يلغي إنسانيته فيمكن أن يقبل إحدى هاتين العقيدتين.

طبعًا وصل الأمر إلى أن قامت الثورة الإيرانية، والثورة الإيرانية تاريخيًا أحدثت هزة كبيرة في داخل صفوف العالم الإسلامي كثيرًا، والغربي، يعني صار هناك ثمة حديث عن إسلام ثوري، صار حديث عن إسلام يمكن أن يرث!

بغض النظر–الناس هناك لا ينظرون هذا رافضة أو كذا! ينظرون إلى الصورة والدعاية أن هناك شخصية ذات لحية بيضاء تلبس العمامة يمكن أن تقود الجموع إلى التغيير وإلى الثورة.

يعني لا تنظر إليه الآن مدح أم ذم! انظر إلى المراقب الخارجي: أن في الإسلام يمكن لشخصية، لحية، وشيبة، وعمامة، ويلبس جبة وقفطان، يمكن أن يكون إمامًا لثورة، ولتغيير وانقلاب.

فإن الكثير من هؤلاء الذين منطلقاتهم في الحكم على الأفكار منطلقات ثورية، رأوا أن الإسلام يمكن أن يحقق هذا، بعد ذلك اختيار أي إسلام، لا يعنيهم، المهم أن الإسلام يمكن أن يُحقق هذا.

فهناك مجموعات يسارية رجعت إلى الدين من خلال هذا المنطلق، هناك دراسات سابقة خاصة لهم لكنها التقت مع هذا اللقاء التاريخي الذي حدث من خلال ثورة الخُميني.

منهم أُناس ينتمون لحركة الفتح مع يساريتهم، هناك كتيبة مشهورة كانت في الجنوب اللبناني تُسمى كتيبة الجمرق تبنت هذا الفكر، وكل قادتها قد قتلوا، عملوا عمليات نوعية منها معركة الدبوي الشهيرة في الخليل، ومشهورة هذه، يمكن أن ترجعوا لها وتقرؤوا تفاصليها، عملية عجيبة جدًا عملوها!! وعملوا عمليات مهمة في داخل فلسطين، ولأهميتهم لاحقتهم إسرائيل واحدًا واحدًا وقتلتهم جميعا، قتلت جميع القادة!

من الذين اتخذوا قادة روحيين لهذه الكتيبة "منير شفيق" من خلال هذه الرؤية.

يعني لنصدق ما يقوله، لكن سنحاسب التحولات التاريخية بالنسبة له لأنها جزءٌ من هذا الكتاب.

فبعد أن تم هذا بدأ إنشاء ما يُسمى بسرايا الجهاد، قام هو على بعضها ورعايتها، دخل فيها من يؤمن بالإسلام إيمانًا ظاهرًا لكن لم يتعمق في الإسلام، هناك بقاء لتشوهات تاريخية موجودة في داخلهم، لكنهم آمنوا بأننا نريد أن نرفع رايات حقيقية مقاتلة في داخل فلسطين إسلامية، بغض النظر عن نوع الإسلام الذي يتبنوه.

ومن هنا نشأت ما يسمى بسرايا الجهاد، وانتشرت، وكونت جماعات كثيرة تحت سرايا الجهاد باسم معين، سرايا جهاد بيت المقدس مثلًا، سرايا جهاد بيت المقدس الذي تبناها هو الشيخ أسعد التميمي، كان هناك أسماء كثيرة، واحد من دار سربل كذلك أنشأ سرايا جهاد خاصة بهم. وكذلك هم أنشأوا سرايا الجهاد، وصار لهم نشاط في هذا الاتجاه ثم بعد ذلك انتهت، لأنها هذه السرايا كلها بلا استثناء كانت مدعومة من قبل عرفات ماليًا، وعرفات ذكي في هذا، لا يحب الناس أن يبتعدوا عنه، حتى لو خالفوه. حتى منير شفيق أنا أظن بعد انتهاء عرفات وانتهاء سلطته المالية توقفت الأجور الشهرية التي تُدفع له ولغيره.

طبعًا فقط للمعلومة: منير شفيق زاربي ضمن هذه الفترة التي نشأت فيها سرايا الجهاد والدعوة إليها، وزار أُناسًا كُثر، ودعم الاجتماعات هو وغيره، يعني كان من الذين يدعون لها -تستغربون-، وليد

سيف، وليد سيف الذي يكتب الكتابات الدرامية التلفزيونية التاريخية الشهيرة، منها: سقوط قرطبة، منها التغريبة الفلسطينية، يعني أنا لا أعرفها ولكن أقرأ في الجرائد وكنت في السجن متابعا لهذا الأمور. فهو كتب في الدراما، وكان كذلك ضمن هذا السياق الذي تحدثت لكم عنه.

الآن كيف نرصد ظاهرة منير شفيق؟ كان نصرانيًا صغيرًا، عرفه الناس ماويًا، ملتصقًا بعرفات، قريبًا من فتح، يحمدونه ويذمونه على طرائقهم، ثم تحول إسلاميًا، والغريب في التحول الإسلامي كعادتنا أننا تلقيناه قائدًا ومفكرًا. يعني هذه ظاهرة موجودة، تلقاه الجسم الإسلامي بكل ما فيه تلقاه قائدًا مفكرًا، والدليل أنه الآن هو عضو اتحاد علماء المسلمين الذي يرأسه الشيخ القرضاوي. وكان مُنسقًا عامًا، أو أمينًا عامًا –لا أذكر– لما يسمى بالتقارب الإسلامي القومي.

وهذا الكتاب أنا قرأته قديمًا، ونظرت إلى تعليقاتي وجدتها قاسية، فقرأته قراءة جديدة، فربما اعتذرت، ولكني في النهاية وجدت هذا الكتاب الذي بين أيدينا، هو في الحقيقة هو تمهيد أو صناعة فقهية للتقارب الإسلامي القومي.

ما منطلق التقارب الإسلامي القومي؟ ما المقصود بالقوميين؟ المقصود بالقوميين هم الذين رفعوا هوية جديدة للأمة بدل هوية الإسلام، هي الهوية القومية، والأصل بناء الأمة (وأن هذه أمتكم أمة واحدة)، فهذه الأمة هي أمة الإسلام، منطلقها هو الإسلام. فجاء هؤلاء ورفعوا هوية جديدة للأمة، هي هوية القومية!. ما هي عماد الهوية القومية؟ فقط شيئين، عمادها شيئان: الشيء الأول: اللغة، وثانيًا: التاريخ، الاتفاق التاريخي لمجموعة من الناس أنهم يعيشوا ضمن سياق تاريخي واحد، والدين ليس من أركان الأمة، تكوين الأمة ليس من أركانه الدين! لكن مجموعة من القوميين لما رأوا انحسار التيار القومي بدأوا يغازلون التيارات الإسلامية الصاعدة.

نحن نعلم أن التيار القومي اكتسح الساحة، يعني البعثيون والناصريون هم الذين كانوا يحكمون الشعوب في أفكارهم، ودعاياتهم، وإعلامهم، وشخصياتهم، يعني إذا نزلوا للانتخابات في أي بلد، من الذي ينتصر؟ القوميون. الناصريون من يستطيع أن يبدأ يقف أمام عبد الناصر وأتباعه والأحزاب التابعة

له؟ لا أحد. فهم كانوا يحكمون الشارع، وبعد الـ ٦٧ بدأ الفكر القومي ينحسر، ومن الذي بدأ يتصدر المشهد؟ الإسلاميون، فلا بد من التقارب.

هم يحملون الفكر القومي النقي المتمثل بالنخبة، وأما القادة الإسلاميون فهم أغبياء، وهذا أنا أراه في كلماتهم، وكنت أجمع في هذه المكتبة التي أنتم فيها، يوجد عدة كتب وهي تقريرات المؤتمر القومي الإسلامي. بحضور -للأسف- شخصيتين كبيرتين في داخل التيار الإسلامي لهما الحضور الأكبر فكريًا واجتماعيًا، اجتماعيًا: الشيخ يوسف القرضاوي، وفكريًا: راشد الغنوشي.

يعني دائمًا لهم حضور في داخل التيارات، ومرةً كتبت في إحدى المجلات نقدًا لهذا الإجرام الذي مورس دينيًا بأن المشايخ قبلوا في داخل المؤتمر -أول مؤتمر نشأ على رأسهم الشيخ يوسف القرضاوي، ومعه راشد -باعتبار أنه ينفذ نظريته، التي سنناقشها في كتابه إن شاء الله "الحريات العامة في الدولة الإسلامية" أنه يريد أن يتبنى الإسلام باعتباره مبادئ وليس باعتباره أحكام. يعني الإسلام ما مبادئه؟ مبادئه العدالة، الحرية، احترام حقوق الإنسان، فإذن هذه المبادئ هي التي نجتمع عليها نحن والخصوم ولا ضرورة في النظر إلى الأحكام، ما هي أحكام الإسلام في تحقيق الحرية، هذه يختلف عليها الناس، لكن كلهم يتفقون عليها.

فقبل المشايخ وممثلو الفكر في العالم الإسلامي هذا التنازل الخطير، العالم كله متفق على أن العدالة حسنة، وأن الصدق حسن، وأن الحق حسن، لكنهم يختلفون في ما بعد ذلك من تعريف الحق، ما هو الحق؟ ما هي العدالة؟

القصد: بأن الفكر القومي يؤمن بهذا.

ما الذي حدث بعد ذلك؟ لما خسر القوميون الساحة، ومصائبهم من خلال القيادات القومية في العالم الإسلامي التي صنعت الأعاجيب من المآسي -جمال عبد الناصر هو الذي حقق الهزيمة للأمة، هو الذي دمر الأمة، حتى أنه لم يُحقق أدنى درجات الحرية التي يدعو إليها، يعني تاريخ عبد الناصر الدموي

في داخل الأمة، وتاريخ عبد الناصر الخارجي في قضية الحروب التي خاضها تاريخ مُخزٍ.

التيارات القومية انحسرت عنها الأمة وابتعدت عنها الأمة، فإذن لابد من اللحاق.

القوميون يؤمنون أنهم أصحاب فكر مميز، والحقيقة أن التيار القومي أنشأ مجموعة من أصحاب الألسن والتقويمات الذكية العقلانية، وبنوها بناء محكمًا. فنظروا إلى المشايخ، الشيخ يصعد إلى المنبر، أمامه جموع من الناس يسمعون له وهم مأسورون له، ولكنهم ينظرون إليه نظر الاحتقار أنه شيخ لا يملك فكرًا، مجرد أنه شيخ يتكلم على المنبر فينأسر له الناس، فإذا هذا يمكن أن نديره من الخلف بفكرنا الذكي المميز.

هم أصحاب فكر، وسياسة، وفلسفة، ورؤية.. وهذا حق!.

والحقيقة أن أكثر من كتب من المعاصرين فكرًا هم "القوميون"، يعني كم نرى نحن من الإنتاج الإسلامي؟ القوميون البعثيون، والناصريون، وأتباعهم وهكذا، أنتجوا كتبًا عجيبة جدًا، وصارت أسماؤهم كبيرة، يعني لو نظرت إلى الأسماء الضخمة التي ملأت التربية، الاجتماع، السياسة، الفكر، التاريخ.. عبد العزيز الدوري انظر إليه ماذا يكتب عن التاريخ الإسلامي، له إنتاج واسع عجيب جدًا.

الذين كتبوا في السياسة، الذين كتبوا في الفكر، هم القوميون. فهم ينظرون إلى أنفسهم أنهم نخبة، ونخبة مميزة، وينظرون أن الشيوخ هم الذين يقودون الجموع الساذجة والدهماء! فكيف نصنع؟ لندخل عقول هؤلاء القادة ونحركهم، فذهبوا إلى داخل التيارات الإسلامية ودعوا إلى ما يُسمى "الفكر الإسلامي القومي" أو "التعاون الإسلامي القومي"، وأنتجوا مؤتمرات القيم عليها شخصية خطيرة جدًا، وأنا قابلته وناقشته، وهو خير الدين حسيب.

هذا شخصية صدام حسين يحترمه جدًا، وصار بينهما خلافات، ولكن من احترامه له، والحق أنا قرأت لهؤلاء ورصدت ظاهرة هؤلاء، لا يوجد له مثيل في الساحة بقوته.. وأنا أظن أنه مات، وربما شُل يعني كبير في السن ولا يستطيع الحراك.

خير الدين حسيب هو الذي أنتج مؤسسة الدراسات العربية، وهو كان قائمًا على المؤتمر القومي، وداعمًا للمؤتمر القومي الإسلامي، وهو عراقي وكان قريبًا من صدام، ولكن صدام ربما خاف منه لذكائه، وهو لا يملك شخصية اجتماعية شعبية لكنه عجيب. فنُفي بالترقي لما يملك من قدرات إلى لبنان، وهناك أنتج هذه المؤسسات وهذه الكتب التي أنتجتها الدراسات من ورائه.

ولما التقيت معه في أُكسفورد، كان هناك مؤتمر عن "لماذا يرفض الإسلاميون الديمقراطية" وحضر، وكان من النقاش هذا الذي أحدثكم عنه، بيني وبينه هذا غير النقاش في: لماذا يرفض الإسلاميون الديمقراطية، كون أنه لا يرفضها إلا السلفيون، فكان لابد من استدعاء واحد له هذه السمة، لكن لا يستطيع أن يتكلم، ولكنه يُراقب ويناقش، وهو العبد الفقير. فلما صار الحديث شددت عليهم في الحوار.. وبعض الإسلاميين نافقوا القوميين نفاقًا سيئًا في الجلسة، ومن ثم أخذني بعد انتهاء الجلسة، طلب وجلسنا وتحدثنا بحضور برهان غليون –وأنا أخترت له كتاب في قائمة الكتب اسمه "اغتيال العقل" إن شاء الله عندما نحضر إليه نتحدث عنه– وكان مما قلته هذا الذي أقوله لكم: أنتم تؤمنون بأن تمتطوا الإسلام ولا تؤمنون به! وإذا وصلتم ستقتلون المسلمين كما قتله أسيادكم، يعني ستكررون تجربة عبد الناصر، تجربة حافظ الأسد، تجربة صدام.. هذه التجارب الدموية التي مارسها القوميون! ولكنكم جئتم إلى الإسلام وأنتم لا تؤمنون بالدين أنه من مكونات الأمة!. فاستدرك عليَّ قال: هذه أفكارٌ قديمة قد تجاوزناها، يعني أفكار ساطع الحصري، ونحن نرى الدين الآن مكون.

ولكن كما ترون أنه مكون نافع، وليس هو الذي يُنشئ الأمة، بخلاف عقيدة المسلم في هذا الدين أنه هو الذي أنشأ الأمة! لم يكن هناك أمة مُعترف فيها، الإسلام سماها جاهلية! أي تكوين غير الإسلام اعتبروه تكونًا تكوينًا جاهليًا لا يعترف به، هم يريدون الدين على الطريقة التي قلناها.

أنا أعتقد أن هذا الكتاب–وقد نشر في طبعته الأولى في سنة ١٩٩٤–، أنه يريد أن يقوم على هذا.

ولكن لو أخذناه بغير هذه الأبعاد التي نحن فيها. يعني ما الذي يصنعه؟

لا أريد أن أقرأ لكم ماذا كتبت عنه لما قرأته أول ما وقع بين يدي، وأنا أتوقع في السنة التي خرج فيها الكتاب قرأته، وبين يدي الطبعة الأولى، لأنه طُبع بعد ذلك طبعات أُخرى.

أراد أن يُذلل الإسلام من أجل هذه القضية، بأي طريق؟ هذه الطريقة التي تُستخدم الآن، والمشايخ قد بلعوا الطُعم، وقادة الحركات قالوها قديمًا. قد يقول قائل: الآن تجاوزناها، لكن للأسف مازال البعض يحن إليها، ويتعامل بها، والدليل ما يحصل في تونس.

وما الذي يدعو إليه كذلك؟ هو نفس ما يقوم به منير شفيق في قضية إعادة المصالحة بين الإخوان وبين السيسي، هو يقوم على هذه الدعوة.

وكان له جهد هو وراشد الغنوشي، كل هذا يشرحه هذا الكتاب، لما ذهب إلى مصر وأراد أن يصالح -هو بالع الطعم منير شفيق أو بالع الطعم راشد الغنوشي أو كلاهما يلعب لعبة البيض والحجر، لا نعرف-

أراد أن يُصالح، تذكرون لما كان هناك في مصر في الانتخابات بين التيار الإخواني والتيار القومي المتمثل بحمدين صباحي، حتى إن بعض المسلمين دعا الإخوان المسلمين أن يسحبوا مرشحهم "مرسي" مقابل حمدين صباحي، بل إنه بعد أن لم يستطع أحد من المرشحين لا مرسي ولا أحمد شفيق أن يحسم، ما لم يُحضر حمدين صباحي الأصوات اللازمة في المصارعة النهائية، فطلب بعض المسلمين ومنهم منير شفيق ومنهم راشد الغنوشي، طلبوا من الإخوان المسلمين أن يتنازلوا عن المنافسة على الرئاسة، ويقدموا حمدين صباحي مقابل أحمد شفيق!

فيريدون أن يبقى الامتطاء القومي للتيار الإسلامي، ولم يستطع حمدين صباحي الذي كان يُمثل الناصرية.

مع كل إجرام نصر اللات وإجرام حزبالة، إلا أنه الأسبوع الفائت ذهب عبد المنعم بن فتوح، وحمدين صباحي، ذهبوا إلى جنوب لبنان وجلسوا في مؤتمر لنصرة الحزب الرافضي اللبناني الذي يقتل المسلمين في

سورية..

الراية المرفوعة في داخل سوريا الآن هي راية رافضية، ما الذي يُحضر الرافضي من أفغانستان ليقاتل؟ هل هي القومية، هل هي البعثية؟ ما الذي يُحضر الرافضي من العراق ليُقاتل في الشام؟ من الذي يُحضر الرافضي من حزب اللات إلى سوريا ليُقاتل، هل هو الفكر القومي؟ ومع ذلك ترى بعض القوميون عندنا يذهبون إلى بشار، يظنون أن بشار مازال يُمثل قومية!!

هذا يُكرس ما قلته سابقًا بأن أكثر الناس غباء هم السُني الذي تحول إلى غير دينه.

القصد: لما جرى الحوار مع خير الدين حسيب، وقال: نحن غيرنا، أنا بينت له: هذه ألعابكم، وساطع الحصري استبعد الدين ولا قيمة للدين، ولكن الآن لما فقدتم الشارع ولم يعد الناس تسمع بكم، من يسمع الآن بالفكر القومي؟ –لكن هم الذين قادوا في وقت من الأوقات الشارع، وهم الذين يقودون الجامعات!– ولكن لما لم يعد لكم شيئًا في الشارع، جئتم إلى من يقود الشارع لتمتطوه للوصول إلى أهدافكم.

ما يهمني أن أناقش الآن بعد بيان أجواء هذا الكتاب، وشخصية هذا الكاتب، أن ندخل في نقاش مع الكتاب نفسه في الطريقة التي يتعامل بها هذا الكتاب، لأنها هي الطريقة التي يتعامل بها عامة المسلمين.

وأنا قضية الهدف الوسيط، كنت أحب أن أعرف من أين أتت؟ والحقيقة أنهم تلقفوها من هؤلاء..

قبل أن أعود للكتاب أريد أن أقول: أليس من العار أن ينشأ المرء شيوعيًا، وينشأ ماويًا، وينشأ وهو لا يرى الإسلام، ثم بلحظة يأتي فيكون قائدًا؟ يعني هل هذا من الدين في شيء؟ هل هذا من الواقعية في شيء؟ هل هذا من احترام مراتب الناس في شيء؟ هل لمجرد أن يكون هناك ثمة رجل قائد في دينه ثم ينقلب فيأتي قائدًا في ديننا!؟ مع أنه –وهنا يوجد كلمة في داخل هذا الكتاب، لمن قرأه– هو يعتب على أُناسٍ يستخدمون الفكر الثوري العالمي، يعني يأخذون من جيفارا، يأخذون من ماو، يأخذون من

لينين، ويقول: مع أن كل ما فعلوه يمكن أن تجد له مثيلًا في تاريخنا من خلال السيرة النبوية خاصةً.

يعني إذا أخذنا هذا المنطلق ما الذي حدث؟ مع أنه في الحقيقة يحاول أن يكرس –وسنُبين منهجه في قراءة السيرة، وهي قراءة غريبة جدًا، وقراءة الصوفية...

هذا الذي يقوله في أنه يوجد مناهج، ولكن يوجد في السيرة مثلها، إذا هي قضية موجودة، ولكن عليك أن تأتي وتغطيها بثوب السيرة.. هذا هو الواقع!!

هو لا يقول بهذا، يقول السيرة غنية، ولكن عندما يقرأ السيرة حتى في ألفاظه يقرأها على الطريقة التي تُقرأ بها يساريًا.

بل أغرب من ذلك: أنتم تعرفون أن الصوفية في التاريخ... بعض الناس يظن أن امتطاء الإسلام شيءٌ جديد، وفي الحقيقة لا!

امتطاء الأديان في تاريخها هو شيءٌ قديم، يعني النصرانية امتطت اليهودية!

يقول عظماء مفكري وقارئي التاريخ اليهودي: إن أول من دمر الدين اليهودي هو "التأويل"!

التأويل على الطريقة الذي يمارسها المأولون في تاريخنا.

ما هو التأويل؟ لما أنت تأتي إلى الرازي مثلًا وترى أنه يقول: إذا تعارض العقل مع النقل...

هنا قبل أن نأتي إلى الخطوة التي يأتي إليها ليشرحها في كتابه الأربعين أو الأساس في التقديس: ما هو العقل؟ يعني لو سألت الرازي ما هو العقل؟ مقررات اليونان!. يعني لو سألته: من أين أتيت بأن هذا العقل هو برهاني ويقيني ولا يجوز نقده؟ هذا العقل الذي قاله أرسطو! هو ماذا صنع؟ جاء وأسبغ على العقل الأرسطي غلافا يسيرا من الإسلام.

أكرر وأؤكد: قضية امتطاء الأديان قضيةٌ قديمة، يعني أن تأتي إلى الدين فتأخذ منه ألفاظًا تُلبس معانيها، هي ألفاظ خاصة بواضعها! سواء كان هذا الدين بوضعه الإلهي أم الدين بوضعه البشري،

كالبوذية والكونفشيوسية.. لكنها شعبية، فيأتي هذا يُلبس الدين لباس ما يُفكر به!

هذا حدث في الصوفية! نحن لاحظ أن ما مارسه الصوفية من تأويلات قرآنية مارسه هؤلاء القوميون!

يعني أُعطيكم مثالًا غريبًا: ما هو التفسير الإشاري؟ التفسير الإشاري عند العلماء يُقسم إلى أقسام:

أولًا: إما أن يُفسر تفسيرًا باطلًا، بعيدا عن مراد الإله، والمعنى المراد منه باطل، يعني لما يأتي واحد يقول: ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلُ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم، قال: أصدق كلمةٍ قالتها العرب هذه الكلمة.

المعنى صحيح، والنبي أخذها على المعنى الذي وضعها (كل شيءٍ خلا الله باطلُ) على معنى أنه لا قيمة له، وإنما تكتسب قوته بقوة الله، وجماله بجمال الله، وحقه بحق الله فيه.

لكن لو جاء صوفي فحملها على المعنى الباطل! فيقول: ألا كل شيءٍ ما خلا الله باطلُ، يعني غير موجود، يعني لا وجود إلا لله.. هذا وحدة الوجود.

فهذا تفسير إشاري، لم يرده صاحبه! ولكن قال: هذا ما يريده مما يعلمه الخاصة.

ومن صور التفسير الإشاري أن يأتي إلى الآية فيحملها على معنى حق لا تريده. يعني أن تأتي إلى آية لا تريد هذا المعنى، لكن المعنى الذي حمله في تفسيره الإشاري هو معنى صحيح! ومثال ذلك عندما قال يعقوب عليه السلام لأبنائه (ادخلوا من أبوابٍ متفرقة) هذه آية لها معنى لا تخرج عنه، ولكنه مارس التفسير الإشاري تمامًا وقال: يمكن أن نستدل بهذه الآية على جواز تعدد المشارب في الوصول إلى الحق الواحد. المعنى صحيح، يعني يمكن للناس أن يبذلوا طرقًا متعددة في الوصول للحق من خلال النص، ولكنهم يصلون إلى حقٍ واحد، ولكن هذا ليس المراد من هذه الآية!

هذا من التفسير الإشاري.. رأيتم كيف امتطاء الدين؟

وعندما تُقرأ السيرة بالطريقة التي قرأها –لمن قرأ الكتاب– يرى أن هناك سيرة موجودة في ذهن المرء،

معروفة أصولها، ولكنها تُلبس بلباس ما سماه بالاستراتيجية والتكتيك، وأخذها وبنى عليها قصورًا من الأوهام!

أعود إلى منهجية الكتاب بعد هذا: أعطيكم فقط إشارة لما بنيت، أنا خرجت أن الرجل ماكر في القراءات الأولى له، ويمكن أن تكون قراءة شبابية قديمة، ولكن الآن أنا أؤمن أن هناك مكر. هل هو مكرٌ مقصود أم مكرٌ وقع من غير قصد صاحبه؟

ما ذكرته لكم من قضية الهدف الوسيط والهدف الكلي، مازال الآن يُمارس علينا، يعني الآن في الجهاد في بلاد الشام يدعو الدعاة إلى حمله على الهدف الكلي، علينا أن نجاهد من أجل إقامة دين الله. هذا الذي يحقق الشهادة، هذا الذي يحقق الإيمان، هذا يحقق الأجر، وهذا سنأتي على أخطائه العظيمة عندما يقولون: علينا أن نرفع الهدف الوسيط.

ويقولون: هذا الهدف الكلي، وهو ما يتعلق بالاعتقاد، ويتعلق بالتعبد، ويتعلق بالإيمان، ويتعلق باليوم الآخر، ويتعلق بالعبادة، هذا لو رفعناه له مشاكل، وعلينا أن نتفق على هدفٍ وسيط يوصلنا إلى الهدف الكلي.

لما أنت تقول لهم: قاتل لتكون كلمة الله هي العليا لتكونوا شهداء، فيقولون: لا، علينا أن نؤخر هذا، علينا أن نقاتل من أجل الهدف الوسيط.

ما الهدف الوسيط؟ علينا أن نرفع قضية تحرير فلسطين! هو يحب فلسطين كثيرًا كونه نشأ في حركات قتالية فدائية، وهذا الهدف الوسيط لا يمكن بلوغنا إلى الهدف الكلي حتى يتحقق الهدف الوسيط.

هذه نظريتهم، وهذه النظرية الآن تُمارس، هو يؤمن بها ولم ينشئها، ولكن أظن أن كثيرًا ممن يتعاملون مع الواقع الإسلامي يتنشقون، وهذا دائمًا أنا أقوله: ليست الخطورة في المفكرين، وليست الخطورة في المعتزلة، وليست الخطورة بالعلماني المتلبس لباس الإسلام، الخطورة أين؟ الخطورة في الشيخ عندما يرى

كلامًا جميلًا، ولا يعرف مبناه ولا يعرف أصله ولا يعرف كيف يأتي، وينتهي به إلى أن يأخذ الكلام فيلقيه ويبني عليه ويعلمه للناس، فحينئذٍ يأخذه الناس.

والدليل على هذا: أنه لم يكن للمعتزلة أن يُحدثوا أثرًا في الأمة حتى تبناه الفقهاء! وتبنوه تبنيًا إلهيا، حيث تحولوا إلى الأشاعرة، الأشاعرة هم هدفٌ وسيط بين المعتزلة وبين ما هي عليه أهل الحديث والسنة، ولم يكن لينتشر هذا الوسط الكلي الذي تحمله المعتزلة، بما حُمل من ألفاظٍ سنية ولكن بمعان اعتزاليه، لم يكن ليُحمل إلا من خلال الفقهاء.

فليست الخطورة من هذا، لأنه لا يستطيع أن يجلس في المسجد فيُعلم الناس، ولا يصعد المنبر فيعلم الناس، ولو قيل هناك محاضرة لهذا المفكر فربما يحضر مائة شخص لهم اعتناء بالفكر وتتبع الكتب وكذا..

لكن أين الخطورة؟ أن يجلس مع خمسة من أصحاب الطرابيش، فيمرر إليهم أفكاره من خلال ما يطرح، فيحملونها منهجًا فقهيًا، وتنظيمًا لجماعتهم.. هنا تكون الخطورة.

يقول: بأن الإسلام يملك عقيدة، وهذه العقيدة هي مُنطلق حركة المسلم في كل شيء.. هذه مقدمات كأنه يريد أن يوصلك إلى شيء جيد.

إياك أن تأخذ المنطلقات المتفق عليها، فقد تكون مقصودة لذاتها عند صاحبها، فيخطئ بعد ذلك في تمريرها، أو أنه يريد أن يضعها من أجل أن لا تقدح في أصل ما يقول.

يعني واحد يقول: نحن مسلمين (هذه القضية منتهين منها) ونحن نريد في كل أعمالنا أن نعبد الله لا أن نعبد سواه، ونريد أن نحقق حكم الله في الأرض، ونريد أن نجاهد في سبيل الله، لكن تعال!

يعني هذه المقدمة كأنها لم تكن! بعد ذلك عندما يقول: لكن تعال، كأنه بعد ذلك نسخٌ لكل هذه المقررات، ونسخٌ لكل هذه المعطيات التي يقدمها، ولكنه يقذفها في أذنك وعلى مسامعك من أجل أن يُمرر ما بعدها، وهذا يفعله كثير!

هل منير شفيق في كتابه هذا يريد ذلك؟ لا.. وقد قرأته يوم خرج قلت: نعم، وتعليقاتي تدل على هذا، ولكن لا أستطيع الآن أن أجزم بهذا الجزم، فأعود إلى مناقشته.

الذين يريدون أن يبدأوا بالأهداف الوسيطة، بغض النظر ما هي الأهداف الوسيطة.. قد يأتي واحد ويقول: الهدف الوسيط الآن –لأن منير شفيق يعترف أن الأهداف الوسيطة هي أهداف متناقضة وقد تتقدم وقد تتأخر، بحسب الواقع وبحسب القدرة... إلخ يعني بحسب واقعها، وتقدمها، وبحسب قدرتك في التعامل معها، إلى غير ذلك.

السؤال: لو أننا أمنا بهذا، هل يعود هذا الهدف الوسيط على الهدف الكلي الذي أمنت به بالإبطال أم بالإبقاء؟ يعني عندما يأتي ويقول: حمل الناس على الهدف الكلي لا يوصلنا إلى المراد، لأنه هدف بعيد وهدف لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال درجات، والدرجات هي الأهداف الوسيطة، فعلينا أن نصعد للهدف الكلي من خلال الأهداف الوسيطة. لكن السؤال –لا تهمكم الأفكار كثيرًا، اطلب واقعها وكيف تتطبق– لو أننا رفعنا الأهداف الوسيطة هل تؤدي إلى إلغاء الهدف الكلي أم لا تؤدي إلى إلغاء الهدف الكلي؟

لما أنت تريد أن تقول: أنا لا أريد أن أرفع قضية تحكيم الشريعة وتعبيد الناس إلى ربهم ونشر التوحيد في الناس، كما هي عبارته، ولكنني أريد هدف الوسيط، ما الهدف الوسيط؟ هو القضية الفلسطينية مثلًا.

هو يُلمح في أخر الكتاب بأن الممكن الوحيد لقضية حمل الأمة على الجهاد أن يكون ضد الأجنبي فقط، وإلا فنحن كلنا يمكن أن نكون إخوة قد اختلفنا.

فلو أننا رفعنا تحرير فلسطين، فمن الذي سيأتي إلينا؟ نحن لا نريد أن نرفع الهدف الكلي.. واقعيًا لو أننا مشينا فيه أين سيصل بنا؟ إلى إلغاء الهدف الكلي.

يعني أنت الآن لما تقول: أنا هدفي مثل ما تعلن فتح، يعني حركة التحرر الفلسطيني... فهذه حركة لم

تؤمن بدين، ولم تتبن فكرًا ما، بقيت فارغة في أفكارها، بخلاف الأحزاب الفلسطينية الأخرى.

لما نتكلم عن هذا يقول: أنت تذهب للتاريخ!! مع أن هناك جماعات موجودة الآن! جماعات جهادية تقاتل، وتسير على نفس الخطوة!

لا تظنوا أن الأمة قد ترقت، ما زالت تعيش في المستنقع نفسه!!

يعني هناك جماعات تريد أن تلتقي على أهداف جزئية، وبالتالي وضعت يدها في يد طاغوت أخر يقتل المسلمين، ووضعت يدها وقيادتها لأُناس لا يؤمنون بالدين!

لما تقول: أنا هدفي تحرير فلسطين، ما الذي يجعلك تمنع وصول العلماني إلى القيادة؟ يعني أنا أريد أن أصنع جماعة من أجل تحرير فلسطين فقط! أريد أن أصنع جماعة لنشر العدل.

الآن الذين يتكلمون عن حزب العدالة والتنمية التركي، يتحدثون عن الشخص أردوغان ويحاولون، لكن ينسون حزب العدالة والتنمية هو حزبٌ علماني فيه ما يقارب الـ ٤٠٪ لا يؤمنون بالإسلام. ٤٠٪ لا يؤمن بالإسلام، علماني بحت، ولكنه التقى مع الحزب في مصالح يسميها هو بالأهداف الوسيطة!. وهذا لو حقق هدفه الوسيط، كيف سيقفز مع هذا الحزب نحو الهدف الكلي بعد ذلك وهو لا يؤمن بالإسلام؟!

هل أنت أخذت الهدف الوسيط سلمًا للوصول للهدف الكلي، أم في الحقيقة الهدف الوسيط صنع منك مطيةً لإلغاء الهدف الكلي! هذه قضية واضحة في واقع الأمر، لأنك لو رفعت الهدف الوسيط من غير رؤية وتربية المرء على الهدف الكلي، كما ربى النبي صلى الله عليه وسلم الصحابة على التوحيد، وبعد ذلك تحققت المعاني الأخرى!

لكنها أولًا "إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله عز وجل وحده". هذه هو المنطلق الأول!

فإذا أنت بنيت الناس على هذا الأساس، حينئذٍ الأمور الأخرى تحل، وتتحقق بها القاعدة. لكن الطريقة التي أرادها وصنع منها شيئًا كثيرًا، هو ما أراده من هذا، وهو أن يدخل المسلمون –كما هو يبرر ويصنع فقهًا– في قضية التحالفات.

من أجل ذلك قلت لكم: الكتاب هو من أجل هذا، يريد أن يصنع فقهًا للدخول مع ما يُسمى بالقوميين، والحقيقة أن القوميين هم أكثر الناس مكرًا وأكثر الناس خبثًا في التلاعب بالمسلمين. التاريخ يشهد بهذا، في الجماعات الإسلامية والقادة.

أريد أن أكرر بأن النظرية الأولى التي يُنشئها الكتاب بعد المقرر الأول في أن منطلق المسلم هو العقيدة، هذه الحقيقة لا قيمة له، ومن أجل التزوير، هو من أجل صناعة الدخان من أجل التعمية لتمرير ما بعدها، وهو أن يجعل الهدف الوسيط هو الذي نجتمع عليه ونلغي الأهداف الكلية ونبقيها متأخرة في البحث.

القضية الثانية: وهنا أنا أنبه لشيء نبهت عليه في حواري –لا بأس أن أذكره– مع الدكتور النفيسي لما قال ما قال، بأن المرء إذا بُني عقديًا فإن تغيرات الزمن لا تزيده إلا إصرارًا على عقيدته. لكن إذا بني على انفعالات نفسية في حدث معين، فالحدث يزول والانفعال النفسي يضعف ويتلاشى ويخبو.

الآن نتحدث عن قضية الجهاد... عندما يرى بأن الجهاد لا يمكن أن يحقق واقعه إلا من خلال أن يكون هناك محتل أجنبي! هل هذا الشخص الذي أنت حملته معك بني بناءًا عقديًا؟

نعم هناك منافذ، وهناك مفاتيح للصراع تجيش فيها الأمة معك، ولكن عليك في الأول أن تكون القيادة التي تُجيش هؤلاء وتصنع هؤلاء ينبغي أن تكون مبنية بناءًا عقائديًا.

لو أنك آمنت بأننا نريد أن نقاتل من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا حينئذٍ يُصبح النظر إليك ليس باعتبار الأجنبي المحتل... ما معنى أجنبي هنا؟ يعني يأتيني باكستاني فيصبح محتلًا؟ هل هذا يصلح للقضية؟ أم لابد من النظر إلى قضية الإيمان والكفر، حين ننظر إلى قضية الإيمان والكفر حينئذٍ نعالج

القضية من خلال منطلق صحيح، ويمكن بعد ذلك أن تبحث على مفتاح تُجيش به الأمة معك. ولكن في الأساس ينبغي أن يكون المنطلق إيمانيًا.

ومن هنا لما يرفض هو قضية ما يسمى عنده بالعنف في الوصول، مع أنه يستشهد بأحوال عنفٍ ليست ضد المحتل، يعني ما ذكره من أحزاب شيوعية قامت سواء كان جيفارا أو غيره، إنما قاموا في بلادهم، ولم يقوموا ضد محتل أجنبي! قاموا ضد بلادهم، فإذن هم يُقاتلوا قتالًا عقائديًا، حتى مع أبناء جدتهم، حتى مع أبناء لغتهم، حتى مع أهلهم وقومهم، يقاتلونهم من أجل فرض رؤية ايدلوجية عقائدية.

أمر على أمور سريعة إن شاء الله..

الهدف الكلي بلا شك هو الذي يمنع قضية الانحراف، والهدف الجزئي هو الذي يصنع الانحراف. وهذا ذكرت له مثالا... لما جاء الناس ونفروا إلى فتح، جاء اليمني، وجاء الهندي، وجاء الجزائري، هل نفروا من أجل قومية أم نفروا من أجل إسلام؟ لكن بعد ذلك سُلّكوا ألا ينظروا إلى الإسلام، ولكن الهدف الوسيط التي دعت إليه هو النظر للإسلام.

عندما يتحدث عن التحالفات يتحدث حديثًا ليس أصوليًا، وأنا من هنا أنا أُنفّر من اتخاذ هؤلاء أئمة، لأنهم لم يأتوا إلى الإسلام من خلال دراسته المعمقة... ماذا قال أبو بكر ابن العربي عن الغزالي؟ قال: دخل في جوف الفلاسفة ولم يستطع الخروج. وماذا تحدث خصوم أبي الحسن الأشعري عنه؟ أنه خرج من المعتزلة كشعار، ولكن بقيت المفاهيم عالقة في ذهنه، فأخذ عبارات أهل السنة وألبسها المعاني القريبة من الاعتزال، كقضية كلام الله وأنه المعنى النفسي القديم القائم بالذات، إلى غير ذلك.

عندما تحدث مثلًا عن التحالف تحدث باندفاع، لأن في ذهنه الصورة الواقعية وهي صورة التحالف الإسلامي القومي. لكن هو كفلسطيني معارض عندما تحدث عن اتفاق أوسلو، وأراد أن يرد –وهذا أجمل ما في الكتاب، وأفضل ما فيه، عندما أراد أن يتحدث منير شفيق عن احتجاج من احتج لاتفاق أوسلو بصلح الحديبية، وقد احتج بصلح الحديبية جماعة السادات من قبل في اتفاق كامب ديفيد.. رد

عليه ردًا رائعًا، ودرس الواقع دراسة مؤصلة صحيحة للرد عليهم، لكن عندنا التحالفات تنازلت عن كل هذه الشروط، لم ترض من هذه الشروط شيء!

فالقضية واقعية ونفسية! وهذا الذي يمارسه –للأسف– من درس السيرة دراسة الفقه لا دراسة الحكمة، ودراسة السيرة دراسة الفقه تحتاج إلى فقه وإلى أصول الفقه وإلى الحلال والحرام وإلى الجائز والغير جائز، وهذه لها شروطها الأصولية. ولكن أن تتحدث عن الحكمة، تحدثنا عنها، إنما تتحدث عن حكمة هذا الفعل، فحينئذٍ يبدأ التنازل: عن البطولة، عن الشجاعة، عن الكرامة، عن الكرم، فهذه يمكن التنازل عنها، لكن عند الفقه يجب الصرم، وهذا تحدثنا عنه في درسٍ فائت.

الحقيقة من أفضل ما كتبه الكاتب في هذا الكتاب هو منع الاحتجاج بصلح الحديبية للصلح مع اليهود، وتكلم كلامًا جيدًا في هذا الباب.

الرجل يرى أن تجربة الخميني تجربة إسلامية ويمكن الاستفادة منها، لكن يُعذر، لنقل أنه لم يكن بصيرًا بها، وإن كان في الكتاب سنة ٩٤، وقد ظهرت أن تجربة الخميني هي ليست بمقدار قدرة الخميني، وفي الحقيقة يجعل الكذب ذكاء، كيف؟ لا أريد أن أفصل في هذه المسألة، ولكن أذكر ما عندي.

الدراسات تقول أن الخميني هو امتطى الثورة، وإلا فإن الثورة قام بها غيره، ولكنه جاء راكبًا إياها، والصدر الذي مشى معه وبازركان الذي مشى معه قالوا: ما كنا نظن أن صاحب عمامة كذاب! لا يعرفون أن دين الروافض الكذب، أصلا دينهم هو التقية أي الكذب. فالكثير يرى أن الذين فعلوا الثورة في الواقع ليس هو الخميني، هو يقول: لا، خلال عمل الخميني الطويل ودأبه الطويل في تثوير الناس هو الذي صنع الثورة، وهذا ليس صحيحًا، وغير موثق.

لكنه يأتي إلى مسألة ويعتبرها من الحكمة، وهي أن الخميني لما طُلب منه هدفًا وسيطًا، وهو تولي بختيار رئاسة الوزراء، فقبل بها الخميني بشرط تنحي الشاه، ثم لما تنحى الشاه انقلب على بختيار وأعلن أنها حكومة غير شرعية. فيقول: هذا من الذكاء، كيف هو قبل جزءًا من المعركة، وتخلى عن أمرٍ مقابل

أمر، ثم لما انتهى الأمر الأول جاء إلى الثاني فنقضه! يعتبر هذا من الذكاء.

الحقيقة أنا لما أقرأ في مثل هذه الأمور ولما أبحث، لا أجد جوابًا إلا من القرآن: هل يجوز لنا أن نكذب؟ هل يجوز لنا أن يقول تخلى عن هذا التوحيد فنقبلك؟

عندما تجبر حزب، وهذا مما ناقشنا فيه من دخل الديمقراطية، هل يجوز لك أن توقع على دستور كفري فتقبله من أجل أن تدخل في الديمقراطية؟! هل يجوز لك ذلك؟ يعني هناك دستور كفري، هل يجوز لك أن توقع عليه قبولًا من أجل تغيره؟ فيأتي آخر ويقول: ليس لنا إلا هذا الطريق. أين الحل؟ الحل هو القرآن، الحل هو أن تبقى داعيًا إلى الله، والقضية ليست بيدك، وصنع النصر ليس إليك، أنت عليك أن تتبع لا أن تبتدع! ولكن الذي يريد أن يفرض الرؤية الخاصة به لابد أن يقع منه هذا التناقض والكذب الذي سيُحاسب عليه بعد ذلك.

من أعجب ما في الكتاب، وأطال فيها، وهي خطيرة، وصارت اليوم ألعوبة بأيدي الناس، وهي قضية كتابة السيرة بألفاظ أصحاب الأفكار الخاصة! يعني يمكن للمرء أن يقرأ السيرة قراءة شيوعية، فهل يجوز له أن يتكلم عن السيرة ويضعها في إطار شيوعي أم عليه أن يُبقي السيرة كما هي؟ الحقيقة أن الأستاذ منير شفيق وقع في هذه المغالطة، وفي فصلٍ طويل -من ٢٥ تقريبًا إلى ٤٠-، وتكلم عن حركة الأنبياء بطريقة عجيبة جدًا. أقرأ لكم من غرائب الأمر......

وإن شاء الله سنختار كتاب "التفسير السياسي للإسلام" للأستاذ أبي الحسن الندوي، وهو مهم جدًا في مناقشته لطريقة أحمد خان الهندية المشهورة التي أنتجت جامعة عليكره، وهو يتهم أبي الأعلى المودودي بهذه التهمة، وهي أنه تُقرأ السيرة قراءة إسقاطيه، بمعنى: أن تُسقط رؤاك على السيرة، فتصبح السيرة مثلًا كأنها سياسية!

يعني الآن حزب التحرير كيف يقرأ السيرة؟ صراع سياسي، والاهتمام العقائدي قليل جدًا، ولكن صراع سياسي (أن نحكم نحن) بغض النظر عن البناء العقائدي للأمة.

فهو يقع في هذا الإطار، وحتى أنه جاء إلى قصص الأنبياء الخاصة، يعني حديث القرآن في محنة أيوب عليه السلام. أيوب ما قضيته؟ هل هي قضية تتعلق بحركة دعوة أم بحركة خاصة، بأشواق نبي؟ هل هذا الحديث الذي ساقه القرآن في مواطن عن أيوب عليه السلام، هو حديث يتحدث عن أشواق نبي وعن معالجات نبي، كيف يكون عبدًا لله في قضاياه الخاصة، أم هي تتعلق بقضايا دعوة؟ الحديث عن أيوب عليه السلام هو حديثٌ عن محنة نبي مع نفسه، ومع بيته، ومع بدنه! ولكن كيف يأتي أحد فيأخذ هذه التجربة ليصنع منها تجربةً سياسية؟! لأنه لا يرى إلا الصراع السياسي! فيأتي إلى الآيات التي تتعلق بأيوب عليه السلام فيحول هذه الآيات إلى صراعٍ سياسي! هذا من أعجب العجب! خلال ما يُقارب عشرين صفحة يتحدث هذا الحديث.

يقول تحت فقرة تسمى تعدد الأساليب: بكلمةٍ أخرى لو عدنا لتجارب الأنبياء جميعًا، وإلى تجارب التغيير المختلفة، لوجدنا تأكيدًا على أن تحديد الهدف الوسيط سنةٌ جارية!. هل ذكر القرآن لنا قضية غير قضية التوحيد بالنسبة للأنبياء مع أقوامهم؟ إلا ما ذُكر عن موسى (أن أرسل معي يا بني إسرائيل) بعد أن دعاهم إلى عبادة الله، جاء بمطلبين: أن يعبد أهل مصر أتباع فرعون أن يعبدوا الله، وأن يُخرج معه بني إسرائيل، لأن هناك قضية اجتماعية تتعلق بقومه.

لكن كل الأنبياء جاءوا بهذه القضية، وبقضية أخلاقية في قضية لوط عليه السلام. فانظر إليه لما يقول: كأنها سنة جارية! أين هذا؟ لا نجده أبدًا في القرآن!. يمكن أن نجد في السنة ممارسات فرعية خلال مسيرته في الدعوة إلى الله، مسارات فرعية ولكنها لا تلغي الأصل! مثل نصرته النبي صلى الله عليه وسلم للضعيف والملهوف، ونصرته للمظلوم. فكان هناك حوادث، ولكنها لم تلغ القضية الأصلية، لم تصبح هذه القضايا الفرعية هي قضايا أصلية في الدعوة إلى الله عز وجل.

هذا قفزة، سميتها قفزة في الهواء.

قال: وبكلمةٍ أخرى لو عدنا إلى تجارب الأنبياء جميعًا، وإلى تجارب التغيير المختلفة، لوجدنا تأكيدًا على أن تحديد الهدف الوسيط سنةٌ جارية.

تحت هذا الشعار: وما كان أمام أيوب عليه السلام غير الصبر على البلاء (هذا يدل على أنه لم يقرأ! وإنما هو أخذ العناوين العامة فقط ووضعها داخل سياق ما يؤمن به ليفرضها على النص) (**إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ**) فالصبر هنا كان أسلوبه عليه السلام فاستحق النصر والإنقاذ.

يتحدث عن طرق التغيير، عن طرق تغيير الواقع والصراع مع الواقع.

قال: أما لوط فكان أسلوبه الانسحاب من قريته بعد أن بلغ الرسالة، ولم يجد إلا قلوبا غلفا حتى امرأته. وكان أسلوب نوح بناء الفلك، وهو عمل مادي تقني!.

يعني يمكن أن تغير من خلال عمل مادي تقني، أن تصنع كومبيوتر! هكذا يفرض رؤاه واستراتيجية البحث في الموضوع.

قلت لكم: الكتاب فيه بعض الجمل الجميلة والمهمة، وتحسب له هذه أن يقول هذه الكلمات، ولكن المشكلة في التطبيق. يقول: بل لا تغيير، ولا نهضة، ولا ثورة، إذا اختلط ذلك بأفكار التغريب ومعاييره، وأخلاقيات اختلاط الحابل بالنابل. يعني هو يدعو إلى تكوين منهجٍ أصيل لا علاقة له بالتغريب، لا علاقة له بالآخر، لكن كيف تُكتشف؟

يقول: أو مثل لا تغيير إلا تحت قيادة إسلامية حقيقة تصف بالصفات التي يجب توفرها في القيادة الإسلامية من سلامة في العقيدة، والتقوى، والإيمان، وخلوصٍ في النية لله، والصلابة في التمسك بثوابت الدين، فضلًا عن تحليها بالسمات المطلوبة، كالقدرة على إنزال النص إلى الواقع، والتجديد في الاجتهاد، في معالجة المستجدات كحسن إدارة الصراع، والارتفاع إلى مستوى التحديات التي تواجه الأمة، أي لابد لها إلى جانب حسن الفقه من أن تتحلى بحسن إدارة الصراع ضد الأعداء بكل ما يتطلبه ذلك من فهمٍ لشؤون العصر من سياسة، وثقافة، وإعلام، وأحوال اجتماع وعمران، وموازين قوى، وألوان المكائد والمؤامرات... إلخ. كلام طيب ورائع ليس عليه أي بأس.

الكلام عن موضوع صلح الحديبية، كلام جميل، وهو في الصفحة ١٠٢، ومقارنته اتفاق أوسلو، أو

اتفاق القاهرة.

في الصفحة ١٣٣ تحدث عن فكرة جميلة جدًا.

الكتاب فيه فرض رؤى.. أعطيكم مثالا: في الصفحة ٤٩ يفرض تصوراته التاريخية على قضايا تاريخية مخالفة لما هي عليه.

للذكر: هذا كله يجعلنا نتجنب أن يقودنا الأطباء، لأنه في وقت من الأوقات كان من يكتب في الفكر هم الأطباء، ومن يكتب الفكر هم من جاؤوا إلينا من الخارج.

هنا نقطة خطيرة، وهذه من أخطر ما قاله: مع أن العسكريين الذين درسوا التاريخ تاريخ السيرة، جزموا بأن الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية قد سقطتا بيد الصحابة وهما في أوج قوتهما وليس في لحظة ضعف. وهذا كلام محمود شيت خطاب مثلا وكلام كثير من المؤرخين، يقولون: إن الإسلام لم يصارع الدولة الرومانية وهي منهزمة على قاعدة: تأكل منسأته "لما فرغت من الداخل فلم تستطع على حمل جسمه سقطت"، ولم يكن دور الصحابة سوى النفخة على هذه العصا الخاوية من الداخل! لم يقولوا هذا. وكذلك الدولة الفارسية، وإنما كان هناك قوة، والدليل هذه الجموع التي قوتلت.

هو لا يرى هذا! وهذا خطير، يقول: غير صحيح، لمجرد أن الفرس استخدموا الفيلة! فهل استخدام الفرس للفيلة يدل على أنهم ضعفاء؟ يعني أمريكا لما تقصف رجلًا في الغابة، أو رجلًا في بيته في خراسان، في اليمن، في العراق، في سوريا، وتستخدم أعظم درجات التقنية في قتله.. هل يدل هذا على أنها صار ضعيفة، فاضطرت لاستخدام أقوى ما عندها في قتل رجل؟

هذه طريقة في الفهم لا تتلاءم مع رجلٍ يكتب في فن الحرب.

وكذلك الربط بالسلاسل.. نحن نعلم أن كثيرًا ممن قاتل مع الروم في اليرموك إنما هم من العرب، أتوا بهم من البوادي ومن القرى وقاتلوا، وإلا فالقوى الضاربة لهم ليست كذلك!

إلام أدى هذا الإسقاط التاريخي منه؟ أدى إلى تهوين شأن الإيمان في حركة التغيير. قال: الذين يكتبون في تاريخ الصحابة يجعلون دورًا كبيرًا لقضية الإيمان، والصواب أن العبرة بقضية موازين القوى!

هذه قراءة لا تتلاءم مع الجو الإسلامي (**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ**)، (**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ**). هذا لا يتلاءم مع النفس القرآني والبحث القرآني!

وللأسف أغلب من يستشهد بالسيرة على الأحكام يستخدم هذا الأسلوب.

يعني أعطيكم مثالًا: يقولون: صلاح الدين مكث اثني عشر سنة وهو يدعو في مصر إلى الدولة الفاطمية، ولم يكفره أحد من الأئمة، وبالتالي يجوز لنا أن ندعو لكافرٍ حتى نتمكن، ثم بعد ذلك نقضي عليه، كما فعل صلاح الدين!!!!!

هكذا يُطلقون.. ولو سألته: لو سمحت، اذهب إلى التاريخ وأحضر لي هذا النص الذي تقوله.

هذا كذبة من كذبات عقولهم على التاريخ! صلاح الدين لم يكن له شأن في قيادة مصر، دخل مصر -قصة طويلة ولكن باختصار، وغدًا إن شاء الله أُفصل فيها- وهو لم يرد أن يذهب، ولكن أسد الدين شيركوه عمه أقنعه أن يذهب إلى مصر، من أجل استنقاذ مصر من يدي الصليبيين، لأن الصليبيين هاجموها عدة مرات، فكلما أراد الجيش الشامي أن يأتي لمصر ليحميها من الصليبيين، وهي تحت العبيديين، يرجع الجيش الصليبي. وفي المرة الثالثة، لما جاء لُينقذ مصر من الصليبيين، رجع الصليبيون، علموا أن جيشًا شاميًا جاء لحماية مصر منهم، فرجعوا! فقال صلاح الدين: كل مرة أنا أذهب وأرجع! سندخل مصر، بغير رغبة الوزير. فدخل مصر... لم يدخل مصر فاتحًا، ولم يدخل مصر تحت إمرة العبيديين، دخلها ووضع جنده خارج مصر، دخل هناك وبقي فيها هو وجنده وقيادته تحت إمرة آل زنكي! دخل مصر وبقي بعيدًا عن القاهرة مع جنده، ويذهب للقاهرة، وليس له دخل في سيطرته على مصر! يعني لم يدخل مصر فاتحًا، ولم يحكمها ليُقال أنه خطب للعبيديين ولأئمتهم وكما قال السيوطي: لمتخلفيهم، وليسوا لخلفائهم! لكن مصر كانت تحت إمرة العبيديين ويخطب لها الخليفة العبيدي!

فالقول بأن صلاح الدين كان يخطب، يعني هذه الكلمة تدل على أن صلاح الدين كان حاكمًا لمصر، كأن صلاح الدين كان حاكمًا لمصر وتحت إمرته وتحت سيادته، وهو سلطانها، وهو يأمر الأئمة والخطباء بأن يدعوا للخليفة العبيدي! هكذا تصور الصورة! وهذا كذب غير صحيح! بقي هناك ثلاث سنين تقريبًا، وهو مستقر بجنوده في منطقة جنوب القاهرة، ولا دخل له، آل زنكي أمره بذلك!

ولما رأى الفرصة سانحة بقتل العبيديين عائلتهم ووزرائهم وقادة الجنود، استأذن عمه أسد الدين بأن يقتلهم ويتخلص منهم! فنهاه عمه، وقال: نحن تحت أمان وبيننا وبينهم عقد، -ارجع إلى عبارة أسد الدين-، يعني جئنا من أجل فقط مساعدتهم كي لا يدخل الصليبيون مصر!

وخرج أسد الدين شيركوه مرةً للصيد، فاغتنم صلاح الدين الفرصة فأحضرهم إلى القصر وقتلهم جميعًا، حتى ملأ جدران القصر بدماء العبيديين، ولما جاء عمه أخبره، قال له: انظر، قُضي الأمر، فماذا يقول؟ يعني لا ينفع الندم!

حين ملك مصر في أول أسبوع أعلن الدعاء في المنابر للخليفة العباسي في بغداد، وحينئذٍ خرجت مصر من إمرة العبيديين، وألف من ألف كابن الفرج ابن الجوزي كتاب: النصر على مصر، والكتاب لم يصل إلينا، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في بعض مباحثه.

أريد أن أقول: يأتي واحد ويقول: انظر النبي صلى الله عليه وسلم صالح الكفار في الحديبية، إذا علينا أن نصالح الكفار!، كما في كامب ديفيد احتجوا بصلح النبي بالحديبية!.

وهنا انظر إلى هذه الطريقة في الاستدلال بالسيرة لأحكامٍ شرعية ليست بهذه الطريقة تُنشأ! قال: من جهةٍ أصبحت الجزيرة العربية كلها، أو هي في طريقها (وهذا غير صحيح.. في صحيح البخاري.

انقطع التسجيل!!!!

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لتراث أهل العلم

للدكتور محمد محمد أبو موسى حفظه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب التاسع والثلاثون

تاريخ المناقشة: ٣٠ تموز ٢٠١٦.

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدىً وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم.. آمين آمين.

هذا هو اللقاء التاسع والثلاثون من مشروع (ألف كتاب قبل الممات)، واليوم الكتاب هو "الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية لتراث أهل العلم" لشيخ البلاغة كما يقولون، وهو يستحق هذا اللقب وأكثر، الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى حفظه الله.. لأنه مازال حيًا، يعيش ويعلم ويثقف.

هذا الكتاب، أيها الأخوة الأحبة، كتابٌ يستحقُ هذه العبارة بكل جدارة.. هو كتابٌ كُتب بعقلٍ وبعلمٍ، وبحب، وصيغ بأدبٍ وشعر. وإذا كان كتابا على هذا النحو، فمن الصعب الخوض فيه؛ لأنه كتاب يبحث في مناهج الأقدمين، ويبحث في سرائر نفوسهم من خلال فلتات ألسنتهم التي قدروا عليها. وبالتالي هو يتكلم بحب وشغف، ويلتقط الدرر، ويحاول فقط أن يقذف بها مع تألقها ونورها وعطائها إلى القارئ من أجل أن يرفع همته وشغفه وإرادته لمعرفة كتب الأقدمين.

والحق، أيها الأخوة الأحبة، أن أهل الأدب في هذا التاريخ المعاصر –هكذا كنت أقول، والحق أن هذه القضية ليس لها تعلق بالوقت المعاصر فقط وإنما لها تعلق بكل الأوقات–، أن أهل الأدب على الخصوص كانوا أكثر استشرافًا ورصدًا لمعركة الزنادقة ضد أُمتنا.

لا أُريد أن أقف عند هذه النقطة، ولكن ينبغي أن أذكرها وأن نهتم لها: إن أهل الأدب واللغة، والأدب بالمفهوم الاصطلاحي، والثقافة، هؤلاء هم أكثر الناس رصدًا لظاهرة الزندقة عندما تأتي.

وأنا قلت: (اليوم)، قلت عن هؤلاء الأئمة، من أئمة الأدب والثقافة، ولم أقل: (قديمًا)؛ ذلك لأن الفصل بين العالِّم قديمًا في توجهاته صعب، وإن كنا نعيشه فصامًا غير سديد في زماننا هذا.

ماذا أقصد؟ أقصد أننا نستطيع اليوم أن نقول: هذا أديب، وأن نقول: هذا فقيه، وأن نقول: هذا أُصولي.. إلى غير ذلك من المصطلحات التي جزئت العلم وجعلت للناس فيه مراتب وأنواع، ولكن هذا غير موجود عند القدماء.

وأنا إن شاء الله سآتي إلى كتاب الدكتور طه عبد الرحمن في رده على محمد عابد الجابري عندما زعم وجود مدارس متعددة في داخل الثقافة الإسلامية العامة، سآتي إليها ولكن ليس في هذا اليوم، ربما عندما آتي إلى كتابيهما في هذا المشروع؛ لأن هناك أهمية أن نقرأ الكتاب ونقيضه، كشعر النقائض.

هناك كتب لا تستقيم إلا بقراءة نقيضها، وهناك كتب من النواقض لا تستقيم إلا بقراءة أصلها، كنقائض الشعراء.

وهذا أنا أنبه عليه تنبيهًا، ولكن هنا أقف وأقول: عندما نرى في هذا الكتاب، كتاب الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى، عندما يأتي إلى إمامٍ لا نعرفه إلا نحن المدرسةَ الدينية -أو لنقل: الجزء الديني-، عندما لا نعرف هذه الشخصية إلا من خلال كونه متكلمًا وارثًا لعلم أبي الحسن الأشعري رحمه الله، وهو من تلاميذ تلاميذ أبي الحسن الأشعري، وهو الباقلاني.

عندما لا يُذكر الباقلاني عندنا في المدرسة الدينية إلا من خلال كونه متكلمًا فقط، وربما إذا ولجنا إليه من هذا الباب، ولسنا فاعلين.. انتبهوا!! نحن نرصد ظواهر مرضية في مجتمعاتنا علينا أن ننتبه لها: نحن لا ندخل إلى الباقلاني من خلال كتبه، ولا من خلال شخصيته المتكاملة، ولا من خلال بيئته وظرفه، ولكن ندخل إليه من خلال كلام ابن تيمية فيه!! ليس العيب في ابن تيمية، نعوذ بالله، ولكن العيب فينا عندما نلج إلى رجلٍ من علمائنا من خلال وضعه ضمن سياقٍ ما، يصيب فيه ويخطئ.

يعني: نحن ما الذي نعرفه عن ابن الباقلاني؟ الباقلاني أو ابن الباقلاني، هو في كتبه يُسمي نفسه بابن الباقلاني. كالذهبي وابن الذهبي، والجويني وابن الجويني وهكذا.. هذه ظاهرة موجودة في كتب الآنساب والرجال.

فنحن لا نعرف الباقلاني إلا لما نذهب إلى "درء تعارض العقل والنقل"، ولا نذهب إليه إلا من خلال كلام ابن تيمية في موضوع الكلام عن القرآن والكلام عن القدر والكلام عن الأسماء والصفات.. وهذا ظلم. ومن هنا، فإن شخصيته تتهاوى؛ وكأننا أمام شخصية لم يكن لها شأن في التاريخ إلا كونها على ضفة الحياة التي هي أقرب إلى الخطأ في ظننا!! وهذا إجرام في حق هذه الشخصية، وفي حق قراءتنا لتراث أمتنا، وفي حق تاريخ أمتنا وحقب التاريخ التي مررنا عليها.

وعندما كذلك نقرأ ابن فورك، ونقرأ الجويني، ونقرأ أبو الحسن الأشعري.. عندما نقرأهم من خلال هذه القراءة المبتسرة، فإنك تجد أمراضًا تنشئ في نفوسنا حولهم.

ومن هنا، دائمًا أنا أذكر أخواني بإمامٍ عظيم، سلفيٍ مُحدث، وهو الدارقطني، عندما قابل أبا بكر الباقلاني في السوق ومعه تلميذًا له، مُحدث يسمع منه الحديث وأظنه البرقاني، فقام وقبل يد الباقلاني.. هذا المحدث العظيم يُقبل يد متكلم، فعجب منه، يعني: كيف وهو مُختلف معه في المدرسة؟! فقال: هذا إمام، نصر الله به السنة وقمع به البدعة، وليس في الأرض أحدٌ يرد على الزنادقةِ مثله. فقبل يده مع أنه يخالفه في المسائل التي لها تعلق بعلم الكلام بين المدرستين.

نجد في هذا الكتاب هنا نموذجًا غريبًا لشيءٍ لا نعرفه عن مثل هذا الرجل، ولا تهتم به المدرسة الدينية، وهو أن نقرأ الباقلاني من خلال كلامه في إعجاز القرآن.. أن يكون للباقلاني كتاب في إعجاز القرآن، يقف فيه على شعر الأوائل؛ يأتي إلى قصيدة أو قصيدتين لامرئ القيس وينقدهما نقدًا أدبيًا، من أجل أن يكشف عن جوانب خفية في إعجاز القرآن، ويتكلم عن إعجاز القرآن بلغةٍ لا تجدها في غيره، ويؤسس لعلومٍ يستقي منها المتأخرون بعده، وهو يقف على كلام الأقدمين كأنه الجبل الشامخ، أيّ رجلٍ هذا؟!

نحن نقرأ له –كما قلت– في علم الكلام.. أما أن نقرأ له في البلاغة، وفي الذوق الأدبي، وفي النقد الأدبي، وفي كلام الشعر؛ فهذا شيءٌ عجيب.

هناك كتاب اسمه "موائد الحيث في فوائد امرئ القيس". تعرفون لمن هذا؟ يشرح ويحاول -ولم يبلغ، لأن الوقت أدركه وهو في شرح شعر امرئ القيس، وهو لم يشرح منه إلا قصائد معدودة- يشرح ديوان امرئ القيس، وهو لنجم الدين الطوفي، الذي تكلمنا عنه في باب المصلحة.

هذا كتاب مشهور، وهو من مقتنيات هذه المكتبة وموجودٌ عندي، "موائد الحيث في فوائد امرئ القيس".

أن تجد هذا الأصولي يتكلم عن البلاغة بهذا النوع.. ولذلك صح قول من قال: إن علماء الأصول قالوا كلامًا في البلاغة استفاد منه أهل البلاغة أنفسهم.. وهذا بيِّن.

السبكي في أثره على علم البلاغة معروف.. أنا لا أتكلم عن الأب الذي له اشتهار في علم البلاغة، بل أتكلم عن الابن، الذي هو إمامٌ أصولي.

ولو قرأنا السبكي هذا، تاج الدين السبكي، لو قرأناه من خلال خصومته لابن تيمية، كما قرأناه في وقت من الأوقات، ابن السبكي أو السبكي -على القاعدة التي تقدمت-، لما عددناه شيئًا ورميناه، وربما لو سمع طالب العلم المبتدئ أحدًا يتحدث عن ابن السبكي أو يتحدث عن هؤلاء بهذا الاحترام فإنه سيُظلم.

وأنا سمعت محاضرةً مسجلةً للدكتور محمد محمد أبو موسى وهو يشرح دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، والتلاميذ أمامه -وأنا عددتهم، كانوا الكاميرا تأتي عليهم- لا يزيدون على الخمسة فقط، من يجلس لهذا الجبل العظيم فقط هذا العدد!! المهم: وصله أن الناس يعيبون عليه: كيف يشرح كتابًا لأشعري، لأن عبد القاهر الجرجاني أشعري!!، فيقول: أنتم مجانين!!

هو مسكين ومظلوم!! يتحدث عن أُفق التاريخ الإسلامي، ويتحدث عن علوم الإسلام بأفقها الأعظم، ويأتي واحدٌ جاهل...

أحدهم مرةً نظرت في مكتبته فرأيت عجزًا في الأصول، يعني عنده كتب أحاديث، حتى كتب فقه لا

يوجد، فأحببت أن أدله على الأصول، لأن عامة الشباب والأخطاء التي تنتج في زماننا إنما مردها إلى جهلِهم في علم الأصول، فأخذته إلى المكتبة في ثاني يوم، وفي المكتبة موجود كتاب "المحصول" للرازي. فقلت له: "المحصول" للرازي هذا جيد.

وإن كان في الحقيقة لا يصلُح للمبتدئين ولكنه يشرح.. هو جامع كما سماه ابن خلدون، جامع للمدرستين: مدرسة الرأي ومدرسة الحديث.

فهو انتظر.. الرازي!! تذكر وضرب في مخه أن هناك شخصٌ اسمه الرازي رد عليه ابن تيمية في "درء تعارض العقل والنقل" وكذلك في "بيان تلبيس الجهمية"، فقال: أليس هذا الرازي الذي رد عليه ابن تيمية؟! فقلت: نعم، قال: لا أريده!!!

هذه مشكلة نطوي عنها كشحًا كما يقولون، لا نريد أن نتكلم عنها لكنها مأساة من مآسي زمننا هذا.

القصد: إننا نكتشف مثلًا في هذه الشخصية العظيمة، الباقلاني، نكتشف هذ الأفق الغريب، وهذا التذوق العظيم للغة الشعر، بل إنّ –أريد أن أسرع قليلًا، وليس هذا من استعجال الشيء– طريقة الباقلاني في تذوق كلام ربنا لاكتشاف أنه مُعجز هو: أن تقرأ شعر الأقدمين جميعًا!!

تصور الطريقة التي يريدها منا الباقلاني لنكتشف نفَسَ الرب في كلامه!! يقول: عليك أن تقرأ شعر الأقدمين كله، وبهذا تُميز شعر كل شاعر عن غيره، إذا قرأته علمتَهُ كيف يتنفس، كيف يتكلم، كيف يصيغ العبارة، كيف تنشئ همومه، هل هو رجلٌ نزق، أم رجلٌ سهل، أم رجلٌ مهموم... إلخ، فتكتشف شخصية كل واحد من خلال شعره، وبعد أن تنتهي من جبال الشعر هذه المتراكمة في التاريخ وتذوقها واكتشاف شخصية كل متكلمٍ من خلال كلامه، فإذا أتيت إلى كتاب الله وجدت كلامًا يُعبر عن نفس أُخرى لا تَمُتُّ إلى البشرية بصلة.

يا رجل، انظر!! وهو يعترف، الباقلاني، في كتابه بأنه لما جاء لهذا السبيل، سبيل الإعجاز القرآني،

فإنه قرأ الكثير، وبذل الجهد العظيم، حتى وافى منزلةً يظن أنه.. هو يقول: أظن أني قد اقتربت من المراد في موضوع الإعجاز. ثم ينتهي إلى أن هناك ثمة ذوقا داخليا لا يمكن أن نعبر عنه باللفظ.

انظر!! هذا إمامٌ عظيم، وهو شخصية في الجانب العقائدي شخصية متكلمة... إلخ، ولكن عندما هذا المناظر العظيم الباقلاني -لا يعرف في التاريخ الإسلامي بعد الشافعي رجلٌ له القدرة على المناظرة كما يُعرف في الباقلاني.. لا يعرف.

مرةً مر على الزنادقة، فقالوا: جاء الشيطان، فقال: (**إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين توزهم أزا**).

فقط هذه لمحة سريعة.. أعود إلى كتاب الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو موسى:

هذا كتابٌ كُتب بعقل، وكُتب بعلم، وكُتب بحب، وصيغ بأدبٍ وشعر، ومن الصعب الخوض فيه. لكن؛ هذا الكتاب لزامًا على طالب علمٍ يريد أن يتذوق كتب الأقدمين ويعرف كيفية قراءتهم أن يقرأ هذا الكتاب.

إذا قرأت كلام الأستاذ محمود شاكر في كتاب "المتنبي" تكتشف طريقة قراءة التراث والشعر العربي من غير أن يُفصح عن الأساليب، ومن غير أن يُفصح عن الأدوات التي يستخدمها. وإنما هو بعد أن نشر كتابه بطبعة جديدة تكلم عن التذوق، وبقي الكلام عن التذوق كما قال السكاكي لما أتى إلى علم بلاغة القرآن، قال: ومنتهى هذا الأمر أن يُقال له الذوق. ما هو الذوق؟! يعني كيف تكتشف البلاغة القرآنية المعجزة؟ بالذوق!! كيف هو هذا الذوق؟! هو شيءٌ داخلي لا يُقال إلا بعد أن يبلغ المرء المبلغ العظيم فيه.

ولكن لما تريد أن تكتشف طرق قراءة التراث... تعرفون أن الأستاذ محمود شاكر انتهى عن كتابة كلمة (تحقيق) وتركها، وقال: هذه كلمة فاسدة يستخدمها فاسدون، وأئمة الفاسدين هم المستشرقون، وأنا بريءٌ منها؛ وصار يكتب على الكتب التي يقوم على صناعتها تحقيقًا وإخراجًا: (قرأه محمود شاكر، قراءة محمود شاكر).

فإذًا: هو يريد أن يقرأ الكتب، ففي قراءة محمود شاكر للمتنبي لا تستطيع أن تعرف الأدوات. حاول بعد ذلك أن يكتب عن الأدوات عندما رد على طه حسين في موضوع التذوق، ووضع هذا البحث في مقدمة كتاب "المتنبي" في الطبعة الجديدة، لكن الأمر ليس كافيًا.

وهذا الرجل، محمد محمد أبو موسى، في هذا الكتاب، كتاب "الإعجاز البلاغي: دراسة تحليلية"، يقدم لطالب العلم طريقةً مقاربة –ليست كافية ولا تامة، لأنه لم يُرد هذا– في طرق قراءة كلام العلماء، أي قراءة التراث الإسلامي.

هذا الكتاب هو مطلوبٌ لكل طالب علم؛ لأنك لا تجد مثله.. وأنا أظن أني مُطلع، كما يقال، على كتابات من يكتبون عن مناهج العلماء.

واليوم كثرت الدراسات الأكاديمية: الماجستير والدكتوراه في ذلك.. منهج الشافعي في العقيدة، منهج أبي حنيفة في العقيدة، منهج ابن عبد البر في العقيدة، ومنهج القرطبي في كتابه "الجامع لأحكام القرآن" في التفسير، ومنهج ابن تيمية في كذا... إلخ!!. وإذا قرأت هذه المناهج تجد كلامًا أشبه بالتراب، لم يُزد إلا أنه نقل الكلام ولم يُفصح عن أيّ دُرةٍ يعني فيها نوع معاناة وفيها نوع إبداع للقارئ، القارئ الذي يبحث عن منهج.

لا أعرف كتابًا، وهذا صراحةً، لا أعرف كتابًا يكشف لك عن طريقة قراءة التراث كما يكشف لك هذا الكتاب؛ ولذاك حقٌ على كل طالب علم يريد أن يبحث وأن يستطلع طرق العلماء في قراءة التراث وعن كيفية كتابة مناهج العلماء في تراثهم وكلامهم فليأتِ إلى هذا الكتاب، وهذا الكتاب حقٌ على كل طالب علم أن يقرأه وأن يتذوقه.

وهو كتاب لو قرأه المرء، صدقني: لو قرأته عشر مرات فهذا غير كافٍ، عشرين مرة غير كافٍ.. لأنك في كل مرةٍ تجد فيه من الفوائد والفرائد العظيمة من كلام العلماء المبثوثة التي تستوقفك وتستدعي انتباهك.

فهذا الكتاب هو عنوان لموضوع مهم جدًا بالنسبة إلينا في هذا العصر، وهو كيفية قراءة التراث.

وأنا عندما تروني أشرح "الموافقات"، وعندما شرحت قديمًا "جماع العلم" للإمام الشافعي، وأيّ كتاب من هذه الكتب التي هي كتب أئمتنا.. في الحقيقة إنما أنا أمشي وراء هؤلاء، إنما استفدت هذا من خلال هاتين الشخصيتين، من خلال هذين الرجلين، هاتين الشخصيتين أو هذين الرجلين: الأستاذ محمود شاكر وخاصةً في كتابه "المتنبي" وما معه من حواشٍ وكتاب "نمط صعب ونمط مخيف"، وهذا الكتاب.

لا أعرف محمد محمد أبو موسى، ككل الرجال الذين في عصرنا، لا تبرزهم دوائر الاستعمار والاستجحاش والاستحمار، لا يبرزون. عندنا نحن أسماء كثيرة ومنتشرة من أصحاب الثقافة والأدب والذين يقودون المسيرة، لهم أسماء رنانة، ويعرفهم العاميّ، والطفل في المدرسة يتربى على آثارهم.

وكيفية اكتشاف هؤلاء الرجال تكون بالقدر الغريب. يعني: أنا كيف عرفت الشيخ محمود شاكر؟! دخلت مكتبة رجل، وإذا "أباطيل وأسمار" في مكتبته، بدأت أقرأ فيه فما تركته حتى بدأ يطلع عليَّ الفجر.. يعني أين كان هذا الرجل؟!!

وهذا الكتاب، وهو الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤، كنت أتجول في مكتبة قديمة...

وأحدهم يسألني، وهذا قلته في "فن القراءة"، يسأل: كيف تعرف الكتاب الجيد؟!

الكتاب الجيد ليس عليه ضوءٌ فوقه يقول: أنا كتابٌ جيد، وكل ما ترونه من الأغلفة وما يوضع هذا لا يعبر عن شيء.

لا تهتم بما يقال في الصحف السيَّارة، وما يُقال في الإعلام، وما يُقال في المدارس.. كل هذا بيع كلام، لا قيمة له.

فكيف تعرف الكتاب الجيد؟ بأن تقرأ كل الكتب.. أن تقرأ كل الكتب فتكتشف الكتاب الجيد

والكتاب السيء، هذه هي الطريقة.. لابد من القراءة إذن.

في الحقيقة: هذا كتاب.. دخلت مكتبةً لا تبيع إلا الكتب التي لا تُباع!!

تصور!! هذا الكتاب اشتريته سنة ١٩٩٥، وهو الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤، فكيف بقي؟! فعلمت أنه ليس له هذا الاهتمام، ولو كان مما تسرقه العيون وله الدعايات لما وجد، لذهب.

فهذا الكتاب هذا بابه.

أُعيد: هذا الكتاب أهميته في أنه يُعلم كل طالب علم في عصرنا كيفية قراءة التراث، وكلمة التراث ليست قاصرة على الأدب، لا لا!!.

كلماتٍ يسيرة قالها الأستاذ شاكر، ويرددها هنا الدكتور محمد محمد أبو موسى، كشفت لي مناهج العلماء في الحديث، كيفية قراءة مناهج المحدثين، وكيفية قراءة مناهج الفقهاء.

التراث مادةٌ واحدة. وهذه قضية علمية أنا ذكرتها في "فن القراءة" في الدروس الأولى، عندما كنت أتكلم وقلت: يجب أن يُقرأ العلم قراءةً واحدة.

العلم مرتبط، إذا انفصل العلم ضاعت عليك المناهج، وضاعت عليك العلوم، وضاعت عليك المنافذ إليها. بمعنى: لا يجوز لك أن تقرأ الأصول بعيدًا عن العقيدة، ولا يجوز لك أن تقرأ التفسير بعيدًا عن الفقه، ولا يجوز لك أن تقرأ التراث بعيدًا عن التفسير.. هذه علومٌ أنتجتها أمةٌ واحدة.

وكما رأينا: العلماء شيءٌ واحد؛ هذا عالم يتكلم في الأصول، ويتكلم في الحديث، ويتكلم في اللغة، ويتكلم الأدب، ويتكلم في الفقه، وهو يعود إلى أصولٍ واحدة.

وتعجب مثلا من نجم الدين الطوفي وهو يشرح شعرًا لامرئ القيس يستدل به على مسائل في القياس، ويقول: ومثل هذا الشعر استدل به أهل الأصول في مسألة كذا وكذا!!. يتكلم هو عن شعر، وعن تذوق الشعر، وعن بلاغته، ويكشف أن هذا الشعر استدل به الأصوليون في باب القياس أو

مسالك العلة أو ما شابه ذلك.

فالعلوم واحدة، والمدرسة التي خرَّجت العلماء الذين يكتبون في التفسير هي نفس المدرسة التي خرجت العلماء الذين يكتبون في الفقه.

المناهج واحدة، المناهج الداخلية التي تُبنى عليها العلوم، ويبنى عليها التصنيف واحدة.

فأهمية هذا الباب هو كيفية قراءة التراث.. هذا شيءٌ مهم.

نحن الآن أمام طائفتين: طائفة تحتقر التراث من خلال إعلانها بذلك، وهم (المضبوعون).

بعض الأخوة في الغرب، عندما يكون جزائريا أو مغربيا، عندما نقول: مضبوع يقول لك: ما معنى هذه الكلمة؟ أما أنتم فتعرفون معناها وليس هناك ضرورة لشرحها لكم. في بلادنا المضبوع هو الذي تسرقه الضبع، يلف حوله حتى يقال: انضبع، يعني: سرقه الضبع.

فهم مجموعة من المضبوعين، مسروقة عقولهم من الغرب، ولا يرون تاريخ أمتنا شيئا.

الأدهى من ذلك هناك من المتدينين وأصحاب اللحى غير المضبوعين، ولكنهم تائهون، لا يعرفون قراءة التراث.

كلمة قالها الإمام ابن تيمية في موطئ مالك.. مرات أقوم من فراشي وأذهب لموطأ مالك لأبحث عن هذه الكلمة فقط، هذه الكلمة التي قالها، وهو كيفية منهج مالك في صياغة موطئه. يقول ما معناه: من قرأ الموطأ ونظر فيه ببصرٍ وعلم وإتقان، علم مقدار إتقان مالك ومنهجه في كيفية صياغة الموطأ.

هذا محمد محمد أبو موسى يتكلم عنه: ليس المهم أن تذهب من أجل أن تقرأ ما يقوله الكاتب، فيمكن أن تشرح الكتاب (هذه كلمتي) في أسبوع، لو أردنا أن نشرح الرسالة وما فيه من علوم ومسائل أصولية واختيارات الشافعي في مسائل الأصول، ننتهي منه في أسبوع إذا كنا جادين. لكن أنت لا تذهب للرسالة من أجل أن تقرأ ما فيه فقط من اختيارات أصولية، أنت تذهب إليه من أجل أن تقرأ

عقل الإمام: كيف يبدع وكيف ينتج؟ وأي العلوم التي استند عليها؟ ومراجعه النفسية والعقلية والتربوية والعلمية التي أخرجت هذا العلم من لا شيء، لم يسبقه أحدٌ بكلامٍ تكلمه هو لا في علمه ولا في مصطلحه، فأيّ عقلٍ أنتج هذا؟ فأنت تذهب إلى هذا العقل، لماذا؟ لأنك تريد أن تقدم للناس علمًا لا أن تقدم للناس فرعًا.

المشكلة اليوم: كل من ترونه يقدمون للناس فروعًا، وبذلك لا يرتقي التلميذ ولا ننتج علوما ولا ننتج علماء.

نحن الآن أعظم الشيوخ منا من جلس ليقدم اختياراتٍ فقهية جديدة، على مستوى حياتنا: ماذا كان يقول الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ، خالفه ابن باز، خالفه الألباني، خالفه ابن عثيمين، طلع الشيخ الطريفي، طلع الشيخ سلمان وهكذا.

هذا ليس قدحًا في شيخ، وإنما الطريقة التي نشئنا عليها، ولابد من البحث فيها بحثًا سليمًا، وهو أننا لا نريد أن ننتج فقط فقهًا، لأن هذا يعني كأشخاص يترددون على نظر المرء فيهم أنتج فرعاُ، ولكننا ننتج منهجًا يُعلم، كيفية بناء العقل الذي ينتج، ما نريد أن نعلمه للناس منهجية قراءة العلم، حينئذٍ تصبح المسائل الفرعية مسائل عادية في داخل النفس.

ومن هنا هذا–قلته لكم قديمًا وأكرره: من لم يعرف أصول المسائل، ومن لم يعرف مناهج العلماء، لا يفيده ولو حفظ الكتب كلها، لا يستفيد، لا يقدم شيء، لا يصبح عالم يستطيع أن ينتج علمًا، وينتج ذوقًا، وينتج منهجًا، يعلم به الناس.

هذا المنهج أين كان من كلام سلفنا؟ لا يوجد مكتوبًا قط. هذه مشكلة هذا التراث الذي أتكلم عنه من تفسير، من حديث، من فقه، وما يمت إليه من صلات، من مصطلح وكذا....الخ، ومن لغة، ومن هذا، أين منهجهم؟ هذا السؤال الذي نبحث عنه، أين منهج العلماء؟ لا نجد، ما هو السبب؟

هذا الكتاب يكشف لنا السبب، هذا الكتاب لأن المنهاج الذي تبنى عليه العلوم في نفوس علمائنا

كان فطرةً مغروسةً في النفوس، يعرفها الناس ولظهورها لا يسألون عنها، لأنهم يعرفونها لا يتحدثون عنها، هي معروفة، فماذا وصل إلينا؟ الذي وصل إلينا الإنتاج، ولم نفقه المنهج، فلما نظرنا لعدم وجود المنهج لدينا في قراءتها، وفي كتبها، وفي صياغتها، لم نستطع الاستفادة منها حق الاستفادة.

هذا أقوله من أجل أن أُبين عظمة هذا الكتاب، وأنه يكشف هذا الذي نتكلم عنه.

هذا الرجل محمد محمد أبو موسى مشغوفٌ في ليله ونهاره وكتبه التي يكتبها بشيءٍ واحد: كيفية قراءة ثقافة أمتنا وتراث أمتنا.

منذ أن كتب رسالة الدكتوراه، وهو البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وأثر هذه البلاغة التي صاغها الزمخشري فيمن بعده من المفسرين وغيرهم. من أين بنى الزمخشري ثقافته البلاغية؟ ووضعها في الكشاف، وكيف هذا العلم الذي في الكشاف من البلاغة، كيف تأثر به كل من تكلم في البلاغة بعده.

هذه رسالة الدكتوراه، هذه الكتاب التي بين أيدينا الإعجاز البلاغي، انظر دراسة تحليلية لتراث أهل العلم.

لما جاء الأستاذ وهو صاحبٌ له، لما جاء لقراءة القوس العذراء لمحمود شاكر، التي جعل صياغةً بطريقةٍ أُخرى لزائية الشماخ في بن ضرار، الصاحبي الجليل، الذي يتحدث عن الحُمر الوحشية، كما قال عبد الملك بن مروان، كأن أبوه كان حمارًا، يعني حمارًا وحشيًا، لمعرفته حتى نفسيات الحُمر الوحشية، كأنها كما قال تكشف عن راجفات الحذر كما يقول الشيخ شاكر.

فلما جاء إلى قصيدة الشيخ شاكر "القوس العذراء"، سماها "القوس العذراء وقراءة في التراث"، نظر إلى صنيع شاكر أنه قرأ التراث، هذه هي الصياغة الشعرية هي قراءة في التراث، وكتب مجموعة المقالات كان أكبرها، وطبعت تحت اسم: علمائنا وتراث الأمم.

هو مشغوفٌ بقراءة التراث، كيفية قراءة التراث، كيف نقرأ كتب العلماء؟ كيف نقرأ البخاري؟ كيف نقرأ مسلم؟ لا باعتبار ما يشرحه الناس من أن تقرأ الحديث وتشرحه، ولكن نقرأ هذا العقل الكامن في

نفس البخاري حين ألف هذا الكتاب، حين جمعه، ومثله كل عالم.

كل عالم في نفسه منهج، يزيد وينقص، يتضح من جانب ويضعُف من جانب وهكذا، ولكن سواء المنهج مغروسٌ في نفوس الناس.

بل يقول الأستاذ محمد محمد أبو موسى، يقول: كان اليونان يشرحون علومهم للعوام، لعدم اهتداء العوام لهذه العلوم، وكان علمائنا يقدمون للعوام نتائج نقدهم لاستواء المنهج في نفوس العوام.

يعني يقول شيئًا غريبًا، وهو أن المنهج في نفوس العوام كان أعظم جلاء، يقول: الشرطي في داخل جيش المسلمين قديمًا، وباقي الخضراوات قديمًا، استواء المنهج في نفسه أجلى من مشايخ هذا العصر، وعلماء هذا العصر، فلذلك لما يجلس للعالم يتحدث ويتذوق ما يقول بمقداره لاستواء المنهج لديه، فلا ضرورة لأن يشرح من أين جئت، وكيف صنعت، ويعظم طريقته لأنه يعرف أركان العلم التي بها يستطيع الحكم على ما يقدمه هذا العالم.

هذا الكتاب فيما يبحث؟ هذا هو عنوانه، لا أعرف كتابًا مثله صرح بمثل هذه التصريحات التي قالها هذا الأستاذ الشيبة العظيم، الأستاذ محمد محمد أبو موسى، وهو رجلٌ مملوء إذا تكلم، أرجو أن ترجعوا إليه، موجود في اليوتيوب بعض محاضراته أو لقاءاته الصحفية.

هذا رجلٌ مملوء إلى مشاشه بحب التراث ويتحدث عن ثقافة هذه الأمة وعن تراثها حديثًا عظيمًا، وهو يقرأ تراث الأمة قراءةً رائعة ودقيقة، يلتقط الكلمة، كيف تنشئ؟، يقرأها ويتغلغل فيها، ويحب أن يقف عندها، وهو دائمًا على طريقة سلفنا يعبر في النهاية عن عجزه وضعفه، ومرات يقول: لا أفهم ماذا يقول هذا الرجل.

انظر هذا الرجل أستاذ البلاغة، وأتى يومًا إلى كلمةٍ في لقاءٍ له، غير منشور على اليوتيوب، بحثت عنه لأني كنت أريد أن أتي به ولكن غير موجود، منذ مدة بحثت لم أجده، لكني سمعته في لقاءٍ سابقٍ له، يقول: أتى إلى مثلٍ ذكره في دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، جاء إلى مثلٍ قرآني، وقال هذا مثلٌ

مشتت- الباقلاني يقول: مثلٌ مشتت، وإذا أخذته على كل حافةٍ أدركت بعضه، ولكن إذا جمعته وصل إلى شيءٍ آخر، غير ما هو مشتت في أفراده، يقف عند الأستاذ محمد محمد أبو موسى، قال: والله هذا الكلام لا أفهمه.

وهذه لا يمكن أن يقولها أحد، إلا إذا بلغ من العلم مبلغه، يعني يقول بعدها: والله لو أردت أن أضحك عليكم ببعض الكلمات من هنا ومن هنا وأقول لكم هذا هو المعنى لفعلت، ولكن النهاية لن أكون آمينًا على الكلمة، ولن أكون قيمًا حقٍ عليها، كيفما ينبغي في بيان هذا الأمر.

هذه هي مرتبة هذا الرجل في تذوقه لكلام أهل العلم.

وهو جاء إلى أعظم ما يحصل به الذوق، ما هو؟ القرآن، يعني أن تتذوق كتاب الله هو أعظم ما يحصل به الذوق، وأعظم ما يحصل به التذوق هو أن تبحث عن أعظم ما تحدى به عز وجل هؤلاء البشر وهو الإعجاز.

فأتى إلى بعض كلام أهل العلم في هذا الباب، باب الإعجاز البلاغي الذي تحدث عنه العلماء في كتاب ربنا، وكيف صارع من قرأ هذا الكتاب، وهذا الكتاب، قرأته مرات، لا أستطيع أن أعد كم قرأت هذا الكتاب، وهو من الكتاب الذي إذا أردت أن تستروح جئت إليه وفتحته، حتى بعد أن تقرأه مرةً أو مرتين، قراءةً تامة، شاملة مستوعبة، لابد أن تمر عليه مرات لأنك تعرف الذي قبله وبعده فقد تتمتع، ما الذي يريده؟

تعجب من شيء غريب: الذين تحدثوا وهم أعظم من تحدثوا عن التذوق القرآني وأعظم من تحدث عن الإعجاز القرآني كلهم يشعرونك بل يصرحون صراحةً واضحة بأنهم حين وصلوا فكتبوا لك ما كتبوا قد أصابهم الضنك، وأتعبهم المسير، وأرهقهم الطريق، وفي النهاية بقيت فجواتٌ كثيرة جدًا لم يستطيعوا ملأها، وكل واحد يأتي ويقول: أنا وقفت على ما كتبه غيري، وهم كثير، ولم يعجبني ما قالوا، مع اقراري بأن الكثير مما قالوه جميل، ولكن لم يصلوا إلى ما وصلت إليه أنا، وصلت إلى شيءٍ جديد، وبعد أن

يقف يتكلم يظهر.

هو أتى أولًا بالخطابي وهذه شخصية عندنا نحن المشايخ إن جاز لنا هذه التسمية، لا نعرف الخطابي إلا في معالم السنن، والفقه، أما أن نعرف الخطابي المتذوق الأديب هذه كما تكلمنا.

هو تكلم عن الخطابي الذي شرح شيئًا من صحيح البخاري، وله معالم السنن في شرح سنن أبي داوود، لا نعرفه إلا من هذا، وفي غريب الحديث، نعرف الخطابي لأنه طبع كتابه غريب الحديث، لكن يأتي يتكلم عن الذوق.

المهم لما نأتي إلى الخطابي وهو يتكلم عن الإعجاز، وهو يذكر الأستاذ محمد محمد أبو موسى أنه لم يتكلم في ما وصل إلينا عن الإعجاز إلا ثلاث شخصيات.

أولًا: النظام وكتابه فُقدَ ولم يأتي، ما عرفناه الذي قال بالصُرفة، وكتاب الجاحظ، وكذلك هذا الكتاب ضاع، وفُقدَ، ولم يوجد، وكتابٌ ثالث فقط.

قبل الخطابي لا نعرف أحدًا، إلا هؤلاء الثلاثة ومع ذلك يأتي إلى المقدمة الخطابي ويقول: ولقد قرأت الكثير مما قيل في الإعجاز، أين هذا الكثير؟ أين ذهب؟

أعود: كل من تكلم عن هذا الباب كالخطابي هذا الإمام المحَدِث اللغوي، ثم الرماني هذا الرجلِ المعتزِلي، ثم ذلك هذا الباقلاني الأشعري.

فقط هنا يقف لا يتكلم لأن له صولات هذا الرجل محمد محمد أبو موسى من عشاق الجرجاني، من عشاقه، من عشاق كتاب دلائل الإعجاز، وأظنه قد قرأه وشرحه عشرات المرات لتلاميذه.

كل واحدٍ منهم يقول قرأت من سبق، ولكني وقفت هذا الموقف، هذا هو تواضع العلماء، وهذا هو سر أنهم يبحثون عن شيءٍ جديد، يبحثون في المناطق الصعبة التي هي عظيمة في نفوس الناس، وإن كان المنفذ إليها هو الرد على الزنادقة.

يعني مبحث قضية الإعجاز القرآني إنما منشئها هو الرد على الزنادقة حين نازعوا في أن القرآن لا يملك ما تتكلمون عنه، لأنهم جهلة.

فجاء العلماء ليكشفوا بعضًا من جماليات هذا الكتاب في موضوع الإعجاز البلاغي، البلاغة القرآنية، وهو الحق، وهو الذي أجمعت عليه الأمة، اختلفوا في باقي جوانب الإعجاز، واتفقوا وأجمعوا على أن الإعجاز المتفق عليه في القرآن هو بلاغة القرآن الذي تحدى به العرب، هو بلاغة العرب.

لماذا يتلقى الأدباء والمفكرون القوس العذراء في زمن محمود شاكر، تلقيًا حسنًا، لماذا؟

لأن الأستاذ محمود شاكر ذهب إلى أشق جوانب الشعر العربي، مما يزعمون أنه لا يُفهم، والقافية والروي الزاي، كما يعرف أساتذتنا، قليلٌ في الشعر العربي، يقولون: لعل، كما يقول مصطفى هدارة في نقده للقوس العذراء، نقده عن الإيجابي، وليس النقد السلبي، لما ذهب إلى القوس العذراء وقال: بأن يعني مقطوعات الشعر التي وصلت إلينا بروي الزاي قليلة جدًا، معدودةٌ على الأصابع.

فذهب الشيخ شاكر إلى أعظم جوانب الشعر العربي مما يزعمون أنه شاق، فأنتج منها هذا الإبداع الجميل، فتعجبوا أن يذهب هذا الرجل إلى ما يزعمون أنه السر المصون الذي لا يولج إليه، لصعوبته ومشقته، فأخرج منها هذا الإبداع الجميل الذي صنع منه شعرًا جديدًا سماه "القوس العذراء".

ما هو منشئ جماليات هذا الكتاب؟

أنه ذهب إلى أصعب علوم ما أنتجه العلماء، يعني أنت لما تذهب إلى تمهيد الأوائل وتبيين الدلائل للباقلاني، الباقلاني كالجويني، الجويني مُتشكك، كثيرًا ما يتشكك، الرازي متشكك أكثر، فربما أتوا إلى الأصول وهي ليست من مهمات الأصول، ولا من أصولها، ويتوقفون عندها، يقفون عندها، ويقولون في النهاية هذا الذي وصلنا.

لكن هؤلاء العلماء الكبار، حين يأتون إلى هذه المسألة، يظهر عرقهم، ويظهر تعبهم، ويظهرون بعد ذلك عجزهم، إذن هذا هو أشق العلوم في تاريخ أمتنا، وهو تذوق القرآن، تذوق البلاغة، كيف يتذوق

المرء هذا القرآن؟

أتى الأستاذ محمد محمد أبو موسى إلى هذه الجوانب التي يحاول المرء لا أن يفهم القرآن، بل أن يفهم كلام هؤلاء العلماء في البلاغة.

لما تقرؤون كلام الرماني مثلاً في إعجاز القرآن، هي رسالة من ورقات، فأنت لما تقرأها، أنت تكاد أن تقول: الرجل "مش فاهم"، يعني لا يستطيع أن يبّين.

نعم هي مشكلة، الناس يخوضون في كلامٍ أنت لا تكاد تفهمه لمشقته، لا لأنه شاقٌ عندما كتبه بل لأنه يتحسس أمورًا تكاد تبين ثم تختفي.

وهنا يظهر كلام الشافعي إنه لتنشئ في نفسي المعاني لا أستطيع، (الشافعي هذا الشافعي إمام العربية) لا أستطيع الإبانة عنها. لا يستطيع الإبانة عنها! معاني تنشئ في القلب لا يستطيع أن يعبر عنها، هذا هو لغز هذا السر الذي يعيشه العلماء. فأتى الأستاذ محمد محمد أبو موسى من أجل أن يستطلع ما الذي يريده هؤلاء؟ ما الذي يربده الخطابي مع مشقة ما يقول؟ ما الذي يريده؟

هذا شيءٌ شاق، يلتقط هنا، ويجمع هنا، ويأتي هنا، وذاك مثلًا عندما أتى إلى تقسيم الخطابي أنواع الكلام، أنه جزل، سهل، وبين، فقال الأستاذ محمد محمد أبو موسى: أي شيءٍ يريد أن يقول لنا الخطابي في هذه التقسمة؟ أي شيءٍ خاص فيها؟ وهذا شيءٌ عجيب! هذا نفحة من نفحات الفتح الرباني الذي لا يمكن أن تقال إلا بهدايةٍ ربانية، يقول: المقصود من ذلك أن الكلام إبانةٌ عن النفس وأن النفس لا يمكن أن تستوعب هذه الحالات الثلاثة في موطنٍ واحد، لا يمكن! هل يمكن النفس البشرية أن تتكلم كلام الرضا والغضب في كلمةٍ واحدة؟ لا يوجد! فإذًا هذه ليست نفسٌ بشرية.

هذا الكلام في حديثه عن محاولات العلماء لاكتشاف سر البلاغة الهادية أن الكلام هذا هو كلام الله، استطاع أن بقوله في كتابه هذا هو "علمائنا وتراث الأمم" في رسالةٍ صغيرةً له، وفي مقالٍ له، وهذا عبر عنه قريبًا الباقلاني. وأنا هذا الكتاب جاءني فقط الأسبوع الفائت، هذا الكتاب الذي هو علمائنا

وتراث الأمم، قرأته متأخرًا، وكنت أقول للإخوة: إن الإعجاز الذي فهمه العلماء السابقون إنما هو اكتشاف نفس الرب في الكلام لا نفسًا بشريةٍ يعرفونها في كلام. إذا تكلم البشر يعرفونه، ولكن هذه ليست نفس بشرية، هذا كلام علوي، لا يمكن أن ينطق به إلا إله.

كأنه كان الأستاذ محمد محمد أبو موسى يبحث في كلام العلماء عن هذه الجملة، وهو التي قالها في هذا الكتاب المتأخر له.

أعود وأقول: في هذا الكتاب ذهب إلى أشق ما يتكلم عليه العلماء ويحاولون، يحاولون الاستطلاع، يحاولون التقريب، يحاولون!

الخطابي يحاول التقريب، ما الذي يريده؟ وهو يقول، ويكرر هذه الكلمة كثيرًا عن كلام السكاكي في كتابه عن البلاغة المفتاح، يقول: ونهاية الكلام في الإعجاز القرآني أن مرده إلى الذوق.

ما هو الذوق هذا؟ كيف ينشئ؟ هنا يأتي النظر إلى ما كان يعيش في نفس العرب أنفسهم من معاني في تذوق الكلام ومعرفة قوته وضعفه، وجوانب قوته وجوانب ضعفه، إلى غير ذلك مما يتكلم عنه البلاغيون.

الأمر الآخر، هذا الكتاب أخرج منه كتبًا، وهذه مشكلة نعاني منها في القراءة، نضيفها إلى فن القراءة، في زماننا هذا سيموت علم الرجل إن لم يستطع تسويقه تسويق الساندويش!

للأسف الناس الآن، يعني يأتي إليك تقول له: لماذا لا تسمع هذه المحاضرة؟ يقول: ساعة وخمس وأربعين دقيقة يا رجل! أعطني سبع دقائق، خمس دقائق وريحني.

فالناس الآن لا يحبون لا الكلام العلمي الرزين، ولا يحبون التطويل، الذي هو مقتضى العلم، أن يجلس ويتعب، الناس يريدون العلم اليوم سريعًا.

فهذا الكتاب لا يعرفه إلا الخواص، وذاك ربما شعر بهذا، فصار يخرج من هذا الكتاب كتبًا أخرى،

منه يخرج كتبًا أخرى، أخذ كثيرًا مما يقوله هنا ووضعه في مقالات من أجل أن يقول اقرأوا، لعل الناس يقرأون، لأن هذا كتاب غزير، وكتابٌ جزل، وكتابٌ سيقولون في النهاية صعب وليس كذلك، ولكنه من أجل أن يقدمه لهم.

ليس الكتاب فقط خاصًا بهذا، الكتاب للكاتب فيه زفراتٌ أخرى.

أولًا: الحديث عن التفريغ الذي مورس علينا من قبل مؤسسات التعليم في بلادنا، تفريغ طالب العلم من تراث هذه الأمة، يعترف مثلًا أستاذ الجيل زكي نجيب محمود يسمونه غير أحمد لطفي السيد، ولكن يعتبرونه فيلسوف العرب في كتابه تجديد الفكر العربي، هذا رجل يعتبره أهل الثقافة أنه أستاذ الثقافة العربية، ومع ذلك هو يعترف في كتاب تجديد الفكر العربي. يقول: بأنه نشئ وإلى هذه اللحظة لم يقرأ شيئًا من ثقافة العرب، يقدم هنا نموذجًا لفاروق الباز، يقول: حتى لما قرأنا في الجامعة المصرية عن جيولوجيا الأرض كان يقرئوننا عن جبال الألب، لا عن الصحراء المصرية! هذه المشكلة، التغريب، تفريغ الأمة.

فهو يتحدث حديثًا طويلًا عن هذا الباب، يتحدث عن طرق التربية التي ينبغي أن يسلكها طالب العلم.

في الحقيقة الكتاب عظيم كل صفحة فيه لا يمكن أن تتجاوزها، هذا الكتاب، كتاب الإعجاز البلاغي لا يوجد صفحة فيه يقول ممكن أن أستغني عنها، فأذهب عنها إلى غيرها، الأمر ليس كذلك.

هذا كتابٌ يتحدث عن نفسه لا يمكن أن يقدمه المرء بأكثر من هذا، ينبغي أن تعود إليه.

يتحدث عن الإعجاز القرآن عند الخطابي، ثم الرماني.

وهناك سرٌ عجيب يكشفه هذا الكتاب: وهو أهمية قراءة مقدمة الكتب، وهذه أخذها هو فيما علمت من كلامٍ للجرجاني في دلائل الإعجاز، يتحدث عن المقدمات، أن المقدمات مهمة جداً لأن الكاتب يكتب فيها بنفسٍ متألق، يريد أن يبين عن نفسه بأفضل الطرق، وبأن يبين عن نفسه بأجلى

بيان، وبأحلى بيان.

وبالتالي هو يقوم على دراسة مقدمة كتاب الإعجاز للباقلاني، يشرح المقدمة شرحًا جميلًا، ويبين محاولًا عن نفس صاحبها وما الذي يريده.

فقط إذا قيل ما هي سلبيته؟ لما جاء الباقلاني لنقد أفضل قصائد امرئِ القيس، فنقد قفا نبكِ، وهذه تُعد من عيون شعر العرب، بل الناس لا يعدون أحدًا يجري مجرى امرئ القيس، خاصةً إذا رغب، كما يقولون.

فجاء الباقلاني ونقد كثيرًا من شعره، وجعل هناك ثمة شعر مغسول، ما معنى شعر مغسول؟ يعني لا لون له، ماله قيمة، فالشيخ ينتصر، يقول الباقلاني ينقد امرؤ القيس نقدًا أدبيًا عقلانيًا، يعني أين المعاني العقلانية في كلامه؟ فلا يجد، من أجل أن يظهر جماليات ما يقابله وهو القرآن.

يعني يقارن بين هذا، إذا حدث امرؤ القيس في هذا الجانب، فحدث القرآن، انظر إلى امرؤ القيس، أين سقطاته التي لا تحمل علمًا ولا تحمل دلالةً عقلية، والأستاذ محمد محمد أبو موسى لا يرضى هذا.

هذا هو موطن الآنتصار والآنتصاف من الباقلاني، ويأتي رادًا متعقبًا في الرد على كلمات الباقلاني ضد امرؤ القيس، وينتصر لأمرؤ القيس، مُظهرًا جماليات البلاغة.

ولما قرأت هذا الجانب، وأردت أن أرى في أي شيء يدور، وجدت فيما يسمى بانفكاك الجهة.

يعني بأن الدكتور محمد محمد أبو موسى يتكلم عن جماليات البلاغة، وعن جماليات اللفظ، والباقلاني يتكلم عن عقلانيات النص، ماذا فيه من عقلانية وما فيه من علوم جديدة! وذاك يتكلم عما فيه من بلاغةٍ لغويةٍ مجردة.

هذا يمكن الآنتصار فيه.

كذلك يتكلم في النهاية هو عن هذا الباب عن الباقلاني والإعجاز القرآني، ويتكلم عما تكلمنا في

من قصائد لأمرئ القيس. ثم يأتي إلى الصرفة، وهذا جانب مهم، وفصل له تفصيلًا جيدًا، مع أن الكلام كما قلنا للنظام وهو الصديق المقرب للجاحظ، ويبين لنا الفرق ما بين صرف الهمم عن منازلة القرآن، وعن الصرفة، ما الفرق بينهما؟ لأن هناك من ظن–كما ظن البعض، حتى نسبه للقاضي عِياض، أن القاضي عِياض يقول: بالصرفة! وهذا خطأ.

وهناك فرق بين أن، كما يقول شاكر –هذه لشاكر موجودة في كلامه عن إعجاز القرآن– يقول: أن توجد الدواعي لمعارضته ثم هم يتركونه، فقال: هذا من الإعجاز.

بل يقول شاكر: وإن الله عز وجل لقد ترك الحكم لهم، لعلمهم بإنصافهم في هذا الباب، لا يكذبون، هذا جانب لا يكذب فيه العرب يعرفون ما الكلام الجميل والكلام الأجمل، والكلام الذي يقوله البشر والكلام الذي يقوله ربُ البشر.

فلما قال: أن توجد الدواعي الشديدة لمعارضة القرآن، ثم لا يُقْبلون على التحدي، هذا دليل إعجاز القرآن، هذا فرق بينه وبين الصرفة، بمعنى أن الله صرفهم، أي منعهم من أن يقبلوا، هناك فرق بين هذه وهذه، أن يعرض بإرادته، أو أن يعرض بسبب صرف الله عنه وعدم إقبال إرادته عليه–هذا فرق!

كذلك من أجمل ما فيه، وهو جميلٌ جدًا، وإن شاء الله أتكلم عنه بتوسع إذا قدرت، لأننا إحدى أجزاء هذا المشروع في هذا الفصل في هذه السنة إن شاء الله، أنا أتحدث عن أربعة كتب من كتب الفرق، هذا ذكرته في الإعلان:

الكتاب الأول: هو كتاب أبي الحسن الأشعري "مقالات الإسلاميين".

الكتاب الثاني: الفِصل لابن حازم

الكتاب الثالث: النِحَل للشهرستاني

الكتاب الرابع: الفرق بين الفِرَق للبغدادي.

هذه تقريبًا ما نحتاجه.

جاء الأستاذ محمد محمد أبو موسى، وناقش ابن حزم في موضوع بلاغة القرآن، وباختصار أن ابن حزم يقول في الفِصَل كما هو بيّن في كتابه في المجلد الأول في الفِصَل: أن بلاغة القرآن من غير جنس بلاغة العرب. وهذه كلمة حاول الأستاذ محمد محمد أبو موسى في كتابه هذا أن يوفق، لأنه قد قالها من قبل ابن حزم الباقلاني، تعرفون ابن حزم مع الباقلاني غير أصحاب، بل نقل كلامًا ناسبًا إياه، قال لو صح عنه لكفر، وهذا لا يصح من ابن حزم ولا تُقبل منه.

القصد، فهذه الكلمة قالها الباقلاني من قبل، يعني ماذا قال؟ قال: بأن جنس بلاغة القرآن من غير جنس بلاغة العرب، مع أنه ناقش جبلية القرآن البلاغية على طريقة نسق كلام العرب فحاول التوفيق بينها.

ولما جاء لابن حزم رد عليه ردًا جميلًا أدبيًا، مُعظمًا له، يستحق ذلك، هذا ما عندي بالنسبة لهذا الكتاب، اسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا به وأن يجزيَّ كاتبه خير جزاء على ما قدم وأمتع.

وهو كتابٌ، كتابٌ أدب وشعر، هذا كتاب كأنه كُتب شعرًا، يعني الأستاذ محمد محمد أبو موسى يتكلم من قلبه، يتكلم من ذوقه، يتكلم من معاناته من أجل إصلاح أمته، ونسأل الله أن يجزيه عنا خير الجزاء على ما قدم، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: استفسار عن كلمة لشيخ الإسلام ابن تيمية، معناها كان "إذا اتسعت العقول وتصوراتها اتسعت عباراتها"؟

الشيخ: هذه كلمة له رحمه الله.

هناك شيء أريد أن أخبره لكم، إياكم أن تظنوا أن هناك ثمة عالم في تاريخنا كان قاصرًا على جانب، نعم يُقال له مشاركات، يعني أن يكون الرجل أُصوليًا، له انشغال بالأصول، لكن لا يعني أنه ليس له انشغال بغيره.

وأنا دائمًا أقول كلمة: عندما أنا اقرأ للإمام عبد الرحمن بن مهدي، أو اقرأ لشُعبة قبله، اقرأ تراجمهم، فأجد أنهم يقولون: وكان يجلس في مجلسه خمسون ألفا!! وعدد المسمعين في مجلسه مائة، المسمع هو مثل الميكرفون، يردد كلامهم.

فتصور في زمن المأمون، يقول مأمون ليحيي بن أكتم وزيره، يقول: أنا ما وقع على أذني أطرب وأجمل وأحلى من قول المسمعِ، ماذا قلت يرحمك الله، يقول: هذه أحلى من قول يا أمير المؤمنين، هذا الكلام كله تراب ماله قيمة!

أجمل كلمة تقع هو أن يقول المسمع: ماذا قلت يرحمك الله.

قال: هذه أجمل شيء، لأن المسمع مرات لا يسمع ما يقول، أنا هذه من أجل أن تدل على ماذا؟ عدد المسمعين، تصور كم المسمع بعيد عن المسمع الآخر، يعني ميكرفون وراء ميكرفون، سماعة وراء سماعة.

فمرات المسمع لا يسمع ماذا يقول الذي قبله، يقول: ماذا قلت يرحمك الله، أنا أحضرت كلمة المأمون للدلالة على كثرة المسمعين، وأنه قد يكون بينهم المسافة الواسعة التي لا يسمع المرء ماذا يقول صاحبه.

فالسؤال: إذا كان يجلس مرات خمسون ألف في مجلسه، ومرات مئة ألف، ومرات مئة وخمسين ألف، في مجلس مُحدِّث، وحين تأتي إلى المحدثين وتراجمهم، لا تجد هذا العدد كله لمحدثٍ واحد! يعني أنت إذا لو أردت أن تجمع طبقات الحفاظ، يعني هناك كتاب طبقات الحفاظ للسيوطي، جمع فيه تقريبًا ما وصل إليه من عدد الحفاظ الذين رووا الحديث، فلا تجد هذا العدد، ولا نصفه.

فهذا السؤال: أين ذهب هؤلاء؟ وأين ذهبت هذه الأعداد الغفيرة التي كان همها سماع الحديث وروايته، ولم يبدون أنهم اشتغلوا في الحديث، ولم يهتموا به، ولكن كانوا فقط يجلسون للسماع، ويكتبون، ويسمعون! أين ذهبوا؟ هذا دلالة على أن الأمة كلها كانت تُخرّج من هذه المدارس!

يعني بياع الفواكه كان يخرج من أين؟ من مجلس التحديث، يعني بعد مجلس التحديث، كم واحد ينشط للحديث؟ لنقل ألف، يعني يصبح هذا عملهم، وهذه رغبتهم، من الرحلة في الطلب، وجمع الأسانيد، وجمع الأجزاء، والاختيارات، والآنتخاب، إلى غير ذلك...

فلنقل من الواحد أخذوا ألف رووا عنه، واهتموا بالرواية، وجلسوا للرواية بعد شيخهم، أو رحلوا حَدَّثوا أو حُدِثُوا.

فأين البقية؟ البقية هم الأمة! البقية هو "الكندرجي" يُصلح الأحذية، البقية هو الذي يبيع الخضراوات، البقية هو الذي يحذي الحيوانات، البقية هو الطبيب، البقية هو البنَّاء

تصور بأن هؤلاء الذين تحدثنا عنهم بهذه المهن الذي ذكرناها هم الذين تخرجوا من هذه المدارس!!

فإذًا: كانت الأمة هي التي تنتج العلوم، ولما يقول الأستاذ محمد محمد أبو موسى-لما كانت تجلس الخنساء مثلًا لتقضي بين شاعرٍ وشاعر، هو عندنا الصورة الآن كأنهم في جامعة، أو في داخل الكلية، وننسى أن الحوار يدور في داخل سوق!! بمعنى أنها تجلس في الخيمة فيأتي إليها الشعراء فيقضون، والناس يسمعون، والناس لما تقضي لهم يفهمون عليها، ويعرفون ما تقول، فلماذا؟ لأن القواعد عندهم موجودة، حتى عند العوام.

هذا الذي قاله ونطقته، وربما كانت الجملة طويلة لما قلت: لما كان أرسطو يجلس فيعلم الناس لغتهم لحاجتهم إليها، وهذا لا يعرف هذا في تاريخنا، لأن الأمة موجودة في داخلها هذه المعاني.

وذلك إذا قال لك قائل: إن صانع الأحذية في زمانهم لهو أبصر بمناهج العلم، من مشايخ ودكاترة هذا حقيقة! كانوا يبصرون العلم، ويعرفون معانيه، ويتذوقونه، ويدركون من الجيد، ومن الرديء، يعرفون

هذا.

ومع ذلك، سأقرأ لك نصًا للباقلاني.

الباقلاني يشكو زمانه.

تعرفون ما من عالمٍ في تاريخنا لم يشكو زمانه، وحتى عائشة استدلت ببيت شعر

ومضى الذين يُعاش في أكنافهم وبَقيتُ في خَلْفٍ كجِلدِ الأجرَبِ

هذه عائشة!! فكل من جاء شكى زمانه، ورثى الذي مضى، حتى وصلنا إلى يومنا هذا.

القصد الذي، يعني أنا أقول لكم كلمة: أنا أأسى على رجلٍ يفهم شيئًا في هذا الزمان، أي شيء، ولله اليوم لو أنك تفهم كيف تُصنع صناعة ما، أأسى عليك، لأنك حين تكون مُتقنًا لابد أن تأخذ أُجرة إتقانك، أنت تريد أن تقدم شيئًا جيدًا لا غش فيه، تريد أن تتقنه، وغيرك يعرض بضاعته، والناس لا يعرفون، لا يميزون، هكذا المثَّل عندنا: كل عند العرب صابون.

هو يرى كتابًا، يقول: ما شاء الله.

مرةً –لا أريد أن أذكر الاسم، ولله رأيتها– دخل اثنان لصاحب مكتبة من أجل أن يعرض عليه كتابًا للبيع، تعرفون طريقة بيع الكتاب يبيعونه فيشتري، أقسم بالله هذه أمامي جرت.. صنع صاحب المكتبة هكذا، هذا أمامي! قال: ولله هذا أغلى، ولو ذكرت لكم اسمه لتعجبتم، وهو معدود في مشايخ هذا العصر! هذا صاحب المكتبة معدود في مشايخ العصر.

عندما تجلس أنت في خطبة وتعد للمتكلم خلال العشرة دقائق، عشرين خطأً نحويًا! عشرين خطأً!

فأنت، يعني ربما هو أتقن خطبته من جهةٍ أخرى، مثلًا: تكلم بعاطفة جيدة، تكلم بموضوع مهم يخص الناس، لكن فتخرج متضايق، جزاه الله خير، فيأتيك أحد الخلق، ما شاء الله رأيت بلاغة الخطيب؟

فأنت هنا تقول: بلاغة! وأي بلاغةٍ هذه؟ هب أنك قلت له: أي بلاغة؟!! مع من تتحدث لتقول له: أخطأ! هذا هو زماننا.

فانظر إلى الباقلاني، هذا الإمام العظيم الذي تحدث هذا العلم. إخواني، أنتم تعرفون ما معنى أن يتذوق الرجل شعر كل شاعر؟

طيب، اقرأوا هذا الكتاب قبل أن تذهبوا إلى كتاب الباقلاني –هو مطبوع، كتب هذه الثلاثة مطبوعة في كتابٍ واحد، هذه الخطابي، والرماني، والباقلاني مطبوعة في كتابٍ واحد.

يقول الباقلاني يشكو هذا الزمان ويقول: إن الجهل فيه ممدود الرواق، شديد النفاق، مستول على الآفاق، والعلم إلى عفاءٍ ودروس، وعلى خفاءٍ وطموس، وأهله في جفوة الزمن البهيم، يُقاسون من عبوسه لقاء الأسد الشئيم، حتى صار ما يكابدونه قاطعًا عن الواجب من سلوك مناهجه والأخذ في سبيله.

يعني تعرفون هذه الكلمة الأخيرة؟ يعني هذه أشبه بقولهم: على من تقرأ مزاميرك داوود.

العلم جماله في أن تُحَدِّثَ به، وأن وتُحَدَّث به، هذا هو جماله، يعني الجمال أنك إذا علمت شيئًا ناقشت الناس فيه، هذا هو جمال العلم! فإذا علمته وفتح الله عليك فيه، فرأيت سوقه جدباء، مصوحة، لا أثر فيها لأحد، فما هي النتيجة، ماذا قال؟ قال: حتى صار ما يكابدونه قاطعًا عن الواجب من سلوك مناهجه.

أبو بكر ابن العربي، ذكرها السيوطي في الإتقان، قال: وأنا فتح الله عليَّ من هذا العلوم شيئًا لا أعرفه مما سبقه، وهو علم المناسبة بين الآيات.

قال: فلما رأيت أنه لا أحد سمع له، طويت عليه الدروس وما نشرته ولا بذلته، لا كتبت فيه، ولا تكلمت فيه، وانتهينا منه.

فارجع: من الكلمات التي يقولها الباقلاني، وهذه في الحقيقة تصلح منهجًا لقراءة العلوم، انظر إليه، فانظر إليه: انظر إلى العلم بسكون طائر (لا تستعجل، هل نظرتم من قبل إلى الصقر وهو واقف؟ قد يقف ساعتين لا يتحرك منه شيء كأنه الحجر، هل رأيتم هذا؟ هل رأيتم عصفورًا ساكنًا؟ دائما متحرك، ولكن الصقر، انظر إلى الصقر وهو واقف، قد يقف ساعتين، أنا رأيته وشاهدت هذا بأم عيني، وتظنه والله حجرًا لا حراك فيه، ولا دم فيه، ولا روح له، إذا أردت أن تجلس لا تكن كالعصفور، هذا على قاعدة العوام: "كثير النط قليل الصيد". اليوم أكثرنا من العوام لأن في الحقيقة مع هؤلاء العلماء كيف تجاريهم؟) انظر إليه بسكون طائر، وخفض جناح (التواضع، أن تتذلل، هذا العلم لا يأتيك إلا أذا تذللت إليه، أتيت طالبًا مستكنًا، لا مستعليًا عليه!) وتفريغ لُب (لا ينفع أن تأتي مشغولا، أخر النهار، العلم إن عطيته بعضك لم يُعطيك شيء، وإن أعطيته كلك أعطاك بعضه) وجمع عقل في ذلك فسيقع لك الفصل أو العلم... إلخ.

طيب، نرجع إلى كلمتك التي حمنا حولها.

أول شيء: عليك أن تفهم أنه لا يوجد عالم من علمائنا إلا وله مشاركة في العلوم، ولكن العالم قد يشغله فن، انشغل فيه، وبذل فيه جهده، فتظن أنه لا انشغال له بغيره. والصواب أن العلماء لهم مشاركات في العلوم كلها، وإلا ما ذاقوا هذا الذي نراه منهم.

يعني عندما نأتي إلى ابن تيمية رحمه الله مثلًا، هذا الرجل في صورتنا وعندنا رجل صدام ورجل معركة، هكذا نراه في كل يوم

وسوى الروم في خلف ظهرك روم على أي جانبيك تميل

أليس كذلك؟؟

لكن أنت لما تذهب إلى الفتاوى، تذهب إلى كلامه، إلى كتبه، وتتلمس إنسانيته، تتلمس تذوقه للكلام، وهو لا يتحدث عن نفسه، لما تذهب إلى ابن القيم، وخاصة في كتابه مدارج السالكين، هو

يتغلغل في نفس ابن تيمية الرقيقة، وتذهب إلى رسائله إلى أمه التي أرسلها من مصر.

فأنت تكشف جوانب من شخصيات العلماء غير ما تعرفهم.

يعني لو أن رجلٌ أراد أن يجمع كلام الشافعي في كلام العرب، وفي جلال الكلام، تجد كلاما لا يوجد عند البلاغيين! ومن هنا قالوا: إن الأصوليين أفادوا البلاغة أكثر مما أفاده أهل البلاغة أنفسهم.

فابن تيمية لما يقول: إذا اتسعت تصورات المرء اتسعت عبارته.

التصور يوجد معاني، هذه المعاني تحتاج إلى ألفاظ، بل ربما لا تقوم بها الألفاظ، لابد لها من تراكيب، وما الذي ينشئ التراكيب الجميلة؟ صحيح أنه الذي ينشئ التراكيب الجميلة أولا: هو محبة تزيين الكلام! لكن ليس هذا هو فقط، التراكيب عند العلماء ليس هو السجع، على كل حال هو أتى ا-لمن قرأ الكتاب- أتى إلى موضوع السجع، والباقلاني نفى السجع عن القرآن، والذين قالوا في السجع، فوفق بينهما الشيخ الأستاذ محمد، بأن السجع المقصود به ليس هو فقط الألفاظ بلا معاني، ولكن المعاني هي التي أوجدت السجعة على هذا الوفق، وهذا الجمال.

فالتراكيب الذي نراها عند العلماء، هذه التراكيب ما الذي أنتجها؟ أنتجها سعة الأفق، لأن التراكيب هي ذهابٌ للكلمات إلى معانٍ بعيدة، لابد من جمع الشيء مع ما يشبهه قريبًا، ليدل على هذا المعنى البعيد!

فما الذي أنتج الكلمة الجديدة؟

اتسعت العبارة، يعني صحيح بأنها لابد من البحث عن الكلمات الملائمة لها، لكن الأمر أبلغ من ذلك وأشد وهو: التراكيب الجديدة، الاستعارة الجديدة، فإذا اتسع تصور المرء ذهبت إلى آفاق من العلوم تعجز عنها العبارة القريبة، فينتج عنها عبارةً جديدة، من التراكيب الجديدة، وهنا ينتج الجمال.

العلم في ديننا ملتصقٌ بالجمال، الجمال عند الأخرين قد لا يكون له أهمية، إلا أن ينتج جمالًا نظريًا،

يعني تماثيل وغيرها، لكن الجمال في ديننا مشتركٌ في العلوم، الجمال في ديننا مختلطٌ بالمنفعة التي تحقق الرضا الإلهي، وتحقق العبادة، وكلما ازددت أنت تزوقًا لجمال القرآن ازددت عبادةً لله!

هذا هو ما يتميز به هذا الدين، ويتميز به تراث هذه الأمة.

السائل: الكلمة التي تذكر في كلمة العلماء كالسيوطي: فُتح لي، ولم يُفتح لي في باب كذا، وباب كذا.

الشيخ: نعم صحيح، السيوطي في كتابه "الرد على من أخلد إلى الأرض" فقال: بأن هناك من العلوم ما يعلمها ولا يعرفها أهل عصره، ونحن نصدقه. والسيوطي جمَّاعة.

ومن هو سيد خصومته؟ هو السخاوي. والصواب أن السخاوي لا يبلغ مع السيوطي في اتساع علومه، وإن كان قليل التحقيق، التحقيق عنده قليل وكتبه في التحقيق قليلة، لكنه جمَّاعة.

فأن يقول أن هناك ثمة من العلوم لا يعرفها أهل عصره، أنا أصدقه، السيوطي باقعة في هذا الباب، ولا يبلغ مبلغه في زمانه أحد، ولا حتى السخاوي، مهما أُخذ على السخاوي، مهما أُخذ في تراجمه. كما ذكر الشوكاني عنه، والحقيقة أنا راجعت هذا، قرأت كتابه في التراجم، فوجدته لا يذكر عالمًا من معاصريه إلا ويجدع فيه ويتهمه، والسيوطي أكثر إنصافًا منه في هذا الباب، مع أن يعني هناك من يميل إلى السخاوي.

ولكن أنا أُقر بلا شك بأن السيوطي له عنده من العلوم ما لا يعرفها غيره، ويكفي أنه أنتج بعض العلوم.

وهنا نأتي إلى كلمة هنا من فوائد قراءة المنهج وقراءة التراث، أنا قلتها سابقًا، والحمد لله أنا ما أقوله مما أن يكون عالقًا في قراءةٍ سابقة وأنه مبنيٍ على قراءة سابقة، ليس هناك ثمة إنتاجًا ذاتي. يقول محمد محمد أبو موسى: بأن لا يوجد هناك علمٌ ينتج من الفراغ، هذا قلناه في التفسير عند قوله: [وعلم آدم]، العلم لا ينتج من الفراغ، بالتأمل، لا، العلم ينتج علمًا، لابد أن تعلم لتنتج علمًا، وإذ لم تعلم لا تنتج إلا

جهلًا، فالعلوم تنتج العلوم.

فالسيوطي مثلًا أنشئ علومًا، كتب كتبًا، وإن كان من سبقه ولكن لم يبلغ مبلغه، لأنه هو الذي بنى على قواعد.

مثلًا: لما كتب "الإتقان في علوم القرآن" لم يكن قد اطلع على البرهان للزركشي، وكتب الزركشي للذكر لا يوجد لها مثيل، كتب الزركشي الشافعي لا يوجد لها مثيل، ذلك لأن الزركشي ورَّاق، ويحب الورَّاقين، كان دائمًا يجلس عند الورَّاقين، ويأخذ الكتب. فذلك إذا نظرت إلى كتب الزركشي، إلى أي كتاب من كتبه، كالبرهان في علوم القرآن، وكذلك في كتابه البحر المحيط في الأصول.

تجد أنه يكاد يستوعب في الموضوع كل ما قيل قبله، لماذا؟ لهذا الشأن الذي هو فيه. وهو: الاطلا ع، كثرة القراءة، فتجد أنه يجمع في الموضوع الواحد ثلاثين أو أربعين قول، أو ثلاثين أربعين عالما يذكرهم في من قال هذا وقال، هذا وقال، وهو يذكرهم لكثرة اطلاعه، لأنه كان مُطلع.

ولكن له سيئة واحدة، سوء الخط! خطه سيء رحمه الله.

القصد: لما بدأ السيوطي كتابه الإتقان لم يكن قد اطلع على البرهان، ثم اطلع، ولكن كان فقط اطلع على رسالة صغيرة لشيخه البلقيني في علوم القرآن، وهي رسالة مطبوعة، طُبعت اليوم وليس فيها إلا أشياء قليلة! ولكنه توسع.

لما جاء "للأشباه والنظائر يتكلم كلامًا رائعًا في الأشباه والنظائر.

لما جاء وأقام كتابه في النحو أنشئه على غرار كتب الأصول، جمع الجوامع

فالسيوطي بلا شك أنه إمام علامة عظيم، وكتبه نافعة، ويؤخذ عليه ما يؤخذ على المتأخرين، لكن قلما هناك مسألة لا تعرج فيها على ما جمعه السيوطي رحمه الله.

السائل: شيخنا، ذكرت أن العلم........، يعني هل كان دور أبي فهر محمود شاكر مع رحمه الله.....

الشيخ: هو قابله، جلس معه، ولكن مع حبه لشاكر يحاول الأستاذ محمد محمد أبو موسى وهو حي، هو يتكلم عنه بإعزاز وتقديم عجيب.

لكن أظن أنه لم يكن -أنا لم أطلع على هذا، وليت أحد الطلبة يفيدني- لا أظن أن الأستاذ محمد محمد أبو موسى كان من خواص تلاميذ شاكر!

شاكر كان له عصابة، تلاميذ يجلسون معه، يبثهم ويبثونه، ويتشاجرون معه ويتشاجر معهم، كعادته، فله عصابته.

هو يقول: جلس معه، كما سمعته يقول، لكن لا أظن أنه كان من خواص تلاميذ شاكر.

السائل: شيخي....... يجالسوا كل أسبوع.........

الشيخ: ربما!، الأستاذ محمود شاكر كان له صالون معروف، يعنيصالون أسبوعي.

السائل: كان يجلس معه، فطلبوا بحث....... فقال له: هو ليس موجود، وحصل بينهم نقاش حاد، فثاني يوم بحث عنه الشيخ أبي فهر وبعثه للجامعة، إلى جامعة الأزهر..........

الشيخ: يمكن، القصة لا أعرفها، ما عندي علم.

السائل: العلم الذي يرى بعض العلم أنه تفرد به، قد يكون ليس نصًا، قد يكون فهمًا، كما قال سيدنا علي رضي الله عنه......

الشيخ: يعني ما المقصود بالعلوم الخفية يا شيخ؟

مثلًا: لما يأتي الشيخ العظيم أبو بكر ابن العربي في (علوم المناسبة)، علم المناسبة اليوم هو علم مطروح يُدرس في الجامعات، ويدرس في علوم القرآن، تحت أي كتاب من علوم القرآن المعاصرة تجد علم المناسبة.

لكنه في عصره يتكلم عن أن هذا علمٌ مفقود، وإذا تحدث عنه لا يجد من يسمعه، ولا من يطرب معه، ولا من يراجعه فيه!

فهذا علمٌ اسمه "علم المناسبة"، هذا العلم من علوم القرآن، لا يعني أن هناك ثمة علم هو أصل من أصول الدين، وأصل من أصول العلم، لكن هذا علمٌ خَفيٍّ.

فهناك بعض العلوم التي تظهر في زمان وتخفى في زمانٍ آخر، فيعلمها من يعلمها وتخفى على من تخفى عليه.

السائل: المؤلف، مصري الجنسية هو؟

الشيخ: طبعًا، مصري، شيخٌ أزهري، كان عميد كلية الآداب أظن، هو المسؤول عن قسم البلاغة، وله محاضرات في شرح دلائل الإعجاز.

السائل: جزاك الله خيرا على هذه المناقشة، هلاَّ ذكرت لنا بعض الكتب القيمة للمعاصرين في الإعجاز القرآني.

الشيخ: لا يوجد.

أنت في الجامعة أريتني كتابا للأستاذ فضل حسن عباس، كتاب أمات فيه الإعجاز.

الأستاذ صلاح الصاوي حاول أن يكتب في الإعجاز تاريخيًا، وأن يكتبه أكاديميًا.

الذين يكتبون أكاديميًا من أجل أن يعلمون الطلبة، ثم هذه الكتب تنزل للسوق، هذه جريمة! هذا يريد أن يقدم كتابا للأطفال، من أجل أن يقدموا الامتحان في آخر العام.

ما هو الإعجاز عند الرماني؟ واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة! هذا إماتة!

للذكر: هو يعظم الرافعي تعظيمًا جميلًا، وينتقده كذلك.. يعرف كيف يتغلغل الرافعي، ولا أريد أن

نتكلم الآن، إن شاء الله نتكلم عنه في إعجاز القرآن، أو تحت راية القرآن للأستاذ الرافعي، نتكلم عنه بتفصيل، فهو يمدحه مدحًا شديدًا، لكنه يتغلغل فيه، ويتكلم عنه بنقدٍ جميل، رائع، ويصيب.

الأستاذ مصطفى صادق الرافعي لما كتب تاريخ الأدب العربي، –هذه فقط للجواب على هذا السؤال، يعني ليس بعيدًا عما نحن فيه– فلما كتبه، هو يعني لم يكن قديمًا مدرس الجامعة يجب أن يكون دكتورًا كما اليوم!

الجامعة الإسلامية لما فتحت، عامة من فيها العلماء، من غير دال، دال يعني دجاجة!!!

فتصور أن الجامعة الإسلامية في أوجِ إخراجها لطلبة العلم المجدين والجيدين، لم يكن أساتذتها من (د. دجاجة)، ولكن أرادوا أن يجروها على المعنى، فأجبروا المشايخ يذهبون يحضرون الدكتوراه.

حتى قال بعضهم طُرفة –لا أدري إن صحت أم لا، لكن ذُكرت لي بالأسماء– أن هناك من هو شيخ وأستاذ للجامعة، وبعض المدرسين يأتون للتدريس، فاضطر أن يذهب هذا الشيخ إلى تلميذه ليأخذ منه الدكتوراه، فانتقم لنفسه.

القصد: فلما أنشأت الجامعة المصرية، كان يُدرس فيها المستشرقون ومن ليس (د.)، وأول من أخذ الدكتوراه أظن هو طه حسين، دكتوراه الدولة في السوربون.

فلما طلبت الجامعة المصرية من العلماء، الأئمة الفحول، أن يكتبوا في تاريخ الأدب العربي ليُدرس في الجامعة، فبدأ يكتب، وهو الأستاذ مصطفى الرافعي يرى نفسه، وهو إمام في هذا الباب، فبدأ يكتب، وبدأ يكتب جورجي زيدان، وجورجي زيدان سبق الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في الطبع، وهو فقط طبع في حياته جزأين، والثالث جُمع بعد وفاته، وجدوا أوراق في مكتبته فجمعوه وطُبعت، في ثلاثة أجزاء.

فماذا قال؟ أخرج مقالة أنه سمع أن ستُقدم هذه الأبحاث إلى الجامعة المصرية، وسيختارون أفضلها، لكنه وصله الخبر أنه هذا لا يلزم أن يُدَّرس المدرس الكتاب! يعني أنهم سيأخذون الكتاب وسيعطونه

لأحد (د.) من أجل أن يدرسه!

مصطفى صادق الرافعي من أين يُدرس؟ معه التوجيهية أو ليس معه لا ندري!! فكتب مقالةً نارية كعادته مسح بالجامعة المصرية الأرض، إذا أخذتم الكتاب من غير مُدرسهِ، كأنكم لم تأخذوا شيئًا، هو يريد أن يقول أنا يجب أنا أخذ التدريس.

فلم يُقدمه للمسابقة، لأنه علم أنه حتى لو نجح لن يصبح مدرسًا في الجامعة.

طبعًا، عميد الأدب العربي، هو عميد كلية الآداب، فسموها كعادة العجم، ومن استعجم من العرب.

العجم يحبون الأسماء العظيمة، والعرب الذين يستعجمون.

القصد من هذا: أن الكتب التي تؤلف للتلاميذ لا تصلُح لأن تكون كُتبًا علمية.

أغلب من يُدرس في الجامعات والمدارس في تأليفهم الكتب، من أجل يعرفوا منافذ كيف يكتبون الأسئلة.

ترى الامتحان: أُكتب لي أركان الإعجاز عند الخطابي.

لو قال له: اذهب فاقرأ كتاب الخطابي، هو لا يستطيع أن يعرف، فالدكتور جعل يجمع، ويضع نقطةواحد، اثنين، ثلاثة، أربعة. فهذا لا يكشف الكتاب ولا يُعرف نظرية الإمام، هو يُقدم له العلم على طريقة النقاط ليقدم الامتحان في النهاية فقط.

فللأسف هذه الكتب التي انتشرت في الإعجاز.

طبعًا كتاب الشيخ الأستاذ صادق الرافعي ذكرناه.

من أفضل ما كُتب في الإعجاز المعاصر للأستاذ محمد عبد الله دراز في النبأ العظيم، له كلام من أروع ما يكون، ووجدت كلمةً من أجمل الكلام فيه هنا لمحمد محمد أبو موسى في كلامه عن النبأ العظيم.

وقلت لكم هذا كتاب الإعجاز البلاغي منجم، يقول: إن من منافع كلام محمد عبد الله دراز في النبأ العظيم أنه يأتي إلى كلام أهل العلم، فيصيغه بثوبٍ جديد ويُضفيَ عليه من روحه وكلامه الكلام الكثير. ويقول: وهذا ليس من السرقة في شيء، وهذا هو شأن العلم.

وشأن العلم أن تبني علمًا على علم.

لما كتب الأستاذ مالك ابن نبي الظاهرة القرآنية، وهذا الكتاب إن شاء الله سنختاره، لأنه مهم جدًا، وإن كان ليس من مشروع مالك بن نبي، مشروع مالك بن نبي النهضة، وربما نختار كتابًا عن النهضة ومشروعه. لكن لما جاء إلى الظاهرة القرآنية تكلم كلامًا أشبه بالفيزيائي، لأنه فيزيائي هو في الحقيقة، هو عملي وآلي.

كتبه بالفرنسية، من ترجم كتب مالك ابن نبي؟ عبد الصبور شاهين، وعبد الصبور شاهين هو أحد جُلاس عصابة الشيخ شاكر.. أنا أُحب هذه العصابة.

على الرغم مما ننتقده على عبد الصبور شاهين، انتقدنا في قوله: **[وإذ قال ربك للملائكة]**، حيث أخرج كتابا فيه أن آدم ليس أول البشر.

لما ترجم الظاهرة القرآنية من العربية إلى الفرنسية، فأخذ الكتاب إلى الأستاذ شاكر، وطلب منه أن يقدم مقدمة، فكتب الأستاذ شاكر مقدمة في البلاغة القرآنية من أجمل كُتب في هذا العصر!

وهذه الناس لا يهتمون لها، وهي: مقدمة الأستاذ محمود شاكر لكتاب الظاهرة القرآنية، وهذه رسالة خاصة، يجب أن تُفرد! وأن تنتشر كما أفردت رسالة في الطريقة إلى ثقافتنا. كذلك له رسالة أُخرى مذكورة ومشهورة في جمهرة مقالاته.

هذا ما يمكن أن نحصيه في موضوع الإعجاز وما كُتب في هذا العصر.

لكن إذا أردت أن تعرف المنافذ، فهذا الكتاب، أن تعرف دراسة كيفية دراسة كُتب العلماء في

الإعجاز، فعليك بهذا الكتاب، كتاب الأستاذ محمد محمد أبو موسى حفظه الله.

أنا أختار الكتاب القادم، الكتاب القادم هو كتاب: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، لأستاذنا: محمود عبد الرؤوف القاسم أبو الأمين.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ

للشيخ محمود عبد الرؤوف القاسم رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الأربعون

تاريخ المناقشة: ٦ آب ٢٠١٦.

إنّ الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آل الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم.. آمين آمين.

هذا هو اللقاء الأربعون من سلسلة مشروع ألف كتاب قبل الممات، والكتاب اليوم للأستاذ محمود عبد الرؤوف القاسم، الذي يكنى بأبي الأمين، وكتابه هو الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ

بلا شك بأن هذا العنوان صادم، وفيه شيء من الادعاء، والأستاذ لما نوقش، وأنا أعرفه معرفة وثيقة (أي مؤلف الكتاب رحمه الله)، وقد مات وأنا بعيد عن هذا البلد، لما نوقش في وضعه مثل هذه العناوين في هذه الكتب، فهو قال (كما ذكر ألصق ورقة): لعل المعترضين عليه كثر، فألصق ورقة في أول طبعة ، لا أدري إن طبع الكتاب مرة ثانية أم لا، لكنه ألصق ورقة بخط يده الجميل يشرح فيه لما اختار هذا العنوان (الفاقع والمثير للجدل)، وبلا شك أنني ما رأيت أحدًا سمع بهذا الكتاب لما كان يسعى لطبعه، أو بعد ذلك عندما نوقش هذا الكتاب من أحد طلبة العلم، إلا وقف أمام هذا العنوان لأول مرة في التاريخ، لأن يعني أنّ الصوفية كانت مجهولة في تاريخ أمتنا إلى هذه اللحظة التي جاء الشيخ، أو الأستاذ، لا يجب أن يطلق عليه لقب الشيخ، هذا الأستاذ الذي درس الفيزياء ولم يتمها بسبب ضعف في نظره، درس الفيزياء في فرنسا، ولكن في السنة الأخيرة قال له الطبيب: إذا واصلت الدراسة ستعمى، لأنه، وهذا إن شاء الله سأذكر شيئًا من قصصي معه في هذا الباب، فلم يتم دراسة الفيزياء في فرنسا، ثم رجع مدرسًا في الكونغو عن طريق الأمم المتحدة، إلى أن تفرغ للدعوة، وتفرغ لشأنه

أقول لما كان يراجع الأستاذ من أجل هذا العنوان الفاقع والصادم، كان يبرر بأن هذه الحقيقة، وأن الذين تكلموا في الصوفية من المشايخ، إنما رصدوا ظواهرها المعلنة، ولم يدخلوا في داخل بواطنها الخفية،

وكانوا يدرسون السالكين أكثر مما يدرسون الواصلين، هذه حجته، يعني إذا قيل له، طبعًا الناس أول، وأنا هذا عشته لما كنت أنقل كلام الشيخ، أول ما تجد يقول يعني، لكن ابن تيمية يقول: أن الصوفية فلاسفة، فلاسفة الصوفية، فلاسفة الإلحاد، فلاسفة الوحدة، فلاسفة الاتحاد، صوفية العبادة والذكر.

وكان يمدح شيخ الإسلام، بعضهم وبعض أئمتهم كالجنيد، ويمدح عبد القادر الجيلاني، وشرح له قطعة وجدت في ترجمته في بعض الكتب. نعم في رحلات حمد الجاسر، وأنا أرغب الطلبة لقراءة هذه الرحلات، في رحلات حمد الجاسر أذكر، وهي قراءة بعيدة جدًا، ذكر أنه كان في أوروبا، والآن لا أذكر هل كان في المانيا أم فرنسا أم بريطانيا؟، لأن هذه الدول التي دار عليها مفتشًا على المخطوطات والكتب، الذي يلقب بعلامة الجزيرة (حمد الجاسر)، فأنه ذكر أنه وجد مخطوطة لابن تيمية فيها شرح لأمور، أو كتب، أو مواطن لما يقول عبد القادر الجيلاني، فأنا أذكر أنني علقت على هذا الكتاب، وهو كتاب قديم قبل دخول العشرية التاسعة من القرن الماضي، فعلقت هو يقصد بكلمة نازعت أقدار الحق بالحق للحق، لأن ابن تيمية شرحها لما الجيلاني قال: وأما القدر فكتب على الناس، وأما أنا ففتحت لي روزنة، وذكر الكلمة فشرحها ابن تيمية رحمه الله شرحًا يلائم السنة، ليس هذا الموطن

فالقصد أولًا نحن مع الكتاب، إنّ أول ما يطرح هل جهل علماء السنة حقيقة السنة، فهو يقول: نعم.

وهو صريح، والشيخ ليس من المتواضعين كذبًا، أو المتواضعين زورًا، لا، هو يصرح، لا يكتم، وهو ربما لا يصرح في أول جلسة مع كل من زاره في كل ما يعتقد، وهذه طريقة علمية صحيحة، ولكن إن عشت طويلًا معه كما عشت أنا طويلًا معه، تكون قد نفضته نفضًا كاملًا، ونعتقد بأني من هذا النوع، من الذين عاشروه، فنفضته نفضًا كاملًا، يعني عرفته في ليله ونهاره، في جلوسه العام والخاص، وغير ذلك، فهو لا يحب التواضع الكاذب، على طريقة الشيخ شاكر، يقول: أنا أكره التواضع في هذا الوقت؛ لأنه تواضع يؤدي إلى رفعة أناس لا يستحقون الرفعة.

فهو يقول: نعم لا يعرفون، والذين درسوا –وهذا التفسير لم يقله هو هنا ولكني أفسر كلامه الذي

سمعته منه مباشرة– يقول بأن الذين درسوا الصوفية من علمائنا درسوا ظواهرها، ودرسوا كتبًا مستقلة، ودرسوا أشخاصًا، بمعنى: هذا الصوفي ما هو؟ أهو سني أم مبتدع؟ يعني شيخ الإسلام كان يحسن الظن بابن عربي –يميزه ابن القيم وابن تيمية أظن بقول: ابن عربي النكرة، والصواب أنه في التراجم يقال: ابن العربي يعني ابن العربي الطائي المكي الأندلسي، صاحب الفتوحات المكية، والذي كان ظاهريًا في الفقه– كان يحسن الظن به، وكان يدعو إلى قراءة كتبه وخاصة في التربية، لكنه لما قرأ كتابه فصوص الحكم، وهو كتاب بين أيدينا ضمن هذا المشروع، لما قرأه وجده على غير التوحيد وعلى غير الإسلام البتّة، وأنه يصرح كالتلمساني وابن سبعين والحلاج، بالدعوة إلى الوحدة المطلقة وأنه لا وجود للتفريق بين الخالق والخلق.

القصد بأنه يقول: نعم، هم لا يعرفون، كيف؟ يقولون: كانوا يدرسون الشخصيات، يدرسون كتابًا: هذا الكتاب جيد أم غير جيد؟، يدرسون الجنيد فيجدونه يقول: علمنا مقيد بالكتاب والسنة، يقول: خلاص يقولون هذا. أنا أقول: ربما فاته شيء آخر رأيت شيخ الإسلام يستخدمه، وهذا سأذكره إن شاء الله عند مناقشة كتاب (اليزيديون)، ذلك لأن شيخ الإسلام أرسل رسالة لاتباع عدي بن مسافر، وعدي بن مسافر هو شيخ الطريقة اليزيدية المشركة الكافرة الموجودة الآن، وشيخ الإسلام استخدم أن شيخهم عديا كان موحدًا وكان سنيًا، فأنتم تنتسبون إليه لماذا لا تكونون معه؟ فهو أخذ الجانب الدعوي، المهم أن ينقذهم لا أن يجرد الشخص تحقيقًا وبياناً وتفصيلًا، يقول: أنتم تدعون أنكم أتباع عدي، فعدي بن مسافر كان كذا وكذا فاتبعوه

للذكر: هذه حيلة لا تنطلي عليهم، وإن استخدمها أمثال شيخ الإسلام الحكيم، ولكن لا تنطلي عليهم، يعرفون الكلمات متى تقال ومتى توضع. عندما تأتي إلى كلام الباطنية الإسماعيلية، فيأتون إلى كلمات ظاهرة في اتباع الكتاب والسنة فيقولون: هذا خطاب العوام والجمهور، وأما خطاب الخاصة فهو خطاب التأويل وصرف اللفظ إلى معاني يعرفها الامام لوحده، فهذه لا تنطلي عليهم.

فكان الأستاذ يريد أن يقول: نعم. هذه حقيقة. ولذلك يقول في النقطة الثانية في الورقة التي ألصقها

بالكتاب: لا يطالبني أحد بما يقوله غيري، لا أحد يأتيني، ويقول: أنت قلت كذا وقال ابن تيمية، لا تقل لي هذا، أو قال ابن القيم، أو قال ابن حجر، أو قال ابن النووي، لا تقل لي هذا، ناقشني بما في هذا الكتاب.

وهنا آتي إلى شهادة: رأيت كتبًا ثلاثة تشهد لهذا المنهج العلمي الصارم في الاستعصاء، أشهد أنها استوعبت ما تريد استيعابًا جيدًا، ولا يوجد استيعاب كامل، ولكن الإحصاء الذي كاد أن يقال: إحصاء تام في قراءة المادة التي يراد تقديمها للقارئ، وأنا ذكرت هذا في كتاب (فن القراءة)

أشهد لكتاب الأستاذ ناصر الدين الأسد "في مصادر الشعر الجاهلي"، فذكر أنه لم يستخدم الفهارس أبدًا في قراءته لاستخراج هذه المادة وهي مصادر الشعر الجاهلي، لأنه لم يمكن وقتها كمبيوترات ولا باحث شامل، لابد أن ترجع إلى لكتاب، فربما ترجع للهوامش أو ترجع إلى الفهرست (والتاء أصلية، وأنا ندمت لأنني لم أضع كتاب الفهرست في هذه العام، وربما أضعه إلحاقًا؛ لأنه كتاب ممتاز ومهم جدًا في بيان تاريخ أمتنا العلمي) فهذا هو الكتاب الأول الذي يشهد لاستقصاء المادة.

وإذا رأيت الرجل يأتي إلى الكلمة الخفية البعيدة يلتقطها للبناء عليها، فاعلم أنه تعب؛ لأن المادة تكون خفية، أما الظاهرة فيعرفها كل أحد، فإذا كانت المادة خفية، فإنها كما قال الجرجاني: تكون مخبأة ومكنونة في كلامهم وليست ظاهرة.

الكتاب الثاني الذي أشهد بأنه إذا قرأته ملأك بأن صاحبه قد استفرغ وسعه في المادة هو كتاب دفاع عن أبي هريرة لعبد المنعم صالح العزي، وهو حي موجود في بريطانيا، وهو صاحب الكتب المشهورة، المنطلق والعوائق، كان يكتب باسمه المستعار لوجوده في بعض البلاد التي يضطر إلى إخفاء اسمه فيها، أو لأسباب تنظيمية ربما، ولكن كتابه دفاع من أبي هريرة إذا قرأت مقدمته ثم قرأت الكتاب، شهد لك أنه استقصى.

والكتاب الثالث الذي أشهد أنه لم يترك كتابًا صوفيًا انتسب لصوفي، وصل إليه؛ لأن الشيخ كان

فقيرًا ومات معدمًا، وكان يقوم على رعاية شأنه -رحمه الله- بعض الخيرين من الطيبين، فإذا سمع بكتاب فزع إليه.. فاستوعب كتب الصوفية الأصلية، والناقلة، والناقدة، والمؤيدة. فاستوعبها، وقرأها، وأتى عليها جميعًا، وإن كانت له طريقة ليست جيدة في قضية الانتقاء، يعني الأستاذ كان انتقائيًا فيما يقرأ.

لما قابلته كان كهلًا، وفوق الكهل بقليل، فهو قد استقرت عنده معان، واستقرت عنده قضايا وأحكام، فكلما جاء خبر ينقضها يؤوله، وكلما جاء خبر يؤيده انتقاه، فهو ينتقي. أما أنه يقرأ فهو قارئ، والكتاب يشهد لهذا.

القصد: هذا تبرير؛ لأنه هكذا قال.

الموضوع الثاني في هذا العنوان الفاقع الصادم "لأول مرة في التاريخ" أنه قال لي مرة في جلسة بيني وبينه: انظر -لا بأس، نحن في مجلس علمي لا يراد منه إلا علم ينفع الطلبة، ولا ينفع الإسرار.. احملوها على المعاني الصحيحة- انظر إلى كتب البوطي، هي كتب رخيصة لا قيمة لها. والحق أن حكمه صحيح، يعني كل ما يقوله من العناوين الكبرى هذه أكاذيب، مثل ضوابط المصلحة في الشريعة اقرأه لا تجد فيه شيئًا، فرغ همته فقط من أجل أن يبين اضطراب ابن القيم، وإلا فهو لا يأتي بشيء جديد. أو كبرى اليقينيات الكونية.. وله كتب صغيرة كان يريني إياها -هي تهدى له، الناس كانوا يحبون إهداء بعض الكتب الرخيصة له إذا زار المكاتب- وأنا لا أعرفها، يكتب البوطي على كتيب صغير تفتحه لا تجد فيه شيء: أبحاث في القمة. فيقول لي: انظر إلى البوطي!! يكتب هذه المعاني فيرعب القارئ.

حتى بعض الطلبة تجدهم يقولون: البوطي نخالفه، لكن له كتاب جيد في المصلحة. ولو سألته: قرأته؟!! ولو قرأته لوجدته: لا شيء.

القصد قال: انظر!! إن وضع العناوين هو نوع من أنواع الصدمة الكهربائية. أنا أتحداك فتعال اقرأه. وهو قد أعترف بهذا في الورق الملصقة في المقدمة، أنا أقول: الورقة الملصقة في المقدمة؛ لأن له منهجًا في كلمة المقدمة، سأذكرها.

فذكر أن هناك كتب كثيرة موجودة في المكاتب التجارية، وفي بيوت المسلمين، ولكن قلما ينزع المرء إلى قراءتها ولا يهتم لها. وكان يضرب مثالًا عجيبًا، وهو مثال الشيخ إحسان إلهي ظهير، يقول: إن إحسان إلهي ظهير -وأنتم تعرفونه، هو باحث مجد، وإذا تكلم أوعب.. نحن لا نتكلم عن مدح أو ذم، نحن نتكلم عن منهج، أين كان ماذا صار.. رحمه الله، نسأل الله أنه قد مات شهيدًا، لأن الروافض قتلوه، وضعوا له المفجر في المزهرية التي أمامه وهو يلقي فيها محاضرة.. وكتب إحسان إلهي ظهير في الفرق، خاصة الفرق في بلاده، تكاد تكون مستوعبة، ومهمة جدًا، ولا يستغني عنها طالب العلم. وهو لما جاء إلى الصوفية، أراد أن يبحث إحسان إلهي ظهير الصوفية...

وهو يدلل على هذا المذهب، يقول بأن إحسان إلهي ظهير قال: -وقد بحثت فوجدت أن هذا صحيحًا، والحقيقة أنه لما أخبرني لم أكن لما قرأت كتابه عن الصوفية، لأن كتب إحسان إلهي ظهير من نوع الكتب التي توزع مجانًا فلا تصل إليها إلا أصحاب الأيدي الطويلة، الكتب المجانية لا يصل إليها كلها، الكتب المجانية لا بد من أن تذهب إلى الموزع فينظر إليك ويعرف منهجك...

القصد: يقول في كتاب الصوفية للشيخ احسان إلهي ظهير رحمه الله، يقول: إنه بدأ دراسة الصوفية وهو على طريقة الأوائل. بمعنى أن الأوائل قالوا أن هناك ثمة صوفية غالية مشركة، وهناك مبتدعة ضالة وهناك صوفية معتدلة.

نتكلم هنا في العقائد، وأما في السلوكيات فقلما تجد صوفية معتدلة، وأنا ضربت لكم مثالًا بالأستاذ سعيد حوى لما كتب "تربيتنا الروحية" وأراد أن يسنن الصوفية وأن يخرجها من البدعة، لم يستطع، وفي النهاية قال بمدح الذكر المفرد، يعني لم يستطع أن يخرج من مستنقع الصوفية في هذا الباب.

فقال: انظر!! لما بدأ الأستاذ إحسان إلهي ظهير اعترف أنه دخل الصوفية ومقرر عنده أن الصوفية ليست شيئًا واحدًا، فلما خاض غمار القراءة في كتبها انتهى إلى القول بأنه لا يوجد إلا صوفية واحدة. وقال: هذا الكتاب موجود، ولما خرج نظر الناس إليه على أنه ضمن سلسلة الرد على الصوفية فأي شيء جديد فيه. فلو أنا أخرجت كتابًا عن الصوفية، والكتب عن الصوفية كثيرة، فمن سيأتي لكتابي

(هذا أقوله أنا تفسيرا لكلامه، لم يقل هو) يعني: من الذي سيأتي لكتاب الأستاذ محمود القاسم، ويترك كتاب رجل كان صوفيًا، وهو عبد الرحمن الوكيل، وهو كتاب "هذه حقيقة الصوفية"، ثم تاب، وصار رئيس جمعية أنصار السنة في مصر بعد الشيخ الفقي، ونشر كتاب (تنبيه الغبي إلى تكفير ابن عربي) للبقاعي.

فقال: لو أخرجت كتابًا من غير أن أقول أني جئت بشيء جديد أخالف فيه من تقدم، سيضعونه بجانب الكتب التي تؤلف عن الصوفية، كالشيخ الوكيل، كالشيخ عبد الرحمن عبد الخالق؛ لأن كتاب الشيخ عبد الرحمن الخالق "الفكر الصوفي" صار منتشرًا بين طلبة العلم، لقيام المؤسسات عليه، وربما للغته المعاصرة.

فالقصد هذه هي حجته.

أنا أفسر الآن لماذا قلت: هذه الورقة التي وضعها. في الحقيقة الأستاذ لم يضع المقدمة، هذه المقدمة التي في الكتاب ليست له، هذه وضعها الطابع -لا أريد أن أذكر اسمه- لأني أنا من اعتنيت به وشاركت في البحث عن طابع لهذا الكتاب، كنا نذهب في الليل إلى بعض الطابعين العاديين ليطبعوه، لكن الناحية المادية أثرت عليه، فطبعه في هذه المكتبة، جزى الله القائم عليها، ليس هذا من شأني في هذا المبحث، يعني الكلام عن الناحية المادية.

كان يعرضه على بعض المقربين عنده، فكان الكثير يناقشه لما اطلعوا عليه. ومن ذلك أنه لم يكتب مقدمة، كان يقول: كتابة المقدمات بدعة لا أؤمن بها، بل تدخل الكتاب مباشرة من غير مقدمة، فالمقدمة ليست له.. فلما ذهب ليرد على هذه، وضع هذه الملصق في داخل الكتاب.

ما يهمنا في هذا أن الأستاذ محمود عبد الرؤوف القاسم نفع المكتبة بهذا، وأنا أجزم لكم أنه لا يوجد أحد يريد أن يكتب في الصوفية اليوم إلا ويمر على هذا الكتاب، لابد أن يمر، وإذا لم يمر كانت كتابته ناقصة، وكانت كتابته فاقدة لركن تاريخي من أركان الحديث عن الصوفية من المخالفين لها ومن

الكاشفين لحقيقتها، كما يقول هو.

سآتي إلى قضية منهجه، وهجومه على بعض القضايا دون تريث؛ لثقته بما يقول عندما اكتشف أشياء لم يقل بها الآخرون في باب من أبواب العلم كالصوفية

الأستاذ، كما قلت لكم، ضعيف النظر، وسأذكر لكم شيئًا من عجائبه:

الأستاذ قال لي: لما أنهيت التوجيهية في الشام -هو أصله أولًا من نابلس الشيخ، وهذا قليل من يعرفه، لكنه حوراني، ومات أبوه فتربى يتيمًا، وثم درس، ونجح في التوجيه في أول سنة وهو ضعيف النظر، وعاش في برزة، ثم لما قامت الثورة في سوريا جاء إلى هنا، وسجن هناك وله ذكريات فيه ليس هذا باب ذكرها، كان يحدث بتفصيل عنها في قضية خروجه من السجن وكيف عمل عملية لإخراج المساجين من السجن، ودائمًا يذكرها من قبيل الاستهزاء بموضوع الكرامة، يقول: إننا أخرجناهم من السجن عن طريق المنوم، فلما خرجوا صاروا يقولون: أخرجتنا الملائكة!! كان يذكر هذه دائمًا ليس من أجل الاستشهاد على بيان تاريخه ولكن لبيان جانب التصورات في تفسير الأقدار في الحياة..

يقول الأستاذ: لما أنهى التوجيهي الأول عام، في السنة الأولى لم يقبله أحد لضعف نظره، فذهب لبعض المدارس.. في السنة الثانية -لأن أول سنة لم يدخل جامعة، ولم يستطع الدخول- قال: أردت الذهاب إلى الكلية الحربية، تصور رجل ضعيف في نظره..

كان الأستاذ يكره عدم التجربة، ربما يستهزئ القارئ، مثلًا هو يمكن أن يخلط لك الشاي بالبندورة ويقول لك: جرب، قد تنفع، لماذا هذه الشاي بالبندورة أنت تأخذ منها حكمًا مسبقًا؟ جرب.

مرة كنا نذهب إليه بعد الجمعة فيقدم لنا طعاما -وهو مع فقره، كريم النفس، كريم جدًا-، فمرة قدم لنا طعامًا، أكلنا لقمة فأحدنا قام، فقال: أتعرفون ماذا أكلتم؟ قلنا: لا، طعام لا طعم له. قال: أنت أكلت منه؟ قال: نعم أكلت. جيد؟ قال: نعم جيد.. لكن تعرفون ماذا أكلتم؟ قلنا: لا، قال: قشر بطيخ!!! أزال القشرة الخضراء وطبخه... فهو ليس من المقلدة في شيء، وهذا جيد، ولكن مرات خرج

بمقررات غريبة، كما نرى في الكتاب.

وكان يخرج بمقررات غريبة في علوم لم يتقنها، ولم يصل فيها إلى ما وصل فيها أصحابها كعلم الحديث، كما سأبين ما في الكتاب مما آخذ عليه.

نرجع إلى قصة الكلية الجوية، قال: أنا أعرف أنني إذا دخلت لفحص العيون أنهم سيستهزئون بي؛ لضعف نظري، الكلية الجوية تحتاج إلى قدرات خاصة. فقال: أنا أتأخر حتى يدخل من قبلي، أتأخر أتأخر، فلم يبق في المجلس -والأستاذ لا يعرف عنه الكذب، لم يقلها من قبيل الادعاء وكذا، لا يكذب الشيخ- في غرفة الانتظار إلا اثنان، أنا وشخص آخر، فيقسم بالله: سألته ما اسمك؟ قال: أراه وهو يتأخر مثلي.. ما اسمك؟ فذكر أن اسمه حافظ الأسد، فيقول الأستاذ لي: أقسم بالله إني أول مرة أسمع كلمة القرداحة، والقاف أطلقت على طريقة النصيريين، لهم طريقة. فقلت له: طيب لماذا تتأخر؟ قال: مجيئي إلى الكلية أمر صوري وإلا فأنا مقبول. يقول: فجعلت أستهزئ به، يعني واسطتك كبيرة لأنك مقبول في الكلية من غير تقديم شيء.. وغدا ستصبح طيار، قال له: لا، فوق ذلك، قال له: تصبح رئيس الطيارين! قال له: لا، فوق ذلك، قال له: قليلا وتصبح قائد جيش!!، قال له: فوق ذلك، قال له: أنت كذاب، تريد أن تصبح رئيس جمهورية!!! هذا وعمره يزيد عن ستة عشر عامًا.

وقبل هذا الكتاب له كتب صادمة، والعلماء لم يتلقوها بالرضا، ولا أظن أن أحدًا يتلقاها بالرضا، وهو تصريحه في كتاب له عن الآيات الكونية في القرآن بأن جهنم هي الشمس هذه، وهذه من غرائبه في اختياراته في هذا الباب.

وأخرج بعد ذلك كتبًا مثل جغرافية القرآن الكريم، مثل مصر هي ليست مصر، وهم كتب صغيرة كان يستعجل إخراجها، وإن كنا نطالبه أن يخرجها، فكان يؤجل بسبب عدم استيفاء البحث فيها، لكنه الظاهر أنه أدرك قرب الموت، فقال: لأخرج ما في قلبي في هذه الأمور.

هذا الكتاب بالنسبة لمنهج القراءة استوعب، قرأ، وأنت إذا ذهبت إليه قارئًا متمتعًا، مستعرضًا كل

صفحة، تجد أنه لم يأت بكلمة إلا من أصحابها، ومشى مع كتب الصوفية منذ أول كتاب إلى آخر كتاب يعرفه ووصل إليه، ووصل إلى قضيتين اثنتين مهمتين هما ما أرادهما من قوله: الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ.

طبعًا هناك مقررات مسبوق بها، وللأسف لم يقلها بحاثة مسلمون؛ لعدم اهتمامهم بالفكر الآخر، ولكن البحاثة الغربيين قالوا هذا، قالوا: إن الصوفية مذهب قبل الإسلام، يعني أن الصوفية دين موجود في الأديان، في اليهودية، في النصرانية، موجود في الأديان الأرضية كالطاوية والكونفشيوسية.. إلخ. وأن المشركين يستخدمونها قبل وجود، -كما يسمون هم في أبحاثهم- الأديان التوحيدية الثلاث، وهذا هو قرره، ووصل إلى ما وصلوا إليه ولكن من خلال دراسته.

وهو متأثر بقراءات غربية؛ لأنه كان في وقت من الأوقات يتقن الفرنسية لدرجة أنه يحلم بها، هو قال لي وقد جاء أحدهم يدرس اللغة الفرنسية، كان يريد أن يسافر، وهو مسؤول كبير في إحدى التنظيمات، فقلت له: هل تتقن الفرنسية؟ قال: كنت أحلم بها، يعني صارت هي اللغة الأم التي يعبر بها عن أشواقه وآماله وآلامه.

إذًا وصل إلى أن الصوفية دين، لكن هذا الدين عنده القدرة أن يتشكل مع الأديان الأخرى؛ لأن هناك ثمة قواسم مشتركة في السلوك التي تسمى بالطريقة عندهم -لأن الصوفية حقيقة وطريقة، هذا من كلامهم، وكلامه- وهو يقرر بأن الحقيقة الصوفية هي التي تختلف عن بقية الأديان وتلتقي مع بغض الأديان، لكن الطريقة الصوفية تلتقي. يعني مثلًا يقرر صاحب قوت القلوب أبو طالب المكي بأن أركان التصوف هي السهر والجوع والخلوة والذكر. فهذه الأركان للصوفية تستطيع أن تأخذها من الإسلام، يعني السهر والجوع والخلوة والذكر موجودة في ديننا. وبالتالي هذه الطريقة الصوفية لقدرتها على الاشتقاق والالتقاء مع الأديان في الطريقة تستطيع أن تتخفى، وثانيًا لأن الإجماع منعقد على أن هذا الدين يجب ستره،

وبالسر إن باحوا تباح دماؤهم=وكذا دماء البائحين تباح

مرة قال لي: أول من اكتشفته باسمه ينتسب إلى الصوفية رجل اسمه أبو هاشم الصوفي، لكن لا يوجد له أي ترجمة في الكتب، لا الصوفية ولا غيرها، إلا أنه صوفي وانتهى. لكن أول من اشتهر أمره في كتب الصوفية أنه صوفي، وبدأ يتكلم ويحكي كلام الصوفية هو الجنيد، وهو يأتي بنص من داخل قوت القلوب يقول: ولقد سيق الصوفية إلى الوالي فأمر بقتلهم جميعًا على الزندقة.

فيقول: إذًا الصوفية في أول ظهورها للأمة كانت بينة واضحة أنها خارج إطار الإسلام وأنها زندقة، والزندقة هي إبطان الكفر وإظهار الإسلام، كانوا يسرون فالناس يصطدمون فيخبرون الولاة والعلماء.

قال: إلا الجنيد، هذا كلامه، فإنه تستر بالفقه. كان الجنيد يفتي على المذهبين: المالكي والشافعي. فقال تستر بالفقه.

فإذًا الصوفية عندها الالتقاء في الطريقة مع الأديان الأخرى في جانب من الجوانب، ويقول بأن الذي اكتشف الذكر هم الصوفية المسلمون.. لم تكن طبيعة الذكر والإكثار منه قبل، لماذا؟ لما سيأتي شرحه من الكتاب.

الذي اكتشف أثر الذكر للوصول إلى الجذبة، وهي لحظة اكتشاف...

هو يرى أن الغزالي -كما يقول الفقهاء، هو لم يأت بشيء جديد في هذا، ابن تيمية يقول: أول من مزج التصوف بالفقه هو الغزالي.. الذي استطاع أن يركب أرجلًا فقهية للتصوف هو الغزالي، كانت قبل ذلك عارية وضعيفة تقال بكلمات مبهمة، ولكن جاء الغزالي فركب الصوفية تركيبًا تامًا على الفقه، وهذا من قدراته العقلية التي تميز بها الغزالي.

القصد بأن هذه الصوفية بهذا المعنى، وهي قدرة على التخفي، يعني جماعة زنادقة تستروا بالفقه، وأن طريقتهم تلتقي مع الأديان الأخرى في كثير من جوانبها كما رأينا في الإسلام مع أنه دين الحق الذي لا مرية فيه، لكن التقت الصوفية مع الإسلام في هذا الجانب الذي أتى إليه.

إذًا هو يريد أن يقول التالي: إن الصوفية كلها تؤدي إلى وحدة الوجود، وهذا مطلب كل كبرائهم. ما

هي الوحدة؟ يعني المخلوق والخالق واحد.

دخول الذات الإلهية في رجل، أو تماهي الرجل حتى يصبح إلهًا، هذا اسمه اتحاد، فيقول: هذه مرتبة لا يقرها الكبراء، يعتبرونهم جهلة، ويأتي بنصوص كثيرة بأن الذين يزعمون أن هناك صوفية تقول بالاتحاد - الاتحاد تعني اتحاد شيئين، ومجرد وجود الشيئين هذا غلط وهي الطريقة الجاهلة.. يقول الصوفية: هذه طريقة جاهلة لا يعرفها الكبراء، والصواب أن هناك ثمة وحدة فقط، ويأتي بالنصوص الكثيرة جدًا، وهنا لا بد من وقفة مع هذه النصوص التي أتى بها:

هناك نصوص مشهورة لبعضهم، والأئمة ذكروها في قضية الوحدة، لكن هناك نصوص موهمة، كان شيخ الإسلام إما يحملها على معنى الجذبة، أي أنها قيلت لحظة خروج المرء من التكليف، يعني ينجذب فيقول: أنا الله سبحاني ما أعظم شأني، وهذا يقوله في لحظة غياب العقل فهو مرفوع عنه التكليف. وهذا يفسرها لبعض الكبراء ممن لهم السطوة في تاريخ أمتنا، وفي داخل المذاهب.

ويقول: وإن بعض من يقولها لا يقولها على معنى وحدة الوجود، كما يفعل ابن القيم في كلام أبي إسماعيل الهروي، فإنه لا يحملها على الوحدة وإنما يحملها على معنى رؤية الذات كقولهم: وكل شيء ما خلا الله باطل.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: أصدق كلمة قالتها العرب، مقالة لبيد: وكل شيء ما خلا الله باطل. فهل يطرأ على ذهن أحد النفي القدري لوجود المخلوق؟ لا يطرأ أبدًا، نعوذ بالله، وإنما الذي يأتي إلى الذهن ابتداءً أن الأشياء لا تنفع ولا تضر ولا تقوم بنفسها، وهي فقيرة إلى موجد، وهي باطلة إلا بإيجاد الله لها، وهي باطلة في الوجود وباطلة في التأثير وباطلة في البقاء إلا بقيام الله عليها.

فيأتي شيخ الإسلام لكلمات كثيرة، وهي ما يسمى بوحدة الشهود، يعني يشهد الوحدانية، كما أنه إذا نظر المرء لم ير غير الله، ولا يقصد أنه إذا رأى شيئًا مخلوقًا قال هو الله، ولكن إذا رأى شيئًا يريد أن يهدده لا يراه شيئًا ولا يرى له قيمة، إنما لا يخاف إلا من الله ولا يسأل إلا الله ولا يرى يدًا محركة للوجود

إلا الله.

فهناك كلمات صريحة في الوحدة ولا شك، ونحن نعترف أن شيخ الإسلام ابن القيم تصبب منه العرق وهو يحاول أن ينظف كلمات أبي إسماعيل الهروي من هذا؛ ولكن هناك كلمات لا تحتاج إلى العرق مما نسبها الأستاذ إلى الصوفية وتقول بوحدة الوجود. يعني مثلًا أتى إلى كلمات -وكان عندي الكتاب، لكن للأسف من الكتب التي لم تأت، وفقدتها، وهو من أعز الكتب علي، وهو مكتوبات أحمد السرهندي، عدة مجلدات- أتى إلى عبارة لأحمد السرهندي.. تعرفون قصته؟

لما جودا أكبر الخبيث غير دين الهنود، حكم وصار سلطانًا في الهند، صنع دينًا كاذبًا خلط فيه الإسلام بالنصرانية بالبوذية بالكونفوشية، خلط دينًا وأخرجه للناس........ استخدم الأسلوب الشيخ أحمد السرهندي مع ابن جودا أكبر (كيف عاد اليهود من الأسر الفارسي؟ أحب ملك الفرس امرأة يهودية فتزوجها، وكان والدها وأستاذها نبيًا من أنبياء بني إسرائيل ، فاستطاع عن طريق هذه المرأة أن يغير ذهن هذا الملك وأن يعطف على اليهود وأن يتهود ويعيد اليهود.. هكذا تقول التوراة) واستطاع أن يحوله إلى الإسلام ، فلما فطس جودا أكبر وذهب إلى عذاب الله وسعيره جاء ابنه إلى فحول المملكة إلى الإسلام، بفضل اعتناء الشيخ أحمد السرهندي!! وتستطيعون قراءة القصة بالطريقة التي تعرفونها من أدبيات شيخنا وأستاذنا رحمه الله أبي الحسن الندوي في كتابه "رجال الفكر والدعوة إلى الإسلام" فإنه شرح حال أحمد السرهندي في هذه القصة شرحًا طيبًا.

فهو أتى إلى لفظة له ذكرها في كتابه -مع أن كتاب السرهندي قليل الوجود- وحملها إلصاقا بالقوة على وحدة الوجود.

وأنا أقرأ دائمًا أتذكر من يفعل هذا، للأسف، يريد أن يحمل كلامك أو كلام غيرك على ما يريد ، كمن حمل كلام السيد قطب على وحدة الوجود ، وأنا فرحت أن الأستاذ لم يذكر سيد قطب في وحدة الوجود، لكن تعرفون أن من هناك من يزعم أنّ السيد قطب يقول بوحدة الوجود لكلمات موهمة.

لكن كبراء الصوفية وكتب الصوفية شاهدة بهذا المعنى، والتقاطه لها في داخلها: تصريح من صرح، واتقاء من اتقى ثم ظهرت على فلتات لسانه، موجودة في هذا الكتاب.

إذًا القضية الأولى التي يثبتها أنّه لا يوجد صوفية وحدة شهود بل كلها وحدة وجود، ولا يوجد اتحاد بل وحدة الوجود التي ينطق بها الجميع وكل الصوفية في تاريخنا قد نطقوا بها.

هذه هي القضية الثانية.

القضية الثالثة المهمة جدًا، وهي من مفردات هذا الكتاب التي لم يأت بها أحد من قبل، وهذا من اعتناء الأستاذ الفيزيائي: لما تذهب إلى كتاب العلم في الإحياء للغزالي، كتاب العلم في الابتداء ثم فجأة يقفز بنا أبو حامد الغزالي إلى طريق يعتبرها هي أفضل الطرق في الوصول إلى الحقائق، غير طريقة النص وغير طريقة العقل وغير طريقة البحث وإنما هي طريقة الذوق، وطريقة الجذبة والكشف والذوق، وهذا شرحناه عندما تكلمت عن كتاب الغزالي المنقذ من الضلال، ولم أتكلم بتوسع ولكن يمكن هنا الآن الإتيان على بعض النقاط فيه.

الصوفية مجمعون على أن هذه المعارف اللدنيّة الخاصة لا يمكن أن تعرف عن طريق كتاب، ولو أخذها المرء كتابةً لما نفعته في اليقين، ولا نفعته في مرتبة الولاية المطلوبة عندهم. وهذه النقطة التي يقولها الصوفية هو يؤكدها في الكتاب، لكننا نرى جانبًا وهو أن هناك من يسمى بالصوفية الفلسفية، ماذا يقصد بذلك؟ هناك فلاسفة يؤمنون بوحدة الوجود، يعني سبينوزا فيلسوف -كان يهوديًا- يؤمن بوحدة الوجود وهو من أشهر الفلاسفة الذين يؤمنون بوجود الوجود، وهناك فلاسفة غير مسلمين يؤمنون بوحدة الوجود، ولكن لا يؤمنون بها ذوقًا؛ يعني لم يكتشفوا إلهيتهم ولم يكتشفوا إلهية الكون جذبة ولا كشفًا، وإنما درسوها دراسة علمية، هذا لا يعترف به الصوفية. ما الذي ينبغي أن يسعى به وله الصوفي (المسلم)؟ وهو أن يتذوق معنى وحدة الوجود ذوقًا بأن يشعر أنه الإله، ومن هنا هو أخذ كلمة سعيد حوى في تربيته الروحية: ولقد أذاقني الله من معاني اسمه الصمد. وصارت مناظرة شفهية بين الأستاذ وسعيد، ولكن لم تتم بسبب التدخلات.. يعني الكل يصبح عالما وكل شخص عنده كلمة يظن أنها لا

يعرفها أحد سواه وأنها ستنهي المشكلة.

ومن هنا تأتي كلمة الصوفية: من ذاق عرف، يعني هذا لا ينفع معه العلم، لابد أن يذوق، ما كان الذوق؟ هنا يأتي الأستاذ للكشف.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله: ما تصوف أحد أول النهار، فأتت عليه صلاة العصر إلا وهو مجنون. هذه كلمة موجودة في كتاب صفة الصفوة الذي هو اختصار لكتاب حلية الأولياء. وحلية الأولياء عليه كلام هنا في هذا الكتاب، وهو من تجاوزات الشيخ في ظني. فهذه أخذها ابن الجوزي لما اختصر حلية الأولياء، وذكر في مقدمة صلة الصفوة أنه اختصر حلية الأولياء لأسبابٍ، فذكر في المقدمة الصوفية وذكر في هذه الكلمة للشافعي، وأنا بحثت فيها في كتاب الحلية لابن أبي نعيم فلم أجدها، لا في ترجمة الشيخ ولافي الخبايا أو في الزوايا.. هناك كتاب لبدر الدين الزركشي سماه خبايا الزوايا، ماذا يقصد بها؟ يقصد أن هناك مسائل فقهية لا تكون في بابها ولا تكون في أبواب أخرى. فهي خبايا في داخل زوايا فلا تبحث عنها في مظانها.

فالقصد: لم أجد هذه الكلمة للشافعي في الحلية، ولكنها موجودة، ذكرها ابن الجوزي في مقدمة صفة الصفوة.

هذه الظاهرة وهي ظاهرة الجنون في داخل الصوفية وتعظيم المجنون، هي التي استرعت هذا الانتباه، أن هذا الجنون هو الواصل، هو الذي يذوق وهو الممدوح. ما هي ظاهرة الجنون هذه؟

هذا من مناقب هذا الكتاب، ولم يتكلم عن ذلك أحد، لأنه هذا العلم ليس من صفة المشايخ، وهو أنه يقول: اكتشف في العشرية السابعة من القرن الماضي، اكتشف غدة "تحت المهادية" في الدماغ، هذه الغدة تفرز مادة سميت علميًا (الأندروفين)، وسميت أندروفين تمييزًا لها عن المورفين، فالمورفين هو نفس التركيب في التمام لا فرق بينهما، ولكن مادة المورفين تنتج في الخارج ومادة الأندروفين تفرز من الداخل، كيف تفرز هذه المادة علميًا؟ تفرز لما يكون هناك تهييج للأعصاب، إما بالبكاء الشديد وإما بالفرح

الشديد وإما بالتهييج الشديد، فتتهيج الأعصاب. فقبل أن تصل الأعصاب إلى التهييج فوق الطبيعي، فيؤدي انزلاق خلايا الدماغ التي تؤدي للوفاة. وهذا تفسير وفاة المرء بسبب الفرح الشديد المفاجئ أو الغضب الشديد المفاجئ.

يقولون بأن الأصل أنه إذا جاء الخبر قليلًا قليلًا، فالغدة مع تناسق الخبر تفرز مادة فتؤدي إلى نوع من أنواع التخدير، هذا التخدير يمنع الانزلاق، فإذا تهيج الدماغ تهييجا كبيرًا، فهذا يؤدي إلى انزلاق خلايا الدماغ فيؤدي إلى الوفاة.

فمن رحمة الله أن جعل هذه المادة، يقول أصحاب الشأن الأطباء: هذه المادة نجد أثرها لما يغضب المرء غضبًا شديدًا ثم يسترخي، أو فرح فرحًا شديدًا ثم يسترخي.

الآن يقول: يكون إفراز مادة الأندروفين في بداية الأمر قدري طبيعي، ولكن بسبب التهييج المتواصل وكثرة التهييج.. بم تهيج؟ سهر، جوع، خلوة، وذكر الأركان، يقوم بالذكر واللهاث الشديد أو الجوع الشديد أو التعب، فيؤدي إلى الاضطراب فتفرز المادة فيسترخي، يقوم مرة ثانية فتفرز في وقت قصير وهكذا.. هذا الإفراز المتكرر الغير طبيعي يؤدي إلى تضخمها، فحين تتضخم هذه الغدة تفرز مادة يحشش المرء فيها تحشيشًا داخليًا، فيصاب بما يصاب به متعاطي مادة المورفين الخارجية.

ويقول: وجد بالدراسة أن كل ما يصيب الصوفي مما يسمى الجذبة هي نفس ما يصيب المجانين الذين عندهم هذه المادة أو نفس ما يحصل للمحششين والمتعاطين لهذه المادة. وبالتالي هنا السؤال: المحشش يرى أشياء تليق به، يعني لا يرى نفسه في السماء وطائر مع الملائكة والحور العين، يرى نفسه مع العاهرات. يقول: هنا يأتي دور الذاكرة الدماغية، حين يقع التحشيش الداخلي من هذه الغدة المتضخمة، يستدعي الدماغ الصور التي يشتهيها المرء.

ما هي تقنية مادة التحشيش؟، هو أن المرء يعجز عن ممارسة شيء حقيقي، فيعيش في الخيال، في نفسه واحدة فيذهب ويحشش ليرى نفسه معها، وهو يعيش في خيال، لماذا؟ لأنه يستدعي هذه

الاستبطانات الداخلية العقلية لخطة التحشيش.

الصوفي لا يبني على أن يرى ابنة الجيران، ولا أن يرى العاهرة والممثلة الفلانية، إنما يستدعي نفسه أن يكون مع الملائكة وأن يكون إلها، فلذلك هو يرى نفسه إلها.. هذا هو الذوق.

فلما الصوفي يذكر فيجن.. بعد مدة يصبح الإفراز هو إفراز كأخذه المادة، وتتضخم الغدة فتفرز هذه المادة، وبالتالي المرء كلما أراد أن يشعر بألوهيته... وهذا العلم الذي يحصل له من الذوق لا يمكن رده لا بنص ولا بحديث ولا بآية، لأنه من ذاق عرف، ومن هنا أتت: أنتم أهل الورق ونحن أهل الخرق، وغير ذلك من كلماتهم التي يقولونها في تحقير الكتب والعلم.. وحدثني قلبي عن ربي، هو يريد أن يسمع الحديث مباشرة عن الله، وأن يسمع ويرى النبي محمد ويجلس معه، ويشعر أنه إله.

فهو يقول: هذا هو التفسير الفيزيائي تمامًا. والنفسي طبعًا، لأن هناك حالة نفسية من تأهيل الشيخ.

ومن هنا يقول: لابد من استدعاء كلمة "من لا شيخ له شيخه الشيطان"، قال: السبب في هذا أنه لو ترك من غير إملاء الشيخ له أنه سيصبح إله سوف يشط، يعني سيرى نفسه مع بنت الجيران!!! يحصل له معارف شيطانية، فلا بد من الشيخ، ومن هنا من لم يكن له شيخ فشيخه الشيطان. هذا هو تفسير عبارتهم في هذا الباب.

القول بأن الصوفية شيء واحد مسبوق فيها، ويكفي أنه سبقه فيها الشيخ إحسان إلهي ظهير، وكثير من الأقدمين في الحقيقة يتعامل مع الصوفية كذلك. ولكن هذا الاكتشاف في تفسير حالة الجذبة التي يعانيها الصوفي، وأنها هي التي توصله إلى حالة الذوق للعلوم، هذا الذي أتى به شيء جديد ومما يمدح له، ومن جهوده والتقاطاته القيمة في تفسير حالة الجذبة التي أعيت الناس.

علماء السنة جعلوها حالة سقوط تكليف، مجانين، مجذوب.. هذا يهذي، وإذا صحى أنكرها أو قال لم أقل، لأنه كما المحشش يقول ما فعلت، لكن يرى آثار الجنون عليه من بول على نفسه ومن مخاط ومن نومه بالشوارع، إلى غير ذلك.

يزيد دلالة على هذا القول، يقول: إننا نجد بأن البلاد التي انتشر فيها التصوف هي البلاد التي انتشرت فيها الحشيشة، وبالفعل نحن نجد هذا، وهو يحضر نصوصًا لبعض المشايخ الصوفية يمدحون الحشيشة ويسمونها نبتة الملوك أو نبتة السر أو نبتة الروح أو نبتة الملائكة، لهم عبارات رائعة فيها جميلة، لماذا؟ لأن لحظة الهذيان هذه الأجسام تختلف فيها.

يقول ابن عطاء الله السكندري: من كانت بدايته محرقة كانت نهايته مشرقة، يعني في الأول يتعب ويتعب وفي النهاية يصل لكن بعض الناس أجسادهم قوية، يتحمل، مثلًا نحن الآن نصعد إلى الجبل، هناك من يصعد في ساعة وهناك من يصعده في ساعتين، فالأجسام تختلف.

عندما يقوم الصوفي خلال الرياضة الصوفية في الطريقة، فبعضهم يمكن أن يقعد في الخلوة –كما يفعل المشايخ– أربعين يومًا فيخرج عارفًا قد ذاق واطلع والشيخ سلّكه وكذا، بعضهم عشرين يومًا، جسمه ضعيف –يعتبرون أن الوصول علامة الصدق، ولكن الوصول علامة الضعف البدني– ولكن هناك من يمكث شهرين أو ثلاثة ويبقى جسمه قوي، إن كان عتالا أو كان أصلا يحشش من قبل فماذا ستؤثر به؟!! فحينئذٍ اكتشف صوفية المسلمين إعانته في الوصول إلى لحظة الإشراق بالحشيشة.

فالذي نشر الحشيشة في أمتنا هم الصوفية... تجد في تركيا أن الحشيشة كانت منتشرة انتشار الصوفية، وفي مصر كذلك؛ لأنهم يجعلونها وسيلة مساعدة في الوصول، تخطو خطوات سريعة عن طريق العلاج البدني والحقن المخدرة وإلى غير ذلك.

فهذا ما كشفه في هذا الكتاب، ويعد تفسيرا جيدًا، ولا يستطيع أحد أن يرد عليه في هذا الباب، لأنه يحتاج إلى رد علمي، وأنا سألت –بعد أن اطلعت على هذا، وما زلت؛ فقبل شهور فقط كنت مع دكتور له تخصص في هذا الباب، فسألته عن هذا الكلام، بعيدًا عما يقول الأستاذ في الصوفية وغيرها، فقال: نعم، هذا هو التفسير العلمي الصحيح وأن هناك مادة اسمها الأندروفين تفرزها غدة تحت المهادية في الدماغ إلى آخره، فهو كلام علمي ليس بمنقوض.

من الأمور التي هو وضعها وهي من نصائح الآخرين له: هو اعتبر يكفي أن أكشف للناس أن الصوفية كلهم على دين واحد، وأن دين الصوفية هو وحدة الوجود، وأن الطريقة هي شيء واحد في كل الأديان والمسلمون زادوا إليها بالذكر، وكيف يتم اكتشاف الحقيقة عن طريق الذوق. ولكن لما كتب الكتاب عرضه على بعض الطلبة والمشايخ، فقالوا: كتابك ناقص، لأنك لم تذكر فيه آثار التصوف في التاريخ الإسلامي.

انقطع التسجيل!!!

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

السير الكبير

للإمام محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الحادي والأربعون

تاريخ المناقشة: ١٣ آب ٢٠١٦.

إنّ الحمد لله تعالى نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده، لا شريك له، وأشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيّبين، الطّاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ، وهدىً، وتقىً إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين آمين.

أيها الإخوة الأحبة، أهلًا وسهلا ومرحبًا بكم في هذا اللقاء لمناقشة الكتاب الحادي والأربعين من مشروع ألف كتاب قبل الممات، وهو كتاب السّير الكبير، للإمام العظيم محمد بن الحسن الشيباني، والمرافق له والقرين له، وهو كتاب أصول العلاقات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني، وهي رسالة دكتوراة للدكتور عثمان ضميرية

الحقيقة، يعني كما نعتذر دائمًا، لا بد من الاعتذار، حتى لا يظن أحد أنّنا في جلسة واحدة، نستطيع أن نستوعب كتابًا، أي كتاب سواء كان كبيرًا، أو صغيرًا، سواء كان قديمًا، أو حديثًا، من الصعب أن نستوعب كتابًا، بحجم هذا الكتاب في جلسة أو جلسات، يعني هذا الكتاب لشرحه يحتاج المرء إلى سنتين، أو هكذا من الدروس المتتالية، لأنه يتعلق بالفقه، ويتعلق بعمل من أعمال الحياة، التي تحتاجها الأمم جميعًا.

ولا بأس أن أذكر أنّ هذا الكتاب صار منطلقًا لجماعة من الحقوقيين الدوليين لتكوين جمعية سمّوها جمعية الشيباني للعلاقات الدولية، يعني سمّوا مجموعة للدراسة، وهم مجموعة من الأكاديميين يبحثون في القانون الدولي، يعني كيفية العلاقة بين الدول، لأنّ هذا من الأشياء الجديدة التي كانت تفرض الدول القوية قانونها وطرائقها، وأسلوبها على الدول المغلوبة، وليس ثمة هناك عقد بين الأمم وبين الشعوب، ولا بين الغالب والمغلوب، ولا بين المسالم والمسالم، ولكنّ العقد الوحيد الذي نشأ في تاريخ الأمم جميعًا، فيما يخص هذا الباب، في شريعة الدول بين بعضها البعض، سلمًا وحربًا، وهدنة وأمانًا، لا يوجد أحد كتب فيه، إلّا أهل الإسلام، يعني كانت الأمم الغالبة تغزوا الأمم المغلوبة فتفرض قانونها، وأسلوبها، قتلها،

وتدميرها، وإحياءها على المغلوب.

نحن في هذا الكتاب نريد أن نلقي الضوء على هذا الأمر الذي نتحدث عنه من عدة جوانب، فلذلك الكلام عن كتاب بحجم هذا المؤلَف، من الظلم أن يظن أحد بأننا يمكن أن نغطّي جزئًا يسيرًا منه، لكن نحاول أنقرأ شيئًا من تراث أمتنا، نحاول إبراز معالم ما كتبه أئمَتُنا، وكيفية نشر نشاطهم، وكيفية المحركات للتأليف.

موضوع السّير أيها الإخوة الأحبة، هو ضمن سياق الحديث عن السيرة النبوية، ونحن تحدثنا قليلًا عن حياة الصحابة وعن السيرة وأهميتها، ونحن نمر مرورًا سريعًا، لما تكلمت عن حياة الصحابة في اللقاءات السابقة، ولكن هنا الأمر أوسع من ذلك، بل أوسع من دلالة تربية الصحابة، وإنّما هنا نتحدث الآن عن فقه، وفقه دولي، وفقه أمم بين بعضها البعض.

مما نشط له علماؤنا من الإنتاج، هو الحديث عن السيرة النبوية، والحديث عن السيرة النبوية ليس جانبًا واحدًا، كما أنّ الفقه ليس جانبًا واحدًا، وكما أنّ الحديث النبوي ليس جانبًا واحدًا، العلماء لما ألّفوا في الحديث، ألّفوا بطرق مختلفة، هناك من ألفها على طريقة الفقه، هناك من ألّفها على طريقة المعاجم والشيوخ، هناك من ألّفها على طريقة الصحابة والمسانيد، والذين ألّفوا في الفقه لم يألّفوا على وجه واحد، هناك من ألفها على طريقة الفقه الأكاديمي المعروف، هناك من ألفها على طريقة فقه مسألة ما، كتعظيم قدر الصلاة للمروزي، فالعلماء جاؤوا إلى هذا المادة الخصبة، من كتاب ربنا، ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن سيرة النبي وأصحابه، هذه مادة ثرية، خصبة، منجم من العلم والعمل والإيمان، جاؤوا إليها، وقد تسلحوا بعقل عظيم، وتسلحوا بقلب عظيم، وتسلحوا بحب الدعوة، وبيان الخير، وما فيها، والتقرب إلى الله، فأخذوا من هذه المناجم الدرر، وأخذوا منها الجواهر، فكلٌ منهم جاء إلى حالة وصاغها الصياغة التي يريد أن يتقرب بها جماليًا إلى الله عز وجل، يريد أن يتقرب عبادة ونسكًا إلى الله سبحانه وتعالى.

مّما تقرّب به علماؤنا هي السيرة، والعلماء ألّفوا في المغازي وكتبوا فيها، عروة بن الزبير كتب في

المغازي، موسى بن عقبة، بعد ذلك محمد بن إسحاق الإمام العظيم، الذي للأسف

أيها الإخوة الأحبة، هنا أريد أن أنبّه، هناك جنايات تنشأ في تاريخ أمتنا على علماء، فلا يستفاد منهم كما ينبغي، كما كان العلماء الأقدمون يستفيدون منهم، يعني أنت تذهب إلى كتاب الأم فتجد الإمام الشافعي قد كتب عن المغازي آخذًا من الواقدي، نعم الشافعي لا يجهل من هو الواقدي، العلماء لما يذكرون الواقدي يذكرونه بتبجيل عظيمٍ شديد، ولكنّا اليوم نشكو، وأنا تكلمت في الدرس الفائت، لما جئنا إلى الباقلّاني، هناك جنايات تنشأ في نفوسنا على بعض أهل العلم، يعني الباقلّاني من هو؟ يأتي أحدهم، فيأخذ جانب من الجوانب، فيجني عليه ويجني علينا نحن في قراءتنا تراث أمتنا، كذلك الواقدي، الآن من يذهب ليقرأ مغازي الواقدي ويستفيد منها؟ يأتي فقط يقول هذا الواقدي متروك، هكذا يحملونه، ويرمونه، ولا يعرفون سبب تركه، ولما تركه أهل الحديث، لما قالوا بأنّ الواقدي متروك، فلماذا تركوه؟ في أي صعيد من صعد العلم قد ترك؟ فهذا لا يعني أن يقفل عليه كافة الصعد، هذا شيء عجيب، لأن الناس ليس عندهم ثمة اتساع لحياة الأمة، عندنا فقط طلبة العلم يضعون أنفسهم في جوانب ضيقة، الحياة الإسلامية توسعت فيها دائرة الرأي، دائرة الرأي والهوى والمصلحة، والكلام المطلق المنفلت من عقال أصول الفقه منتشر، ولذلك الأثر ضعيف في حياة الأمة، ولما تتوسع دائرة الأثر تضيق دائرة الرأي، ومعنى توسع دائرة الأثر بأنّك تحتاج كما قال الإمام أحمد: الضعيف يحتاج إليه في وقت، فأنت لما توسع دائرة الأثر لتشمل الحياة ما يحتاجه الناس في الجهاد ما يحتاجونه في البيوع ما يحتاجونه في الحياة الزوجية ما يحتاجونه في تربية الأطفال ما يحتاجونه في العلاقات الدولية.

محمد بن الحسن لما ألّف كتابه السّير الكبير، قبل أن ندخل في هذا الباب، حمل على ستين دولاب، تعظيمًا له، فلمّا ساقه إلى الخليفة فرح به، بشَّ له واعتبر أنّ هذا من مزية ملكه وسلطانه ودولته، وأمر مؤدب الأطفال الذي كان يؤدبهم بأن يقرأ هذا الكتاب على أبنائه، وكان يجلس معهم ليسمع هذا الكتاب، انظر لتعرف هذا الدين كيف يحفظ، أنّ ثمة رعاية إلهية.. وكتاب السير لا يعرف إلا من طريق هذا المؤدب، يعني هو سمعه عرضًا، يجلس معهم وليس هو المقصود، ويسمع لأبناء الخليفة، فصار هو

الراوي الوحيد تقريبًا، معه رجل آخر، سمع هذا الكتاب فرواه عنه بعد ذلك المشايخ، وطلبة العلم.

الخليفة ينظر إليه أنه يحتاج إلى هذا الكلام، لأنّ الإسلام عظيم، ويشمل الحياة، وبالتالي هذه الحياة المتسعة من البشر، المتسعة من النوازل، المتسعة من الأحداث، المتسعة من العلاقات، لا يمكن أن يملأها القليل من الأثر والكثير من الرأي، كانوا يوسعون دائرة الأثر ويضيقون دائرة الرأي، فلذلك يضطرون إلى هذه العلوم التي ينتجها الأئمة الكبار.

أنا لما أرى طالب علم يستشهد بالواقدي في المغازي، فيما هو فنّه، وعلمه، وهو رجله، فينبري واحد يقول الواقدي متروك، فيخجل ويقول: أعتذر، أعتذر، وينسحب وهذا غير سديد، غير صحيح.

كذلك لما يحدث أمثال هذا، في قضية الاحتجاج، هذا خطأ.

من الجوانب التي اهتم بها علماؤنا هي السّير، وكان من الجوانب التي اهتموا بها قضية كيفية فقه السيرة، السّير جمع سيرة وليس سرايا، يعني السيرة النبوية خاصة فيما يخص قضايا الحرب والسلم، هذا معنى كلمة السير فالمقصود بها هذا الجانب، وهو الكلام عن حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يتعلق في غزواته، يتعلق في جهاده، يتعلق في تعامله مع كل جوانب ما يتعلق في الجهاد، والعلاقات بينه وبين الآخرين، كيفية الأسارى، كيفية التعامل مع الغنائم، كيفية التعامل مع أصناف الناس الذين يقاتلهم، من هم هؤلاء؟ التعامل مع النساء، التعامل مع الأطفال، التعامل مع الشجر، التعامل مع الخيل، التعامل مع الغنائم: متى يجوز أن يستخدمها دون الرجوع إلى الإمام ومتى لا يجوز؟ المال الذي غنم من الكفار هل يصبح لهم؟ هل يصح تملك الكفار لما يغنمونه من المسلمين؟ إلى غير ذلك، فلذلك هذا الجانب هو جانب السّير، واهتمّ به علماؤنا اهتمامًا عظيمًا، وأغلب من اهتم به، -وأنا سأذكر القصة، من لم يرضها- كان أهل الشام، لأنّ أهل الشام كان رباطهم قريبًا من الروم، ولذلك اهتموا بهذا الفقه، وإمام الشام قبل ظهور الشافعي كان الإمام الأوزاعي، وبقي مذهب الأوزاعي يعمل به حتى القرن الرابع الهجري، حتى جاء من جاء ونشر مذهب الإمام الشافعي، فذهب مذهب الأوزاعي والآن لا يعرف. فأمّا أهل العراق فإن الإسلام ليس مرابطًا مع أعدائهم على حدودهم، وتقدم في الشرق، وهذا تطبيق

لقوله صلى الله عليه وسلم، يقول: **(زويت لي الأرض)** فالزوي يكون من جهة الأطراف الأفقية، وليست الطولية، ولذلك لا تجد الإسلام أخذ منحى طوليًا في الانتشار، ولكن أخذ منحي عرضيًا أو أفقيًا، فانتشر من هنا وهنا، وذاك في العراق لا يوجد رباط واتصال بينهم وبين أعدائهم، وإنّما امتدّ الإسلام حتى وصل إلى تخوم الصين، ولذلك اختص أهل الشام خاصةً في كتابة السير.

القصة تقول، -وإن كان أبو زهرة يضعّف الرواية وأنا معه، لأن محمد بن الحسن الشيباني المعروف عنه أنّه تتلمذ على يد الأوزاعي، جاء إلى الشام وتتلّمذ على يديه- تقول القصة أنّه لما كتب محمد بن الحسن الشيباني السير الصغير، -محمد بن الحسن الشيباني رواياته هي معيار الفقه الحنفي، الفقه الحنفي الروايات فيه تقسم إلى قسمين: ظاهر الرواية، والنوادر، والنوادر هي التي رويت بطريقة يشكك فيها، يعني ليست عماد المذهب، وظاهر الرواية يعني أنها رويت بطريقة صحيح، والكتب حين تصنف فهي كتب محمد بن الحسن الشيباني، وكأنّ فقه الحنفية لا يعرف إلا من طريق هذا الإمام، وذلك لعنايته بالتأليف والتصنيف، والجمع، وهو الذي استقى علم أبي حنيفة، ونزف وأخذ علم أبي يوسف عليه رحمة الله، فهو تلميذه النجيب الملاصق له، والذي أخذ عنه الكثير.. ظاهر الرواية عندهم الجامع الصغير، الجامع الكبير، السير الصغير، السير الكبير، يلحقون به الآثار، يلحقون به الرد على أهل المدينة، يلحقون به الموطأ، مع أنّه من رواية محمد بن الحسن عن الإمام مالك، مع وجود روايات خاصة، موطأ الإمام مالك برواية محمد بن الحسن الشيباني مطبوع، وشرح، وأشهر شرحه لمحمد بن بشير النعماني، وكذلك أوضح المسالك للكاندهلوي، ولكن فيه روايات عن أبي حنيفة يعني وضع في موطأ الإمام مالك بعض الروايات: هذا قول أصحابنا، قول أبي حنيفة، فزاد محمد بن الحسن عليه زيادات، المقصود كتبه تسمى عندهم بظاهر الرواية، والنوادر كتب أخرى مشكوك فيها. فمحمد بن الحسن الشيباني أخذ العلم عن الأوزاعي، حتى بعضهم يرى أنّ قرب محمد بن الحسن الشيباني للأثر، يعني عندما يأتي المصنفون أو المحققون في مذهب الإمام أبي حنيفة، فيجدون أنّ محمد بن الحسن الشيباني هو أقرب تلاميذه إليه أثرا، من المكثرين من الأثر، أخذ الحديث واهتمّ به، وأكثرهم قياسًا زفر كما يقولون، أقربهم رواية عن الإمام هو أبو يوسف، مع أنّ أبا يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني، كما يقول أهل الصنعة، غيرا ثلثي مذهب

أبي حنيفة، يعني نسبة محمد بن الحسن الشيباني وأبي يوسف لأبي حنيفة كنسبة الشافعي لمالك، لكن لم يخرجا عن أصوله، بخلاف الشافعي خرج عن أصول الإمام مالك فاعتبروا أن له مذهبًا جديدًا، لكن محمد بن الحسن الشيباني وأبا يوسف لم يخرجا عن مذهب أبو حنيفة، فبقي البعض يعدهم من طبقة التلاميذ المقلدة، وهذا غير صحيح، لا يقلدون ولهم طرقهم ولهم مناهجهم.

فتقول القصة: أنّ محمد بن الحسن الشيباني لما كتب السّير الصغير وصل إلى الأوزاعي، والأوزاعي صاحب السّير المشهورة، فلمّا نظر فيه قال من كتبه؟ قالوا: محمد العراقي، يقصدون الشيباني، وهو يعرفه، تلميذه، قال: ما لأهل العراق وهذا الفن؟ يعني لأنّ السير اختصاص أهل الشام باعتبار الرباط بينهم وبين الروم، فوصل الخبر لمحمد بن الحسن الشيباني فغضب، فراح وألّف السّير الكبير.

وأنا قرأت الرد على سير الأوزاعي، ورأيت محمد بن الحسن الشيباني في رده على الأوزاعي يصيب الأوزاعي في مناطق قاتلة، ويناقش أصوليًا، ومن الكتب الممتازة التي تعرّفك على طريقة الجدل عند الأوائل، ومحمد بن الحسن الشيباني في كتابه الرد على أهل المدينة لا يعرف الكتاب مستقلًا إلا من خلال كلام الشافعي، الشافعي أخذ الرد على أهل المدينة وناقشه وناظره.

ويقول الشيخ المعلّمي في رده على محمد زاهد الكوثري، الكوثري ألف كتاب نشر الأماني في سيرة محمد بن الحسن الشيباني، وطعن في كتابه التأنيب في الشافعي، فالشيخ المعلّمي رحمة الله عليه كتب ردًا كبيرًا في التنكيل في تعظيم الشافعي ورد على ما انتقده فيه الكوثري، وكذلك له رسالة طبعت مستقلة في بيان فضيلة الشافعي، وخاصة ادعاء الأحناف أنّ الشافعي أخذ علمه من الشيباني، وهذا غير صحيح، فإنّ الإمام الشافعي لما وصل إلى العراق كان قد استوى سوقه وتمت ملكات العلم لديه، ولم يكن بينه وبين الشيباني إلا المناظرات، والحقيقة أنّ مناظرات الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني يُشهد لها في العلم والثقافة. ولكن يقول المعلّمي –وهذه عجيبة، وأنا تتبعت فلم أجد هذا الإطلاق، وسأتكلم عنه– يقول: بأنّ الشافعي كان يخفي اسم محمد بن الحسن الشيباني تواضعًا، فإذا قال: ناظرته فانقطع، فلو ذكر الشيباني لكان في ذلك الوقت هذا تعظيما له، أنا قطعت الشيباني وأسكتّه. فكان إذا تكلم

يقول: ناظرت أحدهم، قال لي صاحب وهكذا، يعني لا يذكر اسمه. والحق ليس كل ما خفي علينا اسمه من المناظرين كان هو الشيباني، بل نجد بعض المناقشات -من غير أن يذكر- بشر المريسي، وبشر المريسي من أهل العراق حنفي، مع ما فيه يعني من اعتزال، ورد عليه من رد من العلماء، والشافعي كان يناظره كفاحًا.

القصد بأنّ الشيخ محمد أبو زهرة رحمة الله عليه، ردها وقال هذه الرواية غير صحيحة، واستشهد بالتاريخ، على قاعدة المحدثين "إذا تكلمت فأظهر لنا التواريخ"، لأنّ التواريخ هي التي تظهر الصدق والكذب، وبيّن الشيخ أنّ الإمام محمد بن الحسن الشيباني لما مات الإمام الأوزاعي كان عمره تسعا وعشرين سنة، والمعروف أنّ الشيباني لم يكتب شيئًا من الكتب إلا لما تجاوز الثلاثين، فيقول: هذا يتنافى مع القول بأنه كتب السير الصغير والسير الكبير في حياة الأوزاعي، ويرد هذه القصة، وأنا أميل إلى هذا القول أنّ التاريخ لا يثبت، لكن العلماء يحبون هذه المناكفات بين العلماء لينشئوا شيئًا.

هذا الكتاب، وهو السير الكبير لم يصل إلينا إلا من خلال شرح الإمام السرخسي له، والسرخسي شرح هذا الكتاب من حفظه، وهذا كان مدعاة عند بعض محققي الكتاب، وليسوا من أهل فن التحقيق لكتب علماء السلف، لا يعرفون مناهجهم، وهذا الكتاب طبع بعناية جامعة الدول العربية، وهي إحدى الطبعات الجيدة تحقيقًا، وليس تقدمةً، لأنهم ليسوا من أهل هذا الفن، من أهل معرفة الفقه، طبعته جامعة الدول العربية، وسبب طباعته لأنه يمثل الفقه الدولي، فمن هذا الباب هم اهتموا به وطبعوه. فلمّا جاؤوا إلى كيفية وصول السير الكبير إلينا -معروف أنّ الإمام السرخسي سجن ١٥ سنة، في جب، وكتب جميع كتابه المبسوط وهو في السجن، وكتاب المبسوط، للذكر فقط، لنعرف شيئًا عن شارح السّير، هو الجامع لظاهر الرواية، يعني هذه الكتب التي ذكرناها من الجامع وغيره، هذه شرحها وجمعها، فإذا أردت أن تعرف فقه ظاهر الرواية عند الأحناف فارجع إلى المبسوط، وأنت تجد في كتاب السرخسي شيئًا عجيبًا: كلّما انتهى من كتاب كتب تحته أنّه كتبه في السجن ويدعو الله أن يكتب ما يليه في غير السجن، ولكنّه كتبه كله في السجن، ثم شرع على تلاميذه شرح السّير الكبير، فخرج قبل أن

يتمه، فأتمه وهو طليق.

فوجدت هؤلاء المحققين يشيرون إلى أنّه قد يكون ضبطه للسير ليس صحيحًا لأنّه كتبه في سجنه، وهذا جهل، وهم ليسوا من أهل هذا الفن.. من الذي يجلس فوق وينقل؟ تلاميذه الذين عندهم الكتب وعندهم الأصول، يعني هو لا يكتب في الأسفل، هو يلقي بكلامه على من جلس فوق البئر ويكتب، فهم يستطيعون عرض الكلام، ثم لما خرج من السجن يستطيع أن يعرض ما كتب على الأصول ويصلح.

فالقصد أنّ السّير الكبير لم يصل إلينا إلا من خلال شرح الإمام السرخسي، عليهما رحمة الله، وبالتالي صار هناك شيء من الصعوبة التفريق بين المتن وبين الشرح مرات، لأن الأوائل لا يصنعون كما يصنع الناس الآن، فكثيرًا ما يختلط هذا مع هذا، أي كلام الشارح مع كلام الماتن –ولغة لا تصح، يعني الماتن، صاحب المتن، وإن كان يستخدمها الشيخ صدّيق حسن خان في شرحه الدرر البهية في شرح الدرر المضية للشوكاني، والعلماء استنكروا هذا وقالوا: هذا لا يستقيم في التصريف–.

للذكر، أجب أن أسجل هذا الموقف: كل أصحاب المذاهب الثلاثة، غير الأحناف، كتبوا في فضائل الأئمة الأربعة، إلا الأحناف ما كتبوا في فضائل غيرهم. يعني أنت تذهب إلى الشافعيّة فتجد الكثير منهم كتبوا في فضائل الأئمة الأربعة، تذهب إلى المالكية تجد عندهم الفضائل أيضا، تذهب إلى الحنابلة فتجد الفضائل، الأحناف لا تجد عندهم، أنا أتكلم عن نفسي: لا أعرف كتابًا لحنفيّ تكلم عن فضائل الأئمة الأربعة، لم أجد. هل لأنّه الإمام الأعظم؟ هل لأنّهم يشعرون أنهم الأصل والبقية يجب أن يكون تابعا، والابن هو الذي ينبغي أن يمدح لا الأب؟ نتركها لهم.

من الغريب كذلك أشار السرخسي في بداية شرحه إلى أنّ الإمام محمد بن الحسن الشيباني في هذا الكتاب لم يعرّج قط على اسم شيخه أبو يوسف، ويقول: لسبب الخصومة. يقول أنّ أبا يوسف غار من انتشار علم الشيباني فأراد أن يرسله خارج بغداد، –والشيباني كوفي، ومذهبه في اللغة كوفي ليس بصريا– أراد أن يخرجه إلى مصر من أجل أن ينشر مذهب أبي حنيفة، فلمَا استشار الشيباني تلاميذه في ذلك

قالوا: ما أراد هذا إنما أراد أن يبعدك عن كرسي سلطانه. ذكرها السرخسي دون أن يعلّق عليها، وجعلها هي السبب في أنّ محمد بن الحسن الشيباني لم يذكر أبا يوسف في هذا الكتاب.

للذكر: سمعت أحدهم يقول السِّيْر.. طبعًا علم السير بعد ذلك تطور، يعني أنت ترى "سير أعلام النبلاء" وهو في تراجم الرجال وليس عن السيرة النبوية، يعني كلمة السّير صارت لها مدلول أوسع بما يتلاءم مع أصلها اللغوي "السيرة أي الوصف.. وصف رجل، وصف حالة، وصف قضية، لكنّ الأصل أنّها كانت تطلق على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وما يتعلق بها رواية أو دراية، كما نرى في هذا الكتاب.

هذا الكتاب معنا في الكلام عليه أيضا كتاب الدكتور عثمان ضميرية، والرجل حقيقة من الأكاديميين القلائل في هذا الزمن الذين ينقلون بأمانة، دون تحريف. وماذا أعني في هذه الكلمة؟ لأننا نجد شيئًا مريعًا وسيئًا في هذا الزمن، ومن الفقهاء خاصةً، أنا أعيب على الفقهاء أنّهم يأتون إلى الفقه ويحدثون أقوالًا لم يقل بها الأوائل، وخاصة فيما يتعلق في الجهاد، يعني الجهاد في أمتنا له مدلول خاص، والدعوة بأنّ الجهاد في أمتنا من أجل دفع الصائل فقط هذا لا يجعل له فضيلة، لأنّ الأمم هذه ميزتها وهذه خصالها ولو اعتدي عليها تدافع عن نفسها، فلماذا توضع الأحكام العظيمة والمحرضة من أجل الجهاد؟!! لا يحتاج العربي إلى أن يدفع ويرغّب من أجل أن يجاهد إيمانيًا دفاعًا عن نفسه، وهو أصلًا في هذا الباب متجاوز الحد، العربي أصلًا في دفاعه عن نفسه لا يحتاج أن يرغّبه مرغّب، فأن تأتي هذه الآيات وهذه الأحاديث في تعظيم الجهاد بالمفهوم الذي يطرحه الناس، الذي هو فطرة الإنسانية التي لا تحتاج أن يوضع كمسألة خاصة في أمة من الأمم، يعني أعطوني أمة من الأمم ينشأ عندها فقه، هذا الفقه هو فقه الجهاد ويعني الجهاد عندهم هو كيف تدافع عن نفسها؟! لماذا يكتب هذا؟ هذا شيء فطري في البشرية، وإذا قال قائل: كيف تقول هذا والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(من قتل دون ماله فهو شهيد)**؟ هو يرقّي الحكم فقط، وإلا فدفاع المرء عن عرضه، ودفاع المرء عن ماله، ودفاع المرء عن أهله، وعن بيته هو دفاع فطري، ولكن هو يرقّيه بأن يجعله شهيدًا، كما أنّه يجعل الذي يموت تحت

الهدم شهيدًا، الذي يموت مبطونًا شهيدًا، يعني هو يريد أن يقول أنّ هناك أبوابا للشهادة غير الباب الذي تعرفونه، ولكنّ هذا لا يعني أنّ الجهاد في ديننا هو هذا الذي يريدونه، وهو الدفاع عن النفس، وهو دفع الصائل، ودفع المعتدي، الجهاد في ديننا شيءٌ آخر، هو شيء خاص بهذه الأمة، وهو أن تحمل هذه الأمة دينها من أجل تخليص البشرية من طواغيتها الحاكمين عليها، الجهاد لا يعني إدخال الناس في الدين، أي إدخال الأفراد الإسلام دخول اعتقاد، هذا لا يقوله أحد، أما قوله تعالى: (تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَ) فالمقصود به المرتدون، وأمّا الجهاد في ديننا، فكما أنّ العبد يخضع لربه قدرًا، كما يقول ابن القيم، فيجب إخضاعه شرعًا.

الآن يعتبرون أنّ البشرية ارتقت في مفاهيمها الدبلوماسية وعلاقاتها الدولية، ومع ذلك يفرضون الديموقراطية، ومع ذلك يفرضون الدخول في دينهم. يعني لو أنّ دولة أرادت أن تخرج من الأمم المتحدة تقاتل، ويضعونها في البند السابع والبند السادس وهكذا، وتذهب الجيوش تحارب وتقتل وتأسر أهلها تحت مظلة دولية. وبالتالي هذا الجهاد في ديننا لا يجوز أن يأخذ إلا من مصادره، لا يجوز أن يطبّق وأن يأخذ فقط من نصوصه التي يمكن التلعب بها، بل يجب أن يأخذ من سيرة أهله.

الذي يعجبني في الدكتور عثمان ضميرية، في كتابه هذا، أنّه كان أمينًا، ولم يحاول ما حاوله المشايخ الذين عملوا تحريفًا لمفهوم الجهاد، وعلى رأسهم الدكتور البوطي في كتابه (الجهاد كيف نفهمه وكيف نمارسه)، فإنه أفسد دين الله، وغيّر معالم الشريعة، وغيّر معالم الجهاد، وتلعب بألفاظ الفقهاء تلعبًا واضحًا مفسدًا، بل لو قال قائل: المسألة قد تصل إلى الكذب والافتراء، لم يكن مغاليا. والكثيرون يفعلون هذا، خاصة المعاصرون عندما يتكلمون عن الجهاد.

كيفية حركة الأمة مع غيرها هو ما يبحثه هذا الكتاب، وكذلك هذا الكتاب الرديف له يقوم بشرحه شرحًا أكاديميًا، علميًا، مقارنًا كما يسمى اليوم -كان يسمى علم اختلاف العلماء، الفقه المقارن هذه كلمة معاصرة لم يقلها الأوائل، الأوائل ماذا كانوا يسمون الفقه المقارن؟ كانوا يسمونه اختلاف العلماء، ككتاب اختلاف العلماء للطبري، كاختلاف العلماء للطحاوي- فقام هذا الكاتب بتفسيرها وعرضها

على المذاهب الأخرى، وعرضها على مذاهب الحنفية خاصة، وهو قلّما يخرج بشرحه عن مذاهب الحنفية في هذا الباب.

الذي نحتاجه في هذا الباب هو أن نحيي هذا الكتاب، من أجل أن ندرّس كيفية تعامل النبي صلى الله عليه وسلم في جهاده، كيف كان يعد المجاهدين، كيف كان يتعامل مع حركة الجيش وإبداعاته داخل المعركة، كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يوزع الغنائم، كيف كان يتعامل مع الأسرى، الأسرى الذين أسروا هل يجوز قتلهم؟ هل يجوز في القتال استخدام أدوات مثل قضية السم، مثل قضية الحرق، مثل قضية التبييت للأعداء.. كل هذا الآن، أيها الإخوة الأحبة، يغلب على أذهاننا تصورات معاصرة، يعني يأتي شيخ فيتحدث عن الأسير، ويتكلم كلامًا شعريًا لا قيمة له في الفقه، كأن يتكلم عن قتل الأسير ويقول هذه ليست إنسانية، ما هي القيمة العلمية لهذه الكلمة؟ هل هناك أفق إنساني مطلق؟ هل يوجد معيار إنساني؟ ما معنى الإنسانية؟ بأي معنى: أنت تتحدث عن نفسك أنّ المنظر لم يعجبك! أم تتحدث عن حالة استحسانية لذات، يعني أنّ المنظر نغص بالك؟

لو قُدِّرَ أنّ نأخذك أنت من هذا الزمن الذي أنت تعيش فيه، أو أخذناك إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ورأينا حادثة قطع يد، أو حالة رجم زانية أو زانٍ، فأنت ربما تستنكر المنظر ولا يعجبك، وترى فيه وحشية، كيف يوضع رجل في داخل حفرة، أو امرأة، وتشدّ عليها ثيابها، ثمّ يقوم الناس بالحجارة ويضربونها، هذه المرأة أو هذا الرجل، وينزف دمه وهكذا، حتى يأتي حجر كبير فيفلخ لها الرأس أو يفلق له الرأس، أنت ماذا ستقول في هذا المنظر؟ ربما تقول هذه ليست إنسانية، والسبب في ذلك أننا عشنا طويلًا في هذا الوقت، عشنا بعيدًا عن الدين، عشنا قيمًا باطلة عن الدين ولا نعرفها.

الآن قضية كيفية التعامل مع الأسير، هل يقرؤون الفقه حتى يروا هل يجوز قتل الأسير أم أنه لا يقتل؟ هل هناك فقه عن المرتدين؟ كيفية الهدنة مع الكفار؟ كل هذه الأحكام غابت عن واقعنا، وبالتالي أيها الإخوة الأحبة، الذي نراه ليس استنكارًا للجهاد من جهة علمية، ولا لأحكام وفقه الجهاد دينيًا، لا، الواحد منهم لا يضطر أن يذهب للكتاب، فيفتح ليعرف ماذا تقول الفقهاء؟ يعني لو أنّه ذهب للفقه

لسكت، لخجل منها، ولكن هم لا يفعلون هذا، المنظر أعجبهم أو لم يعجبهم.. ولأنه شيخ وصاحب لحية و(د.)، وهذه (د.) أزعجتنا وأتعبتنا، قد تعني دجاجة، فقد صارت حجة لكل أحد، وأنّ كل ما يقوله هو الدين، وأنّ مزاجه هو الدين، وأنّ مزجه هو الذي يجب أن يتبع، وهذا من أبطل الباطل، وهذ من الجهل الغريب الذي نعيشه في زماننا.

يجب على الأمة في هذا الوقت، ويجب على المشايخ، ونحن نرى طلائع الجهاد قد بدأت، نعم هناك انحرافات، هل نعترف أنّ هنالك انحرافات؟ الجواب: نعم، لكن المسألة في قضية الصور العظيمة لهذا الجهاد، لماذا يتم الاستنكار؟ السبب هو إرضاء العالم، هل العالم الآن يحتاج إلينا من أجل أن نقره فيما يفعل؟ هم يقتلون، قرى كاملة في أفغانستان أبيدت، طبعًا كان العالم يغطي على جرائم أمريكا في أفغانستان، والسبب أن الحجة الدولية أنهم ذهبوا لقتل إرهابيين، وهذا ليس بالغريب عنهم، هم أبادوا أكثر من ١٥٠ مليون هندي أحمر أبادوه، ولو استطاعوا إبادة المسلمين جميعًا لفعلوا، لا تشككوا بهذا الرقم، هذه أرقام حقيقية، ١٥٠ مليون هندي أحمر قتله هذا المجتمع الجديد المتحضر، الذي يلبس البدلات ويتكلم عن حقوق الإنسان.

نحن إذا أردنا أن نحقق الوعود الإلهية، يجب أن نتبع الشرع الإلهي، وإذا هم دعونا واستخدموا معنا الأساليب الظالمة في قضية أن نخجل من حقنا وأن نخجل من ديننا في تعاملنا مع الواقع والأحكام، فإننا لن نتحرك ولن نحقق شيئاُ من الوعود الإلهية لنا.

لا أريد أن أطيل وأكثر الكلام في غير هذا، لكن أن أدعو إلى أن ينشط طلبة العلم في تعليم أبنائهم، تعليم الناس في المساجد، تعليم الناس في دورات خاصة، تعليم البيئات التي فيها الجهاد، وأن ينشطوا لهذا الكتاب وأن يهتموا به، ولا ينظروا إليه -هنا نقطة مهمة- نظر أنّه مجرد فقه حنفي أو فقه لرجل حنفي، ويذهب أحدهم ليرى ماذا يقول الإمام مسلم عن محمد بن الحسن الشيباني، لأنه ربما يذهب إلى كتب الحديث فيجد العلماء يضعّفونه كما يضعّفون أبا يوسف، كما يفعل الدارقطني والإمام مسلم، في كتاب له في الرجال -وهو موجود ومطبوع، ولجودة الخط فيه طبع مخطوطًا كما هو-.

نحن نحتاج إلى هذه الكتب لأهميتها، وأن ندرسها وأن نعي كل حرف فيها، وأن نقرأها القراءة الجيدة، بعيدًا عن تأثيرات المعاصرين، بعيدًا عن تأثيرات الضغط الدولي العام، حتى نكتشف كيف كان تعامل النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة مع الأمم الأخرى.

هذا ما أردت أن أقوله لكم، أدعو طلبة العلم أن يقرؤوا هذا الكتاب قراءة مهمة، وكتاب الدكتور عثمان أصول العلاقات الدولية كتاب قيم، وهو رسالة دكتوراه، وكتاب جيد، بذل فيه صاحبه جزاه الله خيرا جهدًا عظيمًا في تحقيق مذهب وأقوال محمد بن الحسن الشيباني في هذا الباب، وقدّم له مقدمة جيدة، ربما تتسع لغيره مما يقول.

لا أريد أن أطيل أكثر من هذا، بارك الله فيكم: الكتاب عظيم، وإذا كان الكتاب عظيما فما عليه إلا أن يتحدث عن نفسه. وإن أردنا أن نخوض فيه فنخوض فيه من جهة الفقه واختياراته الفقهية، لكن إذا تكلمنا عنه في العموم فهذا هو وجهه وهذه طريقة إنشائه. ويكفي أنّ محمد بن الحسن الشيباني، إذا صحت القصة، أنّه لما وصل كتاب السّير الكبير إلى الإمام الأوزاعي قال: لولا ما فيه من أحاديث لقلت أنّه وضعه من جهة نفسه.

وأنا مع هذين الكتابين أدعو إلى قراءة (الرد على الإمام الأوزاعي) كذلك، فهو كتاب رائع، ومهم، وفيه فوائد عظيمة، ويبيّن فيه صاحبه طرق الجدل الفقهي بين علمائنا وكيفية المناظرات الفقهية بينهم.

هذا ما عندي في هذا الباب، وبارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: كتاب الجهاد والقتال في السياسة الشرعية.

الشيخ: يسأل الأخ عن كتاب الجهاد والقتال في السياسة الشرعية لمحمد خير هيكل، وهذا كتاب

جيد، ومستوعب، يعني من الكتب التي إن قرأتها وجدته قد استوعب المذاهب فيها، وتستطيع أن تعده مرجعًا أمينًا في نقل المذاهب والأقوال من كتب أهل الفقه، فهذا هو بابه وهو كتاب مهم جيد.

لكن عليه ملاحظة، لابد أن نقولها، وهو أن هذا الكتاب -للأسف- خلال سوقه لطريقة إحياء الأمة، ولا أدري لماذا أقحمها في الجهاد والقتال، ولعل ذلك لأنّه يميل إلى أقوال الشيخ تقي الدين، ولا أريد أن أقول حزب التحرير، لأنه لا يوجد شيء اسمه حزب التحرير، حزب التحرير هو تقي الدين النبهاني ومذهب الشيخ تقي الدين النبهاني، يعني لا يوجد شيء في حزب التحرير ليس هو من اختيارات الشيخ النبهاني، يعني الحنفية عندهم أبو يوسف وعندهم الشيباني، حزب التحرير ما عنده غير تقي الدين النبهاني، يعني ليس عندهم أحد آخر قال قول مخالفا للشيخ.

ولا بأس هنا من أن ننبه على هذه القضية: لما جاء إلى "هل هناك خلاف حول جهاد هؤلاء المبدلين للشريعة؟ مع أنّه يقر أنّ المبدلين للشريعة كفار، ولكنّه يرفض هذا بحجة ما يقوله الشيخ تقي الدين النبهاني.

الشيخ تقي الدين النبهاني رجلٌ في هذه النقطة، مع الاعتذار، معوّق، وقال قولًا من جهة الرأي، وهم أخذوها حنفيًا، والآن أبيّن الوجه الذي أخطؤوا فيه خطأً شنيعًا. قال الشيخ تقي الدين النبهاني: لا يجوز، إذا سقطت الخلافة، أن نعيد إحياء الدولة الإسلامية والخلافة إلا بالطريقة التي أقامها بها النبي صلى الله عليه وسلم، والطريقة التي أقامها النبي صلى الله عليه وسلم يقول إنها طريقة نصية لا يجوز الاجتهاد فيها، ولا يجوز أن نخرج عليها، وبالتالي حزب التحرير خرج بالمقررات التالية، وهذا الذي يقوله محمد خير هيكل، وهي أنّ الكتلة – طبعًا أنا أتكلم بكلامهم الآن، ولكن مجرد تصور ما يقولونه يثبت خطأ ما يقولون، فبعض الأقوال أيها الإخوة، لا تحتاج إلا أن تسوقونها ليعرف المقابل، إذا كان عاقلًا، أنها خطأ- يقول: إن الطريقة النبوية الوحيد هي أنّ الكتلة الداعية إلى الله فكرياَ وسياسيًا، لا يجوز أن تمارس عملًا ماديًا، وغيرها يجوز له أن يمارس عملًا ماديًا، وإنّما هي عليها أن تطلب النصرة من أصحاب القوة والتأثير في المجتمع، وبالتالي هم إذا تبنوا الإسلام وعملوا به فحينئذ أقمنا الخلافة وأقمنا

الدين، وهذه الطريقة النبوية الشريفة -التي يزعمونها-، بغض النظر عن هذا التوصيف الخطأ في الفقه، لأنّه فقهيًا...

لا يستطيع أحد أن يعرف من هو تقي الدين النبهاني من غير أن يقرأ الشخصية الإسلامية لتقي الدين النبهاني، ومنفذ معرفتك لفكره وطريقة تفكيره، أن تقرأ الأجزاء الثلاثة في الشخصية الإسلامية، وهو في هذا ينحو إلى أن الفعل النبوي المتكرر يفيد الوجوب -أنا أتكلم أصوليًا هنا، بعد ذلك آتي إلى لنقض- وهذا باطل، حتى الأحناف لا يقولون بما يقوله هو، وإنّما جمهور أهل العلم على أنّ الفعل النبوي لا يفيد إلا الاستحباب إذا لم يكن هناك ثمة قرينة، والدوام ليس قرينة لأنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان عمله ديمة، كما تقول عائشة رضي الله عنها في الصحيح: **كان عمل رسول الله ديمة**، فإذا فعل شيئًا داوم عليه.

وفي قضية طلب النصرة، هل كان يطلبها على جهة أن يسلموا فينصرونهم أم أنهم ينصرونه...؟ هذه روايات متعددة يجب أن يجمع بينها، وهي طريقة معروفة عند قراءة المعاصرين للسيرة، يأتي إليها غمغمة، من غير الألفاظ ومن غير تحقيق.

النبي كان يطلب النصرة.. كان يطلب إسلامهم لينصروا دين الله أم يطلب نصرتهم من أجل أن يحموه ممن يؤذوه، أم كان يطلب نصرتهم من أجل الدعوة إلى الله؟ انتبهوا إلى هذه القضية، لأننا نجد في بعض الأحيان يطلب نصرتهم من أجل أن يمنع إيذاء قريش له، يعني: أنا أريد أن أدخل عندكم فتنصروني في الدعوة إلى الله... هم يجعلون النصرة شيئًا واحدًا، ما هي؟ هي أنهم يتبنون الدين فيأتون لنصرته من أجل أن يضعوه أميرًا عليهم ليقودهم في الجهاد، وهذا لا نراه في السيرة في طلبه النصرة.

أول شيء: إن الفعل النبوي لا يفيد الوجوب، وإنّما الفعل يفيد الاستحباب أصوليًا، حتى إن تكرر، وهم يقولون: إذا تكرر أفاد الوجوب، والجمهور والأحناف يقولون بأن الفعل النبوي يفيد الاستحباب ولا يفيد الوجوب، بل نقول: ما هو أقوى دلالة: الفعل أو القول، أصوليًا؟ القول، وعند الأحناف الأمر لا يفيد الوجوب إلا بوجود قرينة أصلا. الجمهور يقول أنّ الأمر يفيد الوجوب، الأحناف يقولون أنّ

الأمر لا يفيد إلّا مطلق الطلب ويحتاج إلى قرينة ليفهم منه الوجوب، هذا قول الأحناف، فالفعل لا يفيد الوجوب، افرض أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل هذا بشكل متكرر، فهذا لا يفيد الوجوب وإنّما يفيد الاستحباب، وهم يجعلونه إفادة وجوب، ومعنى الوجوب يعني إبطال الآخر عندهم. نأتي إلى قضية أصولية أخرى: هل الأمر بالشيء نهي عن ضده؟

هم فقط درّسوا كلمات للعوام.. والغريب أنّ في حزب التحرير الكبير والصغير نسخة واحدة، يعني لا تتكلم مع عالم ولا تتكلم مع جاهل، كله واحد.

المصيبة الأخرى أنهم لا يأتون بالنصوص على وجهها الصحيح في طلب النصرة.. طلب النصرة تكرر في صور كثيرة، منه قوله صلى الله عليه وسلم: **(من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي)** يريد من يحميه حتى لا يضرب ولا يهان، أو يطلب منهم أن يسلموا فينصرونه، هذه صور متعددة هم لا يأتون إليها.

القصد أنهم أبطلوا شرعية جهادهم هم قبل أن تكون الخلافة، ومنعوا هذا.

طبعًا أنا أنصح نصيحة، ولا أريد أن أدخل في خصومات، لكن الدين النصيحة، وهذه قضية معروفة في النفس البشرية،: لما ينصر المرء، وهذا وقعوا فيه، قومًا من الأقوام أو في قاعدة من القواعد، وبالتالي عليه أن يبطل غيرها، فهذا يؤدي بهم إلى التعدي والظلم في أعمال جهادية. يعني: هو يريد أن يدعو إلى طريقته، فيجد أن هناك جهادا في العالم يسرق أبصار الناس والناس يركضون إليه ولا يأتون إليهم ولا إلى طرائقهم المعوقة، فهم لابد أن يضربوا هذا الجهاد، لا يكفي أن يضربونه شرعيًا، لأنّهم في الحقيقة لا يستطيعون بهذه القوة التي يطرحونها، وبالتالي لابد من ضرب الجهاد، فدائمًا هم يشككون، وهذه لا ينبغي أن يخفوها من أنفسهم، عليهم أن يعترفوا ويكونوا شجعان، وما من جهاد قام إلا شككوا فيه، كانوا يتهمون الشيخ عبد الله عزام ويتهمون الجهاد الأفغاني، والجهاد في سوريا، والجهاد في كل مكان، ليس فقط أنه غير شرعي إن مارسوه هم، يعني هم لا يبطلونه من جهة أن يقوم به آخرون، لأنّهم كتلة فكرية سياسية لا ينبغي أن تمارس العمل المادي، لكنّهم كذلك يشككون في هذا، يعني يتكلمون الكلام المعروف في طرقهم وفي إسقاطاتهم وفي تفسيرهم للجهاد الذي يقوم.

الآن نقطة أخرى نزيد عليهم: هل فقه المرتد هو فقه الكافر الأصلي؟ جلست مع أحد كبرائهم، طبعًا آحاد الناس لا يمثل مجموع الناس –الغريب أن بعض الناس لا يسمعونك، وهو يسمعك ويفكر بطريقته، لا ينتبه لك– صدقوني أنّ أحد كبرائهم كنت أتكلم معه أقول له: هل هناك فرق بين مرتد – نحن اليوم نتكلم عن مرتدين ولا نتكلم عن كفار أصلين كزمن قريش، نتكلم عن إسلام كان موجودا فجاء متغلب وأخذه.. فالأقرب إلى حالتنا، حالة لأسود العنسي وفيروز الديلمي، يعني ما هي أقرب حالة؟ كان عندنا حاكم مسلم جاء عليه متغلب فأخذها وغلب علينا، فما الطريقة التي نطبقها؟ نطبق ما فعله فيروز، والنبي مدحه قال: (**نعم الرجل فيروز**) قتل الأسود العنزي رجل صالح اسمه فيروز، ومدح فعله. فهذا هو الأقرب.

تتكلم معه: مرتد، وكافر أصلي، يقول لك: الطريقة النبوية في إقامة... لا يسمعون لنا.

الآن الجواب هل هناك فرق بين مرتد وبين كافر أصلي؟ هل هناك فرق بين أن تأتي إلى كفار أصليين من أجل أن تحمي نفسك من عدائهم لك في إقامة الدين، فتنتصر بناس يحمونكم، كما النبي صلى الله عليه وسلم دخل في جوار جبير بن المطعم.... هذا ينبغي أن ينتبهوا له، نحن نتعامل مع مرتدين وليس مع كفار أصليين، مرتدون تغلبوا على أمتنا وسرقوا الأمة تحت أحكامهم الشركية الكفرية الطاغوتية.

فمحمد خير هيكل للأسف نصر طريقة حزب التحرير في أنه ينبغي أن نعود إلى الطريقة النبوية، وهي في طلب النصرة والعمل الفكري المحض الذي لا ينبغي أن يمارس فيه أي عمل مادي.

هل مارس النبي عملا ماديا في مكة أم لا؟ حديث علي في مسند أحمد بسند صحيح، وصححه الإمام الطبري، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم انطلق وعلي يوما إلى الكعبة، فارتقى علي فوق ظهر النبي صلى الله عليه وسلم وكسر صنم من أصنامهم وخرجوا يعدون، وكتبت هذا في كتابي على خطا الخليل، وأن النبي أراد أن يطبق فعل الخليل، حتى لو طبقه مرة، من أجل أن يطبق قوله تعالى: (**فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**) ثم (**ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**) فمن أجل تطبيق هذا ذهب ومارس عملًا ماديأً، كسر صنمًا، والحديث صحيح، وهذا في مكة.

أعود وأقول: الكتاب جيد، ومستقصٍ، وفيه أمانة النقل، ولكن في هذه النقطة لم يوفق إليها، والله تعالى أعلم.

السائل: هل يجوز تطبيق الحدود في حالة الحرب، شيخنا؟

الشيخ: اختلف العلماء لحديث: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إقامة الحدود في دار الحرب، والحديث عند أبي داوود وعليه كلام معروف عند أهل الحديث، والفقهاء اختلفوا، ولكنّه ثبت عن الصحابة رضي الله عنهم أنّهم نهوا جيوش المسلمين أن تطبق الحدود في بلاد الكفر والحرب، مخافة انقلاب المسلم إليهم فيزيد شره، وهذا عملًا بقوله: (**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ**)، أنت تقيم الحد فهو يهرب إلى الكفار ويكون عونًا لهم، وهذا هو الأقرب للصواب. فالعبرة بالحكمة، والعبرة بالمصلحة، وكل أعمال الجهاد منوطة بمصلحة الرعية، فإذا وجد الإمام أنّ إقامة الحد شيء عادي في الحرب تقام، إذا أمن فتنة الناس، وإذا وجد أنّ هذا يؤدي إلى فتنة للناس فليعطّل هذا، حتى ينقلب إلى بلاد المسلمين ويقيم عليه الحد.

السائل: هل القول بأنّ الإجماع السكوتي حجة عند الشافعي صحيح؟

الشيخ: الجواب لا، الإجماع السكوتي عند الأحناف، أما الشافعي فلا أعلم أنه يقول بالإجماع السكوتي، والصواب أنّ الإجماع السكوتي لا وجود له بالمعنى الذي يطرحه الأصوليون. يعني هل هناك أحد يأتي إلى مجموع الصحابة، ويأتي إلى الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين المهديين، ثمّ يأتي إلى أتباعهم، ثمّ يأتي إلى أبنائهم، ثم يأتي إلى جمع هؤلاء العلماء، فيثبت أن كل واحد منهم قال هذا القول، هذا غير موجود، لكن نحن نعلم أن هذا القول كان منتشرًا ولا يُعلم رجل رد عليه.

الإجماع السكوتي هو للتصوّر، وهو للمتأخرين، أن تأتي مسألة فيفتي أحدهم والباقي يسكت.

نحن نقول بأنّ الإجماع الأصولي تصوره بعيد أصلًا، لا أقول أنه مستحيل لأنه قد حدث، يعني الصحابة أجمعوا على جمع القرآن –كان هناك خلاف ثمّ ثبت الإجماع– بعد وفاة النبي صلى الله عليه

وسلم، فالإجماع متصوّر، ولكن بالطريقة التي يطرحها الأصوليون أرى استبعادها، فإذا استبعدنا الإجماع الأصلي، فمن باب أولى أن نستبعد الإجماع السكوتي في هذا الوقت وفي كل وقت، خاصة في زماننا. في زماننا هذا أين هذا الإجماع يا جماعة؟ يعني يأتي مؤتمرون في بلد من البلاد، ويجمع المشايخ بالطريق المعروفة، المشايخ الذين تظهرهم الحكومات أو المؤسسات المعروفة، فيأخذون منهم ويقولون هذا إجماع الأمة، هذا إجماع المشايخ.

هذا الكلام أنا اعتبره من ترف القول، ولا وجود له، اضربوا به عرض الحائط، ولا قيمة له في عصرنا هذا.

لكن الاعتناء به يفيد في الرد على احتج من الفقهاء قديمًا بأن هذا إجماع سكوتي، كأن يقوم عمر رضي الله عنه، وهذا يذكرونه كثيرًا، يقوم عمر في مجمع من الناس فيقول قولًا، كمن يحتج بالإجماع السكوتي على عدم وجوب سجدة التلاوة، ويقولون عمر قرأ عليهم في جمعة سورة النحل فسجد، ثمّ في جمعة أخرى قرأ النحل ولم يسجد، وقال هذا إن شئنا فعلناه وإن شئنا لم نفعله، فيقول قائل من الفقهاء: هذا إجماع سكوتي، لأنهم سكتوا ولم يجيبوا، ولا نعرف عنهم مخالفا.. يمكن البحث في هذا الباب، ولكن الإجماع السكوتي ليس عند الشافعي فيما أعلم.

السائل: كيف يكون قول الصحابي حجة والإجماع السكوتي ليس بحجة؟!!

الشيخ: للذكر: أنا لا أقول بقول الصحابي، مع أنّ الشافعي في قوله القديم إجماعًا أنّ قول الصحابي حجة، لكن اختلفوا في قوله الجديد: فالذي عليه الأكثرون من أصحابه أنّ الشافعي في الجديد لم يقل بقول الصحابي، وشيخ الإسلام وابن القيّم، كما في إعلام الموقعين وشيخ الإسلام في بعض رسائله، يثبت أنّ الشافعي رحمه الله في قوله الجديد يقول بقول الصحابي، يثبتون هذا، وهناك خلاف كبير، ولكنّ الإجماع منعقد في مذهبه على أنّ قوله القديم هو حجية قول الصحابي.

ما المقصود بقول الصحابي؟ أنّ يقول الصحابيّ قولًا فلا يعرف له مخالف، فقول الصحابي يصبح

حجة.

وإذا كان هناك خلاف على قولين لا يجوز إحداث ثالث، هذا قول صحيح.

صحابي قال بقول لا يعرف له مخالف، فهذا عليه كلام، قد يخالف هذا الصحابي بقياس، قد يخالف بحديث ضعيف.

المسألة: ما هو الفرق؟ هذا جواب الأخ على سؤال الأخ، كما يقوله الأصوليون، الفرق بين الإجماع السكوتي وقول الصحابي أنّ الإجماع السكوتي أوسع من قول الصحابي، كيف؟ قول الصحابي عن إجماع في عصره يقال قول صحابي، فهل شاع هذا القول؟ لابد من دليل آخر لشيوعه، يعني: صحابي يقول قولا، فيشيع هذا القول، فإذا شاع كان إجماعا سكوتيا للصحابة. لكن قد لا يشيع، قد يقوله لأحد تلاميذه ولا يعرف الانتشار، وأنا لما ذكرت مثالًا ذكرت قول عمر أمام الناس في خطبة الجمعة، أمامه كبار الصحابة وعمومهم، فالشيوع شرط.

الفرق الثاني قول الصحابي يتعلق بالصحابي، الإجماع السكوتي يتعلق بخارج عصر الصحابة.

هذان فرقان مهمان في قضية الفرق بين الإجماع السكوتي وقول الصحابة، وأرجو أن تكون الصورة قد اتضحت.

السائل: هل يعتبر، شيخنا، كتابا الفرّاء والماوردي في الأحكام السلطانية من هذا الباب؟

الشيخ: يتكلم الأستاذ عن كتابين: الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي، والذي أخذه الفرّاء الحنبلي، ولا يزعل الحنابلة فإن الحقيقة أنّه قد أخذه من الماوردي.

والماوردي إمام عظيم ولا شك، وإن كان ابن الجويني في كتابه الغياثي يقسو عليه، يقسوا على الماوردي قسوة لا تليق لأنّه يتكلم كلامًا سهلًا وكلامًا لا يليق بالفقهاء الكبار. والحقيقة أنّ الجويني فيه شيء من التيه، مع عظمته وجزالة كلامه، وأنا أحب الجويني، وكل أسبوع لابد أن أمر عليه لأنّه يعلمني

كيف يصاغ العلم بأجزل العبارات، لكن فيه تيه لا أشك في ذلك، وأنا قرأت عامة كتبه الموجودة بين يدي، وأقرأ له في البرهان كثيرًا وأحب البرهان، وأقرأ مرات في الغياثي.

فالقصد: يقسو على الماوردي في الغياثي كثيرًا في الكلام على الأحكام السلطانية.

الأحكام السلطانية أنشأه الإمام الماوردي من العدم، لم يسبقه أحد في فتح هذا الباب بهذه الطريقة، فلمّا جاء الفرّاء الحنبلي أخذ منه صفحات كثيرة، وزاد عليه بعض الأقوال لأحمد، زينه بحنبليته رحمه الله، مع أنّ الفرّاء رجل تقي عالم، لكن هذه الطريقة لم تكن معيبة عند الأوائل، يعني لا نريد أن نجعل المسألة كبيرة.

فكتاب الأحكام السلطانية للماوردي كتاب يبحث في هذا الباب، وهو فقه السلطان، كيفية عمل التراتيب الإدارية، -وللذكر: الكتاب القادم هما كتابان، كتاب التراتيب الإدارية للكتاني، ومعه تخريج الدلالات السمعية، يعني حتى نتكلم عن كلام كتب الأقدمين لما فيها من علم عظيم، تخريج الدلالات السمعية، والذي بنى عليه وسأبين هذا إن شاء الله لما نتكلم عنه لأهمية هذا الكتاب، بنى عليه الشيخ الكتاني التراتيب الإدارية، سنبيّن أهمية هذا الكتاب.

فما فعله الماوردي هو أنّه بحث فقه الإمامة، ولم يبحث فقه الإمامة الشرعي فقط، ولكنّه بحث فكرة واقعية الإمامة، يعني: تحدث عن وزير التفويض، تحدث عن وزير التنفيذ، وهذه قضايا إدارية قد تتغير وقد تتبدل، وليست نصًا كما يزعم حزب التحرير، وحزب التحرير كلمّا قامت دولة تنتسب إلى الإسلام أرسلوا إليهم الدستور الإسلامي، لأنهم يعدون الجماعة الوحيدة التي كتبت دستورًا إسلاميًا، وأنا متأكد من أنه لما تقوم دولة إسلامية لن تحتاج الدستور الذي كتب قديمًا، وهم يجعلون ترتيب الإمامة بوجود وزارة تنفيذ وزارة تفويض، كأنّها نص، وهذا غير صحيح، هي قضايا إدارية يمكن الاستغناء عنها كثيرا في هذا الباب.

فالإمام الماوردي خاصة، ثمّ يليه الإمام الفرّاء في هذا، يبحث في هذا الباب، وهو فقه الإمامة

والأحكام السلطانية، وللأسف الناس يستهزؤون اليوم ويقولون: ما زلنا نعيش في عقلية الإمامة والأحكام السلطانية وهكذا، يتكلمون كلامًا لا يليق بالنظر إلى تراثنا بهذه الدرجة من الخفة والإهانة.

السائل: ما ضوابط إحياء الأرض الموات في ظل غياب الحاكم الشرعي؟.

الشيخ: الجواب، حقيقة وليس استهزاء، كلّما قدرت على أحياء أرض موات دون أن تضرك حكومة طاغوتية، افعل. حيثما قدرت على إحياء أرض موات وتملكها فافعل، ولكن من غير أن يصيبك ضرر، تدخل إلى السجن فتقول كله من أبي قتادة، أنا لا دخل لي!!! ضع ضابط عدم وقوع ضرر عليك.

جائز أن تذهب إلى أي أرض موات في بلاد المسلمين فتحيها فتتملكها بالإحياء، هذا جائز لك.

يسأل الأخ: ولو بشيء من الرشوة؟ الجواب: نعم، ولو بشيء من الرشوة، وهذا مذكور وليس مني.

البرطيل كلمة مأخوذة من حجر كان يوضع تحت اللسان ليمنع الرجل من الكلام.... والرشا من الحبل الطويل الذي يطال به الدلو.

فالقصد: في الفقه يجوز أن تعطي بعض المال لظالم رشوة من أجل أخذ حقك، وهو يأثم بأخذه وأنت تؤجر بعطائه. يعني مثلًا بلد فيها المكوس، التي تسمى الجمارك، وتأخذ ظلمًا، فهو يريد منك ألف دينارا فتدفع له خمسين دينارا، فيجوز هذا.

للذكر: نحتاج في هذا الزمن إلى كتاب الأموال، كما كتب أبو عبيد وابن زنجويه، لابد من كتب اليوم تتحدث عن الأموال، فقه الأموال اليوم فقه ضروري لحياة الأمة، وللأسف ما كتب فيها أحد اليوم، فقه الأموال: كيفية اكتساب الأموال، كيفية إدارتها في هذا الوقت، هذا للأسف لا يتكلم عنه اليوم.

ولا يقولن أحد أين التقوى؟!! في كل البلاد قد سُرقت أموال الوقف، يعني لم يبق غير أهل التقوى ما أخذوا، أمّا أموال المسلمين كلها سرقت، أموال الأوقاف في مصر كلها سرقت، وفي الشام.

أتاني سؤال من أخ تعرفونه، وتحدث عن مسألة خطيرة جدًا، وهي أنّ ٩٠٪ من مال الوقف، أي

الأراضي الوقفية والبنايات المهمة، في بلاد الشام قد بيعت قبل الجهاد أو الثورة المعاصرة، بيعت إلى الناس بأسعار زهيدة. فهو يسأل: ماذا نصنع؟ فكان جوابي أن تبطلوا العقد، وأن تردوا إليهم أموالهم، وأن تأخذوا منهم مقدار ما استفادوا منها. يعني سكنها سنتين يدفع أجرة سنتين، إذا زرعوها تُعمل فيهم فقه المزارعة، أخذوا منها ماء تُفعل فيهم فقه المساقاة.. مدة ما اكتسبوا بها، وترد إليهم أموالهم

سرقت كل أموال المسلمين.

السائل: شيخنا، الفتوحات التي تمت؛ فقهها كان حسب مذهب؟

الشيخ: الماوردي شافعي، واختلفوا فيه هل هو شافعي أم مالكي؟ والصواب أنّه كان يفتي في المذهبين، وكان يميل إلى المالكية، لكنّه كذلك كان يفتي بالمذهب الشافعي، فكان يفتي في المذهبين، لكنّه في الأحكام السلطانية كان يتكلم عن فقه الأمة، يعني وزارة التفويض والتنفيذ لا علاقة لها بهذه القضية، وذكر جواز تولية النصراني وزارة التنفيذ وذكر مذاهب الفقهاء.

السائل: هل صحيح أن التفويض كان مذهب لبعض الحنابلة كابن عقيل، وأبو يعلى؟

الشيخ: السؤال فيه شق صواب وشق خطأ. أمّا أنّ التفويض هو مذهب بعض الحنابلة؟ هو مذهب أغلب الحنابلة المتأخرين قبل ابن تيمية، حتى إن آباء ابن تيمية مفوضة، والمقادسة كلهم مفوضة، وآل قدامة مفوضون ولهم كتب في هذا، ووالد شيخ الإسلام مفوض، وجده مفوض، وشيخ الإسلام يقول هذا. فلذلك نعم، غلب التفويض على مذهب الحنابلة المتأخرين.

أما أبو يعلى فغير صحيح، أبو يعلى له كتاب إثبات الصفات، عندي المجلد الأول منه. وزعم الكذبة على أبي يعلى الفرّاء أنّه قال: اثبتوا لي كل شيء إلا اللحية...، وهذا كذب، الكتاب موجود ولا وجود لهذا، فأبو يعلى من المثبتة وليس مفوضا.

أما ابن عقيل فمفوض، لكنّ كذلك فيه نوع تأويل.

وابن الجوزي ليس مفوضًا، ابن الجوزي مؤوّل، وأخذ التأويل من شيخه ابن عقيل، وابن عقيل كان فيه اعتزال، بل ذكر بعضهم أنّه استتيب من الاعتزال. فابن عقيل وتلميذه ابن الجوزي من المؤولة.

نعم موجود في مذهب الحنابلة، بعض الحنابلة يقولون بالتفويض، وهذا معروف عنهم، يذكر هذا شيخ الإسلام عن ابن الزاغوني وغيره.

إذا أرتم أن تعرفوا هذه المذاهب، فارجعوا إلى ثلاثة كتب لشيخ الإسلام تكشف لكم الرجال ومراتبهم في هذه المسائل: الكتاب الأول هو بيان تلبيس الجهمية في رده على الرازي، والثاني درء العقل والنقل، والثالث هو شرح كتاب العقيدة الأصفهانية، وهذا كتاب غير مشتهر لكنّه من أفضل الكتب.

وشيخ الإسلام كان أمينًا فيه، العقيدة الأصفهانية عرضت عليه فأعرض عنها، كما يقول في المقدمة، أعرض عن أن يناقشها ثمّ اضطر، فيقول عن ابن حزم: هو قرمطي في السمعيات، معتزلي –أو هكذا– في العقليات. لأنّه يثبت الأسماء من غير معانيها، فيشد عليه.

القصد بهذه الكتب الثلاث تستطيع أن نعرف مراتب الرجال في هذه المسألة.

السائل: كيف نوجه إنكار ابن مسعود رضي الله عنه للمعوذتين؟.

الشيخ: الصحابة يقع منهم الاجتهاد فيما يسمعون، يعني ابن مسعود رضي الله عنه من أخص أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وكان كما يقول أبو موسى: كنت أظنه من بيت النبي صلى الله عليه وسلم، يعني من أهله، لكثرة الدخول عليه، وكان من خدام النبي صلى الله عليه وسلم، وكل آية أخذها من فم النبي صلى الله عليه وسلم. لكن وقع في قلبه أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان... نحاول أن نقارب في كيفية وقوع في قلبه هذا؟ كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل نزول المعوذتين يرقي الحسن والحسين بكلمات يقولها، فلما نزلت المعوذتين أخذ بها وترك ما سواهما، فلعله هو لم يرى النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما إلا على وجه الرقية، فظن أنها رقية، وهذا شيء يحتمل في زمانهم. يعني الناس ربما يشهدون المشاهد فيحتملون صورًا ما، لكن بعد أن يخرج الناس يلتقون على شيء معين فيصبح هو

الإجماع. فالآن لو جاء أحد وقال أقول بقول ابن مسعود، نقول: أنت كافر وملعون لأنّك أنكرت شيئًا مما بين الدفتين. من أنكر المعوذتين أو إحداهما فهو كافر؛ يقول: تكفرون ابن مسعود؟!! نقول: نعوذ بالله، أنت جاهل، ابن مسعود يحتمل قوله في زمانه أن يقوله، على وجه من وجوه معاني العلم، لكن في زماننا أنت على أي وجه تقوله؟

لو جاءك صحابي لم يسمع المعوذتين قط، فقال: هذه ليس من كتاب الله، ما سمعتهم من النبي صلى الله عليه وسلم، هذا الوجه محتمل أم غير محتمل؟ محتمل، فلو جاءك عشرة من الصحابة قالوا نحن سمعناها من النبي صلى الله عليه وسلم، ما الواجب عليك؟ جاء هذا القرآن عن طريق التواتر، فنقول هذا كتاب ربنا.

هذا ما وصل ابن مسعود، ابن مسعود لم يكن يقلد في أخذ القرآن، إلا سماعًا من النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الذي وقع لما جمع عثمان الناس على المصاحف، ابن مسعود رفض أن يتنازل عن مصحفه، رأى أن هذا الشيء أخذه عن رسول الله مشافهة فلا يأخذ من غيره.

كيف أخذه؟ هو خاص به، هو معذور عند الله، لكن هؤلاء الجمع هم الذين يلزمون أنفسهم بما علموا، وتلتزم الأمة بما علموا وبما رووا.

وهذه وجدتها من بعض الجهلة لما كنت أقول: من أنكر حرفًا من كتاب الله فهو كافر، فالرجل يقول: فماذا تقول في ابن مسعود؟ أقول: ابن مسعود لعدم معرفته بأنها سورة حاله يحتمل ذلك.

لو أنّ رجلا يعيش في بادية، وجاءهم شيخ وقال لهم: احفظوا كتاب الله، وهذا كتاب الله، ونسي هذا الشيخ أن يعلمهم المعوذتين، ولما ذهب وأتاهم شيخ جديد وقال لهم المعوذتين، فقالوا له: امش امش، الشيخ الذي كان قبلك قعد عندنا عشرين سنة وما علمنا.. حالهم يحتمل هذا الجهل أم لا؟ نكفرهم لجهلهم بها؟ حالهم يحتمل هذا الجهل؛ فحال ابن مسعود يحتمل عدم معرفته بأن هذه من كتاب الله، ولو علم أنها من كتاب الله ما جاز له أن يقول ذلك.. يرد على النبي، يرد على الله!!!

كيف تتصور أن ابن مسعود قال هذا؟ ابن مسعود يعمل عقله، لم ير في حياته إذا دخل بيت النبي صلى الله عليه وسلم حوله إلا الحسن والحسين يرقيهما بهاتين السورتين، فغلب على ظنه أنها رقية، نزلت رقية وليست سورة تقرأ ويتعبد بها.

نأتي إلى مسألة أخرى أوسع: ما من صحابي إلا وله اختيارات أنكرت عليه.

ابن مسعود كان يقول بالتطبيق.. ما هي الطريقة التي لا يعرف أهل الإسلام اليوم سواها في الركوع؟ إذا ركعت أين تضع يديك؟ على فخذيك، على ساقيك، أم تضعها على ركبتيك؟ ابن مسعود كان إلى آخر حياته يضيع يديه بين فخذيه ولا يضعهما على ركبتيه، لماذا؟ لأنها كانت هي صفة الركوع زمن النبي صلى الله عليه وسلم، النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر كان إذا ركع يضع النبي بين فخذيه، ثم ترك إلى هذا.

هل يتصور أن صحابيا يشارك النبي صلى الله عليه وسلم في حله وترحاله، وهو صاحب النعلين – يعني يخدم نعلي النبي صلى الله عليه وسلم دائمًا، يحمل دائمًا النعلين معه، وكما قلنا كان يظن بعض الصحابة أنّه من أهل بيت النبي لكثرة دخوله عليه– لم ير النبي غير؟ الجواب: رآه غيّر، لكنّ ابن مسعود ظنّ أنّ التغيير تهوينًا على الناس ورحمة لهم، ظن أن هذه صعبة على الناس، ففعل النبي صلى الله عليه وسلم الوضع على الركبتين رحمة بهم، فهو قال: أنا أبقى على الأمر الذي أقدر عليه، فظن أنّ الأمر نسخ رحمة، أو رفع مع جواز بقاء الأول.

ابن عباس رضي الله تعالى عنه كم له من الانفرادات؟ ابن عمر كم له من الانفرادات؟ فهذه لا تنكر عليه.

أرجو أن تكون قد بانت للإخوة.

السائل: ما هو أفضل كتاب في الناسخ والمنسوخ؟

الشيخ: كفى كفى.. صارت الأسئلة تخرج من تحت القدر، وهذا القدر يكفي الآن.

جزاكم الله خيرا، وبارك الله فيكم، وحياكم الله.

الكتاب القادم هو تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، والتراتيب الإدارية للإمام الكتاني، عليهما رحمة الله.

جزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

السائل: أي كتاب هو الكتاب الأصلي؟

الشيخ: الكتاب الأصلي هو تخريج الدلالات السمعية.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتابي:

تخريج الدلالات السمعية

ومعه: نظام الحكومة النبوية، المسمى: التراتيب الإدارية

للشيخين:

أبي الحسن علي بن محمد الخزاعي

ومحمد عبد الحي الكتاني

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهما الكتابان الثاني والأربعون والثالث والأربعون

تاريخ المناقشة: ٢٧ آب ٢٠١٦.

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه من خلقه أجمعين، نسأله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا وأن ييسر لنا أمورنا وأن يُنطقنا بالحقِ جل في علاه.

أهلًا وسهلًا بالإخوة الأحبة في لقاء جديد من لقاءات ألف كتاب قبل الممات.

واللقاء اليوم مع كتابين أحدهما شرحٌ للآخر وزيادة عليه: الكتاب الأول هو تخريج الدلالات السمعيّة على ما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحِرف والصنائع والعِمالات الشرعية للشيخ علي بن محمد الخزاعي من أعيان القرن الثامن الهجري، توفي سنة ٧٨٩ فيما أذكر.

وهذا الكتاب شرحه وأخذه قبل انتشاره بين أيدي طلبةِ العلم الشيخ عبد الحي الكتَّاني الشهير بكتابه "فهرس الفهارس" ونشره تحت اسم "نظام الحكومة النبويّة المسمى بالتراتيب الإدارية"

في الحقيقة الكلام عن الخزاعي قليل، ولكن الكلام على عبد الحي الكتَّاني ربما يكون كثيرًا، وطويلًا، ومتشعبًا..

الخزاعي قام بهذا الكتاب للدفاع عن نفسه، والخزاعي لا يُعرف عنه أي مشاركة في التأليف سوى هذا الكتاب، ولم يُذكر ويُشتهر بأي تصنيفٍ آخر، والرجل كتبه في الدفاع عن نفسه وعن أبيه.. لماذا؟ لأنه كان هو وأبوه كانا في عمالة السلاطين، في الكتابة لهم والقيام بشؤونهم، فهو يذكر في مقدمة الكتاب بأن هناك من عاب التفرغ لمثل هذه العِمالات ولمثل هذه المِهَن، أن يكونوا كُتابًا وإداريين للسلاطين والملوك والحُكام، تحت دعوة أنها هذه الأعمال التي يقوم بها السلاطين في زمانهم...

وفي القرن الثامن الهجري حكم بلاد المسلمين المماليك في المشرق، وحكمها الدولة المرينية في المغرب.

فبعض الناس انتقد هذه الشارات التي يقوم بها الحُكام، والأعمال، مثل: قضية الكتابة، مثل قضية ترتيب الجيوش، مثل قضية الوزارة، مثل قضية التفرغ للإمامة، أعمال الخلافة، وجود السجن، وجود ما

سماها الشيخ عبد الحي الكتَّاني: التراتيب الإدارية، يعني كيف تُرتب الإدارة في حياة الخلافة والمِلك. وجود الأعلام والرايات، وتقسيم الناس إلى فرق وكتائب، أعمال الصناعة اليدويَّة، أعمال الحسبة، يعني ما هو خاص وعام فيما يتعلق بإدارة الممالك وإدارة السلاطين وتسمياتها وتقسيماتها.

فكتابه انتهى منه قبل وفاته بثلاثة سنوات، سنة ٧٨٦، ومات سنة ٧٨٩، وبدأ به قبل وفاته بثلاثة عشر عامًا.

الرجل كما قلت ليست له خبرة في بابٍ من أبواب العلوم ليبرُز فيها، والشيخ عبد الحيّ الكتَّاني ذكر أن خبرته في الحديث ضعيفة، بل إن نصف كتابه قد أخذه من "الاستيعاب" لابن عبد البر، وهو من المالكية المغاربة، وبالتالي سيكون اقتصاره على الكتب الخاصة بأهل بلده.

ويقول: بأن هناك أحاديث كثيرة هي في البخاري وينسبها لمسلم، والعلماء عادةً إذا جاءوا إلى الحديث في البخاري ومسلم فإنهم إذا لم يكن هناك فائدة في البخاري فإنهم يأخذون الحديث الذي في مسلم، لماذا؟ لاكتمال نصه بخلاف طريقة البخاري، فإنه يُقطع الحديث، فأنت لا تدري كيف تجمعه، فأما مسلم فيأتي به على تمامه، فإذا كان الحديث في البخاري ومسلم عادةً ترون: رواه البخاري ومسلم وهذا اللفظ لمسلم، لماذا؟ لأن مسلم يأتي بالحديث على كماله وتمامه في موطن واحد ولا يُقطع الحديث.

فجاء إلى هذه المادة الحديثيَّة وبدأ يجمع منها أدلة لما عيب عليه من الأعمال، يعني وجود الخياط، وجود الحائك، وجود الحداد، وجود النجار، الأسواق وتقسيماتها، وجود الحسبة على الأسواق، الزي الموحد للجند، وجود الشارات الخاصة بالجند، تقسيمات الجيوش، تقسيمات الوزارة، تقسيمات الإدارة.. فجاء من أجل هذا الأمر، وجمعه جمعًا في كتاب تخريجات الدلالات السمعية.

لو أن المرء ليس له خبرة بهذا الكتاب، فإن أول ما يطرق باله عند سماعه كلمة تخريج، كأن الرجل يريد أن يتكلم حديثيًا، لأن هذه الكلمة (تخريج) شاعت في هذا الوسط، وقلما تشيع في أوساطٍ أخرى..

والصواب غير ذلك، فالكتاب لا علاقة له بتخريج الأحاديث، تخريج الدلالات السمعية يقصد بها كيف يُخرج النصوص للدلالة على هذا الباب. يعني عندما يأتي بالباب كيف يأتي بالنصوص التي تُبين هذا الباب الذي يأتيه، فهو تخريج الدلالات السمعية يعني بيان ما هو مخرج هذا الفعل السلطاني من الحياة النبويّة، وليس له علاقة بقضية التخريج في علم الحديث، وهو أقرب إلى طريقة الفقهاء وطريقة الأصوليين في معنى كلمة (تخريج)، يعني كيف يأتي بهذه المسألة من مسائل أعمال السلطنة من داخل النصّ النبويّ، وهذا بابٌ واسع ربما نقرأ أسماء بعض فصوله من أجل أن نعرف على ماذا يدل.

هذا الكتاب مفقود، ولم يكن له شهرة كبيرة، حتى جاء بعضهم واهتم به واختصره.

وأنا تكلمت في شرح مقدمة الموافقات، أني في توقف وبحث عمن اهتم بكتاب الموافقات، وأن الذين اهتموا بكتاب الموافقات هم أصحاب المدرسة الإصلاحية. يعني أول من اهتم به ونشره هو الشيخ محمد عبده- كذلك أول من اهتم بهذا الكتاب واختصاره وإظهاره هم المدرسة الإصلاحية، من أجل هذا الباب، وهو ليس موافقةً للغرب بمقدار ما هو إحياء للأمة.. يعني المدرسة الإصلاحية لا نستطيع أن نقول أنها أرادت الشر للأمة كما يتصور البعض.. المدرسة الإصلاحية هي التي أرادت التوفيق بمقدارٍ ما -بعضهم مستزيد وبعضهم مستقل- بين الشريعة والنظريّة العلمية المعاصرة، بين الشريعة والحياة المعاصرة، كما كان الأقدمون يريدون التوفيق بين الفلسفة والنص كما كان يفعل ابن رشد، وكذلك هم أرادوا التوفيق بين الحياة المعاصرة والنص.

والطريق إلى فتح هذا الباب: السنة والدين فيها ما يعيبه بعض المشايخ من تصرفات بعض الحكام، إذا عبتم على الحكام مثلًا قضية الاستعراض العسكري، ربما يأتي أحدهم ويقول: هذا بدعة! لأنه لم يفعل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم. فيأتي هؤلاء ويبحثون عن مجرد ما يدل عليه، يعني مثلًا: في قضية الاستعراض العسكري يمكن أن يستدل مُستدل بما فعله النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة، لما أراد أن يُظهر لأبي سفيان رضي الله تعالى عنه قوة جيشه، فمرت الجيوش من أمامه..

فإذا هذا الكتاب انتشر على هذا الأساس، ونحن نعلم أيها الإخوة الأحبة بأن كل بدعة لا بد أن

تجر إلى حسنة، وأن غياب الحسنة يؤدي إلى ظهور البدعة. يعني الإسلام لا يخاف من الباطل، لأن مجرد ظهور الباطل يؤدي إلى ظهور الحق، ما دام أهله على قيامٍ صحيحٍ عليه.. لا يظهر شيء إلا والناس يستفيدون منه، يعني الآن أنا دائمًا أقول لإخواني: هذه الوسائل وسائل الاتصال المعاصرة ربما هي وضعت للفساد، أو ربما وضعت لهم...

أصل قضية الكومبيوتر من أجل فك الشيفرة الألمانية.. يعني لماذا صُنع الكومبيوتر البريطاني أصلًا وكان بمقدار هذا البيت؟ من أجل تحليل الشيفرة الألمانية النازية في الحرب العالمية الثانية، ومع ذلك الناس استفادوا منه، الناس أخذوه وصار الآن بابًا من أبواب الدعوة إلى الله، ولا ينبغي أن يُهجر.

فإذا أظهر الناس هذه من أجل مقاصدهم، وهو حقيقة، فعلينا أن نستغلها من أجل مقاصدنا، ودائمًا الناس يسألون: أين نجد في السنة هذه الأبواب: المراقبة، الموازين...

كان الإخوة في المعسكرات دائمًا يسألون ويقولون: هذا بدعة.. مثلًا المشية العسكرية كانوا يجدون فيها مشقة، وبعضهم كان يقول: هذا ينطبق عليه حديث (نهى رسول الله عن المطيطاء)، فكنت أعيدهم إلى هذا الكتاب، أعيدهم إلى التراتيب الإدارية، وأقول: ارجعوا إليه، فإنه يفتح عليكم الآفاق...... الحياة تتطور، وليس كل شيء موجود في السيرة النبويّة ولكن أصول الأشياء موجودة في السيرة النبويّة، يعني أصلها موجود وعليك أن لا تمنعها ما دامت تحقق الخير وليس فيها الشر، وليست كذلك من التشبه بالكافرين.

التشبه المقصود هو التشبه الدينيّ، والتشبه المقصود به الانحلال، لكن نحن نعلم أن المجتمع المسلم بقي يتعامل مع الدرهم الروماني أو الدينار الروماني، بقي إلى زمن عبد الملك بن المروان، يعني في زمن النبي صلى الله عليه وسلم الدرهم والدينار من الدراهم المضروبة من قبل الرومان، ولم يضرب سكة إسلامية إلا عبد الملك بن مروان، ولأسباب.

حتى إن النجار الذي صنع منبر النبي صلى الله عليه وسلم من أثل الغابة يُقال أنه كان نصرانيًا

فأسلم! يعني أنه ليس من العرب.. ونحن على قاعدة ابن خلدون هنا أن العرب -أي أهل البادية وليس أهل الحاضرة، لأن كلمة العرب في مقدمة ابن خلدون.. هناك مسألة مهمة قرأتها هذا الأسبوع لأحد المزورين لمقدمة ابن خلدون، لما طُبعت مقدمة ابن خلدون في الغرب كان يأتي إلى كلمة الأعراب فيحولها إلى كلمة العرب.

وساطع الحصري على كفره وإجرامه وفكره القومي الشركيّ، وهذا إن شاء الله سنشرحه في مقدمة ابن خلدون، بيَّن بيانًا شافيًا قاطعًا بأن كلمة العرب في مقدمة ابن خلدون المقصود بها الأعراب وليس المقصود بها العرب بكل ما فيهم، وهذا ينبغي التنبه له.

القصد أن الأعراب لم يكونوا أصحاب حضارة، لأن الحضارة تُصنع من خلال الاستقرار ومن خلال المكوث، وأما الرجل الذي يتنقل فإنه لابد أن يكون خفيف الوزن، لابد أن يحتاج إلى أشياء يسيرة تتنقل معه، وبالتالي لا يُنشئ الحضارة. فالعرب إذا احتاجوا إلى شيء كانوا يأخذونه من غيرهم. فعدم وجود نجار هذا محتمل عند العرب، عدم وجود حداد.. وكان يسمون السيف "المهند"، لماذا؟ لأنه يأتي من الهند، وهكذا.. حتى الألبسة، هناك كثير من الألبسة التي يلبسونها يسمونها بأسماء البلدان التي أتت منها، لأن حياتهم حياة أخرى تختلف عن هذا الرغد الذي يوجد في حياة الذين استقرت بهم الحضارات واستقرت بهم المعيشة.

القصد بأن الشيخ أبا الحسن علي بن محمد الخزاعي كتب هذا الكتاب بهذه الدلالة.

وأنا أريد أن أُنبه على شيءٍ: الذي قام على تحقيقه عدة جماعات، لكنه أُشتهر هذا الكتاب الآن من خلال تحقيق إحسان عباس. وأنا مع كل ما يُعظم به الأستاذ إحسان عباس -الدكتور الراعي، لأنه كتب ترجمة حياته في كتابه "غربة الراعي" فسُمي بها- إلا إني أعتقد أن تحقيقات الأستاذ للكتب الإسلامية التراثية التي لها تعلق بالدين غير جديّة وغير جيدة ولا أحبذها، لأنه لا يعرف مزاح الوسط التراثي الديني كثيرا. وهو الآن عند الناس لا يجوز الاقتراب منه لكن هذا للأمانة: إن تحقيقاته التي فيها هذا النوع من العلم مثل: التفسير، الحديث، الفقه، وحتى القضايا اللغويّة.. والحقيقة أن الأستاذ إحسان

عباس لا يصنع شيئًا، يعني انظر إلى تحقيقاته لرسائل ابن حزم، ليست بشيء.. انظر إلى تحقيقه لهذا الكتاب "تخريج الدلالات السمعية" لم يصنع شيئًا! حتى إن المقدمة ليست بشيء! كأنه لم يكتب شيئًا.

وانظر إلى كلام إحسان عباس في مقدمة كتاب "تخريج الدلالات السمعية" وارجع إلى كلام عبد الحي الكتاني في كلامه على تخريج الدلالات السمعية، على الرغم أنه ذكر أن التراتيب الإدارية هي شرح لتخريج الدلالات السمعية إلا أنه لم يستفد من هذه المقدمة الجميلة الرائعة التي كتبها عبد الحيّ الكتاني.

وهنا نأتي إلى مسألة: الشيخ لا يطير ولكن أتباعه يطيرونه... إحسان عباس مثلًا ترجم "موبي ديك"، والقصة مشهورة، الحوت الأبيض، لو أنك لم تقرأ ما قاله إحسان عباس عن ترجمتها لظننت أنه ذهب إليها من أجل أمور علمية، لكن لما يتكلم إحسان عباس لماذا ترجمها، فإذا هو ترجمها من أجل المال، كان بحاجة إلى مال وبحاجة إلى أن يأكل ويشرب وليس لديه يعمل، فقالوا له: ترجم لنا هذه القصة، فترجمها، ترجمها على وفق مطلبٍ مادي. وأنا أقول: هذا ليس عيبًا، لكن أقول: أن الشيخ لم يطر.. إحسان عباس لم يذهب إليها ذهاب الباحث المنقب عن قصة رائعة وترجمها على هذا الوفق، ذهب إليها على وجه "ترجم لنا هذا ففعل".

وفي تحقيقه لتخريج الدلالات السمعية فعل هكذا، يعني لم يذهب إليه إحسان عباس لأنه رآه كتابًا عظيمًا يريد أن يقدمه للأمة، على الرغم أنه طُبع قبل تحقيقه له، لكنه اعترف أن صاحب دار الغرب الإسلامي قدَّمه إليه وقال له: أريد أن تحقق لنا هذا الكتاب.

وإحسان عباس يحقق كتبًا تتعلق بالتاريخ، ويمكن أن يأتي بأشياء كثيرة وجميلة، وله تحقيقات في كتب التاريخ مشهورة.. لكن لما يأتي مثلًا إلى رسائل ابن حزم، فالحقيقة حتى المقدمة ليست بشيء ولا تستحق أن يُنظر فيها.

فهو لما حقق هذا الكتاب، ذهب إليه من أجل ماذا؟ هكذا طُلب منه! ولذلك لما قيل له: أن الكتاب صدر بتحقيقٍ جيد من قبل رجل مصري، فأراد أن يكفَّ وقال: الكتاب صدر فكيف أقوم

بتحقيقه مرةً ثانية؟!! ولكن صاحب الدار أصرَّ عليه.

وعادةً أصحاب الدور لهم مزاج وطقوس خاصة في اكتساب الأموال لا نريد أن نتحدث عنها، يعني دار الغرب الإسلامي فيها شيءٌ من المالكية والتخصص للفقه المالكي وتحب هذا، ولكن كذلك فيها المال.. وهذا لا يُنكر في هذا الباب.

القصد: هذا هو موضوع الكتاب.. هناك صدمة حصلت لدى المسلمين، فمن المشايخ من رفض الحضارة الغربية ورفض ترتيبها ورفض إدارتها، وهناك من أراد أن يأخذ الإرادة مع الدين. يعني قاعدة طه حسين: على الأمة المصرية -كأن هناك شيء اسمه أمة مصرية! لا وجود لشيء اسمه أمة مصرية!- قال: لا تكون حضارة ولا يكون تقدم للأمة المصرية إلا إذا خلعت نفسها من الشرق كليًا، وأن تكون غربية في كل شيء.. ليس فقط في الإدارة، ولا التنظيم، ولا ما أجازه الشارع في أمور كونيّة عامة، وإنما عليها أن تنخلع حتى من قِيمها..

وهنا إما أن يأتيك ما فعل بعضهم كما فعل سلامة موسى، كما فعل لويس عوض -ولويس عوض نصراني، ولكنه يتحدث باسم التراث- إما أن يقول: علينا أن ننخلع، وتراثنا نقرأه قراءة الرُّقُم والآثار.. يعني: علاقتنا مع الكتاب والسنة، علاقتنا مع تاريخنا، أي علاقة تنشأ هي علاقة قراءة تاريخ وليست علاقة استهداء ولا استرشاد.

وهذا الأمر لم يكن مقبولًا لدى كثير من الدوائر الاستحمارية.. والسبب أنهم أدركوا أن هذه الدعوة ستنتهي إلى الفشل وإلى الموت ولن تُقبل. ولابد أن يُدخل هذا الذي يريدونه إلى الأمة عن طريق الدين، وأن يكون الغطاء غطاء تاريخيا متعلقا بالأمة ولكن المضمون شيء أخر.

فكان من طرق الذين يريدون هذا إحياء هذه الكتب. ولا نقول هذه الكتب شر، كما قلنا في الموافقات.. الموافقات ليست لهم.

لما أراد القوميون أن يجعلوا مقدمة ابن خلدون سندًا لهم.. يعني: من الذي قام على نشر مقدمة ابن

خلدون؟ هم القوميون، ساطع الحصري هو الذي قام على قراءتها ودراستها؛ لأنها تُشكل في بعض كلامٍ فيها أس ما يستند عليه القوميون وهي قضية "العُصبة"، يعني ابن خلدون يرى أن التاريخ لا يتحرك إلا بالعُصبة والأمم لا تُقام إلا بالعُصبةِ القوية.. والعُصبة لها مفهوم..

فإلى أين يذهب القومي؟ يذهب إلى مفهوم العُصبة، لابد من العُصبة.

فأعجبني لما قال عماد الدين خليل فيما أظن، أو محمد العبدة: ابن خلدون إسلاميًا. يعني هذا كذب، وهذا سرقة لابن خلدون لما تجعلوه قوميًا على الرغم من أنه بربري.. أصوله بربرية فكيف تجعلونه قوميًا؟ وهو يتنفس بنفسٍ إسلامي. ولما يتكلم عن قضية العُصبة يتكلم من وجهة نظر تاريخية إسلامية وليس من وجهة نظر قومية!

وكذلك لما أراد الإصلاحيون استغلال الموافقات من أجل تمرير قضية المصلحة لإلغاء النص، فنحن نقول: ما زال الشاطبي فقيهًا أصوليًا، وليس إصلاحيًا على طريقتهم.

وكذلك لما نأتي إلى الخُزاعي وإحياء كتاب تخريج الدلالات السمعية نحن نقول: هم يستغلونه ولكن مازال الخُزاعي يتكلم بنفسٍ إسلامي، هو يريد أن يستدل على أفعال مملكته وسلاطين زمانه بما فعل النبي صلى الله عليه وسلم، ولا علاقة له بمرادهم في قضية اختراق الغرب في تكويناته لمجتمعاتنا الإسلامية.

هذا باب –أيها الإخوة الأحبة– لا يُوقف فيه على النص، يعني أنا ذكرت قبل قليل: لما يأتي أهل الحديث إلى مصطلحاتهم الحديثِيّة، فهذه صناعةً إنسانيّة ولذلك اختلفوا فيها النُظَّار، وأهل الصناعة الحديثية اختلفوا في ألفاظ كثيرة، مثلا: الحديث الحسن ماذا يعني عند المتقدمين؟ قبل مقدمة ابن الصلاح والاتفاق على ما فيها بعده.. لكن كلمة الحسن عند الأوائل فإن كل عالم يستخدم لفظًا خاصًا به، وربما البيئة تفرض هذا اللفظ والناس يعرفونه! ولكنه إنتاجٌ بشريٌ.... فمثلًا يأتي شُعبة يستخدم كلمة الحسن: من حُسنِها فررنا، فالحسن هنا الغرابة، ويأتي الحسن بمعنى الضعيف، هذا حسن بمعنى ضعيف،

ويأتي حسن بمعنى جيد ومقبول.

لما يأتي للعلماء ويقولون: حدَّثنا هل تفيد خبَّرنا؟ هل تفيد أنبأنا؟ فيأتي البخاري ويقول: كلها تفيد معنىً واحد، ويأتي الإمام مسلم ويُفرق بين أخبرنا وحدَّثنا، التفريق بين القراءة وبين السماع.. ولم يأت أحد ليستدل على هذا الاختلاف بنص نبويّ، والذي فعل هذا فقط الإمام البخاري في صحيحه: جاء إلى هذا الباب فجعل يستدل على أقواله بنصوص نبويّة.. ولم يقل أحد -لا هو ولا أهل العلم- أن هذه النصوص قاطعة ولا يجوز أن يجتهد المرء، وإنما هي من أجل الاستئناس بهذه النصوص فيما تبناه.

وكذلك نحن نقول في هذا الباب: إن هذه الدلالات التي دلَّت عليها النصوص.. مثلًا هنا عندنا حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم لما جاءوا يسألونه عن بناء أمر أن تكون الطريق عشرة أذرع. فهل هذا نصٌّ لا يجوز خلافه؟ لا، وإنما هو فيما يلائم زمانهم وما يلائم أحوالهم إلى غير ذلك.

وكذلك في قضايا كثيرة متعددة الناس فعلوها بحسب زمانهم.

لو النبي صلى الله عليه وسلم أقام امرأةً اسمها شفاء من أجل الحسبة على النساء في الأسواق، فكيفية إدارة الحسبة قضية بشرية الناس يجتهدون فيها بحسب أحوالهم.

فإذا هم أرادوا شيئًا: أرادوا أن يُفتّحوا أذهان المشايخ إلى أن الحضارة الغربيّة بما فيها من ترتيبات -وما فيها من تشريعات، هذه توضع في الأسفل- قد سبقناهم بها! وبالتالي عليكم ألا تغضبوا!

طبعًا مع هذه التراتيب الإدارية ستدخل الأحكام، وسيدخل التشريع، وتدخل الإدارة. ومن ذلك قضية مجلس النواب؛ تعرفون أن الدولة العثمانية ككل الدول سابقًا كانت تُدار من قبل السلطان، وقد يكون عنده مجلس شورى خاص به هو يختارهم من غير نظام، إلا من خلال قوة اجتماعية معيّنة.. يعني يمكن أن يكون لدى السلطان والحاكم بعض أفراد قبيلته الذين لهم السلطة.. يعني كان عامة مستشاري الأمويين من أهل الشام، لماذا؟ لأنهم هم الذين نصروهم وثبتوا لهم ملكهم.

وربما يكون المقربون منهم من أهل القوة الذين لهم انتشار في داخل بلاد الخلافة الإسلامية ولهم

سيطرة على القبائل والعشائر ومواطن القوة. يعني لما عيَّن المأمون عليًا الرضا الخليفة من بعده وجعل ولاية العهد له، وهذا مشهور، أقام عليه بنو العباس القيامة وخلعوه وعيَّنوا عمه، لأنهم رأوا هذا خروجا عن المنطق، وصارت فتن كثيرة.. وعلي رضا مات فإما أنه مات لوحده أو قُتل بالسُم.. وبعد ذلك اجتمعوا في الحرب لم يجتمعوا في الصُلح حتى مع موت علي الرضا، أرسل إليهم أن مات فلنعد كما كنا، فأبوا إلا البقاء على الانفصال والبقاء على المخالفة.

القصد من هذا: أن هذه التراتيب اجتهادية، لكن لها أصولٌ شرعية.. هذا تقريبا خُلاصة هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

الخزاعي ليس له كبير ترجمة يُبحث عنها، وليس له أي دور في الكتب، إلا من خلال ذكره في التاريخ كشخصية لها وجود في عالم السلاطين والخلفاء والملوك.

فلنأت إلى شخصية أريد أن أتحدث عنها، وهي شخصية تمثل لنا الخلاف الشديد حول المعاصرين في زماننا وكيف نقرؤهم، لأن هذه القراءة التي نعيشها والتي سنتكلم عنها اليوم في عبد الحيّ الكتانيّ هي نفس القراءة التي نحياها الآن في المعاصرين.....

قبل أن أذهب إلى عبد الحيّ الكتانيّ، ما هو التراتيب الإدارية؟ جاء الشيخ عبد الحيّ الكتانيّ وأخذ تخريج الدلالات السمعية وبدأ يشرحه شرحًا، سماه إحسان عباس ظُلمًا –ولا أدري لم فعل هذا– وزعم أن ما في التراتيب الإدارية هو عملية تزيد وتكَّثر لا قيمة لها على تخريج الدلالات السمعية. ومن رأى مراجع ومصادر الخُزاعي في تخريج الدلالات السمعية ورأى مصادر عبد الحيّ الكتانيّ في التراتيب الإدارية، فلا ينبغي أن يقول هذا الكلام!.

مع أنني سأتكلم كلامًا ربما يكون شديدًا على عبد الحيّ الكتانيّ، لكنه في هذا الباب ظلمهُ مقدم الكتاب إحسان عباس.

بل لو أن رجلًا قال: هل يُستغنى بتخريج الدلالات السمعية عن التراتيب الإدارية؟ لقلت له: لا،

التراتيب الإدارية فيه فوائد أكثر بكثير من تخريج الدلالات السمعيّة، وإن كان عبد الحيّ الكتانيّ لما جاء إلى تونس أخذ المخطوطة من تونس ولم يجد آخر قسم –لأنه قسمه إلى عشرة أقسام– في كتابه، ثم وجدت نُسخ أخرى وطُبع الكتاب تامًا، أي كتاب الخزاعي.

القصد أن التراتيب الإدارية يدور حول هذا الأمر، وربما نمرُّ على بعض العناوين كما وعدتكم، لكننا نأتي إلى الأهم وهو الحديث عن عبد الحي الكتانيّ.

أغلب ما نعيشه اليوم من قراءتنا للمعاصرين –وكل من أراد أن يقرأ أي شخصية معاصرة سيقع في هذا الإشكال.. كل شخصية معاصرة منذ أن أُغزينا من قبل المستعمر وحُكمت بلادنا، ثم بعد ذلك قامت الثورة العربيّة والدولة القوميّة وقامت الأنظمة– وقراءتنا للعلماء نُصاب فيها بالحيّرة.. وهذا ينبغي أن نقف عنده وأن نتأمله.

مثلًا اقرأوا شخصية محمد عبده، اقرأوا جمال الدين الأفغاني.. ماذا سنجد؟ سنجد شخصيات قلقة.

لنذهب إلى محمد رشيد رضا باعتبار أن المدرسة السلفيّة رضيت عنه.. لماذا؟ لدعوته السلفيّة، يعني في مجاله الفقهي والعلميّ مرضيٍ عنه.. خرج من إطارٍ ما وصار متحدثًا حديثًا سلفيًا، يدعو إلى منابذة البدعة، إلى منابذة التقليد، إلى إحياء فقه السلَّف.. وكتب سلفية كثيرة نشرها محمد رشيد رضا، وصارت مجلته "المنار" مرجعًا للمدرسة السلفية. لأنه في داخل المدرسة السلفية تذكر المدرسة الإصلاحية في ذلك الوقت، ولما نتحدث عن المدرسة الإصلاحية فهي في ذلك الوقت داخلة علميا –دعكم من نجد وما حولها، نتكلم عن مدرسة خارج إطار نجد– داخل المدرسة السلَّفية، بل إن أهل الغرب لا يُفرقون –وهذا بيّنه كثير من الباحثين– إن كثيرًا من المغاربة يظنون أن محمد عبده هو من نفس المدرسة (النجدية) يعني دعوتهم واحدة.. وهذا مشهور في هذا الباب.

لو جئنا إلى محمد رشيد رضا في هذا الباب، نحن نقول: ما شاء الله، وعلينا أن نمدحه.. والشيخ ناصر الدين الألباني لما قيل له: من تعلمت هذا العلم أصلًا؟ قال: أصل علم الحديث أخذته من مجلة

المنار. يعني من أول من قدح علم الحديث في ذهنية الشيخ ناصر الألباني –وبعد ذلك الشيخ ناصر الألباني اشتعل نارًا في علم الحديث– هو محمد رشيد رضا، يقول: من خلاله تعلمت. وبالتالي هو من إنتاج هذه المدرسة، وبقي مُحبًا له ومترضيًا عليه ومترحمًا عليه إلى أخر حياته.

محمد رشيد رضا لما نقرأ واقعه السياسي –حتى في الواقع العلمي نتغاضى عنه بسبب المدرسة السلَّفية، يعني عندما نذهب إلى تفسير المنار.. ما هو تفسير المنار؟ تفسير المنار هو تفسير السيد الإمام، من هو السيد الإمام؟ هو محمد عبده. محمد رشيد رضا في تفسير المنار هو ناقل لما قاله أستاذه السيد الإمام محمد عبده. ويأتي على أقواله من أول الكتاب إلى حيث وصل، لأن تفسير المنار كان يخرج في مجلة المنار فسُمي باسمها، ولكنه في الحقيقة هو تفسير السيد الإمام. السيد الإمام هذه كلمة من؟ هذه كلمة محمد رشيد رضا.

مقاطعة: والرافعي يسميه كذلك.

الشيخ: كلهم... محمد عبده هذا فتن الناس في زمانه، ولم يكن أحد يقدر أن يقف أمامه، إلا قلة.

الآن سنخرج من هذه البيئة العلمية لندرس رشيد رضا دراسةً سياسية: أين كان؟ وكيف بدأ؟ وكيف انتهى؟

رأينا محمد رشيد رضا أولًا مع الدولة العثمانية.. قامت الثورة العربية فصار أحد كُتابها يكتب في مجلة القِبلة –مجلة القبلة التي كانت تصدر من مكة– صار رجلًا من رجالها وداعيًا من دعاة الثورة العربية الكبرى!

انظر!! كان عثمانيًا، ثم قام مع الثورة العربية الكبرى وأيدها وناصرها، وكتب الكلام الشديد على الأتراك –المسلمون جميعًا، حتى الذين خرجوا على الدولة العثمانية، لم يخرجوا على آل عثمان، خرجوا على الأتراك، على القومية التركية، على "التتريك".. هذا ظاهرها لنقل، لم يكونوا يقولوا: نحن نخرج على العثمانيين، لأن العثمانية كانت تمثل الرباط الإسلامي والجامعة الإسلامية للمسلمين، فلا يستطيعون

الكلام عنها.

الآن لو نحن حاكمنا محمد رشيد رضا على أنه سار في ركاب إسقاط الخلافة الإسلامية، ماذا سنقول عنه؟

بعد ذلك اكتشف محمد رشيد رضا أن هذه الثورة ثورة مخترقة.

يعني أقل ما يقال: كل قادتها يشربون الخمر.. كما يقول لورانس في كتابه أعمدة الحكم السبعة: كانت تأتي إلى الجيش صناديق الخمر الكثيرة، وكان أشدهم شربًا لها هو نوري السعيد.. هذا هو الجيش وهذه.

فانقلب محمد رشيد رضا على الثورة.. أين ذهب؟ ذهب إلى آل سعود، وما من كتاب يصدره إلا ويهديه إلى الإمام العظيم والمفكر الكبير والمجدد والمصلح عبد العزيز آل سعود.

كيف ستحاكم هذه الشخصية واقعيًا؟ ثم هل هذا الواقع السياسي الذي عاشه سيؤثر على اختياراتك العلمية في التعامل معه؟

لنأتِ إلى أي شخصية.. يعني لو جئنا الآن إلى الشيخ الذي نمدحه كثيرًا محمود شاكر، محمود شاكر في معركته ضد التغريبيين في مجال اللغة هو أستاذنا وإمامنا، تعالوا ندخل إلى الحياة العملية: كان من أكبر الخصوم الإخوان المسلمين على الرغم من أن الصراع الذي نشأ بينه وبين الإخوان كان في زمن أقل شيء فيه أن الإخوان المسلمين يقفون ضد الطاغية ويقفون ضد عدوهم، ومع ذلك في تاريخه لم يكن محبًا لهم وكان كارهًا لهم وكان خصمًا لهم.. فكيف نتعامل معه؟

عندما يأتي السلف المعاصر من أتباع فلان وعلان من هؤلاء، فيريدون أن يسبوا سيد قطب لأن محمود شاكر في يوم من الأيام تخاصم معه وكتب رسائل في قضية دفاعه عن عثمان. هل هذه العلمية وهذا الدين الذي كتبه الأستاذ سيد "في ظلال القرآن" علينا أن نقرأه بعيون محمود شاكر الذي نحبه إذا تكلم في اللغة؟ ماذا نفعل في هذا؟

بعض الطلبة يأتي إلى عالم نحن نمدحه، الشيخ أحمد شاكر.. الشيخ أحمد شاكر معروف أنه الرجل المحدِث وعلمه في الحديث لا أحد يستطيع أن يتكلم عليه بشيء. لما يأتي في الواقع يهدي كثيرا من كتبه إلى إمام العصر وقائد العصر عبد العزيز آل سعود، ماذا نفعل؟

هذه مشكلة نجدها في المعاصرين، وهي حيّة حتى الآن.

يعني: لما أتكلم أنا، أحاول أن أكون منصفًا.. لما أتكلم عن الشيخ ابن باز أتكلم عن فضله على الدعوة إلى الله، أتكلم عن فضله على الدعاة، أتكلم عن فقهه.. فيبرز أحدهم ويقول لك: ولكنه كان كذا –مما تعلمونه، لا نريد أن نبقى ندور في الكلمات نفسها– كيف سنتعامل في هذا الباب؟ ما هو الميزان؟

عبد الحيّ الكتانيّ صورة صارخة لمثل هذا القلق والاضطراب.

يعني ربما يأتي حفيد ليس من أحفاده المباشرين ولكن من جهة إخوانه، فيقول: كان عبد الحيّ الكتاني يميل إلى العقيدة السلفية.. مع أنه شيخ طريقةٍ صوفية اسمها الكتانيّة، وكان هناك صراع كبير بين الطريقة الكتانية والطريقة التيجانية على الطعام.

أحد تلاميذ عبد الحي الكتاني يقول: مرة سألته عن الطريقة، لأنه قال كل الطرق الصوفيّة –والعهدة على الناقل– هي على قاعدة (تغيير شكل من أجل الأجل)، يعني هي كلها من أجل سرقة الفقراء والمساكين. فيقول له: حتى الكتانية؟ فيقول له: حتى الكتانية. فيقول: وأنت شيخها؟! فيقول: أقل شيء أنا آخذ وأعطي الفقراء.. على طريقة روبنهود.

القصد من هذا: يأتي أحد أحفاد جده وهو منتصر الكتاني صاحب كتاب الرسالة المستطرفة، وهذا فرعٌ أخر من الكتانية، فيقول: هؤلاء كان أجدادنا فيهم نزعة سلفيّة، لأن عبد الحي الكتاني قال هذه الكلمة، على الرغم من أن الطريقة الكتانية ما زالت إلى الآن قائمة ولها أضرحة ويعبدون القبور، وإلى الآن على ما هي عليه.

عبد الحي الكتانيّ شخصية تضع أي طالب علم أمام مشكلة، وأنت إذا أردت أن تقرأه لابد أن تجد هذا التعظيم من هنا، والسب والشب والشتم من جانبٍ أخر.

إذا أردت أن تقرأه عالمًا.. قرأتُ رسالة وجهها الشيخ محمود شاكر وهو شاب إلى عبد الحي الكتانيّ وهو مار على مصر ذاهبا إلى الحجاز، وأنت تقرأ الرسالة فتجد أنه يعظمه -وأنتم تعرفون الأستاذ محمود شاكر ليس بهذه النفسيّة أن يُطري.. بل هو يقول في الرسالة: لا تظن أن ما أقوله لك قلته لغيرك، أنا نفسي تأبى علي أن أقول هذا الكلام، لكنك تستحقه- يعظمه تعظيمًا شديدًا جدًا، ويجعله في سلوكه وفي علمه على حالة لا يُجارى فيها أبدًا.

هذه حالة.

تقرأ له من خلال علمه وجمعه للكتب.. للذكر: له كتاب الشيخ الكتانيّ اسمه "تاريخ المكتبات الإسلاميّة"، وهو ألف أكثر من خمسمائة رسالة، لكنها على الطريقة الكتانيّين، يعني في كل مسألة عشرة ورقات يمكن أن تصبح رسالة، والغماريون وغيرهم على هذه الطريقة. ولكن أكبر كتبه هي "نظام الحكومة الإسلامية المسمى التراتيب الإدارية" والكتاب الثاني هو "فهرس الفهارس" والكتاب الثالث هو كتاب "تاريخ المكتبات الإسلامية".

هذا الكتاب "تاريخ المكتبات الإسلامية" لو وضعه أحد تحت عنوان "فن القراءة" لأحسن؛ لأنه يتحدث عن فنون القراءة وطقوسها ومجالاتها.. فكتبه كلها تدور حول الكتب، ولو نظر الناظر إلى عبد الحيّ الكتانيّ من هذا الباب أو من باب اهتمامه بالكتب: من خلال قراءته واطلاعه، من خلال التقاء أسانيد كبار العلماء معه.. لوجد شيئًا عجيبًا، لوجد شخصية تكاد تكون فريدة في هذا العصر يعني لفرادتها.

ويقال إن مكتبته التي صودرت بعد ذلك لا يوجد مثيل لها في المغرب، وربما في ذلك لا يوجد لها مثيل في العالم الإسلامي كمكتبة خاصة، لكثرة اهتمامه بجمع الكتب والمخطوطات... إلخ.

هو في هذا الباب إمام علامة، وللذكر: هذا الكتاب تاريخ المكتبات الإسلامية هو مجرد بيان ألقاه لما دُعيَّ إلى دمشق لاختياره عضوًا في مجمع اللغة العربيّة، وكان حاضرًا في ذلك الوقت الأستاذ مصطفى صادق الرافعي، وعبد العزيز الميمني الراجكوتي وغيره من كبار المحققين.. فتصور أن أصل هذا الكتاب هو مجرد بيان ألقاه بين يدي العلماء.

في هذا الباب تجد رجلًا عجيبًا، وإمامًا كبيراً.

ننتقل من هذه الصورة إلى صورة أخرى غريبة، وهي أن هذا الرجل متهم أنه كان عميلا لفرنسا، وإذا أردت أن ترى كلام المعاصرين له ممن قالوا هذا وجزموا به فاذهب إلى رسالة البشير الإبراهيميّ. والبشير الإبراهيمي معروف أنه من العلماء الذي أنشأوا جمعية العلماء المسلمين في الجزائر، وهي كانت على منهج السلف في الإصلاح والإحياء، وفي البداية دعت إلى الجهاد ولكنها صارت بعد ذلك على طريقة محمد عبده، وربما تأثرت به، فاعتزلت السياسة وقالت: إن الإصلاح يبدأ بالتربية وإصلاح عقائد الناس إلى غير ذلك.

ليس الكلام هنا عن الجمعية وما فيها من خير وفضائل، يعني لا يذمها إلا من هو مذموم من نفسه وذموم من الناس.. لكن في رسالة البشير الإبراهيمي –وأنا أطلب كل طالب علم أن يذهب إليها، وهي موجودة منشورة– يجزم أنه عميل لفرنسا، وأنه كان يعمل لصالحها، وأنه كان يجلس مع قادتها ليُرتب كيفية القضاء على المجاهدين.

للذكر هذه كانت البصائر هي مجلة جمعية العلماء المسلمين، وكانت تُباع بثلاثين فرنك. فلما خرج كلام البشير الإبراهيمي في عبد الحي الكتاني بيعت في المغرب بألف فرنك! لشدة حرص الناس عليها واندفاعهم. ويقول معلقون: لأنهم رأوا تلك الألفاظ الجذلة العظيمة من البشير الإبراهيمي تلائم هذه الشخصية.

لماذا كتبها الشيخ الإبراهيمي في البصائر؟ كتبها بمناسبة زيارة عبد الحي الكتاني إلى الجزائر من أجل

إيجاد رابطة للصوفيّة في المغرب الإسلامي، وهذه الرابطة كانت برعاية الضباط الفرنسيين.

كيف ندرس هذه الشخصية بمثل هذين الحدين المختلفين؟

طبعًا هناك من يعظمه وهناك من يسبه ويجدعه.

من فضائل -وإن كان علمانيا وأنشأ دولةً علمانية لا علاقة لها بالإسلام- محمد الخامس، والد الحسن وجد محمد السادس الموجود الآن.. هذا رجل الإسلام عنده كحكام زماننا، لا فرق، بل من قرأ سيرة هذا الرجل وسيرة بيته من خلال ما قدمناه -تذكرون رواية السجينة لمليكة أوفقير- يجد أنه لا علاقة لهم بالدين إلا بالاسم، أما تربية الأبناء على الدين والاهتمام بالدين والصلوات والعبادة فهذا لا وجود لهم في حياتهم، لا في النساء ولا في الرجال، ولا في الملك ولا في السلطان. لكن هو وقف أمام فرنسا، لأن فرنسا طلبت منه بعض الامتيازات إذا أرادات الانسحاب من المغرب -والمغرب كان محتلًا من قبل الفرنسيين والإسبان-

بغض النظر عن القراءة الكلية للموضوع، وأنا أتجاوز، والتاريخ أعمق من هذا، لأن هناك ثورة الريف لعبد الكريم الخطابي ينبغي أن تُذكر.

المهم: برزت شخصية محمد الخامس كشخصية مدافعة عن حقوق المغرب أمام فرنسا، فرنسا لم ترض منه بهذا الموقف.. لا أريد أن أعلق كثيرًا وإن كان هنا ينبغي الوقوف! يعني: لو قارنا موقف محمد الخامس مع موقف الأمير عبد الله، الذي صار بعد ذلك الملك عبد الله، لرأينا مفارقة غريبة لابد أن تذكر رغم أنف كل أحد.. يعني لما طُلبت مطالب من محمد الخامس كيف أجاب، وكيف لما طلبت - في ذلك الوقت- من الأمير عبد الله كيف أجاب.. هناك مفارقة غريبة يجب أن توضع!

القصد من هذا أن محمد الخامس صار في حس الشعب هو الذي يمثل أمانيهم في الاستقلال، والناس في ذلك الوقت لا يهمهم إلا الاستقلال، على طريقة بعض الناس الذين لا يهمهم كيف يُحكم البلد وما هو الدين الذي سنحكم به والمهم عندهم أن نتحرر من الاستعمار، على طريقة التنظيمات

الفلسطينية: المهم أن نطرد اليهود، بعد اليهود ليست مشكلة المهم أنه فلسطيني.

فوقف محمد الخامس ولم يعطهم المطالب التي طلبتها فرنسا، غضبت عليه فرنسا فنفته. وعلى طريقة هتلر لما غزا فرنسا وهرب ديغول وضع حكومة فيشي. فالفرنسيون أحضروا رجلا اسمه محمد ابن عرفة ونصبوه ملكًا، ورفض كل علماء المغرب الدخول في طاعته والإقرار له بالبيعة إلا عبد الحي الكتاني ومن معه!! وصار من أقرب الناس إليه ومن أخص مستشاريه. وبعد ذلك انقلبت الحالة ورجع محمد الخامس وأزيل ابن عرفة، فالغريب أن الملك محمد الخامس عفا عن الجميع إلا عنه!

أنا أريد أن أذكر صورتين: الذي يحبون عبد الحي الكتاني قالوا: وقد ذهب إلى جنوب فرنسا، نيس، إلى منفاه الاختياري... انظروا إلى العبارة! ومن هنا يأتي دور التاريخ.

من أجل هذا، أيها الأخوة الأحبة: ما هو أعظم شيءٍ في كتابة التاريخ في تاريخ أمتنا؟ هو أن الكاتب لم يتدخل.. هذه منقبة لكتابة التاريخ في تاريخ أمتنا. يعني لما تذهب إلى تاريخ الأمم والملوك للطبري هل تجد الطبري موجودًا؟ بل: هكذا وصلتني أضعها بين أيديكم. بعد ذلك: حلل، اقبل، حتى إنه يقول لك: قد تكون الرواية مكذوبة، هذا عملك! أنا أوصلتها إليك كما وصلتني.. هذا من قمة الأمانة.

المؤرخون اليوم لا يفعلون هذا! لا يوجد مؤرخ يكتب لك ماذا جرى، يكتب لك ماذا رأى بذهنه وهواه!

تجد أحدهم يقول: وقد اختار الشيخ العلامة إمام الأئمة عبد الحي الكتاني، اختار الذهاب إلى نيس، إلى منفاه الاختياري. ما معنى هذا؟ معناها أن الرجل ملَّ من الحياة، وذهب إلى منفاه الاختياري ليتفرغ للعل –وبالفعل في كل أطوار حياته كان متفرغًا للعلم–.

تعرفون نيس؟ هي مشهورة، والبارحة خرج فيها مظاهرات.. الوقت المعاصر عرفنا على قرى ومدن لم نكن نسمع بها.

فيأتي آخر ويقول: وخرج عبد الحي الكتاني مع العملاء عندما خرجت فرنسا.

لما خرجت فرنسا من الجزائر والمغرب، فكثير من العملاء خرجوا معها. والجزائريون يسمون هؤلاء بالحَرْكة، إلى الآن يسمونهم: أبناء الحرْكة.

القصد: محمد الخامس لما رجع إلى السلطنة والملك عفا حتى عن محمد بن عرفة هذا الملك الذي وضع بدلًا منه، ولكنه ولم يعف عن عبد الحي الكتاني، لأنه يقول: هذا قذر، هذا رجل خائن خيانة شديدة جدًا.

وأختم بهذا: إن قراءة المعاصرين على صعيدٍ واحد صعب.

وأنا أحاول دائمًا وأنصح بنفسي أني إذا قرأت عبد الحي الكتاني لا أقرأه شخصيةً واحدة، ولما أقرأ أي عالم من العلماء لا أقرأه شخصية واحدة، أقرأه بالمادة التي أريدها منه. يعني أريد هذا الكتاب "التراتيب الإدارية" لأرى علمه في الحديث وأرى استنباطات الرجل وأرى تخريجاته... إلخ. فإذا أردت السياسة ذهبت إليه لأقرأ عبد الحي الكتاني أس٢، إذا أردت الحياة الاجتماعية أس٣، إذا أردت عقيدته أس٤ وهكذا.

العقيدة التي يؤمن بها: هل كان يؤمن بوحدة الوجود على طريقة...

أنتم تعرفون أن أحمد الغُماري، وهو باقعة في الحديث -والشيخ ناصر الألباني يعترف له- وهو الذي خرج كتاب الهداية وله كتب في الحديث، كان يؤمن بوحدة الوجود! يؤمن أنه لا فرق بين هذا وهذا.

للذكر هو ولد في سنة ١٨٨٣ فيما أظن، وتوفي سنة ١٩٦٢.

وصودرت مكتبته.. لما طُرد -سواء خرج إلى منفاه الاختياري أم هرب مع المستعمرين- قامت الدولة بمصادرة مكتبته الكبيرة من بيته، وربما بعد ذلك أُعيدت لأبنائه.

بقيت مسائل تتعلق بعبد الحي الكتانيّ، وهو كعادة كل الصوفيّة موقفهم من الشيخ ابن عبد الوهاب

وموقفهم من ابن تيمية.

قدم وهو في العشرين من عمره...

طلب منه يوسف النبهاني.. ويوسف النبهاني صاحب جامع كرامات الأولياء، وكتاب "شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق"، ويوسف النبهاني كان يؤمن بوحدة الوجود، يعني لا نريد أن نقول صوفيّ كان يؤمن بالاستغاثة وكان كذا.. كان يؤمن بوحدة الوجود، وكان على طريقة عبد الغني النابلسي وعبد الغني النابلسي يؤمن صراحةً بوحدة الوجود، يعني المسألة ليس فيها ألفاظ متشابهة.

وللذكر، حتى نعرف كيفية القراءة فقط: بعض المعاصرين سبّ على يوسف النبهاني أنه كان قاضيًا في المحكمة المدنية –هذا كله من طرائق القراءة الغريبة– في بيروت، فيأتي أحدهم ليقول: انظر!! كان قاضيًا في محاكم شركيّة. لم يكن هناك محاكم شركية في زمانه! وحدة الوجود آمنا، صوفي مغرق آمنا، لكن لم يكن قاضيًا بالقانون المدنيّ المعاصر، لم يكن هناك محكمة مدنية ومحكمة شرعية في زمن الدولة العثمانية، هذه أحدثها القوميون بعدهم. والمحكمة المدنية المقصود بها المحكمة التي لها تعلق بالجرائم وليس بالقانون المدني بخلاف القانون الشرعي المتعلق بالأحوال الشخصية.

فطلب منه يوسف النبهاني –ويوسف النبهاني له قصص غريبة– أن يقدم له كتاب "شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق"، فقدم وسبَّ –وهو في العشرين من عمره– وجعل ابن تيمية كما يقول الخصوم لا يحب النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه مما يقول بالتجسيم لقصة ابن بطوطة المشهورة، وغير ذلك.

ثمَّ في رسالةٍ له أخرى إلى رجل –أظن أن اسمه محمد بن عزوز– أرسل له رسالة بعد يعتذر فيها أنه لما كتب هذه كان في شبابه ولم يكن قد اطلع على كتب ابن تيمية ثم لما حجّ اطلع على كتب ابن تيمية وحملها معه إلى بلاده فقرأها، وصار يقول كلمة من أجمل كلام الناس في الناس، قال: كأنه لم يحفظ القرآن في الدنيا إلا ابن تيمية. مع بقائه على ما هو عليه، ومات وهو شيخ طريقة، والطريقة إلى الآن موجودة، طريقة الكتانية موجودة ولها شيوخها ويتوارثونها.

وهناك فرع كتاني نشأ جديدًا هو سلفيّ يخالف الصوفية ويخالف مذهب آبائه وأجداده في هذا الباب.

في نهاية هذا الأمر أريد أن أقول: إن قراءة الأشخاص المعاصرين على وفق حالةٍ واحدة مما يعجز عنها الناس، وللناس فيها مذاهب: المحب يدافع، والمبغض يشتم ويجدع، والمطلوب هو أن نقرأ الناس بعدلٍ وإنصاف..

وعدتكم أن أقرأ لكم يبعض الأبواب.

مهم في التراتيب الإدارية أن تروا اتساع الرجل في مكتبته.. تقريبًا أكثر من سبع صفحات بالخطوط الصغيرة جدًا يتحدث فيها عن مصادر كتابه، وعلينا أن نصدقه لأنه لا يوجد ما ينفي، فعلينا أن نعرف أي كتبٍ كانت لديه؟ يعني وجود هذه الكتب باعتبارها مراجع له يدل على عِظَم مكتبته!. من الصفحة ٢١ وما بعد يتحدث عنها.. عليكم أن تقرأوها لتروا أي كتبٍ كانت بين يدي الرجل عندما ألف كتابه!

أريد أن أنبه على نقطة: الكتاب يوجد فيه فوائد غير ما ذُكر، يعني إذا قرأت الكتاب ستجد أشياء أخرى غير ما في الباب، وهو يحب إيجاد الفرائد من اقتناص الكتب. مثلًا لما يأتي إلى معنى الزوراء، لما يأتي إلى سبب انتشار مذهب الإمام مالك (في الصفحة ٨ من المجلد الأول)، أول من أحدث المنائر، بدعة المحاريب والكلام حولها ومتى أُنشأت، الكلام عن حمّاد ولماذا لم يُتم قصيدته (صفحة ٤٢) وهكذا. فالكتاب يُنصح به ولا ينبغي لطالب علمٍ أن يتركه.

نأتي إلى بعض الأبواب بسرعة: بعد معاني الحرفة والصناعة يأتي باب هل يجوز للمسلم أن يستخدم غير المسلمين؟ ما جاء في أرزاق العمال الذين يعملون للسلاطين والحكام، هل يجوز اعطائهم الأموال؟ هل يجوز أخذ أموال الأئمة.. هذه كلها أبواب من الفوائد.

بيان أن السنة النبوية مشتملة على كل الخير، هذا مهم جدًا.

بيان قيام الصحابة بتعليم الكتابة واعتبار أن تعليم الكتابة حق للابن على الأب، يعني يجب على الأب أن يعلم ابنه الكتابة والقراءة، وهذا من الواجبات..

استخدام أدوات القراءة من القلم والورق وغيره، ومتى نشأ ومتى دخل الورق.. هذه كلها فوائد موجودة. وطبعًا كتاب صبح الأعشى للقلقشندي أكثر تفصيلًا في هذا الباب: أنواع الأقلام في زمانهم، وكيف كانوا يدونون، لما النبي قال: **(اكتبوا لأبي شاه)** ما هي المادة التي كان يكتبون بها.

وهذا باب عجيب، قال: الباب الثاني والثلاثون في اعتناء القوات من الصحابة في رفع التقارير الجغرافية للخلفاء الراشدين عن البلاد التي يدخلونها. يعني ذكر المنطقة وما فيها؟ ومن ذلك لما طلب عمرو بن العاص من عمر السماح له بغزو مصر، قال له: ما الذي بيننا وبين مصر؟ فشرح له أن هناك مياه بيننا وبينهم، وأمره عدم إركابهم في البحر، والصحابة لم يغزوا في البحر حتى مات عمر وجاء عثمان، فطلب من عبد الله بن أبي السرح أن يبني أول أسطول إسلامي في الشام، وقائد الأسطول الإسلامي هو عبد الله بن أبي السرح رضي الله عنه الذي كان مسلمًا ثم ارتد ثم أسلم في فتح مكة.

الكلام على المصحف والفنون فيه، وكتابة المصحف، وأول من سماه المصحف –يعني: كلمة (مصحف) غير موجودة في القرآن، وغير موجودة في السنة–، اعتناء الصحابة بمصاحبة المصاحف في أسفارهم: كيف كانوا يحملونه، كيف يضعونه، ماذا يجتنبون منه.

كتابة التاريخ، وأن سيدنا معاوية كان له غِلمان وكِلوا بحفظ دفاتر التاريخ.

تعاطي علم الخط، تعاطي علم الشعر، تعاطي علم الأنساب.. واليوم لو أن هذه العلوم تكلم بها بعض الشيوخ لعِيبت عليهم..

تعلم علم النجوم الذي فيه فوائد للناس وليس علم السحر.

تعلم علم الرماية والسباحة

الحديث عن أخذ الصحابة عن اليهود (عمن أسلم من اليهود) أخذهم الكتاب وغير ذلك.

من كان يوسم في عالم الصحابة: من كان يُلقب منهم بأسد الله مثلا، يعني هل تجوز الألقاب أم لا؟

للذكر: مما ذكره البشير الإبراهيمي عن عبد الحيّ، قال: هو تسمى بكل الأسماء إلا باسم ابنه. يعني تكنى بكل الكنى في الدنيا حتى سُمي أبو الألقاب. فهو أبو الإسعاد عبد الحيّ.. هكذا، له لقب "أبو الألقاب: لكثرة ما لُقِب. فيقول البشير: عجيب هذا الرجل!! لُقب بكل لقبٍ غير اللقب المعروف عند العرب أن يلقب باسم ابنه. ويقول: عبد الحي -الحي هنا ليس اسم من أسماء الله- وعادةً يقولون: كاهن الحيّ.. هذا من سبه عليه!!

أنا لما أقرأ مثل هذه الظروف المرء ترطب عليه الحياة وما يعيشه، لأن صورة العلماء عندنا صورة مغلوطة. يعني نحن الآن إذا تكلمنا عن ابن تيمية نخشع! لو تكلمنا الآن عن الشافعيّ نضع أيدينا احترامًا. ولكن تصور أن الشافعي يجلس في مسجد مصر ويقوم له واحد مالكي -غضب أن الشافعي سرق المالكية كلهم وحولهم إلى مذهبه- ويقول له: قطع الله أوصالك كما قطعت هذه البلدة!!

والقصد: إن الصورة المثالية لحياة التاريخ الماضي، سيئة لأنها تمنع الناس المعاصرين من أن يلجوا هذه الحياة ظانين أننا نعيش حياةً لم يسبقنا بها أحد، وهذا غير صحيح؛ العالم هو هكذا.. والذي تراه في واقعك من خصومات المشايخ وسبابهم... يعني شيخ يُضرب، ابن تيمية ألم يذهب إلى الإسكندرية ونال ضربًا ضربه أتباع ابن عطاء الله السكندري. ونحن نقرأ حكم ابن عطاء الله الإسكندري، وكأنها حكم حتى كان شيخ صوفي يقول: لو ذهب القرآن لاستخرجنا العلوم كلها من حكم ابن عطاء الله الإسكندري، وكان إذا خطب يوم الجمعة لا يبتدأ الخطبة بقال الله ولا بقال الرسول ولكن بقال ابن عطاء الله الإسكندري. فتصور هذا الرجل العظيم ابن عطاء الله الإسكندري يحل مشكلته مع ابن تيمية بأن يبعث أتباعه ليضربوه.

وأنا أتمتع لما أقرأ حكمه، وأنا وضعتها في هذا المشروع، لأنها من أجمل ما يُذكر في تراثنا، ودائمًا

أستخدم "من كانت بدايته مُحرقة كانت نهايته مُشرقة"، "الحب لا ينبت إلا بدفنه" وهكذا، كلمات رائعة ومُصاغة بطريقة الحكمة العجيبة جدًا. ولكن هذه الحياة! يعني لو أردت أن تقرأ ابن عطاء الله مع ابن تيمية لرميته.

فالقصد أن ما نعيشه اليوم من حياة هو هو ما عاشه الناس.. والصورة التي عندك لحياة القدماء لا وجود لها! وأنا متأكد ومتيقن أن صورة الشيخ العظيم في نفوس الناس الآن لا تستقيم إلا بثوب أبيض مُنشّا -كانوا قديما حتى لا ينكسر القميص، والمسكين ليس لديه إلا قميص واحد يلبسه في الزواج ويلبسه في الأفراح ويلبسه عندما ينزل إلى المدينة، يوضع عليه النشا حين يكوى، حتى لو أتيت بالبنطال المنشا وأوقفته يبقى واقفا بدل الإنسان- وتصورُنا أن العالم قديمًا لا بد من أن يكون على هذه الصورة صورة المنشا. وأنا متأكد لو خرج علينا عمر رضي الله عنه بمرقعته وكذا، لسقط من أعين الناس الذين يقيمون الناس من ثيابهم، وهم الأكثر.

فالقصد أن الناس يعيشون المثل في أحلامهم، فالواقع الذي يعيشونه لا يتصورون أنه حدث. يعني: أنت تستغرب أن فقيهًا من فقهاء الإسلام لا يعرف البخاري! لم يقرأ البخاري، فتصور أن الغزالي لم يطلع على البخاري ولم يعرف ما فيه ولم يقرأه إلا في آخر عمره!! كلمة الغزالي ماذا تعني عندك؟ الامتلاء. ومع ذلك لم يعرف صحيح البخاري ولم يقرأ فيه ولم يطلع عليه إلا في آخر عمره.. وهذه لم أجدها إلا عند ابن تيمية وكلهم ينسبونها إليه، وذكر عنه أنه مات وعلى صدره صحيح البخاري فقط، لا يذكر في سيرته ولم يذكر أحد من المعاصرين له وهكذا.. ومن نظر في كتبه يعرف أنه لا يعرف لا صحيح البخاري ولا صحيح مسلم.

التصور عن التاريخ يختلف عن أحلامنا وعن أوهامنا، وصورة الشيخ وصورة العالم... ابن قدامة المقدسي يذكر عن ذكائه أنه خرج يومًا -كان يأتي دمشق ويخرج إلى الصالحية، والصالحية هذه بناها أجداده القدامى الذين قدموا من نابلس لما جاء الصليبيون، فهربوا من جماعيل، ونحن الفلسطينيين نقول جماعين، فهربوا منها وجاء هناك هذا الرجل الصالح، وكان يقال لها الصالحية نسبةً له، وهو يقول: لا،

وإنما هي لقبر رجلٍ صالحٍ فيها.. فجاء إلى دمشق وعلى منطقة مرتفعة بعيدة عنها بنى فيها بيته، ثم الناس تدافعوا عليه فصارت هذه المدينة الكبيرة من هذا البيت المبارك- خرج يوما من المسجد في الليل، فجاء إليه لص وسرق عمامته، فقال له: خُذ ما فيها من ذهب واترك لي العمامة. فالرجل فتش فيها فوجد كيسا ثقيلا، فأعاد العمامة وأخذ الكيس. والكيس داخله تراب، من أجل أن يترب الكتاب عندما يكتبه وينشفه بسرعة!!!

أنا أحب أقرأ سير العلماء في داخلهم، لأنها تُذهب من نفوسنا صورة الحياة الفاسدة التي لا وجود لها إلا في أذهاننا، عليك أن تقرأ هذا، فتش تجد الغرائب والعجائب في هذا الباب.

يكفي هذا، أسأل الله تعالى أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وجزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيهم والحمد لله ربُ العالمين..

الكتاب القادم -أيها الأخوة الأحبة- وإن كان لا يستحق، ولكن لابد أن نأتي على قراءة معاصرة لمن يريد تزوير الدين، وهو كتاب حسين أحمد أمين "دليل المسلم الحزين"، والظاهر أنه متعلق بلقب أبيه.

أحمد أمين كان لقبه مالك الحزين.. أحمد الأمين الأديب المشهور، والذي كان على طريقة -ليس الإصلاحيين- على طريقة الفاسدين.

ف"دليل المسلم الحزين" لحسين أحمد أمين هو الكتاب القادم في الأسبوع القادم إذا يسرَّ الله عز وجل وشاء.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: لعل كلامكم لا يعجب الشيخ الحسن الكتانيّ.

الشيخ: أنا لمحتُ...

وللذكر: عبد الحي من أعمام الشيخ الحسن الكتاني، الشيخ الحسن الكتاني يلتقي مع الشيخ المنتصر صاحب الرسائل المستطرفة. وكان بينهما تنافس عائلي.

السائل: هم ينتسبون الأشراف.

الشيخ: نعم، هم أشراف، ونحن نصدق ما يقولون؛ لأن نسبتهم ليست معاصرة، ولم تخرج من فراغ هكذا، هذه العائلة اسمها قديمة ومعروفة.

السائل: بالنسبة إلى اتهام البشير الإبراهيمي لعبد الحي الكتاني العمالة، أنا أريد أن أرى توقعكم، لأنه هو أخذ بخبر، يصدق أو لا يصدق.. الرجل عنده علم ونشر العلم، وكذا وكذا، فما رأيكم؟

الشيخ: أنا لا أستبعد صدور هذا من المشايخ.

يعني لو جاءني رجل وقال لي: لما قبض على عمر المختار، جاء المفتي وعلماء المالكية في ليبيا وقفوا أمام الطاغية الإيطالي وقالوا فيه القصائد وقال له: اقتل عمر المختار فإنه خارجي. لتوقفت، وأقول: معقول؟!! لكن الصورة موجودة، فوجود مثل هؤلاء.. الله أعلم.

واليوم ما نراه من المشايخ المعاصرين الذين يطبلون للسيسي ويجعلونه إمام المسلمين، ويمدحون قتله للمسلمين أو يخففون من وطأة هذا الإجرام... فأنا لا أستبعد.

يمكن أن نقول على طريقة أن التاريخ نظيف كليًا: أراد تخفيف الشر على المسلمين.

السائل: إن الشيخ الحسن يستميت في نفي اتهام العمالة عن عبد الحي.

الشيخ: الذي أردت أن أقوله: هذا الواقع الذي كان يعيشه الناس موجود. وأما الاستماتة وكذا، فالناس يحق لهم ذلك.

لكن لم أجد –وأنا أدعو طلبة العلم إلى هذه القضية– لم أجد مُحققًا لكتاب أو باحثًا عن رجل إلا يحاول أشد المحاولة لتبرئته من ما هو فيه، وذكر المناقب دون ذكر المثالب. يعني: لا يوجد كتاب لعالم

تذهب إلى محققه إلا وتراه يذكر خير ما عنده ولا يذكر ما فيه مما قال معاصروه، وإذا ذكر مما قاله معاصروه جعل يبرر. لكن التاريخ هو التاريخ، التاريخ فيه هذا وهذا.

والمعاصرون له يذكرون أن مؤتمر الزوايا -هذه مشكلة يجيب عنها- مؤتمر الزوايا الذي أُقيم في الجزائر ورعاه الشيخ عبد الحي الكتاني، وجاء من المغرب إلى الجزائر من أجله، الشهود كلهم يقولون: حضره الضباط الفرنسيون. يعني يمكن أن نؤول ونقول: الفرنسيون يستغلون الصوفيّة، والصوفيّة تأبى!! لكن السؤال: من المجرم؟! إذا كان كل هذا التاريخ بكل هذا الطهر، ما بين مصلح على طريقة المداهنة واستنزاف الخير من الآخر وبين مجاهد ومقاتل، فأين القُبح في التاريخ؟ يعني: إذا كان العلماء قد انقسموا إلى قسمين في التاريخ الإسلامي: مداهن للعدو من أجل أن يقلل شرّه، ومجاهدٍ له؛ فأين القُبح في التاريخ؟ لا يوجد.. يمكن أن يكون التاريخ هكذا وأنا جاهل به.

السائل: منهج المسلوك في مذهب الملوك، هل هو مثل الكتاب، إذا مر عليك؟

الشيخ: لا أعرف هذا الكتاب.

السائل: مشهور في سياسة الملوك والتراتيب الإدارية.

الشيخ: ممكن.. موجود هو؟

السائل: مشهور جدًا، طبعته دار المنار الأردنية.

الشيخ: نعم، هذا الكتاب عندي.. هو يتحدث عن الأحكام السلطانية. كما يتكلم الماوردي وكما يتكلم الفراء. الكتب في هذا الباب كثيرة، ولكن نتحدث عن بابٍ آخر هنا، هذا الكتاب يتكلم عن التراتيب السياسية وكذا.

وهذا الكتاب أرسل إلي لتصحيحه لما طُبع، لأن صاحبنا إبراهيم عِجّو هو من حققه، فأعطوني إياه لتصحيح ملازمه.. فأعرف الكتاب.

السائل: هل الخصوم المذهبية أثرت في الحكم؟ لأن القوم أفاضوا حتى في عبد القادر الأمير وذكروا....

الشيخ: يسأل الأخ: هل الخصومة المذهبية لها دور في الأحكام على الأشخاص من قبل المعاصرين؟ وهو يريد أن يقول: هل لمجرد المخالفة المذهبية بين البشير الإبراهيمي وبين الصوفيّ عبد الحي الكتاني صنعت هذا؟

بلا شك أن كلام البشير الإبراهيمي ضد عبد الحي فيه نوع من البيان للصوفية ومفاسدها والطرقية ومفاسدها. ولكن كذلك فيه بيان لواقع.

وللذكر: أنا بحثت عن الرادين على عبد الحي الكتاني، فلم أجد كلامًا يذهب إلى النُقَط مباشرة للحديث عنها.

أما الكلام عن عبد القادر الجزائري؛ فعبد القادر الجزائري صوفي طرقي، ومن المحبين لابن عربي وكان يؤمن بوحدة الوجود، كان يصرح بها. أنا أتكلم علميًا، أما سياسيًا فالناس لهم كلام فيه.

وعبد القادر الجزائري كان إمامًا عظيمًا لا أحد يستطيع أن يقترب منه، ولكن علميًا اشتهر بأنه كان من محبي محيي الدين ابن عربي وكان من المقيمين على قبره والمتشبثين بالاستغاثة والتوسل إلى غير ذلك. وعلم عنه أنه من أكثر الناس بغضًا لابن تيمية، بل كان يشتري مخطوطات ابن تيمية بالذهب -لأنه كان ثريًا جدًا- فيحرقها، وهذا معروف عنه.

أما موقفه السياسي؛ فلا أريد أن أتحدث عنه، وربما لي رأي.

ولكن أريد أن أخبركم بشيء، فانتبهوا: إن بعض أبنائه وبناته تهودوا وصاروا يهودا.

أما جهاده ضد الفرنسيين في الجزائر؛ فهذا لا ينكره أحد وإن كان أهل الجزائر المعاصرين لهم تحفظ على النتائج التي خُتم بها. وهذا يمكن أن يُعذر فيه ويمكن أن لا يعذر فيه، ولكن أنا من الناس الذين

يعذرون. يعني يصل المقاتل إلى أن يبقى وحيدًا فيخرج من المعركة، لا تركًا لأبنائه ورائه ولكن يخرج منها كما خرج الشيخ شامل في القفقاس وكما خرج الشيخ عبد الكريم الخطابي في الريف... كان الفرنسيون والإسبان يبيدون القرى، فماذا يفعل؟ يقول: أوقفوا الحرب وأنا أُسلم نفسي لكم بضمن شروط، وينسحب من المعركة، راجيا أن تحدث أمور أخرى فيما بعد.

وأنا أؤمن أن هؤلاء لم يخونوا أمتهم في هذا الباب.

جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

دليل المسلم الحزين

للأستاذ حسين أحمد أمين

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الرابع والأربعون

تاريخ المناقشة: ٢٤ أيلول ٢٠١٦.

إنَّ الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلّله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمد عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيّبين الطّاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، وجعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين آمين.

أهلا وسهلا بالإخوة الأحبة بعد طول انقطاع، مع كتاب جديد في مشروع الألف كتاب قبل الممات، وهذا الكتاب هو الرابع والأربعون من هذا المشروع، والكتاب هو دليل المسلم الحزين لحسين أحمد أمين، والكتاب الذي عندي مطبوع معه كتاب آخر، وهما كتابان قد نشرا على أوقات متفرقة، الكتاب الثاني حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية، والكتابان هما في موضوع واحد، والكتاب الأول وهو دليل المسلم الحزين، يصلح مقدمة للكتاب الآخر، وهو الدعوة إلى تطبيق الشريعة الإسلامية.

هذا الكتاب أيها الإخوة الأحبة، للدخول إليه منافذ عدة، لكن ابتداءً نريد أن نضعه في سياقه التاريخي، ولماذا يكتب هذا الكتاب؟ وما هي منطلقات أصحاب هذه الكتب؟

تعرفون أن موضوع تطبيق الشريعة قد أخذ حيزًا واسعًا في الحقبة الماضية، خاصة في موضوع الاتجاه السياسي، إذا انطلق نحو هذه القضية مسلكان، المسلك الأول هو: مسلك الإسلام السياسي كما يسمونه.

قد نقع نحن في شرَك العبارة العلمانية، يعني مثل كلمة الإسلام السياسي، هذه بلا شك عبارة علمانية، وقد نقع فيها، لسطوتها، ولقوة انتشارها، لأنه في الحقيقة الدعوة إلى الإسلام، ولكن لما يريد الخصوم التفريق بين الأمة فإنهم يرفعون شعارات متعددة من أجل تحقيق هذا الغرض، وهو التفرقة، يعني الذي لا يدعو إلى تحكيم الشريعة فهو كافر، يعني الذي لا يتبنى وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في حياة الأمة، ويرى جواز العمل والتحاكم والدعوة إلى غير الشريعة فهو كافر، ولذلك هي دعوة المسلمين جميعًا، ولكن للأسف هذا الغلط ينتشر حتى يصعب على المرء أن يوصل فكرته إلا من خلال هذا

اللّفظ، وهذه مصيبة وطامة، يعني حاولوا كثيرًا، وإن بقيت في أدراج الخطابات الأكاديمية (الإسلامويون)، تفريقًا عن الإسلاميين، بالرغم أن كلمة الإسلاميين كلمة صحيحة، كما سماهم أبو الحسن الأشعري "مقالات الإسلاميين" يعني كلة صحيحة نسبة للإسلام، وإن كان القرآن (هو سمّاكم المسلمين)، والإسلاماويون يقصد بهم أصحاب الدعوة إلى الإسلام، تفريقًا لهم عن عموم الأمة الذين يتبنّون الإسلام فطرةً دون معرفة دقائقه، ودون الخوض في حروب الإسلام، لا يهتمون أن يخوضوا في حروب الإسلام التي يعيشها الإسلام ضد خصومه والمسلمون ضد خصومهم، فهذه عبارات تنتشر في أيامنا هذه، فمرات المرء يضطر أن يقولها من أجل اقتناص الفكرة بسرعة دون اللف والدوران حولها.

أقول: لما قامت الثورة الخمينية، وما قبلها، كان هناك انفتاح إسلامي بعد أن سيطرت النظم التي تسمى سياسيًا الشمولية، والتي كانت تقصي وتقضي على أي دعوة إسلامية، وبلا شك أنّ الإسلام في دعوته انحسر، إلا من مشايخ وعلماء هنا وهناك، ولكن الفكرة القطرية والقومية واليسارية سيطرت على عموم الأمة، فلمّا بدأت الدعوة إلى تطبيق الشريعة، ضمن ظروف قدرية بلا شك لا نريد لن نخوض فيها، حتى الأستاذ محمد قطب يعترف بهذا، يقول إنّ السادات قوّى التيار الإسلامي، توافقه أو تخالفه لا يعنيني، وهذا بالنسبة لي لا يهمّني، هذه دعوة يسارية قبيحة وحقيرة، هم يريدون السلطة ليقضوا على المسلمين، ولما يأتي آحاد الناس، كائنًا من كان، فيسمح للناس أن يصلوا، فيعتبرون أنّ هذا من معادلة الاتفاق بين الإسلام والدكتاتورية، أو بين الإسلام والظلاميّة، ومع أنّهم هم أكبر الناس ظلمًا وأكثر الناس دكتاتورية، لا يوجد في تاريخ الأمة المعاصر أكثر دكتاتورية من اليساريين، لما حكموا ذبحوا المسلمين وملؤوا بهم السجون، وقضوا على أي بادرة إسلامية، فأنا لا يهمني أن أقع أسيرًا لقضية أنّ السادات فتح للإسلاميين الباب، شكرًا، لماذا؟ لا يعنيني.. هو يريد أن يستغلهم من أجل القضاء على اليساريين؟ وليكن، أنا لا يهمني، القضاء على اليسار هو جزء من معركتي الإسلامية، كما أنها جزء من القضاء على العلمانية بكل أطيافها، الرأسمالية وغيرها. يعني هناك تشنج واضح عند المسلمين ينبغي أن يخرجوا منه، وهو ضربنا بقذيفة العمالة عندما يأتي الإسلام ويستغل ظرفًا من قاعدة التدافع الوجودي. يعني الآن من الذي صنع المجاهدين؟ قال أمريكا صنعتهم، والكل يطبل بهذا، وأصبحت كأنّها الحقيقة في

داخل الإعلام، لماذا؟ قال الذي صنع المجاهدين هي أمريكا خلال حقبة الحرب الأفغانية، وهذا غير صحيح وهذا كذب، ولكن لا يهمني، حتى لو كان كذلك، لماذا؟ الإسلام هو الحق، ولا يوجد في الدنيا إلّا قاعدة السننية، يعني لا يمكن لك أن تكون وقد أطبق الوجود على قتلك، إذا أغلق الناس شيئًا من الأبواب فُتِحت من أبواب أخرى، وإلا لقضي على الإسلام، وإن كانت المرة الوحيدة في تاريخ الإسلام الذي رأيت أنّ الإسلام أغلقت عليه جميع المنافذ هي فترة بعد ضرب أمريكا لأفغانستان، في الحقيقة: التيار الجهادي لأول مرة في تاريخ الإسلام، يعاني طائفة من أهل الإسلام من ألا يقبلهم أحد، وأن يطاردهم كل أحد، وأن يحاول استئصالهم والتقرب بدمائهم لأمريكا، كل أحد حتى الشعوب وحتى الناس وحتى الجماعات الإسلامية، يعني هذا ظرف أنا لا أعرف في التاريخ أنه قد حدث، ومع ذلك فإنّ الله عز وجل أوجد من الفجوات وأوجد من التيسيرات التي هي من المآل ما نعجب منها وما نستغرب منها.

القصد: لا ينبغي أن نقع تحت إسار القذيفة الدعائية من خصومنا، أننا صناعة الغرب وأنه يلعب بنا، هذا كله أكاذيب وهذا غير صحيح، لا وجود في هذه الحياة إلا لنظام التدافع، والله عز وجل لا يوقع شيئا في هذا الوجود إلا على قواعد السنن، وفي حديث أسامة في صحيح البخاري، حديث حجة النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (**فإذا وجد فجوة نصّ**) يعني أطلق لها العنان لتمشي، هذه قاعدتنا، هذه قاعدة الدين، هذه قاعدة الحياة، علينا أن نفهمها... وأنت هكذا، فإذا وجدت فرجة ليفتح لك الباب كائن من كان، افعل، ولا تخف، ولا تقل: أنا سأتهم بالعمالة! وماذا سيقولون؟

موسى عليه السلام، هذا نموذج رباني، تربى في قصر فرعون، هذا من أجل الدلالة لنا: حيث وجدت سبيلًا لحياتك ولدعوتك، وسبيلًا للخير، فلا تتوقف، لأنّ خصمك لن يرحمك، سواء كنت قويًا أم كنت ضعيفًا، وهو لن يرضى إلا أن تموت، بل لا يرضى إلا أن تموت في سبيله.

الروس يتهمون أمريكا أنها تقوم بحماية الجماعات الإسلامية، والأمريكان وعملاؤهم يتهمون الجماعات الإسلامية أنّها تعمل خادمة لروسيا.. وهكذا، أنت عليك أن تفهم أنّ لك دعوة، وحيث

وجد سبيل لهذه الدعوة عليك أن تمشي بها. هذه مهمة جدًا في هذا الباب، وعلينا أن نربيَّ أنفسنا، وأن لا نخضع لدعاية الخصم، وأن لا نرسم خططنا من خلال دعوته ومن خلال قذفه وقصفه لعقولنا بالدعاية، وإلا سنبقى نساق كما يسوق الكلب القطيع -هل رأيتم كلاب الغنم؟ خاصة في ايرلندا، يمشي هذا الكلب وراء الغنم، فكلمّا أرادت أن تخرج عن الجهة ردها حتى يدخلها في الباب الذي يريده، فإذا دخلت جاء الراعي وأقفل البوابة على هذا الغنم.. هكذا يريدون منا، أن يدفعوا من هنا ومن هنا حتى تدخل أنت الباب الذي يريدونه لك، ولكن لا تفعل هذا، أنت ابحث عن مصلحة الإسلام واعمل لها

القصد: لما قامت الدعوة إلى تطبيق الشريعة من خلال تيار الإسلام السياسي، من خلال الجماعات التي تدعو إليه وتقوم بتجييش وتجنيد الأمة له، حتى صارت قضية إسلامية، وصارت قضية شعبية. والناس ينتبهون لموضوع وجود الشريعة كحكم، بل المشايخ لا ينتبهون له. يعني في موضوع البرلمان، الشيخ أحمد شاكر أراد أن يدخل البرلمان ورشح نفسه، فلان من المشايخ دخل البرلمان ورشح نفسه، لماذا؟ لأنهم لا يعرفون هذا، يعني موضوع تطبيق الشريعة لا يلتفتون له، والمشايخ أيدوا ثورات لا يوجد فيها إسلام وهم لا يعرفون أركان هذه الثورات ولا مقاصد رجالها، فوقعوا في الفخ.

وبالتالي الدعوة إلى تطبيق الشريعة ليس مطلبًا جماهيرًا، يعني انظروا إلى الشعوب لما تقوم انتخابات، كم نسبة الذين يطالبون بتطبيق الشريعة؟! هي ليست قضية عقائدية عند المسلم، هي جزء من إسلامه ولكن لم يفهمها على وجهها الصحيح.. يجب أن لا يغرنا الكثير من الحالة الذاتية التي نعيشها، نحن من كثرة ما نردد أشياء نظن أنّها قد انتشرت في الناس، لا، الآن قضية تحكيم الشريعة للأسف يدور حولها الكثير من الخصومة واللغط، والكثير من الخطأ في أذهان المسلمين والعامة، وبالتالي يجب أن تبقى هذه الدعوة.

ونحن نرى للأسف أنّه لما سقطت بعض الأنظمة الطاغوتية، وقامت بعض الجماعات لتحكيم الشريعة، وجدنا حربًا شرسة ضدها، سواء كانت دعائية، سواء كانت سياسية، سواء كانت عسكرية،

وهذا موجود، رأيتم لما الإخوان المسلمون أرادوا حكم مصر، كيف قامت الدنيا ولم تقعد، ومن كل الجهات، حتى من الدول التي تزعم الانتساب إلى الإسلام.

وبالتالي هذه القضيّة أخذت هذا المسار.

أتكلم عن بيئة هذا الكتاب:

الظرف الثاني هي ظرف الجماعات المسلحة التي قامت، وهذا الكتاب ألّف لما قامت –وقبل قضية الجماعة الإسلامية في مصر، وقضايا جماعة الجهاد التي قبض عليها تحت هذه الدعوة، وهي مناكفة ومقاتلة الحكومة من أجل قضية الشريعة– وافق خروج هذا الكتاب ما حصل في الجزائر من انتصار جبهة الإنقاذ، ثمّ ضرب جبهة الإنقاذ وتحولها إلى العمل العسكري في الجبال وما تبع ذلك من أحول وأحداث.

الكتاب يبحث ضمن هذه التاريخية، هذه التاريخية، وهي تاريخية ارتفاع صدى الدعوة إلى الشريعة، والجماعات الجماعات السياسية التي تدعو استطاعت أن تحقق مكاسب، وهذا هو رهان هذه الجماعات، أنّه لو فتح بيننا وبين الناس من أجل أن نقنعهم وأن نكشف لهم طبيعة ما ندعو إليه، لكانت الأغلبية معنا، ولكنّها كما ترون أنّها أغلبية مسكينة يمكن حرفها.

وأنا دائمًا أقول هذه الكلمة، وأرجو أن تفهم: الفطرة حق، ولكنّها لا تقوى على مدافعة الباطل، النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه**) إذًا هي ليست قادرة على دفع الخصم، الفطرة حق لكنّها لا تقدر على دفع الباطل، وهذا هو شأن الناس، نحن نقول المسلمون على فطرة الإسلام، لكنّهم لا يقدرون بهذه الفطرة التي يحملونها على محاربة الباطل، ولا يقدرون على كشف أخطائه، فيمكن للبيئة التي يعيشون فيها، من خلال السلطان، من خلال دعاة الفتنة، من خلال الإعلام، من خلال الرغبات، وإدخالهم في الأعمال دون أن يدروا ما وجه هذه الأعمال؟ وفي المؤسسات ولا يدرون وجه هذه المؤسسات، (**يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**).

الفطرة ليست علمًا، الفطرة هي استواء الشيء على ما هو عليه، والتغير هو الشيء الطارئ، فاستواء الشيء على ما هو عليه لا يقدر على الدفع، الدفع لا بدَّ له من صلابة ومن بناء ومن علم، والفطرة ليست كذلك، وهكذا هو شأن الناس، ولكن أقول المسلمون على الفطرة.

ولا تستمعوا إلى قول: دين العجائز، إنّما قيل (دين العجائز) مقابل أهل الكلام، وحكم أهل الكلام كما قال الشافعي أن يضربوا بالجريد، الفطرة تحتاج إلى دليل فطري وتحتاج إلى دليل علمي يوافقها، والكلام لا يتوافق معها لا لفظًا ولا معنى. فلذلك الناس يحتاجون إلى العلم من أجل أن يردوا عادية الخصوم، كما أنت الآن: استواء فطرتك لا تكفي لرد سلاح الخصم عندما يقاتلك، لابد أن تحمل سلاحًا لتقاتله، وإلّا بفطرتك لا تقدر على قتال من حمل السلاح ضدك فلا بد أن تحمل السلاح معك، وهذا السلاح هو العلم، العلم الذي جاء به الكتاب والسنة، ولو كانت الفطرة كافية لما احتاج الناس إلى الكتاب والسنة.

فهذا الكتاب وضع ضمن هذا الإطار.

في هذه الأجواء خافت العلمانية على نفسها، وكادت تسقط في مواطن، يعني في قضية جبهة الإنقاذ في الجزائر، والجزائر مركز من مراكز القوة لوجودها –لاتصالها بفرنسا، يعني ما زال الفرنسيون يرون أنّ الجزائر هي فرنسا الجنوب، وكما يرى الفرنسيون أنّ لبنان لهم وهكذا، فالتوزيع النفسي لا زال حاضرًا– فلمّا قويت الدعوة للشريعة وقامت الأحزاب وبدأت تقوى ضمن ظروف.. ما وضع من قوانين ليست المسلمين.

تحضرني هنا قضية مهمة جدًا، وهذه تجربة عشتها: لما ذهبت إلى الغرب، الغرب كان قد وضع قوانين ليست لنا، يعني قضية اللجوء السياسي، قضية حرية الكلمة.. هذه ليست لنا، هي وضعت لهم، أو من أجل اليهود، خلال الحرب الباردة، لإمكانية استيعاب (المرتدين) كما يسميهم الشيوعيون، يعني الذين يهربون من أوربا الشرقية ويأتون إليهم، فيأخذونهم ويربّونهم عندهم في الغرب، فهذه فتحت لهم، فجاء المسلمون واستغلوها، فلمّا وجدوا أنّ هذا الباب قد استغلّ لغير ما وضع له انقلبوا عليه، كقريش عبدة

التمر؛ صنع من التمر إلها فلمّا جاع، أكله، فهم أكلة الآلهة. فلذلك انقلبوا، لما جاء المسلمون تغيرت قوانين اللعبة وتغير كل شيء.

ومرات فتحت ضمن ظروف معينة، يعني عندنا في الأردن فتحت نافذة الديموقراطية لما صارت ثورة الخبز في معان، تحت ضغوط معينة، وفي مصر نفس الشيء، وفي الجزائر: لما خربت الجزائر، البلد النفطي العظيم الذي يمكن له أن يقوم برعاية المغرب الإسلامي كله من جهة المال، فإذا هو مكشوف بالديون، فمن أجل أن يحملوا الشعوب النتائج قال افتحوا الديموقراطية.

قرأت مرة أنّ الشيخ الشعراوي وضع -هذه قضية ينبغي أن ينتبه لها المشايخ والناس- الشيخ الشعراوي عين مرة وزير أوقاف، فمسحوا به الأرض، دعكم من ألفاظه وكلامه، فمن ذلك أنّه ثبت أنّه كان في وزارة الأوقاف المصرية سرقات بملايين ملايين الجنيهات المصرية، القاهرة أغلبها أوقاف، وفي الأوقاف تجد المحل الذي ينبغي أن يكون آجاره ألف جنيه يستأجر بجنيه، فلمّا أرادوا أن يمسحوا هذه الأوساخ أتوا بالشيخ الشعراوي، يعني يأتون بمن يمسح وراءهم.

القصد فتحوا الديموقراطية، فإذا هي قد انقلبت عليهم، ومما جعل الغرب يتراجع عن دعم الدعوى الديموقراطية، وهذه صرح بها بوش وحزبه، ولو رصدتم هذه في الصحافة الغربية وفي خطابات السياسيين في زمن سيطرة بوش، قال: العرب والشرق الأوسط لا ينفعهم الديموقراطية، وإنّما الليبرالية، ولما سئلوا عن هذا الفرق، قال: لا ينبغي أن نفتح لهم، لأنّ هؤلاء ما زال حسهم الإسلامي حاضر، فلو فتحنا الديموقراطية، بمعنى أن يختاروا ماذا يريدون، والشعوب تختار من يحكمها، وتراقب حكامها، وتقرر مصيرها كما هي، فإنها ستخسر... هذه الجلسة ربما يظنها البعض دعاية للديموقراطية، لكن في الحقيقة هذه من التجارب التي حصلت وحسموا أمرهم فيها، انتهى هذا الأمر بالنسبة إليهم. طيب ما هي الليبرالية، قال: يجب علينا أن نفرض عليهم الرؤية الغربية، الديموقراطية قد تأتي بالليبرالية وقد تأتي بالإسلامية، لا، يجب علينا أن ندخلهم حشرًا، على طريقة الكلب يدخل القطيع في مسار واحد، وهو أن يتخلوا عن الإسلام، فهذه هي دعوتهم.

القصد لما صارت هذه الدعوة، وانتشرت، وبالفعل وجدوا البلاد التي فتح فيها هذا المجال، وجدوا أنّ الإسلام هو الذي يقفز في الصدارة.

كيفية معالجتها؟ هذا الكتاب جزء من المعالجة.

القضية الثانية بعد هذه الأجواء التي عاشها الناس، لأنها مركبة على طريقة باطلة، بمعنى أنّ هنالك نظاما.. يعني هناك نظام أذن لكم أن تمارسوا الديموقراطية، هو الذي يملك اللعبة، وهو أصابع حركة الخيوط في اللعبة، قال للشعوب: اخترت لكم الديموقراطية. الدخول في الديموقراطية ما زال ضمن لعبة الآخر (القوة)، وبالتالي لما خرجت الديموقراطية عن مسارها، لأنّه من الغباء –هذا خارج سياق الموضوع، لكن لابد أن نقولها، حتى نبيّن ما الذي حدث تحت هذه الفجوة الزمانية التي سُمِح للشعوب أن تذهب فتختار الإسلام، وهم نسوا أنّ الذي أذن ما زال يمسك الرسن، الذي يمسك الحبل ويستطيع أن يعيده، وبالتالي لما خرج اللاعب عن مدار اللعبة، ولو قليلًا، حضر هذا السيد، من هو السيد؟ هو الجيش، السيد هو صاحب القوة الفاعلة الحقيقية، كما في مصر، كما في الجزائر، وفي كل بلد هكذا، هؤلاء بيدهم اللعبة، وربمّا يضحون ببعض رجالاتهم على أن تبقى اللعبة في مسارها الذي رسم لها، فالديموقراطية في الحقيقة على هذه القاعدة.

ومن هنا دائمًا أقول: الذين يذهبون إلى البرلمان فيقولون نريد الإسلام، فإذا قبل الإسلام، فالبرلمان لم يقبل على أنّه حكم إسلامي، قبل على أنه حكم السيادة الذي أطلقت له هذا الحق، يعني لم تصبح السيادة الحقيقية لله، إلّا عندما تقضي على هذا اللاعب وتقص أصابعه وتزيله من مدار السيطرة، حينئذ نقبل أنّ الأمة قد اختارت.. وما زالت الأمة لم تختار.

للأسف الإسلاميون –وما زلت أستخدم هذه العبارة– عندما يذهبون إلى المعركة يذهبون بالحياء، والخصم لا يذهب بالحياء. يعني هل استحيي الجيش أو دوائر الأمن، أو حتى المناصرين من العرب ومن الغرب، هل استحوا من قضية الانقلاب على مرسي؟ يعني قالوا لا، لا يصح أن ندمّر الديموقراطية، لا لا، لما تكون المواجهة يكون الدم.

هذه قضايا مهمة جدًا، ويعني ليست بعيدة عن ما نحن فيه.

فهذا الأمر، ثمّ ما وافقه من قضية ظهور الجماعات الجهادية التي أعقبت سقوط الديموقراطية من جهة، وبنيت ضمن إطار زمني ما، كما تكونت جماعة الجهاد بعد إعدام سيد قطب، كما هو معروف من تاريخها، ثمّ بعد ذلك ظهرت على الساحة بعد مقتل السادات، بعد الثورة الخمينية.. قبل الانقلاب على الديموقراطية وجبهة الإنقاذ في الجزائر، كان هناك أعمال جهادية، ثمّ اتسعت بعد انتخابات الجزائر، فضمن هذه الأجواء كان لا بد من مصادمة الدعوة إلى الشريعة، فإن ترك الأمر للسياسي والعسكري غير كافٍ، ولابد أن يقوم بها رجال تشربوا الفكرة الغربية، ليس بشرط العمالة، ولكن لأنّهم انمسخت فطرتهم.

ومن هؤلاء جماعة قد اشتهروا بهذا، وحسين أحمد أمين لم يكن من كبارهم المحترمين، يعني الذي تولى كبر الدعوة، وضد الدعوة إلى الشريعة وصدرته وسائل الإعلام، وبدا منافحًا قويًا، لكنّه شعبويًا هو فرج فودة، الذي قتل بعد ذلك، قتلته الجماعة الإسلامية. وكان له صدى أوسع، لماذا؟ لأن فرج فودة إنسان سوقي، ومع وجود أناس يملكون رؤية فلسفية ما، لكن فرج فودة بشعبويته.. يعني لا تستطيع أن تحضر رجلًا علمانيًا مفكرًا يخاطب الجماهير، لا يستطيع، فلابد من إنسان شعبوي يكتب على قاعدة لويس عوض، هؤلاء الذين يستطيعون أن يكتبوا في الجرائد، وإذا خرجوا في المهرجانات يخاطبون الناس، فكان هو الذي تولى كبر هذه القضية شعبويًا، ولكن لابد من إمداد فكري مساير لها، وأعتبر كتاب حسين أحمد أمين ضمن هذا السياق.

إذًا هناك معاندة عسكرية وسياسية تقوم في إطار المحاربة للدعوة لتطبيق الشريعة، وهناك شعبويون عندهم وقاحة ويستهزؤون ويكذبون، ويمارسون ممارسة المسرحيين، يعني كما يستهزئ المسرحي بالشيخ، كما يستهزئ المسرحي بالدين ويستهزئ بالمحجبة، فيقومون على هذا المعنى من إسقاط المعاني القيمية في هذه العبادات وهذه الطاعات، فيقوم بها كما ذكرنا أمثال فرج فودة. وبعد ذلك لابد من إمداد، إذا قرأ الناس، فنقدم لهم غذاء بهذا الباب، وهذا الكتاب ضمن هذا الإطار، أضعه في هذا.

وهذا الكتاب ليس بمستوى ما ينطق به كبار العلمانيين، وليس بمستوى ما ينطق به كبار فلاسفة العلمانية، وليس كذلك بالمقدار الشعبوي الذي يمارسه بعض السوقة في الخطاب.

حسين أحمد أمين هو أحد الأبناء السبعة للكاتب الشهير أحمد أمين، وأحمد أمين هو من مدرسة التغريب، وللذكر أحمد أمين كان قاضيًا شرعيا، وتستطيع أن تعرف أفكاره العلمانية، التي هي فتح، لأنّ العلمانية ليست أن تأتي إلى الدين كله فتهدمه، لا، ربّما أنت تفتح فتحة يسيرة في جدار الدين فيدخل منها الآخر، فهذا إتقان كبير، وأحمد أمين ممن فعل هذا في كتبه: فجر الإسلام، ضحى الإسلام، ظهر الإسلام، إذا قرأتها تجد فيها أنّه يتعامل مع قاعدة الغرب "أن يهدم الإسلام من داخله، ويعرّى الإسلام من خلال تاريخه" وهذه قضية كانت في وقت أحمد أمين ظاهرة وبيّنة عند الأدباء، ولذلك الكتاب القادم الذي سنتحدث عنه هو كتاب حصوننا مهددة من الداخل لمحمد محمد حسين رحمه الله، وهؤلاء كشفوا هذا العبث وهذا الإجرام في تاريخ أمتنا وفي قواعد أمتنا، وتستطيع كذلك أن ترى علمانية أحمد أمين على ما هي عليه في كتاب "زعماء الإصلاح في العصر الحديث"، وهو كتاب ذكر فيه أقوامًا كانت مهمتهم تطويع الإسلام للتغريب، مثل أحمد خان صاحب عليكره –يعني علي كرم الله وجهه– وهذا أراد أن يطوّع الإسلام للغرب، وهذه القضية شرحناها في مذبحة التراث وذكرنا أنّهم لا يصادمون الدين ولكن يريدون أن يجعلوا الدين علمانيًا، فأحمد أمين مدح أمثال أحمد خان، ومدح أقواما كثيرين في هذا الإطار.

وأنا اكتشفت أنّه في كل ثقافة لغوية إسلامية نشأ أناس على هذا المعنى، يعني في الهند أحمد خان مشهور، وكان له وجود قوي، وجامعته من أكبر الجامعات في الهند وصارت تنافس ندوة العلماء وتنافس ديوبند، والبريطانيون دعموها بقوة.

واليوم اكتشفت رجلًا غريبًا، وهو من أصدقاء لينين، مع أنّ لينين أعدمه في النهاية، لكنّه كان يرى تطويع الإسلام للشيوعية، لأنني وأنا أبحث عن رسائل حسين أحمد أمين خارج كتابه، فوجدته يتكلم عن تجربته مع سفير مصر في روسيا، فتحدث عن شخصية غريبة بحثت عنها فلم أجد شيئا، لكن واضح أنّ له التأثير الكبير في داخل المسلمين التتار ومسلمين الجمهوريات، اسمه عبد الرؤوف فطرة، هكذا اسمه

عبد الرؤوف فطرة، وبحثت عنه، وواضح أنّه لم يترجم له ولم يكن له أي وجود في داخل العالم الإسلامي العربي.

كذلك في داخل إيران والشيعة، يوجد مثل هذا الفكر، وهو قضية تطويع الإسلام للتغريب.

فهذا أبوه كان من ضمن هذا السياق، وأحمد أمين كان ضمن مدرسة طه حسين، وصحيح أنه في آخر عمره خاصمه، ولكن الخصومة ليست على المبادئ بينه وبين طه حسين.

فهو كان قاضيًا، ثمّ انتقل مدرسًا إلى كلية الآداب، ثمّ صار عميدًا لها، وهذا ابنه.

أستاذي في الصف الخامس الابتدائي، الأستاذ نايف مسودة رحمه الله، لأنه كنا نُدرس في الإعدادية رسالة لأحمد أمين اسمها إلى ولدي، فيها نصائح، كانت تدرس ضمن القراءة الموازية، فهو الذي قال لي، وما زلت أذكرها، قال: أحمد أمين هو الذي يسمّى مالك الحزين.

وهو رجل دبلوماسي، لا يعرف عنه كبير تأثير في الحياة الثقافية والاجتماعية، لكنّ كتابه أحدث هزة لما صدر، وطبع طبعات كثيرة، والكتاب صدر منذ له ثلاثين سنة تقريبا، ومات حسين أحمد أمين قبل سنتين فقط في ٢٠١٤.

وللذكر: أنا تتبعت، وهذا ليس من الاستقراء الكامل، لا أعرف ملحدًا، على معنى ما يقوم به حسين أحمد أمين وطه حسين وأحمد أمين، وكلّهم من هذا الصنف، لم أجد في موته إلا عبرة، حتى الطواغيت، ترونه كيف يموتون وتتغير أشكالهم، ترون كيف يموتون في المجاري، يعني هذه عبرة.

وحسين أحمد أمين يذكر عنه أخوه، وله أخ مفكر اقتصادي شهير اسمه جلال أمين ونفَسه علماني، يذكر عنه أنه يرفض الذهاب إلى الأطباء، فاضطر في آخر ست سنوات من عمره أن ذهب للطبيب فعالج رجله، فأصيب باكتئاب، اكتئاب عجيب، وهو يتحدث عنه بأدب تشعر بألم، وهذا في الحقيقة من آيات الله في موت هؤلاء، يعني في آخر عمرهم وهم الذين دعوا إلى السعادة.

دليل المسلم الحزين، ما معنى الحزين؟ هو يشرحه في كتابه، وهذه حقيقة، ولكنّها حقيقة دينية على معنى غير ما يريده، يعني (**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ**) الغربة حالة إنسانية يعيش بها العظماء، يعني الغربة لا يُفر منها بل هي حالة لكل إنسان عظيم يعيش غريبًا، حتى في داخل المجتمع المسلم، كل علمائنا عاشوا غرباء، بمستواهم العلمي والعملي والتقوى والصلاح والعلاقة مع الله وأفق البحث عن الطهر والجمال، لما عاشوا مع الناس عاشوا غرباء، وبالتالي أغلبهم انتهى به العمر منفردًا منعزلًا، إما بإجبار وإما باختيار، يعني السيوطي في آخر عمره اعتزل، الإمام مالك في آخر عمره ترك الخروج إلى الجمعة، -كان في الأول قد ترك الخروج إلى صلوات الجماعة، ولكن يخرج للجمعة، ثمّ تركك الخروج إلى شهود الجنازات، ثمّ في آخر عمره ترك الجمعة والجماعة، وكان يسأل لماذا تفعل؟ قال: لكل مسلم عذره، أنا لي عذري، لا تسألوني فلي عذري، أنا فقيه وأعرف كيف أفتي نفسي- وهكذا العلماء في آخر عمرهم، ابن تيمية إجبارًا، الإمام البخاري آخر عمره إجبارًا واختيارًا.. فالعزلة قدر العظماء، ليس فقط في أمتنا، في أي أمة من الأمم، يعني الإنسان يعيش حالة من الرفض لواقعه على معنى من المعاني، عائشة رضي الله عنها تستشهد ببيت لبيد:

ذهب اللذين يعاش في أكنافهم=وبقيت في خلف كجلد الأجرب

هذه عائشة تتحدث عن بيئتها، فكيف من بعدها؟ وكيف من بعده؟ وهكذا، فحالة الغربة هي حالة إنسانية، فتعالج بماذا؟ تعالج بالطاعات، تعالج بالإخبات، تعالج بالعبادة، لكنها لا تعالج بهذا الاكتئاب الذي يعيشونه.

القصد ماذا قال في دليل المسلم الحزين؟ وأنا ذكرت أن والده يسمّى مالك الحزين ومالك الحزين هو الطائر البحري صاحب العنق الطويل. لماذا يسميه دليل المسلم الحزين؟ يقول: المسلم ينبغي أن يعيش فرحًا بأنّه هدي إلى أعظم الأديان، وأنّه في نهاية الأمر سيذهب إلى الجنة، وأنّ خصوم هذا الدين مهزومون، فهذه تؤدي إلى السعادة، قال: ولكنّ الواقع ليس إسلاميًا، وبالتالي يعيش المسلم مضطربًا بين أمله في قلبه ومشاعره، وبين واقعه، فهذا يسبب له الحزن. فالمسلم الحزين هو: من يعيش اضطرابًا بين

مُثُله وواقعه، هذا هو المسلم الحزين، ودليل المسلم الحزين ماذا يريد؟ يريد أن يفك الاشتباك، يقول: أنت حين تعيش واقعك كما هو وتنسجم معه، لم تخرج من الإسلام بل هذا هو الإسلام.

إذًا ما مشروع حسين أحمد أمين؟ هو أن يسلخ المسلم من قيمه المُثُلِيّة العظيمة التي يريد أن يحياها. يعني المسلم امرأته محجبة -إما أن تغطي وجهها أو لا تغطي وجهها- فهي تعيش سعادة، لكن لما تخرج -هو يتصور هذا، وهذا من الجهل، ونحن لا نجد متدينًا يتألم تألم الرافض، يتألم تألم الواقع، ولكنّه مع ذلك الله يعطيه من الأمل في قلبه والاطمئنان **(ولنحيينّه حياة طيبة)** يعطيه ما يشعر به، فإذا تخلى عن هذا شعر بالألم الذي هو ألم الذلة، ألم الصغار، ألم الاحتقار لنفسه.. يعني: المسلم يعيش لدينه، فإذا تعب من الخارج آب إلى دينه فصلّى، فانفرجت نفسه ونام هنيئًا مطمئنًا أنه على خير، صحيح هو يعيش ألم الواقع لكنه كذلك يعيش طمأنينة الإيمان ويعيش كذلك طمأنينة الآخرة على قدر ما.

من هو الحزين الحقيقي؟ الحزين الحقيقي هو من يعرف أنّ الدين حق، فذلّ وخضع للواقع، فهو يحتقر نفسه. ومن هنا أبو الحسن الندوي لما ألف رسالته الصغيرة "ردة ولا أبو بكر لها" قال: لأن المرتد يشعر أنه حقير يتألم من أنّ غيره لم يصل إلى سقوطه وحقارته، فيغضب عليه ويريد أن ينتقم منه.. يريد أن ينتقم منه، يقول: كيف أنا سقطت؟ بعت زوجتي، بعت ابنتي، بعت مبادئي من أجل الوظيفة، من أجل السكوت، وهذ الشاب الصغير يثبت أمام دينه!! فيشتد حقده، وغضبه، فينتقم منه.

فإذًا من هو الحزين؟ هو الذي في آخر عمره نراه... لما تقرأون كتاب "حياتي في الإدارة" لغازي القصيبي، كتاب جيد اقرؤه، غازي القصيبي عاش هذه التجربة، بقول: سافرت مع الملك فيصل لما أنشئت سكة الحديد -كانوا يريدون إنشاء سكة حديد لشركة سابك، أظن- فقال: ركبت معه في القطار ساعات طويلة. قال: لم يتكلم معنا في الرحلة كلمة واحدة، كان يعيش اكتئابًا عظيمًا.

في آخر حياتهم كلهم يعيشون هذا، طبعًا في عالمنا ربما يصارعون الموت ولا يريدونه، لكن الغرب يستعجلونه فينتحرون، يشربون المخدرات وينتحرون ويرحلون عن هذه الحياة، لا يجدون منفذًا لها سوى الهروب منها، لأنهم لا يخافون الآخرة، أما عندنا يخافون **(يتمنى أن يعيش ألف سنة وما هو بمزحزحه**

من العذاب أن يعمّر).

حسين أحمد أمين طوف في الحياة، وهذا الكتاب يدل على ثقافة عجيبة، مع أن اللغة ليست راقية على مستوى الأدباء، لكن الأمثلة التي يضربها تدل على اطّلاعه، وقد كشف أصدقاؤه وأخوه جلال أمين، وكذلك كتبه شاهدة عليه، وهو في بعض حواراته يصرح أنّه كان يتقن خمس لغات إتقانًا تاماً، ويذكر عنه ناقد أدبي مشهور أنه إذا زاره في بيته يسأله عن القراءة الأدبية في كتب الأعيان: هل قرأت نيتشه؟ يقول: نعم، فيقول: بأي لغة قرأته، بالألمانية؟ يقول: لا، بالعربية، فيقول: لم تقرأه. هل قرأت ديستويفسكي؟ فيقول له: نعم، فيقول: قرأته بالعربية أم بالروسية؟ فيقول: أنا لا أتقن الروسية، فيقول: إذًا لم تقرأه.. فكان يقرأ الثقافات ومطلع على الثقافات، وكتابه حين التمثيل وحين يضع الشعار يدل على اتساع هذه الثقافة لديه، وهذا مما يشهد له في الكتاب.

ما الذي أراده في هذا الكتاب، على هذا الوجه الذي نحن فيه؟ هو رأى أنّ المسلم يجب أن يفك الاشتباك بينه وبين الواقع عن طريق الإيمان بأنّ الواقع هو الحق، وأنّ الواقع هو الذي يجب أن تنسجم معه، وأن ما حملته من دين إنّما هو إرث تاريخي، (الدين هو إرث تاريخي ليس من الله، وليس من الرسول، وإنّما هو وضع بشري في كله) بل وصل به جنونه أنّ يعتقد قضية اعتقاد الإله هي قضية منتجة اجتماعيًا.

بعض المنتقدين ينسبونه للمدرسة الماركسية، فيمكن أن تصدقهم في مثل هذه العبارات، مثلًا عندما يجعل الإله هو إنتاج اجتماعي، هذه العبارة يسارية، "إنّ الإله منتج اجتماعي ومنتج إنساني" هذه عبارة ماركسية، لكنّه في كتابه هذا ضد الشيوعية وضد الماركسية، فوضعه ضمن الإطار الماركسي صعب، وهذا يدل على أن المهم لديه هو أن ينسلخ المرء من دينه وأن يعيش الحضارة الغربية كما هي، حتى في قضية اعتقادهم من هو الإله وما هو حقه علينا ولماذا خلقنا؟ فهي قضية ينبغي أن لا تشغلك وينبغي أن لا تهتم لها.

يقول بعد ذلك في كتابه تطبيق الشريعة الإسلامية: إنّ هذه الأحكام الشرعية كلها محكومة بالإطار

الزمني، ولذلك يجعل القرآن والسنة هو إطار تاريخي، أو ما أسميه تاريخانية الإسلام، بمعنى أنّ ما أنتجه الإسلام من قيم، من أحكام، من مبادئ، من تصورات، لم ينتجها الكتاب والسنة، إنّما أنتجتها الوقائع التي عاشها المسلمون وأسبغوا هذه المفاهيم على القرآن والسنة، فماذا بقي من القرآن؟ حينئذ الباب مفتوح التأويلات والتفسيرات والردود، حتى يصل به الأمر أن يقول: بأنّ حد الحرابة، مع أنّه في القرآن، حد وضع في إطار زمني ما وفي وقت تاريخي محدد، وهو أنّ العرب كان يقتل بعضهم بعضاً ولا ينتشر الأمان في الطرقات، والآن هذا غير موجود. وحتى الوضوء، كان الناس لا يغتسلون فكان الشرع يحضهم على الوضوء من أجل أن ينظفوا أنفسهم.... وهكذا تؤول الأحكام ضمن هذا السياق لتسقط الشريعة، والدعوة إلى تطبيق الشريعة هي دعوة باطلة لا ينبغي أن تشغلك ولا ينبغي أن تصنع منك غريبًا.

وبالتالي هذا الكتاب في هذا الإطار، هو كتاب ليس معالجة فكرية دقيقة لقضايا الإسلام، إنّما هو معالجة نفسية.

وأنا طالب في الجامعة أخذت مادة الفلسفة من دكتور اسمه أحمد ماضي، كان دارسًا في الاتحاد السوفيتي قبل سقوطه، وكان هناك حوار فقال....

تعرفون خالد محمد خالد صاحب كتاب رجال حول الرسول؟ هذا رجل كان خريج الأزهر، لكنّه دخل ضمن الشر في "أنّه لا يوجد دولة إسلامية، إنّما الدولة الإسلامية إنتاج بشري أنتجها أبو بكر، وليست في القرآن ولا في السنة" وهذه دعوة عبد الرازق في كتابه عن الحكومة الإسلامية، فألف كتاب "من هنا نبدأ"، ورد عليه الشيخ محمد الغزالي رحمه الله في كتاب "من هنا نفهم" ومحمد الغزالي له جهود في الوقوف ضد هؤلاء من أروع ما يكون.

للذكر: ينبغي أن نضع للرجل شخصيتين، أي رجل، وفي الحقيقة أكثر من شخصية، لكن ما يهمني هاتين الشخصيتين، الأولى شخصية المدافع عن الإسلام، والشخصية الثانية ما هو الإسلام عند الرجل؟ لأنّ هذه من النقاط التي أعلق عليها في حسين أحمد أمين، حسين أحمد أمين لما يتكلم مع المستشرقين

في سبهم على الإسلام يقف مدافعًا عن الإسلام، لكن لما يتكلم ما هو الإسلام فإذا هو أسوأ من المستشرقين، يعني لما تراه يتكلم مع المستشرقين في كيفية فهمهم الإسلام، يقول: كذابون، الإسلام عظيم، طيب ما هو الإسلام العظيم؟ إذا ناقشته فإذا هو يطبّق ما يريده المستشرقون من تدمير الإسلام من داخله، أو ما شابه ذلك.

لماذا ذكرت هذه؟ لأنّه عندما نتكلم عن الشيخ محمد الغزالي نقول: إنّ الشيخ محمد الغزالي في عن دفاعه عن الإسلام أمام أعدائه من أشرس ما يكون، لكن هذا لا يعطيه صلاحية أنّ ما يقوله عن الإسلام هو حق.

وبلا شك ليس المثال كالمثال، نعوذ بالله أن يكون محمد الغزالي كحسين أحمد أمين، ولا يقاربه، هذا شيخ إمام ، دينه عظيم، ويدافع عن الدين وعن تطبيق الشريعة، ولكن له آراؤه الخاصة أظهرها في كتابه "السيرة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث".

نرجع للقضية: خالد محمد خالد –هذه ذكرتها لأبين كيف يتغير الناس في آخر عمرهم، بسبب سطوة البيئة التي عاشوها– في بداية أمره كتب "من هنا نبدأ" والكتاب عندي، وهو من الكتب التي اشتريتها في بداية أمري، دعا فيه إلى عدم اعتبار وجود دولة إسلامية، ثمّ تراجع وألّف كتبًا منها "رجال حول الرسول"، يعني اعتبرت اعتذارًا، ولكنّه لم يصل إلى ما نحب من التوبة ولكنّه المهم خرج من إطار هذه الردّة وهذا الكفر الذي يقوله خصوم الإسلام بأنّ الإسلام ليس دولة وإنّما هو مسألة بين العبد وربّه.

فقال الدكتور أحمد ماضي: خالد محمد خالد يقول هذا، فقلت له: خالد محمد خالد تاب وتراجع، –وهذا وأنا في العشرين– فقال: هذا هو شأنهم. ولما بدأ يفسّر المعنى، وهذه من الأمور الجديدة التي كانت تطرق ذهني من قبل هؤلاء، قال: اسمع، كل الذين ينشؤون في البيئة الإسلامية ينشؤون شبابًا يتكلمون بأفكار حرة ومستقلة، فإذا جاء الموت خافوا فتابوا..... في بداية الشباب يكون ثوريًا، وفي آخر عمره، إلا ممن ذكرنا يصبح لديه حالات اكتئاب، وربمّا الاكتئاب سببه أنّه يكون شجاعًا شيطانيًا،

يعني لا يتوب، تقول له: تب، يقول: الآن!! مثل أبو طالب "حتى تعيّرني نساء قريش أنّي قد أسلمت".

النقطة الثانية، بعد أن بيّنا أن هذا الكتاب هو معالجة نفسية أن اخرج من حزنك إلى سعادتك ولا تبقى أسيرًا لمثل الإسلام التي ربيت عليها، وقيم الإسلام، وأحكام الإسلام.

النقطة الثانية: مع أنّ واقع حسين أحمد أمين، وهو يتكلم عن معاندة الشريعة، وهنا نقطة مهمة في قراءتنا أمثال هؤلاء، علينا أن نراعيها لأن غير المتخصص يقع في إسارها، وهي أنّ هؤلاء لما يتكلمون في قضايا تخص الدين يتكلمون عن مبادئ صحيحة، لكن حين يطبقونها يخرجون من هذا الإطار، كيف؟ يعني عندما يبدأ الرجل ليسقط السنة، يتحدث في الابتداء حديثًا صحيحًا، وهو وجود أحاديث موضوعة، يبدأ بهذه النقطة، ويحضر لك كلام الأئمة هذا فيه كذب، وهذا فيه أكاذيب، وصحيح مسلم مختلف فيه، ويقدم لك مقدمة عند غير المتخصص تصنع فكرة محضرة لإبطال ما بعدها. يعني يقفز من هذه المقدمة الموجودة علميًا، إلى نقطة قادمة هي التي يريدها، والمقدمة الأولى موجودة لكنّ استخدامها باطل، وهذا شيء ينبغي أن ننتبه له.

وأنا لما قرأت تعليقات بعض الناس عليه، وجدت أنّ كثيرًا ممن يسمّى بالمفكرين، يعني كتّاب قصص، وبعض دكاترة الجامعات، تأثروا بهذا الكتاب، وبعضهم اعتبر أنّ قراءة هذا الكتاب شكّل لديه محورًا تغير منه نظرته للدين، والسبب أنّك لما تقرأ هذا الكتاب تجده قد اعتمد على مقدمة صحيحة، لما يبدأ في نقض الحديث يبدأ بمقدمات صحيحة في وجود الحديث الموضوع والمكذوب، لما يبدأ في قضية الصوفية –وهنا يأتي الباطل، وهو أنه يخلط مرات بين واقع المسلمين وبين حقيقة الإسلام–، لما يأتي ليناقش الصوفية.. لو أنّك أردت تدينًا مصريًا، فهو لا يكشف لك إلا صورًا مظلمة، وهي الصوفية داخل المجتمع المصري، هل تريد أن تكون متدين مثل هؤلاء؟ تذهب إلى القبور وتعبد الست زينب وتلتجئ وتذبح ووو.

فهذه مقدمات صحيحة بالنسبة لديننا، لكنّها عند الآخر لا تقدم له إلّا هذا الإسلام، لا تقدم له إلا هذه الصورة. فبالتالي ما قدمه هنا في "دليل المسلم الحزين" من أحوال تاريخية لقضايا الفقه، لقضايا

الحديث، لقضايا الواقع: الصوفية والعبادات والشركيّات وغيرها.. هذه المقدمات صحيحة، وتقرأها فتستفيد منها، تقرأها فتبين لك أشياء كثيرة، لكن النتائج التي يريدها هي نتائج باطلة، لأن وجود المبطلين في هذا الباب لا يعني أن يبطل الحق، ينبغي أن تعود إلى الحق الذي جاء به الكتاب والسنة.

هو يرى إبطال الحديث بالكلية، يجب الحديث أن ينزع، ولا قيمة له، ولا يملك أي مصداقية، ينبغي أن يزال، والصوفية يجب أن تزال.. إلى آخره، وهذا كله مقدمات إلى أنّ الدعوة إلى تطبيق الشريعة غير عملية، لا تملك رؤية علمية، وأنّها لا تدخلنا في عالم الكبار.

وأنا قلت لكم كلمة، وأكررها، وأختم بهذا الحديث: أنا ما قرأت لأمثال هؤلاء أي كتاب، إلا وجدت –وهذا ذكرتها عن محمد أركون عندما ناقشنا "أين الفكر الإسلامي المعاصر"– أنّ نظرته هي أن تصبح أنت محترمًا عند الغرب، هذه هي العقدة، يعني ليست العقدة أن تصلح الأمة، وليست العقدة أن تخرج من إطار الديكتاتورية وإطار الفساد، ليس هذا هو المهم لديهم، لما تبحث في الكلمات تجد أن هذه العقدة كامنة في نفوسهم، ما هي هذه العقدة؟ هي عقدة الهوان والضعف والمهانة أمام الغربيِّ، عندما يجلس أمام الغربي يشعر بالإهانة لأنه ينتسب لهذه الأمة، وبالتالي يريد أن يخرج من هذه الإهانة بالتخلي عن مقومات الفصل بيننا وبينهم. مقدمات الفصل ما هي؟ أننا نشعر بإسلام عزيز، أننا مسلمون.. فيريد أن يدخل في جعبتهم، وفي دينهم، **(لا تقوم الساعة حتى يلحق فئام من أمتي بالمشركين)**.

أخيرا: في تطبيق الشريعة الإسلامية تحدث كثيرًا عن تجاربه في أمريكا، كان يزور أمريكا ليلقي المحاضرات، وتستطيع أن تعرف البيئة التي عاشها هناك، وكذلك في حوارات صحفية له حول الدعوة إلى تطبيق الشريعة، لأنّ هذا الكتاب هو مجموع من مقالات كتبها، فتستطيع أن تعرف في حواره ماذا يريد أكثر.

بهذا أختم الكلام عن هذا الكتاب، وأسأل الله العظيم أن أكون قد أبلغت في الحديث عنه، وأسأل الله عز وجل أن يرحمنا برحمته.

جزاكم الله خيرا، وبارك الله فيكم.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: ما هو الكتاب القادم؟

الشيخ: الكتاب القادم هو "حصوننا مهددة من الداخل"، وهو كتاب مهم جدًا، وهو ضمن هذا السياق إن شاء الله، وأنا كنت أحب أن أضع كتاب الاتجاهات الوطنية المعاصرة، وهو كتاب من أوائل الكتب التي قرأتها وأنا في الإعدادية، قرأته وأنا في الإعدادية فتمتعت وقرأته الآن فتمتعت، هو كتاب كبير سنعرض ما فيه، لأنّه هذا الكتاب، وهو كتاب حصوننا مهددة من الداخل، هو الآثار، لأنّ كل شيء له ردة، فيؤلف المرء كتابًا ثم يؤلف وراءه كتابا رديفا له، فهو هزة ارتدادية.

كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، للأستاذ محمد محمد حسين، ألّفه لقضية يسيرة، كما اعترف في الكتاب، يعني هذا الكتاب الضخم من جزئين ألفه من أجل قضية يسيرة، وهي قضية أين الدين والوطنية في شعر حافظ إبراهيم وشوقي، ألّفه لهذا فقط، ثمّ بعد ذلك هذا الكتاب فتح فتحًا عظيمًا، وكان مؤثرًا في كثير من المسلمين وتربيتهم، فكان هذا الكتاب.

فالكتاب القادم هو حصوننا مهددة من الداخل، للأستاذ الدكتور محمد محمد حسين رحمة الله عليه، وسنتكلم كذلك عن الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر.

السائل: الآن العلمانيون سواء المكشوفين أو المتسترين، ما هو أعظم شيء هم ينظرون إليه في الإسلام......

الشيخ: لو تصورنا وجود علمانيين غير عملاء، لأنّ الحقيقة الثورات العربية المعاصرة وما نراه الآن، كشف لنا حقيقة، كنّا نقولها ولكن لا يصدقونا، القرآن علمنا إياها لكننا قوم لا نقرأ القرآن ولا نهتدي

بهديه تحت ضغط واقع كذاب. القرآن يكشف لنا أنّه لا ينكر أحد الإيمان إلّا صاحب هوى، لما ذكر المرتدين قال: (**ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**) هذه علة الردة.. يأتي أحدهم ويقول: تحت ضغط الواقع!! يا أخي لا تقزم المسألة وتقول: رجل يريد القروش فقعد مع المخابرات وأعطوه أموال واشتروه، أو أنّه كفر من أجل امرأة يريد أن يتزوجها... يريدون أن يسبغوا على الردة وعلى الكفر مظهرًا عقلانيًا، وهذه مشكلة. الكافر لا يحترم، القرآن أسقط احترامه، لا يوجد كافر محترم، كافر يعني يتبع هواه.. انتهى الموضوع، (إن اللذين كفروا سواء.. ختم الله على قلوبهم) لماذا ختم على قلوبهم؟!! هم الذين ارتضوا الهوى. أصحاب نجران لما جاؤوا للنبي صلى الله عليه وسلم، وقالوا: إنّ سبب النزول هو (**وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا**)، فأحد الأخوين يمشي، وهو الزعيم الأكبر، ويمشي معه أخوه الخادم له، وهم عرب، لكن ذهبوا إلى الروم فتنصّروا، ويحملون الأمر على محمل الجد، والروم يأخذون الدين لهوا ولعبا... فالصغير ضربت رجله بالأرض فوقع، فقال: تعس الأبعد، يعني سب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له الكبير: تعست أنت وأبوك والله إنّه على الحق، فقال: ما الذي يمنعنا أن نتبعه؟ قال: جئنا إلى هؤلاء القوم فسودونا ووو، تريد أن نترك كل هذا لاتباعه؟! فلما نام أخاه تركه ورجع إلى المدينة فأسلم.

فالقضية أن الله قال: (**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا**) لا يوجد إنسان يريد الحق إلا ويصل إليه، خاصة في قضية الإيمان والتوحيد دخول الجنة.. واحد يريد الحق والله يحجبه عن الحق؟!! هذا لا وجود له.

نرجع إلى السؤال عن قضية تصور وجود علماني غير عميل؛ هذا صعب، لكن لنتصور علمانيا لم تفح رائحته النتنة، يعني مثلًا مجلة شعر فضحت، يوسف الخال وأدونيس، اتضح أن البنتاغون يدفعون ثمن المجلة... وهناك كتاب اسمه "من يدفع للزمار؟"، كتاب بريطاني، وأنا تكلمت عنه سابقًا.

والثورات المعاصرة في يومنا هذا كشفت أن كل من يزعم، حتى اليسارية الثورية، كلّهم كذابون، اعطوني واحدا نظيفا، ثبت أن الكل يتبعون من يدفع لهم، وكلهم تحولوا كوضع البندقية من الشمال إلى اليمين، كلهم كانوا يحملون المظلات لما تمطر في موسكو، والآن كلهم يحملون المظلات لما تمطر في

نيويورك، فكلهم عملاء وسخون، كلهم قذرون لا طهر عندهم.

لكن لو تصورنا وجود رجل نظيف، فهذا كيف نفهمه، كيف يمكن التعامل معه؟ فحينئذ يأتي هذا السؤال الذي طرحته.

ولكن:

فليس فيهم فتى مطيع=فلعنة الله على الجميع

لا يتصور، سيدي، وجود علماني نظيف.

السائل: هو ينتقد الإسلام، يقول لك أنا لا أريد ترك الإسلام كله، لكن تسمع منه كلمة تعظيم لله وللرسول، أو....

الشيخ: لو وجد مثل هؤلاء على هذا المعنى، فإنّ تصوراتهم تعود إلى كفرية عظيمة.

نحن قلنا الذي يكفر بالآخرة هو يكفر بالله، ليس الكفر بالله عدم الإيمان بوجوده وإنّما أن تتصور إلها على معنى باطل. يعني جاء واحد إلى هذا الوجود وليس فيه عدالة، يحق للعبد أن يكفر بالله إذا لا يوجد آخرة، ولا يعني أن يكفر بالله أن ينفي وجوده، أن يكفر به: أن يسبه، أن ينفي صفاته وأسمائه الحسنى.. إذا لا يوجد آخرة، يفكر: ينشئ هذا الوجود بكل هذا الظلم ثم لا يوجد قصاص! ولذلك وجود الآخرة مهم جدًا في قضية إثبات عدالة الله.

لما يأتي إنسان وجودي يقول لك: أنا لا يهمني، والوجودية كما يقولون، تقسم إلى قسمين بحسب تقسيماتهم الفلسفية، وليس الإيمانية، هناك وجودية مؤمنة وهناك وجودية كافرة، الوجودية المؤمنة تقول: الله أوجد الخلق ثمّ تركهم، هذا طعامكم وهذا شرابكم وأنا أوجدت لكم هذا النظام فدبروا أموركم بأنفسكم، فهم يؤمنون بوجود الله لكن ينفون حقه في التشريع والأمر والنهي. وهناك وجودية ملحدة. فكثير منهم على هذا المعنى، يقول لك: الله موجود، لكن ما حضور الرب في قلبك في الأمر والنهي؟ لا

تجد شيئا.

وأقول لك كلمة حقيقة في تتبع أمثال هؤلاء، صدقًا، وذكرت هذا في كتاب فن القراءة: أنا أحب قراءة السير، حتى لأفسق الخلق وأكفرهم وأفجرهم، لأني والله ما قرأت سيرة أحد من أعداء الدين إلا ازددت إيمانًا بصدق هذا الدين ووعده، يعني تذهل، وإن لم تكن تخاف الآخرة فخف الدنيا، وحقيقة العقوبة الدنيوية أشد، والناس يظنون فقط العقوبة الأخروية، لا يوجد أحد في الدنيا لا يعاقب في الدنيا، كلهم تظهر عليهم أماراتهم في هذه الدنيا لتكون عبرة، الله عز وجل أحكم وأجل وأعظم من أن يفتن الناس برجل لا يذله في هذه الدنيا بسبب معصيته، وانظر ماذا حدث لهؤلاء العظماء الكبار كيف ذلوا، هذه أكبر آية، في آخر آية أذاقهم ما محى كل ما عاشوه من هناء.

والله لم أجد واحدا من هؤلاء فيه فضيلة في نفسه.. ما معنى هذا؟ أنت تعرف أنّ سيد العرب الماويين ماو، ماذا ظهر بعد موته؟!، كان كل أسبوع تختار له بنت جميلة من الشعب الصيني وتساق إليه كالذبيحة ليزني بها، كل أسبوع يأتون بواحدة ثم يرمونها، هذا الثورجي!!!.

كلّهم سفلة، إذا بحثت في حياتهم، وعندهم انحطاط خلقي في أعراضهم، وأنفسهم، وأموالهم، وسرقتهم، ولصوصيتهم.

هنا واحد خبيث، كاتب صحفي في جريدة الشرك الأوسخ، اسمه خالد القشطيني، وهو عراقي، سافل منحط، من أعدى أعداء الدين، وللأسف مجلة الشرك الأوسخ حاوية لمثل هذه القاذورات، فمرة يكتب عن واحدة عراقية مشهورة في حيه بالفجور والعهر، فيقول: فلانة العاهرة الفاضلة!!.

هذه هي صفتهم، الفاضل فيهم عاهر، الفاضل فيهم يبيع دينه وعرضه. الذي يكفر بالله لا يمكن أن يكون نظيف اليد، ولا نظيف اللسان، ولا نظيف الفرج. ومن هنا لما تقرأ سيرة هؤلاء تذهل، وأنا أدعو إخواني في هذه الجلسة أن يقرؤوا سيرهم.

ما من أحد تصبح له صولة وجولة ومكانة في نفوس الناس، ويكون كافرًا بالله، إلّا ويظهر الله عز

وجل للأمة من قبحه وحقارته ما ينفر الناس منه ويفضحه. انظر!! يمدحون جمال عبد الناصر، انظروا إلى سيرته وسيرة أبنائه وخباثته، ولكنّ الناس لا يقرؤون، اقرؤوا كتاب "باشاوات وسوبر باشاوات" تعرفون من هؤلاء، ولكنهم يظهرون أصحاب فضيلة أمام الناس وتستر عيوبهم، ثمّ الله عز وجل بحكمته وعدله ودفاعه عن الحق يظهر أمثال هؤلاء وسفالتهم، لا تصدق أنهم أهل فضيلة، لا يكونون، لا يكون الكافر أهل فضيلة.

وقد تسوقه فضيلته لبعض الأمور النفسية الشخصية، ولكن تكون مفتوحة من جوانب أخرى، وخاصة الزعماء منهم، مثلا سعد زغلول يذكر في مذكراته أنه شريب خمر من الدرجة الأولى ولاعب قمار من الدرجة الأولى، كثيرًا ما دخلوا عليه بمصائب في وزارته، فيقول لهم: اخرجوا أريد أن أكمل اللعب، يطردهم لانشغاله بالقمار.

السائل: شيخ هؤلاء الذين نتكلم عنهم هم الآن تقريبا عامة الموظفين العاملين في المجتمع، كوزراء، وأمناء عامّين وما شابه.

الشيخ: هذا حق، يعني الله عز وجل يظهر مرات النماذج، ومن يظهر كثيرًا يفضحه الله.

نسأل الله العفو، والعافية، وأستغفر الله لي ولكم، وجزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم.

وأنا فقط أقول: الكتاب يحتاج إلى أكثر من هذا، لأنه في الحقيقة نموذج من جهة شخصية صاحبه، ومن جهة طرحه، ومن جهة موضوعه وحالته التاريخية، لكن إن شاء الله نكون قد وفينا الكلام عليه بما ينفع.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، نستغفرك ونتوب إليك.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

حصوننا مهددة من داخلها

للأستاذ محمد محمد حسين رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الخامس والأربعون

تاريخ المناقشة: ١ تشرين الأول ٢٠١٦.

إنَّ الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلّله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمد عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيّبين الطّاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان، وهدى، وتقى إلى يوم الدين، وجعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين آمين.

أيها الإخوة الأحبة، أهلا وسهلا بكم في اللقاء الخامس والأربعين من مشروع ألف كتاب قبل الممات، وهذا اليوم لقاؤنا مع كتاب الدكتور محمد محمد حسين (حصوننا مهددة من داخلها).

أفتتح هذا اللقاء بمقولة اشتهرت عن الشيخ محمد أنور شاه الكشميري، العالم الحنفي الديوبندي الشهير، رحمة الله عليه، في قولته التي نقلها الشيخ أبو غدة في كتاب له في سمي (الترجمة لستة فقهاء)، وقد ترجم لهذا الرجل، وهو الشيخ أنور الكشميري، يقول: أنا قادر على اختصار وتلخيص كل كتاب فقهي، إلا كتاب الشافعي الأم. يعني يقول: أنا أقدر على أن أختصر كل كتاب من كتب الفقه، وأن ألخص كل كتاب وقع بين يدي.

وهو خبير، وأنا قرأت كتابه "فيض الباري في شرح صحيح البخاري"، والشيخ أنور الكشميري وإن كنّا لسنا بصدد الحديث عنه، إمام متبحر، علامة في المعقول والمنقول، ومنصف لخصومه، إلا ما وقع منه من بعض الألفاظ، خاصة في كلامه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ففيه شيء من الإجحاف وعدم الاطلاع، إلا أنّه من الإنصاف للعلماء بمكان، فمثلا هو ينصف شيخ الإسلام ابن تيمية في بيئة معروفة بالتعصب الحنفي.

وله مقالة في فيض الباري شهيرة جدًا، يقول: أنا أقدر على أن أجزم في المسائل الأصولية، وفي المسائل العقلية، وفي المسائل الحديثية، لكنّي لا أقدر أن أجزم في مسألة من مسائل الفقه؛ وهذا من عقله العجيب.

أعود إلى كلمته المشهورة هذه، وهي: إنّي أقدر أن ألخص كل كتاب من كتب هؤلاء القوم الفقهاء، إلا كتاب الأم للشافعي. وهذه أنا أستعيرها منه اليوم عن هذا الكتاب الصغير في حجمه العظيم في مشروعه، والعظيم في أدلته.

الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله، وقد توفي سنة ١٩٨٢م، هذا الرجل قامة عظيمة، وصاحب مشروع عظيم، ومن الرجال الأفذاذ الذين لا يمكن لرجل يريد أن يقرأ تاريخ هذه الأمة المعاصر، وحركة الاستشراق، وأن يقرأ حركة التغريب، دون أن يعرّج على كتبه وعلى مقالاته. والرجل مقل، ولم يؤلف إلا كتابا واحدا، وبقية كتبه هي مقالات منشورة جمعت في كتب بحسب مواضيعها المتفقة، وهذا الكتاب كذلك، هذا الكتاب "حصوننا مهددة من داخلها" هو مجموعة مقالات كتبها في مجلة الأزهر عندما كان الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله قائما عليها.

وقد تكلمنا عن مجلة الأزهر عندما تكلمنا عن الشيخ مصطفى صبري ورصده لمجلة الأزهر لما كانت تحت رئاسة تحرير محمد فريد وجدي. فمجلة الأزهر تعاقبها رجال، وبعد أن تخلى عنها الأستاذ محب الدين الخطيب ترك الكتابة فيها الأستاذ محمد محمد حسين؛ لأنها عادت إلى شيء مما يكرهه هذا الدكتور العظيم الفاضل.

والكتاب الوحيد الذي ألفه، وكل كتبه مهمة جدا، هو كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، هذا كتاب عظيم في مجلدين، وانتهى به إلى الكتابة عن الجامعة العربية -وتكلم هنا أيضا عن الجامعة العربية وأصل تكوينها، وأنها كونت تحت عين السياسية البريطانية من أجل السيطرة على السياسة العربية، التي صنعت على عين سايكس بيكو- وهذا الكتاب "الاتجاهات الوطنية" كتاب عجيب، وقد قدر لي بفضل الله -لعلها من رعاية الله لي- أن أقرأه وأنا في الثانوية، وكان عجيبا ويخوض في أسماء كبيرة لا أعرفها، ومثل هذه الكتب -أي القراءة في الكتب المتنوعة والغزيرة- إذا بدأ بها المرء لها حسنات وسيئات، لكن من أعظم حسناتها أنها تفتح لك شعب وآفاق البحث. يعني: تطرق سمعك أسماء كبيرة، فتريد أن تعرفها: من هؤلاء؟ ماذا يريدون؟ ماذا يريد من هذه العبارة؟، ولعل هذا مما جعلني أبحث فيما

يريد أن يبينه الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين.

وهذا من القراءة الخطأ، ولكنّها قراءة ليست أكاديمية ولا مشيخية، وهذا ما عانيت منه في الابتداء، فلابد أن أذكره، يعني ليس من الشر أن أذكره بل لعله من الخير والفائدة، وخاصة أنَّ البعض يسألني: بم أبدأ؟ أنا بدأت بالكتب الكبيرة التي ألجأتني أن أعود إلى غيرها من أجل البحث والتنقيب عن هؤلاء الرجال الذين يتكلمون عنهم. يعني تصور أنَّ طالبًا مبتدئ في الثانوية يقرأ مجموعة الفتاوى لابن تيمية، فيصدم بهذه الأسماء وهذه التشعبات التي تبحث المسائل في ختامها وفي نهايتها، فيضطر أن يعود إلى ابتدائها.. وهذا شيء متعب. ولذلك أعاني دائما ممن يسألني: يقول كيف أبدأ القراءة؟ وليس لي تجربة في بداية القراءة الصحيحة. وللأسف هذه قراءة في بيئة الأردن –هذا التكوين السياسي المعاصر للأردن– لا يوجد فيها علماء، لا يوجد في مدارس فقهية ثابتة، لا يوجد بها محاضن علمية كما الدول الأخرى، يعني: لا تستطيع أن تقول قبل أربعين سنة: هناك مشايخ في مساجد الأردن يجلسون للتدريس، فأنت تأخذ منهم وتمشي على خطاهم، لا يوجد هذا، العلم الوحيد الذي كان يدرس في المساجد هو علم التجويد فقط.

القصد أنَّ قراءتي المبكرة لكتاب الدكتور محمد محمد حسين "الاتجاهات الوطنية" فتح عندي آفاق البحث عن هؤلاء الرجال الذين يتكلم عنهم. مع أنّ كتابه "الاتجاهات الوطنية" كتاب مهم، وعالج موضوعات عديدة جدًا، لكن أكبر قضية عالجها هي موضوع القديم والحديث التي أثارها طه حسين، وأنا أهتمُّ بكتاب حصوننا مهددة لأنّ هذا الكتاب عده صاحبه من تداعيات كتاب الاتجاهات الوطنية، أو هامش من هوامش كتاب الاتجاهات الوطنية، أو من لواحق كتاب الاتجاهات الوطنية، يعني: يقول أنّ هذا الكتاب هو جزء يعود إلى ما تكلمت عنه في كتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. مع أنّ كتاب الاتجاهات الوطنية أراده صاحبه الدخول في قضية تتعلق بشاعرين هما شوقي وحافظ، ويقول: إنه في ابتداء الأمر كان يرى أنّ حافظ لا يمثل ثقافة الأمة ولا يمثل عاطفتها، وما كتبه بعد ذلك من شعر العاطفة في قضية المدائح النبوية وغيرها إنّما أراد أن يلحق وقع شعر شوقي وأثر شوقي على

الشعب، وهو يميل إلى أنّ شوقي هو شاعر الإسلام المعاصر، وهو يحبه حبًا جمًا. وشوقي يُحَب بلا شك، لأنّه صاحب عاطفة جياشة، بغض النظر عن شخصه، محب للإسلام، يدافع عن قضايا المسلمين في العالم الإسلامي كله، وبكى الخلافة لما أسقطها المجرم أتاتورك، صاحب عاطفة جياشة في المدائح النبوية له مدائح راقية وعظيمة، بخلاف ما يقوله خصمه اللدود العقّاد، فإنّه قد ظلمه في نقده له.

الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: في البداية أراد أن يبيّن أنّ شوقي هو جزء من ثقافة الأمة وعواطفها، وحظ حافظ ليس كذلك.

للذكر: رأي الأستاذ شاكر فيهما رأي مختلف، فإنه يرى أنّهما لم يمثلا حقيقة المعركة الإسلامية في عصرها. لو رجعتم إلى رأي الشيخ الشاكر في جمهرة مقالاته، -هناك كتاب نشر في مجلدين تحت اسم جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر- فإنه ذكر أنّ شوقي وحافظ لم يمثلا عواطف الأمة تمثيلًا وأنّ شعرهما كان رسميًا وكان ملكيًا، حتى إنّه ينتقد شوقي انتقادًا كثيرًا في هذا الباب، وشوقي سمي شاعر القصر في وقت من الأوقات. ولا يرى أنّ شعرهما مثل رقيًّا لما كان يريده محمود سامي البارودي. ولا أريد أن أخوض في هذا كثيرًا، لكنّنا نمر عليه من أجل معرفة البيئة التي نتحدث عنها.

ثم توسع الأستاذ محمد محمد حسين في الكتاب حتى استوعب التاريخ المعاصر من خلال الأدب والشعر في كتابه الاتجاهات الوطنية، وأبرز ما أثر فيه أنّه أول من أشاع وبقوة الكلام عن المدرسة الإصلاحية، التي مثلها ابتداء الأفغاني وانتهاء محمد عبده.

ولميل المصريين، وهذا منقبة لهم.. وهنا نقطة: لما يتحدث المصريون عن القومية العربية، يعني لما يتحدث محمد محمد حسين عن العربية والقومية، ليس كما يتحدث الشامي، وليس كما يتحدث العراقي؛ لأن القومية العربية بمفهومها الشركي الوثني، بمفهومها الإجرامي في طرح هوية مناقضة لهوية الإسلام، لم تكن في مصر ولم يكن لها وجود في مصر، وبعد ذلك جاء عبد الناصر في ناصريّته -إن جاز أن يسمى شيء بالناصرية، يعني حاول هيكل في كتابه "فلسفة الثورة"، والذي كتب فلسفة الثورة

هو هيكل وليس جمال عبد الناصر، حاول أن يوجد ثقافة اسمها الناصرية، متمثلة برؤية فلسفلية عند جمال عبد الناصر، والصواب انّها ليست بشيء، وتستطيع أن تقرأ لعصمت سيف الدولة عن الناصرية بما يطرحه الناصريون أنّها تمثل ثقافة وفلسفة، وهذا غير صحيح، الناصرية لم تكن عند المصريين تمثل أي رؤية فلسفية ولا عقائدية.

فأقول هذه النقطة، وأكرر عليها لأهميتها في البحث، هذه ربما يجهلها الكثيرون، وأنا لم أر من تعرض لها، ولكن المرء من خلال قراءته لما يقوله إخواننا المصريون عن القومية، كما يطرح المسلم في المغرب الإسلامي: في المغرب وفي تونس وفي موريتانيا وفي الجزائر، عندما يقولون: العروبة –نحن عندنا العروبة لها مفهوم الهوية التي تقف قسيما للإسلام، أي: ليست جزء منه ولا هي هو، ليست العروبة هي الإسلام– يتكلمون عن الإسلام، لأنهم لا يتصورون عربيًا غير مسلم، لا يوجد عندهم عربي غير مسلم، وبالتالي لما يقول العروبة يعني تقابل الفرانكفونية، هي الهوية الإسلامية مقابل الفرانكفونية.. هذا طرحهم.

المصريون عندما يتكلمون عن القومية العربية لا يقصدون القومية بمفهومهما الشركي الذي طرحه مشركون العرب الشاميون والعراقيون، وعلى رأسهم ساطع الحصري ومن تبعها من النصارى ومن الدروز، ومن الهويات التي سماها –كما سنناقشه– أمين معلوف: الهويات القاتلة. فهؤلاء طرحوا القومية والعروبة تقابل الإسلام، من أجل أن يفكوا رابطة الإسلام ويوجدوا رابطة جديدة هي رابطة القومية، من غير وعاء فلسفي، والوعاء الفلسفي لها هو ما حشاه البعثيون بعد ذلك من الاشتراكية. أصل طرح القومية لا تحمل دلالة سلوكية، ولا دلالة اجتماعية، ولا دلالة عقائدية، إلا أنها تقطع الروابط بين المسلمين وتوجد رابطة خاصة هي رابطة القومية. فرابطة القومية لما نسمعها من شامي أو عراقي فالمقصود بها الشرك والكفر، أي أنّها تريد أن تجعل الولاء على غير أساس الإسلام. وهذا بيّن وأنا لا أتكلم في شيء غير واضح.

ولكن القومية عند المسلمين المصريين لا تمثل هذا، القومية بمفهومها الشركي الذي يقابل الإسلام لم يكن لها أي دعاة داخل المجتمع المصري، حتى عندما أيّد بعض المشايخ المصريين، أو ممن رحل واستقر

في مصر فصار مصريًا مثل الشيخ رشيد رضا لما أيد الثورة العربية الكبرى، لم يأيِّدوها على أساس قومي، أيدوها على أساس أنّها ثورة إسلامية تريد أن تثبّت الإسلام والمسلمين، ولكن لما اكتشف أنها ثورة على غير ذلك انسحبوا من هذا التأييد.

المصريّون لما يتحدثون عن القومية، يتحدثون كما يتحدث المغربي عن العروبة. وبقي هذا المفهوم قويا في هذا الباب، ولذلك أكثر من بكى الخلافة من البلاد العربية التي كانت تحت الحكم العثماني لما سقطت هم أهل مصر، بكوها بكاءً حقيقيًا، وعلى رأسهم الشاعر أحمد شوقي. ولما هرب مشايخ اسطانبول من ظلم أتاتورك لم يجدوا مأوى لهم إلا في مصر، لأنها مازالت بهذا الحس الإسلامي العميق في تعاطفها مع الخلافة. وبعد ذلك لما جاء عبد الناصر وجاءت ثورته، وتغيّر المزاج، ثم بعد ذلك المصريون غلب عليهم الشوفينية بسبب لعبة السادات عليهم –لا بأس بشيء من الاستطراد، حتى نفهم الثقافة التي تسود في داخل، ليس في داخل مجتمع، وإن كان المجتمع يتأثر، المرض الخُلُقي والفكري يتعدى كما يتعدى مرض الجرب، انتبهوا لهذا، بعض الناس لا يفهمون هذا، المرض الفكري والنفسي والثقافي يتعدى في داخل الشعوب كما يتعدى مرض الجرب– لما السادات قام بزيارته لإسرائيل ووقع كامب ديفيد، حصل فصام سياسي بينه وبين الحكام، فبدأت الآلة الشوفينية المجرمة في داخل الصحافة والكتّاب في مصر بدأوا يعمقون الهوة بأن مصيبة مصر هي تحملها ودخولها في المشاكل العربية، وبالتالي حصل ما أراده طه حسين في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"، ماذا أراد؟ أراد سلخ الهوية الإسلامية بإنشاء ما يسمى بالهوية المصرية، ومن هنا لم يعد في مصر لا قومية ولا... أنا أتكلم عن الإعلام وإلا مصر مركز التأثير الإسلامي شئنا أم أبينا، وفيها علماء وما زال فيها الخير العظيم وتنتج رجال عظماء، لكن أتكلم عن الثقافة السائدة التي يظهرها الإعلام ويمثلها الحكام الرسميّون، فانخلعت من الثقافة الإسلامية والثقافة العربية وصاروا يتحدثون عن أمة مصرية.. تجده يقول: الأمة المصرية!! لا يوجد شيء اسمه الأمة المصرية، من الأمة المصرية؟ الشركس الذين فيهم؟! الأتراك الذين عاشوا فيها واستقروا؟! القبائل العربية، وقبائل صعيد مصر كلها قبائل عربية؟!! أين الأمة المصرية؟!.

المهم: الأستاذ هنا يطرح القومية ببعدها الإيجابي، في كتابه "حصوننا مهددة من داخلها" يطرح القومية بمفهومها الإيجابي على هذا المعنى، أنّها تمثل الوقوف أمام التغريب، كما تمثل العروبة في داخل المغرب الإسلامي الوقوف أمام التغريب والفرانكفونية.

هذه على الهوامش فقط، وأنا أعتذر إذا استطردت، لأنها قضايا مهمة في فهم الحالة الزمنية التي يتحدث عنها الأستاذ.

كتابه "الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر" من أعظم ما ورث هو كشف هذا الاختراق الذي مثلته المدرسة الإصلاحية في كل الأبعاد العلمية، وكان أجرأ القوم حتى أجرأ من الشيخ شاكر.

يقول الأستاذ محمد محمد أبو موسى في إحدى لقاءاته، يقول: لما زرت الأستاذ شاكر أراني مقدمة تحقيق كتاب دلائل الإعجاز للجرجاني، وأنه أخر إخراج هذه المقدمة وهذا الكتاب عشرين سنة، لخوفه من أن يُظهرَ أن أساس الفساد في الحياة الأدبية في قراءة تراث أمتنا هو محمد عبده. يقول محمد محمد أبو موسى الذي ناقشنا كتابه عن الإعجاز البلاغي، يقول نقلا عن الأستاذ محمود شاكر: إنه خاف من هذه النتيجة وحبس المقدمة عشرين سنة... ومحمد محمد حسين أظهرها منذ أن اكتشفها.

انتشار أن المدرسة الإصلاحية فاسدة في المدرسة السلفية بكل أبعادها... يعني: كل من تبنى المدرسة السلفية صار يؤمن أن الفساد الديني في قراءة التراث، والفساد في اختراق التغريب للعلوم الشرعية وعلوم الأمة وثقافة الأمة، مبدؤه الأفغاني ومحمد عبده. من الذي فتح هذا الباب بقوة؟ هو محمد محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر. ومحمد قطب من الناس الذين شهروا هذا، وبعد ذلك توالت الدراسات بسبب تأثير الأستاذ محمد قطب وإقامته في مكة وإشرافه على دراسات الدكتوراة والماجستير، فبدأوا يكتبون عن هذا والمدرسة السلفية بدأت تتلقى هذا. لكن من الذي كشفه؟ محمد محمد حسين، وهذه فضيلة له.

نحن ذكرنا لما تكلمنا عن "موقف العقل والعلم والعالم" قلنا أنّ هناك ثمة مدرسة كان لهذا الدور،

والأستاذ محمد محمد حسين تأثر بتلك المدرسة التي تكلمنا عنها.

انتبه!! هذه قضية مهمة جدا، وكنت أقول في الجلسات الخاصة: من إحدى مقاصدي في مناقشة كتاب "موقف العقل والعلم" للشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في دولة الخلافة الإسلامية، كان من مقاصدي أقول: إن بيان اكتشاف دخول التغريب، ودخول الليبرالية العلمانية في الفكر الإسلامي وفي طريقة قراءة التراث إسلاميا، إنما يشترك فيها هؤلاء العظماء، وهم ليسوا من اتباع المدرسة السلفية. أردت أن أقول: هي مدرسة قد يشترك فيها هؤلاء وهؤلاء، لكن الحقيقة أن هؤلاء كان لهم دور أكبر.. لماذا؟ لأن معركتهم كانت سابقة في تركيا.

معركة اكتشاف العلمانيين أو مدرسة اختراق التغريب لأمتنا، عاينها المشايخ الذين عاشوا في الدولة العثمانية وعرفوها. ومحمد محمد حسين ورث هذه المدرسة بقوة، ومن خلاله انتشرت هذه الثقافة. ما هي الثقافة؟ هي ثقافة من الذي قام بعملية الاختراق لثقافة أمتنا تغريبا.

أقول: كل من أراد –بعد ذلك يتوسع، يجد أدلة جديدة، يبحث.. هذا موضوع ثانٍ– أن يرصد بداية النشر والتوسع في اختراق التغريب لثقافة الأمة، لابد أن يعود لكتاب الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، وهو هذا الكتاب العظيم.

ومن قراءتي لشخصية هذا الرجل: كل من عاين –وهذا شيء عجيب– وعاش مع هذا الرجل، كان يراه حييًا، ويراه من أجبن الناس في الدخول في خصوماته الشخصية، لكن مع الجانب الذي لم يتكلموا عنه، لم أر أشجع من هذا الرجل في بيانه إذا اكتشف الحق. الدكتور محمد محمد حسين من أقوى من رأيت في هذا العصر الحديث في مصارعة خصوم هذه الأمة وفي إظهار ذلك وبقوة، ولا تهمه ولا تهزه الأسماء ولا الألقاب، وربما خالف الجموع من العلماء، وسنرى في مسألة من المسائل كيف خالف مشايخ الأرض في ذلك الأرض ممن ينسب لهم الفتوى ووقف أمامهم، وبالدليل والبرهان رد عليهم. شخصيته في هذا الباب شخصية عجيبة جدا، والآن سأقرأ الكلمات الذي تشهد لما قلته.

انتبهوا على هذه النقطة، وهذه من أقدار الله العظيمة في نصرة هذا الدين: ما من طائفة أرادت خداع الأمة وتزوير واقع الدين فيها، إلا أنشأ الله من داخلها من يكشف هذه المؤامرة ويكشف هذا الخداع.

من أول من كشف يهودية التشيّع بمعناه الخبيث؟ هو رجل كان شيعيا، وهو الإمام الشعبي، قال: كنت خشبيًا، وارجعوا إلى بداية "منهاج السنة النبوية" لابن تيمية حيث يسوق عن مالك بن مغول عن الشعبي أنه قال -والحديث من أعلى درجات الصحة في مسألة الأخبار، نعم، يشككون في هذه الرواية من جهة السند على طريقة المحدثين، لكن هذا حديث عن رجل- قال الشعبي: كنت خشبيًا.

والخشبي هو الرافضي الذي رفض أن يقاتل بعد مقتل الحسين إلا بعد ظهور المهدي، فحولوا أسلحتهم إلى خشب، فسموا الخشبية، والإمام الشعبي كان خشبيا، ولمعرفته بهم ولصغوهم ولدواخلهم هو أول من قال بأن أصول التشيع هي أصول يهودية. لا تظن أن اليوم يكشفونها، لا، هو من أوائل من كشفها.

هذه لماذا أقولها؟ أقولها لأن الأستاذ محمد محمد حسين يعترف أنه كان تلميذا نجيبا لهذه المدرسة المجرمة في تاريخ هذه الأمة المعاصر، وفي كتابه هذا يكشف ذلك، يقول: ما أقوم به هو جزء من توبتي وندمي فيما كنت فيه فقط، وأنني أريد أن أنصر هذا الدين بمقدار ما خذلته، وأريد أن أدافع عن هذا الدين بمقدار ما اخترقته. لأنه يقول -وهو تلميذ لطه حسين- بأن أكبر إجرام مارسته عندما كتبت رسالة الدكتوراه التي نشرت بعد ذلك، -أنا بحثت عن اسمها كما هي فلم أجدها، ولكنه نشر الكثير منها مع بعض الفقرات التي غيرها أو بعض الأبواب التي أزالها- وهي "الهجاء والهجّاؤون في العصر الجاهلي".

أنا عندي طبعة متأخرة، لأنه يقول في مقدمة الطبعة الرابعة أنه أزال منها فقرتين أو بابين ووضعهما في "الإسلام والحضارة الغربية"، وهو أحد كتبه التي نشرت من جمع المقالات.

للذكر: جمع المقالات من ناحية نقدية للتأليف، لها جوانب:

الجانب الجيد والإيجابي فيها أنّ جمع المقالات في الباب الواحد يدل على هم الرجل، ويدل على أنّه صاحب منطق واحد وصاحب أصول متحدة، يعني: الرجل عندما يأتي إليك بمجموعة من المقالات الكثيرة التي نشر أغلبها في مجلة الأزهر لما كان الأستاذ محب الدين الخطيب رئيس تحريرها، فجمع هذه المقالات هنا. وجمع المقالات صار الآن سمة للكتب، لكنها تعبر مرات عن ضعف، ولكنها هنا تعبر عن حالة من عظمة الكتب، ما هي قيم هذا الكتاب التي يتحدث عنها الأستاذ محمد محمد حسين؟

يقول: كتبت هذه الصفحات (هذه من أجل أن نعرف أن كثيرا من أمتنا دخلوا في جيوش الباطل جهلًا، ودخلوا فيها مع حسن النية، لوجود أساتذة كبار يتحدثون، فهذا الذي وجدوه، فإما بعد ذلك أن يسلّك سبل الباطل ويفسد ويخرج من الملة...

وللذكر: مع قراءتي للأدباء المفكرين الذين لا ينتهجون الدراسات الفقهية، لم أجد عند أحد كلمة (كفر) كحكم شرعي إلا عند الأستاذ محمد محمد حسين، فإنه يستخدم هذه الكلمة في كتابه في حكمه على الخصوم كائنا من كان، فهو عندما يأتي إلى ذكر السنهوري... وهذا الرجل يتكلم عن أقصى ما يسيء إليه أصحاب هذا المنهج التغريبي، ومنهم عبد الرزاق السنهوري، وعبد الرزاق السنهوري هو الذي كتب القانون المصري والقانون الكويتي والأردني والعراقي، وهو أستاذ كتابة الدساتير العربية، والدساتير. وهو يكشف في هذا الكتاب كشفًا مهمًا جدًا وخطيرا جدًا وذكيًا جدًا، وأنا متأكد لو أنّ السنهوري في يومنا هذا وقال كلامه، لاستقدمه المشايخ وقادة الجماعات ليتكلم باسم الإسلام؛ لأنه يتكلم عن حالة يتكلم بها اليوم كثيرون، ويعتبرها المشايخ أنّها من محاسن ما يقولونه عن الإسلام، لكن الأستاذ محمد محمد حسين لا يقبل دخول الباطل بهذه الطريقة على الإسلام.

نعود إلى عبارة الأستاذ محمد محمد حسين عندما يعتذر لهذه الأمة ويستغفر ربه حين يكتب هذه الكلمات، من أجل أن يمحو ذنبه الذي كان عليه من دخوله مع الطائفة المجرمين الذين سماهم بالهدّامين.

أوائل هذه المقالات لما جمعت طبعت، وطبعها صديق له وهو خطيب المسجد المكي في زمانه، تحت عنوان "في أوكار الهدامين"، عنوان هذا الكتاب الأصلي هو "في أوكار الهدامين"، وهذه عبارات رجل واثق من معركته، لأنه كان فيهم ويعرف صغوهم، ولذلك لما أقول: من الصعب اختصار هذا الكتاب أو تلخيص هذا الكتاب؛ لأن كل عبارة فيه لها دلالة ولها مفهوم ولها تاريخ، ولها وقع. يعني الآن لو قدرنا لقرأنا الكتاب، والكتاب لا يعبر عنه إلا من خلاله، أنا أضع لمحات فقط من أجل أن تقرأ هذا الكتاب، وهذا الكتاب ينبغي أن يكون من كتب الجيب، كتب الجيب يعني أن تستصحبها في كل وقت.

لا يمكن أن تفهم معركتك اليوم في قضية تغير المناهج في الأردن هنا حتى تقرأ هذا الكتاب. هذا الكتاب وما يقوله هذا الدكتور العظيم رحمة الله عليه وأجزل مثوبته ورفع درجته... قلت عن كتاب الأستاذ محمد محمد أبو موسى: لو جاء يوم القيامة بمثل هذا الكتاب لكفاه أن يدخل الجنة، وأنا أقول الآن: لو جاء محمد محمد حسين بهذا الكتاب يوم القيامة لكفاه أن يدخل الجنة.. رحمة الله عليهم؛ لما يعلم من صدقهم وحماستهم وبلائهم في الدفاع عن هذه الأمة وعن ثقافتها وعن لغتها.

في الأول كانوا يظهرون الكثير من معركتهم التي يديرونها في الكواليس، اليوم لا، وهذا من ذكائهم، اليوم لا ترى كيف تدار معركة اللغة، معركة المناهج، معركة السياسة، معركة القوانين في الكواليس، لا ترى إلا الطعام أمامك. وهو يكشف لك كيف تدار هذه المعركة وراء الكواليس.

يقول: من معرفته ومن خبرته ومن معيشته، أنّ هناك ثمة اتفاقا وجلسات وجماعات وأمراء وقرارات، هناك مال ينفق ومؤسسات ترعى.. وهذا في بداية الأمر، فهل تقول الآن بعد أن صنعوا هذا الروبوت وهذه الألعاب التي تدار بجهاز تحكم، هل تركوهم يمشون لوحدهم؟ الجواب: لا، ما زال هؤلاء يُدعمون بالمال، هؤلاء المجرمون الذين سماهم بالهدامين، هؤلاء ما زالوا يدعمون بالمال ويسيّرون من الغرب، وتوضع لهم البرامج الدقيقة من أجل الوصول إلى مآربهم. يعني هو يتكلم عن قضية إدخال الفساد في داخل القرية المسلمة، هو يتكلم عن حضور مندوبين من الأردن ومندوبين من العراق ومندوبين من مصر، وكيف يخططون للدخول لإفساد المرأة المسلمة في الريف، والريف الحالة الأخيرة، يعني القلعة الأخيرة

داخل مجتمع الفساد، أما المدينة فقد فسدت منذ زمن.

يقول: كتبت هذه الصفحات حين كتبتها لكي أفضح هذا النفر من المفسدين، وأنبّه إلى ما انكشف لي من أهدافهم. وأساليبهم.

يقول في كتابه: بعد أن كتبت هذا الكلام حصل لي لقاء مع الكثير منهم، وصارت بيني وبينهم صداقة، لكن لم أغير رأي فيهم.. لتعرف شخصية هذا الرجل.

هذه النقطة ما أهميتها عندي؟ لأنني وجدت في داخل المجتمع المسلم، أو داخل التيارات المسلمة، أنّ أكثر الناس اعتذارًا عن المجرمين ودفاعًا عن موافقهم بأنهم يجهلون أو أنهم لم يريدوا هذا أو أنّ المسألة كبيرة، هم من يجلس مع المجرمين. يعني عندنا الآن معركة تقوم في الأردن، وهي معركة عظيمة جدًا ولها رجالها، وهي قضية تغير المناهج؛ من الذي انبرا للدفاع عن تغير المناهج اليوم؟ المشايخ الذين يجلسون مع المجرمين، ولما تجلس مع أحدهم لا تراه ذئبا كما ترى كلامه، إذا تكلم تكلم ذئبًا وإذا جالس وصادق صار حملًا..... من الذي تكلم إلى الآن؟ وزير الأوقاف الأسبق وبعض الدكاترة الشرعيين، لم يتقدم علماني واحد للدفاع عن قضية تغير المناهج!!! هذه من أجل أن نعلم أنّ الجلوس مع المجرمين يؤثر في هؤلاء فيسوّقون تحت هؤلاء المشايخ المغفّلين.. هناك مشايخ مغفلون، وهناك مشايخ خبثاء معهم (د.) شريعة، لكن في الحقيقة هم أكثر الناس إجراما في هذا.

فالقصد: هذه الشخصية العظيمة من مناقبها أنها قالت: بعد أن كتبت ما كتبت صارت لي صداقة مع كثير ممن ذكرت أسماءهم، ولكن هذه أبقيها للتاريخ، هكذا كتبتها وأنا أؤمن بها وما زلت أؤمن بها.. هذه من مناقب هذا الرجل.

وأنا وعدت أن أقرأ لكم وقوفه أمام شخصيات، وكأنه يقول: أنا أعترف بأنكم مشايخ، لكنكم – بعبارة أدبية تليق برجل أديب عظيم– إمّا أنّكم لا تقيمون لدين الله قيمة، وهذا يمكن أن يكون هو الأول، وإمّا أنّكم جهلة لا تقرؤون، وإمّا أنّكم لا تعرفون نتائج ما تقولون.. سنرى هذا الكلام.

هذه القضايا مهمة، وهي وإن كانت على الهوامش، ولكنها تدخل في صلب تربيتنا، وصلب معركتنا.

يقول: كتبت هذه الصفحات حين كتبتها لكي أفضح هذا النفر من المفسدين، وأنبّه إلى ما انكشف لي من أهدافهم وأساليبهم التي خدعت بها أنا نفسي حينا من الزمان مع المخدوعين. أسأل الله أن يغفر الله فيما سبق به اللسان والقلم، وإنّ مد لي الله في عمري رجوت أن أصلح بعضَ مما أفسدت مما أصبح الآن في أيدي القراء (كلمة عظمية، وأغلبهم يقولون هذا) وأكثره، أي أكثر هذا الفساد الذي بثتّه وصار بين القراء، في بحث حصلت به على درجة دكتور في الأدب من جامعة القاهرة، ثم نشرته تحت اسم: الهجاء والهجاؤون. يقول في الهامش: أصلحت أخطاء الكتاب بقدر ما وسعته الطاقة في الطبعات التي ظهرت في بيروت منذ ١٩٦٩ للميلاد.

في أول المقال نقرأ أنّه يتحدث عن طائفة لها دراسات... المسألة الآن بين هذه الطوائف ليست مسألة مؤسسية فقط، يعني: الذين يسموا بالتوراتيين الجدد في أمريكا، الذين كانوا المستشارين لبوش الابن، كشفت الدراسات أنّ علاقاتهم وصلت إلى الاجتماعية، أي كلهم متزوجون من بعض وعلاقات عائلية مع بعض، يعني: تجاوزت العلاقات العلاقة المؤسسية إلى العلاقة الاجتماعية والقرابة، يعني العلاقة بينهم امتدت إلى الدماء.

في هذا الكتاب يسوق قضية خبرًا، وهي تتعلق بمعركة من معارك ما تدور في الجامعات، وهذا يفيدني مرات أكثر من الخبر، لأنه يعرفك على مطبخ الجريمة، وهذا شيء مهم أن تعرف المطبخ. عليك أن تتعلم مطبخ العلم ولا يكفي أن تأخذ نتائجه، لا تكن كالذاهب إلى المطعم فيحضر لك المائدة والصحن فتأكل، هذا لا يكفي، هذا لا يصنع منك عالما، لابد أن تذهب إلى المطبخ لتتعلم كيف يصنع الحق وكيف يصنع الباطل، كيف يقع الخطأ، حينئذ تصبح عالما، تصبح مؤثرًا، تصبح لك قيمة..... نتحدث عن شخصية الدكتور محمد محمد حسين، هذه الشخصية المحاربة الشرسة جدًا، وهي على طريقة الشيخ شاكر في حربها ونزالها مع الخصوم.

في الجامعة كتبت بنت رسالة ماجستير... يسوق الخبر، وسنقرأ بعضه، سنقرأ من الذي خاصم،

وكيفية صناعة صورة الإجرام للمشايخ؛ لأنها ما زالت...

للذكر إخواني: أريد أن أنبّه على قضية مهمة: بسبب غباء هذه الأمة كل الوسائل القديمة التي استخدمت ما زالت هي هي، لم يتغير شيء، نعم ازدادوا فنًا –مثلًا أخفوا كثير مما يدار في المطبخ ومما يدار في الكواليس– ولكن الوسائل هي الوسائل، وسنرى شيء من الوسائل التي مورست على هذا الأستاذ.

هذه بنت كتبت، وخرجت بنتائج، وهي تتعلق بالمد في القراءة القرآنية، ولما نوقشت في الماجستير يقول: لم أكن حاضرًا –وسنربر من ناقشها وكيف يعرّف بهم بطريقة ذكية عجيبة تدل على الاستقصاء.. الرجل يرصد حركة الرجل من بداية دراسته إلى نهايتها بكلمات يسيرة، يعني علاقة محمد عبده مع اللورد كرومر لم يكشفها أحد إلا الأستاذ محمد محمد حسين، وكل من جاء بعده أخذ منه، كيف كان يجلس معه في صالون الأميرة ناظلي، هو الذي كشفها.. استقصاء غريب، هو ليس عالم لغة عربية فقط، هو عالم محقق حتى في حياة الأشخاص وفي سيرتهم وأسلوبهم وفي سلوكهم، ويترصد العبارات بطريقة ذكية.

البنت كتبت فخرجت بنتائج، وكان أحد المناقشين شيخ، وهو أمين الخولي، وهو معروف، وإن كان من صناعة فرنسية... هؤلاء المناقشون إما صناعة مباشرة لمدارس الغرب، وإما أنهم صناعة لصناعة ما صنعه المضبوعون، كما سميناهم مرة، في داخل البيئة الإسلامية.

فيقول: لم يحضر مناقشة الرسالة، لكن وصله الخبر، وأعطوها (جيد جدا) في المناقشة، وقبلوا منها الرسالة، فلمّا ارتفعت من أجل التوثيق في الجامعة فصارت ضجة في الجامعة، أرسلت هذا البحث إلى الأستاذ محمد محمد حسين وقالوا لها: اقرأ البحث وقل لنا من المصيب، فأرسل رسالته للجامعة: ما بين دفتي هذه الرسالة كفر بحت، وكفر صريح، ولا تمت إلى العلمية بصلة، وناقضت ما تواتر عليه الإسلام، وما تواتر عليه أهل العلوم والتحقيق والمنطق.

هنا تبدأ المعركة، هنا تستخدم الأساليب أساليب الإشاعة التي تمارس اليوم، بداية من القذف الذي لا نستطيع أن نرصده في زماننا ويعيش المرء وحيدًا، حتى الذين يقتنعون بقولك يخافون من الاقتراب منك ويهربون ويقولون: نعم هو أخونا، لكن المعركة شديدة.

عاش هذه المحنة لوحده، ومن حاربه؟ أسماء كبيرة. وأنا لما قرأته كانت قراءة قديمة قديمة، وإن كنت أعود إليه مرة بعد مرة، فاضطررت أن أعود إليه هذه المرة لئلا نناقش ذكريات قديمة. وفي هذا اليوم أقول: صدمتني هذه الأسماء التي وقفت مع الباطل ضده، وبطريقة ما زالت تمارس. يعني: لما قتل ناهض حتر –القضية الآن ليست قضية الحق والباطل، وإن كان الحق فيها بيّن والباطل فيها بيّن لا يحتاج إلى بيان منّي– ماذا قال المشايخ؟ تكلموا كأنّ الخلاف هو خلاف فكري يمكن أن يحتمل بين الناس!! يعني ما زالت الجريمة واحدة، والصحافة واحدة، والمشايخ واحد، والألفاظ –سأقرأ لكم– هي الألفاظ والكلمات هي الكلمات.. الجريمة نفسها التي تمارس اليوم.

المهم: بقي وحيدًا، وقامت الصحافة –أيها الإخوة الأحبة– بهجوم شرس عليه، ولم يتركوا سلاحا من أسلحة الباطل والتزوير والخداع إلا واستخدموه في هذه المعركة.

هذا كتاب، يا أيها الإخوة الأحبة، لا يجوز لطالب علم يريد أن يقرأ واقعه حتى يمر على هذا الكتاب، وكتابه الأعظم والأكبر (الاتجاهات الوطنية) ولكن هذه المقالات كانت راصدة لقضية الفساد السياسي، الفساد في الجامعات، الفساد في داخل ثقافة أمتنا، الفساد في داخل الصحافة.. هذا كتاب عظيم.

الأستاذ محمد محمد حسين قنطرة من قناطر هذه الأمة الذين دافعوا عن لغتها وتاريخها وثقافتها.

ترك الكتاب في مجلة الأزهر لما استلمها أحمد حسن الزيات، ومعروف أن أحمد حسن الزيات كان قريبًا من طه حسين ومن طريقته.

درجة الماجستير على كتاب سمته صاحبته "دراسة في أصوات المد في التجويد القرآني"، وخلاصة ما

تقوله بالألفاظ الصريحة، وليس في الألفاظ الموهمة، تقول أنّ النّبي كان يتصرف في القرآن بحسب ما يحقق مقصده في الكلام، وكان الصحابة كذلك يتصرفون في القرآن، فالقرآن صحيح أنه نزل من الإله –أو حتى هذه القضية لا تبحثها، وليست قضية تعنيها.. من الإله من غيره لا يعنيها– ولكنها تثبت بأنّ النبي تصرف بالقرآن وغير وبدل، وأنّ الصحابة من بعده كانوا يقولون: هذا القرآن لنا ويتكلم بلغتنا فيجوز لنا أن نتصرف فيه كما نحب، وأن القرآن ليس متواترًا، وليس معصومًا من الخطأ، وليس معصومًا من الوضع البشري فيه –وضع اليد البشرية في ألفاظه وفي لغته– مع أنها تأتي لجانب آخر يهرب فيه هؤلاء المجرمون، تقول: نعم، مع بقاء المعنى الواحد. المعنى الواحد مستقر، لكن كانوا يتصرفون في الألفاظ والتراكيب بحسب ما يروق لهم وما يعجبهم... هذا ما انتهت إليه هذه الباحثة.

يأتي إلى من أشرف على البحث، يقول: تقدمت السيدة تغريد عنبر بهذا البحث الذي أعدته تحت إشراف الدكتور حسن عون، الأستاذ في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية، وهو كان مدرسًا فيها، وكتب الأستاذ المشرف تقريرًا يؤكد فيه سلامة البحث وصلاحيته للمناقشة، وناقشته لجنة مكونة منه ومن الشيخ أمين الخولي، الأستاذ في كلية الآداب –الآن يعرّف به بطريقة تعرّفك من هؤلاء– بجامعة القاهرة، والدكتور إبراهيم أنيس الأستاذ في دار العلوم –دار العلوم أنشئت من أجل اللغة العربية وتقويتها، ثم غلب عليها العلمانيون– وكلاهما عضو في مجمع اللغة العربية (انظر كيف عرف بهم؟) وثلاثتهم ينتمون إلى الأزهر، بدؤوا دراستهم فيه حتى الثانوية العامة، ثم التحق أولهم (يعني المشرف) بكلية الآداب فحصل على الليسانس من قسم اللغة العربية، وكان زميلًا في الدرس، ثم بعث إلى فرنسا للحصول على الدكتوراه، فعاد بالدكتوراه وبزوجة فرنسية (مثل طه حسين!! الغريب أنّ أحدهم يرسل إلي يقول: طه حسين تاب في آخر عمره، أين تاب يا رجل؟!! مات أفجر مما نشأ عليه. نعم يحاول الأستاذ شاكر في كتابه "بيني وبين طه" الذي هو جزء من ضميمة كتابه "المتنبي" أن يقول بأن طه صدم من نتائج ما أرداه في مشروعه؛ لأن الواقع سبقه بعيدًا عما أراده في تدمير التراث والصواب أنّه يريد ذلك، يقول ناصر الدين الأسد وهو تلميذ تلاميذه: إنّي كنت أزوره، لأن ناصر الدين الأسد عمل في جامعة الدول العربية، وكان يزور طه حسين ويزور شاكر، وإن كان لشاكر عليه ملاحظات تتعلق بعلاقته

الاجتماعية، وعدم عدم قيامه بحق أستاذه كما ينبغي. المهم يقول: كان يقول لي: أي علم عندكم أنتم العرب، إذا كان أكبر شعرائكم ليس عربيًا وهو ابن الرومي؟!! تصور هذا! هذه يقولها في أواخر عمره، طبعا يرد عليه ناصر الدين الأسد ويقول: ليس هو أكبر شعرائنا، وليس روميا.. إلخ، وللذكر لا يوجد أي ولد لطه حسين يتكلم العربية، ولا كلمة، لا يستطيعون، ولما مات طه حسين رحلت بهم أمهم إلى فرنسا وعاشوا في فرنسا، ولما كتب ابن طه حسين مذكرات أبيه وأمه وكذا كتبها بالفرنسية، واشترتها وزارة الثقافة المصرية زمن فاروق حسني لكي تترجم إلى العربية فأبناؤه لا يتقنون أي كلمة عربية، طه حسين كانت زوجته تمنع الحديث باللغة العربية في بيته.. وهذا ما زال إلى يومنا هذا يمارس في بيوت الكبراء) والتحق ثانيهم (أمين الخولي) بمدرسة القضاء الشرعي (لأنّ التاريخ هو الذي يكشف، بغير معرفة تاريخ الموضوع تخدع بالألفاظ) التي أنشأها سعد زغلول (ويكفيك اسم سعد زغلول دلالة على الفساد.. يعني هو يذكر في مذكراته، كان يأتيه المراسل –أو السكرتير كما يقال اليوم– من أجل أن يخبره بقضايا تتعلق بالأمة، فيطرده لانشغاله بلعب القمار، وهو لاعب قمار من الدرجة الأولى، وشريب خمر، وزوجته كانت تسمى صفية زغلول على طريقة الغرب في تسمية المرأة باسم زوجها هي مؤيدة لهدى شعراوي في قضية خلع الحجاب، والذي يسمونه: ميدان التحرير يعني الذي حررت فيه المرأة من حجابها) حين كان وزيرًا للمعارف في وزارة صهره مصطفى باشا فهمي، صديق الإنجليز الحميم، وكان الشيخ محمد عبده قد كتب تقريرًا يوصي فيه بإنشاء هذه المدرسة بتوجيه من اللورد كرومر، الذي كان يرغب في إنشاء مدرسة لتخريج قضاة الشرع بعيدًا عن الأزهر الذي عجز عن تطويره بما يلائم مصالح الاستعمار (هذا كله في الهامش، أعطاك أكثر من الزبدة بكثير) والتحق ثالثهم بمدرسة دار العلوم التي أنشئت أيضا لتخريج مدرس عصري للغة العربية بعيدًا عن ذلك الأزهر نفسه، ثم بعث إلى انجلترا للحصول على الدكتوراة في الدراسات اللغوية، فحصل عليها وأصبح أول داعية لها في مصر (يشرح الأستاذ محمد محمد حسين موضوع الدراسات اللغوية التي أنشأها –وهنا أنا فقط أفتح بابا آخر على قيمة هذا الكتاب– التي أنشأها المتخرجون من الدراسات الغربية في دراسة لغتنا على الطرائق الغربية، ومن ذلك ما يسمى بالصوتيات. والغريب جدًا ذهب الأستاذ محمد محمد حسين مدرسًا في جامعة الرياض فوجد الخبث

وصل إلى هناك. وفي هذا الكتاب يكشف رسالة -وأنا أقول لطلبة العلم، لا أخاطب العوام، والذين يريدون أن يعرفوا عمق المعركة التي نعيشها، وآثار ما نرى من هؤلاء المشايخ والدكاترة الذين أرادوا أن يجمعوا بين الإسلام والتغريب... الآن اخترقنا عن طريق المشايخ، عن طريق الفقه، عن طريق المدارس- يقول: لما ذهبت إلى هناك وجدت تلاميذ الجماعة التي عندنا قد وصلوا إلى تلك البلاد فأنشؤوا الكليات والمباحث والدراسات التي أنشأها هؤلاء المتغربون القادمون من فرنسا ومن بريطانيا. من أجل أن يقول لك أنّ المعركة كانت شاملة لكل نواحي الإسلام، ويستغرب يقول: وصلوا إلى الرياض، وصلوا إلى هنا!! يعني هذه المعاني وهذه المدارس وهذه الأبحاث لم تصل إلى درجة الرقي لما وصلت إلى بلادنا. باعتبار أن التغريب كان متقدمًا، ومسألة التغريب في مصر بدأت منذ دخول نابليون، فكيف يأتون إلى الجزيرة العربية؟!! ومع ذلك يقول: المعركة واحدة، التلاميذ هم التلاميذ والمشايخ هم المشايخ. وهنا أخبركم بشيء: لما سمعت كلمة الشيخ شاكر حين أخذ جائزة الملك فيصل للدراسات العربية فاستغربت من كلمة غريبة يقول: أنا جئت من أجل أن آخذ الجائزة على كتابي الذي فيه رسالة إلى ثقافتنا، بيني وبين طه، ليتني ما عرفت طه إلى آخر هذه الضميمة، فقال: فوجئت يوم ليلة الحفلة لأنهم يعطونني الجائزة على أول كتاب أصدرته.. في كلام جميل استخدم فيه أسلوبًا جميلًا يرجع إليه، موجود في (يوتيوب) وموجود في بداية كتاب المتنبي عندما طبع طبعات تالية. والسؤال: لماذا تغير القرار من إعطائه الجائزة على كتاب فيه سب على طه وكشف لحقيقة طه حسين إلى كتاب قديم؟ لأن رئيس لجنة إعطاء الجائزة هو عبد القادر القط، وهو صديق لطه حسين. تصور!! أريد أن أبين إلى أي درجة وصل هؤلاء، صاروا أصحاب قرار، وصلوا إلى القدرة على تغير هذه القرارات وتغيير هذه المناهج.

هذا الكتاب -ويكفي أن أتكلم عن الأستاذ محمد محمد حسين بهذا الإشراق وهذه المعاني.. رحمة الله عليه، وهو من أسس انبعاث الثقافة الإسلامية في هذا العصر والدفاع عن ثقافة هذه الأمة- شامل، وكل بحث فيه لا تستطيع أن تزيله ولا أن تزيل بعضه.

عندما يتحدث في أول مبحث له -أول رسالة له كتبت- عن كيفية التغيير الثقافي في داخل الريف،

وكيفية إدخال المجرمين إلى الريف؛ حيث يبدؤون بالأعمال الحسنة، حتى يصلوا إلى درجة أن يبنوا مسجدا، ويعملوا بالطب وما شابه من هذه المنافع، ثم يبدؤون بعد ذلك بأقل ما يطلب منهم وهو كيفية إنعاش المرأة فقط: كيف تتثقف المرأة؟ وهذه بعد ذلك تدمر المجتمع وتصيغ المجتمع بثقافة جديدة حتى في علاقة الرجل في زوجته.

المسألة الأخرى والأغرب: من يقوم على رعاية هذه المؤتمرات؟ يقول: هناك مؤتمر اشترك فيه عراقي ومصري وأردني -هذا ما أذكره، وربما آخرون-، قال: مكث هذا المؤتمر شهرين.. من الذي يصرف عليهم؟ فيقول:، صرفت عليه -هذه هي الوثيقة- صرفت عليه مؤسسة (روكفل) الأميركية. هذه المؤسسة ما هي؟ يرجع إليها.. وهكذا.

اليوم يمكن أن يقول لك أحدهم: هذا ماذا يمثل؟!! إن لم تفهم هذا لن تفهم ما تمثله السينما الآن، ما تمثله القنوات الفضائية. وأنا قلت أكثر من مرة: تقرير جديد للبنتاغون يقول: إنّ قنوات (MBC) تنشر الثقافة الأمريكية أكثر من الحرة -والبنتاغون هو الذي يدفع المال لقناة الحرة الأمريكية-. اليوم كيف تنتشر الثقافة؟ كيف تتغير الأشخاص؟ كيف يقلدون الأشكال؟ كيف يربى هؤلاء؟ يأخذون فيربون ثم يعودون بعد ذلك...

من يدرس في الشريعة.. على ما في كليات الشريعة من انهيار علمي وانهيار أخلاقي، وللأسف لم تعد تلك الكليات هي التي تنتج عالما أو شبيه عالم أو قريبا من عالم أو مشروع عالم.. لكن تصور أن يأتي إلى داخل المؤسسات من درس في جامعات أمريكية. من الذي يعيّن؟ هؤلاء، لكن كيف رُبّي هؤلاء؟ كيف أخذوا؟ كيف أنشئوا؟ فعليك أن تدرس الطرائق لتعرف واقعك.

إذا كشفت البدايات تستطيع أن تعرف ما تعيش فيه، تستطيع أن تكتشف كيف مارس هؤلاء عملية التغريب في سلخ الأمة عن لغتها، عن دينها، عن ثقافتها، عن مبادئها، عن سلوكها، عن أخلاقها.. هذا لابد أن تدرسه في هذا الباب.

القصد: هذا الكتاب، أيها الإخوة الأحبة، هو كتاب يبيّن أولًا حقيقة المعركة التي تدار على هذه الأمة من جميع جوانبها. وكذلك يبيّن المعركة المشتركة، ليست معركة اللغة فقط، لكن المعركة ضد القرآن، المعركة ضد السنة، المعركة ضد الثقافة...

الأستاذ محمد محمد حسين لا يضع عناوين، وهذا من عبقريّته وذكائه، لكن يتركك تكتشف بالأدلة والأخبار الموثوقة ما يريده لك من خير في كشف هذا الأمر.

العنوان، أيها الإخوة الأحبة، يحمل دلالة عظيمة:

كان المستشرقون قديمًا يتكلمون من خارج الأمة، يعني يقذفون الأمة بأوساخهم من الخارج. اليوم البلاء صار من الداخل؛ اليوم يتكلمون بلغتك، ويتسمون باسمك، والمشايخ...

فاتني أن أذكر لكم، وهو مهم جدا، المشايخ الذين حاربوه في قضية الست:

في البحث الخامس، تحت عنوان: حول بحث جامعي في قراءة القرآن، بعد أن ذكر –وهو موجود هنا– ماذا كتب للجامعة، والحمد لله الجامعة أجابت بأن أوقفت اعتماد الرسالة المعترف فيها. لكن كيف بدأت الصحافة في الهجوم عليه؟ وكيف استقدموا الرجال ممن يعرف ولا يعرف؟ وتحت أي أبواب؟ الحرية –ماذا قال المشايخ في قتل ناهد حتّر؟ قالوا: لا يجابه الفكر إلا بالفكر، وكأننا أمام فكر!!! واحد يسب على القرآن، هذا فكر؟!! هذه مصيبة وطامة.. القضية نفسها تمارس– انظر ماذا يقولون لنر كيف عاش المسكين محنة أصحاب الحق حين يكتشفون، فلا يصبحون في هذا العالم إلا غرباء، لا يجدون من ينصرهم. يقول إن الصحافة لم تسمح لأحد أن يكتب كلمة في نصرته أو في تأييده، يقول كلاما من الصعب أن تعبر عنه بلغتك ولابد أن تقرأه من المصدر نفسه، قال: وعند ذلك ظهر أعوان الشر ودعاة الهدم –والأسماء غريبة، من الشرق والغرب ومشايخ وأئمّة ومفتون وهكذا– يشنّعونني ويهاجمونني ويغرون الدولة بي في السر والعلن، بين مهاجمات صحفية ظاهرة ورسائل إلى الجهات المسؤولة مجهولة الكاتب، يتهمونني عندها بالرجعية، وبعداوة الثورية (لأن هذه المشكلة زمن عبد

الناصر... وهو يتحدث حديثًا رائعًا عن وزارة الارشاد القومي، وعما كان يكتب في صحافة هذه الوزارة، وخاصة لجنة التأليف التي كان زعيمها أحمد أمين، هي نشرت كتبا جميلة ورائعة، يعني ثاني من طبع شرح السير للسرخسي هي لجنة التأليف التي كان يقوم عليها أحمد أمين، ثم استلمها بعده طه حسين... لكنه يأتي بكلام للسنهوري فيه من الكفر والتلاعب في "كيفية ترقية الإسلام ليحل محل التغريب"، وأنا أجزم لكم: لو السنهوري اليوم لوضعه المشايخ في صدارة الكلام، وهو يقول: إن المشروع القادم لنا –صحيح أن أغلب الدول تحكم بالتشريع الغربي الكامل، وبعض الدول تحكم بالتشريع الغربي ولكنها أخذت بشيء من التشريع الإسلامي– أن نرتقي بالتشريع الإسلامي من أجل أن يصبح هو المهمة، لكن بأي طريقة؟ أن نبحث في التشريع الإسلامي عن ما يلائم المشروع الغربي، يعني: نقول نعم مرجعيتنا الإسلام، ولكن تحت باب تزوير الإسلام من أجل أن يتلاءم مع المشروع الغربي.. هذه كلها من فوائد هذا الكتاب) يتهمونني عندها بالرجعية، وبعداوة الثورية والتقدمية، وبما شئت من أمثال هذه التهم التي لا يمكن أن تمثل حقيقتها، أو تحديد حدودها أو إدراك ماهياتها، وتبين أن وراء هذه القضية أعوانا وأنصارا، لم يدر في الحسبان أن يقفوا وراء قضية خاسرة مثلها، فيهم من يرأس جماعة إسلامية كبرى، وفيهم من هو على رأس هيئة إسلامية ضخمة، وفيهم من يشغل مناصب رفيعة، واستكتب الدكتور حسين سعيد وزير التعليم العالي، وقتذاك ومحافظ الروتري في المنطقة، والأستاذ السابق في كلية العلوم، والأستاذ عبد السلام هارون (تصور لما المرء يصبح في هذه الدرجة من المعركة) والأستاذ في كلية دار العلوم تقريرًا يدافع فيه عن البحث دفاعا حارًا، أعير على أثره إلى كلية الآداب بجامعة الكويت عند إنشائها رئيسا لقسم اللغة العربية فيها، وخاضت صحف كثيرة في القضية تندب حرية البحث (أنتم تظنون أنّ ما قلته عن خلاصة الرسالة هو فهم، لا، هي ألفاظها، إذا أردتم أنا أقرأ لكم ألفاظ الباحثة وأنّها تقول القرآن ليس هو النص الذي أنزل على محمد، كان لمحمد صلى الله عليه وسلم الحرية في أن يغير ألفاظه بما يتلاءم مع مزاج قومه ولغة قومه، وهكذا فعل الصحابة من بعده) وتتباكى على كرامة العلم والعلماء، وتزعمت السيدة أمينة السعيد هذه الحملة، فنشرت في صحيفة المصور سلسلة من المقالات في ست حلقات متتالية... تحت عنوان: كرامة العلم والعلماء تضيع في جامعة الإسكندرية،

واستمرت على التوالي تحت عنوان حول كرامة البحث العلمي، وحول كرامة العلم والعلماء الضائعة في جامعة الإسكندرية... وحشدت الكاتبة في هذه السلسلة فتاوى من استكتبتهم من أساتذة الجامعات وعلماء الدين، وأنا أسرد للتاريخ أسماء الذين اشتركوا في الدفاع عن هذا البحث منهم، واترك للقارئ أن يحكم عليهم، بعد أن يقرأ نماذج مما جاء في البحث (أنا يهمني ما هذه الشخصية ويهمني واقع ما ينبغي على المرء إذا أراد الحق، عليه أن يوطن نفسه أن يسب فيما هو بينه وبين ربه). قال: وفي نص المذكرتين اللتين كتبتهما في الموضوع، وأنا أورد أسماءهم بحسب ترتيب ظهورها بهذه الحملة الصحفية: الدكتور عبد الصبور شاهين المدرس بدار العلوم، الشيخ عبد اللطيف دراز وكيل الأزهر السابق، الدكتور مصطفى زيد الأستاذ بدار العلوم، الأستاذ عبد السلام هارون الأستاذ بدار العلوم، الدكتور محمد طه الحاجي الأستاذ بآداب الإسكندرية، الدكتور محمود حافظ الأستاذ بحقوق القاهرة، الشيخ عبد الحميد السائح رئيس محكمة الاستئناف الشرعية في الأردن (يقول في الهام: من حق الشيخ عبد الحميد السائح أن أقول: إنه من أكثر هؤلاء –أنا لا أدري هل أراد أن يبرّأه أم أراد أن يوقعه في شر مقالاته، والرجل أفضى إلى ربه– من أكثر هؤلاء تحفظًا، فقد قرر في كلمته أنّه "لم يطّلع على الرسالة، ولا على قرار مجلس الكلية، ولا على قرار اللجنة الممتحنة، ثم قال: ولكنّي على ضوء آداب الإسلام العامة ومبادئه أقول: إنّ الإسلام يقدر جهود المجتهد، سواء أصاب أم أخطأ، عملًا بالحديث الشريف المعروف، وإنّه لا اجتهاد مع النص، وأن الاجتهاد يعتبر دائمًا إذا كان نتيجة بحث علمي، وليس فيه انحراف متعمد بهدم الإسلام أو المساس بأي أصل من أصوله.. الحديث") والشيخ علي الخفيف الأستاذ السابق بحقوق القاهرة، والشيخ فرج السنهوري (ليس السنهوري القانوني.. وللأسف يسمونهم بأسماء الشريعة يقول: الفقيه الدستوري، وهي كلمة شرعية تعبر عن معنى معروف في ديننا، لكن سرقت، كالشهادة وغيرها) الأستاذ السابق بحقوق القاهرة ورئيس لجنة تعديل قوانين الأحوال الشخصية، ووزير الأوقاف السابق الدكتور محمود محمد مصطفى الأستاذ السابق بحقوق القاهرة، والدكتور عبد العزيز الأهواني الأستاذ بآداب القاهرة، والدكتور عبد القادر القط الأستاذ بآداب عين شمس، والأستاذ عبد الحليم الدواخلي الأستاذ بآداب القاهرة.

كيف يصنفهم الأستاذ محمد محمد حسين؟ يقول: بعض هؤلاء من المتأثرين بالتحررية الغربية والليبرالية في الدفاع عن حرية الرأي، وبعضهم من طالبي الظهور الذين يحبون أن يروا أسماءهم وصورهم في الصحف، وبعضهم ممن تورطوا فيما لا علم لهم به، وبعضهم ممن صور له الأمر على أنّه توريط لصاحبة البحث بتهمة الإلحاد بقصد إيذائها، مع أنّ هذه التهمة لا تؤذي أحدا في أيامنا هذه لسوء الحظ، وبعضهم ممن تربطهم صلة بصاحبة البحث، أو بالمشرف عليه، أو بعضوي لجنة المناقشة الآخرين.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجزي هذا الجبل الشامخ والإمام العظيم خير الجزاء في دفاعه عن أمتنا، وعن دينها، وعن ثقافتها، وعن لغتها، وعن تاريخها.. وأسأل الله أن يلحقنا به على خير، وجزاكم الله خيرا، وجزاه، وبارك الله فيكم.

وأنا أشعر أنّنا قصرنا في بيان ما عليه هذا الكتاب، وهذا الكتاب لا ينفع المرء إلا أن يقرأه، وهو كتاب ليس كبيرًا، فيستطيع المرء في أسبوع واحد مع التدقيق أن ينتهي منه، جزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم.

الكتاب القادم هو سقوط الجولان لخليل مصطفى (بريّز)، مرات يكتبونها ومرات لا يكتبونها، ولكن كلمة بريّز مهمة لأنّها فائدة واحدة ونذكرها عند الدرس إن شاء الله، وأظن أنه قد قتل.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: بالنسبة إلى ناصر الدين الأسد، هل بقي على منهجه في تأييد طه حسين........

الشيخ: لا لا، ناصر الدين الأسد صاحب كتاب "مصادر الشعر الجاهلي"، وهو من أعظم الكتب وأجملها وأفضلها، والرجل استقصى استقصاء فيه، وأنا دائما أذكر هذا الكتاب من الكتب التي فيها الاستقصاء الشامل والقراءة المستوعبة.

لم يكن يوما من الأيام على طريقة طه، وهو حرب عليه وهو طالب، وهو حرب عليه لما انتهى. وكان تلميذا طيبا استفاد كثيرا من الشيخ شاكر، ولكن الذي أعرفه –وقد أكون مخطأ– أن الأستاذ محمود شاكر رحمه الله كان يعيب عليه أنه قصر في ما ينبغي أن يكون عليه التلميذ مع شيخه في أمور كثيرة.

لكن حقيقة الأستاذ ناصر الدين الأسد كان وفيا للغة، وشرسا، وفضح كثيرا ممن... وله مراجعات –قد تكون في يوتيوب– في لقاءات جانبية سمعت بعضها، يتحدث عن فساد طه حسين، وعن غروره وعن أثره وسلطانه وكيف كان يستخدم سلطانه لما كان وزير معارف في تمرير رجاله وإيقاف غيرهم.

كتاب مصادر الشعر الجاهلي ناقشه شوقي ضيف، وشوقي ضيف كانوا يعدونه ذراع طه حسين ولا يستطيع أن يخالفه، فلما ناقش الكتاب كان شوقي الضيف يخاف –صحيح أن ناصر الدين الأسد لم يعلن أنه ضد طه وأنه يناقش كتاب طه "في الشعر الجاهلي"، لم يقل هذا، ولكن الكتاب واضح– يخاف ويتردد في إعلان موقفه من الكتاب، فأحد المناقشين –نسيت اسمه– قال: لعلك تخاف طه حسين –لأن طه حسين في ذلك الوقت عند مناقشة الكتاب في فرنسا– لعلك تخاف طه حسين بالغيب؛ فهذا جعله يؤيد الكتاب ويجيزه.

والأستاذ ناصر الأسد من الناس الذين ضيعوا أعمارهم في الأعمال المؤسسية، مع كثرة ما أنجز، ولكن الأعمال المؤسسية أضاعته وأفسدت عليه الكثير مما كان ينبغي عليه أن يخدم فيه أمته.

السائل: ذكرتم عرضا أمر المستشرقين والهجمة الخارجية، وأنا سمعت من بشار عواد: إن المستشرقين لم تكن لهم طوية سوء وإنما أخطأوا من حيث قصدوا الخير. فما صحة هذا الكلام، بارك الله بكم؟

الشيخ: بغض النظر عن موقفي من بشار عواد معروف ومحاولة تسويقه، وكذلك موقفي من شخصيته، ومن طريقة بحثه وتصوره لكثير من القضايا بطريقة تحتاج إلى تأنٍ، وهو الآن صار معروفا وشهير في قضية التحقيق، والناس يحبون الجلوس، مع ما في ذلك من كلام كثير حول شخصيته، إلا أن كلامه هذا عن المستشرقين بهذا الإطلاق جهل مطبق.

والدكتور بشار عواد معروف صديق صدام البعثي، وكان عضو لجنة قطرية في حزب البعث العربي الاشتراكي، ومازال يؤمن بأن البعث شيء عظيم، وإنّما اشترك في تحقيق التراث لقدرته على الوصول إلى المخطوطات -وهذا أذكره للأمانة- لقربه من صدام، وصدام كان يحبه وهو يحب صدام، ويرى أن صداما هو النموذج، نموذج صلاح الدين المعاصر.. فقربه من صدام جعله يصل إلى كثير من المخطوطات.

أنا قابلته على كل حال، من غير ذكر ذكريات في تلك المقابلة.

المهم: يقول بشار إنّ المستشرقين لم تكن لهم مقاصد سيئة في دراستهم لتاريخ الأمة وكتب الأمة وثقافة الأمة؛ وهذا غير صحيح البتة، ويكفي أن تقرؤوا كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد -وهذا كتاب إن شاء الله سنناقشه-، وإدوارد سعيد نصراني، وعاش مغربا عن فلسطين، ويقول: أنا لا أعرف فلسطين.

وللذكر، وهذا أستعجل فيه وإن كان سيأتي في مناقشة الاستشراق: أبوه كان يمنعه من أن يتكلم باللغة العربية، وكان يمنعه من أن يتحدث عن القضية الفلسطينية، لما أرسله أبوه -لأن أباه من الأثرياء، من إقطاعيي فلسطين من الساحل- ليدرس في كلية فكتوريا التي أنشأها الإنجليز، والتي درس فيها الملوك في الإسكندرية وهي مشهورة.. فكان يمنعه من الكلام بالعربية، وكان يمنعه من أن يفكر في فلسطين، فعاش غريبا، ثم بعد الـ ٦٧ شدته فلسطينيته فعاد لقراءة فلسطينيته، ومات على ليبراليته، وهو نصراني لم يتغير وليبرالي لم يتغير، واشتهر عند الناس لأنه ذهب إلى جنوب لبنان وأخذ حجرًا ورماه على صورة رمزية، رماه على الجنود الإسرائيليين في فلسطين.

القصد من هذا أنّه فُرّغ من أجل قراءة الاستشراق، وكتب في الاستشراق كتابًا مهمًا جدًا، وإن شاء الله سنناقشه، فيقول: الاستشراق لم يكن يوما من الأيام نظيفًا ولا بريئًا. وهذا رجل يعيش في مستنقع الاستشراق ويقول هذا الكلام!!

فينسينك الألماني صاحب كتاب المعجم الفهرس لألفاظ الحديث النبوي –وهذا الكتاب لما خرج سموه كتاب السحر؛ لأنه قبل كتاب المعجم المفهرس كان كتاب ذخائر المواريث للشيخ يوسف النبهاني، كنا نعده فتحا لأنه فهرسة، ثم لما ظهر المعجم المفهرس طار به الناس وفرحوا به فرحا شيئا عظميًا لأنّه فهرسة– لماذا ألفه، وفينسينك عدو معروف من أعداء الإسلام؟!! اليوم بسبب البرمجة والكومبيوتر لا أحد يعود إليه، لكن في ذلك الوقت كان مرجعا، لماذا ألفه فينسينك؟ كتبه من أجل أن يستعين به المستشرق في السب على الإسلام، وهو عدو للإسلام.

أعطونا مستشرقًا نظيفًا!!! هم قلة، وأغلبهم إنّما يكتبون ويدسون السم، وبعض اعترف أنّه لما حقّق بعض الكتب أزال منها وغيرها وبدلها.

ونحن نعرف تمام المعرفة أنّ الاستشراق إنما نشأ على ضفاف الاستعمار. يعني: قبل أن تغزى الأمة من قبل الجيوش، جاء المستشرقون ينقبون في تراثنا، في لغتنا، في ديننا، في مناهجنا، في جماعاتنا – اكتشاف السني والشيعي والدرزي وكذا–، وطافوا البلدان؛ ومن هنا: مما ينصح به، وهو مهم جدًا، قراءة كتب الرحلات الغربية، لأنّك تستطيع أن تعرف كيف دخلوا.. حتى وصلوا إلى مكة تحت دعوى الإسلام.

فالمستشرقون، هذه كلمة ظالمة، ومزوِرة، ولم ينتفع أهل الإسلام إلا بالقليل مما رعاه المستشرقون من أجل خدمتهم. يعني هم قرؤوا بعض الكتب ونشروها من أجل خدمتهم ومقاصدهم ومؤسساتهم، فلمّا انتشرت انتفع فيها أهل الإسلام.

وقراءة التزوير شيء كثير فيهم، لا نريد أن نأتي عليه الآن، لكن ربما نمثل لها كثيرًا في ما كتبه إدوارد سعيد في كتابه الاستشراق. وبيّن فيه أنّ الاستشراق يقوم بدور –وهذه كلمتي– الفيلم الأمريكي؛ الفيلم الأمريكي كيف صور الهندي الأحمر؟ صوره مجرما، قاتلا، همجيا، والقصة مختلفة كليًا، لكن لابد من تسويد صورة المخالف، كما يفعلون بنا......

اهتم الإنكليز بقضية نشر الرقيق إلى وقت قريب، قبل أن يظهر الإرهابيون، لأن صورة العربي في داخل الفلم الغربي كانت تصنعها ألف ليلة وليلة فقط: العربي لا يعرف إلا بالبطن الكبير، وعنده خيمة، وعنده خمس عشرة امرأة هم جوارٍ، وطوال النهار يشرب الخمر ويغني.. هذه صورة العربي؛ فمن الصور التي يصورونها أنهم هم من أنقذ العبيد من العرب، لأن العرب كانوا يسرقون العبيد من افريقيا! حتى جاء في أليكسيس في كتابته "الجذور" -شكرا له!!!- وبان أن أغلب من أخذ من العبيد إلى أمريكا وبريطانيا هم مسلمون -وهناك شخص أنا أحب أن تقرؤوا عنه، اسمه سليمان كذا، قصته عجيبة، ممن أخذ، كان يحفظ القرآن- فكشف صاحب كتاب "الجذور" أنّ المسلمين هم الضحية، وأنّ آباء وأجداد هؤلاء الأفارقة هم مسلمون، وأغلبهم كانوا من العلماء وكانوا مثقفين، وليس كما يصورنهم في الصحافة.

فالقصد: إن الاستشراق أنشأ على ضفاف الاستعمار، مع الاحتراز في كلمة الاستعمار، أو كما سماه علي شريعتي: الاستحمار. والدفاع عنه بهذه الطريقة، هذا تزوير، وينبغي عليه أن يسكت، هذه ليس قراءة مستوعبة، لا أريد ان أتهمه في نيته، وقراءة لا تعد شيئا.

السائل: هل يمكن اعتبار عدنان إبراهيم أنه تحديث أو إصدار جديد للتغريب أو الاستشراق؟

قبل أن أجيب عن هذا السؤال المهم أريد أن أقول: إن الغرب يعتمد على عدة أسس في اختياره للرجال:

أولًا: اختيار أصحاب الأقليات. وإذا بحثت عن المشيخات التي أنشت من قبل الغرب لتحكم، كلها كان لها صفة السوء والقذارة، ثم عمّدت لتكون هي المشيخات والقيادة.

ترى الذين أخذوهم إلى الغرب، ترى فيهم الحقد على الأمة لأسباب معينة. مثلًا: لو أخذنا ظاهرة طه حسين، عندما تقرأ كتابه الذي تحدث فيه عن نفسه "الأيام" عندما تقرأه ترى رجلا حاقدا بسب على أبيه وأمه، يسي على أخيه الذي كان يرعاه، أخيه الذي يترك شغله -وهو فقير- ويترك عيلته، من أجل أن يمشي به ومع ذلك يسب عليه وهو حاقد عليه..... لم يمدح في كتابه "الأيام" أباه، لم يمدح

شيخه الذي حفّظه القرآن، يقول عن شيخه: كذاب دجال!! يتكلم عن شيخه الذي حفّظك كتاب الله وعلّمك الحرف.. يتكلم على أبيه وأمه ويستهزأ بهم.. رجل حاقد. فاختيار رجل هذه نفسيته لم يكن عن فراغ.

ثانيا: ينبغي أن يكون من الأقليات؛ لأنّ الأقليات من طبيعتها الخوف، وأنتم ترون الآن، أن من يتحالف ضد أهل السنة هم الأقلية النصرانية والأقلية الشيعية. وهم يعرفون أنه لا يمكن إيقاف المد الإسلامي السني إلا من خلال تحالف الأقليات ضده، فإذا جاء الإسلام وجاءت العروبة بالمفهوم المغربي، فلن يبقى لهم شيء، إلا ما سمح به الإسلام. لكن كيف يبقى سلطانهم؟ من خلال التحالف مع الأقليات، ولذلك ترون أن عمد الأحزاب الشيوعية هم اليهود، وعمد الأحزاب القومية هم النصارى وبعض الأقليات مثل الدروز.. الآن من أستاذ الحداثة في عالمنا؟ رجل إسماعيلي هو أدونيس.

فترى الاهتمام بهؤلاء –أقليات أو مرضى نفسانيين أو ناس منبوذين في داخل المجتمعات– ويأخذونهم من أجل أن ينفذوا مآربهم، لأن المنة تصبح واضحة عليهم، ويعتبرون أنه إذا أزيل الدعم أزيل سلطانهم.

بعض الدول –أنتم تعرفونها– أنشئت من أجل أن تبقى طوال عمرها مرهونة لمن أنشأها، وإلا تموت وتسقط.. ليس عندها القدرة على أن تكون دولة، دول كثيرة أنشئت لا تستطيع أن تكون دولة بنفسها، ربما يكون عندها أموال لكن ليس لديها مقومات الدولة أخرى، ربما يكون فيها اتساع لكن ليس فيها شعب قادر أو مال يكفيها..

لماذا أقول هذا؟ هناك ناس مرضى معوقون تعرفهم من كلماتهم...

أنا لا أريد أن أتهم كثيرا من الأمة بالغباء، ولكن حقيقة أتعجب من خداع بعض الأشخاص للأمة، أو لكثير من الناس –والمقولة البريطانية الشهيرة التي قالها تشرتشل: تستطيع أن تخدع بعض الناس لبعض الوقت، لكن لا تستطيع أن تخدع كل الناس كل الوقت– لكن للأسف الأمة فيها، وأنا قابلت أشخاصا –أشهد الله، والله على ما أقول شهيد– عرفت أنه كذّاب من أول جلسة، بعد عشر دقائق قلت هذا

كذّاب، ومع ذلك تجد الأشخاص يبايعونه على الموت وعلى الشهادة!!! ثم يظهر لهم أنه كذّاب ودجال ومنافق، فأتعجب كيف لا يكشف من أوله!!

عدنان إبراهيم... أنا أتعجب –بلا شك أنّ هناك هوى مبطّنا في نفس السامع يتلاءم مع هذا الدجل الذي يقوله، يعني: رجل يريد أن يتخفف من الشريعة، ولكنه بسبب نشأته البيئية يحترم الشريعة، فماذا يصنع؟ يبحث عن شيخ يقدم له التخفف من الشريعة باسم الشريعة. رجل لا يريد أن يكفر بالله، لكن يريد أن يظهر شيء من الدين لا يعرفه أهل الدين، رجل يريد أن يظهر شيئا على طريقة الذي بال في زمزم ليشتهر.. فكل هؤلاء لهم مقاصد باطنية، كلها شر، وكلها هوى، وكلها فساد، وهؤلاء هم الذين يتبعون عدنان إبراهيم. وأتحدى أن يكون هناك طالب علم واحد يسمع ما يقوله عدنان إبراهيم فيذهب ويحقق ويقول: أريد أن أرى ماذا يقول عدنان إبراهيم.......

فمن الذي يسوّق لمثل هؤلاء؟!!! عدنان إبراهيم رجل إذا تكلم كذب، وأنا لم أره ولم أسمع له الكثير، ولا أطيق ذلك.. لكن أنا أُشهد الله، ما من أحد أرسل لي شيئا عنه أو عنوانا يستفزني لأسمعه، أشهد الله إنّي ما رأيته فتح فمه إلا ويكذب، ويتكلم كلامًا من العقلانية بمكان، فإذا تحدث عن نفسه تحدث حديث الولاية الصوفية!!! يعني: إذا تكلم عن الحديث وعن الواقع زعم العقلانية، مع كل ما في هذه العقلانية من بطلان، لكن إذا تحدث عن نفسه تحدث حديث الولي الصوفي الذي يُفتح عليه: وهو صغير فتح عليه، وهو ابن ١٣ سنة رد على الشيوعين فمحقهم.

فأي أمة تسمع له!! أنا أردد كلمة سيد قطب رحمه الله: أنا لا أغضب على الطاغوت لأنه طاغوت، ولا على فرعون لأنه فرعون، أنا أغضب على الامة التي تصفق له.

عدنان إبراهيم رجل مريض، رجل كذاب، لا يمت إلى العلمية بصلة، وأقسم بالله ما سمعت له كلمة صدق فيها، وبعد ذلك تجد له أتباعا!!! أما أن يكون الأتباع على ما قلته، فتلك مرطّبة للقلوب، أما من تبعه مريضا فلا يؤسى عليه (فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِين).

هل يُتبنى عدنان إبراهيم؟ بلا شك، يعني: عندما تستضيفه قناة إماراتية كبيرة ليتكلم عن الدين، فهل الأمة احتاجت لهذا العالم النحرير أن يخرج إلى الفضائيات ويتكلم؟!! بلا شك أن فتح الفضائيات له معايير، ومقصود بها تزوير الدين وتحطيم القواعد اليقينية في ديننا.

والله عز وجل يرحمنا، ماذا نصنع؟ هذا هو الواقع، هذا واقعنا (يخوّن فيه الأمين ويكذّب فيه الصادق).

الكتاب القادم، أيها الإخوة الأحبة، سقوط الجولان لخليل مصطفى.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرا، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

سقوط الجولان

لخليل مصطفى

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب السادس والأربعون

تاريخ المناقشة: ٨ تشرين الأول ٢٠١٦.

إنَّ الحمد لله، نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلّله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمد عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيّبين الطّاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم، آمين آمين.

أهلا وسهلًا بكم مع الكتاب السادس والأربعين من سلسلة ألف كتاب قبل الممات، والكتاب الذي بين أدينا هو كتاب العقيد في الجيش السوري، الذي سرّح من وظيفته قبل أحداث ٦٧، أو كما يسميها الإعلام المصري المنافق النكسة، الذي سمّاها النكسة هو محمد حسنين هيكل، المعروف بكذبه ودجله وافترائه.

هذا المؤلف اسمه: خليل مصطفى بريّز، وكتابه هذا هو أحد كتابين كتبهما عن ملف سقوط الجولان، الكتاب الأول وهو الأهم والأشهر والأكثر انتشارًا هو كتاب سقوط الجولان، والكتاب الثاني من ملفات الجولان، وكان قد وعد في كتابه ملفات الجولان وعد أن يكتب كتابًا ثالثًا، فيه الكثير من الحقائق التي لم يبيّنها في هذين الكتابين، وخاصة كتاب سقوط الجولان، وأنّه يملك معلومات خطيرة، والرجل كتب كتابيه هذين وهو هارب من سوريا إلى لبنان، فحدث أن قامت المخابرات السورية باختطافه، واختلف في طريقة الاختطاف، والأشهر أنّه اختطف من المصعد وخدّر ثمّ حمل إلى سورية، وهناك وضع في السجن، قابله بعض الأشخاص الذين سجنوا معه، وعلى رأسهم الشيخ سعيد حوى، سعيد حوى في ذكرياته ذكر هذا الرجل وشيئًا من تعامله معه، على صيغة يسيرة جدًا، وذكره بعض الضباط الذين سجنوا معه وذكروا شيئًا من خصاله، من تدينه، من أخلاقه في داخل السجن.

ومن عجائب الأمور ذكر أحد الضبّاط الذين سجنوا معه، أنّهم أرادوا أن ينقلوه من مهجعه الذي هو فيه إلى مهجع البعثيين، فقبل أن يذهب إلى الزنزانة الانفرادية دون أن يذهب إلى أولئك، ويعلق الصديق الذي كان معه في مهجعه: أنّ السبب هو ما يعرفه السجناء من خسة البعثيين وقذارتهم وأنانيّتهم

ومشاجراتهم وقتالهم على أتفه الأمور، فرضيَ أن يذهب إلى الزنزانة ولا يذهب إلى مهجع البعثيين، وهذا هو المشهور عن هؤلاء البعثيين.

خليل مصطفى، وأنا قلت برّيز، لشهرته بهذا اللقب حين يكتب عنه أهل المذكرات، وإلا فهو في كتابيه لم يعلن هذه النسبة، وإنّما خليل مصطفى ضابط الاستخبارات في الجولان قبل سقوطه، وهذا الأمر نحن لا نملك كثير حديث عنه، أي خليل مصطفى، ويظهر من شخصيته الصدق، ومن عاشره قال أنه صاحب دين وخلق، وأنّه وفيّ لدينه ولأمته، وأراد شيئًا كبيرًا، لكنّ شهرته أكثر من خلال كتابيه، وهما كتابان لا يصلحان إلا كمرجع، يعني يمكن للمرء أن يقرأهما قراءة شاملة، ولكن الكثير لا يبقى في ذهنه لدقة المعلومات، ولأنّه رصد ظاهرة سقوط الجولان رصدًا يسمى تقريبًا باليوميات، وهذا عادة لا يبقى عالقًا في الذهن ككتب المعاجم العربية، يعني من الصعب المرء يذهب إلى لسان العرب فيقرأه، ولذلك يذكر أحدهم، وهو أظن أنّه رئيس ما يسمّى برابطة الأدباء المسلمين، أنّه وجد على هامش لسان العرب الذي كانت في مكتبة الشيخ محمود شاكر، وجد: إلى هنا، إلى هنا، فيتعجب، معقول واحد يذهب إلى لسان العرب فيقرأه قراءة، فسأله: لماذا هذه العلامات في الكتاب؟ فقال: هكذا كان أخي أحمد شاكر يأمرني أن أحفظ من هنا إلى هنا، يحفظ الكلمات ومعانيها واشتقاقاتها وأصولها والشواهد عليها إلى غير ذلك.

وهذا الكتاب من نوع البلوغرافيا، يعني من النوع الذي يصلح كيوميات لهذه القضية الخطيرة، وبالتالي على المرء أن يقرأه بعناية، لأنّه يشكل لديه رؤية كلّية لموضوع سقوط الجولان تحت حكم العسكر في سوريا، وبقيادة وزير الدفاع حافظ الأسد يومها، فيمكن أن يشكل رؤية عسكرية لهذا السقوط.

الأمر الثاني الذي يهمنّا في هذا الباب، وهو أنّ خليل مصطفى لم يبحث عن جذور الخيانة، وهو عقيد استخباراتي يهمه أن يرصد الرصد العسكري اليومي في السقوط وكيف تم من خلا أمور... ولم يعرّج في الحقيقة، أو لعدم الاستطاعة، أن يكشف لنا لماذا يتخلى الحكام والعسكريون والقادة السياسيون عن الجولان ويبيعونها لقمة سائغة لليهود؟ الكتاب في الحقيقة يقف عاجزًا عن الإجابة، وهذا

ما ينبغي أن نبحث عنه نحن. هناك من حاول، لكنّ المحاولة في ظني لم تكن موفقة، سعيد جمعة رئيس وزراء الأردن، خلال حرب الست أيام –هي ست دقائق– حاول في كتابه "الله والدمار" أظن، لأنّ له كتب تقرأها مرة واحدة، وكلها ذات موضوع واحد، يقول: إنّ تسليم الجولان من قبل النصيريين لليهود تم بناءً على نبوءة في كتب النصيرية، وأحضر النص النصيري من كتبهم، وهو يفيد بأنّه يجب تسليم الجولان لليهود، ولشخص من اليهود، يبدأ اسمه بميم أو كذا. فهو يعيد هذا التسليم، ولا يسمى سقوطا، للجولان الشامي، أو السوري، لليهود، يعيده إلى قضية اعتقادية، والحقيقة أنّ هذه الوثيقة مزورة وغير صحيحة، مع أنّ النصيريين من أخبث خلق الله ومن أفجرهم، وهم من أسوأ الروافض حتى إن الروافض يكفّروهم، وإن كان، الروافض والنصيرية الآن أصحاب عقيدة واحدة، وهذا ذكرناه في مواطن كثيرة، وأنّ ما كان غلّوًا عند الأئمة الروافض الأول هو عقيدتهم اليوم، يعني الغلو، الروافض كانوا يقولون عن النصيرية غلاة واليوم الروافض على مذهب النصيرية، ولا نريد أن نخوض في هذا الباب.

حاول سعيد جمعة، لما مسحت به هزيمة الـ ٦٧ أردنيًا، حاول أن يعتذر للأمة: أنّ الأمر عمالة أكبر من كوني أنا رئيس وزراء، فكتب مجموعة كتب: "أبناء الأفاعي"، "الله والدمار"، ومجموعة كتب، كان نظيفًا فيها، وقال بأنّ السبب هو اعتقاد النصيريين هذا الاعتقاد. وأنا أقول لكم: الوثيقة غير صحيحة، ومكذوبة.

وهناك الكثير من الوثائق التي تنتشر، يعني ينشرها خصوم، ولكنّهم ليسوا على علم دقيق في البحث، والشيء الثاني يحاولون تسطيح الأمور تسطيحًا مخلًا. مثال: الموقف الحقيقي الإيماني لم تقفه دولة أي دولة في القضية الفلسطينية –وهذا سنعرّج عليه، لأنّه يكشف ليس فقط سقوط الجولان ولكن يكشف كذلك سقوط الضفة الغربية ويكشف سقوط سيناء–، وموقف الدول العربية من القضية الفلسطينية كله خيانة، بمفهوم الخيانة الواسع وليس بمفهوم الخيانة في مفهوم الناس من السذاجة والعمالة؛ لأنّهم خانوا هذه القضية ولم يقوموا بها، وكل الحكام والملوك خانوها، سواء كان في الـ ٤٨ أم في الـ ٦٧ وإلى يومنا هذا، جميعهم خونة ولا يستثنى أحد، ولا يقال كان هناك فلان وكذا، وسنبين أنّ البطولات التي حدثت

ويفتخر بها البعض هي بطولات فردية، وليست بطولات القيادة التي تحاول أن تسرق البطولات الفردية وتنسبها إلى نفسها.

مثلًا: كتاب ناصر السعيد عن آل سعود يقول: إنّ عبد العزيز آل سعود -وتنشر دائمًا هذه الوثيقة- أعطى فلسطين لليهود، وهذه وثيقة منتشرة، وهي كذب. وهذا ليس تبرئة لإجرام أحد أو لخيانة أحد، ولكن هذه غير صحيحة، التصريح غير صحيح. يعني الحكام في ذلك الوقت لا يتعاملون في هذه القضايا بوثيقة يكتبها ويعطيهم إياها، وعندما تم التحالف بين الشريف حسين والإنجليز لم تكن هناك وثائق، وإنما الأحداث هي التي تبين هذا.

فالقصد ما زال الباب واسعًا في تفسير الخيانة، وما زال الباب واسعًا في تفسير الحدث. يعني لنقف أولًا عند سقوط الجولان، ونذهب مثلًا إلى ما يوازيها أو ما قبلها.. لنذهب إلى الـ ٤٨:

هذه المأساة التي وقعت في الـ ٤٨، الذي حقق انتصار اليهود فيها هي تنظيمات وفصائل، وصحيح أنّ الكثير منها عسكريًا قد خرج من تجربة الحرب العالمية الثانية وجاؤوا إلى فلسطين وقاتلوا، سواء الهاجانا أو قسيمتها، فهؤلاء لهم خبرة عسكرية؛ لكن كان باستطاعة (الشعب) الفلسطيني وحده أن يكافئ قتال اليهود، ولا يحتاج لا إلى جيوش ولا إلى كذبة ولا إلى فجّار يتاجرون به، كان الفلسطينيون بحاجة إلى شيء واحد فقط وهو السلاح، والسلاح في ذلك الوقت لا يطلب -اليوم عندما يجاهد السوريون في سوريا يحتاجون إلى سلاح نوعي ليقفوا أمام روسيا، وأمام دولة فيها طيران وفيها صواريخ، لكن في ذلك الوقت لا يوجد سقف عالٍ للسلاح النوعي، يعني اليهود لم يكونوا يملكون طائرات.. وكان باستطاعة هؤلاء الحكام (الخونة) -خونة على معنى معين، كل خائن له صلته في الخيانة وله تفسير في هذه الخيانة- أن يعطوا الشعب الفلسطيني السلاح فقط، لأن الشعب الفلسطيني كان عاريًا من أدنى درجات التسلّح، وذلك لما كانت تقوم به بريطانيا في تجريد الشعب من السلاح، فقد كان الذي يقبض عليه من الفلسطينيين يحمل رصاصة فقط، سواء كانت فارغة أم غير مستخدمة، كان يقتل ويعدم ويذهب وراء الشمس. فكانوا لا يريدون الجيوش السبعة ولا قادة الجيوش ولا غيرهم، ومع ذلك فإن

الأمة خانت، والحكام خانوا، وكل له مقصده. في ذلك الوقت ما هي الخيانة؟ الخيانة كان هناك صراع على ملك العرب: المملكة المصرية المتمثلة بفاروق، والمملكة الهاشمية، وملك آل سعود، وكلهم كان يريد -وهذا التفسير هو أقرب ما يمكن أن نقوله، بغض النظر عن التفسيرات الأخرى- السبب هو الصراعات الملكية لمن يكون ملك العرب بعد ذهاب الدولة العثمانية، فكلهم يريد أن يكون ملكًا، فبالتالي الكل يكيد للكل.

وإيّاكم أن تظنوا يوما من الأيام أن القضية الفلسطينية كانت على أجندة أي حاكم عربي، هذه يجب أن تكون في أذهان كل واحد ظاهرة ظهورًا بينًا.. ولا حاكم. نحن الآن نظن أن الحكام والناس يفكرون تفكير... والقضية الفلسطينية اليوم غابت عن الصورة، ولم تعد هي الرقم الأول في نفوس الناس، ولا الثاني ولا الثالث، يعني الناس الآن لما تتحدث عن فلسطين كأنّك تتحدث عن الأندلس، أو قريبًا سوف تصل إلى الأندلس. مع أنّها هذه عوارض يسيرة، فلا تيأسوا، وأنا أؤمن دائمًا بأنّ القضايا الغائبة تصبح حاضرة بقليل من الحدث. يعني: سنة ١٩٨٢ قامت قضية النصيرية وقتال النصيريين في سوريا ثم ماتت، والمشايخ كلهم ذهبوا إلى حافظ الأسد ثم ذهبوا إلى بشار الأسد، وكل الطوائف صالحوه، وكان هم كل الأحزاب الإسلامية أن يسمح لهم بالعمل الإصلاحي داخل سوريا.. ثمّ تفجرت القضية الآن وعادت، فلا تيأسوا.

عندما نقول كيف تصلح الأمة؟ يا رجل، كمال أتاتورك بقرار واحد غير الأحرف التي تكتب بها كلمات التركية. والآن تقول: الأتراك يكتبون بالأحرف اللاتينية، فكيف نعيدهم إلى الأحرف العربية، هذه قضية كبيرة!! لا، ليست قضية كبيرة، كما أنّها غُيّرت اللغة التركية كتابة من الأحرف العربية إلى اللاتينية، فبسنين قليلة يمكن تغيرها. عندما نتحدث عن الألم وعن الفساد، ونتحدث عن كتلة الشر الجاثمة فوق الحق، إياكم أن تصابوا باليأس، فالمسألة يسيرة جدًا.

مثال آخر: يظن البعض أنّ هذه القطيعة بين الشعوب الإسلامية، بوجود التكبر عند شعب على شعب بسبب غناه مثلًا، وحسد هذا الشعب لذاك لأنّ ذاك غني وهو فقير، وكذلك بسبب الحقد الذي

يصنعه الطواغيت من خلال الحرب الداخلية بين العرب.. يظن البعض أنّها قضية كبيرة ولن تزول!! صدقوني هذه تمحى خلال شهور، فكل عوارض الشر هذه تزول بسرعة، وما أسهل زوالها!.

أعود إلى ما نحن فيه: فيمكن مثلًا أن نفسر هذه الخيانة، وأنا أكرر كلمة خيانة وأكرر أن المقصود بها ليس المفهوم الساذج، وإنّما الخيانة بمعنى التقصير، والخيانة بمعنى الارتباط -لأنه ثبت أن بعض ملوك العرب كان على اتصال مع بن غوريون واتصال مع اليود، وكانوا يجلسون مع بعضهم، وبعضهم كان يعتقد بأنّه لا يمكن للمنطقة بأن تنمو وأن تجدد إلا بالعقل اليهودي العظيم، مع المال والأيدي العربية!! هذا كان يصرّح به بعض الملوك العرب ويعتقدونه، فلذلك كانوا يرون أنه لا بد من وجود اليهود ولا بد من مصالحتهم، ولا بد من إعطائهم الأرض، كما يقول الكلب ضاحي خلفان الآن: العرب عندهم اثنان وعشرون دولة، فأعطوا اليهود المساكين هذه الدولة. هذه الكلمة لا تقال اليوم، هذه قيلت قديمًا، كلاب كثر قالوا هذه الكلمة- فالقصد أن البواعث للجريمة كثيرة ومتعددة، مثلًا القصة الشهيرة، وهذه يجب أن نكررها وأن نعيها: عبد القادر الحسيني جاء واجتمع مع وزراء الدفاع ووزراء الخارجية العرب في دمشق لما كونوا الجيش العربي الذي يريد أن يحرر فلسطين سنة ١٩٤٨، فقال لهم كلمة -كما ذكر الريماوي الذي كان صاحبًا وصديقًا له في الرحلة- قال: أنا أريد منكم السلاح فقط، فإذا سقطت فلسطين علّقوا مشنقتي على أقرب مسجد من بيتي، فاستهزأوا به وضحكوا عليه، فرجع من الاجتماع إلى الفندق وفي الليل قال لصديقه: غدًا سوف نذهب إلى فلسطين، قال له الريماوي: ستذهب إلى الموت، قال: طبعًا ذاهب إلى الموت، أريد أن أموت حتى لا أتهم بالعمالة، يعني لو بقيت حيًا لقالوا فلان با ع فلسطين.

الموت يطهر المرء، أليس كذلك؟ يعني بعض الباحثين يقول: يوسف العظمة، صاحب معركة ميسلون، خبيث، ومتواطئ مع الفرنسيين أصلًا، ولهم أدلة كثيرة ينبغي الوقوف عندها وعدم إهمالها... لما دخل جيش غورو -لما أسقطوا الحكم الفيصلي في سوريا- دخل الفرنسيون واحتلوا سوريا، وكان وزير الدفاع يومها في الحكم الفيصلي هو يوسف العظمة، فالكثيرون يقول بأنّ يوسف العظمة خبيث، وهو

الذي أمر الجنود بالانسحاب، ولكنّه قتل وهو هارب، جاءت قذيفة بالخطأ عليه فقتل، فالآن لا يتحدثون إلا عن الشهيد العظمة!! فالموت يغسل القاذورات.

فالمهم: هو قال: أريد أن أموت كي لا يقال عميل، ولو بقيت حيًا لأصبحت عميلًا. وانظروا إلى المفارقة: الناس لا يستطيعون أن يقولوا عن عبد القادر الحسيني أي كلمة، لكن يتكلمون كثيرًا عن الحاج أمين الحسيني، والحق أنّ عبد القادر الحسيني هو حسنة من حسنات الحاج أمين، والحاج أمين الحسيني رجل مخلص وعظيم، ولكن كانت مساحته في الحركة أضيق من القبر، فيمكن الكلام عنه كثيرًا، خاصة أنّه عاش حتى تجرّع المأساة، والألم.

نعود إلى الموضوع: ما هي الدوافع التي تؤدي بهؤلاء الحكام إلى الخيانة؟ في الـ ٤٨ يمكن أن نقرأ أنّ الحكّام كلٌ مشغول بتثبيت حكمه وإظهار سلطانه، وبالتالي قضية فلسطين لا تعنيهم.. والحقيقة أنها لا تعنيهم إلى يومنا هذا.

لماذا تسلم سيناء في الـ ٦٧؟ يعني هذا الدولة المسخ التي تسمّى إسرائيل في منطقة صغيرة جدًا، يعني انظروا إلى خارطة إسرائيل قبل الـ ٦٧، وأنت لو تأتي بخارطة الوطن العربي وتريد أن تكتب كلمة (فلسطين) على مقدار الرقعة الجغرافية لفلسطين، فإنها لا تسعها لصغرها، فكيف قبل الـ ٦٧؟ أي شيء كان عند اليهود؟! وكيف استطاع هذا الجيش هزيمة هذه الجيوش؟!! والأغرب من ذلك أن المناطق التي أخذت مناطق عسكريًا لا يمكن تجاوزها، يعني هي تصلح بنفسها كمانع طبيعي للحرب!! يعني لما تعرف ما معنى الجولان، كيف يسقط الجولان؟!! لا يمكن أن تتصور حصول حرب، وعدد قتلى الجيش السوري في معركة سقوط الجولان مئتان وخمسين جندي فقط، يعني لا يوجد معركة.

وهذه نقطة يجب أن نفهمها للإجابة على قضية مهمة: الذين يحاولون زرع اليأس في هذه الأمة أنّها لا تقدر على إسرائيل، هؤلاء خونة، وهؤلاء عملاء، وهؤلاء قذرون، لأنّه في الحقيقة لم تنشأ حروب بين العرب واليهود، وخاصة عندما نتكلم عن الـ ٤٨ والـ ٦٧، وفي الـ ٧٣ يمكن أن تقول أن هناك شيئًا من الحرب، ودخول أمريكا على الخط، الخط الذي أنشأه نيكسون، ويمكن أن تقول مقولة السادات: إننا لا

نحارب إسرائيل بل نحارب أمريكا، يمكن أن تقول هذا، لكن في الـ ٦٧ وفي الـ ٤٨ لا يمكن إلا أن تقول: إن هناك خيانة، وهناك شيء من أقذر أنواع الخيانة.. ليس العجز أو عدم التفاعل، لا، هناك حسابات أدت إلى هذه الخيانة، وأضرب لكم أمثلة:

لو ابتعدنا قليلًا عن الجولان وما يشرحه هذا الكتاب من أحوال، فإنه لم يكن هناك صوت أعلى من صوت المعركة التي يقودها جمال عبد الناصر، الذي كان حاكمًا لمصر خلال الـ ٦٧، فهو منقذ الأمة العربية، وما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وما شابه هذه الشعارات التي يرددها المأفونون ثم الجهلة والأتباع الغوغاء من بعدهم، و"سنرميهم في البحر" كما يردد تابعه أحمد سعيد في صوت العرب.. ولكن أين هذا في الواقع؟ رجل يأمر بطرد القوات الأممية من مضائق تيران، ثم يعلن إغلاق مضائق تيران، يعني هو يعلن الحرب، ثمّ بعد ذلك يقول لك: الحرب لم نتحضر لها!! طيب الحرب لم تتحضر لها، ولكن أنت تملك جنود أقوى، ومساحة واسعة جدًا في سيناء، يعني أنت تملك القوة فلماذا تأمر بالانسحاب غير المنظم؟ لماذا يقع كل هذا؟ يمكن للبعض -للأسف- أن يبرئ الخبيث الأكبر جمال عبد الناصر، ويقول: الحق على عاشق النساء عبد الحكيم عامر، كما يفعل الناصريون، يقولون: الحق على وزير الدفاع، وزير الدفاع كان طوال الليل مع عشيقته وردة الجزائرية يحتفلون بالغناء وكذا، وبالتالي أخرجوا لنا رواية "وتحطمت الطائرات عند الفجر" و"منعت الطائرات من مجابهة الطائرات، لأن طائرة أحد الأركان كانت في الجو، فخاف أن يقصف الجيش المصري الطائرات الإسرائيلية فيصيب هذا الجنرال"، كأنّك تتحدث عن لعبة بلايستيشن ولا تتحدث عن مصير أمّة، ولا تتحدث عن سيناء. وللذكر: جزيرة سيناء أكبر من فلسطين مساحة. فهل يفسر هذا الحدث بمثل هذا السذاجة: أن وزير الدفاع يلهو في حفلة غناء، هذا هو السبب فقط؟!! حتى لو كانت المعركة بهجوم إسرائيلي مباغت، ففي حرب الـ ٧٣ باغتوا الجيش الإسرائيلي في يوم الغفران الإسرائيلي -كل واحد يسمي المعركة بحسب اعتقاده: المصريون يقولون: حرب أكتوبر، والسوريون يقولون: حرب تشرين، واليهود يقولون: يوم الغفران، وحاول بعضهم أن يرقع وسماها: حرب رمضان، من أجل كسب العواطف، لكن لوقت محدد ثمّ زال هذا وعادوا إلى تسمية: حرب أكتوبر- باغتوا اليهود مباغتة حقيقية عسكرية، وإياكم أن تظنوا أن هناك -كما يقول البعض-

اتفاق بين إسرائيل والسادات، لا، هي حرب حقيقية، ولكن بعد ذلك استطاع الجيش الإسرائيلي أن يمتص الصدمة وعمل ما يسمى بثغرة الدرفسوار الشهيرة، التي قادها الهالك شارون، ومسك الجيش الثاني والثالث وكاد أن يفنيهم. فيمكن للجيوش الكبيرة أن تتلقى الصدمة، فما هي القضية إذًا؟ هل القضية لحظات ثمّ انتهت المعركة؟!!

في سقوط الجولان مثلًا، إذا كانت مباغِتة، يتحدث أحد الضباط اللبنانيين عن الانسحاب غير المنظم الذي أُمر به الجيش السوري للهروب من الجولان، يقول: دبابة تلف جنزيرها، كما في الكتاب، فالضابط قال: أنا هالك هالك –وهذه آخر دبابة في الرتل من جهة اليهود– فلأصنع شيئًا.. فدمر ست دبابات إسرائيلية، وعوق الجيش اليهودي من التقدم. فانظروا إلى الأعمال الفردية ماذا تصنع، فكيف لو كانت هي أعمال حقيقة.

إذًا لماذا يقع مثل هذا؟! يمكن للآحاد أن يفسرها التفسيرات الساذجة، لكن يجب أن يكون هناك عمق في التحليل. يعني عندما يأتي باحث ويقول: جمال عبد الناصر يهودي –وأول من أظهر يهوديته هو محمد نجيب، وهو الرئيس الذي استلم بعد سقوط الملكية في مصر، فكشف أنّ جمال عبد الناصر يهودي.. مثل السيسي، والسيسي قال عن نفسه أنه كان يعيش في حي النحاسين، وحي النحاسين هو حي اليهود في القاهرة– وكل من ترجم له سواء كان محب أم مبغض يقول إنّه نشأ في حي اليهود في القاهرة –الذين يمدحونه يقولون: لا، هو من بني مرة. من هؤلاء بنو مرة؟– ويحددون أنّه من يهود القرائين في مصر. بل بعضهم يقول بأنّ إيدي كوهين –تسمعون بإيدي كوهين؟ إيدي كوهين الجاسوس الذي أحضر من الأرجنتين وصار جاسوسا في داخل القيادة السورية، وهو مشهور– هو ابن امرأة أبي جمال عبد الناصر، كانت متزوجة من رجل وأنجبت إيدي كوهين، وهناك وثائق تقول ذلك، وأخت إيدي كوهين تقول: ما زال عبد الناصر يحسن إلينا، لما كنا في تركيا كان يرسل لنا الهدايا ويرسل لنا المصروف. يعني يذكر هذا أبناء امرأة أبيه.

لا يمكن لرجل أن يصنع هذه الجرائم في الأمة: في تدمير الداخل، وبيع البلاد لهؤلاء اليهود بهذه

الطريقة المخزية، إلا أن يكون على هذا المعنى، وهذا المعنى واضح وبين.

وإذا أتينا إلى الأردن –أنا لا أتحدث عن أخبار هي سر، الآن يتحدث عنها علنًا–، سئل لماذا دخل الجيش الأردني حرب الـ ٦٧ ومعروف أنّها معركة خاسرة؟ يعني كان ينبغي أن يحافظ على القدس، ويحافظ على بقية الأراضي، فقال: أنا دخلت من أجل أن أحافظ على عرشي، والسبب كما قال لو لم أدخل الحرب لاتهمت بأنّي عميل، فدخلت!! انظروا إلى الحسابات: تذهب الأرض لا مشكلة، المهم أن لا يذهب الملك!! هذه تفسيراتهم هم، وأحد الصحفيين القريبين قال هذا ونشرها، ومنشورة في الكتب.

القصد: أيها الإخوة الأحبة، من المهم جدًا أن نعلم أنّ الأمة قد غابت، ولم يعد لها وجود، وصارت القيادة هي التي تحرك. يقول صديق عبد القادر الحسيني: إنّه قابل ملكًا عربيًا فقال له أنا أريد منك السلاح فقط –وهذه غير القضية التي حدثت في دمشق– فقال له: ولا رصاصة.

ومن يقرأ تاريخ المنطقة يعلم بأنّ الأمة لم تقاتل، وهذا مثال بين أيدينا وهو سقوط الجولان، لو ترك الشعب فقط وأعطي السلاح لما استطاعت إسرائيل أن تدخل الجولان –والجولان منطقة غريبة جدًا مثل سيناء، الحديث كله واحد– لو ترك الناس للقتال بطريقة ساذجة، من غير أوامر، لما سقط، لكن العجيب أن يعلن حافظ الأسد وزير الدفاع سقوط القنيطرة قبل سقوطها الحقيقي بـ ١٧ ساعة، تصور!! الأصل في المعلِن أن يرفع معنويات الناس ولو كذب قليلا، لكن أن يعلن السقوط فما هو السبب؟ هذا الكتاب يكشف السبب. وهذا العلان أدى إلى هروب القادة، هو يشعر أنه وحده ولا يوجد أحد يدافع عنه، وبعضهم هرب كما هرب زعماء الفلسطينيين من جنوب لبنان سنة ١٩٨٢ لما دخل شارون بقواته إلى لبنان، هرب بعض القادة الفلسطينيين –جماعة عرفات– من الجنوب بلباس النساء، ولم تطلق عليهم قذيفة مؤثرة. وكل ما يسمى بالقوات الفلسطينية في الجنوب اللبناني التي تقوم بالعمليات وما نسمع من أكاذيب، لما دخل شارون هربوا واستطاع في لحظات أن يكون على مشارف بيروت، ولما صار قتال لم يستطيع أن يدخلها، إلا من خلال التفاوض السياسي... وهؤلاء نفس الشيء، فبعضهم لما جاء الخبر بسقوط القنيطرة لم يهربوا بالسيارات لأنّ القوات الإسرائيلية كانت تقصف أي سيارة، فهربوا على

الحمير، زعيم من زعمائهم ركب حمارًا وهرب إلى دمشق.

الحالة المأساوية هذه في مجموعها تدل على أنّ الأمة قد غيّبت، ولم يكن هناك لها أي وجود، وأنّ الخيانة بمفهومها العميق –وليس بمفهومها العام هنا– كانت متلبسة لكل الحكام الفجرة، وأنّ الذين يصوّرون أنّ الحروب أو المعارك كانت حقيقية وأنّ هناك سقوطا فهذا دجل وغير صحيح.

ما تسمى بإسرائيل هو جسم غريب في هذه الأمة، والجسم الغريب لن يستطيع أن يدوم طويلًا إلا بالإنعاش الخارجي. من المعلوم أيها الإخوة الأحبة، كما كان يقول رابين وهو وزير الدفاع: يتمنى أن يصحو في يوم من الأيام ويجد غزة قد ابتلعها البحر، وهذه المقولة مشهورة، لماذا؟ لأنّها مزعجة له، حتى إنّهم كانوا يقولون بأنّ غزة كانت محكومة بالليل للفدائيين وفي النهار محكومة للإسرائيليين، ولم يتم القضاء على الثورة وعلى الناس في غزة حتى سلّمت وثائق المجاهدين إلى القوات الإسرائيلية من قبل المصريين أنفسهم.

ما يعيشه الناس اليوم من الألم والحالة التي نعيشها وهي حالة اليأس، هم أرادوا أن يوصلوا الأمة إليها، وهذه صناعة غربية، اليأس صناعة غربية. أول شيء لابد أن ينهكك، وهذا لا يمكن أن يقع من الخارج، لابد أن يقع من الداخل بوجود هؤلاء السفلة والمنحطّين، وخاصة أصحاب الطوائف الخبيثة، فيضعونهم ويوسدون إليهم الأمر. وهذا ترونه جيدًا في الحالة السورية. يعني حزب البعث –أيها الإخوة الأحبة– على الرغم من شعاراته الكبيرة: إحياء أمة، وبعث أمة، وتنظيف الامة من آثار الاستعمار، إلى غير هذه الشعارات. واقع هذه الشعارات من الذي اقتنصه؟ اقتنصه أصحاب الطوائف الخبيثة، وعلى رأسهم في سوريا النصيرية عن طريق الجيش.

وأنا أنصح في هذا الباب بقراءة كتاب منيف الرزاز الشهير "التجربة المرة" –ومنيف الرزاز مشهور، الكاتب والمفكر البعثي الشهير، الذي استقر به الأمر في عمان ومات فيها لأنّه طورد من سوريا، وهو عضو لجنة قومية في حزب البعث–، فقد كشف فيه الصراع الذي كان دائرًا بين العسكريين والمدنيين في داخل حزب البعث، وانتصر بعد الانقلابات العسكريون.. وهذا تصوير ساذج.

وأنا أكرر دائمًا، أيها الإخوة الأحبة، وهي كلمة يجب أن نحفظها: إن أوسخ ناس انضموا إلى الطوائف الجديدة: البعثية، والناصرية، والشيوعية وغيرها، أوسخ ناس هم أهل السنة، أقذر خلق الله في التاريخ الإنساني كله، عمالة ووساخةً، هم أهل السنة إذا خرجوا من السنة إلى الطوائف الأخرى!! لماذا؟ النصراني إذا دخل حزب البعث يحافظ على نصرانيته، وإذا انجلت المعركة بعد ذهاب البعثية وجد نفسه مدعومًا من قبل طائفته النصرانية، ويبقى يعمل من أجل طائفته من خلال الحزب الجديد، لا يتخلى عن نصرانيته، والرافضي إذا دخل حزب البعث بقي متعلقًا برافضيته، فإذا انكشف غطاء حزب البعث رجع إلى طائفيته، والدليل الآن ما ترونه في العراق.

وللذكر: حزب البعث في العراق زمن صدام حسين كان أغلبه من الشيعة، هم الآن يتاجرون ويقولون: إن السنة ظلموا الرافضة في زمن حزب البعث، وهذا غير صحيح وكذب، ولما تقرأ تاريخ حزب البعث في العراق تجد عامة رجاله وقادته والمتنفذين فيه هم الرافضة.

لما ذهب حزب البعث، أين تجد الرافضة؟ عادوا إلى مقاعدهم، فكان الأمر مجرد استغلال. وكذلك نفس الشيء مع النصيرية، دخلوا حزب البعث وسيطروا على الجانب العسكري فيه، من حافظ الأسد وصلاح جديد.. الأسماء كثيرة، والكتاب يكشفها. وللأسف هو يتكلم عنها كلامًا رقيقًا، لأنّه –كما ذكر صديقه في السجن– لم يكن طائفيًا!!

وفي الحقيقة: نعمت الطائفية، الطائفية جيدة، لا تستقذروها، الطائفية هي التي تبين حقائق الناس في هذا الزمان. ومحاولة السني ألا يكون طائفيًا، يعني محاولة المسلم ألا يكون مسلمًا، من أجل أن يدع الآخر يقع.

الوحيد الذي خرج من طائفته –وأهل السنة ليسوا طائفة، هم الطوائف، لأنّ أهل السنة هم الأصل– وصدق اللعبة وبقي كذلك.. عبد الحليم خدام هذا محسوب على السنة، حتى مصطفى طلاس، وإن كان البعض يشكك، محسوب على السنة، ولذلك في القصة الشهيرة، لما قابله مروان حديد حين سجن، فتكلم معه: لماذا تفعل هذا؟ فقال له: هذه البلاد تقاد بقرود خبثاء اسمهم النصيريون، يقودون

الحمير أمثالك.......

لا أريد أن أتحدث كثيرًا عن الكتاب، لأنّه، كما قلت لكم، يوميات يجب أن تقرأ، وبلاغات يجب أن تتابع، لتشكل لديك الفكرة الكاملة، وإن كان في نهايته كأنّه يُكتب اليوم، بعض الفقرات في النهاية -سأمر عليها لاحقًا- كأنّها تُكتب اليوم.

لكن المعركة هل تتغير أدواتها؟ لا، مازالت هي هي، وهي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم، دعا بثلاث دعوات، فاستجيب له دعوتان ورفضت الثالثة، وهي أن لا يجعل بأس هذه الأمة بينها؛ ولذلك لا يمكن لعدونا أن يتنفذ فينا إلا من خلالنا.

اليوم البعثية تلاشت، وإن كان لها رجالها، وتلاقي الطوائف مثل الشيعة والرافضة والنصارى في بلادنا، تلاقيها ضد أهل السنة شيء بين وواضح، ويجب أن يراعى ويفهم. لكن مازالت المعركة واحدة، وتقاد بنفس الأدوات، والغرب لا يمكن أن ينفذ مراده فينا إلا من خلال الأدوات، هؤلاء الحمير الذين يبيعون دينهم.

اليوم يمكن للمرء أن يقول: لا يوجد يسار، لا يوجد بعثية.. أنا أقول: صحيح، البعثية تلاشت، وحركتها ضيقة في داخل المجتمعات المسلمة، ولكن ما الذي برز اليوم؟ برز المال.. اليوم السفالة والانحطاط في سب الدين لتبني المؤسسات الغربية لهم، يعني: كل واحد صار يطمع أن يصير وزيرا.. حتى الشيوخ، بم يباعون ويشترون اليوم؟ بالمال، وتقدم لهم الجوازات، وتقدم لهم الزيارات، وتقام لهم المؤتمرات ويتحدثون عن الدين بما يوافق الغرب وبما يدفع لهم.

اليوم الأفكار قد تلاشت فيما كانت تساق به الأمة، يعني: كانت البعثية، اليسارية، الناصرية كان لها صدى كبير، ولكن الناس اليوم يشترون بالمال والتخويف كليهما.

هناك نقاط في هذا الكتاب مهمة، أيها الإخوة الأحبة، وأحب أن نمر عليها، وهي تدل على أنّ الحالة هي الحالة: الآن -للأسف- في داخل الجماعات المسلمة من مازال يؤمّل.. ولا تظنوا أن هذه

القضية جديدة، أو أنّها قضية قديمة قد أبيدت، وهي قضية تعلق بعض الجماعات المسلمة لحل مشاكلهم بالغرب.

ما الذي جعل السادات يذهب إلى إسرائيل؟ أو يرمي روسيا، على ما فيها من خبث إجرام، - والبارحة صوت مجلس الدوما على إعطاء تفويض للجيش الروسي بأن يبقى بقاءً دائمًا في سوريا، يعني صارت ملكا لهم الآن بصيغة جديدة لتسمية الجزائر بفرنسا الجنوبية- السادات قال: تسعة أعشار أوراق القضية بيد أمريكا، فبالتالي ذهب فاستجداها.

والآن جماعات مسلمة.. لنتكلم بصراحة: ما الذي يجعل الإخوان المسلمين لا يتبنون خيار الجهاد في مصر؟!! يعني نظام لا يتعامل معك إلا بالسحق، نظام لا يتعامل معك إلا بالقتل (إعدام)، فما هو المنطق؟ أن تتعامل معه، حتى لو لم تقدر، لكن تقطع الأمل وتحضر نفسك لمرحلة جديدة -قد تطول، وأنتم تعرفون أن الحكام لا يذهبون بسهولة، وإذا ذهب السيسي فسيأتي مثله من طينته- فما الذي ينبغي أن يعمل؟ ينبغي مواجهة القوة بالقوة. لكن لو سألنا الإخوان المسلمين: ما الذي يجعلهم أبعد عن رفع راية الجهاد؟! هي محاولته الحثيثة لإقناع الغرب بأنّه جماعة سلمية، يعني لو بحثت داخل الإخوان عن جواب: لماذا هو لا يتبنى خيار الجهاد؟، لوجدت هذا السبب.. هو يريد أن يقنع العالم: أنا سلميّ، ولا يوضع في قائمة الإرهاب وقائمة العنف.

وكثير من الجماعات في سوريا كذلك، يعني تفعل أفعال كثيرة جدًا لئلا تدخل تحت باب الإرهاب، يعني أعينهم وهم يتحركون ليست على أمتهم، وليست على ما يفرضه واقع الحدث، وليست على ما تفرضه السنن في التعامل مع الواقع، ولكن عينهم على الغرب.

كذلك في وقت من الأوقات، إن أحسنا الظن في الحكّام -ولن نحسن بهم الظن- كانت عينهم على الغرب أن يحل المشكلة، لكن ثبت بعد ذلك أنهم لا يتكلمون مع الغرب في قضية فلسطين البتة!! يعني: قالوا مرة لكيسنجر: لماذا لا تستجيبون لمطالب العرب، ومصالحكم كلها مع العرب: تأخذون منهم النفط، هم السوق التجارية لكم، أعدادهم كثيرة، وتتعلقون بمصالحكم مع إسرائيل فقط؟!! فقال:

غريب!! لا يتكلمون معنا إذا اجتمعنا بهذا الكلام. وللأسف، يوجد من يظن أن في الغرب من يمكنه أن يحل هذه المشكلة.

هذا الكتاب كتبه خليل مصطفى بريز، وطبع سنة ١٩٧٥، وبين يدي الطبعة الثانية.. فلو أخذت فقرة (الرأي العام العالمي) في صفحة ٢٩٨، رأيته لما يتحدث، فإنه يتحدث عن ما نتحدث به الآن، يقول: في أفواههم ما ليس في قلوبهم (كشف واضح للغرب)، خداع للنفس، يحسبون حسابه، يخشون غضبه، يأملون على يديه الخير، خداع للنفس، تضليل فاجر، المكر السيء لصرف أنظار المتلهفين للحرب عن مواقفهم الجبانة والاستسلام والذل والخنوع.

إخواني اليوم الحديث معلن!! كان من قبل عيبا وعارا، يعني: في بلدنا الأدن كان من يقول: إنّ أي مسؤول أردني تلاقى مع مسؤول إسرائيلي، يسجن من ثلاث سنوات، وكثير من الشباب سجنوا، لأنّه قال فلان التقى مع مسؤول إسرائيلي، ولكن القضية الآن تنسيق أمني، وحرب... وكنت أتابع في السجن جريدة القدس، ولا أدري هل ما زالت على ما هي عليه، فكان فيها دائمًا صفحة كاملة لترجمة مقالات –يعتبرها الناقل مهمة– من الصحافة العبرانية اليهودية، فبعض المتطرفين من اليهود يسبون على الأردن ويشدّون عليها، كقول بعضهم: آخر نظام وآخر ملك لهم، فينبري لهم قادة عسكريون وقادة أمنيّون، يقولون لهم: اخرسوا، ويكلمونهم بأحقر ما يمكنهم، ويذكرون خلال سياق الحديث عدد ما أحبطت الأنظمة العربية من عمليات ضد اليهود. ولكن الآن لا توجد ضرورة للحديث سرًا، وإنّما هو الحديث العلني... ألم نقل: ما كان يعد غلوًا عند أئمتنا صار يعد ضروريًا في مذهبنا، فكذلك: ما كان يعد سرًا صار يعد اليوم علنًا.

لو يرجع إلى كتاب الجمسي، وهو عبد الغني الجمسي أحد رؤساء أركان الحرب في الـ ٧٣، قائد مصري مشهور، له مذكرات عن حرب الـ ٧٣ يقول، هذه للمعرفة والأهمية: أول عمل عملناه من أجل أن ننفذ حرب الـ ٧٣ –وهي حرب حقيقة، وحرب تبين ما يمكن للعسكري أن يفعله لو ترك له المجال مفتوحا من هذا السياسي الخبيث– أول عمل هو أننا منعنا الجيش من أن يمارس أي عمل مدني –هذه

المذكرات موجودة في السوق، اذهبوا إليها- لأنّ ممارسته العمل المدني هو خروج من احترافيته، ومعنى ذلك أنّه ليس جيشا مقاتلا. ويقول: حتى في زمن عبد الحكيم عامر، وضعوه رئيسا على صنعة من الصناعات، يعني تتعلق بكسب المال.

قال: فأول شيء منعنا الجيش من أي عمل غير احترافي، وسحبنا جميع (باللفظ) القيادات والضباط الذين يعملون في المؤسسات المدنية وأرجعناهم إلى الثكنات.... والبقية عندكم. يعني اليوم ما هي الجيوش؟ ترى صورة لدكان في القاهرة مكتوب عليه: باب لبيع البيض للقوات المسلحة!!! والآن أكبر منتج للدجاج في مصر هي القوات المسلحة، يعني جيش زغاليل وجيش دجاج!!! والجيوش عندنا كذلك، كل الجيوش هكذا. وهل رأيتم صورة الجيش السوري وهو خارج من لبنان بعد حادثة مقتل الحريري؟!! ألم تروا كيف كانت أشكالهم؟ لا توجد جيوش، وتحولت الجيوش المقاتلة ضد الأعداء وانتهت، ما الذي حدث؟ كيف تحولت؟ تحولت القوة والسيطرة إلى الجهات الأمنية، ليس ضد الخارج بل ضد الشعوب، وبقي شيء وحيد للجيش، هو الاستعراض والمشي على إيقاع الموسيقى العسكرية، والعمل الآخر تحول كله إلى الجهات الأمنية في المراقبة والرصد والتعذيب ووو... إلخ، يعني كان في سوريا اثنا عشر مؤسسة أمنية في سوريا، ولو أردت أن تفتح محلا لبيع الفلافل، فلا بد أن تمر عليها كلها. والبلاد الأخرى ليست أنظف من ذلك، فلو أردت أن تسافر فلا بد لك من شهادة حسن سلوك....... هذه من أجل بيان المفارقة بين ما كان عليه الجيش وما يراد من الجيش الآن.

يقول: ولهؤلاء، والذين يقتنعون معهم، نقول: من هو الرأي العام العالمي؟ وأي قوة الرأي العام هذا، وماذا حققنا من احترام أنفسنا عنده بمواقفنا الاستسلامية من خلال ادعائنا احترامه؟ وهو مسكين! يتكلم وهو لا يزال يحسن الظن وأنها أخطاء داخل القيادة وليست وساخة كامنة في داخل النفوس.

بعد أن يتحدث عن هذه المسألة المهمة، يتحدث عن السلام العالمي. واليوم هذه هي التجارة الرائجة العالم، والعدو الوحيد الآن للسلام العالمي هم الإرهابيون، والمسلمون الذين يردون الخروج من إطار وسيطرة هذا النظام.

يتحدث وكأنّه يرى الطريقة الوحيدة لإهلاك وإتلاف إسرائيل هي حرب العصابات، وأنا أؤمن بهذا من خلال (وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا)، أنا أعتقد أنّ زوال إسرائيل لن يقع عن طريق جيش خارجي يسقطها، وإنّما أكثر نفيرا، نفرًا وراء نفر، نفرًا وراء نفر وهكذا حتى يتحقق النصر.

في هذا الكتاب فصل مشرق، وهو مهم جدًا، وهو من صفحة ٢٠١ إلى ٢١٣، يتحدث عن وجوه ناصعة للبطولة.. واليوم يتاجر بهؤلاء المساكين الذين قاموا بأعمال بطولية، وتنسب إلى... الحال عندنا: لو ربحنا كأس العالم في كرة القدم، فالفضل ليس لنا الفضل للمسؤول والرئيس...... فهكذا هي القضية في هذا الموضوع، نسأل الله العفو والعافية.

الكشف عن قذارات الحكام اليوم ليس بالأمر الصعب، ولكن إظهاره صعب، لأنّ لخنق والكذب والتدجيل على الأمة ما زال سائرًا، لكن كذلك هناك نقطة مهمة جدًا، وهي أنّ هذا التاريخ المعاصر لم يكتب فيه بعد الكتابة اللازمة والمهمة.

يا إخوة، في البلاد التي تحترم نفسها: لو خسرت معركة صغيرة، يسقط الحاكم. رئيس الحزب أو رئيس الدولة يستقيل، يقول: أنا فشلت. يعني: في بريطانيا -ولا يجوز الاستشهاد بهم على هذا النحو، إلا بمعنى قوله تعالى: (إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)- إذا لم ينجح رئيس الحزب في الانتخابات فالمطلوب منه أن يستقيل، فقط، أو فشل الحزب في الوصول إلى رئاسة الوزراء فالمطلوب منه أن يستقيل. ولكن عندنا سقطت بلاد، احتلت فلسطين، الأقصى راح، الأمة تدمرت، ومع ذلك لا يوجد أي فتح ملفات إلى الآن، مما يدل على وجود تغييب كامل للحقائق، والذي يفتح عينيه لابد له من الخروج إلى الغرب -اليوم النت موجود، ومع ذلك القبضة الحديدية في البلاد: ممنوع أن تدخل هنا، ممنوع أن تتكلم بهذا، ممنوع أن تسمع من هنا.. وقد يفعل بك كذا وكذا، وتوضع القوانين المشددة للوصول إلى الحقائق- والأمة إذا أرادت حقيقة ذهبت إلى الخارج.. والله يا إخوة، الذين تحدثوا عن حرب الـ ٦٧ في الغرب عشرات الأضعاف من تحدثوا عنها في بلادنا، والذين تحدثوا عندنا تحدثوا كذبا.. كل ما كتبه محمد حسنين هيكل عن حرب الـ ٦٧ كذب ودجل، وواصل الكذب في لقاءاته

التي كانت تبثها الجزيرة وقال بأنّ فكرة حرب الصواريخ التي نفذتها مصر في حرب الـ ٧٣ هي فكرة عبد الناصر، وهذا كذب ودجل، لكن ليرجع فضل الانتصار اليسير في الـ ٧٣ إلى سيده ومولاه عبد الناصر. يعني حتى الذين يتكلمون يكذبون!!

ونحن عندنا مشكلة في كتابة التاريخ، وهي أننا نخلط الحقائق بالهوى، ونخلط الحقائق بالتحليل. ولو أردت أن تقرأ، للأسف، تاريخنا المعاصر وواقعنا فأنت مضطر أن تقرأ للغرب، فهم أكثر إنصافًا وأكثر بحثًا عن الوثائق.

وللذكر: هناك مؤرخ يهودي اسمه إيفي شليم، قال: أردت أن أكتب في شيء معين، فجئت إلى الدولة المعنية وبحثت في وزارة الإعلام عن الوثائق التي تخص هذه الحقبة التاريخية التي تمتد لثلاثين سنة، أريد فقط وثيقة أستشهد بها وأقول: إني اطلعت عليها، قال: لم أجد وثيقة واحدة، فاضطر أن يذهب إلى الوثائق الإسرائيلية لوحدها لتكشف الحقائق.

ليس عندنا وثائق، والكتاب عن التاريخ المعاصر مفقود، والكتابة عن تاريخنا المعاصر ما زالت مفقودة، وخاصة في الجانب العسكري، وفيما يتعلق بجانب الحكام، وفيما يتعلق بجانب القادة.. يجب أن يكتب في ذلك.

لماذا وقعت هذه المأساة؟ ليس عندنا إلا حل وحيد، وهو قول رئيس خارجية النظام البعثي سنة ١٩٦٧: كانت مهمة العدو الصهيوني هي إسقاط حزب البعث ولكنّه فشل، صحيح أن الأرض ذهبت لكن بقيت الثورة مستمرة، يعني تذهب الأرض لكنه حافظ على حكمه وملكه وسلطانه!! هذا هو التفسير الموجود داخل الشعوب، وتجد من يردده بغباء وكذب.

ما زال هذا التاريخ العسكري مفقودا، لم يكتب فيه حق الكتابة، وما زالت البلاد تحتفل بالهزيمة!! تصور أن البلاد تحتفل بالـ ٦٧، ماذا نسمي هذه المأساة السوداوية؟ يحتفل بالهزيمة ويعدها نصرا، ويأتي إلى صور فردية ويعدها... وكأنّ ذهاب الأرض –هذه الحقيقة التي تعيشها الأمة– لغرس هذا الجسم

الغريب الذي يسمى بإسرائيل في جسد الأمة، كأنّه ليس بالشيء العظيم.

بقيت نقطة مهمة جدًا: ما هي التوصيات؟

بخصوص التاريخ؛ فالتوصيات كثيرة، وعلينا أن نذهب إلى لغرب فنبحث عن الوثائق، ومن خلال الوثائق نستطيع أن نكتشف الشيء الكثير. وهنا نقطة مهمة جدًا: أنا استفدت كثيرًا ممن يمدحون. يعني: لما يأتي كاتب ويعتمد مبدأ الوثائق ليمدح، فهو يكشف الكذب.. يأتي ويقول: كان الحاكم الفلاني براغماتيا. جيد، وتفرح لهذه الكلمة، ماذا تعني كلمة براغماتي؟ يعني واقعي، يتعامل مع الواقع، فحينئذ تستطيع أن تكتشف الكثير من الواقع من خلال براغماتيته: كان عميلًا (براغماتي)، باع الأمة (براغماتي)، اجتمع مع أعداء الأمة وتحالف معهم ضد خصومه السياسين (براغماتي)؛ فتستطيع أن تعرف الكثير من الحقائق من خلال شعار المدح، ولكن تحته الحقائق المؤلمة.

فالتوصيات هي أننا نحتاج مزيدا من القراءات لهذا التاريخ المأساوي.

الشيء الثاني: مرادي من هذا الكتاب بيان أنّ بث روح اليأس بأنّ إسرائيل هزمت الأمة، فهذا كذب.. لم تنشأ حرب حقيقية بيننا وبين أعدائنا، حتى معارك الفدائيين، يعني لو سمعتم لمن أخبر عن أحوالهم وكيف أنّ بعضهم ذهب إلى عملية فوجد الجيش الإسرائيلي في استقباله!! وهذه قصص معروفة...... فبث روح اليأس بأنّ هذه الأمة قاتلت فانهزمت هذه الشرذمة من اليهود الذين (**لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ۖ وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ**)، هذه الشرذمة ستزول وستذهب، واليأس ليس له محل في هذا الباب.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: شيخنا، هذا الكتاب هل له ملخص في السوق...... كتيب نشرته دار المنار.

الشيخ: صحيح، وما فيه من مأساة......

وضعنا في الخمسين كتابا المقترحة كتاب التنكيل؟ دعونا نبتعد قليلا عن السياسة ونذهب إلى الجانب العلمي البحت: الكتاب القادم إن شاء الله هو كتاب "التنكيل لما في تأنيب الخطيب من الأباطيل" للشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني، رحمة الله عليه.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا.

الكتاب القادم كبير، لكن نحاول أن نستخلص منه الكثير من الفوائد النظرية والعلمية التي يحتاجها طالب العلم في هذا الزمان.

السائل: أنت قلت: إنّ أقذر الناس الخروج الطائفي لأهل السنة، ما مرد ذلك؟

الشيخ: مرد ذلك قضية كشفها أبو الحسن الندوي، وأنا أحتج بذلك دائمًا، في كتابه "ردة ولا أبا بكر لها".

وللأسف؛ هذا الباب غير موجود عندنا، ولما نفتحه يقال لك: ذهبت إلى النيات!!!

عالم التدين فيه أمراض، ليس فقط ما ذكرها ابن الجوزي في "تلبيس ابليس"... هناك أمراض حقيقة يجب أن تدرس اليوم، وهذا مهم جدًا، قراءة نفسية المخطئ والمبطل يجب أن تدرس، ومن ذلك هذه النقطة: لماذا نفسية المرتد أحقر من نفسية الكافر الأصلي؟ الشرع يثبت ذلك. يعني الشرع يرى أنّ المرتد جرمه أكبر من جرم الكافر الأصلي، فلا يجوز أن تزوج ابنتك لمرتد ولا أن تتزوج مرتدة، ولكن يمكن أن أتزوج نصرانية -بالشروط الشرعية- والأصل الجواز. والكافر الأصلي لا يجوز إكراهه على ترك دينه، لكن المرتد لا يجوز إقراره على ترك الدين، وقال ابن حزم: والإجماع منعقد على أن قوله تعالى: (**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**) ليست في المرتدين. وهذا رد على مشايخ الضلال الذين يعتبرون الردة أمر شخصي، كما هو

رأي حسن الترابي وراشد الغنوشي وبعض من تأثر من الإخوان بهم.

فلماذا؟ يكشف ذلك قليلًا -فيما اطلعت- أبو الحسن، وهذا يمكن أن تدركه من خلال زيارتك لأحد مراكز الأمن، أن تدرك هل هذا صحيح أم خطأ، يقول: إنّ المرتد يشعر بالاحتقار لنفسه أمام هذا المؤمن الذي ثبت على دينه رغم الابتلاء.

المرتد كالكلب، رموا له قطعة لحم فصار ينبح -هذا تفسيري- كالخنزير رموا له قطعة قاذورة فأقبل عليها وترك دينه؛ فهو يشعر في قرارة نفسه أنّه حقير، وأنّه إنسان منحط، وهو يعرف، لما يذهب إلى بيته ويغلق على نفسه الباب -هو في الخارج منتفش، يرى نفسه العظيم والآمر والناهي، ويأمر بضرب هذا وقتل هذا- يدرك حقارة نفسه، وأنّه إنسان باع دينه من أجل الدنيا. هذا الاحتقار كيف يتحول؟ يتحول إلى حقد على من ثبت على دينه. فيرى أمامه شابا متمسكا بدينه ويريد أن يجاهد في سبيل الله، بل يريد أن يبذل روحه من أجل دين الله.. فيصاب باحتقار، كالفقير أمام الغني، أو كالساقط أمام الطاهر، فيزداد حقده على هذا الثابت مقابل نفسه

هذا تفسير لقضية: لماذا المرتد -ليس من جهة شرعية ولكن من جهة واقعية- يكون أشد على المسلم من الكافر الأصلي. والدليل: اذهب إلى فلسطين، واسأل أي فلسطيني يمر على مجموعة حواجز أمنية للجيش اليهودي، قل له: من أشد الناس عليك؟ يقول لك: البدوي، ولذلك عامة حراس الحدود -أقذر خلق الله في الجيش اليهودي- من البدو!!! والأستاذ كامل الشريف في كتابه "الإخوان المسلمين في حرب فلسطين" يقول: هذا بسبب -وهذا موجود، لا ينبغي أن ننساه- أنّ حكامنا احتقروا البدو.

الآن انظر إلى سيناء! لو ترك الأمر وجاء اليهود، لاشتغل ثلاث أرباع أهل سيناء مع اليهود!! ليس لحقارتهم لأنهم بدو، لا، لأنّ المصريين يعاملونهم كقاذورات ولا يهتمون بهم، وكأنّ سيناء ليست أرضا مصرية، لا تجد عندهم الرعاية الصحية، ولا تجد عندهم الجامعات، ولا شيء، إذًا هذا إنسان، مع مزيد من أنّ البداوة، كما هو معروف تاريخيًا -والنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن التعرب بعد الهجرة، واعتبرها من الكبائر-، بعيدة عن العلم والتربية، بخلاف الذي يعيش في الحواضر.....

أعود إلى كلمة كامل الشريف في كتابه "الإخوان المسلمين وحرب فلسطين"، وهو يعترف بأنّ البدو عملوا مع اليهود، ولكن قال: نحن السبب... هذه نقطة على الهامش.

يقول الفلسطيني: ثم يأتي اليهودي العربي. يعني اليهود المغاربة، العراقيين.. هذا من أسوأ خلق الله.

قال: بعد ذلك تنزل الدرجات... اسأل أي فلسطيني يقول لك ذلك.

فإذًا: المرتد نفسيته نفسية حاقدة، وهذا ما يجعله سافلًا منحطًا. والآخر لا يشعر بهذا، هو جاء إلى هذا الطريق أصلًا من أجل أن يخدم طائفته، ولأنّ طائفته لم تجد لها مجالا إلا من خلال هذا الفكر الذي يشتت الأمة بعيدًا عن الدين، أو يصيغ الصياغات الاجتماعية بعيدًا عن الدين.

هذا ربّما يفسر ما سألت عنه، شيخنا.

السائل: شيخنا، جزاك الله خيرا، ذكرت حرب الـ ٧٣ وأنّها حرب حقيقية، وهذا ما قرأته وأعتقده؛ لكن البعض يقول، شيخنا: لا، كانت عبارة عن لعبة، بدليل أن السادات لم يقم حربا جدية بل صنع السلام.

الشيخ: جميل طرحك لهذا السؤال..

أنا لست دارسًا لموضوع (ما الذي أراده؟)، ولكن أنا لا أحترم سعد الدين الشاذلي، وقرأت كتابه عن حرب أكتوبر، وعليه كلام كثير، وأنا لا أراه في الصورة التي يقّدم لنا عليها، صورة البطل وكذا، في كلام كثير حول هذا الباب. ولكن أنا أعتقد أن حرب الـ ٧٣ حرب حقيقية، لكن السياسي إلى أي مدى أراد أن تكون؟ انتبه إلى الموضوع والفرق بينهما:

بعضهم يقول: حرب الـ ٧٣ مسرحية. هذا غير صحيح، لا توجد مسرحيات، يمكن أن يخوض حكامنا حروبا من أجل تثبيت ملكهم، وهم يقولون هذا، لكن أن تقول لي: إسرائيل تخسر خط بارليف، ويقتل منها الآلاف، وتخسر هذه الجنود، لأنّ، ثمّ تخسر سينا بعد ذلك وهي بحجم فلسطين

كلها عندها، من أجل ماذا؟!!! فالحقيقة إن حرب الـ ٧٣ حرب حقيقية، لكن الذي خاض الحرب ماذا كان مقصده منها؟

وللذكر: الذي أنهك الجانب المصري –ليس هذا تزكية، ولكن واقع عسكري– في المعركة هو الجانب السوري. يعني السوريون لم يخوضوا حربًا –وتستطيعون أن تقرؤوا كثيرًا عن حرب الـ ٧٣ في الجولان– وكانت مهزلة وأكذوبة واضحة من الأول، وإسرائيل أخذت أكثر من عشرين قرية أخرى غير التي كانت عندها في الـ ٦٧.

السؤال الثاني: ما دام أنها حرب حقيقية، لكن ما الذي أراده السياسي منها؟ يعني ماذا أراد السادات من هذه الحرب؟ هذا موضوع آخر.. خصومه يقولون –وهذا له أدلة–: إنّه لم يرد تحرير الأرض، أو لم يكن عنده قدرة على تحرير سيناء بهذه القوات التي عنده، ولكنّه أراد التحريك السياسي، يمكن. لكنّها حرب حقيقية؟ نعم، حرب حقيقية، الناس خاضوا حربًا حقيقية، وهذا مما لا شك فيه، ولا يُستمع إلى من يقول إنّها مسرحية.. إسرائيل تعرف أنّها لا تحتمل إلا خسارة واحدة، ولكن نحن نتحمل خسارات كثيرة، وعندنا مجالات كثيرة للهرب، لكن اليهود إلى أين يذهبون؟ إلى البحر، فلا يحتملون إلا هزيمة واحدة.

وبالتالي هي ليست مسرحية، لكنّ السؤال: السياسي ماذا أراد منها؟ يعني مرات تخوض حربا لمقاصد معينة، فهل مقصد السادات هو تحريك سياسي، ليكون عنده أوراق في اللعبة السياسية القادمة؟ يمكن أن تقول هذا، ليس عندنا أي أدلة على هذا الأمر.

السائل: الملك فيصل في مؤتمر الجزائر، صار نقاش بينه وبين الأسد، فقال له: أنت أخذت ثلاثمائة مليون دولار من أجل أن تسلم الجولان، وصارت أزمة دبلوماسية بين سوريا والسعودية، تدخلت فيها الجزائر للصلح بينهما...

الشيخ: جزاك الله خيرا... أقول كلمة، استثمارا لهذا الموضوع: ليت حكام العرب يتقاتلون كل يوم،

ليتهم يتشاجرون كل يوم، من أجل أن نعرف ما الموضوع الذي بينهم.

المجنون القذّافي عليه لعائن الله، لما أراد عدم حضور مؤتمر القمة، أخرج للناس ما يدور في مؤتمر القمة: كيف يتقاتلون ويتخاصمون... هؤلاء الحكام الذين نراهم أمامنا على الشاشات يتسمون لبعضهم بعضا، ولما يغلق عليهم الباب يقولون كلاما لا تقوله العاهرات في الأسواق......

السائل: لماذا سموه حزبهم: حزب البعث؟

الشيخ: في البداية كان هناك حزبان: حزب يمثله أكرم الحوراني وحزب يمثله ميشيل عفلق، وحزب ميشيل عفلق كان يسمى: حزب البعث العربي، وحزب الحوراني كان يسمى الحزب العربي الاشتراكي، فكلمة (البعث) اختارها ميشيل عفلق عنوان لحزبه. ميشيل عفلق النصراني، أبو محمد، وهو يحترم النبي محمد صلى الله عليه وسلم، لكن على طريقة النصارى. وصدقوني: ميشيل عفلق النصراني، على نصرانيته، حذاؤه أطهر من أطهر سني صار بعثيًا، على القاعدة التي قلتها لكم. يعني: في النهاية هو لم يعادِ الإسلام، هو نصراني نظر إلى الإسلام أنّه مرحلة -وما الذي تريد من النصراني أن يقول أكثر من هذا؟!! وبعض الناس يسب على النصراني ميشيل عفلق، ولكن انظر إلى السنة الذين صاروا أسوأ من ميشيل عفلق- ميشيل عفلق له كتاب اسمه "محمد"، الذي يسمى عندهم بالأستاذ، يقول: إنّ الإسلام مرحلة من مراحل العروبة، والنبي محمد إنسان عظيم جدًا -يعظمه بمقدار ما يعتقده كنصراني- وأنّ الأمة العربية بحاجة إلى نهضة جديدة... إلخ بالطرق التي طرحها.

هل هو صادق أم كاذب؟ ليس لنا دعوى، الحزب هو الذي يثبت ذلك.

وفي النهاية استخدمه البعثيون كحذاء ثمّ رموه. يعني: ميشيل عفلق بعد المؤتمرات، هرب إلى العراق، وكان محكوم عليه بالإعدام في سوريا.

فحزب الحوراني كان اسمه الحزب الاشتراكي، فاندمج الحزبان وتشكل (حزب البعث العربي الاشتراكي)، وميشيل عفلق كان يرى أنّ هذا الحزب يشكل بعثا للأمة -بعث للأمة، لكن إلى

جهنم!!- فسمي بحزب البعث -وليس على طريقة فتح: حركة التحرر الفلسطيني، فتح بالعكس من (ح ت ف)- على أساس أن الحزب يمثل بعثا للأمة العربية، على طريقته.

لكنّ بعض الناس يقولون: إنّ زكي الأرسوزي هو المشكل الحقيقي لأفكار حزب البعث واقعيًا وحزبيًا، وليس ميشيل عفلق. والآن لم يعد هناك بعث، وكله كلام فارغ، النصارى فيه من أجل نصرة نصرانيتهم، والروافض فيه من أجل نصرة رافضيتهم، وانكشف كل شيء وانقشع الغبار، فبان أنّ تحت أرجل السنة حمار!!!! نسأل الله العفو والعافية.

الكتاب القادم هو كتاب "التنكيل بما في تأنيب الخطيب من الأباطيل" للشيخ عبد الرحمن المعلمي، العتمي، اليماني.

جزاكم الله خيرا، وبارك الله فيكم، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

التنكيل بما في تأنيب الكوثري من أباطيل

للشيخ العلامة عبد الرحمن المعلمي اليماني رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب السابع والأربعون

تاريخ المناقشة: ١٥ تشرين الأول ٢٠١٦.

إنَّ الحمد لله نحمده تعالى، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلّله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمد عبده ورسوله، وصفيّه، وخليله، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، وتركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، على المحجّة البيضاء، والطريق الواضح، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكّبها إلا ضال، أما بعد: من يطع الله، ورسوله، فقد رشد، ومن يعص الله ورسوله، فقد ضلّ ضلالًا مبينًا.

أيها الإخوة الأحبة، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهلًا وسهلًا بكم مع لقاءٍ جديد، ومناقشة لكتاب جديد في مشروع الألف كتاب، ونحن مع "الكتاب السادس والأربعين" من الكتب المختارة، والكتاب الذي بين أيدينا هو كتاب (التنكيل لما في تأنيب الكوثري ممن الأباطيل) للشيخ الإمام، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي العتمي اليماني، رحمه الله.

هذا الموضوع علمي بحت، وهو يدخل ضمن صراع المناهج في داخل الصف الإسلامي نفسه، ويتمثّل هذا الصراع بين مدرستين، يقوم على رأس هاتين المدرستين، رجلان عظيمان بلا شك، وسنرى من خلال هذه السلسلة، المتصلة من الكتب المؤلَّفة، والمردود عليها، والرد على الرد، والتمهيد للرد.. سنرى أنّها تمثل احترامًا، وتقديرًا بين أصحاب هذا الصراع، والكتاب الذي بين أيدينا هنا، ربّما يأخذنا الحديث عنه إلى مواطن متعددة، لكن هنا لا بد من أن أذكر قضيّتين:

١. **القضية الأولى**: أننا في مكان فيه زحام، على معنى أن هذه الكتب التي بين أيدينا، لم ننفرد في الحديث عنها، فإنَّ هذا الكتاب (وهو التنكيل) كتاب مشهور، ومنتشر بين الناس، وصار له شأن عظيم، عندما خرجت طليعته، وعندما خرج الكتاب، وعندما طبعت مجموعة الشيخ عبد الرحمن المعلمي طباعة شاملة لمنتوجاتها كلها (الأعمال الكاملة) كما تسمى.. فالحديث فيه طويل، والمرء ربما يجد صعوبة في أن يبحث عن شيء جديد يقدمه للناس، وربما البعض لا يعرف هذه المعركة، وليس له شأن فيها، وستكون مجرد المعلومة اليسيرة، أو القديمة الجديدة؛ ستكون جديدة لديه.. يعني لا يعرف ما كتاب

التنكيل، لا يعرف من هو الشيخ "عبد الرحمن المعلِّمي" [بكسر اللام]، لا يعرف من هو الشيخ "محمد زاهد الكوثري"، لا يعرف هؤلاء، ولا يعرف شيئًا عن هذه المعركة الكبيرة، التي علت فيها الجلجلة، والصدى، ورد الصدى، ورجع الصدى.. من لا يعرف هذا، فيمكن لحديثنا هذا أن ينفع المرء في هذا الجانب، إذا كان ليس متابعًا، ولكن ستكون المنفعة قليلة لمن راقب، ولاحظ، وساير هذه المعركة، فنحن في مكان مزدحم بالنسبة للجانب العلمي.

أي أننا ما الذي نريد أن نقدمه من جديد في هذا الموضوع؟ سنحاول ضمن بعد ثقافي، وكذلك بعد منهجي، بعد ثقافي لما يمثل هذا العالم من مناظرة، والصراع العلمي المنهجي من معالم علمية، ورائعة في تاريخ أمتنا، وفي وقت متأخر، فنحن نتحدث عن شخصين هناك، ربما من يعيش بيننا من عاشرهما، أو عاشر أحدهما، فلوقت قريب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة كان حيًا بيننا، وهو كان تلميذ نجيب للشيخ محمد زاهد الكوثري، وربما وُجد بعض الناس يعيشون بيننا وقد أدركوا الشيخ المعلمي، ربما لا أدري، ولكن لا شك أن هذه لها بعد ثقافي بالنسبة إلى المشروع، وهي كذلك أعمق من قضية الثقافة التي تمثل مسألة جماعية للأمة، فهي كذلك تمثل منهجًا علميًا صارمًا، لما يسمى بعلم الحديث، علم التاريخ، علم الفقه، مسائل متعددة يجمعها رجل واحد، وأشبه بالموسوعي الجامع لعلوم تحتاج إلى تخصص، وهو متخصص فيها على الحقيقة، يعني لا تستطيع أن تقول هو فقيه مشارك في علم الحديث، ولا تستطيع أن تقول هو محدث مشارك في علم الفقه، ولا تقول أنّه رجل متكلم مشارك في علم الحديث.. لا، لا، هو رجل محدث، وفقيه، وكذلك متكلم (لا نقول: عقدي؛ على غرار ما يقال، بأنّ مسائل الاعتقاد هي مسائل كلامية، مع المحترزات الشديدة، لهذا المصطلح، لكننا نتعامل معه باعتباره واقعًا مشهودًا، ومع وجود الملاحظات حوله).. إذن النقطة الأولى: نحن أمام زحام، في الجانب المتخصص، ربما يسمع المرء هذه المناقشة، فيقول: ما زدتنا شيئًا، أو إنّ الفائدة قليلة لبعض الأمور التي وسَّعتَ الحديث فيها، لأنّ هذا الباب -كما قلت لكم- يعرفه أصحاب الشأن، وذلك لأن المدرستين، أي المدرسة التي يمثلها كل شيخ من هذه المناظرة، وهذا الصراع، وهذا البحث، والرد، ورد الرد، والصدى، ورجع الصدى.. له جماعته، وله رجاله، وله مدارسه، وما زال الصراع قائمًا إلى يومنا هذا، سواء أخذنا في الجانب الكلامي

(يعني بين المحدثين، أو السلفية.. وبين الأشاعرة والماتريدية)، وسواء أخذناه بين المذهبية، وبين اللامذهبية، ربما يقول المرء أنّ هذه المعارك قد خفت، لكنّها ما زالت توظف، يمكن أن نقول أنّ الردود في هذه المدارس قليل، يعني لم يعد بمثل ما كان عليه منذ ثلاثين سنة مثلًا، عندما كان الحديث بين السلفية، وبين غيرهم، ربّما يصح هذا؛ لكن لأنّه قد شغلتنا قضية الرافضة، فالآن قضية الرافضة هي القضية الأبرز في ساحة الصراخ العلمي.. وليس حديثي عن الجيش، والعسكر، والتنظيمات التي تمثل كل جماعة من الجماعتين. بالتالي المدارس مازالت قائمة، المدرسة بين المذهبية، واللامذهبية، المتكلمين، وغيرهم، وتوظّف سياسيًا، كما رأينا في مؤتمر الشيشان؛ كيف وُظّف، وكذلك المدارس الأخرى، وكذلك المدارس الأخرى لا يقلّ التوظيف فيها، فما زالت حتى السلفية تُوظَّف، والصوفية توظف، والمذاهب إن لم يكن أصحابها على وعي بمعركة العصر، فإنها ستوظف ولا شك، إذن هذه نقطة أولى، فهذا الكلام ربّما يكون على شكل اعتذار.. ماذا سنزيد في هذه المعركة، ماذا ستقولون في معركة تكلم فيها الكثير؟ وتحدّث عنها المتحدّثون بتوسع واستفاضة عالية؛ ونعتذر، واعتبروها اعتذارًا مقدّما، ولكن أنا أحب هذا الكتاب، المرء إذا أحب المرء شيئًا أكثر ذكره.

وكتاب التنكيل من الكتب التي شكلتني مبكرًا، من بداية الطلب، وأنا هذا الكتاب يمثل رفيقًا لي، لو قيل اختر عشرة كتب لتسافر معك إلى جزيرة – من غير كتاب ربنا، والحديث النبوي – فسأختار منها ولا شك: كتاب التنكيل، سيكون كتاب التنكيل رفيقًا لي، لما يمثل من المنهجية، أنا لا يهمني في الكتب أن أعرف أفراد المسألة، وهذه أكررها لكم، منفعة للأبناء، ومنفعة لأهل البحث: لا تنظر إلى النتيجة التي وصل إليها، ولكن انظر إلى القواعد التي استند عليها، فرقٌ كبير.. فإذا بقيت تهتم بالفرع، فأنت مقلِّد، لن ترتقي، ولن ترتفع، ولن تتميز علومك، ولن تتكون شخصيتك.. ولكن انظر إلى القواعد، واستفد منها؛ حينئذ تستطيع أن تبني نفسك، وتنتج انتاجًا عظيمًا، ويصبح لك شأن في الوجود، وشأن في هذا العلم التي لا يرتفع الناس فيه، إلا برسوخ، وقوة في ذلك الصراع.

٢. النقطة الثانية – بعد هذا الاعتذار المبطّن لبحثنا في هذا الكتاب –: هذا الكتاب فيه صعوبة

شديدة، للوصول للتنكيل لا بد من أن تمر بمراحل علمية، مفاوز، مهلكات، غمرات.. تخوضها ابتداء من كتاب <الخطيب البغدادي>، الذي فيه ما فيه من علومٍ عظيمة، تمثل رجعًا عظيمًا لرجل وشخصية كبيرة شغلت الناس في وقت من الأوقات، وكتابه يمثّل قنطرة من قناطر الرجال، والعلوم، والبحث.. وشخصيةُ الخطيب نفسُها كذلك هي شخصية آسرة، وفيها الكثير من المباحث؛ فالرجل حنبلي، تحول لشافعي، وصراعه مع الحنابلة، والممتد تاريخيًا مع الحنفية، حتى ألّف فيه الحنفية كتبًا، من أجل تبرئة إمامهم أبي حنيفة ،لمّا ترجم له في المجلد الثالث عشر - ، كما ألّف فيه الأحناف: "السهم المصيب في قلب الخطيب"، حتى إنّ بعض الملوك ألّفَ فيه كتبًا للصد والرد عليه، وهذا الكتاب؛ كتاب الخطيب بنفسه، لو قرأه المرء، فإنه يذهب في رحلة قد تستغرق الحياة كلّها، قد تستغرق الحياة؛ فالكتاب ليس سهلًا، فأن تبدأ بمثل هذا الكتاب؛ لتتجاوز ما حصل حوله ومعه، وأن تعرف من هو الخطيب، وما هو منهجه في الكتاب؟ وما هي ظروفه؟ وكيف انتقى علومه؟ وماذا قيل فيه؟ الخطيب متهم من قبل الخصوم، حيثُ زعموا أنّه يسرق الكتب، كما يدافع عنه الشيخ عبد الرحمن، فإنَّ الشيخ عبد الرحمن تولّى عظم ومهمة الدفاع عن الخطيب، دفاعًا عظيمًا، حتى نقول: لو أنّ الله قال يوم القيامة للخطيب البغدادي: اشفع لأحد، لشفع للشيخ المعلمي قبل أن يشفع لأمه وأبيه؛ لأنه دافع عنه دفاعًا كأنه أولده من جديد، كأنّه أخرجه نقيًا من جديد، في حوالي سبعين صفحة، من أمتع ما أمكن لطالب العالم أن يقرأ، من تحرير مواقف، وأخبار، ونهاية ونتائج ما يدافع عنه.. ودعكم من دفاعه عن الشافعي؛ فالشافعي وُجد من دافع عنه الدفاع العظيم، لكنْ كذلك دفاعه عن الشافعي في كتابه "التنكيل" كان قويًّا، وأفرد كتابًا خاصًا في مجموعته، وله كتاب آخر في غير التنكيل دافع فيه عن الشافعي، وترجم له ترجمة خاصة، ودافع في كتابه عن الإمام أحمد.. تقريبًا هذه ثلاث أعظم شخصيات دافع عنها الشيخ المعلمي.

فضلا عن دفاعه عن تسعين محدثًا من الثقات، طعن فيهم الخطيب، وأوردهم المهالك، بل إنه بحث في أكثر من ثلاثمئة شخصية ونيّف - كما يقول الشيخ المعلمي - خبط فيها الكوثري خبط عشواء، لكنّ مطاعن الكوثري كانت في تسعين حافظًا.. فهذه هي المفارقة؛ لكن أعظم الشخصيات التي تجلّى

علم الشيخ المعلمي فيها، هي شخصية الخطيب ولا شك، ثمّ الشافعي، ثمّ أحمد، عليهم رحمة الله جميعًا.

فإذًا أنت أولًا انظر إلى هذه الرحلة، ماذا سنتكلم عن هذا الكتاب؟ هو نهاية هذه الرحلة، أن تقرأ الخطيب، وأن تقرأ كتابه، وأن تقرأ تاريخه، ثمّ بعد ذلك تنتهي إلى تاريخ طباعة تاريخ بغداد.

كيف طبع هذا الكتاب؟ عندما بدأت طباعته قام عليه أناس، فطبعوا للجزء الثاني عشر، وصل إلى الجزء الثالث عشر في الطباعة، فصدمتهم ترجمة الخطيب له، فقام بعض الأحناف، داعين إلى إيقاف طبع هذا الكتاب، والنهي عن نشره بين الناس، كونه جرثومة سيئة تثير الناس، وحفيظتهم على أبي حنيفة، تسقط هيبته.. إلى آخره، فبالفعل صدر أمر ملكي بعدم جواز طباعته، ثمّ من خلال مساعي أهل العلم، وافقوا على طباعته، على شروط: أن تقوم جماعة من الأزهر بالتعليق عليه، وتُطبع معه، وتجد في الطباعة معه "السهم المصيب في كبد الخطيب"، فلا بد من وضعها، وصدر الكتاب، وخرجت ترجمة أبي حنيفة، حتى أنها ترجمت إلى الهندية، وانتشرت في الهند، ويزعم الشيخ الكوثري أنّها طُبعت، وكتبت بالهندية بنية سيئة، ويمكن حملها على النية الحسنة، يعني حملها عندما تكلم في تأنيبه -كما سيأتي ذكرها - أنّ سبب ترجمتها إلى اللغة الهندية، ليَرُد الناس عن المذهب الحنفي، ولم يكن هذا صراع الناس في الحقيقة، يمكن ذلك، ولكن في الحقيقة أنا أعتقد أنه ترجم من أجل شيء آخر، وهو من أجل أن يُرَدَّ عليه، وليس من أجل أن ينأى الناس عن مذهب أبي حنيفة.

لما خرجت هذه الترجمة في الجزء الثالث عشر من تاريخ بغداد، مع السهم المصيب، وما قيل فيها من كلام أهل الأزهر، برز الشيخ الكوثري غير راض عن هذه الردود، لم يرَ فيها القوة التي ينبغي أن تكون، فقام وألّف كتاب شهيرًا انتشر، سمّاه: "تأنيبُ الخطيب عما ورد أو ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب"، يعني أن الخطيب البغدادي ساق أكاذيب في حق أبي حنيفة في تاريخه، فقام الكوثري، وأنّب الخطيب، وبيَّن أخطاء هذه الروايات، وانتشر هذا الكتاب.

زاهد الكوثري شخصية عجيبة، تملك من العلم بمكان، والخبرة بمكان، وتملك عقلية صدامية على درجة عالية، ولا يهمه، كأنه أشبه بالأكراد، ورأسه رأس كردي و"لا ينشق بالبلطة"، فلا يهمه الصدام،

لو كان فقيرًا فسيقاتل، ولو كان غنيًا سيقاتل، وأعظم ما يمكن أن يقاتل عليه هو: هذا الحب، الذي سمّاه الغمارين

"مجنون أبي حنيفة"، فهو يحبه لدرجة الجنون، ولذلك كانوا يسمون الكوثري "مجنون أبي حنيفة"، ولا أدري هذه الكلمة لعبد الله الغماري، أم لأحمد، وأظنها لأحمد الغماري الأخ الأكبر؛ فالكوثري إذًا رجل شركسي، يحب أبا حنيفة حبًا جمًا، ولا يستنكف في الدفاع عنه في أي موطن، وأن يتكلم في خصومه مهما بلغت درجتهم، ولذلك لما طبع مصنف ابن أبي شيبة، وفي المصنف ترجمة يسيرة لأبي حنيفة؛ ذهب وألّف كتابًا في سب ابن أبي شيبة، وكذلك العقيلي وابن عدي.. لمحوا في كتب الرجال على أبي حنيفة، فذهب، وطعن في ابن عدي، صاحب الكامل، وابن عقيلي صاحب الضعفاء.. وطعنهم، وألّف رسالة في الطعن عليهم، وهكذا لا يبرز أحد في الكلام على أبي حنيفة في شيء، إلا وتقدم في الطعن عليه.

حتى إنّه لمّا كتب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية "مصطفى صبري" كتابه –وهذا للذكر فقط، وقد بيناه يوم ذكرنا كتاب "موقف العقل والدين والعلم من رب العالمين" لمصطفى صبري، – لما ألّف كتابه هذا انتقد الجبرية، التي عليها الماتريدية، وهم في القضاء والقدر ليسوا على مذهب الأشاعرة، فالأشاعرة عندهم جبرية مقنّعة تسمى بالكسب –وهي غير مفهومة – حتى قال الشاعر:

مما يقال ولا حقيقة عنده ... الكسب عند الأشعري

والحال عند البهشمي ... وظفرة النظَّامِ

هذه تقال، ولا تفهم، ولا يتصور وقوعها، فقضية الكسب، جبرية مقنّعة، ولا أريد أن أخوض في هذا.. لكن لمّا تكلم مصطفى صبري، رادًا على الأحناف في هذه المسألة، وهو حنفي، انبرى له زاهد الكوثري؛ فكان الكوثري في هذا الجانب، كأنّه الأسد الضاري، الذي يقف أمام مغارة الأحناف، وأبي حنيفة، لا يسمح لأحد بدخولها، ولا الاقتراب منها، ولا الحديث عنها.

لكنّه كذلك مما يشهد له، أنّه قام موقفًا عظيمًا من قضية ومعركة التغريب في الأمة، لـمّا قام أتاتورك بمشروعه المجرم في علمنة الأتراك، كان الكوثري ممن حورب، وهرب، وكاد أن يموت في رحلته من الأستانة إلى مصر، المسكين هلكت مكتبته، وكاد أن يغرق ويموت، وهو ممن حارب الكماليّن محاربة شرسة، وله موقف في هذا، وكذلك حارب من يتكلمون عن الخلافة، فكان كلامه شرسًا، وهذا قربه كثيرًا من التيارات الدينية التي بقيت محافظة في مصر، ولذلك هو من الشخصيات الملازمة لصالون الشيخ الأستاذ محمود شاكر، والرجل مشغوف في العلم، فمما لا ينبغي أن يشك فيه طالب علم أن الكوثري رجل شغوف في العلم، تصور أنّه ذكر في أخباره –وذكر هذه أبو غدة عنه – أنّه مكث ثلاثة أيام جائعًا لا يملك مالًا، ولكنّه كان يقتل الجوع بالنظر في كتب أهل العلم، في المكتبة الظاهرية في دمشق.. ثلاث أيام، كيف يقتل الجوع ولا يأكل؟ يذهب للنظر في المخطوطات، حتى يذهب عنه الجوع، لشغفه في الكتب، والحق أنّه لا مثيل له في عصره في علمه في المخطوطات، حتى كان يقال بأنّ الشيخ الكوثري، كان عنده القدرة أن ينظر في المخطوطة فيعرف هذه خط من، وكتبت متى، وكذلك في الرجال، فالشيخ الألباني، مع خصومته الشديدة – فإنه هو الذي طبع التنكيل، حيثُ لم يطبع في زمن مؤلّفه، بل طبع في العام الذي مات فيه مؤلفه، أي بعد أن مات –.

فعندما ذُكر ثلاثة رجال من أهل الحديث، وهم الشيخ أحمد شاكر، صاحب الباعث وتحقيق المسند وغيرها، وذُكر أحمد الغماري، وهو رجل عجيب في استحضاره للمتون والأحاديث والمصادر.. هو آية من آيات الله؛ فقال الشيخ الألباني: فكيف لو رأيت الكوثري؟ أي أنَّ الشيخ الألباني يقدم الكوثري على الشيخ شاكر وعلومه ونظره في كتب الحديث، وعلى الشيخ أحمد الغُماري؛ فهذا يدل على موسوعية هذا الرجل، ويكفي أن نعلم بأنّ هذه الردود التي قامت؛ إنما قامت من أجل رجل عظيم؛ هو الخطيب، ولكن من قاموا بها هم عظماء، وإلا لم تمتد بهذه السلسلة فيما سنذكر.

فالقصد بأنّه بعد أن صدر تاريخ بغداد، قام الكوثري بالدفاع عن أبي حنيفة في تأنيب الخطيب، فجاؤوا – كما يذكر عن سيرته مع هذا الكتاب – إلى الشيخ المعلمي، والشيخ المعلمي شخصية كانت

أسيرة للكتب، ولا شأن له في الحياة العلمية كثيرًا، والحقيقة أنّ الشيخ المعلمي لولا التنكيل، لما عرف كثيرًا، إذا ما ذكر الشيخ المعلمي؛ فإنّ ما عرّف به "التنكيل"، هناك كتاب آخر له هو: "الأضواء الكاشفة في الرد على محمود أبو رية"، في إنكاره البخاري، ومسلم، وتضعيفه، وكذا؛ نعم، من قرأ الكتاب يرى علما، ولكن ليس كما يراه في التنكيل.

الشيخ المعلمي يمني، وشكله كما تراه في الصورة، شكل الناس أهل اليمن، فنشأ في اليمن، وأبوه من أهل العلم، ونسب إلى المعلمي، لأنّ جده معلم، فسمّي بالمعلِّمي، وعُتمي من اليمن، فدرس ثم وهو شاب في غرارة شبابه رحل من اليمن، واستقر عند محمد علي الإدريسي، الذي أقام دولة الأدارسة في جنوب الجزيرة؛ بين اليمن وبين الحجاز، وهذه الدولة لها شأنها، وتحتاج إلى دراسة، ولابد أن أقف عندها، ولكن لها دور في صياغة أحداث عن الثورة العربية الكبرى، وقضية الإنجليز، والتحالف معهم ضد العثمانيين، يوجد باب لمحمد بن علي الإدريسي؛ لأنه قاتله الشريف حسين، فقد قاتل الإدريسي، لأنّه رفض أن يخضع للدولة العثمانية، فمحمد علي الإدريسي كان رافضًا الخضوع للدولة العثمانية، فقاتله الحسين بن علي من أجل إخضاعه للدولة العثمانية، ثمّ تصافيا وندم، ولكن لما قام الشريف بقتال الدولة العثمانية، وقف الادريسي ضده، ولم يوافقه على قتال الدولة العثمانية؛ فهذا جانب لا نريد أن نقف عنده.

لكنّه في هذا، وهو في غرارة الشباب – وهذه كلمة ليست جيدة، فقد كان في أول الشباب – صار الشيخ عبد الرحمن المعلمي، عند الإدريسي؛ قاضي القضاة، ومفتي الشافعية، وهو شافعي يحق للشافعية أن يفتخروا به، وكانت فترة جيدة له في التعلم، ولكن لما مات محمد علي، واستلم ابنه؛ صار هناك شيء من الجفوة، فحمل نفسه وسافر إلى الهند، وهناك اشتغل في دار الكتب العثمانية، حيثُ مطبعة حيدرة باد دكن، واشتغل هناك؛ حيثُ انتقل من كونه فقيهًا – لأنّ تخصصه الفقه باعتباره قاضيًا، ولم يكن له شأن في الرجال، فقد درس خلال وجوده مع دولة الأدارسة، كما ذكر عن نفسه، وتعلم النحو، وازداد فيه أمره وشأنه –، ولكنّه لما رحل إلى دار الطباعة والكتب هذه "الدار العلمية العثمانية"، بدأ اهتمامه

بالرجال، وطبع تحت يديه مع آخرين - وهو المشرف الرئيس لمهمات كتب الرجال -، فهو الذي حقق التاريخ الكبير للبخاري، وحقق الثقات لابن حبان، فكان فِعلًا إمام المحققين في هذا الزمن، وشارك في تحقيق كتب كثيرة جدًا؛ قام عليها، أو شارك فيها، فذلك مع عقل عظيم، وإدراك واستقلال نراه في أبحاثه، فصار له شأن عظيم، ثمّ بعد ذلك انتقل وهو قريب من الكهولة، من حيدر أباد الهندية - صنع الباكستانيون حيدر أباد التي تقابل حيدر أباد التي بقيت في الهند -، فرحل من الهند، واستقر في مكة، وبقي هناك في مكة، حتى توفي رحمه الله، وتجنّس أعطوه الجنسية، حتى هناك صورة لهويته، الجنسية: سعودية بالتجنّس، يعني مش أصيل كما يكتبون في الجنسية، - والذين ترجموا وأنا كتبت مرة في تغريدة لي، أن الذين ترجموا للشيخ عبد الرحمن خلال وجوده في مكة، لم ينصفوا، ولم يتسعوا - هناك أخبار كثيرة عنه في مكة، لكن لأسباب معينة، لم يستفيضوا استفاضتهم كما هو شأنه لما كان في الهند، على الرغم أنّ كتاب التنكيل هذا أتمّه في مكة، وهناك من أصدروا المشروع الكامل، لأعماله الكاملة، هؤلاء ذكروا ترجمته في مكة، هذه التي ذكرناها، يمكن الرجوع إليها، والاهتمام بها، وأخذ أمور زائدة عمّا ذكرناه.

أقول: وصل كتاب "تأنيب الخطيب" إلى الشيخ، أحدهم أعطاه إياه، وهو في الهند، فقال - وهذا شيء عجيب أريد أن أقف عنده يسيرًا؛ لما يسمى بالتوفيق الإلهي -، فلما أعطاه الكتاب، وطلب منه أن يرد عليه، قال: لم أرد أن أقرأه، ولم أرد أن أرد عليه، ولكنّه يشير إشارة يسيرة في كتابه، أنّه كان له خبرة بما يكتبه الكوثري، أي أنه كان يطلع، ويصل إليه، ما يكتبه الكوثري.

وعلماء الهند -للذكر - لهم شغف في الكوثري، لحنفيتهم، فكانت الصلات بين الكوثري في مصر، وبين علماء الهند.. قوية جدًا، فلذلك كل ما يصدر عن الكوثري يرحل به إلى الهند، لاطلاع أهل الهند عليه، فيقول: كنت أقرأ له، فكأنّه يقول لا يعجبني الكثير مما يقوله، ولكن لا يهمني، وليس بالأمر الذي يمكن أن أهتم به، حتى وصله تأنيب الخطيب، فقال: قرأته ثم صرفت النظر عنه، ولكن جاء الإصرار، فبدأ يبحث في الكتاب شيئًا، فشيئًا، حتى وصل إلى أن يتكون الكتاب لديه، للرد على رجل مثل

الكوثري، إلى أن يُقَسِّم الكتاب، إلى أربعة كتب، وهي: المقدمات، وثانيًا: هي الحديث عن الرواة والرجال، ثالثًا: الفقهيات والمسائل، حيثُ ناقش زاهد الكوثري في سبعة عشرة مسألة من المسائل الفقهية، وحرّرها تحريرًا عجيبًا، بنفس طويل متسع تعجب له، وآخر كتاب من كتاب التنكيل هو في: العقائد، والغيبيات، وسماه "القائد إلى تصحيح العقائد"؛ رأى الشيخ بأن يجعل -لأنّه لم يتمه، ولكن تشكلت لديه فكرته، وخاصة أن مقصد الكتاب هو الدفاع عن الرجال، فالثلاث الكتب الأخرى، كانت زيادة وحواشي، ولكن المهم، ما هو؟ النقاش حول الرجال والرواة، فأصدر كتابًا يقدم هذه الردود، وسماه: "الطليعة، طليعة التنكيل"، وطبعه، ولما أرسله للطابع، يقول: أذنت له أن يصحح، وكأني أذنت له بأن يزيد، الغريب أنّه أخذه الطابع، وتصرف فيه تصرفًا خارج إطار منهجية الشيخ عبد الرحمن المُعَلِّمي، وهو أنّ الأستاذ المعلمي -ربمّا يحتاج الأمر إلى وقفة، نأتي إليها، أو نمر عليها الآن بسرعة - لا يقلل من شأن خصمه، ولا يحتقر خصمه، بل يرد عليه في العلم، ولا يستخدم معه الألفاظ التي تهيج الراد، حتى ينشغل في هذه الألفاظ، دون المسألة العلمية التي بين يديه، ولذلك لم يتخلَّ قط عن تسمية الشيخ زاهد الكوثري، بالأستاذ، والحق أنَّ الشيخ عبد الرحمن المعلمي، يعرف من هو الكوثري، ولا يحترمه فقط من أجل أدب الرد، ولكن يحترمه لما هو عليه بذاته، لمن هو الكوثري، فجاء الطابع وأزال كلمة الأستاذ، وجاء إلى بعض الكلمات التي فيها إشارة إلى أخطائه، فيتزيد فيها، بأنها كذا وكذا، ويزيد، فخرج الكتاب بما لا يحب - الآن نتحدث عن طليعة التنكيل -، فخرج الكتاب على غير ما يحبه الشيخ، ووجد فيه أخطاء مطبعية كثيرة، وجد فيه زيادات، وجد فيه نقص، كما ذكرنا من عدم احترام الشيخ الكوثري، فالشيخ الكوثري أخذ هذه الطليعة ورد عليها، بكتاب سماه "الترحيب بالتنكيل"، رحب به، وطبع هذا الكتاب طبعة، لما اطلع عليها وجد أن المردود عليها مسائل على الصورة التي ذكرنا، ورد على الشيخ عبد الرحمن ردودًا فيما خرج، وعلى ما توقع من الخروج؛ لأنه يقول: توقع كيف يكون الكتاب.. وهذه مسيرة تاريخية نواصل فيها.

فلمّا خرج الترحيب بالتنكيل، وهو للكوثري، فقام الشيخ المعلمي بكتابة رسالتين، رد فيهما على الترحيب، الرسالة الأولى سماها "تعزيز الطليعة"، يعني أشياء جديدة عزز به ما قال في طليعة التنكيل،

وكتاب آخر سماه "شكر الترحيب"، كلاهما تقريبًا يدوران حول نفس النقطة والقضية غير المسائل العلمية، التي سنأتي إليها لاحقا، واعتذر فيهما عن الألفاظ التي فيها قلة احترام، بأن هذا ليس صنيعه، وليس هو له، وأن الذي قام بها الطابع – وربما وضعها الذي كان داعيًا لقضية الرد، الشيخ محمد ناصيف، وربما زادها الشيخ حامد الفقي، ومعروف نَفَسُه، حتى أنكره عليه صديقه الشيخ أحمد شاكر، فمن المعروف أنه في نهاية الأمر تخاصم مع صديقه الشيخ حامد الفقي، ومن قرأ تعليقات الشيخ الفقي على كتاب "مدارج السالكين"، سيرى أنّه ليس بالمحمود طريقة في الردود، وفي الحقيقة ؛حتى على مستوى العلم، لا يعادل غيره في هذه المسائل.

المهم أنه اعتذر، وأجَّل طباعة الكتاب، ومكث في الكتاب هذه السنين الطويلة، حتى رحل إلى مكة، وهناك أراد أن يطبعه، فسبقه الأجل، فطبع الكتاب بتحقيق الشيخ الألباني، رحمة الله عليه.. انظروا هذه الرحلة كخبر؛ كلها تمثل شيئًا غريبًا، وشيئًا مميزًا.. أن تنتقل هذه الرحلة على هذه الصفة، وسقت أنا هذا الخبر، وهذا التعريف بكتاب التنكيل، الذي وصل إلى هذه النهاية، من أجل أن أقول بصعوبة الدخول فيه بدون وجود الأدوات العلمية.

القارئ لكتاب التنكيل، يحتاج أن يكون عالـمًا بعلوم متعددة، رأينا أنه يتحدث عن الفقه، فلابد أن يكون فقيها، وكذلك لا بد أن يكون أصوليًا، والشيخ المعلمي أصولي عجيب، لابد أن يكون محدثًا، والقدرة على النظر في كتب الرجال، عن ماذا يتحدث هؤلاء؟ كيف يصيد الشيخُ المعلمي الشيخَ الكوثري؟ كيف يصيد أخطاءه الحديثية، المتعلقة بالرجال، والأسانيد، وغيرها؟ فإذا لم يكن الرجل صاحب علم عميق في مثل هذه المسائل، لا يستطيع أن يخوض في هذا الكتاب، فبالتالي هذا الكتاب يصلح أن يكون مدرسة، تتفرع منه فروع علمية يحتاجها طالب العلم ليصل، من أجل إبراز أهمية كيف يكون العالم؟ نحن نرى اليوم الردود مشحونة بالحديث النفسي، إما عن نفسه، أو عن نفس الآخر، بعيدًا عن المسائل العلمية، وهذا ضعف، نراه يتحدث عن جانب، لكنّه لا يستطيع أن يتحدث عن جانب آخر، هذا ضعف؛ فأن يكون الرجل في مثل هذه الجمهرة، وبهذه الموسوعية، وبهذا العلم، وهذا

الاتساع.. رجل يتحدث في هذه العلوم، كما يتحدث فيها الكبراء العظام، ويتحدث فيها تحدث السابقين، المبرزين في أهلها، فهو محدث، حيثُ إنك لما تأتي إلى القواعد الحديثية، التي يتحدث بها الشيخ المعلمي، في كتابه "التنكيل"، ترى أنّ هذا دالٌّ على عمق قراءة الرجل لمناهج العلماء، في الجرح والتعديل، فعندما يتحدث عن يحيى بن نعيم، ماذا يعني بكلمة "لا شيء" مثلا؟ ماذا يقصد بكلمة شيء، فربما أنت تجدها في كتب خفية، هذا يحتاج إلى دراسة، إلى استقراء لمنهج ابن نعيم، عندما يقول "لا شيء"، فالمتبادر للذهن لا شيء، يعني ضعيف، يعني يتحدث عن مرتبته، وإذا هو يتحدث عن لا شيء يعني عن مرتبته، عن كثرة روايته، هو لا يتحدث عن مرتبة روايته، يتحدث كثيرًا، وقليلًا، عندما يتحدث عن الفرق بين من يروي المناكير، أو في حديثه نكارة، مثلًا هذا مثال، عندما يتحدث عن منهج ابن حبان في التصحيح والتضعيف، عندما يتحدث عن هؤلاء العلماء، وكيف هم؟ هذا يدل على أن الرجل بلغ الذروة ليس فقط في علم الحديث، ولكن في علم العلل، وكأنّي هنا أبرز نقطة، ما يسمى بمنهج المتقدمين، والمتأخرين، لعلي أعتقد أنّ أول من أبرزه، وأشار إليه، أو يمكن أن يستفاد من كلامه هو: الشيخ المعلمي، صحيح هناك من يتبارز اليوم من هو صاحبه؟ لكن في الحقيقة تستطيع أن تقول بأنّ الشيخ المعلمي، هو من أبرز هذه القضية، في أن هناك منهج للمتقدمين، يخالف ما عليه المتأخرون، يمكن أن نقول هذا، هذا في قضية المناهج، فهو لا يقرأ فقط ما في الكتب، دل هذا على أن الشيخ المعلمي، لا يقرأ ما في الكتب فينقل.. كلا،، وهذا يدل على أنّه وصل إلى درجة بعيدة في فهم مناهج أهل الجرح، والتعديل، وفي فهم مصطلحاتهم، وألفاظهم، وأنّه لم يكن محققًا للكتب، على طريقة صحة اللفظ، وعدمه، لأن التحقيق عند الناس اليوم، أجمل ما فيه -لا نتكلم عن الوراقين-، فقد كان الشيخ عبد الرحمن المعلمي، يجرّح، ويعدل، - الوراقين حضرت على لساني، فاستحضرت كلمة له، الشيخ المعلمي وصل أنه يحكم على الرجال، يعني عندما يتكلم عن ابن النديم، وسنختار كتابه إن شاء الله صاحب الفهرس، يقول: رافضي، ورّاق، هذه كلمة ورّاقين يعني، يعني لما ينتقد في موضوع -.

يقول: لم أر أحدًا علّ رجلًا، بقوله "معلول"، إلا الكوثري؛ فالكوثري ذكر أنّ فلان معلول، يقول الشيخ الكوثري: هذا لفظ لم يُسبق إليه، فالشيخ المعلمي لم يكن يقرأ المخطوطات، من أجل أن يحقق

ألفاظها، لكنّه كان يقرأ الألفاظ ليستفيد من معانيها، ومن أجل أن يغوص فيها، ويعرف مناهج أهلها، عندما يقرأ التاريخ، يقرأ التاريخ على وجه صحيح، وهو الذي قال اكتشف بنفسه، بأنّ البخاري في حديثه عن أهل الشام لم يكن بقوة حديثه عن غيرهم، وكثرت فيه الأخطاء، لأنّه لم يأخذه مباشرة، لم يصل البخاري إلى الشام؛ فكان يأخذها عن غيره، فوقع في بعض الهنات التي سلم منها الكتاب لما تحدث عن العراقيين مثلًا، أو الحجازيين، إذًا الشيخ المعلمي، رحمة الله عليه، في قراءته للمخطوطات التي كان يقرؤها، ليس على طريقة المحقق اليوم، لم يكن ورّاقًا، ولكنّه كان مبحرًا منقبًا، هذا باب.

النقطة الثانية التي يتميز بها الشيخ المعلمي في كتابه، أنه بين ما الذي كان يصنعه الشيخ الكوثري في كتابه تأنيب الخطيب، من أجل تبرئة أبي حنيفة مما اتهم به، في تاريخ بغداد، أنّه لم يكن يقبل النص على علّاته، حتى لو سَلِم الرجال، لكنّه كان يبحر كذلك بعيدًا في نقد المتن، يعني عندما يُتهم الخطيب، بأنّه كان يميل إلى المُردان مثلًا، اقرؤا تحقيق الشيخ المعلمي في هذه النقطة، اقرؤها تروا رجلًا عظيمًا، عنده أسلحة من أقوى ما تكون الأسلحة، ويخوض هذه المعركة، كأنّه يفصل بين الجنود فصلًا عظيمًا، ويبين من الضعيف، وينقد المتن نقدًا علميًا رائعًا، غائصًا في مناهج الرجال الذين يُتهمون، مناهج الرجال الذين يُقال فيهم، وهكذا، لا أريد أن أتحدث في كلامه عن الشافعي، والكلام عن افتخار الأحناف، بأنّ الشافعي هو تلميذ محمد بن الحسن، ويحب هؤلاء.. دائمًا يأخذون بأنّ الشافعي أخذ عِدْلي بَعير من كتب محمد بن الحسن، فبرز علمه بعد قراءته، ويحقق هذا تحقيقًا علميًا رائعًا، ولكن أنا لست معجبًا، كإعجابي بتحقيقه لترجمة الخطيب، نعم هو يدافع عن إمام عظيم، أعظم من الخطيب وهو الشافعي، وكذلك عن الإمام أحمد.. لكنّ كلامه في الدفاع عن الخطيب لا مثيل له، بلغ الذروة، والخطيب يستحق ذلك، والحق أنّه يُحَب، والمرء سيكتشف أنّه بعد رحلة الدفاع عن الخطيب، سيحب الخطيب في علمه، في منهجه، في دينه، في تقواه، في صبره على المخالف.. إلى آخره.

فإذًا يدلك هذا على أنه ليس محدثًا جامدًا، أو كما سماه الإمام الذهبي مرة "كودنة المحدثين"، هذا الجمود للمحدث الذي لا يستطيع أن يسبر القراءة الصحيحة للنص، كان الشيخ المعلمي خاليًا عنها،

بل كان بصيرًا عالمًا ناقدًا، وأنا في الحقيقة لا أعرف أحدًا من المعاصرين بقدر علمه –حتى إن بعضهم لمّا ذكرت في تغريدة لي قلت: من قال لك إنه مر في هذا العصر أعلم من الشيخ المعلمي، فلا تصدقه –، فربما البعض وجد حزازة، هل الشيخ الشنقيطي، نعم الشيخ الشنقيطي في حفظه آية من آيات الله، في حفظه للأشعار، وفي حفظه للأقوال، والتفسير.. وأُعجب كل من يقرأ كتابه "أضواء البيان"، وكل من يقرأ كتبه الأخرى؛ فإنّه يرى رجلًا حافظًا، لكن ليس بهذه القدرة في ملكة الأسلحة التي يملكها المعلمي، والعقل العظيم الذي مثله المعلمي، عليه رحمة الله.

الموضوع الثالث، وهو المبرز في شخصيته وفي كتابه: الأدب العجيب، فهو رجل مؤدب، وحق له أن يتأدب في حضرة الشيخ الكوثري، ولكن هذا الأدب كان كذلك تبرز منه لحظات ينسف فيها الكوثري، فهو جامع للأدب، ولقوة الاحتجاج، وقوة الدليل، والحجة في الخلاف.. وهذا الأدب عجيب؛ فنحن إلى الآن، نتمنى أن يكون بعد الكوثري؛ كوثري رقم اثنين، وقد وجد، لكن لم يخض في معارك الكوثري، وكنا نتمنى أن نجد – وهذه ليست من قبل تمني وقوع الشر –، لكن موجود في الحقيقة، أتباع الكوثري، أصحاب مذهبه، وطريقته.. موجودون، وكنا نتمنى أن يوجد معلمي آخر، حتى تتواصل هذه الرحلة، لكن بعد التنكيل لم يقم أحد، الكتاب انتشر، ويفتخر به كل من افتخر، ويقرؤه المخالف، والموافق، وأنا أقرأ للذين يحبون الكوثري، ويعظمونه.. شخصيات تعرفونهم ولا داعي لذكر الأسماء، يذكرونه: الإمام، ويعظمونه، ويحاولون إحياء مدرسته، لكنهم لا يقتربون على التنكيل، حتى عندما يتكلمون عن "تأنيب الخطيب" بالتعظيم، من أحمد خيري، تلميذه الذي جمع له مقالات الكوثري، وهو تلميذه، وصديقه، لا تجد أحدًا اقترب من التنكيل في الرد، وذلك لجمعه بين أمرين: أولًا؛ القوة العلمية التي امتلكها، والشيء الثاني؛ الأدب؛ لأنّ الكثير من الخصومة بين المدرسة العلمية السلفية، والمدرسة الأخرى المذهبية.. كثير ما يدخل فيها الخصومة اللفظية، والخصومة الشخصية، فيبدأ الناس ينسون، ويبدؤون في الخصومة.. ماذا قال فلان، وماذا سب فلان، وأنتم تعرفون أن بعضهم ألّف كتبًا في "قاموس الشتائم" –هكذا سُمِّي!–، فكأنّ العلم انتهى، ولم يبق إلا مناقشة الأسلحة التي استخدمت من الألفاظ، ولكن الشيخ المعلمي، وقد اعتذر عن ألفاظه التي لم يكن هو صاحبها، في

"طليعة التنكيل"، فانتهى هذا الأمر، وأغلق هذا الباب في هذا الشأن.

الآن، ما هي المسائل في هذا الكتاب؟ الشيخ المعلمي، أهم علومه، وأهم قضية له في قضية الرد على الخطيب، ماذا وجدنا؟ وجدنا أنّ هناك أسانيد لأهل العلم، يقولون في أبي حنيفة كلامًا شديدًا، حتى وصلت ظلمًا وجهلًا إلى تكفيره، فهناك من كفّره، من المعاصرين له، من كفّره، سواء وجدناه في تاريخ الخطيب، سواء وجدناه في كتاب السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد، رحمه الله، وقد عقد فصلًا في تكفير أبي حنيفة، فعبد الله بن الإمام أحمد في كتابه "السنّة"، عقد فصلًا في ذلك، وهذا ينبغي أن يرد بالعلم، ماذا كشف لنا المعلمي في طريقة الرد على هذه الأحاديث، وهذه الروايات؟ بين أولًا بأنّه يقدح في الثقات، هناك حفّاظ، ثقات، تجاوزا القنطرة كما يقال، وهم من رجال الصحيحين، بل بعضهم ممن هو من أهل النقد، وأهل الجرح، والتعديل، فرأينا الكوثري يميل إلى اختيار هذا الشخص، وذكر مثالبه، أو إشارة، أو غمز لإسقاطه، حتى وصل به الأمر – كما يقول الشيخ المعلمي في كتابه – بأنّه عندما أراد أن يدافع عن أبي حنيفة في مسائل الفقه، غمز بصحابة، ومن ذلك أنّه غمز بأنس رضي الله عنه، على أساس أنه روى حديث القتل بالمثقّل، وهو حديث العرنيين، أنّه رواه على هَرَمه، يعني كأنّه تغير؛ فيشير إلى هذا، والدفاع عن هؤلاء الحفاظ كان أهم ما حرره، ومن ذلك ما ذكرنا، من قضية قدحه في الخطيب، وغمزه في الشافعي في جوانب، وغمزه بأحمد في جوانب، وغمزه لعبد الله بن الإمام أحمد في جوانب، وهكذا.. فيأتي الكوثري إلى الثقة الكبير، فيقصفه من خلال الطعن فيه، إما من أجل خصومة في المذهب، كون المحدثين من الحنفية، قليلين، صحيح؟ فالمحدثون في الأحناف قلة، وأغلبهم على غير مذهب الأحناف، فأنت تجد الشافعية كثير منهم محدثون، مع أنّ العلماء لا يرضون هذا يعني، واحد يضع البخاري أنّه شافعي، الصواب أن البخاري، لا شافعي، ولا حنفي، ولا مالكي، هو مجتهد، إمام مجتهد وهكذا، لكن له اقتراب بهذه المدرسة، وهي مدرسة الحجاز، التي حملها بعد ذلك، وجلّاها الإمام الشافعي، فالأحناف الذين انتسبوا من غير المذهب للأحناف؛ فيهم مغمز، بشر المريسي حنفي، يعني مع غيره، والكلام على الأحناف يشملهم في جانب، فيأتي الكوثري ليطعن في الرواية، فيطعن حينها في الراوي بأنّه في مغمز الجهل، أو مغمز العصبية على مذهب الأحناف، وأسقط بذلك تسعين حافظًا –

كما هو مذكور –، غمزهم – وهنا الخطورة –، فعندما أخرج الشيخ الكوثري "الترحيب بالتنكيل"، وقال: أنا لا أدافع عن رجل، قال له الشيخ المعلمي: أنت تبرّؤ رجلًا، وتسقط تسعين محدثا، في علم الحديث لو سقط هؤلاء، لذهبنا بعد ذلك وأسقطناهم في البخاري، وأسقطناهم في مسلم، فأسقطنا بذلك أحاديث.

النقطة الثانية، والطريقة الثانية التي اعتمدها الشيخ الكوثري كما كشفها المعلمي، أنّه عندما يعجز الكوثري أن يطعن فيه بمطعن؛ يأتي إلى الرجل، فماذا يصنع؟ يبحث عن رجل اسمه قريب من اسمه، فمهنا، اسمه محمد بن الابراهيم، محمد بن الابراهيم عشرات في كتب الراجل، المضعّف، والمقدوح فيه، فيسقط الحديث بهذه الرواية، مع أنّه يكون بين يديه، ويكشف الشيخ المعلمي، أن الكوثري لا يفعل ذلك خطأً، ولكن يقوم به قصدًا، ولما خرج الترحيب، اعترف الكوثري، وقال: أنا أفعل هذا، خيرًا من أن أسقط أبا حنيفة، نفس القضية، وهكذا؛ فهذا الخطاب الذي مورس في هذا الباب، أوقع أحبة الكوثري في الحرج الشديد، عندما كشفه، ووضّحه، وبينه، وأتى به.

الموضوع الآخر، وهو موضوع العقائد، وذلك أنّ أبا حنيفة على مذهب أهل السنة، ولم يتهم بشيء، حتى قضية خلق القرآن، فالمحققون من الأحناف، يقولون بأنّ أبا حنيفة، لم يقل بخلق القرآن، وهذا هو اللائق به، والصواب، لكنّه متهم بأنّه يقول بالإرجاء المشهور "إرجاء الفقهاء"، وهو أنّه لا يجعل العمل من الإيمان، وهنا يبرز كلام، ويتهم في هذا على أنّه في طريقة الإرجاء، فيبرز الكوثري في الدفاع عنه، دفاعًا عن هذا المذهب، وأنّه مذهب أهل السنة، والحق أنّ الأشاعرة الذين هم أئمة الشافعية، في عصرهم، تلبس بهم الإرجاء، وليس هذا معنى أنّ الشافعي مرجئًا، نعوذ بالله، فإنّ الشافعي على مذهب أهل السنة، وهو سني في هذا الباب، لا يختلف في ذلك اثنان، لكن الأشاعرة غلبوا على مذهب الشافعية، كما أن مذهب الإرجاء الصريح –بل الجهمية–، غلبت على مذهب الأشاعرة، والجهمية غلبت كذلك على مذهب الأحناف، فيأتي الكوثري وينصر مذهب الإمام أبا حنيفة على أنّه الإرجاء الصريح، ويرد عليه المعلمي ردودًا في هذا الباب، ردودًا رائعة، واضحة، وبينة في كتابه "القائد لتصحيح

العقائد"، ردًا شافيًا، قويًا جدًا.

وأما موضوع الفقهيات، فقد ذكر الكوثري، سبعة عشر مسألة، جعلها إبرازًا لقوة أبي حنيفة، وملكته الفقهية، إلى غير ذلك، فيبرز لها المعلمي، في بيان أنّ غيرهم أولى بالقوة، واتباع الأصول، والمنطق، والحديث.. مما اتبعه الأحناف في هذا.

خلاصة الموضوع؛ ما الذي نستفيده من هذا الأمر، الأمر الأول؛ هو أنّه يفيد العقل المسلم، أي عقل، في عدم التسليم، وعليه أن يقرأ، وعقله حاضر، وعليه أن يقرأ، ولا يقلد، عليه أن يبحث، فالمشكلة الكبرى التي نعيشها هي التقليد، فيمكن للمرء، أن يقول أنّ المعلمي أصاب في كل شيء، هذا خطأ، وممكن أن يأتي المقلد فيقول الكوثري إمام الدنيا، هو لم يخطأ، وهذا خطأ، وكذلك ينبغي أن تتعلم كيف تحرر عقلك من التبعية، وعليك أن تتعلم طرق الحِجاج، يعني الطرق، والمنهج الذي استخدمه الشيخ المعلمي، يفيد كل طالب علم، لذلك أنا آتي إلى نقطة مررت عليها، هل يمكن للمرء أن يستفيد من "التنكيل" دون أن يمر في هذه الرحلة، من قراءته لتاريخ الخطيب، من قراءته لـ"السهم المصيب"، من قراءته لـ"تأنيب الخطيب"، هل يمكن؟ الجواب: نعم، فلو واحد يسأل سؤالًا: هل يجوز لي أن أقرأ التنكيل؟ أقول له: نعم، ستستفيد كثيرًا، والفوائد العلمية في داخله، سواء الحديثية، والفقهية، والأصولية، أو طرق الحجاج، أو النقاش، أو كيفية البحث.. هذا مهم جدًا، ويمكن أن تستفيد منه، وأنا أتكلم عن نفسي؛ فالرحلة بدأت عكسية، فأنا لم أقرأ الخطيب، حتى قرأت التنكيل، ثم بدأت الرحلة، واستفدت كثيرًا في هذا، فيمكن للمرء أن يقرأ التنكيل، برحلة عكسية، إذا وصل للخطيب، فهذا حسن، وجيد، وإن لم يقف إلا عنده فهذا يمكن أن يقف، ويرحل مع هذا الكتاب، رحلة جميلة من النقاش، والبحث، والمناظرة.

إذًا ما يفيدنا هنا، أنّ المرء، يتعلم البحث، يتعلم في كتب التاريخ، والذي استفدته في هذا الباب، مع هذا العقل الجبار، الذي مَثَّله المعلمي، أنني أدرك أنّ المرء، لا يمكن أن يناظر من غير كتب، في هذه المسائل، يعني لو أنّك قرأت – وأنا كنت أتخيل نفسي ذلك – يعني أكثر من مرة، قرأت "التأنيب"، أنا

قرأته مرتين، من غير أن أعود إليه مرة بعد مرة، فقرأته مريتن، وقرأته من أجل، يعني مرات كثيرة تقرأ في التنكيل، ترجع إلى تأنيب الخطيب، من أجل أن تراجع، لكن كثيرًا ما فتحت هذا الكتاب، من أجل أن أقرأه خالي الذهن، كأنّي لا أعرف شيئًا عما يقال فيه، فهل هذا الكتاب يستطيع أن يقنعني؟ من غير شيء؟ الذي وجدته: نعم، وإذا أردت أن تجرب قبل أن تقرأ "التأنيب"، لا تقرأ.. يمكن البعض أن يستثقل قراءة تأنيب الخطيب، فليقرأ بالترحيب فقط، يذهب إلى الترحيب، ويرى هذه القدرة الغريبة، عند الكوثري؛ كيف يتسلل إليك، تسلل الخفاء، والدقة، والذكاء، من أجل أن يقنعك.. بداية مرحلة كيف يعرّض بالمردود، كيف يعرّض بالثري الجدّي - نسبة إلى جدة، وهو يقول: الجدّي، والعوام يقولون: جدّاوي، وأظن نسبته صحيحة -، المهم، لو أنّك قرأت الترحيب، اقرأه، ستخرج مقتنعًا، لأنّه يمهّد لك كيف يقذف هذه المدرسة، وكيف يقذف برجالها، وكيفية تاريخها، ودعمها المالي، وإلى آخره، يجمع لك كما هو يقول، هو يقول: "ابن القيم، وجراميزه"، أنا أخذت كلمة جراميز، من الكوثري، والكوثري ليس سهلًا، في الحقيقة، لا أريد أن أتحدث عن تحقيقاته في الكتب -لأنّه ثبت للأسف أنّه ليس أمينًا، وطرد من التحقيق بسبب عدم أمانته، وتغيره لبعض الكلمات، وليس هذا حديثا، ربّما كان يستجيز ذلك نصرة للحق - ولكن أنا آتي فأقول لكم: لو أنّ رجلًا قرأ الترحيب فقط، لا أريد أن أقول "التأنيب" جميعه بالرغم أنّه ليس كبيرًا، فلو قرأه سيخرج مقتنعًا بكلام الكوثري، إذًا كيف ترد أنت، كيف ترد عليه؟ ترد عليه بالكتاب، لابد أن تذهب، لا يمكن لعقلك، أو لوحدك أن تقرأ، فتستطيع أن ترد عليه، وتشكل معالم الرد كلها، لا يمكن، لابد أن تذهب إلى الكتب، ومن هنا يأتي دور الكتاب، علم الحديث هو علم الكتاب، علم الحديث خاصة، ولذلك لما كان بعض الإخوة يطلب كيف يدرس علم الحديث؟ أقول له: لا تدرس علم الحديث، إلا بوجود مكتبة حولك، يعني أنت تتحدث عن البخاري، إن لم تره البخاري، ويقرأ البخاري، كيف؟ إن لم تبين له، ماذا يقول هذا الكتاب، ماذا يقول هذا الرجل، تأخذ الكتاب الكامل لابن عدي، تقول له اذهب، انظر ماذا يقول، اقرأ، فعلم الحديث خاصةً هو علم الكتاب، إن لم يكن لديك الكتاب.. لا يمكن، أن تستفيد من علم الحديث شيئًا، تبقى لك كلّيات ذهنية عامة، ولكنّها لا تنفع في قضية الردود، ولا تنفع في قضية تشكيل الرؤية الكاملة في

الشخص الواحد، في الحديث الواحد، في المسائل العلمية التي في العلل، إلى آخره، هذا علم لابد منه من الجمع فيه، فلذلك، في الحقيقة، مما أفاد هذا الرجل، انظر، أنت أمام شخصية عالمة بالمخطوطات، شخصية من أجمل وأكمل الشوق عنده، هو أن يجمع الكتب، أعني الشيخ الكوثري، وقدمتُ أنه بقي ثلاث أيام يضيع جوعه بقراءة الكتب، فمن الذي يستطيع أن يقف أمامه سوى رجل يملك الكتب، ويمكن أن يكشفه.. هذا كلام لا يعجبك في الشافعي، كيف ترد ما لا يعجبك، وكيف تعرف أن فلان مسعر بن كتان، كيف تعرفه ثقة، وهو يقدح فيه، تعرف أنّه يتكلم في أحمد، وكذا، تعرف الخطيب البغدادي موثّق، لكن كيفية الردود، والنقاش.. لابد من الكتب، فمثل هذه الأبحاث، والمناظرات لا ينفع فيها الحديث الشفهي، لابد ماذا؟ أن يكتب، وأن يوثق ما في الكتاب، وأن ينقل بلفظه، لأنّ كل لفظ له دلالة، لابد أن نقف عندها.

المسألة الثالثة فيما يخص هذا الباب، وهي عقلية الحجاج العلمي، فتعلمون بأنّ كثيرًا من الناس قد اهتدوا من خلال المناظرات، وكثير من الناس اهتدوا، والقرآن كتابٌ فيه المناظرات العظيمة، بيْن إبراهيم عليه السلام، وبين النمرود.. بين الأنبياء وأقوامهم.. المناظرة بأسسها العلمية، وهي من أعظم ما وجد، وبلا شك أنّ المناظرات موجودة قبل الإسلام، لكن للأسف دمّرها السفسطائيون، ولذلك لما وضع أرسطو، ما يسمى بعلم "المنطق الأرسطوي"، وضعه من أجل الرد على السفسطائين، لأنهم أرادوا أن يثبتوا الشيء ونقيضه، يعني لا يوجد حقائق في الوجود، ولكن أنت لما تقرأ تاريخ المناظرات في علمنا، تجد رجالًا عظامًا، أول هؤلاء نجدهم في تاريخنا العلمي، يعني من أول من اشتهر بالمناظرة العلمية، الشيخ الشافعي، وأنت لو قرأت كتب الشافعي كلها، لما وجدتها إلا مناظرات، كتاب الأم، هو كتاب مناظرات، لو قرأت الأم من أوله، وهو يناظر، ولا يبحث في مسألة، إلا ويذكر قول المخالف، والرد عليه، وهكذا، وكتبه "الرد على الأوزاعي"، "الرد على سير الأوزاعي"، يرد على من رد على سير الأوزاعي، في "الرد على محمد بن الحسن الشيباني"، في "الرد على بشر"، كتبه كلها ردود، "كتاب جماع العلم" كتاب مناظرة بينه وبين رجل ينكر السنّة، الرسالة لا يخوض مسألة إلا بالمناظرة.. وكذلك في حياته مشهور عنه أنّه كان من أئمة المناظرة ومن رجالها الكبار، حتى قال أحمد رحمه الله: "كانت

أقضيتنا، حسب الرواية، وأقفيتنا، بيد أهل الرأي، حتى جاء الشافعي، ونصرنا عليهم، فسمي في العراق، والحجاز بناصر السنة"، ناصر الحديث الشافعي.

ثم بعد ذلك نجد مناظرين كبار في تاريخ أمتنا، نجد الباقلّاني، هذا من أشهر المناظرين، وهناك الكثير من المناظرات، ذُكرت في كتاب مشهور، أنصح بقراءته اسمه: "عيون المناظرات"، موجود فيه المناظرات القرآنية، المناظرات النبوية، وبعض المناظرات، الكتاب مشهور، ومنتشر، طبع في الجزائر، ومن أشهر المناظرات، كما ذكرت في مقدمة كتاب "كسر الصنم" للشيخ البرقعي، وهي مناظرة أبي سعيد السيرافي لمتّة، وهي مناظرة عظيمة لو تُقرأ، وذكرها التوحيدي في كتابه "الإمتاع والمؤانسة"؛ فإذًا أيها الإخوة الأحبة، هذا العلم، وهو علم المناظرة، لا توجد أمة من الأمم فيها هذا الرقي العقلي في المناظرة، كما في هذه الأمة، وهذا الكتاب شاهد على هذا.

ومن فوائد المناظرة، أنّه لولا هذه الكتب، لفاتنا علم كثير، الرجل يحتاج مرات إلى استفزاز، ما الذي استفزه لإخراج هذا؟ فلولا وجود الكوثري، ما وجد التنكيل، وما وجد هذا العلم الذي عرفناه، الرجل مهتم بأن يطبع الكتب، وأن يحققها، لكن أن يكون له بصمة خاصة في كتاب خاص، هذا لم نره، إلا وقد وجد الكتاب، ووجد الرد.. وبالتالي، الردود العلمية، تنصع علمًا، وتصنع عقلية جميلة للقارئ، وتعلمه كذلك القواعد العلمية النافعة في هذا الباب، هذا ما يمكن أن نتكلم عنه.

هذا الكتاب، ما تكلمته عنه أشبه بقضية وضع الإشارات، ولا يمكن للمرء أن يعيش متعته، حتى يعيش فيه، يعني هذا كالحديث عن السباحة على البر، في الصحراء، ولكن أن تكون سابحًا، لابد أن تخوض في الكتاب، وأن تقرأه، وتطلع عليه، وليس كتاب واحد بين يديك، بل كتاب: تاريخ بغداد، السهم المصيب، وكذلك تأنيب الخطيب، ثمّ الطليعة، ثمّ إعزاز الطليعة، وتعزيز الطليعة، ثمّ شكر الترحيب، ثمّ الكتاب الختامي، وهو يمثل الذروة في العلم، والتقوى، والصلاح، والعدل، والإنصاف، وهو كتاب "التنكيل"، أسأل الله عز وجل أن يجعلنا ممن يهتدي، بهدي هؤلاء العلماء الكبار، وأن يلحقنا بهم على خير، وأن يرزقنا علومهم، وآدابهم، آمين، آمين، آمين.

في الختام أيها الإخوة الأحبة، نسأل الله عز وجل، أن يرحم الخطيب البغدادي، ويرحم الشيخ الكوثري، ويرحم الشيخ المعلمي، رحم الله الجميع، ورحمنا برحمته، وجزاكم الله خير.

أحد عنده أي سؤال أيها الإخوة الأحبة؟

الأسئلة بعد المناقشة

– سؤال: كأنه ذكر في كتابه الشيخ، أنّه كان بإمكان الكوثري أن يدافع عن أبي حنيفة، دون الطعن بهؤلاء العلماء.

– نعم صحيح، وهذه طريقة استخدمها المعلمي، يعني يقول :لماذا تطعن في الرجال ودينهم، اطعن في الكلام فقط، ومن الكتب التي حققها – ولم يحقق الشيخ الكوثري كتابًا من الكتب وهو محقق كبير، إلا ومقصده أحد أمرين؛ إما أن يدافع عن أبي حنيفة، وإما أن يقصب صاحبه لأنّ فيه نفس سلفي، فكمثلا: ابن قتيبة عند الكوثري، رجل مجسم، وله كتاب في الرد على ابن قتيبة، ولما حقق كتابه اختلاف اللفظ، وبعد ذلك، أنا حققته أخذًا منه، فأردت أن أسلب هذا الكتاب من براثن الشيخ الكوثري، كما في المقدمة، وطبع الكتاب من أيام الصبى، وبداية الطلب، والمرء في بداية الطلب لا يعجبه الآن أن ينسب إليه، لكن الكتاب موجود بتحقيقي، ما الذي أراده؟ أراد أن يبين، أن يرد عليه، أن يرد على ابن قتيبة في موضوع ماذا؟ تعرفون ماذا أراد؟ هو يعتبر ابن قتيبة مجسّم، ويعتبر عبد الله بن الإمام أحمد مجسّم، ومشبّه، وكذا، يعني هو على قاعدته فيما يعرف أهل العلم، لكن لماذا أراد ذلك؟ لما جاء ابن قتيبة، في اختلاف اللفظ، إلى فتنة أهل الحديث بعد نصرة الله لهم، في موضوع خلق القرآن، ماذا حدث، وهذه أنا استفدتها منذ ذلك اليوم، استفدتها من ابن قتيبة، ليس من الكوثري؛ ما من فتنة، إلا وتعقبها فتنة بين المنتصرين، وكأنها أشبه **{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}** [الأنفال: ١]، وأراها دائمًا تحدث؛ عندما يحدث انتصار لأحد، لابد أن تعقبه فتنة للمنتصر، هل هذا لأهل الإسلام فقط؟ هذه الظاهرة أشد في أهل الإسلام من غيرهم، كيف؟ يقول ابن

قتيبة في كتابه "اختلاف اللفظ" - والكتاب لا يوجد الآن لا أعلم له مخطوطة- يقولُ بأنّه بعد أن نصر الله أهل السنّة، بالإمام أحمد في موضوع خلق القرآن، ماذا حدث بعد الفتنة هذه؟ انتصر أهل السنة، فما الذي حدث؟ أن وقع أهل السنة أنفسهم، في خصومة كبيرة، وهي فتنة لفظية، وهي "لفظي بالقرآن مخلوق"، يعني أهل الطريقة الواحدة انتصروا، فلم يرضوا بالنصر، أغرقوا في النصر، كما يغرق المنتصر في الذهب، والفضة، والغنائم، فهم أغرقوا في النصر؛ فصاروا يتحدثون "لفظي بالقرآن مخلوق"، وتعرفون الفتنة التي وقعت بين محمد بن يحيى الذهلي، وبين الإمام البخاري رحمه الله، واتهام البخاري في اللفظية، مع أنّه حلف أيمان، أنّه لم يقل لفظ بالقرآن مخلوق، قصة طويلة، القصد أراد أن يقول: لاختلاف اللفظ، أراد أن يطعن، ها هنا جئت، أراد الكوثري أن يقول بأنّ الذين تكلموا في خلق القرآن، قد تجاوزا الحد في حكمهم على المخالفين، أخذ هذا المعنى الشيخ أبو غدة.. يعني فتنة اللفظية، وفتنة خلق القرآن، جعلت أهل الجرح، والتعديل، يتجاوزون في حدودهم، في قذف مخالفيهم، وأخذه أبو غدة في كتاب له، أثر فتنة خلق القرآن على المحدثين، تجريحًا، وتعديلًا، يعني وحصل فتنة كبيرة، واستغلها من استغلها، ثمّ وقعت على الوجه الذي قلنا.

فلا يوجد كتاب حققه الشيخ الكوثري، إلا نصرة لأبي حنيفة، أو مطعنًا لخصومه، ممن تعرفون، فعندما يأتي واحد من الناس من معاصري أبي حنيفة، ويقول: أبو حنيفة كافر، لماذا؟ يقول القرآن مخلوق، يعني أنت لماذا تذهب إلى السند؟ أو تذهب إلى السند، فإذا وجدته بريئًا من التهمة، عدت إلى القول، أنت هنا لا ترد على حديث، يعني الرجل يقوله، والرجل معاصر لأبي حنيفة، خطئه، يقول بأنّه لم يفهم كلام أبي حنيفة، فآمنا، مين من كان يكون، حتى لو كان من أعظم العلماء، لم يفهم كلام أبي حنيفة، أو أنها دعاية قيلت عليه، يقع هذا يقع في الناس، يكون الرجل جاره، ولا يعرف اعتقاده، وأنتم ترون الآن، أنت تكتب مرات مئة كلمة في بيان مسألة، فيأتي واحد يقرأها، ويقول أنّك قلت كذا، وأنت لم تقل، فيمكن أن يرد عليه، أنت يمكن ترد على هذه الكلمات، بالطرق العلمية المعروفة، في تخطئة القائل، وليس باتهام الرجل بالكذب، أو التزوير كما قلنا، وتكلمنا عنه.

– شيخنا؛ كتاب "القائد إلى تصحيح العقائد" ضمن التنكيل، أم كتاب مستقل؟

– نعم، ضمن التنكيل، لكن على طريقة الورّاقين، أن يستفيدوا بالطباعة، فطبع الكتاب مستقلًا عن التنكيل، والناس لا يعرفون، هم يعتمدوا لو باعوا خمسمئة نسخة، لأناس زي حكايتنا، جهلة لا يعرفون الكتاب، فيكون قد باع الكتاب، يعني من الذي يريد أن يحمل "القائد في تصحيح العقائد"، وعنده التنكيل، لماذا؟ فلماذا أنت تطبعه منفردًا؟ مسكين بروح، تذهب أنت تستغرب، والله بعض الكتب تأخذها سريعًا يعني.

أغلب الكتب لا بد أن تنظر فيها، في مقدمتها، لكن مرات تأخذه سريعًا لسبب من الأسباب، سنن ابن سعد، تتعجب!؟ فتمشي، فتجد الكتاب سعره رقيقًا، وفي وقت من الأوقات، فتقول: لا بأس آخذه الآن، بعدين أنظر فيه، فتأخذه، فإذا سنن ابن سعد هي الأحاديث المستخرجة من طبقات ابن سعد، ماذا فعل، من أين أتى به، ليس هناك كتاب للسنن اسمه ابن سعد، ولكنه جاء هذا المؤلف، هذا المصنف وهذا الجامع، أخذ الأحاديث التي أسندها ابن سعد، في طبقاته، وجمعها في كتاب فسمّاها "سنن ابن سعد"، اكتب في العنوان التوضيح، لا تكن خائنا، القارئ ينظر إلى هذا، جمعه فلان من كتاب الطبقات، عادي تكتب، ليس كما يوحي للبعض، يكون مسكين مؤلف الكتاب العالم، السلفي العظيم، الذي فات، يكون اسمه صغيرًا، تحتاج إلى نظارة لتقرأه، ولكن المحقق تجد اسمه يملأ صفحة الكتاب، يقع هذا، فالقارئ الذي، أنا اشتريته، أنا في الحقيقة اشتريته "القائد في تصحيح العقائد"، أو اشتراه غيري لكنه موجود.. فهذا من الظلم طبعًا، وإلّا فـ"القائد إلى تصحيح العقائد"، المطبوع هو ضمن كتاب التنكيل، والقسم الرابع بعد الفقهيات، والمرويات، والقواعد.

– شيخنا؛ في فتنة خلق القرآن، عندما نقرأ أنهم يتكلمون عن المسألة نجد أن التابعين ون هذه المسألة والصحابة كذلك، ينفون أن القرآن كلام الله مخلوق، ثم نأتي إلى ذكر أبي حنيفة، متى يعني دخل هذا الموضوع، وهل وجوده في زمن الإمام أبي حنيفة أو أحمد كان من السياسة؟ لأنّ المسألة كأنّها ذكرت قديمًا يعني، قبل الإمام أحمد.

– الفتنة أول من بدأ بها، ذكروا أنّ أول من قالها "لبيد بن الأعصم"، اليهودي، أول من ذكرها على قولهم، وهذا جزء من قراءة العالم، من أول من قال، طيب الكلمة؟ قال: زعموا أنّه ناظر نصرانيًا، ثم جاء منافق، ابنه منافق أو كذا، فجاء وناظر نصرانيًا، وقال له: القرآن ماذا؟ كلمة الله، وعيسى ما هو؟ كلمة الله، إذن عيسى كلمة الله، إنّها صفته، مادام القرآن هو كلام الله، هو صفته، فاضطر أن يقول كلام الله مخلوق، من أجل أن يخرج عيسى مخلوق، وهكذا، لكن بلا شك أنّ هذا الأمر، كان قبل المأمون، قد ظهر شيئًا ما، ولكنّه على استحياء، وخفاء، لم يكن ظاهرًا، ولا قويًا، ولا منتشرًا، ويقوله الناس، وورد في روايات صحيحة، أنّ الشافعي مات قبل فتنة خلق القرآن، ولذلك هذا يكذّب المقولة، أنّه لما قيل له، هذا، وهذا، وهذا، مخلوق، يعني التوراة، والآنجيل، والقرآن، هذا، وهذا، وهذا، هذا كذب، لأنّ المأمون امتحن الناس، بعد موت يزيد بن هارون، ويزيد بن هارون مات بعد الشافعي، وقال بعد موت يزيد، ما طاب ملكي إلا اليوم، فالشافعي لم يدرك، لكن واضح عنه بروايات صحيحة، أنّه قال: القرآن كلام الله، وليس مخلوق، ومما يدل على أنّ الكلام فيه، أنّ الزمن فيه هذا الكلام، كذلك من الأمور الأخرى، أنّ الشافعي، لما ناظر حفص الفرد، كان مما ناظره به، فيما ذكروا، في قضية خلق القرآن، واستهول الإمام الشافعي، قال حكمي بأهل الكلام، كذا، وكذا.. عما اشتهر عنه أن يضربوا بالجريد، ولكن لم يكن لها شأن بين الناس، ولم يكن لها ظهور بين الناس، كان يتخفى بها البعض، ويذكرها، والناس يعرضون عن البدع من العلماء، لا يتوجهون للبدع، حتى تظهر، وتكبر، لئلا يكون توجههم لردها، شهرة لها، حتى تبنّاها المأمون، ونصره قاضي قضاته "أحمد بن أبي دؤاد" المشهور، وكانت الفتنة.

لكن رصد متى كانت، ومتى بدأت، العلماء يعيدونها إلى زمن اليهود، العلماء يعيدون هذا الأمر إلى زمن اليهود، نعم.

الكتاب القادم، أنا في الحقيقة لم أختر كتابًا، لم أحضر نفسي، لكن لنعد إلى كتاب، وإن كان للأسف غير موجود على النت، وغير موجود على شيخهم قوقل، وهو "الحرب الثورية الشيوعية"، سنناقش هذا الكتاب، ضروري أن نناقشه، يعني لا نحب أن نخرج عنه، فسيكون كتابنا القادم، إن شاء

الله، هو "الحرب الثورية الشيوعية"، لـ"صلاح نصر"، مدير الاستخبارات المصرية، زمن الهالك جمال عبد الناصر.

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرا، والحمد لله رب العالمين.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

الحرب الثورية الشيوعية

للمجرم صلاح نصر

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الثامن والأربعون

تاريخ المناقشة: ٢٢ تشرين الأول ٢٠١٦.

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهديه الله فلا مضل له ومن يضلله فلا هادي له وأشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد ان محمد عبده ورسوله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسان وهدى وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم.. آمين، آمين.

أهلًا وسهلًا بالأخوة الأحبة مع اللقاء السابع والأربعين من لقاءات مشروع "ألف كتاب قبل الممات"، واليوم معنا كتاب وهو "**الحرب الثورية الشيوعية**" لضابط المخابرات أو رئيس المخابرات المصرية زمن عبد الناصر "**صلاح نصر**".

أخوتي الأحبة؛ لا يمكن أن نجلس جلسة كاملة لنناقش شخصية الكاتب "صلاح نصر"؛ فقد شغل المهتمين بالواقع المصري خلال حقبة "عبد الناصر" انشغالًا كثيرًا، وقد كان محور الخصومة في الواقع السياسي لمنظومة "عبد الناصر"، ومن المعلوم أن "صلاح نصر" ضابط من الضباط الأحرار الذين شُكلوا في داخل الكلية العسكرية بقيادة "عبد الناصر" أو بواجهة "محمد نجيب" للقيام بالانقلاب الشهير ضد الملكية، واستلم بعد غيره لأن مؤسسة الاستخبارات أو المخابرات المصرية أُنشئت في الزمن الناصري، ولم يكن هناك وجود لما يسمى بـ"دائرة المخابرات العامة" في مصر قبل عبد الناصر، فشكلوا دائرة المخابرات العامة وتولاها قبله "علي صبري" ثم "زكريا محي الدين"، وهذه الشخصيات –للذين يعرفون– تشغل ما يسمى بمراكز القوة بعد عبد الناصر، وصراعهم مع السادات معروف، فهذه الأسماء معروفة ومتداولة بينهم، فكان هو بعد ذلك نائبًا لهما، ثم بعد ذلك أزيل هؤلاء وتولى "صلاح نصر" رئاسة دائرة المخابرات، ويعتبره الكثيرون أنه منشئ دائرة المخابرات المصرية، فهو الذي أنشأها وكونها من خلال رؤاه ومن خلال أفكاره.

والمرء يعجب مع هذه الشخصية؛ فللأسف هذه هي الثنائية الموجودة في داخل مجتمعاتنا، الشيخ الخطيب مع الفاسق الفاجر ربما يكون، أو مع التقي في خطابه الفاسد في سلوكه؛ فصلاح نصر نعجب أنه يتحدث في كتب فكرية مثل هذا الكتاب، وله كتابان كذلك ضمن السياق يسمى "الحرب النفسية" جزءان، وله مذكرات منشرة طبع منها ثلاثة أجزاء والجزء الرابع لم يتم أو لم يخرج إلى النور؛ لأنها طبعت بعد وفاته، وله مقالات سياسية وكتب أخرى معروفة؛ فالرجل عندما يتحدث عن هذا الجانب وهو الجانب الفكري والجانب التنظيمي وجانب معالجة الأفكار تجده يدعو إلى الالتزام الديني، وإلى إنشاء منظومة أخلاقية تكافح الأفكار الوافدة..

وأنا من الناس الذين في صغري حملت عليه حتى وأنا في الصف ربما السادس الابتدائي، زورت علينا قصة فلم ما يسمى "الكرنك" ومثل فيها شخصية صلاح نصر بأنها الشخصية الانتهازية الفاسدة، وكذلك حكم صلاح نصر بتهمة الفساد واستغلال النفوذ والنساء، ثم كذلك أخرجت بعد ذلك عشيقته كما تزعم هي، لا أظن منع ذلك؛ فهذه بيئة قذرة من الصعب أن تستكشف استكشافًا صحيحًا أو أن تكتشفها اكتشافًا صحيحًا أخرجت المسماة "اعتماد خورشيد" واسمها بقي هذا الاسم نسبة لزوجها أحمد خورشيد المخرج المصري القديم؛ فأخرجت قصتها تحت كتاب "صلاح نصر وأنا" أو "أنا وصلاح نصر" وكشفت صورة قذرة سيئة قبيحة عن هذا المجتمع الجديد الذي سماه "حسين مؤنس" رحمه الله - والذي ناقشنا له كتاب "الحضارة" - في أخرج كتاب سماه "باشوات وسوبر باشوات"، فالباشوات الذين كانوا يعيشون في زمن الملكية، لكن لما جاء هؤلاء الضباط الأحرار من الطبقة الوسطى البعيدة عن علية القوم في وقت كانت تغلب فيه الإقطاعية فقط؛ فهم لا يرون الأثرياء ولا يرون المتاع إلا من خلال الأخبار أو التلفاز إذا كان هناك تلفاز، وقديمًا التلفاز ضعيف أو من خلال الأخبار جرائد.

فهؤلاء الضباط الأحرار جاءوا من الطبقات الوسطى ولم يكن عندهم الدين إلا البعض مثل كمال الدين حسين كان معروف أنه من الإخوان المسلمين حتى جمال عبد الناصر بايع النظام السري "عبد الرحمن السندي" على المصحف والمسدس، وطبعًا معروف أنه كان أصلًا يلعب بالإخوان المسلمين.. هذه قضية مشهورة الآن ليس مجال الحديث عنها كثيرًا؛ فهذه الطبقة متوسطة، وهي فقيرة أقرب إلى الفقر، فلما أخذت مصر وصار الكل بين أيديها تصور أن الشبق الطفولي الذي عاشه هؤلاء الضباط نفذوه بعد أن استولوا على مصر؛ فكلًا منهم قد اقتنص ممثلة ومغنية ومنهم صلاح نصر قصته مع "اعتماد خورشيد" قصة مشهورة وهي كتبتها، والكتاب في السوق وله اشتهار وحتى إنها أنشأت حوارات متعددة مع التلفاز تكشف هذه العلاقة وهذا الفساد الشخصي لهذه الشخصية.

حوكم صلاح نصر بسبب هذا، رغم أنه كان الكلب الذي يعض به عبدالناصر خصومه، فدائرة المخابرات المصرية كان نصف عملها التجسس على الشعب المصري وعلى الممثلين وعلى الأثرياء وعلى الناس؛ بحيث يستنزف هؤلاء، ويبتز هؤلاء، ومعروفةٌ الحادثة التي قام بها السادات من أجل عصر جديد، وأنا أصدق أنه في هذه النقطة ربما كان السادات أخلاقيًا، فقد حاول أن يُنشئ ما يسمى "أخلاق القرية"، ولذلك عمل حاله "عميد الشعب المصري" وهو المختار، ويسمى عندهم العمدة؛ فأراد أن يعيد مختار القرية فقام بإحراق جميع ملفات المخابرات الشخصية (المراقبات) هذه حادثة شهيرة ومعروفة.

صلاح نصر حوكم هذه المحاكمة، وحوكم كذلك محاكمة أخرى بعدها لأنه عُدَّ على رجال "عبد الحكيم عامر" الشهير، بعد (٦٧) فانتقم عبد الناصر من عبد الحكيم عامر وأمر بعزله ووضعه في الإقامة الجبرية فقتل نفسه، حتى إن كبار الضباط المصريين الذين كانوا على علاقة قريبة جدًا من الشخصيتين عبد الحكيم عامر وعبد الناصر، كانا كليهما كفرسين رهان بحكم مصر يعجبون دائمًا ما: هذه سر العلاقة؛ أنا أضحك لأنه في الحقيقة لا يجيب عنها أحد حتى سألت يومًا أحد السياسيين وهو الذي قرأنا عليه هذا الكتاب، فأنا قرأته على يدي شيخ فهو ليس قراءة فقط ذاتية فقلت له: هذه العلاقة بين عبد الحكيم عامر وبين عبد الناصر عجيبة، قال: لعلها "علاقة جنسية"! يعني قال: لا يمكن أن تفسر إلا بهذا المعنى المهم.

على كل حال؛ الشيخ هو "محمود عبد الرؤوف القاسم" صاحب كتاب "الكشف عن الحقيقة الصوفية" حتى لا يذهب الذهن بعيد في هذا الباب.

القصد أن صلاح نصر حُوكم بعد (٦٧) وعد على نظام عبد الحكيم عامر الذي انتحر، ثم أطلق سراحه ثم حوكم محاكمة أخرى قبل وفاة عبد الناصر – يعني المحاكمات الجنسية والسيئة – وبقي مسجونًا، ولم يطلق سراحه "السادات" لمدة ثمان سنوات من حكمه، فخلال هذه الحقبة استطاع أن يؤلف هذه الكتب، فألف الكتب وهو في السجن.

ولما خرج لم يطل به الأمر، وتوفي سنة (١٩٨٢م)، مات وبدأت الفضائح تخرج عليه كثيرًا خلال سجنه وبعد سجنه وبعد موته، والفضائح كثيرة جدًا، أنا لا أريد في الحقيقة أن أحصر هذا الموضوع فليس هذا بابنا، ولكن هذه شخصية ضباط المخابرات على كل حال في مجتمعاتنا؛ استغلال النفوذ موجود للأسف في كل البلاد العربية حيث لا يوجد رقابة، وكلمة "مخابرات" كلمة سحرية تفتح لها الأبواب الموصدة؛ يكفي أن يدخل أحدهم لمطعمًا ليأكل ويقول له: بدك حاجة يعني مستعد أني أخدمك في المخابرات؛ فلا يمكن أن يدفع الثمن لطعامه وسيبقى الحبل على الجرار، هذا الاستغلال للنفوس معروف في مجتمعاتنا كلها بلا استثناء، فهم الكلاب الذين يعض بهم النظام رجاله.

وصلاح نصر تتهمه الحاجة زينب الغزالي بأنها رأته – أنا في شك من هذه النقطة لسبب سأذكره – وذلك أنها لما ذكرت في ذكرياتها وأيامها "أيام من حياتي" قالت: بأنها رأت لما أدخلوا عليها الكلاب – القصة الشهيرة – أدخلوا كلبًا على الحاجة زينب الغزالي، حين سجنها مع الأخوات المسلمات،

فأدخلوا عليها كلبًا والله عصمها وحمتها فتقول: أنها رأت صلاح نصر، وأنا أشك في هذا؛ لأنه عادةً لو تبحث عن صورة لصلاح نصر زمن عبد الناصر أن تخرج للناس، فهذا لا يوجد؛ فكيف عرفت صلاح نصر؟

عادةً الضباط ورؤساء المخابرات إلا في الوقت الحديث بدؤوا بذلك، فعادةً عناصر المخابرات لا يظهرون في التشريفات؛ ما يظهر وقد استقبل وودع ليس مثل رئيس الوزراء ولا كذا، فكيف عرفت أن هذا صلاح نصر، إلا إذا كانت تعرفه شخصيًا يعني باعتبار الحاجة زينب الغزالي من علية القوم ومن عائلة يعني بالتلقيم الشيوعي "برجوازية" لا نقول هذا الكلام، لكنها من كانت ميسورة، لكننا نشك؛ يعني لماذا يأتي إلى السجن الحربي ويقوم ويشرف على التعذيب؟ وهي تقول أنها رأته، وربما لا يبعد هذا، ولكن في الحقيقة القائم على تعذيب الشباب المصري في السجون الناصرية شمس بدران وهؤلاء المجرمين.

المهم، ليس حديثنا عن الحقبة الناصرية وعن شخصية صلاح نصر وعن واقع المخابرات السيء وعن أن حقيقة المخابرات في بلادنا أن جل عملها موجه إلى الداخل؛ فهو موجه إلى الداخل ضد الخصوم الداخليين وأما، في الخارج فكل هذا الكذب لا يوجد! الحمد لله، بل هؤلاء الدوائر المخابراتية في بلادنا مستأجرة لخصومهم، ولذلك فقط ننبه إلى هذه المحاولات التي سعى إليها بعض الكتاب من أجل إخراج بعض الملفات من دائرة المخابرات المصرية وتحويلها إلى فيلم من أجل تعظيم دور المخابرات المصرية.. كله أكاذيب لا تصدقوا منها أي شيء، لا وجود لها، يعني رأفت هجاني... كل هذا كذب، وكله صناعة ذهنية لا واقع لها أبدًا، وتحدث الناس في هذا الأمر ولا أريد بأن نخوض أكثر من هذا ولكن تحدث الناس عن كل هذا؛ فالمخابرات المصرية كانت مشغولة في مراقبة المعارضين وعلى صراع القوة بين الأفراد من أجل من يسيطر، ومن يكون له نظام الكولسة، ومن يكون له الاستقطاب ومن يكون له الضباط أكثر معه ليقوم بعملية الضغط.. هذا شغلهم في الحقيقة، واصطياد النساء؛ يعني كل ما تسمعون مما يسمى بالزمن الجميل في خطاب المصريين هو من أقذر الأزمنة؛ لأنه لا يعرف عن ممثل ولا مغني ولا موسيقار ولا شاعر له سطوة من قوة إلا وهو قذر كان يستخدم كقواد أو يستخدم كأسماء مكشوفة؛ فكلهم قد كشفوا بعضهم البعض في هذا الباب.

فهي بيئة تذكرنا ببيئة كتاب السجينة أتذكرون كتاب السجينة لما قلنا أنها أعظم فائدة –طبعًا الناس صاروا يسابقونا "علمناهم على الشحادة سبقونا على البواب"–؛ فلما اخرجنا كتاب السجينة قلت أم له فائدتان؛ أعظم فائدتين فيه هو كشف الحالة المزرية المترفة التي يعيشها علية القوم، والنقطة الثانية تدور

حول قسوة هؤلاء وإجرامهم وعدم رحمتهم بشعوبهم حتى في الأطفال والنساء، قلت هذا: فالناس قالوا: لا، هناك فوائد أكثر، لا حرج؛ نحب هذا، نحب أن نقرأ فنستفيد ونستخدم هذا في عملنا.

فقد فتحنا الباب بذكر أن الحياة التي عاشها هؤلاء حياة سيئة قذرة، بيئة الزمن الجميل، الغناء الجميل، والتمثيل الجميل.. كلها بيئة سيئة جدًا ما من أحد منهم إلا وهو سيء.. بعضهم كان يشتغل قوادًا على أهله، يعني هي بيئات سيئة وسافرة ومنحطة ولكن للأسف مضى هذا الزمن الذي كان هؤلاء من الممثلين والمغنيين مثلًا والموسيقيين هؤلاء كانوا يعتبرون نموذج القدوة لدى الشباب ولدى الناس، يحبونهم يحبون دور السينما ويتمثلوا بهذه الشخصيات العملاقة، وهي للأسف كما تعلمون؛ لكن في ذلك الوقت لم يكن انترنت والفضائح كاليوم، اليوم فورًا تخرج القضية قد نحتاج إلى وقت ما قد يكون طويلًا من أجل كشف حقائق هؤلاء.

بعض الناس يقول: مقدمات طويلة ومملة لا بأس لكن أنا مضطر نتحدث عن شخصية هذا الكاتب، ونفتح أبواب وستفتح في كتب أخرى، والذي يريد أن يبحث هذا باب لا ينتهي، حتى هذا سليم عزوز الناصري الحاقد كتب كتاب عن صلاح نصر سماه "الرجل الأسطورة" هكذا عنوانه، وحاول أن يبرئه ولكن ما يهم ذلك.

أختم الحديث عن صلاح نصر بقضية مهمة جدًا جدًا وهي مدار البحث، عندما تدخل في دراسة شخصية كصلاح نصر أن كل الطواغيت بلا استثناء يجعلون لهم كلابا ينفذون أوامرهم، وتبدأ الدعاية مبثوثة في داخل الشعب المغفل المخدر؛ بأن هذا لا يعرفه الحاكم، والحاكم بعد ذلك يقتص منهم.. يعني أنه يُطلقه ليأكل ويضرب ويقتل خصومه ويتجسس عليهم، ويترك له حرية اليد ويفوضه كأن نظام "وزارة التفويض"، فيترك هذا الكلب وهذه الذراع الصلبة القوية القاتلة.. ترابي وتأخذ الأموال وتسرق الذهب، تعرفون القصص في كل البلاد لهؤلاء، والحاكم كله لا يُنسب له، وكله يشتغل من أجل خدمته وتثبيت سلطانه وتثبيت أركانه.. كلهم يشتغلون هذا والناس إذا سبوا فلا يسبون إلا على الكلب، طيب أين ذاك الرئيس؟ يقولوا: مسكين لم يكن يعرف شيئًا.

أنا أجزم أن صلاح نصر صادق؛ في أنه أعطى جمال عبد الناصر بالساعة والدقيقة لحرب (٦٧) بأن إسرائيل ستشن حربًا في هذه الساعة وهذه الدقيقة، لكن كل الآلة الإعلامية تسب على صلاح نصر، وتسب على عبد الحكيم عامر، وطلع منها جمال عبد الناصر كشعرة من العجين حيث قدم

الاستقالة إلى آخره.. واضح أنهم كلهم هكذا، كل الطواغيت هكذا يشتغلون ويعملون هذا العمل والغريب أن صلاح نصر في كتابه هذا يشير إليه، وكأن السجن جعله يكتشف أنه كان كلبًا ثم رُمي في الحاوية بعد ذلك؛ فعلينا دائمًا في هذا الباب أن نستفيد بأنا لا نتوجه إلى الكلاب.

يعجبني ممثل أمريكي "روبرت دي نيرو" قالوا له كلمة مرة في لقاء تلفزيوني قرأتها في الجريدة حتى ما تظنوا بي السيء فقال له: هل تكره إسرائيل؟ قال: لا – وهو معروف أنه عدو لإسرائيل –، فقال له: أتكره إسرائيل؟ قال: لا، لا أكره إسرائيل، تعجب! كان أن يستفزه اعلاميا فقال: كيف أنت تقول لا تكره إسرائيل؟، قال: إذا كنت ماشيًا في الشارع فرجل معه كلب وأطلق الكلب فعضك فهل تلوم الكلب أم تلوم صاحبه؟ قال: لا ألوم إسرائيل؛ هذه كلب، ولكن ألوم أمريكا التي أطلقت هذا الكلب ليعض ويقتل ويدعم ويحمى ويقوى ويطعم.. واضح؟

فالحقيقة؛ يجب علينا أن لا نقف في سقف نقدنا لمجرد إنسان لا يملك من أمره شيئًا أصلًا، ولا يستطيع أن ينفذ من تلقاء نفسه شيئًا، لا يوجد له ولاية حقيقية أصلًا وهذا هو الواقع؛ فهؤلاء لا يظهرون في الساحة الفاسدة يقوم بهم الوكلاء وهم بعد ذلك وراء الكواليس يقتسمون الكعكة بمقدار يعطونه؛ كالكلب عظمة، وهم يأخذون الغنيمة الكبيرة، هذه هي الطريقة، وهذا ما نستفيده من قصة وحياة صلاح نصر.

انتهينا من صلاح نصر؛ يكفي جلدًا به، ولكن مع ذلك أنا لو سُئلت عن هذه الشخصية، ففي الحقيقة: لا أصدق ما يقال عنه ولا أكذب ما يقال عنه، هذه بيئة قذرة يمكن أن تفعل كل هذه الوساخات والأقذار ويمكن أن تتهم من أجل تنقيته يعني قد تكون هذا وهذا، لا أبرئ هذا الرجل من جريمة، ولا أَحمل عليه كما يحمل عليه الناصريون أنه سبب فساد النظام، وكان عبد الناصر ما يعرفش على قاعدة "ولي الامر أبخس!" أو لا يعرف "أبخس" يعني ذكي، ولا أدري كيف نجمع بن أبخس ذكي وبين أنه لا يعرف أن فلسطين ضاعت.. ننتهي من قصة صلاح نصر.

نذهب إلى الكتاب؛ هذا الكتاب أيها الأخوة الأحبة كتاب مهم جدًا جدًا ونحن تكلمنا شيئًا عن سوق الجماهير من قبل النازيين، من خلال قراءة كتاب "سكرتيرة الجماهير" لـ "كوستاف لوبون"، هذا الكتاب يجب أن نوسع عنوانه نحن لنستفيد منه.

صلاح نصر في هذا الكتاب يريد أن يقول أن ثمة آلة متقنة ذكية متشعبة شمولية ولها دراسات متتالية تستطيع أن ترمم نفسها في كل لحظة تتقن عملية البناء مع عملية الهدم، تصنع الإنسان لا الذي يملك الصوت ولكن الذي يملك السوط والفعل والحركة، هذه الآلة هي التي يشرح شأنها بما يسمى "الحرب الثورية الشيوعية"، الكتاب في مقدمة الكتاب - مقدمة الطرح ليس المقدمة المقصود بها التقليدية يعني في بدايات الكتاب - يقول: بأنه اختار هذا العنوان "الحرب الثورية الشيوعية" طبعًا لا شك أن هذا الاسم بالتدقيق ليس من اختراعه وإن كان يقول أنه هو اخترعه، ولكن بالبحث نجد أن غيره قد تكلم به؛ لكنه يقول أنه اختار هذا العنوان لدراسة الحالة الشيوعية وتغلغلها وسيطرتها وسعيها للحكم، ثم بعد سيطرتها على الحكم ماذا تصنع في خصومها؟ كيف تجابهها؟ كل هذه وضعها في إطار التعامل مع الشيوعيين فقط.

وقال بأن الحرب الثورية الشيوعية، وهذا ما أريد أن أنطلق منه حتى نعرف كيف نوظف هذه المعلومات الخطيرة في هذا الكتاب كرجل عاش استخباراتيًا ومخابراتيًا في أعلى الدرجات وراقب وقرأ، وإن كان هناك ملاحظة - ذكرني أن هناك ملاحظة تتعلق هل الكاتب يعني بهذا الذكاء أم استفاد من الأدوات التي بين يديه — قال: بأن الحرب الثورية الشيوعية هي عينها ما سماها الأمريكان بـ"الحرب النفسية"، مع أنه ألف كتابين، كتابًا بجزئين الحرب النفسية، وكان ينبغي أن نحضر الكتابين وأن نقرأ فيهما مع هذا الكتاب لكن لا نريد أن نعطي لرجل واحد هذا الحق بأن نستغرق فيما يكتب من كتبه فقط، وقال: بأن الانكليز يسمون هذه الحرب التي سماها هو "الحرب الثورية الشيوعية" سماها الإنكليز بـ"الحرب السياسية"، إذًا نحن أمام هذه الأسماء.. كلها تؤدي إلى معنى واحد سواء الحرب النفسية كما يسميها المريكان، أو كما يسميها الانجليز الحرب السياسية، أو كما يسميها هو الحرب الثورية الشيوعية.

وأقول لكم: هو يقول هذه التسمية، والحق أنها تسمية قد سبق إليها ولم يكن هو ابن بكارتها، وربما هو ظن ذلك. وأرجع أقول أنا قرأت هذا الكتاب ومنذ أن قرأت هذا الكتاب تقريبًا في مقتبل العمر ربما كان عمري ٢٣ أو ٢٤ سنة، فلما قرأت هذا الكتاب كان قولي لجلوس من الإخوة ونحن نقرأ هذا الكتاب بأني أشك أنه ألفه صلاح نصر ولكن عند قراءة أخرى وجدت أنه بعضًا قد قاله ولكن الكثير منه مأخوذ من كتب أخرى، ورجل في مستواه يستطيع أن يعني أن يشتغل له كثير من العاملين عنده ويهيئون له المادة ويصيغون له المادة؛ يعني لا يعرف عن صلاح نصر هذه العبقرية الفكرية ليصل

لهذه الدرجة ليصيغ هذا الكتاب كله، ولكن يكفي أن أقول بأنه كتاب مليء جدًا بالمعلومات، وكثير جدًا بذكر القواعد في مقصد الحرب الثورية الشيوعية.. هنا المنطلق حتى لا يأتيني واحد يقول الآن جئتنا أن تشغل الحرب الثورة الشيوعية والشيوعية قد انتهت لا لا.. هذا الكلام ما فعله الشيعيون في إنتاج هذه المعارف في حربهم الفكرية والعملية وإنشاء الأحزاب.. هذه قضية إنسانية؛ يعني هم يستخدمون هذه الأساليب ليس لأنها خاصة بالشيوعية، بل هي أفكار عامة تصلح لكل تنظيم يريد أن يسيطر على الآخر، وبالتالي لما نقول: ينبغي على طالب العلم وعلى العامل لدين الله وعلى الذي يقود الآن أي إنسان يشارك في معركة كما سماها سعيد جمعة "معركة المصير"؛ أي إنسان الآن يشارك في المعركة يجب أن يقرأ هذا الكتاب أو قريبًا منه، لا أريد أن أحجر، ولكن هذا الكتاب بهذا العمق وهذا التفصيل لم أجد مثيلا له، يمكن أن نقرأ كتاب "قصف العقول" ويتحدث عن قصف الآلة الإعلامية لنا، يمكن تقرأ عن كتاب "موسكو واسرائيل" لعمر حليق وتقرأ عن الدعاية، لكن أن يجمع لك الأدوات في مكان واحد فهذا الكتاب يصلح لهذا.

بالتالي الآن نحن نعيش معركة ضد أدوات موجودة، هذه الأدوات منتشرة؛ مثلًا: السيطرة على الإعلام، السيطرة على الثقافة، السيطرة على المنابر، استخدام خطة الخصم في القضاء عليه، التغلغل داخل المجتمعات.. هذه الأدوات إنسانية، والغفلة عن هذه الأدوات وإحسان الظن بها أنهم مخطئون كما تحاول بعض الجماعات الإسلامية تصوير هذا الصراع أنه صراع من أجل مصلحة البلد، فللأسف بعض الجماعات الإسلامية تتعامل مع الأحزاب العلمانية والأحزاب المخالفة (للثقافة)؛ يعنون الدين، والثقافة يعنون بها اللغة، والذين يحاربون اللغة ويحاربون القيم الاجتماعية.. كلها في النهاية أهداف وسيطة من أجل الهدف الكلي وهو القضاء على الدين، وفي النهاية القضاء على الدين؛ يعني إمكانية وتسهيل السيطرة على الأمة المسلمة، هذه النهاية المقصودة عندهم، لأن الدين هو العامل الوحيد في أمتنا القادر على منع ذلك.

إذًا هذا الكتاب ليس كاشفًا فقط عن الشيوعيين في طرق تعاملهم، لكنك حين تقرأ هذا الكتاب يصبح عندك منظار تضعه بين عينيك لترى به خبايا الأمور وكيف تدار، فمن نعم الله العبد الفقير أن يقرأ هذا الكتاب؛ لأن هذا الكتاب وأمثاله قد جعلت عنده شيئا من الحس؛ في أن ترى مراقبة وتيرة وصعود الرتم – الحديث عن أشياء –؛ يعني كيف تفعل لما تسمع التلفاز، لما تقرأ المفكرين لما ترى حدثا ما، وكيف تدار المعارك.

إذا كنت قارئًا لهذا الكتاب؛ فإنه يكشف لك مبكرًا عما سينتهي إليه الحال، وهذا لا يختص بشيوعي، هذا يختص حتى بالآلة الأمريكية المعاصرة، والآلة الغربية المعاصرة.. مع أنه يريد يقول هنا وينبهنا أن الشيوعية لا تموت، وأن فكرتها قادرة على التحول والتقنع بقناعات جديدة قادمة، يعني لما جاء بالمشروع بكلام عجيب - أنا تقييمي لخروتشوف غير ما يقول؛ يعني أنتم تعرفون أن لينين هو من أقام الثورة سنة ١٩١٧م الثورة بلشفيا كذبًا (البلشفية تعني بالأكثرية بلشفيك مقابل منشفيك) الحقيقة هم كانوا أقلية، والفاعلية لهم فلا يضر الكثرة والقلة بل يهم الفاعلية وبعد لينين استلم ستالين وطالت مدته طويلًا وصنع شيوعية على مقاسه، ثم بعد موته استلم نائبه خروتشوف، هو يقول بأنه مارس نفس اللعبة الشيوعية؛ أنا أعتقد بأن خروتشوف وقد كان فلاحًا؛ أخذ الشيوعية بجد، يعني مصدق - الذي حدث أنه زار أمريكا مثل "أندريه جيد" - تسمعوا باندريه جيد الفيلسوف الفرنسي كان شيوعيًا فذهب وزار الإتحاد السوفيتي - فعلى الطريقة هذه يذكر صلاح نصر كيفية صناعة الفكر، وتشكيل الذهن والعقل من خلال الوفود ، هو لم يذكر "اندريه جيد" لكن أنت لما تقرأ وترى الصورة تجد بأنه كان شيوعيا فرنسيا واستدعوه للبلد الأم الذي صار مواليا له فهناك أكتشف بأن الشيوعية أكاذيب ودجل، ذهبوا وعاشوا داخل كبوسات وعطوه بعض العائلات فالعائلات في الليل تسر إليه لما يأكل الطعام هو يذكر يرى العجب كيف يأكلوا بشراهة فيسكت هو معه المرافق أو معه المرافقان ليس مرافق واحد فبعد أن يختلي هكذا يقولون لم نر هذا الاكل في هذا الكوبوس وهذه الوحدة، ذهب هناك ثم لما رجع فضح الشيوعية.. في الحقيقة هذا الذي حدث هو مصدق بأن الفلاح يعيش أجمل الحياة في داخل روسيا، المهم ذهب لأمريكا وزاره الفلاحين؛ فتعرفون أن الفلاح في أمريكا من أثرى الناس يشترون بضاعته ويدفعون له أثمان باهظة ويبيعونها بأقل لأن هذا جزء من المعركة جزء من الأمن الغذائي، اسمه "أمن"؛ كأنه يتعامل مع معركة مخابراتية.. المهم ذهب هناك وألقى خطابه الشهير في الأمم المتحدة ورمى حذاءه (قال مش فاضي، قصة أرجوا أن ترجعوا إذا أحببتم إلى مصادرها كي لا نضيع الكثير من الوقت) فلما رجع على روسيا بدأ تغيير بالظاهر اكتشفوه، ولذلك أخذوه وضعوه في بيت صرفوا عليه حتى فطس وأزالوه، ووضعوا بريجينف.. وهو الذي أمر بإزالة صنم ستالين من الساحة الحمراء طبعًا كان صادقًا واعتذر وخطب خطابا طويلا عده البعض من مكرومات الحالة الشيوعية في سد ستالين وحياته وطريقته الديكتاتورية التي قتلت الملايين - الملايين ليس فقط عشرات الآلاف بل الملايين -،

فخروتشوف ليس هو عملية تقنين لتصدير الشيوعية بطريقة جديدة بما يسمى بالتعايش السلمي الذي أطلقها "شعاره العالمي"، ولكن أعتقد أن "خروتشوف" ليس كذلك انتهينا من هذا.

نعود إلى ما بدأنا به، يقول بأن الشيوعية تستطيع أن تتقنع بصور كثيرة؛ فأنا رأيت بعض الناس اليوم يقول بأن تونس ما زالت محكومة بالشيوعية، لا أريد أن أدخل بهذه الخصومة ولكن الذي يهمني كالتالي وأكرر النقطة لأهميتها: إن هذا الكتاب لا يكشف لك فقط الفعل الشيوعي، بل يكشف لك كيف تغسل الأدمغة، وكيف يسيطر عليك أنت، وكيف تصبح جزءًا من منظومة بعيدة عن قيمك؛ فالسؤال دائما يعتلي أي انسان باحث؛ هذه الشيوعية المخالفة للأديان، المخالفة لقيم الانسان، مخالف لحب التملك التي يحبها حتى الحيوانات، وتجد الصراع لأن حب التملك شيء فطري في الخلق أجمعين ما دام في روح سواء كان انساني أو حيواني فعنده حب التملك، التملك شيء فطري والإسلام لم يلغِ هذا، نعم قننه لكن جعل الملكية محترمة ومقدرة ويجوز للمرء أن يدافع عنها حتى الموت: (من قتل دون ماله فهو شهيد)، الملكية إنكار الأديان، عقيدة باطلة.. كيف استطاعت السيطرة إذًا؟ هم قاموا بجهود جبارة.. كيف استطاعوا تجنيد الناس وأنشأوا أحزاب في كل العالم، في أمريكا أيضًا أنشأوا أحزابًا، وهنا يذكر صلاح نصر في هذا الكتاب قسمًا يتلوه العضو عندما يدخل الحزب الشيوعي أن يكون وفيًا للاتحاد السوفيتي ضد امريكا.

إذا بدأنا من هذه النقطة علينا أن نعرف أن آلة الصراع الفكري خطيرة؛ فإذا كانت الشيوعية بكل هذا الكفر وهذه القذارة وهذه الوساخة استطاعت ان تجند الملايين والألاف من أقطار العالم وفي بلادنا على الخصوص البلاد المسلمة فكيف في دول لا تناقض عقيدتك وإنما تدعوك أن تشتغل معها ضمن المؤسسة.

وهذه نقطة ثانية: الفرق حين تقرأ هذا الكتاب وتبحث عن الفرق بين الآلة الشيوعية التي مورست في بلادنا وبين الآلة الامريكية؛ اليوم تجد هذا الفرق هناك فرق وحيد فقط، الفرق الوحيد أن الشيوعي أراد منك أن تدخل معه أيدلوجيًا عقائديًا، بعد ذلك يستخدمك حمارًا كلابًا عقورًا ضبعًا شرسًا لكن أولًا لا يقبل منك إلا أن تصبح شيوعيًا عقديًا هو يقول: إن الحرب الثورية الشيوعية تنطلق أسسها من الإيدلوجية الماركسية اللينينية، إذًا الرابط هو عقائدي في الأحزاب الشيوعية، أما الرابط في العلاقة والعمالة والوساخة والدخول ضمن طائفة الردة حيث قال صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تلحق فئام من أمتي بالمشركين)؛ فالدخول في المؤسسة الأخرى هي دخول مؤسسي وليس عقائدي، فلو

أزلت هذا الغلاف من حب الشيوعية فقط تزيل ماله علاقة في التربية العقائدية، الغرب لا يهمه ماذا تكون، المهم أن تشتغل ضمن المؤسسة لتخدمها ولا يهمه أبدًا فيك؛ ما هو اعتقادك حتى لو كان اعتقادك فيه سيئًا، فإنه يكفي أن تشتغل عنده في المؤسسة يعني أنت الآن عندما تذهب وتشتغل في مؤسسة تختص بصناعة الكهرباء هو لا يهمه أبدًا ولا يبحث ولا يحاول اكتشاف ما هي عقيدتك في قضية الإسمنت؛ لأنه يهمه أن تشتغل بقوانين المؤسسة في صناعة الكهرباء.

فالفرق بين المدرسة التي يكشف خطرها صلاح نصر في الحرب الثورية الشيوعية وبين ما نراه من وقائع اليوم؛ هو في الحقيقة فقط فرقٌ بين المؤسسة وبين الإيدلوجية، لا شك بأن التكلفة التي تبذلها المؤسسة الأمريكية أكثر من التكلفة التي تبذلها المؤسسة الروسية السوفيتية قديمًا.. لماذا؟ لأن ذلك يشتغل من خلال عقائدي، هو متطوع، هذا اعتقاده وهذه معركته ويرى أنه ثوري وأنه رافض وأنه يساري إلى آخره.. أنه يقوم بعملية آلة حتمية التاريخ وحتمية التاريخ التغيير ولكن بعد أن يقدم الخدمة يمد يده "أعطني"؛ فهنا تكون الخطورة في هذا بلا شك، إن الغرب يحاولون جبر هذه النقطة وهذه تحتاج دراسة، ينبغي أن نقوم نحن بها في كيفية استغلالنا لدرجة الموت، وهذا الكتاب أقوله في هذا الظرف التي تعيشه الحركة الجهادية والأمة في سورية لنقرأ هذا، لنرى كيف يتساقط الناس في داخل مؤسسة وبعضهم يتساقط عقائديًا ليكون آلة عقائدية، وأنا سمعت مرة لقاء مع أحدهم – سلفي – في العراق تصور العراق مغزية من قبل الامريكان وأتوا بشيخ ربما يقال بأنه فُجر به مسجده؛ لأنه يخطب ضد المجاهدين فقطعت رجليه، وكان في اللقاء بالفعل جالس على الأرض بلا رجلين وقال: أنا ألفت كتابًا وذكرت فيه سبعين دليلًا في وجوب مناصرة الامريكان ضد ما يسمى بالإرهابيين! والآن تجد مشايخ سلفيين يناصرون حفتر وتجد ناس وفصائل مقاتلة تقاتل شمالًا مع الأمريكان وتخدم الأمريكان.

المسألة التي ينبغي أن نفهمها كذلك وهو مهم جدًا عليك أن لا تنظر إلى النهايات، النهايات يغرق فيها المرء رغم أنفه مثل قضية النزول من الهواء، أنت في داخل الطائرة تملك قرارك أولًا في أن تقفز من الطائرة؛ لكن بعد أن ترمي نفسك من الطائرة لا تملك قرارك، ماذا أقول: إنما الصبر عند الصدمة الأولى، إذا انهرت في أولها انهرت في آخرها، ولا تسأل بعد ذلك كيف وصلت إلى هذه النهاية.

أيها الإخوة الأحبة؛ نقول كلمة هنا، فقد قابلنا أناس كانوا في الصف الأول في القتال، وهم الآن من أقذر خلق الله عمالة للغرب في قتال المجاهدين وأشخاص – لا أريد أن أكرمهم بذكر أسمائهم – لكن هناك أسماء حقيقة نعرفها، بعض الإخوة يظن أن هذا أنه كان وسخًا حتى وهو يقاتل أنا لا اصدق

هذا بل أقول لما كان يقاتل كان صادقًا لكن عملية التسليك لم يشعر بها يعني أنت تصل إلى الدرجة النهائية في المرض دون أن تشعر؛ فعليك أن تدرك – وهذه نقطة مهمة – لأن لا تكون أداة من أدوات الخصم وأنت لا تدري، يعني يمكن لرجل أن يأخذ مال لكن كذلك يمكن له أن يغسل له الدماغ وهذا ما سماه **{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ}** [الأنعام: ٥٥]، ينبغي لك أن تقرأ سبيل المجرمين لما تجلس.

الأمثلة التي أريد أن أقولها واضحة للعيان؛ لأن تكتشف ما هو خفي، تصور في الزمن الجميل في مصر – هذه مشتهرة والكل يعرفها – نشأت السينما لتبرير الإجرام، سينما يمثل فيها ويدعم هؤلاء الممثلون وتنتشر انتشارًا؛ أن الإجرام ليس خطيئة، وأنه صناعة المجتمع ويجب التعاطف معه وسب من كان سببًا في وصوله لهذه الحالة حتى مثلت أفلام بهذا العنوان؛ مثل فلم "جعلوني مجرما"، "الفقراء لا يدخلون الجنة" وهكذا.. الآن أنت تجلس أمام التلفاز وأمام الفلم.. اليوم قد تقول لا يوجد هذا الكلام، لكن أذكر ما هو بين ومنتشر فقط لنبين مانحن فيه، ولو تحدث المرء عن أمر يقولوا لا هذا غير صحيح لكن سيأتي بعدنا بعد سنين يقول هكذا كما نقدم الآن الشخوص؛ يعني لو أن رجلا تكلم عن حاكم يوم ما من الحكام أنه كذا وكذا فلا يصدق في زمنه لكن بعد مدة تصبح حقيقة ومن هنا قول سلفنا بأن الفتنة إذا أقبلت لا يعرفها إلا العلماء؛ فإذا أدبرت عرفها كل أحد.. بعد انتهائها ماذا ينفع؟ كان المقصد وهو تبرير الإجرام.

تجلس الآن أمام التلفاز لترى وتتعاطف مع المجرم، ولتتعاطف مع الزانية ولتتعاطف مع السارق وهو يجعلك – وهذا فن عجيب في داخل القصة وداخل الفيلم وداخل الصورة – تتعاطف مع المجرم، المجرم يصبح متعاطف معه، أن تتصور أن شيخًا يأتي بحدث ما وهو قتل مجرم فيقول لك: هذا الفعل إجرامي وهذا فعل وحشي وهو تعاطف مع من؟ لم يتعاطف مع الضحية، والآن لشدة الحقيقة ولشدة ما تعيشه الأمة من حالة فلسطين لكن أن تتصوروا أن الذين كانوا يقاتلون اليهود؛ هم عملاء اليوم، أنا لا أريد أن أتكلم عن حكام دول أتكلم عن تنظيمات فلسطينية، فيجب عليك أن لا تراهن أن هذه قضية كبيرة لا يمكن أن يخوض فيها أحد لا بل سيخوض فيها احد ويسقط فيها الرجال، عملية الغسل هذه نهايتها خطيرة جدا وقد لا تنتهي، تصور أن الذين كانوا يقاتلون اسرائيل ويعلنون أنها العدو الآن.. هم رجالها وهم مخلب القط في قتل خصومها من التنظيمات الفلسطينية؛ فكيف غيرهم؟ لا تقل لي إن الشيوخ لا يمارسونه لا شك هم لا يطلبون من الشيخ ما يطلبه من سياسي لكن كما يذكر "صلاح نصر" هناك

دائمًا عند الشيوعي - وهذه شرحناها في كتاب "فقه التغيير" لمنير شفيق وفي الحقيقة هذا الكتاب كما قلت لكم لكن لما قرأت تذكرت تلك القضية التي طرحها وعلمت أنه بالفعل لأنه كان شيوعيًا كان "شيوعلمانيًا" كما ذكرنا عنه أن الشيوعيين يعتمدون الأهداف البعيدة والأهداف القريبة الوسيطة - فيكفي للشيخ أن يقوم بعملية؛ يكفي منه أن يقوم بالهدف الوسيط، الشيخ صاحب اللحية يقوم بالهدف الوسيط وهو يقلك تلميع الفتوى والآخر بعد ذلك ينتهي يعني يكفي ان تقول أنت يكفي ان تقول للناس في هذا الزمان اللحية ليست واجبة هو بكمل بيحلقها وبصير يستهزئ بمن رباها.. الناس الآن بسبب قلة الدين لا يحتاجون إلا إلى الدفعة الأولى بعد ذلك تقوم المؤسسة بصناعتها؛ إذًا هذا الذي بين يدينا ليس فقط شرحًا لعملية الدعاية والصناعة التي كانت تمارسها الشيوعية على أفرادها وأحزابها في داخل روسيا وخارج روسيا، في التعامل مع خصومها؛ لكنه كذلك نافع جدًا في كشف ما أنت فيه وبعد أن تنتهي من قراءة هذا الكتاب ستكتشف أنك ستحاول الالتفات حولك جيدًا حين تقرأ، حين تسمع، حين تستفتى إن كنت مفتيًا.. كيف تمهد لك الكلمات، وكيف تدخل في الصناعة؟ كيف يقبلون منك أقل الكلمات، فكر كيف لو قبلوا منك كلمة "هذه القضية تحتاج إلى بحث" كما رأينا في فتوى بعضهم في سورية أن قضية دخول الامريكان فقط؛ قالوا هذه القضية تحتاج إلى بحث، هذه كافية يعني الآخرين لا يريدون منك أكثر من هذا، لا يريدون أكثر..

المرء يقول: لا أنا لست عميلًا؛ نعرف أنك لم تقبض، لكنك صُنعت، أنا أعرف وأجزم أنك لست عميلًا ولم تقبض.. هذا مئة بالمئة، ولكنك صُنعت؛ كيف صُنعت؟ هذه الصناعة عملية معقدة هذا الكتاب يكشف الكثير منها، ولكن لا يكشفها كلها، الدراسات النفسية التي تقدم لضابط المخابرات والمؤسسة العسكرية.. لأن المقصود من ذلك كله هو أن يدخل الجيش للبلد، فالمقصود من كل هذه الصناعة التي تمارس علينا هنا إذا جاء الجيش أن يدخل بسهولة ولا يقاتل ويحترم إلى آخره، وإذا لم يكن هناك جيش أن يقوم العميل بدور الجيش ليسلب البلد ويأخذ خيراتها ويغير دين أهلها..

في الصراع بين الشيطان وبين أهل الحق؛ ربما لا تشعر بهذا الذي تقوم به لكن كيف وصلت الى هذه النقطة، لك أن تتصور حتى نرى وكل هذا بين دفتي هذا الكتاب تستطيع أن تقرأه بعناية وبأدلته ومن خلال كتيبات الإرشادات؛ تعرفون أن كل مؤسسة فيها كتيب ارشادات وكل مؤسسة لها مدرسة تخرج مثل الطبيب لم يذهب إلى ممارسة الطب حتى دخل الكلية، وكذلك ضابط المخابرات كذلك،

الصحفي الذي يكتب كلهم هؤلاء دخلوا مدارس أو أنه يقاد من أستاذه، هو العقل الأكبر وهذا مجرد قلم يكتب بما يدفع له الاجر لقاء كلماته، وربما هو لا يقتنع بها لكن يكفي أنها نسبة إليه.

تصوروا أن في بداية الثورة السورية قال قادة المجاهدون: أن دخول – لم يكن حديث عن أمريكا هذه قضية لا يتصورها الناس قبل ثلاث سنوات –كانوا يتكلمون عن دول عربية يقولون أي واحد يضع رجله فهو أجنبي سنقاتله مقاتلة المحتل، أفراد هذا التنظيم نفسه صاروا يتوقفون، نريد أن نبحث قتال أمريكا يجوز ولا يجوز.. لماذا؟ لأنه مهدت له السبل ليصل إلى هذه القناعة، وهو لا يصنع فقط عقلك، ولكنه يصنع لك بيئة تقبل هذا الأمر، وقدرتهم على استغلال التناقضات قضية مهمة جدًا..

أعظم ما يستغله الخصم فينا وجود التناقضات بيننا، وإذا لم يكن لدينا العلم الذي يحفظ درجة الخلاف بعيدًا عن الغضب، بل يبقى لدينا الرشد في تحليل وتقييم حالة الخلاف مع الآخر.. فحين إذٍ نصبح مأسورين.. إذا لم نضبط غضبنا بالعلم في خصومتنا مع كل الأطراف المحيطة بنا مع كل الأطراف فحينئذ نصبح ولا شك مأسورين لهذا الغضب وبهذا الأسر نصبح دون أن ندري خادمين لأعدائنا، يجب هذا مع كل الطوائف، قد تقول إلى أين تذهب؟ أقول: حتى الرافضة لو أخذوا هذه المقولة لما تعاونوا مع الأمريكان ولما مهدوا كما قال خاتمي أو الكلب الآخر "لولا نحن لما استطاعت أمريكا أن تغزو أفغانستان"، هذا رئيس تشخيص النظام..

انظروا الخصومة إلى أين تؤدي؟ هو أصبح كلب حراسة وأصبح مخلب قط، وهكذا قضية داعش كذلك نفس الشيء، إذا لم تضبط غضبك بضابط الشرع والواقع والتمييز بين الأعداء والخصوم.. حينئذ أنت ولا شك بدون أن تدري يستخدمك كممسحة ثم ينتهي بك.

هذا جزء من قضية المعركة ويهيئ لك الأجواء وهو قادر على أن يصنع أجواء ما يصبح قول الحق فيه صعب، من الأمور المهمة كذلك التي لا أستطيع أن أستقصي فقط رؤوس أقلام لما يطرح في هذا الكتاب من طريقة صناعة الحدث وصناعة الشخص وصناعة الخبر وتمهيد الأرضية من أجل قدوم الدبابة على أرضنا أو استغلال أرضنا لخصومنا، نتكلم الكثير: انظروا إلى قضية التكرار عامل التكرار، لما أنت تقرأ هذا الكتاب وتراجع بشيء من الذكاء يحتاج الأمر لإنزال القواعد الواقع إلى الذكاء، يبدؤون بالكذب والناس يصرخون كذاب، كذاب، كذاب.. هو لا يلتفت لك.

للأسف مشايخنا مجرد أن يقال عنه "كذاب يعتزل" ويخاف، أستغفر الله، أنا كذاب! ويعتزل ويجلس في بيته.. قلت مرةً: لماذا حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه هذا الحكم الرباني الذي التقى مع حكم الله، وهو في عالم البشر قد يسمى قويًّا؛ أنه حكم أن يقتل كل الرجال من بني قريظة ويستحيي النساء وتسبى النساء والأطفال، ولا يبقَ منهم أحد.. انتهت بني قريظة خلاص، تلاشت بالكلية حتى بالفعل صار أولادهم تابعين، كمحمد بن كعب القرظي فهذا من بني قريظة، اسمه القرظي من بني قريظة، صار تابعيا عظيمًا، هذا الحكم الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنه التقى مع الحقيقة الربانية: "هذا حكم الله من فوق سبع سماوات"، الأمر ليس هو فقط هداية عقلية ولكنه تهيئة نفسية؛ يعني المرء مرات مقتنع عقليًا لكن نفسيته ترفض وتأبى، فما الذي جعل سعد يلقي هذا الحكم؟ هي نفسية الطهر التي يحملها، نفسية الطهر التي جعلته لا يتصور أن رجلًا يعطي يده وميثاقه وعقده وعهده للآخر ثم يخون ويمكر، وهذا المكر نهايته استئصال هذا الذي كان هو وإياه في حالة واحدة.

أتظنون أن الرجل الطاهر العفيف طيب النفس لو اكتشف أن زوجته تخونه، ماذا يفعل إذا كان رجلًا؟ يكون انتقامه شديدًا، تكون غيرته عظيمة، لماذا؟ لأنه طاهر، فبمقدار طهر المرء يقذر الآخر، ويرى القذارة فيه.

الآن لماذا نحن نتحسس، هم لا يتحسسون، ولا يهتمون أن يكذبوا مرة ويكتشفون مرة أنهم كذابون، كذاب، كذاب.. فهمتم لماذا استخدمنا قضية سعد بن معاذ ﵁، لأنه طاهر فذهل ان يكون قوم بهذه النجاسة؛ فطُهره الذي دعاه هذه حالة نفسية قبل أن تكون حالة عقلية، المشكلة في المشايخ أنهم لم يتدربوا بأجسامهم، ما تمسحت – أرجو أن تفهم هذه الكلمة لدى غير الفلاح الشامي؛ تمسح يعني: انتهى تأثره بغرس وضرب السهام فيه، صار صلبًا –، مشايخنا لا يحتملون المعارك الأخلاقية، بمجرد أن يخرج له أحدهم ويقول عنه: كذاب ينام مسكينًا ويبكي، ويقول لك: بلا معركة، اتركني من هذا الموضوع، لمجرد أن يخطئ خطأً ليس كذبًا ثم يشهرون به أنه كذاب.. هو يكون قد أخطأ في قضية فيبدأ الهجوم عليه لينسحب لكنهم يكذبون كل يوم ويبقون في وسط المعركة، اكذب، ثم اكذب، ثم اكذب حتى تصدق الكذبة، هذا جزء من المعركة، وللأسف مشايخنا لا يحتملون الضغط خاصةً ضغط الأخلاق، لا يحتملونه فورًا يبدأ الانعزال يقال عنه كلمة فتجده يجلس في بيته وينعزل، أين ذهب؟ يقولون لك: والله آذوه كثير وجلس في بيته، وقال يا إخوان خلاص.. الخ.

والحقيقة أنك إذا قرأت هذا الكتاب؛ ستطبقه كثيرًا في حياتك، ولكن المتابع للجهاد في بلاد الشام سيجده بيئة خصبة لرؤية المعركة الإعلامية والفكرية والفقهية والمنهجية والنفسية.. هذه حقيقة، سيجد المعركة تطبق هذه المدارس وهذه الأفكار وهذه المناهج، فأنت تتعجب قديمًا من صحفي، واليوم من كاتب في تويتر وفيس بوك؛ يكون كذابًا في كل يوم، ومع ذلك صار الآن له أتباع وصار له مصفقون، وبعض الناس يعلمونهم قاعدة "كذاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر"، فهو يعرف أنه يكذب ويبقى يكذب، وحتى بينهم يجلسون على الكذب والزندقة والافتراء، ولكنهم أمام الناس يتكلمون على أنه الرجل الصادق المفكر العظيم أو الشيخ المحترم إلى آخره... وأنت لا تعرفه، ولو سُئل: ما هو مقدار علمه الشرعي؟ هذا لا يُسأَل عنه، انتهى الأمر..

وهذه المعركة أنا وجدت هذا الكتاب يشرحها في مواضع عجيبة، فالآن نسمع كلمة "الذين يفرقون الساحة" تسمعونها كثيرًا.. "الذين يفرقون الساحة ويؤججون المعارك"، وفي الحقيقة أنت لما تدعو وتقول: يا جماعة أين اتحادكم، فتجد أن من يدعوا إلى الاتحاد هو المخالف للواقع، وتجد أن الذين اتهموا بالتفريق هم أكثر الناس دعوة للوحدة، والذين صرخوا بعدم التفريق هم أكثر الناس بعدًا عن الوحدة.. هذه لا تظنوها من فراغ، وأنا أكرر: لا تظنن قط أن المغفل أو أن المأجور أكثر شراسة في معركته من المغفل، فبعض الناس يعني كأنه يفهم الآن الكلام أننا نتهم انه مأجور، هذه لا تهمني في شيء؛ لكني متأكد أن المغفل النافع لعدوه هو أكثر شراسة في المعركة من المأجور الذي يدفع له الثمن، وهو لا يدري..

ولكن بعد أن تدرس النهايات تستطيع أن تكتشف التيارات التي تسري من تحتك، والكلمات كيف تقال، وهي تقال كلمة فيبدأ الآخرون بالتصفيق حولها والدعوة إليها والهجوم.. هجوم كلمات، وبعد ذلك تصبح المسألة فيها خلاف، العمالة تصبح رأيًا آخر، يصبح الأمر: الرأي والرأي الآخر.. العمالة والاستئجار تصبح كذلك، يعني هذه مصائب كبيرة، ويكفي أن نقدم هذه المقدمات.

وأريد أن أتكلم عن بعض الامور سريعا عما في الكتاب، والكتاب لا يغني أي شيء عن قراءته، لا بد أن يقرأ لأنه كتاب منهجي في معركتنا ضد خصومنا، وما زالت الصحف تتكلم، وما زالت محطات الإذاعة.. ونحن لا نملك شيئًا، هذه مشكلة حقيقية، في صفحة (١٣٠) يتكلم عن قضية الفاعلية، وانظر الآن إلى الواقع: المجاهدون الآن كم تلفزيون يملكون؟ كم جريدة لهم؟ لكن الآخرون والدول التي ضدهم، كم تلفزيون عندها؟ كم جريدة عندها؟ كم صحيفة؟ المعركة غير متكافئة، فإذًا فاعلية خصومنا في تشغيلهم لأدواتهم لرجالهم كبيرة.. والمعركة لا يمكن إلا أن يكون هناك أمر رباني في حفاظة هذا

الجهاد، وقبول الناس وحيهم لهذا الجهاد قضية ربانية، فهو صراع بين أدواتهم الشريرة وبين قوله (إني أحب فلان فأحبوه)، هذا هو الصراع، والآن هم يملكون الكثير.

وأنا أشهد الله رب العرش العظيم وأنا أجلس على التلفزيون وقت الغزو الأمريكي للعراق، أنشأوا "قناة الحرة" وتعاقب عليها مجموعة من رؤساء التحرير ولو فشلوا، أما بعد ذلك قبلوا على الدوام أنها دائمة، وأنا أقول: من هذا الذي يجرؤ غدا أن يخرج في هذه القناة ليتكلم؟ ما زالت حالة الغفلة على الكل، هذا ليس دليل ذكاء بل دليل جهل، هذا دليل على أننا لم نعرف بعد المعركة، ولم نعرف أنه يمكن التقاط مئات الآلاف من الشوارع والناس وتربيتهم وإعطائهم المال وبدورات قليلة يصبح الواحد منهم منظر ومفكر سياسي وباحث اجتماعي ومحلل سياسي يحضرونهم هكذا ويوسد لهم، وبطول الزمن وطول المدة يصبح شخصية اعتاد الناس على رؤيتها وهم يعلمون أن التلفاز معناه أن أتكلم، وأن تسكت رغم أنفك، تصور أننا كلنا نمارسها وأنا على رأسهم؛ لأنها حالة من حالات الغفلة، كلنا نسمع لخصومنا في التلفاز، يحب المرء أن يفتح العبرية؛ هو يسب وهي تواصل الكلام.. لا تتوقف عندما تعترض أنت وتقول هذا كذب، هو يتحدث عني والله كذاب، أتتوقف؟! الخبر يأتي في الصباح الساعة السابعة والساعة الثامنة والساعة التاسعة والساعة العاشرة، يتكرر وأنت مضطر وأنت صاحبه أن تسمع.. كما يفعل بك في دوائر المخابرات تماما، ايش دوائر المخابرات؟ يلجم أنفك وتقيد يديك ويبدأ الضرب بك، نفس الشي ونفس الحالة تمارس عليك، الصحيفة رغم أنفك مكتوبة ويعرفون هذا، يعرفون أنه هو الذي يتكلم وأنت ساكت مغيب ممنوع تتكلم، هذا جزء من الصياغة ولا أتكلم هنا إلا عن ظواهر.

في الحقيقة أيها الإخوة؛ أنا أشعر وأنا أتكلم أني ما زلت أتكلم عن ظواهر الصناعة من أجل أن أقول فقط للأخ: اذهب إلى الداخل؛ لأن لا تكون أنت ذلك المغفل النافع، احترم الواقع بما يصنع فيه واعلم كيفية إدارة الخصم لهذا الصراع، وما هي أدواته وكيفية الانتهاء بك أنت، كيف ينتهي بك؟ أنت بحاجة كل يوم أن تراجع نفسك لأن لا تتعاطف مع المجرم؛ لأن لا تتعاطف، وهذا جزء نراه، لا تقل أنا غير متأثر، نحن نسمع عشرة أو خمسة عشر.. الأمة تتأثر، تصور أنه يقتل ساب النبي ﷺ فيتعاطف الناس معه، ويسبون قاتله.. تصور أن الناس يرسمون النبي صلى الله عليه وسلم رسمات لو استشير إبليس يقول: لا لم أكفر لهذه الدرجة، لو استشاروا إبليس يقول: لا انا صحيح كافر وملعون ولكن ليس بهذه الدرجة، يعني هم يوحون إلى شياطين الجن أكثر من إيحاء شياطين الجن لهم، ومع ذلك الناس يتعاطفون مع المجرم ويسكتون.

يجب عليك أن تفعل ماذا؟ أصدقكم في هذا، هذا الشيء ما رأيته هنا لكن موجود في بريطانيا، باب المحل الذي يوضع عليه فحيث فتح الباب رن الجرس، وكذلك أنت يجب عليك أن تضع هذا الجرس كلما قرع، فكلما سمعت وكلما نظرت إلى التلفاز وكلما قرأت كتابا وكلما جالست أحدا يجب عليك ان تضع هذا الجرس ليحذرك.. ابدأ ستبدأ المعركة، وسيبدأ الآن القصف، ستبدأ الصناعة سيبدأ التغيير في كل يوم، عندما تفتح تويتر لتقرأ خبرا؛ عليك أن تضع هذا الجرس لأنك اليوم قد تنتبه مئة بالمئة، فغدا يقبل منك أن تنتبه تسع وتسعون.. حقق النصر فيك ولو بواحد في المئة، بل أقل من واحد في المئة، لو أنه حقق تسعة وتسعين تسعة وتسعين في العشرة هذا الواحد في الألف أو الواحد بالمئة هو انتصر عليك، وهذه أشهد الله أنها حالة أعيشها منذ أن عرفت هذا الدين، كل يوم أرجع خطوة، وأعرف أن هذه الخطوة غلط.. كل يوم، هذه يقع فيها الكبار؛ يقع في آلة القصف وآلة الإعلام وآلة التسليك وآلة التربية التي يمارسها الخصم عليك، كل يوم يقع فيها، ولا تظنن أن الآخر قد وصل إليها دفعة واحدة، فكما أنت الآن كان مثلك ولكنه سُلِّك.

أمرٌ سريعًا في الصفحة (١٥٠)، ولا أستطيع في هذا الموضوع أن أشرحه، وهي قضية كيفية قيادة الشيوعي للثورة البرجوازية، لا أستطيع أن أشرحها فلا بد أن تُقرأ.. هناك أشياء لابد أن تقرأها لو سمحت، لو شرحتها ضاع منها الكثير، وأنا لما قرأتها تذكرت كلمة "تشرشل": "كم يخيفني الشيطان عندما يأتيني ذاكرًا اسم الله"، الذي يفتتح لك بسم الله، ليس بعد ذلك أن كل ما بداخله بسم الله.. فكن ذكيًا في ترقب ما يدار حولك من معارك.

ومن الملاحظات وأنا أقرأ الكتاب أني وجدت طائفة الروافض والإيرانيون يستخدمون هذه الأدوات في تمرير عقائدهم، ولكن العجيب والله يا أيها الإخوة، وأشهد الله: لو كان هذا الدين من صنع البشر لمات منذ زمن طويل ما بقي من واحد والله هذا الدين منصور من قبل الله، والله هذه المعارك التي تشن عليه ثم يبقى بمثل هذه القوة ويصنع هؤلاء الرجال وينبت هؤلاء الشباب محاربين في سبيل الله، ويقدموا أرواحهم ويقارعوا الطواغيت على أرض المعركة مع كل هذه الصناعة التي أريد منهم أن ينسوا دينهم وأن يخرجوا من ملتهم وأن يصبحوا أدوات لخصومهم؛ حقًا أن هذا الدين هو دين الله، وأنه منصور.

ولا بأس أن أقول لكم وأصدق، فإنه عند الكلمة يجب أن تكون الأمانة؛ إما أن نسكت وإما أن نقول ونصدق، الحقيقة أنك حين تقرأ هذا الكتاب تكتشف أن ما مارسته داعش الكثير من مأخوذ من هنا، لماذا وكيف؟ أقول هذا بالتحليل وليس بالخبر، فقد يقول أحدهم أن هذا الكلام كله باطل؛ لا

بأس، ما عندي مشكلة لكن أنا بقراءتي أعتقد أن هذا يؤكد أن كثيرًا مما مارسته داعش هو من صناعة بعثية؛ ذلك لأن أكثر من مارس هذه المعركة الحرب الثورية الشيوعية في بلادنا هم البعثيون وحققوا نتائج كبيرة في ذلك، يكفي أنهم حكموا بلدين وتغلغلوا في الجيش العراقي والجيش السوري وحقق انقلابين شهيرين، يعني حكموا بلدين كبيرين في بلاد الإسلام، أنا أعتقد أن الكثير مما قيل هنا في هذا الكتاب حققته داعش، فقضية الدعاية والقصف الإعلامي وصناعة الصورة والدولة العميقة المفوضة المانعة للفكر.. تجد البصمات، ونحن نعرف أنه "إذا عجزت عن الخبر فعليك بالأثر" – الأثر ليس بمفهوم مصطلح الحديث؛ بل المقصود أنك إذا لم تر أنت فتتبع الأثر، وقال عيسى عليه السلام: "من آثارهم تعرفونهم".

فأنت لا ترى العدو الذي يريد أن يأسرك؛ يضع شعارًا أنه سيأسرك، ولا يأتيك حاملًا إليك الكلمات التي تناقضك، بل يبدأ معك بالكلمات التي توافقك ويرفعوا شعار الإسلام، وهو ينفع عند المسلمين، ولذلك من أساليبهم في الوصول: التحالفات.

وما بقي عندي طاقة أتكلم عن التحالفات، وهي قضية مهمة، وللأسف الجماعات الاسلامية ما زالت تقع في نفس المصيبة؛ التحالفات لا زالت إلى يومنا هذا نفسها، والله يا إخوة أنا قلت لكم وهذا أحد الكتب التي سنقرؤها أو نتكلم عنها وهو كتاب "تاريخ الجبرتي"؛ فلو أحضرت كلام نابليون تجد أنه هو ذاته كلام أوباما، قلت لكم: هذا الكلام من قبل هو نفسه هو كلامه؛ كأنه لم يصنع شيئًا، فأحضروا لي ماذا قال نابليون عندما دخل مصر وأنا سأقرأه على الناس ويعمل نفس العمل ويؤثر نفس التأثير.

الحالة واحدة الأمة كأنها تعيش دورات متعاقبة فقط، دورة وراء دورة، ونفس الشيء لو أحضرتم الحالة الجهادية سنة (١٩٨٢م) في سوريا، وأزمة حماة ومصيبة حماة؛ ستجد أن الجماعات سقطوا في أسر النظام الدولي مثل ما تسقط الآن الجماعات، ويزعمون أن هذا من السياسة ويزعمون أن هذا من الذكاء ويزعمون أن هذا من فهم الواقع إلى غير ذلك، التحالفات هي لعبة الخصم لاتخاذك ذراعًا لأنهم دائمًا يحتاجون إلى الشيخ ببساطة.

التقيت مع أحد قادة الفصائل فقال لي: كان عندي ثلاثة ألاف مقاتل والآن عندي ثلاثين واحد فقط، قلت: ما الذي ما الذي تحتاجه يعني؟ لماذا سقطت؟ قال: أنا فقدت شيئين فقط المال والشيخ،

وهو إنسان عامي أشهد الله، لا مثقف ولا غيره، قال: عطني شيخًا وعطني مالا يرجع الثلاث آلاف إلى ثلاثين ألفًا، يعني ضروري الشيخ يكون بجانبهم.

ومن قواعد العمل تحييد العدو المحتمل، أو تحييد العدو عند المعركة، لا بد أن تحيد ما استطعت من الأعداء، الاستفادة من التناقضات في داخل الحلفاء أو داخل المجتمع الذي أنت فيه.

استغلال الأزمات، هذه مهمة جدًا، وهي قضية أن الموافق للفطرة لا يكفي فيه إلا الإقناع، فالنبي صلى الله عليه وسلم جاء بالكلمة فقط: **{قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُم بِالْوَحْيِ}**، فالنبي في قضية إدخال الدين لا يقبل إلا الكلمة، لطم الأفكار عندما تكون مخالفة للفطرة فلا بد من القمع ولا بد من القصر ولا بد من الضرب، ولذلك فالخصم يستخدمها كاملة.. لكن الغرب لا يستخدمها بنفسه، لا يأتي البريطاني ويضربك وإن كان قد صنعها لما كان مستعمرًا في بلادنا، لكن يستخدمها من؟ أتباعه، ولذلك لا بد العصا مع الجزرة، لا بد ـن يكون هناك العصا، العصا والجزرة لابد من توافقهما؛ فمن زعم فقط أن المعركة تدار من دوائر المخابرات فقط بالضرب والسلخ وأقبية السجون هذا مخطئ، لا بد كذلك من وجود مثقف ووجود متكلم، ومن اقتصر فقط وجود المتكلم دون الإقناع فهذا لا ينفع؛ لابد من كليهما.

وتكلم عن قضية بعد السلطة، وأن الثورة تأكل أبناءها، وللأسف فبعد السيطرة الثورية "زول"؛ يعني من يأتي بمحترف لا بد يأتي المحترف، يعني أولًا هو يستخدمك من أجل أنك ثوري ومجاهد، وهذا الذي يطالبون به، شوف الآن نرجع إلى الثورة السورية باعتبارها منجم لقراءتنا للواقع الذي يُصنع الآن.. ما الذي يريدونه حتى قبل مدة أحدهم انتقد الجولاني لما خرج وخاطب كأنه هو الوارث؛ لأن قادة الجهاد في سورية في بلاد الشام يهيئون أنفسهم أنهم هم الذين سيرثون، أنهم الذين قاموا بالثورة، وهم الذين قدموا التضحية وهم الذين قادوا المعركة، وبالتالي هم الذين ينبغي لهم أن يحكموا.. بالواقع هذه نفسيتهم، يعني أنا لم أرَ إلى الآن قائد فصيل ولو عنده عشرون واحد ينتظر أنه يسقط الثورة ليحضر هؤلاء الذين يحضروا في الخارج من هيئة التنسيق ورئيس وزراء المعارضة.. هؤلاء لا ينتظروا أنه بعد أن تفتح يده ليدخلهم.. نعم؛ الأمريكان يدخلونهم، الغرب يدخلهم، المرتدون من الدول الأخرى يدخلونهم، لكن الطوائف المجاهدة لا تنتظ هذا.. فهم الآن ينتظرون منك أن تكون أنت حصان طروادة من أجل ايش؟ من أجل هدم القلاع والأسوار، فأنت فقط دورك أن تسقط الخصم، وتدمر هذا الخصم؛ لكن ليست الحكومة لك، وليس السلطان لك، هم يحضرونه هناك، وأذكر أن بورقيبة كان يقول عنه الإخوة التونسيون: من عجائب بورقيبة قالوا إذا ذهب إلى قريته أيام الثورة ضد المستعمر ضد الفرنسيين، قال:

إذا ذهب لقريته قال لهم: تعلموا افهموا واملأوا الجامعات، ولكن إذا ذهب إلى أماكن أخرى قال: قاتلوا.. هذه الثورة لكم، أنتم رجالها وبعد أن انتهت الثورة أتى بأبناء بلدته وقريته وسلمهم الحكم؛ فعلينا أن نفهم أن الكثير يدعمك من أجل أن تسقط خصمه لا من أجل أن ترث الخصم.

الكلام كثير في الحقيقة، وهنا هو يتحدث – وهذه تفيدنا كثيرًا – بأنه صحيح أن الشيوعيين عقائديون. يقول هو لكن قال: هم يكذبون، والعقيدة تتغير بحسب الواقع؛ فعندهم القدرة على أن يضعوا تحت شارة الشيوعية أي عقيدة ما، ويزعمون أنها هي العقيدة الشيوعية، ولكنها ملائمة للواقع لسبب التغير، وهذه حقيقة؛ فلينين مسح كثيرًا مما قاله ماركس، لأنه وجده يخالف الحتمية التاريخية، ذهبت الحتمية التاريخية ولم تقم الثورات من دولة رأس مالية منتهية في الرأسمالية إلى دولة شيوعية، فقد كان يتوقع ماركس أن أول دولة يدخل فيها الشيوعية هي من الدول التي قادت الثورة الصناعية وهي بريطانيا، ولكن ذهبت إلى دولة زراعية في الاتحاد السوفيتي؛ فيقول: هذا التغير يفيدنا في قضية مهمة وأحب أن أنبه عليها كثيرًا؛ بأنك عليك ألا تنظر أن خصمك يستخدم نفس الأساليب، ولكن عنده القدرة أن يغير أساليبه بحسب دراسته لواقعك، ومن هنا يأتي دور دراسة الواقع ومعرفة القبائل والعشائر والتنظيمات والناس والقوة المؤثرة والمذاهب الفقهية.. اليوم لا يكفي أن يعرف هناك سني وشيعي حتى السني يعني الآن خلاف بين السني والسني وفي بعض المرات يصل إلى درجة الحرب بالسلاح، فالآن الخلاف بين سني وسني تحت شعار سني لدرجة وصلت إلى حمل السلاح ويمكن أن يكون مع خصمك ضدك كما ذكرنا من أمثلة، وبالتالي هذا مفيد في قضية تغير الأدوات والأساليب؛ هذا سهل جدا ويمكن للغربي أن يعطيك كل شيء، ويمكن أن يعطيك إسلاما لكن ينبغي أن تدرس ما هو الذي عليه.

فقط أريد أن أتكلم عن كلمة يسيرة، هل يمكن لنا أن نقيم الآن مرادنا في الدولة مع قوة المركز؟

زعم البعض أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام الدولة بما أمكن، بما أمكن لديه، بغض النظر عن كلمة الدولة والمحترزات حولها كونها مفهوم معاصر في أذهان كثير ممن يسمع كلمة الدولة فورًا يذهب ذهنه إلى صورة الدولة المعاصرة، ولكني أريد فقط ان أقول بأن النبي صلى الله عليه وسلم أقام ما يسمى بين قوسين – سأكرر بين قوسين لأن عليها محترزات كثيرة – أقام الدولة في "منطقة مغلقة"، والدليل عليها حديث أبي سفيان لما أرسل النبي صلى الله عليه وسلم بعد صلح الحديبية رسالة إلى هرقل يدعوه للإسلام؛ لم يكن قد سمع هرقل بأن هناك نبيًا في المدينة يحارب الجزيرة العربية ويبسط سلطانه، ولذلك

اجتاج إلى رجل يعرف حال هذا النبي فبحثوا عن أبي سفيان، فأحضروه فصار الحديث، ودل هذا أن هرقل مع أنه زعيم كوني يمثل الزعامة الكونية للروم، وله علاقات مع العملاء من الغساسنة الذين هم عملاء له في شمال الجزيرة العربية، ومع ذلك لم يسمع قط عن وجود نبي في هذه الجزيرة، ويدعو ويحارب ويقاتل.. هذا تسهيل قدري لهذه الدولة ولهذا السلطان ولهذه الدار، تسهيل قدري بأن تسير إلى مستقرها، ولذلك الزعم بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل كما نعمل نحن اليوم في حالة مكشوفة وقبل بالقليل الذي يعطى له من قبل المركز؛ هذا كذب على التصور التاريخي لدولة النبي ﷺ، فهذا غير صحيح يقول: لا، الدولة اللي هي الدولة الاسلامية لم تنعتق من سلطان – انتبه لهذه الكلمات الكبيرة – لم تنعتق من السلطان الاقتصادي إلا في زمن عبد الملك بن مروان كونها ضربت العملة؛ لأنها أول عملة إسلامية ضربت في زمن عبد الملك بن مروان، يعني هذا انعتاق اقتصادي؟!! هذا ذهب.. التعامل بقي بالذهب، ولذلك بقي وزن الدينار الرومي حتى بعد أن ضربه عبد الملك بن مروان، وإنما العبرة بقضية الصك الذي عليه، والضرب الذي عليه؛ يعني الاشارة التي عليه، فزعم أنها كانت دولة النبي صلى الله عليه وسلم مأسورة اقتصاديا للروم؛ هذا كذب، وثانيًا: نعرف أن الحال ليست بالصورة هذه من قضية المفهوم الاقتصادي والبنك الدولي "بنك النقد الدولي" و"بنك مالي دولي" إلى ما غير ذلك.

فقط أحببت أن أنبه على هذه النقطة لأهميتها، وأسأل الله عز وجل أن يرحمنا برحمته، وأكرر أني لم أقدم إلا شيئًا يسيرا من هذا الكتاب وأهميته، فأرجو أن يجد هذا الكتاب له طريقًا عند القادة وعند المفكرين وعند قادة الجماعات وعند الذين يتعاملون بالفكر وعند الذين يتعاملون بالدعاية إلى غير ذلك، معركتنا معركة كبيرة.. أمامنا خصوم عندهم العلوم التاريخية التي تفرز أدوات ذهنية، ونحن ضعاف فيها، ما زلنا نتعامل بالسذاجة؛ فلو أنت أتيت إلى بعض الأبحاث تتعلق بالخطبة الناجحة.. ماذا ترى؟ سذاجة طرح، يصلح للأول الابتدائي كيف تتكلم كيف... فقط طرح ساذج، لكن هل ليس عندنا دراسات عميقة في علم النفس في التأثير كيفية التأثير كيفية اكتشاف الخصم؟ هذه ضعيفة عندنا.. ولكن يوجد في الحقيقة رجال أهل لذلك، ولو أن رجلا ذكيا درس هذه الأمور وجاء للقائد يؤخره يقول له: مش فاضي لك هذا الوقت، هذا خطأ؛ بل يجب علينا أن ندرس هذا، هناك علم الاجتماع وعلم النفس الذي يعرفنا مثل هذه التيارات، علينا أن ندرس دراسة كبيرة وقوية، والمعركة خطيرة وطويلة المعركة ليست رحلة يوم ولا سفرًا قاصدًا، بل هي بعيدة وقوية جدا؛ فالغرب يملك هذه الأدوات يعرف كيف

يتعامل معنا، يعرف من أين يأتي بالقوة.. ما مصدر القوة وما مصدر الخطر وكيفية القضاء على الخطر من خلال الخصم.

ومن إحدى الكتب التي ينبغي أن ندرسها وإن شاء الله وأناقشها كتاب "نصر بلا حرب" لنيكسون، هذا كتاب مهم ونيكسون يعتبر من دهاقنة السياسة الغربيين هو و"كسنجر"؛ فهما تقريبًا أذكى من تكلم في المفاهيم السياسية "نصر بلا حرب" ومعناه وخلاصة هذا الكتاب "نصر بلا حرب" هو كيفية صناعة نصر في أرض خصمك بغير جنودك، لا تحارب على أرضك لأنك إذا حاربت على أرضك ستكون خسرانًا حتى لو انتصرت في النهاية، وبغير جنودك؛ لأنك حتى لو انتصرت بجنودك فانت خسران.

هناك طرفة عجيبة في التاريخ يقال بأن هناك معركة قامت بين ملكين فانتصر أحدهما على الأخر المنتصر ففنيَ نصف جنوده.. الآخر قتل وهرب لكن المنتصر فنيَ في المعركة نصف جنوده فجاء الناس يهنئونه قال على ماذا تهنئوني؛ النصر القادم لا يبقى منا أحد.. نذهب كلنا! فهو يريد بأن ينتصر بلا جنود، يقاتل من خلال الآخر وعلى غير أرضه، هذا مقصود نصر بلا حرب وهذا مهم جدًا.

فهم يملكون هذا العلم الذي به يتعاملون، ويملكون الأدوات، ونحن لا نملك ذلك، ومثلت بقضية الجرائد ومثلت بقضية المجلات ومثلت بقضية الصحفيين ومثلت بقضية التلفزيون والراديو، لا نملك ونحن ضعاف فيه؛ فإذًا ما الذي يجابه هذا؟ يجابه هذا الثقة بالله، يجابه هذا بمحبة الدار الآخرة، ويجابه هذا أناس على مستوى عالي جدًا من العقل والعلم والدراسة يقودون ويوضعوا في مراكز القرار لمعرفة التيارات من غير هلوسات، يجب أن تكون دراسات من غير هلوسات واضحة؛ لأن كثير من الناس يهلوسون يعني لا نريد أن نصل لدرجة أن بعض الناس يصبح أمنيًا بحيث لا يعمل ويصبح عنده أسرار؛ لأن هذا ما يريد منا الخصم، أن يخوفوك حتى لا تشتغل، فإذا قال: لماذا تشتغل؟ هذا أمني هذا سري. لماذا لا تقرأ؟ لماذا لا تناقش؟ يقلك هذا انسان يعني بحب الأمنيات، يعني لا يعمل وإنما عليك أن تتخذ حديث أسامة الذي يدعوك إليه دائمًا (إذا وجد فرجة نص)، ادفع الثمن، قل كلمتك، لا تخف بلغ الناس الحق.. ستدفع الثمن لا بأس، وكل شيء معروف ثمنه، عندنا بقلك "الرجل اللي معروف ثمنه اقتله"، وفي مثل عامي مش هيك عندنا؛ فأنت عارف الثمن اذهب لكن إياك أن تذهب ببلاش إياك أن تذهب بلا ثمن اذهب بثمن وقدم الحق للناس فنحن أمام مؤسسات خطيرة لا آخر ما هو ظاهر منه هو الدبابة

آخر ما هو ظاهر منها وبين هو الدبابة والطائرة، وبارك الله فيكم والحمد لله رب العالمين وجزاكم الله خيرًا.

ما هو الكتاب القادم؟ أحب أنا دئمًا أن أتي بالكتب القديمة والكتب الجديدة فأنا بين خيار إما كتاب "الفهرست" لا بن النديم أو كتاب "الإمتاع والمؤانسة" لابن حيان التوحيدي أو كتاب "المسئولية" لأنه يتلاءم مع ما تكلمنا فيه، أحب هذا الكتاب كثيرًا وله فوائد عظيمة خلينا نذهب إليه كتاب "المسؤولية" للشيخ محمد أمين المصري، ونحن بحاجة لمعرفة أمثال هؤلاء العمالقة من الرجال العلماء الذين لم ينصفهم هذا التاريخ ولم يعرفهم الناس لأسباب ربما نتكلم عنها يعني لماذا لم يعرف الناس أمثال هذا العملاق الدكتور محمد أمين المصري؛ فعلينا أن نذهب لكتاب "المسؤولية" لهذا الدكتور بارك الله فيكم وجزاكم الله خيرًا .

في أسئلة؟!

الحمد لله وجزاكم الله خيرًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

المسؤولية

للدكتور محمد أمين المصري رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب التاسع والأربعون

تاريخ المناقشة: ٢٩ تشرين الأول ٢٠١٦.

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدىً وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم.. آمين آمين.

أهلًا وسهلًا بكم إخوتي الأحبة مع الدرس - أو اللقاء - الثامن والأربعين من مشروع "ألف كتاب قبل الممات"، واليوم مع كتاب؛ صحيح أنه صغير الحجم بالنسبة للكتب التي تقدم ذكرها، لكنه كتابٌ مهم، لمؤلفٍ سنتكلم عنه لأنه نموذج لأناس عاشوا في هذه الفترة، وحولهم الكثير من النقد، والكثير من الكلام والملاحظات، وهو الدكتور: محمد أمين المصري.

الكتاب الذي بين أيدينا هو: المسؤولية، لمؤلفه الدكتور "محمد أمين المصري" وهو دمشقي، سمي بالمصري اسم عائلة-أنا لا أعرف عنه الكثير في سيرة عائلته ونشأته، لكنه ولد سنة ألف وتسعمئة وأربعة عشر ميلادية، وتوفي سنة ألف وتسعمئة وسبعٍ وسبعين ميلادية.

هذا الدكتور في الحقيقة لا تقرأ له-يعني لا تستطيع أن تجد له ترجمة حافلة كمجاهليه، إنما الذي نشر أمره هو أحد تلاميذه وهو الأستاذ: محمد العبده، فإنه قام على تجميع محاضرات له-هذه المحاضرات فُرغت ثم كتبت كتبًا كما هو بين، يعني لم يؤلف حتى، ولم يؤلف كتابًا في هذا الباب..

وإنما هذا الكتاب وكتبه الأخرى، مثل: كتاب "المجتمع الإسلامي"، مثل كتاب: "من هدي سورة الأنفال"، وغيرها من الكتب، إنما هي تجميع لمحاضرات، وهذا الكتاب كذلك هو جزء من هذا المعنى وهذا الموضوع، وهو أن الدكتور محمد أمين المصري ألقى ثلاث محاضرات..

المحاضرة الأولى تحت عنوان: "من المسؤول عن تخلفنا؟"، وهذه المسألة تحتاج إلى بحث، وكذلك "عقبات في سبيلنا"، والمحاضرة الثالثة: "بين التربية الحديثة والتربية الإسلامية".

وهذا الكتاب لماذا اخترناه؟ لأن هناك جماعات قد اختارته، وبعض التنظيمات والفصائل اختارته من قديم، وأنا لي علاقة مع هذا الكتاب من سنة (١٩٨٢م)؛ فقد اختارت هذا الكتاب جماعات وكشفت ما في هذا المعنى من ذكاء، وسر، وبحث، واختارته للتدريس الداخلي في تربية أفرادها، وهو يحق له هذا المعنى، وهذه القوة.

الدكتور محمد أمين المصري –وهو دمشقي– درس في القاهرة ثم أكمل في كامبريج، وعنوان رسالة الدكتوراه له: "منهج النقد عند العلماء والمحدثين"، أو هكذا بهذا المعنى، أو "منهج النقد عند المسلمين".

من هنا فقط أقول: هناك أناس في الحقيقة نعرفهم قلة قليلة جدًا درسوا في الغرب، واستفادوا من منهج البحث، فهناك مناهج بحثية قد يكون فيها الحق، وقد يكون فيها الباطل، ولكن المدارس العلمية في الغرب تعنى في طريقة البحث، وهو استفاد منها، خاصة في المحاضرة الثالثة، محاضرة مهمة جدًا في التفريق بين التربية في المدرسة الحديثة والمدرسة الإسلامية.

وأنا لا أعرف في الحقيقة رجالًا بقوا على عمقهم الإسلامي الأصيل عند دراستهم في الغرب إلا قلة، يعني مثلًا: نحن ذكرنا "علي شريعتي"، على الرغم من أنه محسوب على المدرسة الشيعية لكن ليست الرافضية –قطعًا–، لا نريد أن نعود إليه؛ فهذا دَرَس في الغرب، واستفاد من مناهج البحث عندهم، وفي دراسة الاجتماع والحالات الاجتماعية، وبالفعل لما رجع أثر، ومن إحدى معالم تأثيره أنه صار عدوًا للملالي، أي أنه قام بثورة كبيرة ضد الملالي– ثورة على قد الحال –، وبالتالي يعني مات غريبًا طريدًا.

هناك كذلك ممن أدعو لقراءة كتبه المهمة جدًا، وهو الدكتور: محمد مصطفى الأعظمي، هذا الدكتور درس كذلك –أظن في كامبريج، ودراساته، سواء أكان "دراسات في الحديث النبوي" المطبوع في مجلدين، أو في كتابه الذي طُبع بالانكليزي ولم يُترجم إلى الآن، وهو قضية "التوثيق للقرآن"، أتى بعجائب.

وكتابه "دراسات في الحديث النبوي" كتاب عميق، وعظيم، وبالرغم أنه–ربما كتبه بالانكليزي ثم تُرجم

لأنه كتبه جزء من دراساته في الغرب، إلا أن هذا الرجل بحق يُعد من العظماء في هذا الباب.

عندما أحد الإخوة قرأ كتابه - وأحضره ونحن في السجن - عن القرآن الكريم وتوثيقه، والكل يعلم أن قضية التوثيق للقرآن قضية مهمة جدًا لدى الغرب، وإحدى مطاعنهم التوثيق؛ فدراسة تاريخ القرآن مهم جدًا، والقرآن يطرح قضية العلاقة بين الداعي وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين القرآن، أنه **{فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** [يونس: ١٦]؛ أي ما تكلمت بهذا القرآن من قبل، فتاريخية القرآن مهمة جدًا في تثبيت المعالم الأولى لقضية أن هذا القرآن ليس من عند محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه من عند الله، ولم يدخل فيه يد البشر في التغيير، أو التحريف، أو التبديل..

فالقصد؛ أن هذا نموذج للدكتور محمد مصطفى الأعظمي، لهذا فالدراسات الغربية التي استفاد منها وبدأ يمشي على منوالها، وخاطب الغرب بلغتهم، مع ثقة كبيرة، دون أن يتأثر بالمدارس الغربية في موضوعها، أخذها في أسلوبها، ولكن لم يتأثر مثل أن ينجرف داخلهم، بحيث مثل أن يكون متأثرًا بهم على طريقة من درس عندهم وانسلخ من دينه، أو تغيرت بعض نظراته لفهمه للدين.

فمثلًا يؤخذ على معروف الدواليبي وهو من أوائل من درس في فرنسا الحقوق، بأنه أول من أدخل فقه إلغاء جهاد الطلب، فهو تأثر.. وبعض العلماء -وهنا لم أر هذا حاليا فقط، بل كنت قلت له يومًا هذا الكلام وغضب - شيخنا وأستاذنا: مصطفى زرقة، لأنه درس كذلك في فرنسا، وتأثر في الصياغة، وذاك كتابه "المدخل الفقهي العام" المطبوع في ثلاثة مجلدات، هو تأثر بالصياغة القانونية الفرنسية للفقه، يعني أراد أن يُصيغ الفقه الإسلامي-على الأغلب الحنفي -، لأنه حنفي؛ فأراد أن يصوغ الفقه الحنفي على طريقة الدساتير - المواد -، وهذا جيد، وهل تأثر الأستاذ الزرقة في طريقهم؟

بعضهم يقول: ومن ذلك اشتهاره بتحليل التأمين-يعني هو صار معلمًا في حل التأمين، وهو الذي كان يُفتي دائمًا بجواز أخذ الربا في دار الحرب، تأثرًا بالأحناف، أبي حنيفة، وزفر..

ويقول الشيخ القرضاوي: بأنه كان يُجالس دائمًا الشيخ الزرقا، ويحاول الشيخ الزرقا إقناعه بهذه

المسألة حتى اقتنع! في الحقيقة لم يقتنع فقهيًا، ولكن اقتنع للأسف قدريًا بأنها لحل مشاكل المسلمين في الغرب.

القصد: بأن بعضهم تأثر في الدراسة الغربية فاستفاد منها، وحمل الكثير مما يمكن تثويره والاستفادة منه، ومن ذلك الأسلوب البحثي.

وكذلك هنا الأستاذ الدكتور "محمد أمين المصري" درس في كامبريج، ونرى تأثره في كتبه، تأثر أنه يستشهد بهم–بحالة إيجابية، يعني لو أنك راقبت الدكتور محمد أمين المصري لوجدته سليمًا من أي أثر غربي–يعني هو بناء المدرسة الإسلامية؛ هذا الكلام لا يُفهم منه قط بأن هناك ثمة ملاحظة عليه، أو أنه دخل جوف الغربيين، وخرج ببعض آثارهم فيه، لا، هذا غير صحيح..

والدكتور "محمد أمين المصري" من الناس القلائل جدًا، الذين كانوا يرون أن الجهاد هو الحل لإعادة بناء الشخصية المسلمة؛ على الرغم أن كل من عالج العبارة الشهيرة: لماذا تقدم الغرب وتأخر المسلمون؟ أو لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ هذه المشكلة تكلم فيها الأفغاني، ومحمد عبده تكلم فيها، ومحمد رشيد رضا تكلم فيها، وشكيب أرسلان تكلم فيها، كل من جاء يتكلم، لماذا؟ فأنت تقرأ لهم، ترى كلامًا علميًا أكاديميًا، لكن في أن يكون الحديث في بناء الشخصية بناءً عاطفيًا، بناءً قلبيًا، بناءً وجدانيًا، هذا قليل من انتبه لهذه النقطة، على رأسهم ممن انتبه لها هو الأستاذ: أبو الحسن الندوي، انتبه–هو في كل كتبه يشير إليها، كل كتب الأستاذ الندوي إنما تدور حول هذه النقطة، أن التغيير لا بد فيه من بناء وجداني، بناء عاطفي، بناء قلبي، وليس فقط البناء الفكري.

الدكتور محمد المصري هنا يشير لهذا البناء الوجداني، لكنه يزيد في قضية مهمة جدًا، وهي قضية ضرورة الجهاد، بأنه لا يمكن للأمة أن تربى أطفالها، أو تربى هذه الأمة، أو تُعيد فعاليتها في العالم، إلا بالجهاد..

طبعًا أين الجهاد؟ أين يكون؟ هذه القضايا لم يتحدث فيها، ولم يطرحها.. لذلك يقول تلميذه الجامع

لرسائله، ولناشرها محمد العبده، الذي هو في هذا الكتاب يضع اسمه "محمد سليمان"، على طريقة "محمد ابن عبد الوهاب النجدي"، أو كذلك "التيمي"؛ يعني يغير الاسم ليسوق الكتب، أو ربما لظروف معينة.

فيقول: بأن الدكتور كان كأنه لا يعرف إلا سورة الأنفال، ودائمًا يتحدث عن هذه السورة، وعن الجهاد، وعن ما تُحدثه، ولذلك فرغ له مجموعة محاضرات طُبعت في "هدي سورة الأنفال"، وموجود الكتاب مطبوعًا وهو مهم جدًا..

هذا الدكتور نموذج عندي؛ لقضية "حرق المؤسسة الداعية"، كيف؟ أنتم تعرفون أن الذين يحدثون الآثار العظيمة في أمتنا، ينبغي أن يكون عندهم ابتعاد عن السلطة، وابتعاد عن المؤسسة الأكاديمية..

والسبب: أن السلطة تبلعك، وتُذهب الكثير من طاقاتك الإبداعية في العمل المؤسسي، أنا لا أتكلم عن قضية الاقتراب من السلطة الطاغوتية وأنها تفسدك، ولكن الاقتراب من المؤسسة يُضيع الكثير من جهودك!

يعني مثلًا –أنا دائمًا أذكر هذا المثال: لو أن بعض الكاتبين، وبعض البحاثة، ابتعدوا عن السلطة لكتبوا كثيرًا، وأحدثوا أثارًا كثيرة، والذين لو ابتعدوا عن العمل الأكاديمي، أو لم يشغلهم العمل الأكاديمي، لم يصبح هو حياتهم، لأحدثوا آثارًا كثيرة في داخل المجتمعات...

بغض النظر؛ مثلًا: ناصر الدين الأسد هذا عملاق في الأدب، ومع ذلك بسبب دخوله في العمل المؤسسي، أين آثاره؟ تحقيق بعض التراث، بعض الكتب، وهكذا، لا تجد له الآثار..

بعض الذين نجدهم أكاديميًا –كالشيخ محمد متولي الشعراوي – كان مدرسًا للتفسير في جامعة أم القرى، لا يعرف عنه أحد، لما خرج من المؤسسة الأكاديمية، وخرج للناس، وجلس في المساجد، أو خرج هكذا، فصار له آثار!

فالكثير من الذين يدخلون المؤسسات، تذيبهم المؤسسة، تطحنهم، فتدخلهم بالأعمال الإدارية، أو

بأن يكون جهدهم محصورًا.

يعني الشيخ ناصر الدين الألباني صحيح درس في الجامعة الإسلامية، كان مدرسًا للحديث فيها، وحاول جاهدًا الخروج منها.. كان لعلاقاته ولدعوته وأنه صاحب قضية آمن بها، فبدأ يدعو إليها ويلتف حوله البعض، وبالتالي لم يحدث له الأثر الكبير حتى صار "جماهيريًا"؛ يعني داعية بعيدًا عن المؤسسة.. المؤسسة قاتلة!

الدكتور محمد أمين المصري لمن يتحدث عنه شخصيًا، وتلاميذه مازالوا أحياء –يعني توفي سنة ألف وتسعمئة وسبعٍ وسبعين، تلاميذه أحياء، فيتحدثوا عن شخصية عجيبة–شخصية مليئة بالهم الإسلامي، مليئة بمحاولة تثوير الكلمة في داخل النفس المسلمة السامعة لها.. وهذه قضية سآتي إليها إن شاء الله، وكتبه في الحقيقة–أو رسائله ومحاضراته – كلها تدور حول تثوير الكلمة، فالآن الخطباء –دائمًا أنت تتعجب، أين المشكلة؟ الخطيب يتكلم، والناس يعودون إلى بيوتهم كأن لم يكن، لا يترك فيهم مؤثر!

الجماعات تبني أفرادها، فأين هذا النفس الذي أنشأه النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه، أين هذه الشعلة التي وُجدت في الأوائل، وتخلفت في عصرنا.. أين هي؟ هذه قضية مهمة جدًا، والبحث عنها ضروري.. والمخلصون من الخطباء، والدعاة، ومن التربويين؛ أصحاب التربية.. يبحثون عنها! أين السر؟

هم يتكلمون فالناس يسمعون ثم يخرجون وكأنه لا يتغير شيء، تجدهم ما زالوا على حالهم في الغرق من المعصية، قلة التعبد، قلة التضحية للدين، عند أي فتنة يتم التراجع والانتكاسة، فأين هذه الشعلة الإيمانية؟ كيف نوجدها؟ ما هي؟

هذا الدكتور كان يبحث عن هذا، وكتابه الذي بين أيدينا "المسؤولية" يدور حول هذه النقطة، ولو بحثت عن النقطة الجامعة لهذا الكتاب، وحتى في كتاب المجتمع الإسلامي.. ما الذي يريده؟

فإذا هو يبحث عن كيفية إعطاء الروح للكلمة؛ فتنشأ روحًا فعالة، ومريدة، وذات فاعلية.. كل الذين

يتحدثون يعانون من هذه القضية، كيف وماذا أفعل أنا؟

هل ينقص إخلاص من المتكلم؟ هل تنقص البيئة لهذا الكلام الذي يقوله؟ يعني الآن جماعة التبليغ مثلًا: تؤمن بالقضية التالية لإعطاء أثر الكلمة؛ فلا بد أن تنشأ الكلمة عن طريق ما يُسمى عندهم بـ"الجهد"، أليس كذلك؟ فالكلمة التي تفقد الجهد باردة، لا تدخل القلب..

وثانيًا: لابد من بيئة! يعني لابد من الخروج معهم في المسجد وبقائه في المسجد، والقيام بأعمال حتى نوجد لهذه الكلمة صدى مؤثرة، وهكذا..

فالبعض يتحدث عن الإخلاص، وآخرون بدأوا يتحدثون عن التراكم؛ تراكم المعرفة اليوم من غير عمل، وكثرة المعلومات التي أثرت على طبيعة العمل والإرادة، وكلهم يبحثون عن هذا الأمر، كل مخلص يبحث عن هذا الأمر..

وقبل مدة زارني خطيب، قال يعني: أنا مرة أقسمت عليهم بالله في الخطبة، وهو رجل بالفعل أنا حضرت خطبه، ووجدته بالفعل يحضر خطبته بشكل ممتاز ويؤثر في الناس، وقال مرةً –قلت لهم: أقسم، أنا أريد، أتمنى، وأقسم عليكم بالله أن يكون الذي يصلي معنا الجمعة يصلي معنا العصر، فقط! يعني عدد المصلين أو قريبًا منه، ممن يصلي معنا الجمعة يصلي معنا العصر، وبالطبع فشل، فالذي يصلي العصر ليس هو العدد، ولا قريبًا منه ذاته الذي يصلي معك الجمعة.

هذه مشكلة تعاني منها الأمة!

هذا بعد قضية النظر إلى الآخر، ماذا فعل بنا الغرب؟ ماذا صنع من أمور تربوية أبعدتنا عن ديننا، كيف صنعوا بيئة، ملهيات، كيف غيروا أفكار الأمة، كيف شغلوها بشهواتها، كيف وكيف؟.. الخ؛ ما يفعله الغرب، هذه قضية أخرى! تحدث الناس وأسهموا فيها، ويتحدثون الكثير عنها!

لكن الكلام في داخلنا نحن؛ كيف نصنع المسلم الفاعل؟ هذا هي القضية..

فالدكتور هذا كانت تشغله، حتى إني قابلت تلميذًا لمدرسة في مسجد زيد بن ثابت، وهو مسجد في دمشق، وصاحبه "عبد الكريم الرفاعي" وهو مشهور أنه صوفي معروف، ولكن كانت مدرسته مشهورة بتخريج حفظة القرآن..

فصار حديثٌ معه مرة؛ ذكرت –هذا الكلام قديم من سبعٍ وعشرين أو ثماني وعشرين سنة– فذكرنا الدكتور محمد المصري، فقال: الدكتور أمين قابل شيخه –الذي هو عبد الكريم الرفاعي – في منى بالحج، وقال له: إنه كان معجبًا بأحد المشايخ الذين يصنعون أثرًا إيمانيًا في داخل الفرد، وهذه حقيقة يبحث البعض عنها.

عندما نتحدث عن التربية في داخل الجماعات الإسلامية؛ لو ذهبنا إلى ما يسمى بالسلفيين، وذهبنا إلى ما يسمى بالتحريريين، أو ذهبنا للإخوان، أو ذهبنا للجهاديين.. فإنك دائمًا تشكو من قلة التربية، قلة العبادة، قلة الصلاح، يقبلون على أمور–ولا تجد عندهم لا قيام الليل، وإذا أردت أن يصحوا لصلاة الفجر بالقوة، فذلك البعض يبحث أين المشكلة؟ يعني صاروا أحسن منا الصوفية، صرنا للأسف نريد أن نصلي الصبح من غير مشكلة!

القصد: يبدء الحديث خارج إطار المعالجة التي هو يؤمن بها. المعالجة خارج إطار الوسيلة التي يؤمن بها–يعني هو غير صوفي، ولكن يقول: يا جماعة يمكن الصوفية أحسن!

بالرغم أنه في الحقيقة وبحسب الخبرة؛ الكل يعاني، حتى مشايخ الصوفية من أفسدهم، ولا يوجد هندهم هذا الاهتمام، ولكن الحديث يبدأ بالجواب، أين المشكلة؟

وبعضهم بدء يميل إلى الحث على الذهاب لكتب التصوف والتربوية القديمة.. اذهبوا إلى كتاب فلان وفلان؛ لعلها تنشأ هذه الشعلة لإثارة الإرادة نحو التعبد، نحو الإيمان، نحو الفاعلية.. فهذه مشكلة نعاني منها!

الدكتور "محمد أمين المصري" كُتبه في هذا الباب، وهو يرى أن المشكلة –كما يقول– مشكلة

فكرية، ومشكلة وجدانية، ومشكلة الإرادة -كما يذكر في المحاضرة الأولى- فيقول: لابد من إعادة طرق التربية التي يتعامل بها المسلم من أجل تثوير هذه الإرادة، وصناعة المسلم (المسلم الصحابي؛ يعني كيفية صناعة المسلم الصحابي)!

الذين يتكلمون عن الدكتور يرون عنده هذا الهم، أنه مشغول في كيفية تحقيق هذا الأمر، كان -بحسب ما يرى- بأن هناك غير فعالية من المشايخ، ويرى تقديسًا للقيادات وللعلماء، والظاهر أنه تقلب في المدرستين، لما كان في دمشق كان في مدرسة تقليد المشايخ، ولما ذهب إلى السعودية كان الأول والوحيد في تاريخ الجامعات (السعودية) الذي تقَلَّد عمادة، وذلك يدل بوضوح أنه صاحب شخصية قوية وعلمية، وذاك كان حينما استلم رئاسة الدراسات العليا في الجامعة الإسلامية -ولمدة ثلاث سنوات- ثم توفي رحمه الله..

وهناك بعض الناس يروي عنه قصص من العزة وعدم الخنوع، على ما يعاني المغترب في بلاد الإسلام وغيره، دون تخصيص لبلد أو لحالة..

إذن؛ شخصية هذا المؤلف واضح أنها - خاصةً لو أننا قرأنا المحاضرة الثالثة بين التربية الحديثة والتربية الإسلامية - شخصية جريئة جدًا في قضية نقد المدرسة التقليدية القديمة!

الآن، مثلًا: نحن نرى الآن عودة إلى إحياء المدارس التقليدية، مدرسة تحفيظ القرآن، المعاهد الشرعية.. يوجد عودة لها، ولكن الحقيقة نرى أنها عودة وكأنها كعادة المعاهد الشرعية القديمة؛ إعادة طرق التلقين، وقراءة الكتب، وأخذ الإجازات.. هذا موجود الآن ونجده في المعاهد الإسلامية، على الرغم من أنها ظاهرة جيدة، لأنها إعادة لقضية دراسة الدين!

لكن هو لما ينتقدها يرى أنها بالفعل تخرج "عاهات!" -أنا أكره هذه الكلمة ولكنها حقيقة- يعني: إذا قيل له يحفظ القرآن كأنه جاء بشريط جديد؛ يعني لا يصنع في هذا الحافظ ما ينبغي أن يكون عليه الحافظ؛ فنحن نعرف تاريخنا؛ من هم الذين قادوا، ومن الذي كانوا أقرب الناس مشورة لمجلس عمر،

من؟ القراء! من حملة راية الجهاد ضد المرتدين؟ القراء!

القراء-ليس معناها واحدًا حافظًا فقط-، فحينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يُقدم رجلًا في الإمارة يقول: أيكم يحفظ سورة البقرة؟ فيتقدم ويعطيه بسورة البقرة إمامة..

وكلام الشيخ المصري يمكن أن يُعتذر عنه بكلام الشافعي! ما هو كلام الشافعي؟

الشافعي في الأم -رحمه الله- يقول: بأنه لا يُقدم الأقرأ، بالرغم أن الحديث: (يؤم القوم أقرأهم -قال: لا، لا، هذا الأقرأ في بيئة الصحابة خاصة، وليس لمن بعدهم، قالوا: لماذا؟ قال: لأن الصحابة كلهم في ذلك الوقت كانوا على طريقةٍ واحدة -كلهم بيئة واحدة، فتقدمهم القارئ- وعقولهم واحدة، تسمع فتفهم على مستوى واحد، يعني يسمعون الدين فيفهمون الأمر واحدًا، فالذي يقدُم في زمانهم هو الأقرأ؛ لأنهم في الفقه سواء -هذا تفسير الشافعي، يقوله في الأم -، وقديمًا كنت أظن أن هذه "فذلكة الأحناف" -لنطعن فيهم- نحن على طريقة السلفية في الطعن في الأحناف! الأحناف يخالفوا الحديث! لكن ليس فقط الأحناف من يفعل هذا! ظهر أن الشافعي وأحمد نفسه يقولون هذاولكن لا بأس..

قال: فكان تَقْدِمةِ القراءة لأنهم في الفقه سواء، لأنهم نشأوا في بيئة واحدة، وأسلموا في عمرٍ واحد، وعقولهم، فأقرأهم من؟ فأقرأهم هو أعلمهم؛ كما قال أبو هريرة ﷺ لما النبي صلى الله عليه وسلم صلى بهم الفجر فقام خطيبًا، أليس كذلك؟ ثم صلى بهم الظهر فقام خطيبًا إلى العصر، ثم قام صلى العصر إلى المغرب، فماذا قال أبو هريرة؟ قال: "فكان أعلمنا أحفظنا"! أي أنه كان ذلك الوقت مقدار علم الرجل بمقدار حفظه، فكان يؤم القوم أقرؤهم لأنهم في العلم سواء، لكن اليوم يوجد قراء كثير – الذي يُقدم من هو الأولى وهو الفقه- قديمًا المشايخ ردوا عليَّ، لا مشكلة...

لكن هنا يحضرنا في هذا الباب الذي نحن فيه، أن المدرسة الفقهية التقليدية التي نريد أن نرثها وننجدها، إنما تقوم على التلقين وعلى تكثير الحفظ، ولذلك إلى الآن؛ نحن نُعظم الحافظ، صحيح؟ نحن نتكلم عن القرآن ولا نتكلم عن حفظ السنن، نتكلم عمن يحفظ؛ مادة كبيرة وكثيرة من الأشعار وكذا..

فالمقدم عندنا في بيئتنا الإسلامية، هو الذي يحفظ! وكلما كان الرجل عنده مادة للحفظ أكثر، كلما كان مقدمًا في الناس، لكن لو أنك رميته في النوازل وفي المعمعات، والمشاكل وغيرها؛ فما هو مقدار إخراجه للدرر؟ القليل..

نحن نرث المدارس الموجودة الآن، وليست هي مدراس تربية النبي صلى الله عليه وسلم، ولا المدارس التي تُعطي الحديث، وتقول له: استخرج فقهه، فلما ترى أن الصحابي يعطي الحديث يترك للتابعي فقهه، أليس كذلك؟ نعم، يعطيه حرية فقهه، ويجتهد، ثم بعد ذلك صارت المدارس تعطيه الحديث، وتعطيه فقهه، مسلمًا له، وبعد ذلك صارت تعطي الفقه من غير أن تعطيه الحديث حتى!

فهو ينتقد هذه المدرسة، يقول: هذه مدرسة تقوم على التلقين! هذا انتقاد عجيب في ذلك الوقت، ولذاك يقول مثلًا: تبدأ المدرسة التقليدية القديمة بقضية التمهيد، ثم العرض، ثم الربط، ثم التعميم، ثم بعد التعميم يأتي موضوع التطبيق.

قال: المدرسة الحديثة، تخالفها! فهي تقوم على قضية أين المشكلة؟ كيفية معرفة حلها، وأساليب حلها! ثم في نهاية الأمر؛ هل النتيجة صحيحة؟ وما هي النتيجة؟ أين جوانب الإخفاق؟ وأين جوانب النجاح؟

وهذه الدراسة النهائية تجعل العملية تراكمية وزيادة.. الخ.

وقال: هذه طريقة ينبغي أن نعيد النظر فيها –هذه طريقة حديثة فعلا، وإن كانت غربية– وعلينا أن لا ننسى أهمية الحفظ؛ لأن مادة الحفظ مادة مهمة، لأنها هي الوعاء التي يستخرج المرء منها ما يريد عند بحث الحلول، لكن أهم شيء أن ينشأ العقل النقدي.

أنتم ترون –وربما تؤخذ هذه عليَّ– بعضهم دائمًا يقول: أنا دائمًا أرى في الجهاد لما تأتي المدارس التقليدية للجهاد أخاف منها؛ لأنهم يحملون أمراضهم معهم، مثل الذي يأتي تلميذ للشيخ الفلاني وطريقته، والذي يأتي لمدرسة فلانية وطريقتها، فكل واحد يأتي ليثبت طريقته!

لكن أنت ترى الإنسان العادي يأتي ولا يحمل هما إلا أن يجاهد، ولا يحمل إلا هم أن يتعلم، فيترقى عسكريًا، ميدانيًا، ويجاهد، ويقوم بالعمل.

فالقصد –وهنا المشكلة الأولى– أن هذا الدكتور استغرقته المؤسسة، والذي ينبغي أن يؤثر أن يخرج من المؤسسة، وإذا أراد لكلمته أن تكون فاعلة أن يكون خارج المؤسسة..

ماذا يشتغل؟ على طريقة السلف يشتغل، الذي عنده وِرْثة؛ كما بعض السلف إذا ورث أنفق أمواله، وكان يعيش على ما ورثه من أبويه، أو على طريقة الاتجار كما كان عبد الله ابن مبارك، يقول للفضيل: "لولا أنت وأصحابك ما اتجرت".

ابتعد عن المؤسسة؛ فالمؤسسات قاتلة! وحتى لو أنك قُدِّر لك أن تكون مُدرسًا في مؤسسة مثلا: معلمًا في نفس عملك؛ فإن جهدك ينبغي في الخارج أن يكون أكثر، وأشمل، وأعظم.. حتى يكون لك التأثير في المجتمع!

لأن الذي يأتي إلى الجامعة ليَدْرس: جاء معوقًا، فإنه لم يأتِ ليطلب العلم –خاصةً في هذا الزمان– وإنما أتى من أجل أن يأخذ الشهادة، فإذا تأتي الشهادة انتهى الموضوع، لا يريد زيادة عن ذلك..

بل إذا تعارض ذلك، بان كانت الشهادة ذات مشقة كثيرة يتخلى عنها ويذهب لغيرها، ما هو أسهل منها!

فلذلك المؤسسات لا تُخرج علماء، ولا تُخرج طاقات، ولا تُخرج عُبادًا.. لا يوجد ذلك؛ فإذا رأيت عابدًا متخرجًا من الجامعة فهذا ليس بسبب الجامعة والمؤسسة، وإذا رأيت عالمًا ومعه لقب المؤسسة فليس بسبب المؤسسة إنما هو بسبب جهده الخاص!

فهذا ما يتعلق بهذه الشخصية..

الحديث عنه، حديث يعرفه أصحابه وهم يتحدثون عنه وما زالوا أحياء والذي يقوم على نشر كتابه

هو الأستاذ: "محمد العبده"، وهو ينبغي أن يتكلم عنه، لأن الحديث عنه قليل جدًا في الحقيقة، لكن الذين يعرفونه يعرفون أثره.

الأمر الثاني الذي ينبغي أن نتحدث عنه وهو قضية: ما هو مشروعه؟

بعض المشايخ كان يرى أن المشروع المهم أو الطريقة لتثوير الكلمة هو بث منهج الصحابة، وقصص الصحابة؛ يعني أن نتحدث كثيرًا عن الصحابة وماذا فعلوا وماذا قدموا، فهذه تنتج المثال.

والدكتور يتكلم عن قضية القدوة في كتابه، وعن أهمية القدوة، وأن القدوة يجب ألا تُكسر! القدوة إذا كُسرت، إذا دُمرت، دُمر ما بعدها! ولذلك من المهم جدًا عند الخصوم أن يدمروا القدوة، وأن يضربوها بالدعاية والإشاعة ..الخ، فهو يتكلم عن هذا الباب من هذه النقطة..

الطريقة التي يتحدث عنها في كتابه "المسؤولية" هو: أن نبتعد عن تعليق مشاكل الأمة على عدونا – وهذه في الحقيقة مدرسة قالها الكثيرون، يعني أرى إجماع في ذلك، وبعض الناس يظن أنه لما يأتي الحديث عن الغرب وعن أثره في الأمة وعن التغريب الذي قام به، بعض الناس يظن أن الحديث المتسع في هذا الباب في هذا الباب، معناه: أنك تعلق مشاكل الأمة عليه!

هذا غير صحيح.. يعني أنت لو أتينا إلى محاضرة وانشغلنا فيها في ما فعل الغرب بنا، لا يعني هذا أننا نعلق كل أخطائنا على الخصم! لا! هذا جزء من الصورة!

الصورة الثانية هي: ضعف فعاليتنا، غياب أدوات الفاعلية فينا، عدم وجود البيئة المحيطة بنا سياسيًا وميدانيًا، عدم وجود القدوة، اختلاط العلم..

يعني: هنا يتحدث الدكتور مثلًا: عن قضية أثر الأحاديث الضعيفة، وغياب الأحاديث الصحيحة، أو غياب مفاهيمها، أي غياب المفاهيم الصحيحة للأحاديث الصحيحة، حتى تصنع المسلم الصحابي..

فيتحدث عن هذه إذن؛ فنحن عندما نتحدث عن قضية الغرب لا يعني أننا نعلق كل مشاكلنا عليه،

ولكن أنا لا أعرف عالمِا يُعلق المشكلة على أمتنا، أن السبب هو الأمة.. أي أنه لم يقل أي أحد ممن تكلم عن المشاكل في واقع الأمة، فعلق الإخفاقات، وعلق الأمور التي تعيشها الأمة.. علقها كلها في رقبة الأمة، أنها هي السبب..

من الأمور التي اهتم بهاكان يتكلم عن أهمية الجماعة، أنه لابد من القدوة، ولابد من الجماعة، أين هذا من حياة الدكتور؟ نحن لا نعرف هذا!، ولكن كنا نتمنى أن نعرف هذه الشخصية وهذه الجماعة.. عن من يتحدث الدكتور! يعني لو أردنا أن نستخلص هذا الأمر من كتبه لا نجد أي أثر، أو من السماع له، هل كان ثمة جماعة لهذا الدكتور في هذا الباب، لا نجد أي أثر له في هذا، ولا نجد إجابةً على هذا السؤال...

نرى أن الدكتور هنا في محاضراته –وأظن هذه المحاضرات كلها قد تكلم فيها وهو مدرس في الجامعات السعودية–، لم نر أي حديث عن قضية الحكام، هو ينتقد مثلًا الغزالي، ينتقد بعض شخوص الصوفية –مثل ابن الفارض– الذين عاشوا إبان الحروب الصليبية ولم يُحدثوا أي آثار، حتى لم يتكلموا في باب الجهاد، ولم يتكلموا في دفع الأمة.

وهو في هذا الباب يخالف ماجد عرسان الكيلاني –وبالرغم أنه لا يُفرغ طاقةً طويلة في شرح هذا– ولكنه على الخلاف مع الكيلاني الذي يرى أن المدارس الصوفية هي جزء من صناعة انتصار صلاح الدين؛ الدكتور يقول: لا، الصوفية كانوا عامل سلبي في الحروب الصليبية، ولم يُحدثوا الأثر المطلوب..

الكتاب لغته سهلة؛ لأنه يتكلم لعموم المسلمين، ومحاضرات لعموم المسلمين، ويتحدث كذلك عن التربويين، ويتحدث عن قضية المشكلة القدرية –يعني تفسير الأمور قدريًا –، دائمًا نعلق مشاكلنا على القدر– طبعًا هذه تكلم فيها الناس، وربما الوقت الذي نحن نتكلم فيه ربما نجد الأمور منتشرة وسهلة ما يقوله، فلا يوجد عندنا أشياء جديدة يقولها، ولكن في وقته كانت هذه أمور تعتبر إبداعًا تُقال في هذا الكلام..

في الحقيقة؛ يعجبني هنا نص في داخل كتاب المسؤولية، وهو سوق كلام القاضي الفاضل، حتى تعلموا أن هذا جزء من فهمنا، فعليك أن لا تتصور أن الأمة وهي تجاهد مع صلاح الدين كانت كلها تُجاهد! لأن هذا في الحقيقة من الخدع التي تُمارس علينا مشيخيًا..!

يعني مرةً أحدهم كتب: ما الفارق بيننا وبين ابن تيمية حتى لا نطبق الجهاد الذي قام به ابن تيمية ضد التتار؟ ما هي الفوارق؟ قال: الفرق أن صلاح الدين كانت كل الأمة قد مشت معه، وصارت تابعة له، وأجمعوا على إمامته، واليوم لا يوجد إجماع على إمام!

هذا خداع كبير غير واقعي وغير صحيح، فالأمة لم تكن بمثل هذا الذي يتصوره الخياليون من المعاصرين في قضية حياة الأمة في الحروب الصليبية، فهذا النص الذي يسوقه عن القاضي الفاضل في الحروب الصليبية

يتحدث الدكتور عن صورة صلاح الدين، كيف كان ما عليه الصليبيون من إقبال واندفاع، وبينما ما كان عليه المسلمون في عصره، فالصورة الوردية التي يحاول البعض تسويقها ليسقط تاريخنا، ويسقط فعاليات جهادية في هذا العصر، هو غير صحيح–هذا باطل!

الأمة في كل وقت فيها –حتى الغرب–! نخبة وفيه شعب لا هم له، حتى القاضي الفاضل لما تحدث عن الاندفاع تحدث عن النخبة الذين جاءوا من أوروبا.. بلد من البلاد، كنت أقول له: هذا شعبكم كله مثقف، ما شاء الله، قال: لا، شعبنا غير مثقف، يمكن عشرين ثلاثين مليون فيه ليسوا كلهم مثقفون، ولكن الدولة تشترط أن لا يخرج إلا المثقف، فبالنهاية لن تروا إلا هؤلاء، وإلا في المجتمع أطياف....

وهذا دائمًا أنا أقوله: لما تذهب إلى أوروبا – مثلا بريطانيا– تجد ٩٩٪ من الشعب لا هم له إلا أن يأكل، ولا يعرف شيء، لا يقرأ، ولا يفهم، وليس له أي ثقافة–وأنا قلت مرة للإخوة، قلت: بأني مكثت في سجن ثلاث سنوات لم أجد أحدًا منهم يحفظ جدول الضرب! جدول الضرب.. لا يوجد أحد! بل كنت أسأل عن كرومل–الذي هو مُنشئ بريطانيا الحديثة– التي هي الملكية الدستورية؟ اللورد

كرومل! الذي قام ضد الملكية وحاربها وانتصر عليها! هذا الذي صنع بريطانيا؛ كنت إذا رأيت كل بريطاني أحس منه أنه مثقف قليلًا، أسأله عنه فلا يعرفه!

دعك من الآخرين.. في لقاء تلفزيوني جاء لحفل موسيقي بعد أن استيقظوا في الصباح، فسألهم من وزير التربية؟ ولا أحد عرف! يمكن سأل حوالي مئة، مئة وعشرين شخص، لا أحد يعرف!

وبدأ يسأل في ذلك الوقت أنطونيو بلير رئيس الوزراء من هو؟ فوجد قليل جدًا من يعرف رئيس الوزراء! لا يهمهم!

فالقصد من هذا؛ أن النخبة هي التي تصنع الحدث، ولذلك حينما يقول أن الصليبين كانوا بكل هذا الاندفاع لأمتنا هذا لأنه يرى من؟ يرى الذين وصلوا إلى بلادنا ليقاتلوا، حتى يخلصوا المسيح من الوثنيين كما يقولون، وإلا فبقية الشعوب هي بقية الشعوب!

لكنه حين يتحدث عن أمته لا يرى إلا القليل، وإلا فالأكثر كما قلته من قبل.

الكتاب على طريقة المحاضرات، ولكن أنت تحاول أن تستنج منه هم الرجل، الهم الذي يبحث عنه.. أين المشكلة؟

هذا الذي تكلمنا عنه؛ ما زالت مشكلة عندنا، يعني كيف يكون للكلمة أثرها في الأمة؟ كيف نُحدث الأثر؟

أنا دائمًا أقول للإخوة: هذا العصر لا يوجد في التاريخ الإسلامي مثله، لا يوجد في التاريخ الإسلامي مثله بعدد الوعاة، ولا بكثرة الوعظ!

يعني الآن تجد السيديهات، تجد المواعظ في التلفزيون، في الكتب، ولكن الأثر قليل، أثر المواعظ قليل جدًا؛ أين المشكلة هنا؟ هذا الذي يحاول الشيخ أن يجيب عنه...

أعتقد أن اكتشاف الشيخ –وهذا ما نتحدث عنه– بأننا نحتاج إلى بيئة جهادية، فالأمة بالجهاد

تتحول، ونحن نرى في الحقيقة أن الجهاد يغير كثيرا من الأفكار الجمعية، وكذلك يغير السلوكيات الجمعية..

والدليل على هذا: أنتم ترون العراق على زمن صدام حسين، أحدهم يقول لي: اللي بصلي هذا ولي، يعني كان الخمر يباع في رمضان، ولكن لما جاء الجهاد تغيرت الحال..

في بلاد الشام؛ النظام البعثي صنع أمةً جديدة لا علاقة لها بالدين، بل الأمة انحرفت في محبة الروافض لدرجة عالية.. ما الذي يغير؟

ولذلك أكثر من مرة كتبت في صبغة الله الصمد: بأن "بيئة القرآن بيئة جهادية"، والدليل: عدد الآيات التي بحثت في الجهاد تقارب ثلث القرآن! ثلث القرآن حديث عن الجهاد وقصصه، وأحواله، ومواضيعه، وفقهه.. إلى غير ذلك..

حتى عندما تحدث عن الأحكام، تحدث عنها في بيئة جهادية، مثل قوله سبحانه وتعالى: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ}**؛ في أي موطن قال هذا؟ في موطن توزيع الفيء، في موطن توزيع الفيء!

وقوله: **{لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ}** متى قيلت؟ في سورة الأحزاب، عند الحديث عن موقف النبي صلى الله عليه وسلم وثباته أمام الأحزاب.

فالقدوة والأسوة التي تطرح الآن فقهيًا مجردًا، طرحت في القرآن في هذا السياق، فأول الدخول فيها هي بيئة الجهاد.. فالبيئة الجهادية هي التي تُحرك الأمة! ولذلك شيخ الإسلام-رحمه الله-يقول: "الأمة إذا جاهدت نُفي خبثها.. قال: الخبث يذهب"؛ فإذا تركت الجهاد شغلها الله ببعضها، كما في "الرسائل والمسائل"، قال: "إذا تركت الأمة الجهاد انتشر الفساد فيها، وشُغلت بنفسها.. فإذا قامت بالجهاد.. الخ".

الدكتور يريد أن يقدح الزناد في هذه النقطة؛ لا يقدح ليرد، بل يقدح زناد هذه النقطة، ليبين أنه حتى يكون للكلمات أثر فلا بد أن تعيش حالة الجهاد..

الكتاب أقرب إلى المواعظ، ولكنه كذلك بناؤه عظيم من العلمية التي نحتاجها في هذا الزمان؛ هذا هو مهمة هذا الكتاب ويُحتاج في التدريس، فالمرأ يقرأه لو سأله أهله: أقرأ لنا كتابًا نتعلم منه مع الموعظة، فهذا الكتاب ينفع في هذا الباب إن شاء الله تعالى..

ليس عندي أي شيء آخر في هذا الكتاب سوى ما تكلمته لكم..

الأسئلة بعد المناقشة

سائل يسأل: الشيخ يتكلم عن مسألة النوازل، والمدرسة القديمة لا تتكلم بأي نازلة، فصار عندنا الآن مفهوم خاطئ عن العالِم، العالم صار عندنا هو الأحفظ، وصار الذي يتكلم بالنوازل يا أنه شخص غير معروف، أو شخص ليس عليه الضوء، أو شخص تافه!

الجواب: المحاضرة الثالثة من "المسؤولية" مهمة جدًا في موضوع التربية؛ لأنَّ المدارس العلمية التي أنشئت والمعاهد الشرعية التي أنشئت، إنما أنشئت لما يتصور من قضية التلقين والحفظ، وهذا مهم للطفل.. فالطفل مهم جدًا أن يكون عنده مادة غزيرة من العلم، لا بد أن يحفظ كتاب الله، لا بد أن يحفظ أقل شيء أحاديث الأحكام.. فالحفظ مادة مهمة جدًا، ولكن عليه أن يُعلَّم كيف ينازع المشاكل، كيف ينظر إلى المشاكل من جوانبها، وإلا يكون الوضع مزريًا..

أئمة المساجد ومقدار الفقه الذي يحملونه، ومقدار الوعي على واقع الأمة، والفهم فيه حالة مزرية لا يصلُح لها واقع المشايخ، وإذا أردت أن تقرأ هذا جيدًا أحضر باحثًا اجتماعيًا وأحضر إمامًا، ليتحدث عن المشكلة بعيدًا عن قضية أن يسوق لك الأحاديث والآيات، ولكن يتحدث عن المشكلة وجوانبها..

يعني لو أتيت إلى باحث اجتماعي في موضوع الطلاق، بالرغم أن الشيخ يصل إليه مواضيع الطلاق.. الكثير يصل إليه! هل قام بعملية دراسة؟ هل يستطيع أن يتحدث حديثًا علميًا واقعيًا عن سببها؟

مثلًا: النبي صلى الله عليه وسلم لما حرم أن تُباع الثمرة قبل أن تحمر وتصفر، لماذا باع؟ هو قال! ذلك لأنه رأى عامة المشاكل في الناس أنها تُباع الثمرة قبل زهرتها-يعني كان يراقب صلى الله عليه وسلم حركة البيع، ولماذا تقوم المشاكل؟ فلذلك حرم هذا الأمر، وكذلك فإن النبي صلى الله عليه وسلم-نهى رسول الله عن بيع الغرر! والغرر على ما قيل معناه في كلام طويل، وأجمع - وليس أصوب - الأقوال ما قاله ابن تيمية: "حيث وجد بيعٌ يترتب عليه مشكلة فهو بيعٌ منهيٌ عنه".. هذه قراءته.

وابن القيم لما أراد أن يفسر اقبال ابن تيمية على الطلاق الثلاث أنه طلقة واحدة، بعيدًا عن النصوص ومناقشتها، فإنه نظر للواقع؛ قال: إن عمر منع الطلاق الثلاث بقوله: رأيت الناس قد تجرؤوا -يعني الناس تجرؤوا طلاق بالعشر ثلاث، طلاق بالألف، طلاق بالثلاث.. قال: لهم ما تولوا.. قال: فلما رآهم تجرؤوا عالجهم بضد ما تجرؤوا عليه..

قال: لأن الطلاق الواحد - طلاق في الجلسة الواحدة، الثلاث في الجلسة الوحدة يؤدي إلى التيس المستعار- وظاهرة التيس المستعار في زمانه واضح أنها ظاهرة -؛ يعني تكلم عنها ابن القيم كثيرًا في كتب كثيرة له أقوال أنها كانت مشكلة، كانت حالة اجتماعية، وظاهرة اجتماعية!

فذلك قال قوله، قال: لا، بل نرجع إلى بعض كلام أهل الفقه، ولا نؤدي إلى التيس المستعار؛ هذا جزء من دراسة..

الكلام الآن: لو أردنا أن نتحدث عن الشيوخ، وكيف يتحدثون عن الظواهر، كيف يتحدثون عن المشكلات، كيف يتحدثون عن الأحداث-الحديث ضعيف، سياسيا! لأنه يوجد خصيٌّ! يوجد عملية إخصاء..

ولأن المادة-أول شيء العقل الذي يُختار لها عقل لا يستحقها، ليس بالرجل الكافي لهذا الأمر، فالمادة التي يُعطاها ليست صالحة لمثل هذا التحليل إلى غير ذلك...

السائل: أنا لم أفهم، لماذا نرد القول الذين يقول أنه بالفعل لو توجهت الأمة بمجموعها إلى أمرٍ

فستناله، الأمة في مجموعها لو توجهت إلى الجهاد فستنال هذا الأمر وسيتبع شأنها، ولكنها – بالفعل يوجد أشخاص مميزين في الأمة مثل صلاح الدين–، وقد يجد أفضل من شيخ الإسلام ابن تيمة أشخاص، لكن لا يوجد حوله من كان حول شيخ الإسلام ابن تيمية..

الشيخ: هذا من الأمور التي يشير إليها ويمر عليها، على طبيعة الكتاب المختصرة، بأن البيئة أمر ضروري لنشوء العظماء، العظيم لا ينشأ في نبتة في أرض قاحلة هكذا لوحده، لابد من بيئة ملائمة لإنشاء العظماء، ولابد من بيئة ملائمة لتنفيذ إراداتهم...

يعني: لو صرخوا في البرية لوحدهم، لا، لا يحدث أثر، ولا يغيروا شيء من التاريخ..

أما قضية أن الأمة بحاجة أن تتحرك–لا شك أنه فرق بين أن نتحدث عن نخبة–بمعنى نخبة قليلة، يعني نتحدث عن جماعة لا تعدوا نصف المئة من المئة في داخل المجتمع وتريد منها أن تغير، وبين أن يكون هناك نخبة–بمعنى كمية كافية للتغيير! هذا فرق!

لابد من وجود حركة أمة لعمل التغيير، أما أن الأمة كلها تمشي وراءك هذا لم يحدث!

والدليل؛ أنت ترى في سوريا مثلًا بين أيدينا هذا النموذج، الأمة قامت! يوجد مجموعة من الأمة قامت، والأغلب ممن هاجروا ممن جلسوا.. الخ، ليس الجميع، هذا إن شاء الله الجواب.

السائل: لما تكلم الشيخ عن الخطر الخارجي: الصهيوني، والصليبية، ومخططات الاستعمار، وتكلم عن الشعوب المخطط الداخلي في المجتمع، وتكلم عن العامل الداخلي المتعلق بالأفراد، لو تتكلم لنا عنه...

الشيخ: من الأعظم خطرًا: المشاكل الداخلية، أم المشاكل الخارجية؟

الأعظم: الداخلية، هي المشكلة الأكبر، القرآن يتحدث عنها أكثر ما يتحدث عن الخصم والآخر، بل حين يتحدث عن الشيطان، كيد الشيطان ضعيف، يتحدث عن الأعداء **{سَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}**،

سيتحدث عنهم.. ولكن المشكلة في داخل أمتنا، وأين المشكلة فيها؟

فهو يقول -وهذا صحيح بصورة كبيرة- أن الأمة في هذا العصر -هذه عبارتي وهي جزء مما فهمته منه- أن هذه الأمة حاوية لكثير من التناقضات التاريخية التي نشأت، وورثنا كثيرًا من الأفكار الغلط، من ذلك الصوفية -ويعلق الشيخ على الصوفية تعليقًا شديدًا- أي أنه لا يراها جزءًا من الحل البتة، وهكذا، على ما تقدم..

فيقول: بأن العوامل الداخلية هي التي ينبغي أن يهتم بها الدعاة، بالمعالجات، من ذلك لما ذكر الحديث-لما ذكر التعلق بالقدر.. أحضر كلام ابن القيم، أنه أربع آيات يتحدث عنها القدرية المجوسية في تغيير مفهوم القدر إلى حالة سلبية، وتعليق المشاكل العظمى في الأمة عليه، وهكذا، هذا الذي يدور حوله الكلام إن شاء الله..

نقطة في الحقيقة مهمة جدًا في الكتاب، وهي نقطة التحدي، فهو يقول في المحاضرة الثالثة، وهذه نقطة قرآنية، بأن وجود التحدي يحفز الطاقات، ويحفز الإرادات في الصراع، فالتحدي عامل مهم جدًا أن تنشئه في نفس الفرد، وبنائه؛ أن تُنشئ التحدي في داخله من أجل أن يُنشئَ الصراع في الآخَر..

ولكن يقول: ينبغي أن لا يكون التحدي صانعًا للخوف المؤدي للفشل، أو مؤدي لقتل الإرادة، يقول: ينبغي أن لا يصل إلى هذه الدرجة، ينبغي أن يكون التحدي محفزًا من أجل صناعة الوعي، وصناعة الإرادة والتغيير، وهذا مفهوم من قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا} [الفرقان: ٣١] التي أخذ منها ابن تيمية رحمه الله، أن وجود الأعداء للأنبياء من نصر الله لهم، يقول: وجود العدو عامل نصر ورحمة إلهية للأنبياء من أجل أن ينشأوا فيها؛ أن ينشأ عندهم النصر والهداية، فهذا أمر يُهتم به، والله تعالى أعلم.

فقط هذا الذي عندي بارك الله فيكم...

سائل يسأل: المؤلف ذكرت أنه تكلم عن الجماعة وما الجماعة التي كان فيها، ثم ذكرت تلميذه

"محمد العبده"، هل هو كان يعمل على نظرية إنشاء التلاميذ، هل له مجموعة تلاميذ مثلًا يعمل عليهم؟

الشيخ: ولله أنا لم أسمع أن له تلاميذ على المعنى العام، كما نسمع للشيخ فلان والشيخ فلان، ولذلك في الحقيقة: لو أنك ذهبت لتبحث عن المتكلمين عنه، يعني كم مرة بُحث هذا الكتاب أكاديميًا أو بُحث في سبيل الإظهار ما له وما عليه؟ أتكلم الكتاب والكاتب!

فللأسف لا تجد.. تجد صحراء قاحلة في الحديث عنه، ولا تجد اهتمامًا؛ مما يدل على أنه ربما على قاعدة الإمام الشافعي مع الإمام مالك؛ ليسوا أفقه من مالك، لكن لم يجد تلاميذًا يقومون بحقه، وربما هذا جزء مما ذكرته لك في موضوع من خبرات الرجل لأنه اشتغل كثيرًا كإداري، فربما هذا يُفسر ما نحن فيه..

سائل يسأل: الشيخ خصوصًا أنه في دمشق ورأى كثيرًا من الحفاظ، مثلًا معاهد شرعية كثيرة تنتشر في دمشق، ويتخرج حطاب وحفظة متون، لكن مثل ما تفضلت يعني ممكن نقول كلمة سلبيين في مجتمعهم.. بقوا سلبيين في مجتمعهم، نفس الشيء في ليبيا مثلًا يوجد كثير حفاظ وكثير من المناطق، هل السلطة لها دور؟ الدولة هل فيها نظام يفرض عليهم أو يعين المدراء والشيوخ وإنشاء المعاهد في ظل هذه الأنظمة؟

الشيخ: أولًا-بلا شك- أن مشكلة عجز الفقيه عن ممارسة دور عسكري أو سياسي هي معضلة قديمة، وهي فِصام نَكِد، هذه الثنائيات التي وجدت في تاريخ أمتنا بين الفقيه والإداري، والفقيه والقائد، والفقيه والسياسي، هذه فُصام نَكِد، بعيدًا عن فقه القرآن، ولكنها مشكلة قديمة، وابن خلدون تعرض لها في المقدمة وقال بأن الفقهاء لا يصلحون لا للسياسة ولا للقيادة، والسبب أن عقلهم كلي، بحيث يأخذون الكليات وبعد ذلك يقيسون الغائب على الحاضر، والحاضر على الغائب.. على الطريقة التي نشأت في عصره..

فقال: لا يصلحون لهذا السبب، وهذه بلا شك ثنائية باطلة، ثنائية مرفوضة، لكن الواقع فرضها، إما لتغييبهم وإما للحالة العلمية التي نشأوا فيها، يعني إما لأن الحكام في ذلك الوقت رأوا أن الفقهاء في التاريخ سببوا لهم مشاكل في إظهار النموذج الطيب أمام الحاكم الفاسد الموجود أمام الناس...

ولذلك فعبد الملك بن مروان في وقت مقدم نهى الخطباء والقُصاص أن يأتوا ويحدثوا بسيرة عمر؛ لأن التحديث عن سيرة الفاروق تهدد النظام، وتوغل الصدور عليهم، وتُنشئ المشاكل...

لكن بلا شك؛ العلماء كانوا يقوموا بدور المراقبة، ما كان هناك مؤسسات في داخل الدولة مثل هذه الأيام مؤسسات، لكن كانت مؤسسات حقيقة واقعية...

يعني لما نتحدث الآن عن المدرسة العلمية: هل كان هناك مؤسسة؟

الجواب: نعم، كانت مؤسسة ولكن بطريقة صحيحة، ليس بطريقة اليوم: مدير ورئيس، ومن ثم يسرقوا، وأبنائهم يأتوا... الخ، المؤسسة بالمفهوم الحديدي الذي يؤدي إلى الفساد لم تكن موجودة، والدليل قول الإمام مالك: ما أفتيت حتى أذن لي سبعون شيخًا في الإفتاء–إذن–يعني الآن لما تريد أن تفتي، تذهب إلى مؤسسة الإفتاء ويعطوك إذن بالإفتاء، هذه مؤسسة–لكن هذه مؤسسة فاسدة.

فمؤسسة الإفتاء في الدول الإسلامية كلها فاسدة وغير شرعية، وغير صحيحة، وباطلة، فأول من أدخل نظام "مفتي الشعب، مفتي المملكة، مفتي الأمة"، هو سليم الثاني لما دخل إلى دمشق ووجد أن هناك خلافات كبيرة، والسبب كما نعرف دائمًا: أنه لا تنشأ الأمراض إلا بأسبابها الداخلية!

فالغزو لا يأتي من الخارج إلا إذا شعروا في وجود أمة مهدمة الحصون، مهدمة الحمايات، فتُغري اللص للدخول إلى سرقتها!

دخل هو دمشق فوجد الفقهاء الأربعة؛ وجد المفتين من الفقهاء الأربعة على خصومة، متقاتلين، فهو جاء كحامي حمى الإسلام والمسلمين وأوجد ما يُسمى نظام الإفتاء ووضع الشافعي هو الإمام ومشت الأمور تحت سيطرة نظام من يعينه، والأصل المؤسسة العلمية لا يعينها إلا هم، ولكن لو

وجدت مؤسسة مدير ورئيس وكذا، في النهاية سيدخل فيها الفساد بلا شك..

تدخل الأموال، تدخل المؤسسية، تدخل الإدارة، تدخل البيروقراطية، تدمرها! كيفية وجود المؤسسة العلمية في تاريخنا–المؤسسة موجودة–يعني لو أراد أحد أن يطعن فيها لا يستطيع!

وذاك قال المأمون–لما مات اليزيد بن هارون–قال: الآن طاب لي ملكي!

إذن كان يشعر بخطر هذا الشخصية عليه!

كان الحكام يحاولون جاهدين إرضاء العلماء –قصة هارون الرشيد مع سفيان الثوري مشهورة! لأنهما صديقان قبل الخلافة، فبعد أن تولى الخلافة أحضره – قصة معروفة– ترك حذائه، أقسم عليه أن يعود، قال له: احلف أن تعود إلي! قال: أقسم أن أعود..

لما أرغمه–فنسيَ، أو ترك حذائه ليعود، فخرج ثم رجع فأخذ حذائه من أجل أن يبر بيمينه أن يعود إلى هارون الرشيد..

لكن كانت مؤسسة قوية وصلبة، وحاكمة، ومراقبة، وتصل إلى درجة الصدام –يعني حركة التوابين حركة صدامية من أجل الإصلاح–، حركة النفس الزكية تصل إلى درجة الدم بين العلماء والحكام.. هذه حركات العلماء على فكرة، ليست غوغاء ولا جماهير ولا كذا...

حركة التوابين حركة علماء–صحابة، فسليمان بن صرد رضي الله عنه هو الذي قادها؛ صحابي، وكذلك حركة النفس الزكية مشى فيها كل العلماء على رأسهم مالك وأبو حنيفة، فضلا عن بقية العلماء..

فكان يصل صدام العلماء مع الحكام إلى الدم، وكذلك عبد الرحمن بن الأشعث وهي حركة مهمة جدًا مفصلية في تاريخ أمتنا؛ وكان ضوؤها سعيد بن جبير، وبقي مطاردًا.

فكانت المؤسسة العلمية مؤسسة مسيطرة ومراقبة، ولها دور في تاريخ الأمة، وهذه المراقبة هي التي

تقوم بعملية غسل الأمة في كل فترة، وتقويمها من مسار الانحراف.. تعيدها..

ولكن للأسف دخلت المؤسسة والمشايخ ضمن السلطان، فذهب شأنها، وذهب أمرها، الآن أنت ترى أن كل بلد؛ المشايخ يحبون الآن أن يعيشوا على التراب الميري- أليس كذلك؟- كانوا يسمون الوظيفية في مصر "الميري"، فالمشايخ يحبون ويريدون أن يزيدوا إغراقًا وذهابًا في المؤسسة في داخل السلطة!

هم يحبون ويريدون الميري أكثر، لأنها ممتعة، فيها زهرة الحلاوة التي يأكلونها..

فالطريقة: هي عودة المؤسسة إلى ما كانت عليه؛ أن تعود المؤسسة إلى ما كانت عليه بسلطانها، بقوتها، بهيبتها، بقيادتها للأمة، حينئذٍ الأمة إذا ترى العلماء القدوة الصالحة، حتى لو شُوهت هم يعرفونها..

وأحد الإخوة-أنا لست يعني بفضل الله لم أرها، لكن قال لي الأخ-وكان قادمًا من مصر، قال: الأفلام التي أنتجتها المؤسسة الأمنية المصرية ضد الإخوة باسم "الإرهابي" و"الكباب والإرهاب"، قال: هذه كان لها أثر عكسي جدًا، هم أرادوا إسقاط الشيوخ فكان لها أثر، لماذا؟

السبب: أنهم يعرفون الشيوخ؛ فهم يقدمون الشيخ بصورة الرجل اللص، النزق، الشهواني، وكذا.. قال: هم يرون الشيوخ، هم الذين يقومون في العيادات، هم الذين يقومون في المساجد، هم المؤسسات الخيرية، هم الدكاترة، هم أساتذة الجامعة، هم.. فالصورة أنهم يكذبون! فكانت الصورة قاتمة، لكنها أتت بالأثر العكسي بسبب الواقع..

يهتم هو - كما هذا يذكرنا باهتمامي-أنه لا يمكن أن يقوم لصناعة الإنسان الفاعل في هذه الأيام- نحن أتينا بها على قضية أن الشيوخ-لأنه بلا شك أن طالب العلم لأسباب كثيرة فقد فعاليته.. هذه الفعالية بسبب إرث تاريخي موجود وبسبب ممارسات كذلك! فلما نقرأ مثلًا: كرومر، ماذا صنع في المؤسسة التعليمية في مصر، صحيح؟

أنشأ مدارس من مدارس الألسن، مدارس صارمة، معلمًا الإنسان المثقف؛ بصرامة لا يوجد فيها لعب! وتُعلم بصورة صحيحة، وتُخرج كوادر يمسكون مناصب الدولة، ولكن تجد الذي يتخرج من الأزهر راتبه قليل، مقابل ذاك الذي راتبه ضعف أو ثلاث أضعاف أو أربعة أضعاف ما يأخذه راتب الأزهر.. تحقيرًا لهم، مع عدم الاهتمام بهم، فأنشأوا مدارس بديلة، سواء أكان مدارس الألسن، سواء أكانت مثل دار العلوم-دار العلوم أُنشأت بديل الأزهر..

ودمروا هذه المؤسسات، القاعدة إذًا: موجود تربة -للأسف- صالحة لدراسة المستعمر، ويدمر بقايا ما في الأمة من خير.. وهذا يعيدنا إلى النظر في كيفية إعادة صناعة الإنسان؟

فلا بد أن من العودة إلى القرآن؛ لابد من إعادة الفقيه القرآني.. لما الإخوة يدرسون، أقول لهم دائمًا: علم الحديث لم ينشأ من شيء اسمه علم الحديث، وخاصة علم الحديث، ما الذي أنشأ علم الحديث؟ من أين نشأ؟ نشأ من داخل المجتمع! هذا العلم خاصةً هو علم اجتماعي يتعلق بالخبر! فمن أين نشأ؟ الأمة أنشأته! الأمة أنشأت هذ العلم.. ومن الذي أنشأ الأمة؟ هو القرآن! لكن أساس هذا العلم كيف تكون؟ من إنشاء مجتمعي.. نعم...

إن شاء الله الكتاب القادم؛ دعونا نرجع إلى كتب الأقدمين قليلًا ونناقش كتاب "الإمتاع والمؤانسة" لأبي حيان التوحيدي..

بحيث نمر قليلًا على التاريخ الآخر، لا يوجد كتب لابن الراوندي في الحقيقة، لأنها جزء -ولكن سنتكلم على هذه الثلاثية المتعلقة بـ-كما يقول ابن الجوزي: "أن أئمة الزنادقة ثلاث -وقال: وأخطرهم أبو حيان التوحيدي لأنه يُسرُّ والأخرون يعلنون"..

وأريد أن أنوه بقضية تتعلق بهذا العنوان "المسؤولية"، هناك كُتيب صغير، لكن نسيت اسمه لنهاد درويش، أحد يبحث عنه..

أخذه سلمان العودة وألقاه محاضرة-ألقاه بحروفه وكلماته-، يعني كما هو ولم ينسبه له، وهو يتعلق

بقضية مرض إسقاط المسؤولية، كيفية تحايل الشيطان–أظن الحيل النفسية، تذكرته نعم، اسمه "الحيل النفسية"، كتاب صغير ومهم جدًا، موجود في الانترنت أليس كذلك؟

كتاب صغير–أنا أنصح كل أخ أن يقرأه قبل أن ينام الليل مما يستطيع، كتاب قيم جدًا، يتعلق في طرق الشيطان والحيل النفسية في إسقاط التكاليف عن كاهلك، وهذه المحاضرة للأسف مع قيمتها وأهميتها، أخذها من أخذها، ولطشها من لطشها، ولم ينسبها لصاحبها..

الكتاب اسمه "الحيل النفسية" لنهاد درويش؛ فهذا يفيد كثيرًا في بيان علينا أن نتحمل المسؤولية: (كلكم راعٍ وكلكم مسؤولٌ عن رعيته) لو أننا شعرنا بهذا الشعور وبنينا أنفسنا، وبنينا أبنائنا على هذا الأمر، بأن الدين هو مهمة لنا، أو على قاعدة أبي بكر المشهورة: أينقص الدين وأنا حي؟ لتغير الحال وشعرنا–وقمنا بواجبنا حق القيام..

السائل: السؤال يقول: أخ يقول "كنت في سوريا، وسُجنت في سجون الطاغية، ولما خرجت من السجن هاجرت إلى أوروبا، فما حكمي في الشرع؟".

الشيخ: إذا تتكلم وأنت قد تركت الجهاد وهاجرت؛ فأنت آثم وفار من الزحف، أما إذا أن تتكلم أن هذا تم قبل الجهاد فالناس لهم أعذار، وأنصحك أن تترك أوروبا وأن تعود إلى سوريا مجاهدًا...

سائل يسأل: شيخنا، نتكلم عن المشكلة الوجدانية ذكرت كتابين؛ نصح فيهم، قصة الإمام، وكتاب محمد زكي، ماذا أيضًا كتب تنصحنا بها؟

الشيخ: قصة الإمام نديم الجسر لا، لا يصلح –وإن شاء الله سنختار هذا الكتاب، ولكن هذا يُقرأ، يعني الحديث عنه صعب، يعني تنصح الناس أن يقرؤونه، ولكن كيف أنت تقرأ هذا الكتاب للناس، صعب! كتاب نديم الجسر "قصة الإمام" فهو مهم جدًا..

كتب تربوية –يعني أنا أحب مثلًا كتاب التذكرة– مهم جدًا، "التذكرة للقرطبي"، هذا مهم من الكتب القديمة التربوية، يعني هذا كتاب التذكرة ممكن أن تختاره في البيت أنت وأبناؤك وأولادك، وأنت

وزوجك تقرأان فيه لأنه تربوي مهم، يعني يُذكرك بالآخرة والغيب، ويحضك على الطاعات والعمل الصالح، وهذا الكتاب أنصح به يعني في هذا الباب، والله تعالى أعلم...

سائل: هو يقول لم يكن من المجاهدين ولكنه ترك بعد أن أُعلن الجهاد..

الشيخ: لا، ما يجوز له، يجب أن يعود، فهو آثم، لا يوجد مجاهد كان مجاهدين وغير مجاهدين–الذي يخرج من سوريا الآن لغير مهمة تصلح للمجاهدين، هذا آثم، لا يجوز..

يأتون–يأتون من مشارق الأرض ومغاربها يقاتلوا عن الإسلام وأنتم تفروا؟!

وكل من يستطيع من المسلمين أن يهاجر يجب عليه الهجرة للجهاد، لا تردوا أن الناس ليسوا في حاجة، غير صحيح..

بارك الله فيكم، والحمد لله..

إذن الكتاب القادم إخواني، وسيكون شاق في الحقيقة، لكن لما يُقرأ من قبل الإخوة سيتمتعون؛ "الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي"، تفريقًا له عن أبي حيان الأندلسي الغرناطي اللغوي الشهير المفسر..

بارك الله فيكم...

بسم الله الرحمن الرحيم

تفريغ

مناقشة كتاب

الإمتاع والمؤانسة

لأبي حيان التوحيدي رحمه الله

ضمن مشروع (ألف كتاب قبل الممات)

وهو الكتاب الخمسون

تاريخ المناقشة: ٥ تشرين الثاني ٢٠١٦.

إن الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحبه الغر الميامين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ وهدىً وتقى إلى يوم الدين، جعلنا الله عز وجل وإياكم منهم.. آمين آمين.

أهلًا وسهلًا بالإخوة الأحبة مع الكتاب رقم "خمسين" من كتب مشروع (ألف كتاب قبل الممات)، وهو كتاب "الإمتاع والمؤانسة" لفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة "أبي حيان التوحيدي".

وبعض من ينتسب للثقافة أو ينتسب للعمل الإسلامي يخلط بين أبي حيان التوحيدي وأبي حيان الغرناطي الأندلس المفسر، فنقول: أبو حيان التوحيدي هو البغدادي، المشرقي، ولم يكن له شأن في التفسير، وكان شغبه في الأدب وما يجُرُّ حوله من قضايا وهوامش. أما أبو حيان الغرناطي فهو من أعيان القرن الثامن الهجري، وهو اللغوي الشهير، والمفسر العظيم، صاحب "البحر المحيط" وغيره من الكتب المشهورة المعروفة؛ فلا نخلط.

وهناك شخصية بعضهم يخلط فيها، وهو ابن حيان الأندلسي، وهو صاحب كتاب "الإحاطة في أخبار غرناطة"، فبعضهم يخلط بين أبي حيان الأندلسي وابن حيان الأندلسي، فنفرق بين بين هذه الشخصيات الثلاثة.

يعني عندنا ابن حيان الأندلسي؛ مؤرخ مشهور معروف، وهو من تلاميذ ابن حزم، ظاهري معروف من تلاميذ ابن حزم، له كتاب "الإحاطة"، وكتب أخرى كذلك.. وعندنا أبو حيان الأندلسي الغرناطي، وهو مفسرٌ لغويٌ شهير.. وعندنا أبو حيان التوحيدي.

لماذا سُمي بالتوحيدي؟ مختلف في ذلك؛ بعضهم يقول: نسبةً لعمل أبيه، وهو بيع نوع من أنواع التمور في بغداد اسمه: "التوحيد".

وبعضهم يقول: لا، التوحيد نسبةً لما ينتسب إليه المعتزلة -كونه معتزليا -، من أهل العدل والتوحيد، فسُمي التوحيدي، وهذا لقبٌ سمَّى نفسه به؛ يعني التوحيدي هو الذي سمى نفسه بذلك.. وأنا أميل إلى القول الثاني، لأنه كثيرًا ما يذكر: يا أهل التوحيد، يا أهل التوحيد، يذكر هذا في كتبه.

الحديث عن هذا الكتاب مُتعب، وإذا كان في كل المرات يتمنى المرء أنه لم يقم بهذا المشروع، ففي هذه المرة أكثر أمنية، وأشد أمنية أنه لم يقم بهذا المشروع، ولم يتعب فيه؛ لأنَّ الحديث عن أبي حيان التوحيدي، وعن كتاب "الإمتاع والمؤانسة" شاق ومتعب؛ فهو شاق من جهات متعددة: شاق في الحديث عن الشخص، المؤلف من هو؟ وما هو الكلام فيه؟

وشاق من جهة ما الذي يمكن أن يُقدَّم من هذا الكتاب للمعاصر من أجل أن يكون جزءًا من مشروعه في إعادة ثقته في ثقافة أمته، وهذا موضوعٌ متشعب طويل، لا يستطيع المرء أن يقوم به [منفردًا]!

وإذا كان الحديث عن مثل هذا الكتاب بمثل هذه المشقة؛ فإن أي جهدٍ يبذله المرء لا يمكن للناظر أن يُدرك تعب المتحدث فيه.

الشيخ أحمد شاكر - رحمه الله - المحدث صاحب "الباعث الحثيث"، يشكو بأن الناظر إلى عمل المحقق؛ لا يدرك تعبه! فهناك كلمة تجدها في المخطوطة، حتى تتحقق من هذه الكلمة ربما -هو يقول- تستغرق منك ثلاثة أيام، أو أسبوعًا، أو شهرًا، من أجل أن تتحقق وأن تكون أمينًا في إنزالها كما ينبغي، وذلك من أمانة الشيخ محمود شاكر رحمه الله، فإنه في تحقيقه لكتاب الرسالة لم يستطع أن يقرأ نصًا، فصوره بسينوغراف كما كانوا يقولون قديمًا بسينوغراف، صوره كما هو ووضعه، قال هكذا هو يعني-وهذا من أمانته!

واليوم يتلعبون.. وقد وجدت بعض من يُقال لهم بالمحققين وهم محككين.. يعني يُحكُّوا، أنه يأتي إلى المخطوطة ويقول: ولا ينبغي أن لا يكون هذا!

أنت ما شأنك.. ينبغي أن لا يكون هذا؟ هو صاحب الكتاب وأدرى به.. وبعضهم فعل هذا في كتب الحديث! ويوجد نماذج الكثيرة ولا نريد أن نضيع الوقت في ذكرها.. بل بعضهم يتلعب في كتب الحديث، ويقول: وليس هكذا الأمر! مع أن الحديث باللفظ، وله وجهٌ في اللغة، وله وجهٌ في الرواية، وينبغي أن تثبت، ولكن هذا هو الواقع..

والحقيقة أنَّ الموضوع مخيف ومرعب في الدخول في هذا الباب... فالقصد: بأن التحقيق، أن تحقق من أجل أن تثبت لفظة يقولها العالم وتثبتها، ليس بالأمر الهين!

هذا الجهد الخفي الذي يبذله العالم ولا تراه أنت، أنت ترى الكلمة مثبتة، ولكن كم بذل جهدًا وراؤها، فأنت لا تراه!

والبعض يسمي "لعبة الكارتيه": القوة الخفية؛ فأنت ترى جسمه كجسمك، لا شيء مميزًا، لكنه إذا نزل يُريك من العجائب ألوانًا، وهكذا..

فالكثير لا يرى كيف يبذل المرء جهده في مثل عرض الكتاب إذا كان بمثل هذا المشقة من الموضوع..

ما أحب أن أبحثه هنا؛ في ثلاث قضايا أريد أن أبدأ بها:

القضية الأولى: قضية شخصية أبي حيان التوحيدي، وهذه مهمة جدًا عندي..

القضية الثاني التي سأتحدث عنها، وهي: قضية أن هذا الكتاب، أو أن شخصية أبي حيان التوحيدي أخذها ما يسمى "بالتنويريين"، وهي جزء من معركة الثقافة في أمتنا.. وسأتحدث عنها إن شاء الله؛ فإنهم يعتبرون أبا حيان التوحيدي هو جزء من تراثهم الذي ينتمون إليه، جزء من سطوة العقل أمام النقل، أو خروج العقل المتحرر العظيم ضد سيطرة النص، وهذه معركة نخوضها على جبهات متعددة، سنبين أهميتها وخطورتها.

المسألة الثالثة: أن أتحدث شيئًا قليلًا عن الكتاب؛ لأن الكتاب لا يمكن الحديث عنه بالتفصيل

لكثرة ما فيه.

أولًا: **الحديث عن أبي حيان التوحيدي**؛ فأنا أريد وأشعر أن من الواجب إخراج هذا الرجل من مأزق اتهامه بالزندقة.. إذ المشتهر في المدرسة الدينية – أو المدرسة الحديثية المعاصرة – أنها تتهم أبا حيان تقليدًا، لبعض أهل العلم ممن تكلم فيه أنه ملحد، أو أنه زنديق..

وينتشر الكلام الذي قاله ابن الجوزي – ولعل هذا الكلام لا أعتقد أن ابن الجوزي قاله، ولكنه أخذه من شيخه ابن عقيل، وابن عقيل له سيطرة كبرى على عقلية ابن الجوزي مع اتساع عقل ابن الجوزي، ولكن ابن عقيل أثر بلا شك كثيرًا على ابن الجوزي.. ولها آثار أتحدث عن بعضها –، أنه قال:

"الزنادقة في تاريخ الأمة ثلاثة: أبو علاء المعري، وأبو حيان التوحيدي، والثالث–أظن ثالث، لكن دعونا نضعه الراوندي، أو الريوندي، أو الروندي، أو الرندي، على خلافٍ فيه"...

قال – متابعًا الكلام –: "بأن أشدهم هو أبو حيان التوحيدي، لأنه جَمجَم، وهم قد صرحوا".. هكذا ينطقون هذه العبارة..

ونذهب إلى من يترجم له في كتب الرجال على طريقة المحدِّثين، كابن حجر، وكالذهبي؛ ينقلون الكلام الواحد لا يزيدون عليه، بأنه زنديق، وأنه ملحد، مع عدم وجود رواية واحدة عنه تدل على هذا الاعتقاد الذي يُتهم به، أو هذه المحنة التي ينسبونه إليها..

ابن الريوندي ما عندنا كتب في الحقيقة له، لكن هناك كتاب ألفه "عبد الأمير الأعسم"، رسالة دكتوراه عن "تاريخ ابن الريوندي الملحد"، هو الكتاب الجامع لما اتهم به من كل الكتب التي وصلتنا في ابن الريوندي..

وعندما يأتي مثلًا: الإمام الذهبي –رحمه الله– أو يأتي غيره؛ فيتكلمون عن اعتقاد ابن الريوندي أو الراوندي، ينقلون له كلامًا –يعني هناك كلام قاله، وإن كان لم يصل لنا أي كتاب من كتبه، ووصلت الكتب الرادة عليه –، لأن خصومة ابن الريوندي لم تكن مع أهل السنة؛ يعني لم يكن هناك كتب ألفت

فيه، وإنما ذُكرت ترجمته على عادة المترجمين لرجال التاريخ الذين لهم أثر أدبي، علمي، ثقافي، ديني، حديثي، إلى غير ذلك..

ولكن الذين نصبوا المشانق لابن الريوندي هم المعتزلة، لأنه ألف كتابًا في مثالب المعتزلة، فشهروا أمره، والكتب أخذت عن كتب المعتزلة ماذا قال، ولم يصل إلينا شيئًا من كتبه، وينسب له أن له كتاب "الدامغ" في الرد على القرآن، وينسب له أقوالًا ملحدة، بين في إلحادها إن صحت له، وأظن أنها صحيحة لابن الريوندي...

وأما أبو العلاء المعري فالخصومة فيه كبيرة، وإذا المرء قرأ "لزوم ما لا يلزم"، أو قرأ له "سقط الزند" فيجد له عبارات بالفعل يمكن أن تُحمل على المعاني الخطيرة، في قضية إنكار البعث، في قضية نقد الشريعة؛ مثل قضية كلامه عن العقل الذي هو الدية، يمكن أن تجد له، وإن كان هناك بعض الكبار من ينفي عنه تمامًا هذا.. أنا أميل أنه كان وسخًا، والسبب: رواية واحدة، ليس ما يقوله من شعر –يقوم بعض العلماء بتنقيته أو بحمله على المعاني الصحيحة –، أنا عندي رواية لرجلٍ ثقة قابله، وحدث عن زندقته، وهو: أبو عمرو بن الصلاح؛ الشهير، الإمام الكردي، الفقيه، المحدث.. أنا مُصِر على كردي، لأنه في الحقيقة أبو عمرو بن الصلاح كردي تمامًا، وينطبق عليه بيت الشعر:

ورأسي رأس كردي ... ولا ينشق بالبلطة

كان رجلًا صلبًا، وقويًا، وشرسًا في الحق، وفي التعليم، إلى غير ذلك، بالفعل هو كردي صحيح...

فقابله لما مر على المعرة، جلس إليه وحدث عنه –وأنا هذه الرواية الثقة تكفيني في هذا الباب في الحديث عنه، عن أبي العلاء المعري..

لكن؛ أنا أبحث عن كلمة تنسب، كلمة واحدة لمن سب على أبي حيان التوحيدي، ولا كلمة، إلا أنه زنديق!

ابن الريوندي يقول: قال في القرآن كذا، قال في محمد صلى الله عليه وسلم كذا، قال في...الخ،

يذكرون

طيب: أعطونا كلمة واحدة منسوبة لأبي حيان التوحيدي؟ أين هي؟ لا نجد!

الكتب التي انتشرت لأبي حيان التوحيدي كتب رائعة! وفيها تعظيم الإله، وتعظيم الشريعة، وتعظيم النبي ﷺ..

كتاب "الإمتاع والمؤانسة" لا تستطيع أن تجد فيه كلمة، مع أنه كتبه متأخرًا؛ فقد عاش أكثر من مئة سنة، يعني مئة وأربع سنوات تقريبًا.. ودفن كتبه بعد التسعين، كثير من كتبه دفنها! لأسباب، تعود إلى شخصيته، يمكن أن نمر عليها إن كان هناك وقت، أو هناك أهمية لذكرها خلال السياق.

فكتاب "الإمتاع والمؤانسة" من أشهر كتبه، إذا ذُكرت كتب أبي حيان، يُذكر: "الإمتاع والمؤانسة"، يُذكر "المقابسات"، يُذكر "البصائر والذخائر"، يُذكر "الصداقة والصديق"، يُذكر "مثالب الوزيرين"..

"البصائر والذخائر" قرأته كله من أوله إلى آخره، قرأته مدققًا، ولا تجد فيه إلا ما يُعاب على ما يذكره الأدباء، وهو أنه يذكر مرات بعض القصص التي فيها الألفاظ التي نستنكرها في الواقع الاجتماعي، وهذا موجود في كتب الأدباء.. فلو ذهبت إلى كتب الجاحظ تجد هذا، ولو ذهبت إلى الأغاني تجد أشد من ذلك!

لا أريد أن أذهب إلى "ألف ليلة وليلة" لأنه لا يمثل أي إرثٍ علمي أدبي.. ولا ينبغي أن تضيع وقتك ولو لخمس دقائق فيها، لا قيمة لها، ولا يوجد فيها أي إرث، سوى التصاوير والقصص الخيالية المكذوبة على تاريخ أمتنا..

لكن "كتاب الأغاني" مليء، وتجد في كتاب "البصائر والذخائر"، وقد طُبع، وقدمت له تلميذة إحسان عباس "وداد القاضي" الشهير؛ مقدمة جيدة، فتجد الكتاب فيه تعظيم الشريعة، تجد فيه تفسير الآيات، والأحاديث، تجد فيه الدعوة إلى الأخلاق على طريقة عصره، وفقه عصره، وطريقة ثقافة عصره..

كتاب رائع؛ هو ليس من مقتنياتي نعم، لكني قرأته بدل المرة مرتين لظروف جعلتني أهتم به مرةً.

"مثالب الوزيرين" لا تجد فيه أي شيء مما يُعاب في دين الرجل، سوى أنه رجلٌ نزق، ومخاصم جلد، إلا كرجلٍ فقير كان يحرص أن يلبس دائمًا زي الصوفية لفقره، والرجل عاش فقيرًا، ومات فقيرًا، بل مات مُطاردًا، وصحب الوزراء فلم يجد إلا البخل منهم، فصاحب الصاحب ابن عباد، وصاحب ابن العميد، وكان يطمع بأن يكرماه، فلم يفعلا، فلما نزل بغداد ألف فيهما هذا الكتاب، وسماه "مثالب الوزيرين"، وهو كتابٌ رائع، جميل، فيه من المتعة الذهنية، بغض النظر عن ظلمه، وعدم ظلمه، هذه قضية ليست بالشيء الكثير.

كتاب "الصداقة والصديق": كلام لا تجد فيه إلا ما يُذكر في كتبه الأخرى..

عندنا كتاب "الإمتاع والمؤانسة" من قرأه لا يجد فيه إلا رجلًا معظمًا للشريعة، معظمًا لله، إذن لماذا يقول ابن الجوزي، وأظنها نقلًا عن شيخه ابن عقيل أنه كان يجمجم! أين هذه الجمجمة؟

بالتعقيب (يعني أن تقوم متعقبًا) الآن.

قد يقول قائل: أنت تريد أن تخالف الذهبي في السير؟

نقول: حسبك... فإن الذهبي حين يتحدث عن رجال علمه يكون له القول، فهو حين يتحدث عن أهل الحديث فإنه ينقل كلام الآخرين، ومع ذلك يذكر قوله، يذكر ما هي دراسته في الرجل، ما هو رأيه، فحينئذٍ يُقبل قوله..

لكن كثيرًا ما ينقل الذهبي في "سير أعلام النبلاء" أقوالًا لآخرين مسلمًا لها؛ لأنها كذا نُقلت فيذكرها، قال فلان ويذكرها.. ولا تجد أي تحقيق في هذا المقال، وهو هنا ينقل لنا الذهبي كلامًا بحرفه منقولًا عن "ابن فارس" اللغوي الشهير، وابن فارس هو معاصر لأبي حيان، وسبه سبًا مذقعًا على طريقة الخصوم والمعاصرين والمتعاصرين، دون أن يذكر لنا رواية، حتى لم يذكر لنا قصة..

مثلًا؛ يقول: هو زنديق! -مثلًا- وجلست معه فرأيت منه كذا وكذا، وقال كذا وكذا..

نعم، يُعاب عليه شيء واحد، وهو أنه ألف في ما اتهم فيه، فالزندقة أنا أنفيها عن أبي حيان، والحقيقة أن كلمة الزندقة إذا استقرت في ذهن طالب العلم، فإنها تمنعه من الاستفادة من كتب هذا الرجل..

وكتب هذا الرجل نافعة، كثيرًا؛ فأول منفعة في كتب هذا الرجل: أنها تبين لك صورة العصر الذي عاشه هذا الرجل، حقبة القرن الرابع الهجري، قرن اختلطت فيه الفلسفة بالفقه، باللغة، وكان عامة أهل اللغة -عامة اللغويين -؛ كانوا معتزلة..

لأن أبا حيان التوحيدي هذا هو تلميذ لرجلين عظيمين من أئمة اللغة، فهو تلميذ أبي سعيد السيرافي، ولعلي بن عيسى الرماني، وكان في عصره شخصية ثالثة عظيمة وهو: أبو علي الفارسي..

هؤلاء الثلاثة؛ إذا ذُكر جبال اللغة في القرن الثالث والرابع الهجري؛ فإن هؤلاء الثلاثة هم قمة أئمة النحو واللغة، وأولهم من؟ الرماني-أبو الحسن الرماني، وأبو علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي... والرماني ذكرناه، في بحثنا هذا.. ذكرناه في الإعجاز؛ لأنه من أوائل من كتب في إعجاز القرآن، ولذلك كان هذا الرجل عبقريًا عظيمًا في عقله، وعبقريًا عظيمًا في لغته..

فهؤلاء الثلاثة كان بينهم تنافس شريف وعظيم، وبينهم ود واحترام عجيب، وحين يميزون بينهم -

ولذاك كانوا يقولون عن هؤلاء الثلاثة: رجلٌ يتكلم ولا يُفهم عليه لعُسر كلامه، ولغوره، وعمقه، وهو الرماني..

ورجلٌ إذا تكلم فُهم نصف كلامه، وهو الفارسي.

ورجلٌ إذا تكلم فُهم كل كلامه، وهو السيرافي.

والثلاثة عجم -الحمد لله-، والثلاثة معتزلة، أي يُقال عنهم معتزلة، أما الرماني فمعتزلي ويُصرح بهذا،

وأما الفارسي فكذلك، وأبو سعيد السيرافي يجمع أهل التاريخ الذين يؤرخون له أنه كان يسر ذلك ولا يظهره، لا يوجد أدلة على ذلك..

فهؤلاء –الرماني والسيرافي – هم شيوخه، ولذلك في هذا الكتاب "الإمتاع والمؤانسة" هو الذي عرفنا بالرواية الشهيرة، وكل من ساق لنا هذه الرواية العظيمة أو أخذ بها، وهي مناظرة أبي سعيد السيرافي ليونس ابن متة؛ القنائي الذي هو المنطيقي صاحب المنطق في المناظرة الشهيرة، فكل من ساقها أخذها من هذا الرجل، وهو ذكرها عن غيره، ولم يحضرها، لأنه لما جرت المناظرة كان عمر صاحبنا أبي حيان..كان عمره عشرة سنوات فقط.

فمثلًا "ياقوت الحموي" في المعجم–في المجلد الثامن أظن–لما يسوق المناظرة يأخذها من أبي حيان التوحيدي..

فما يهمنا أن فائدة هذا الكتاب بيانه تلك البيئة التي يعيشها المثقفون في عصره.. ماذا كانت علومهم، ما هي ثقافتهم؟

هي مجالس العلم، فمجالس كتاب الإمتاع والمؤانسة؛ هي مجرد سوق لمجالس جرت بين أبي حيان التوحيدي وبين أبي علي العارض الوزير، أليس كذلك؟

والظاهر طلبها منه مع شيء من المال، وهو صاحبه "أبو الوفاء المهندس"، لكل واحدٍ منهما ذكره هنا وفي المقابسات.. في سبعةٍ وثلاثين جلسة، سبعةٍ وثلاثين ليلة، وكل ليلة مليئة وغنية بالعلوم والثقافة، فتبين لك ثقافة أهل العصر الذي عاشه هذا الرجل.. أمتنا كيف كانت تتحاور.. ما هو مستواها العلمي؟ هذا في القرن الرابع الهجري.. ماذا كان مستوى الوزراء؟ ماذا كان مستوى الفقهاء؟..

وكيف كان الكل يجلس من أجل خدمة الشريعة، وإذا دافع عنها دافع عن الشريعة..

حتى هنا نص لأبي حيان، يقول: "وما حمي قلبي في الدفاع إلا نصرةً للشريعة" فهذا النص يرد على من اتهمه بالزندقة..

فأولًا؛ أعظم فائدة لهذا الكتاب، أنها كاشفة لتاريخ أمتنا.. لحقبة من تاريخ أمتنا، في بيئة ممكن أن تسميها هي بيئة الوزراء، والعلماء، ومن كان على شاكلتهم، لأنه حديثٌ يدور في هذه البيئة وحولها.

النقطة الثانية التي تُستفاد من هذا الكتاب فيها كثيرًا، وهي: اللغة؛ فلا يمكن أن "تكوثر" -كما اشتقها بعض المعاصرين-، فأنت تحتاج إلى الكثرة اللغوية، تحتاج إلى غناء لغوي.. فأين تجد هذا الثراء حتى ترقي لغتك؟ لأنه كما قال ابن تيمية-رحمه الله-: "إذا اتسع العقل، اتسعت العبارة"..

العامي لا يحتاج إلا أن يقول هكذا - إشارةً فقط - حتى إنه لا يتكلم، إذا سأله أحد: أريد كأس ماء؟ يقول له مشيرا بيده فقط.. لا يتكلم كالعجماوات، فإذا ارتقى صار يتكلم، فإذا تكلم عن الأمور العظيمة احتاج إلى لغة، احتاج إلى مادة لغوية، احتاج إلى ثراء، احتاج إلى تراكيب عظيمة..

وهذا لا يمكن أن يتحصل إلا في قراءة كتبٍ ما، لغةٍ ما. تحصل لديه هذه الذائقة في معرفة الكلام..

هذا لابد أن تقرأه في كتب الأدب، أنت بحاجة -أيها الأخ الحبيب- إلى قراءة كتب الأدب، وأنا أميل قليلًا لا كثيرًا، إلى أن من أسباب جلافة -لا داعي أن يزعلوا مننا لكن نقولها- ما يسمى "المدرسة السلفية"، في أن قومها لا يعرفون إلا فلان وضاع، وفلان كذاب.. وأنتم تعرفون هذا الكثير قاله قديمًا وحديثًا، يقولون ويدورون حول هذا الفلك..

وأنت بحاجة إلى أن تربي ذائقتك العلمية، وأن تربي ذائقتك الذهنية، وذلك بأن تقرأ لكتب الأئمة.. وهذا-على الذكر فقط- البعض يظن أن هذا شيءٌ جديد مبتدع في داخل المدرسة السلفية، فهل تعرف أن أبا حيان التوحيدي قرأه ابن تيمية قراءة كاملة.. قرأه، وتستطيع أن تجد هذا في كلامه، وظهرت شخصية ابن تيمية في معرفته بالرجال، بل في قسوته مرات في الحديث عنهم؛ عندما تكلم عن ابن حزم، فجعله سُفُسْطَائِيًا في شرحه للرسالة الأصفهانية..

وهي رسالة للمذهب الأشعري -ولكنه شرحها الشرح العظيم، والصلب، والقوي -، وتكلم عن أبي حيان، قال: هو على مذهب الفلاسفة، على طريقة الفلاسفة، ولن نتهمه بالزندقة/ وكان عادلًا..

وللذكر؛ فإن الذين يتهمونه بالزندقة، سياقًا لما قاله ابن فارس من المعاصرين –سواء كان ابن حجر، أو الذهبي –، لكن وجدنا من ينصفه، وينظر إليه نظرة ناقد.. وللأسف، هناك في التاريخ من تظهر لهم شموس فتُغَيِّب الأقمار، وفي السواقي ما ليس في البحار.. في السواقي ما ليس في البحار...

الآن مَن غير المتخصص يقرأ "شرح بدر العيني الحنفي على صحيح البخاري"؟

يسأل الناس؛ فإذا قلت "فتح الباري" انتهى الأمر، وذهبت كل الأقمار حوله.. لكنه كتابٌ لا يستغني عنه طالب علم والعيني معاصر له، وصار بينهم خصومة، ولا نريد أن نتكلم عنها فهذا ليس بابنا.. ولكن يهمنا أن نعرف أن شرح بدر الدين العيني فيه فوائد وغنى، وشيءٌ عظيم...

أن يقول قائل: إنَّ بدر الدين كان يسرق منه بعض كتبه؛ هذا لا يهمنا، يسرقوا، أو لا يسرقوا، هذه قضية بينهم، المهم أننا نحن نستفيد..

كان هناك طرفة، فقد كان أحدهم يسأل: أن هناك كتبًا قديمة، طُبعت قديمًا، ونبحث عنها فلا نجدها، فتسأل بعض المطابع؛ أحضروا لي النسخة فأصورها لكم وأبيعكم إياها، فكان البعض يتساءل: هذه سرقة؟ يجوز أو لا يجوز.. فكان الجواب: يا عمي يسرقوا لكن نستفيد! يعني نريد هذه الكتب، تسرقوا أو تطبعوا، المهم أن نرى الكتب! هذه كنا نقولها لما تغيب الكتب.

القصد: أن في السواقي ما ليس في البحار–السبكي سواء أكان الأب: تقي الدين، أو الابن: تاج الدين–هؤلاء علماء عظام، ولهم فقهٌ عظيم، يعني السبكي له فتاوى مطبوعة، وأعظم كتب الابن، هو: طبقات الشافعية، وهذا لو قرأته لسحرك! يعني: إذا بدأت بالكتاب، وقرأته قراءة علمية –حتى لو قرأته قراءة ساذجة باحثًا عن مناقب الرجال وتاريخ أمتنا –، يسحرك هذا الكتاب! لكن قدر السبكي أنه خصم لابن تيمية.. قدره، خاصمه في مسألة "الطلاق الثلاثي"، خاصمه في شد الرحال، فكأنك إذا ذكرت السبكي؛ خلاص لا قيمة له...

فالحقيقة أن السبكي إمامٌ عظيم، سواء والده أو هو، وكان عادلًا، وله كلام في كلامه عن شيخه

الذهبي رحمه الله.. القصد أن السبكي في كلامه عن "ابن حيان" أنصفه، وقال: ليس كذلك، الرجل ليس كما يقول شيخنا الذهبي..

والخصومة- لا أريد- قال تاج الدين- يقول: كنت إذا رجعت من الدرس يسألني والدي؛ لأنه يذهب إلى المزي، صاحب "تحفة الأشراف في معرفة الأطراف"، فيذهب إلى الذهبي-وهو شيخه- وانتقد الذهبي، وله رسالة في انتقاد الذهبي وطريقته في كلامه على الشافعية والأشعرية وكذا، ويذهب إلى ابن تيمية.. ويمر على هؤلاء...

قال: فإذا رجعت، فيسألني والدي: أين كنت؟

فإذا ذكرت المزي -يعني جئت من عند المزي-، قال: فخم أمره وعظمه، لكن إذا جئت من عند غيره سكت...

القصد بأن السبكي أنصف أبا حيان، وتكلم عنه كلامًا جيدًا، وهو مطلع، وقارئ عظيم، الإمام السبكي رحمه الله -مع تحيزه، وهو شافعي في النهاية، يؤلف عن أصحابه الشافعية، فلابد أن يكون فيه شيء من التحيز والدفاع عن مشايخه-..

إذن الفائدة الأولى، تظهر لما تكلمنا أيها الإخوة الأحبة عن الديارات، ماذا أردنا بها؟ أردنا أن تقرأ البيئة، لما نتحدث عن "الديارات"؛ ما الذي في الديارات؟

الآن تريد أن تعرف ماذا كان يدور في القصور.. ما الذي كان يدور عند الوزراء؟

هؤلاء البويهيون.. هؤلاء ناس أصولهم من العجم..

لكن كيف بدأ الإنشاء؟ بدأ بابن العميد وانتهى بابن الحميد؟ وابن العميد كان وزيرًا..

فهؤلاء علماء، ومجالسهم للعلم، ويناظرون مناظرة العلماء؛ هذه بيئة يجب أن نقرأها وأن نتعلمها، لأننا في الحقيقة نريد أن يعرف أبناءنا، وتعرف الأمة، أن الإسلام عندما يصل إلى درجة بناء الحضارة

يكون شيئًا عظيما، في البداية يكون بناء القواعد، هذا في الأول، إذا بنيت بيت، ماذا تبني الأول؟ قلناها أكثر من مرة، القواعد بماذا تبدأ؟ الحجارة، والتعب، والإرهاق–لكن بعد ذلك البيت ليس كله يقوم على هذا النوع! فكانت بيعة الإسلام هي بيعة العلم!

لو أردت –وأنا مرةً أردت أن أفعل هذا وهو مجموع عندي– أن أذكر فقط مكتبات الملوك والوزراء، ليعرف الناس أي أمةٍ خلت، وأي حكامٍ كانوا يحكمون، ويجاهدون–ولكن أي حكام!

لما نتكلم عن صلاح الدين الأيوبي–هل نعرف القاضي الفاضل؟ هل نعرف العماد الأصفهاني؟

هؤلاء علماء كانوا يصاحبون صلاح الدين في حله وترحاله، وعظماء، ويجمعون ما يُسمى اليوم بالموسوعية؛ علماء موسوعيون بكل معنى الكلمة، إذن هذه نقطة...

النقطة الثانية التي نريد، وهي: أن يغنى لساننا بهذا، أن يغنى عقلنا ولساننا بهذه المادة العلمية..

فإذن أنت كيف تغني ذائقتك اللغوية؟ كيف تغني حوصلتك –كما يقول المغاربة – حوصلتك اللغوية، كيف؟ لابد أن تقرأ هذه الكتب؛ كتب الأدب، من أجل تقوم لسانك، من أجل أن تغني ألفاظك، من أجل كذلك أن ترقي ذائقتك –حتى الإنسانية– هذه التي تكلمنا عنها!

أنت لما تقرأ "البيان والتبيين" أو كما يصر الشيخ عبد السلام هارون أن يُسميه "البيان والتبيُّن" يرجح هذا العنوان..

عندما تقرأ "الحيوان" للجاحظ، عندما تقرأ هذه الكتب، عندما تقرأ لأمتنا.. أنت لا ترى ما يريد أن يقزم به خصومنا وبعض الجهلة في داخلنا أن يقزم تاريخ أمتنا!

أنت تترقى، أنت تصبح إنسانًا آخر، تفهم الحياة بطورها الصحيح، وبصورتها الحقيقية! وأنت تجمع كذلك اللغة، ترى الألفاظ كيف تتراقص أمامك، ترى الشخوص، ومع الشخوص ترتفع معارفك، وعلومك، وذائقتك الإنسانية فيما يُحب، وما يُكره، وما يُقبل، وما يُرد، إلى غير ذلك.. هذا ما يصنعه

هذا الكتاب.

الشيء الثالث المهم جدًا في هذا الكتاب، وهذا ما يتعلق بمسائل الشريعة؛ فهنا لما يفتتح الليلة التاسعة والعشرين في الجزء الثاني، الصفحة (١٩٠)، يفتتحها بسؤالِ الوزير لأبي حيان التوحيدي، يسأله عن آية سورة الحديد **{هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ}**

الآن -نحن لم يصل إلينا- في الكتب التي أُلفت في الفقه، وألفت في التفسير، وأُلفت في اللغة، إلا ما كُتب، وهي كتبت على طريقة العلماء، لكن كيف كان يتحدث الخطيب والواعظ حول هذه الآية؟ هناك القليل مما وصلنا..

كيف كان يتحدث الفقيه؟ كيف كان يتحدث الواعظ والمحاور والمناظر عن مسألة فقهية؟ كيفية الحوار حولها.. فأنت الآن إذا أردت أن تعرف المسألة الفقهية تذهب للمغني، تذهب للمجموع، فكيف يرتب المسألة؟ بالطريقة المعهودة المعروفة لطلبة العلم..

عندما تريد أن تذهب للتفسير، عندما يُقال لنا: بأن ابن تيمية افتتح تفسير سورة نوح، فمكث فيها أكثر من عشرين سنة، ولم ينهِهَا! مجالسه كلها في الحديث عن سورة نوح، ولم ينتهِ منها! ماذا كان يقول ابن تيمية فيها؟

هذا لا يمكن أن تجد حوله الحديث إلا في هذه الكتب، أنت تذهب بهذه الكتب بطريقة الالتواء من أجل أن تعرف كيف كانوا يتحدثون!

فعندما نأخذ مثلًا هذا الكتاب بيننا، وهو الحديث عن "الإمتاع والمؤانسة"؛ لتفسير هذه الآية { **هُوَ الأَوَّلُ والآخِرُ والظَّاهِرُ والبَاطِنُ** } فأنت مثلًا لو ذهبت لكتب التفسير تجد الطريقة المعهودة، كلهم يدور في فلكٍ مقارب، وقد يذهب بعضهم مذهبًا تربويًا قليلًا بألفاظ مختصرة حتى لا يُتهم بأنه خارج سياق التفسير العلمي.. لكن الآن يتكلم بها الواعظ، يتكلم بها العالم، يتكلم بها المربي! كيف؟ كيف كانوا يتكلمون؟

أنت إذا سمعته وقرأته وجدت صورةً أخرى لما يتحدث به المفسرون في تفسيرهم لكتاب الله!

اليوم أنت تجلس أمام الشيخ فيسجل لك المسجل، ذهبت هذه! كل ما تكلمه العلماء من هذه العلوم حول هذه الأمور، سواء المسائل التي تخص طلبة العلم، لأن هناك شيئًا آخر..

هذه المسائل التي تخص طلبة العلم قد ذهبت؛ غير موجودة، فأين يمكن أن تجدها؟

تجدها في هذه الكتب، كتب الأدب، وتجدها مرات كثيرًا في كتب اللغة، تذهب إليها فتجد العالم قد انبسط فيها، لأنه يتحدث عن خبرٍ جرى، وعن كلمة جرت، فأنت تعلم منها، وبهذا ترد على الذين يريدون فقط أن يجعلوا التفسير فقط قراءة روايات السند في التفسير..

تجدون هؤلاء مرات حين تكتب كلمةً في التفسير خارج السياق، يقول: "عليك بآثار السلف.. عليك بآثار السلف"، فهؤلاء لا نريد أن نقول عنهم كلمة ربما صعبة أن تخرج في هذا المجال، لكن هؤلاء جهلة وانتهى، لا يعرفون..

أعود وأقول؛ عندما يُقال أن ابن تيمية مكث في سورة نوح كذا وكذا سنة؛ هل كان يكتفي أن يقرأ لنا ما قاله أهل التفسير؟ ما قاله ابن جرير من روايات عن التابعين والصحابة والأثر المرفوع، والموقوف، والمقطوع؟

لا! كان يتحدث شيئًا آخر! أين نجده هذا؟ أين هو؟ لا نجده إلا في هذه الكتب، وقد تجد بعض كلام ابن تيمية في هذا الباب تجده في "مدارج السالكين"، فيما ينقله عنه تلميذه ابن القيم، صحيح؟

أو تجد فلان ينقل لك هذه اللمحات القليلة ولكنها لمحات كانت سريعة، كما أنك تكتب كتابًا فيقتطع منه المعجم لفظة، فيثبتها ويترك الباقي مع أن الباقي كذلك مهم..

فإذن؛ ما يهمنا في هذا الكتاب، هذا الحديث الذي كان يجري بمثل هذا الاتساع، ونتكلم عن التفسير لأن الناس يحبون هذا، ولكن كيف يتكلم عن اللغة؟ عن الألفاظ؟ كيف يتكلم عن التاريخ؟

كيف يتكلم عن أخبار الرجال؟

وأعظم ما في كتب أبي حيان؛ إذا سأل أحد: ما هو أجلّ ما في كتب أبي حيان التوحيدي؟ أجلّ ما فيها هي قدرة هذا الرجل على تقييم الرجال؛ أصاب أم أخطأ، لا يهمنا..

إذا تحدث عن الرجال الذين عاصرهم، شاهدهم، رءاهم، أنت تطوف معه في رحلةٍ من أجمل ما يكون.. ذكرنا ثلاثة؛ ذكرنا الرماني، وذكرنا السيرافي، ذكرنا الفارسي..

في صفحة، أظنها في المجلد الثاني عند حديثه عن الرماني والسيرافي وكيف كل واحد، تستطيع أن ترى في الجلسة الأولى، حديث عن أهمية الحديث والمحاورة وقيمتها، ومن أراد أن يعرف قيمة الحديث، المناظرة، والمباحثة، والمذاكرة، فليرجع إلى الجلسة الأولى، إلى الليلة الأولى، فإنه يتحدث حديثًا جميلًا رائعًا..

وفي الليلة الثانية يتحدث عن الرجال، في الثالثة يتحدث عن الرجال، الرابعة يتحدث عن الرجال عن أقسام الناس..

كأن هذا الرجل على ما ذكر عبد الملك بن مروان عن الشماخ ابن ضرار، ماذا قال عنه؟ لما رآه واصفًا أجمل الوصف للحمر الوحشية، قال كأن أباه كان حمارًا؛ لقدرته على التغلغل في نفسية الحمير، كان يتحدث عنه الشماخ ابن ضرار –وهو صحابي رضي الله تعالى عنه–..

فهذا الرجل كذلك عنده القدرة على التغلغل في نفوس الناس، وعلى حديثهم، وعلى معرفة طبقاتهم في العلم، ما الذي يتقنه؟ يتقن في هذا، ويتقن في هذا، كيف يضيع..

ويتحدث عن رجال عظماء أضاعهم العمل ليشتغلوا في الدنيا، كأنك ترى هذه الحياة بين يديك، والحياة كأنها تسري أمامك، بقدرة وصفية وإخراجية عظيمة جدًا! إذن هذا مهم جدًا في قراءتنا لهذا الكتاب المهم..

بعد الخروج منه، ستخرج بحديث عن الشعر، وعن آدابه، وعن لغته، وللذكر فهو يحدثنا عن الجلسة التي جرت بحضور المناظرة بين أبي سعيد السيرافي وبين متة القنائي.. يحدثنا عن حضور رجل عظيم من نقد الشعر، وهو: قدامة بن جعفر، وتعرفون أن قدامة بن جعفر له كتاب في نقد الشعر! فانظر من كان يجالس!

ولذلك أقول دائمًا، أيها الإخوة الأحبة: العالم لا ينشأ في الصحراء.. لما نتكلم عن ابن تيمية نتكلم عن جموع من العظماء حوله! يتكلم معه ابن القيم، يتكلم معه الذهبي، يتكلم معه الذهبي، يتكلم معه البرزاني، يتكلم معه ابن عبد الهادي، يتكلم معه الذهبي، يتكلم معه السبكي، يتكلم معه عظماء حوله!

ولما نتحدث عن هذه البيئة، من العلماء، نتحدث عن بيئة من العلم بينهم هذا الحوار العظيم، وهذه المناظرات، وهذه المناقشات.. التاريخ الإسلامي مليء بمثل هذه العظمة..

النقطة المهمة جدًا: هذا الذي قلته أخيرًا؛ هو مدخل لأن نعيد رجالنا إلينا ولا نسمح بسرقتهم، هذا نبهت عليه كثيرًا، لكن هنا كذلك واجبٌ شرعي أن أنبه عليه..

لما نشأت المناهج الكافرة الزنديقة في أمتنا، سواء من قومية أو يسارية أو علمانية، مطلقًا هكذا.. فإنها بدأت بإظهار تاريخنا أنه هو المدد لهؤلاء، ونحن تكلمنا مرة عن كتاب سابق؛ بعضهم يعُدُّ أن أول من حاول قراءة تاريخنا استخدامًا من أجل دينه ومذهبه يقولوا: "حسين مرَوَّى" في كتاب "النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية"؛ بعضهم يعد هذا، وهو طبعًا يأخذ هذا من المذاهب اليسارية المشهورة، وشرحنا هذا في كتاب مذبحة التراث، لجورج طرابيشي، شرحنا هذه النقطة..

هنا نقطة أخرى: أن هذه المذاهب التي قامت؛ بدأت بإظهار شخصيات تمثل هذا الفكر، طه حسين بدأ على طريقة المستشرقين، بإظهار الحركات الهدامة في تاريخنا أنها حركات ينبغي أن تدرس، وأن يقابلها الشأن، وأن تُقرأ قراءة جديدة بعيدًا عن تاريخ أمتنا كيف قرأتها..

يعني مثلًا: حركة الزنج هي حركة السفلة المنحطين، وهم قرامطة إباحيين لا دين عندهم، دخلوا

البصرة وأحدثوا فيها المذابح، والقتل، وانتهاك الأعراض، وبُكيت البصرة بكاءً مرًا من قبل الشعراء..

فمثلا؛ حاول "طه حسين" أن يجعلها مثل "ثورة العبيد" التي جرت في أوروبا –سبارتاكوس؛ إذا سمعتم بها– فيجعلونها ثورة عظيمة من أجل القيام ضد العبودية، أو "ثورة القرامطة" نفس الشيء، هي ثورة ضد البرجوازيين! هذه قراءة إسقاطية، ليس لها من التاريخ أي نصيب!

من الجانب الآخر هناك أناس سُرقوا من أمتنا، وبالتالي صاروا رموزًا عند خصومنا يتغنون بهم، ونحن تركناهم، وكأنها غنيمة حرب أخذوها من بيننا..

يعني الآن: ماذا فعل ساطع الحصري؟ أخذ من عندنا ابن خلدون! وكان مُعظمًا له، حتى سمى ابنه خلدون، وأبو خلدون ساطع الحصري، وجعل أن أول من أنشأ نظرية "العصبة" بالمفهوم القومي؛ بعيدًا عن الدين هو ابن خلدون! وكأن ابن خلدون لم يُعد إسلاميًا! ولذاك "ابن خلدون" ينبغي أن يعود إسلاميًا..

كذلك الآن ما يُسمى بالتنويريين – العلمانيين، الآن عمدتهم –مما يحبون – أبا حيان التوحيدي، وكأن أبا حيان التوحيدي ليس منا! كأنه ليس من تراثنا، ولا من أمتنا، ولا من ثقافتنا، وليس هو إنتاجًا إسلاميًا، وبالتالي يستطيعون أن يرتكزوا عليه من أجل بناء مذهبهم الجديد، ودينهم الفاسد.. هذه مصيبة وطامة!! ولذاك نطلب إلى الناس إعادة قراءة هؤلاء العلماء قراءة عظيمة، من أجل أن نحقق واقعهم كما هو؛ يعني يمكن لنا أن نعيد النظر في قاعدة: أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب..

صحيح أنا ضد المعتزلي في داخل الصف الإسلامي، لكن أنا والمعتزلي ضد الملحد.

فلما يتحدث "الرماني" ويدافع عن القرآن، ويتكلم عن إعجاز القرآن، هذا إنتاج إسلامي أم إنتاج خارج إطار الإسلام؟ هو إنتاج إسلامي مع اعتزاليته!

هكذا ينبغي أن نتعامل مع هذه القضية، وهذه ثقافة..

هناك من المدارس المعاصرة من أماتتها، ومن دمرتها، وصار الحديث كأنه عن شخوص!

ولذاك لما تقرأ لهم؛ يقول: من مجددي الإسلام ابن تيمية، وابن عبد الوهاب!

من ستمئة إلى ألف ومئتين، وين رحت يا رجل؟! ستمئة عام من أمة الإسلام أين ذهبوا؟ لا يوجد مجددين؟ يعني أين المجددين؟ وكأنهم غير موجود -لو سألتهم- سيبدأ الحديث عنها، هذا إجرام في حق هذه الأمة!

"أبو حيان التوحيدي" هو إنتاج هذه الأمة، أنا أتكلم عن الكتب.

وفي هذا المعنى فالكثير يسألني، يقول لي: ما القول في الغزالي؟ أنا عندي ما دخلك فيه! شخصية مضت وانقضت، إلى ربها، ونسأل الله عز وجل أن يكون في أعلى عليين..

لكن هذه كتبه الآن بين أيديك، أنت لا ترث شخصية الغزالي، باعتبار شخصه، إلا في جوانب كإظهار الشجاعة، وإظهار الجلد في طلب العلم، وإظهار الصدق مع الحق، وإظهار قوة الشجاعة في إظهار الحق، وهذه الجوانب!

أما ماذا قضى؟ هذه قضية لا تعنيني..

يعني: الآن أعظم كتاب من أعظم كتب الأصول، وأنا لا أحب الحديث في هذا، وإن كان هو المادة التي أحبها، فمن أعظم كتب الأصول "الإحكام في أصول الأحكام" للآمدي، وهو اسم على مسمى لكتاب ابن حزم.

وكان الشيخ عبد الرزاق عفيفي – حتى يقبلوها منا بعض الناس – لا يقرأ لطلبة العلم في الدراسات العليا إلا منهم، وهو كتاب عظيم..

أنا لا يهمني أن أذهب فأقرأ عن الآمدي الفيلسوف أنه يصلي أو لا يصلي؛ فمن الصعب أن نحقق فيها الآن، وذكروا عنه أشياء غريبة جدًا..

فأنا حينئذٍ، ما هو المطلوب مني عندما يقع الشك في كون هذا الرجل ما هو؟ أن أفصل الكتاب عن الكاتب، وأقرأ هذا الكتاب باعتباره إنتاجًا إسلاميًا عظيمًا، وهذا الذي ينبغي أن يكون!

وهذا عام في كثير من الشخصيات في تاريخ أمتنا، عام ليس فقط في هذا الواحدي، وأهل الحديث هم أكثر الناس إنصافًا: "لي روايته وعليه رأيه" لاحظ كيف هذا التقييم؛ هذه يقولوها عن الرواي المبتدع، فما دخل بدعته في الرواية؟ هذه قاعدة من قواعد الإنصاف التي أرساها الإمام مالك لما بين مراتب المحدثين، وقال: "إن أقوامًا إني كنت لأرجو دعائهم حول هذه الأساطير، لا أقبل منهم حديثًا".. لا يقبل حديثهم ولم يروِ عنهم! رغم أنهم أهل عبادة، وإخلاص، وإخبات، وإنابة، وقيام ليل، وصيام.. لكن حديثهم مدخول؛ ليس لهم الضبط، هذه قواعد هذه الأمة..

القصد من هذا الكلام أن الذي حدث؛ أن هذه التيارات المعاصرة التي قامت سرقت هؤلاء الرجال، والآن تجد أن التنويريين –وهذا اسم هم أحقر من أن يُنسبوا له–، لا تنويريين ولا كما يُقال عن نافي السنة بأنهم قرآنيون، وهذا كذب! فهؤلاء ظلاميون، وهؤلاء مجرمون، ثبت أنه لا قيمة لهم، ولا دين عندهم، ولا ورع، ولا... الخ، ولا عقل، وعندهم الكذب، والجهل، ولذلك يتبجحون بأنهم من أصحاب هذا الرجل "أبي حيان التوحيدي"، والأمر ليس كذلك، هذا منا وفينا، ومن إنتاجنا، ومن إنتاج هذه الأمة، ومن إنتاج القرآن والسنة، وتاريخ القرآن والسنة، يصبح بعض الشطط، هنا، وهنا، وخروج من هنا، ولكنه في النهاية هو إنتاجٌ إسلامي، يريد أن يحافظ على الأمة، إلى غير ذلك.

هذه نقطة ينبغي أن نهتم بها، وأن نقيم لها الشأن المهم.

والذي أدعو إليه إذا كان طلبة علم عندهم وقت، لأن يقرأوا هذا الكتاب؛ فهذا الكتاب يُقرأ! ينبغي أن يقرأه طالب العلم، أن يقرأه المحدث، أن يقرأه القرآني، أن يقرأه المفسر، أن يقرأه دارس الاجتماع، أن يقرأه... وهناك أمور هذا الكتاب كانت مصدرًا له؛ يعني: أول كتاب ذكر كتاب "إخوان الصفا" –تذكرون لما ناقشناه– هو أبو حيان التوحيدي في كتابه هذا، وذكر عنه أشياء وأنصفه، قال فيه المقالات التي رأيناها في الكتب، من غير كذب، ولا تزيد، ولا غير ذلك..

وقلنا سابقًا: لا تعرف المناظرة بين المنطيقي وبين اللغوي إلا من هذا الكتاب، ولذلك القراءة فيه – هي قراءة رحلة العقل العقل المسلم في وضعٍ اجتماعيٍ معين، دخلت فيه الفلسفة، دخل فيه اختلاط الأمور العلمية المتشابكة، وتظهر لك شخصية المثقف في ذلك الوقت..

يعني: من هو أبو حيان؟ أبو حيان يعدونه أديبًا، يعدونه فيلسوفًا، يعدونه قرآنيًا.. تجده جامعًا لكل هذه الصور، وهي شخصية ممثلة لتلك البيئة التي نتحدث عنها.

هناك أبحاث غريبة وصعبة، مثل: الحديث عن النفس، الحديث عن الروح، الحديث عن أقسام الخلاف حول تعريفها كما هو عند الناس، الحديث عن حكمة الحياة وأهميتها..

هذا الذي عندي في هذا الباب..

أبي الفارس هو أول من تكلم عن أبي حيان التوحيدي في كتابه "الفريدة والخريدة" مشهور، وهو كما قلنا معاصر له، توفي سنة ثلاثمئة وتسعين للهجرة..

يكفي هنا.. لا أريد أن أطيل على إخواني، ولكن كنت أريد أن أقول: ليت بعض طلبة أهل العلم يجمعوا لنا الحِكَم التي قيلت فيه، في الحقيقة نقل حكمًا كثيرة؛ فالإمتاع والمؤانسة هو كنزٌ ثري، ومنجمٌ لا ينتهي في الحِكَم الحياتية التي تدور على ألسنة العلماء، وألسنة الناس، وألسنة الحكماء..

فلو أن أحدًا جمعها لكان في ذلك الحسن الكثير إن شاء الله تعالى..

كقوله: "وما تعاظم أحدٌ على من دونه إلا بقدر ما تصاغر لمن فوقه"! ماذا رأيكم بهذه الكلمة؟

هذه تجدونها في الموظفين؛ هذه أجلَّ ما تكون في الموظف، أعلى من دونه فرعون، أعلى من فوقه أرنب..

"دعوة للحوار: حادثوا هذه النفوس؛ فإنها سريعة الدثور–أي الذهاب–، الصمت ينيم العقل".

هذا الذي عندي إن شاء الله في هذا الكتاب..

الأسئلة بعد المناقشة

السائل: نقل عن ابن المقفع فضل العرب على الفرس والروم.. ما رأيكم؟

الشيخ: نعم، الحقيقة أن الكلام عن الشعوبية كلام ممتع في داخله، ولكن أنا أشرت في إحدى التغريدات لأفضل كتاب في الحديث عن رد الشعوبية لابن قتيبة، في فضل العرب، فضل علومهم، وفضل عقلهم، أظن قرأتموه؛ مطبوع عدة طبعات، في الرد على الشعوبيين لابن قتيبة الدينوري رحمة الله عليه.

عندي بعض المباحث ولكن للأسف لم أكن قد رقمتها؛ فيكفي هذا..

انظر أحدهم ماذا قال عن هذا الكتاب–وهذا صحيح، حقيقة صحيحة، قال: "ابتدأ أبو حيان كتابه صوفيًا، وتوسطه محدثًا، وختمه سائلًا ملحفا"..

الذي حاوله الدكتور "محمد محمد أبو موسى" في كتابه "النقد البلاغي" الذي ذكرناه، ماذا حاول أن يقول لنا في الكتاب؟

نحن نريد أن نصنع عقلًا كاملًا، كل كتاب هو جزء من قطعة ليشكل لك الصورة الكاملة، لتشكل فهمك لهذه الحياة؛ أولًا لكتاب ربنا، لسنة رسولنا، لواقع أمتنا، لتاريخها، حتى تصنع منك حكيمًا بعد ذلك..

ماذا حاول؟ حاول أن يقول لك: لا تقرأ كلام الأوائل كما تقرأ الجرائد، كل كلمة يقولها عالم فإنه عنده من مخبوء أحداثها، وأفرادها، ما يعجز أن يؤلف فيه الكتاب..

يعني لما نحن قرأنا هذه الحكمة: "لا يتعاظم أحد على من دونه حتى يكون قد دفع الثمن بتصاغره على من فوقه"؛ هذا الرجل كم راقب من أحداث الحياة حتى كون هذه العبارة؟ كما أن هذه الحكمة العملية نتجت من مراقبة الحياة العملية، كذلك الكلام عن الكتاب يحتاج إلى منهجٍ علمي في معرفة

صورته الكلية، ليس فقط ألفاظه.. ليس فقط الألفاظ، ولكن يعرف صورة الكتاب الكلية..

فلما يأتي يقول أحدهم عن كتابه: "ابتدأه صوفيًا، توسطه محدثًا، انتهى به سائلًا ملحفا"؛ لأنه أنا ابتعدت عن سيئة أبي حيان، ولا بأس أن نذكرها الآن في الختام..

"أبو حيان التوحيدي" رجلٌ فيه سوداوية (نكدي)، والظاهر أنه كان سريع المِلال، أنه يمل بسرعة وكذلك ربما عمله في الوراقة أسقط بعض صورته، فهو بلا شك عند الذين يتحدثون عنه، وعن علمه، وعن لغته، وعن عقله.. يتحدثون بشيءٍ من الاحترام والتقدير، ويعظمون شأنه...

ولكن ربما كان كالمتنبي –ربما-، أنه كان باحثًا عن السلطة، فكلما وجد من الزعيم الذي يمدحه ما ليس يطلب، يهجره.. والظاهر أن–أن الذين عاش معهم كانوا يظنون- لأن المشهور عن أبي حيان أنه كان رث الهيئة، ويلبس لباس الصوفية، فربما يعطونه القليل، فنفسه الكبيرة مع الأسماء الفقيرة- لذلك هجر هؤلاء الوزيرين، وهجر الصاحب ابن عباد، وهجر ابن العميد، وألف فيهم مثالب الوزيرين أو أخلاق الوزيرين؛ لأنه موجود بروايات متعددة، لكنه مطبوع بتحقيق "إبراهيم الكيلاني"، والكتاب جميل جدًا ورائع؛ ليس لأنه سب على العلماء، هذا سب على الوزراء، لكن لأنه فيه حكمة الحياة، وفيه القدرة على التغلغل، وكيف يهجو، وكيف يمدح..

فأبو حيان كان لا يرضى بما يُعطى له، لكن يُعطى له بمقدار ما يرون من زيه، وهيئته، ربما.. فلذلك نشأ عنده هذا القهر الذي أوصله إلى أن يدفن كتبه وهو في التسعين من عمره، قال: هذه الأمة لا تستحق هذه الكتب، فدفنها..

ما هي الكتب التي دُفنت؟ لا ندري، الكتب المذكورة له موجودة، نفقد بعض الكتب اليسيرة، لكن أعظم الكتب: "المقابسات، البصائر والذخائر، مثالب الوزيرين، الصداقة والأصدقاء"، هذه مطبوعة كلها بين أيدي الناس.

وكتاب "الإمتاع والمؤانسة" أول من قام على طباعته: أحمد أمين، وأحمد الزين، ومقاصدهم قريبة من

مقاصد العلمانيين في هذا الباب.

صحيح؛ يوجد فائدة عظيمة في هذا الكتاب: تعرفون لكثرة ما ذُكر فيه من رجال وشخوص، وعلماء، يستحق أن يدخل في كتب التواريخ التي كالتراجم، ولذلك تجد بعض أهل العلم عندما يُذكر الترجمة –كقدامة بن جعفر مثلًا –، فإنهم يعدون مصدرًا لمعرفة قدامة بن جعفر للإمتاع والمؤانسة، باعتباره مصدرًا لمعرفة ترجمته، لأنه كان يحضر عند الوزير؛ فيحضر المناظرات ويشهدها...الخ

يعني هذا الكتاب مليء بأسماء الشخوص والرجال، والمحققون لم يقوموا إلا قليلًا بالترجمة، ترجموا لأشخاص قلة لا يعدون على أصابع اليدين، الاثنتين فقط..

سائل آخر: بقي أمر واحد يُعاب عليه .. ما هو؟

الشيخ: هو هذا، هو الرجل سوداوي النظرة، سريع الملال، يُقذع في الهجاء.. لكن هذه حياة الناس، هذا موجود في كل وقت، وفي كل عصر، وليس خاصًا..

لكن أن يؤلف –يعني أنا لما أقرأ في كتاب "مثالب الوزيرين"؛ أتعجب: كيف هذه القدرة أن يؤلف كتابًا كاملًا، فقط في مثالب الوزيرين! يعني لماذا متفرغ لهم؟ لهذه الدرجة الحقد عليه؟ لكن مع ذلك نحن استفدنا على كل حال، لا لتعلم الهجاء، ولكن لمعرفة التغلغل في نفوس الناس والحديث عنها.

سائل يسأل: يعني الآن هذا الجلسة الثامنة، يتكلم عن مناظرة ما بين؟.

الشيخ: المناظرة التي جرت في الليلة الثامنة، نعم، في الجزء الأول، صفحة مئة وسبعة في الكتاب.. لا أعرف له طبعة أخرى، ما أظن أحد يسرقه – هذا ليس من الكتب التي تصلح للسرقة– يعني لا أحد يشتريها..

سائل يسأل: الآن السرد الجميل بين قصة سيدنا أبو عبيدة، وعمر بن الخطاب، وسيدنا علي..

الشيخ: نعم، هذه ذكرتها أنا، أشرت إلى إشارة تُذكر له..

السائل: هل يُعتبر مصدر موثوق للروايات أم لا؟

الشيخ: لا، لا.. هذه إن صحت له، فقد اعترف هو لما قُرئت عليه قال إني أنا الذي وضعتها! فهذه القصة اعترف هو؛ لما قُرئت عليه، قُرئت عليه لأحدهم، فقال: هذه أنا وضعتها لثلب الشيعة! موجود في ترجمته، موجود في معجم الأدباء..

سائل: هو وضاع شيخنا؟

الشيخ: نحن نقول إن صحت، لكن في الحقيقة هم يعرفون الأدباء ربما يتخيلون، يعني نأخذها على قاعدة أبي علاء المعري في "رسالة الغفران"؛ يعني هكذا يتخيل الحادثة لنقل –بالرغم من أنها تؤخذ عليه–، لا ندافع، لكن هناك قاعدة: "كلما ترجم أحدهم لرجل حاول أن يُخرجه نقيًا"، لا، لا نفعل ذلك، بلا شك أنها إلى الآن لم أقرأ أحدًا نفاها عنه، ولكن أبقى أُعلق: إن كانت له فهو قد اعترف أنه وضعها..

نعم–ولا شك أن هذا ليس من العلم في شيء ولا يُقبل منه..

سائل يسأل: شيخنا–يعني ذكر الحيوانات، هل كل ما ذكره فيه الصحة؟

الشيخ: لا.. في الحقيقة أجمع كتاب، وأفضل كتاب من كتب الجاحظ، وكل كتب عمنا الجاحظ كتب رائعة ومهمة، ولكن أهل السنة يأخذون عليه كذبه على أهل السنة، يأخذون طعنه في أحمد.. له رسائل في طعن في أحمد..

مع أنهم يقولون: ابن قتيبة خطيب أهل السنة، والجاحظ خطيب المعتزلة، لكن ابن قتيبة يعظم الجاحظ، وإن كان يقدح فيه، لكن يُعظم مرتبته وعلمه–انتبه هذه منازل العلماء..

فأجمع كتاب في هذا الباب كتاب "الحيوان"– للجاحظ، لكن إياكم أن يطرأ على أذهانكم أن كتاب الحيوان للجاحظ هو في الحيوان فقط! فإن البعض يظن أنا نذهب نقرأ الكتاب لأجل الحيوان، فيذهب

يفتح التلفاز ليعرف النمر، اليوم فيلم وثائقي عن النمر أفضل من أن أقرأ ما يقولوه القدماء عن النمر-! لا، لا، إذا ظننت أن كتاب الجاحظ في هذا الباب فأنت مخطئ! كتاب الجاحظ كتاب أدب، مليءٌ، غزيرٌ، وفي منتصفه يأتي الحديث عن الحيوان، وإلا فالحديث عن الشعر، عن القصص، عن الأدب، مليء بهذا، وهناك أحد الطلبة الخيار عندي قام بتلخيصه خاصًا له وجمع فوائده، وهو كتاب مهم ورائع، ورحم الله عبد السلام هارون-نعم، في تحقيقه له..

فهل كلام الأقدمين في الحيوان مقبول؟ كثير منه مقبول، مبني على الدقة، والملاحظة، والتجربة، ولكن الكثير منه كذلك مردود، لأنه كانت تنتشر القصص الخيالية حول الحيوانات، خاصة الغريبة، والبعيدة، والليلية التي لا تُبصر بطريقة واضحة، فيتحدثون عنها، كما يتحدثون عن البوم، يتحدثون عن الغراب، يتحدثون عن هذه الأمور، فيها شيء من الخيال، وفيها شيء من الغرابة..

الكتاب القادم إخواني الأحبة، هو كتاب "دفاع عن أبي هريرة" لعبد المنعم الصالح الزير، وهو كتاب مهم جدًا، نموذج من نموذج القراءة المستوعبة إن شاء الله، كتاب أبو هريرة..

والاسم المستعار الذي يطبع به الكتب الأخرى، هو اسمه: عبد المنعم صالح..

وهو صاحب الكتب التي طُبعت باسم "محمد أحمد الراشد"؛ هو نفسه، وهو رجل معاصر، مسكين هاجر بعد عمر طويل، هاجر إلى لندن، ليشقى فيها، نسأل الله أن يخرجه..

سائل يسأل: هو من العراق؟

الشيخ: عراقي، نعم، عراقي..

نتحدث عنه باختصار، لكن هذا من الناس الذين -بغض النظر عن موقفه السياسي، والتنظيمي، والجماعي-، لكن هو من الناس القلائل الذين أحبوا في هذه الحياة أن يعيشوا وراء الكواليس، وهؤلاء قلة.. أنا دائمًا أصور الحياة والعمل مسرح، ومطبخ-أو كواليس كما يسموها.

-الغرب يتقن- يحبون أن يظهر للمسرح واحد، ممثل واحد، لاعترافهم في مذهب البطولة، الغرب يعيش هذه العقلية، البطولة، يعني عنده لازم واحد ينجح ممنوع اثنين، تجد الفريق الواحد، مثل ما عندنا: الرياضي الأول.. الخ! لا بأس، هذه الطرفة خارج الإطار..

لكن وراء الكواليس، هناك أناس يحبون العمل وراء الكواليس، لأنهم يعتقدون فعالية عملهم أكثر من الممثل على المسرح.. يعني الآن مستشاري بوش-مستشاري أوباما، كثر، وعباقرة، ولو طُلب منهم وبقوة أن يظهر للمسرح، لا يظهر، لا يُحب!

هو يصنع له المطبخ، ويصنع له المائدة، يصنع له الفكرة، يتكلم معه، وإذا جلس مع الرئيس يصبح الرئيس خادم له، اسمع – هكذا تكلم – هكذا افعل، لا تخرج!

هؤلاء لا يحبون الخروج إلى المسرح، يعملون في الخفاء، والعالم في تلك البيئات يحترمهم، ويعرفهم أكثر مرات من معرفتهم بالمسرح..

يعني: من الفيلم؟ الفيلم هو كل شيء، من هو المخرج، الممثل لا شيء، الممثل هو الشيء الأخير الذي يوضع فوق الطعام ليزينه، لكن من القائد بالفعل الكلي؟ المخرج، من يعرف المخرجين؟

لا أحد يعرفهم، لكن الغرب يحترمهم أكثر من الممثل، والممثل يخاف منهم، مع أن شهرة الممثل أكثر، لكن الممثل يخاف منهم، ويُقبل أيديهم، ويعتبرهم أساتذة! هذا هو العالم...

نحن أمتنا كلها تحب أن تجلس على المسرح! العامل وغير العامل، والمطبخجي، كله.. كله يريد أن يجلس على المسرح!

طيب، أين المطبخ؟ من يعمل هناك؟ من يعمل في الخلف؟ لأن الأمة لا تحترم من يعمل في الخلف، ولأن الأمة الصغيرة تتعلق-الطفل الصغيرة إذا وضعته في حضنك أين يشد؟ يشد في عقلك أم في لحيتك؟

فالطفل أين يتعلق؟ بالشيء البارز –ونحن هكذا؛ الشيء البارز نتعلق به، أما من الداخل لا يهمنا، فللأسف!

هذا الكلام أتيت به من أجل الكلام على "عبد المنعم الصالح العزي"، أنه رجلٌ عاش حياته–يعني ألف كتب جميلة، ورائعة، وعلمية، وتربوية رائعة.. وبعضهم قال عن هـ–لا بأس هذا استباق الحديث عن الدرس القادم –، لكن بعضهم قال بأن اختصاره لمدارج السالكين، وأنا لا أحب الاختصارات، لكن يعني تقييمات، وأنا لا أحب –مادام الكتاب عندي الأصل لا يهمني الاختصارات، لسبب لا يعنيني – فأنا أذهب لأرى، وأنا لا يعنيني هذا يكفيني الكتاب..

لكن قالوا أن تلخيصه لكتاب "المدارج" هو خير تلخيص، والرجل ذواق، بلا شك ذواق، وأنا تكلمت لكم عن المدرسة العراقية، وكيفية جمعها بين المدرسة الصوفية والسلفية، وهو منهم..

وهو من الحزب الإسلامي –أصلًا هم جماعة الإخوان المسلمين– وأخرج كلامًا عن الحزب الإسلامي العراقي الذي هو وريث جماعة الإخوان كلامًا شديدًا واعتبرهم عملاء لإيران، أستغفر الله: كلمة كبيرة، أحذية لإيران تماهوا مع المحتل، وتماهوا مع إيران، وفساده، كلامه أخرج فيهم.. بالرغم أنه كان هو منهم، لكن أخرج كلامًا يدل على إنصافه، وبدل على حرصه، ومعرفته بالواقع، وعدم انغراره بكونه من الحزب..

أنا –اسمعوا هذا–، يمكن لا أحد تكلم عن الشيخ القرضاوي كما تكلمت عنه، صحيح أني لم أكتب لكن كنت أتكلم.. لكن أن يُوفق رجل في آخر عمره ليتحدث عن الشيعة، هذه مكرمة! إلى الآن الشيعة: مخلوف، مخلوف، وأجاز التعبد، فتصور لو مات الشيخ القرضاوي قبل أن يتراجع؟

كان ما زال القرضاوي قال، القرضاوي قال.. فأن يوفق المرء لمثل هذه القضايا –باعتباره عالما– لمثل هذه القضايا الكبرى؛ أنا أعتبر هذا توفيق إلهي، وأعتبر أن هذا على مسلك خير، هذا أمر تقييمي: الناس يقبلوه، يردوه، حرين هم..

فأن يقول –لعلكم سمعتم كلامه – يعني كلامه في المراجعات التي تبثها قناة الحوار، أو كلامه الذي أخرجه في مواطن مختلفة عن إيران وعن الشيعة، كلام الرجل أنا أعتقد أن هذا من توفيق الله، وإذا وفق المرء، يوجد رعاية ربانية.. في التوفيق معنى رعاية ربانية ما..

فأن يقول هذا الحزبي –الشيخ عبد المنعم صالح، يعني هو الذي يدير الإخوان المسلمين في الخليج إدارة من وراء الكواليس، أن يقول هذا الكلام عن الحزب الإسلامي الذي هو يمثل الإخوان المسلمين في العراق، يقول هذا الكلام الشديد، الذي لو قلناه نحن ربما أُتهمنا بالعصبية والوهابية، أو هذا الكلام –.. أن يقوله يدل على صدق مع الله، وعلى أنه يريد دين الله لا يهمه الحزب! هذا أعتبره أنا توفيق إلهي.. ونحن ليس خلافنا مع هؤلاء كخلافنا مع أبي حيان التوحيدي على كل حال..

المهم لدينا أن نعرف بأن –يعني أنا أتكلم عن المدرسة التي أرادت أن تُجير تاريخنا لشخوص ورجال وسلسلة معينة، وأنا مرة قرأت لكم في الدروس الأولى، قرأت لكم كلامًا لابن حزم فيما ينبغي أن يقرأ القارئ، أحضرته في إحدى رسائله قرأت، **ما هي الكتب التي يجب على المرء أن يقرأها لتخرج منه بعد ذلك الكلمة؟** فرأينا تنوعًا غريبًا!

الآن أنت لما تذهب لابن تيمية رحمه الله باعتباره النموذج الأعظم –وهو قد أخذ هذا النموذج باستحقاق في ماذا تقرأ في مصادره؟ تقرأ تنوعًا غريبًا، عندما يتحدث هو –وهذه أنا أعتذر–، أنا لما قلبت ورقاتي فوجدت كلامًا لابن تيمية في النبوات عن كتاب الكتاب لسيبويه.. كلامًا عظيمًا، يدل على أن الرجل عظيما، ولذلك أنا في الحقيقة لا أصدق هذه الرواية، أن ابن تيمية قال لأبي حيان الأندلسي: قال له: ليس سيبويه بنبي، وقد أخطأ في ثمانين، لا تعرفها.. هذه الراوية الحقيقة عندي شك منها، وليس هذا وقت البحث فيها.. فإنه يعظم سيبويه تعظيمًا عجيبًا، يقول: الذي يقرأ هذا الكتاب ويفهمه؛ أصبح، نعم يعني يعظم هذا الشأن...

فالقصد: أن نقرأ، أن نقرأ، أن نفتح أذهاننا، نحن أمام معركة.

الذي ليس له ذهن لا يصنع حضارة، لا يقاتل جيدًا، ولا يقرر جيدًا، ولا يعطي فقهًا جيدًا، ولا يقرأ تاريخه جيدًا، ولا، ولا، ولا... لا يأتي منه شيء.

{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: ١] ثم {اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ}.. لا تأتي كرامة الله عز وجل إلا بأن تقرأ أولًا كتاب الله؛ وهذه هي بعض جوانب قراءتنا لكتاب الله..

الكتاب القادم هو كتاب "الدفاع عن أبي هريرة".

بارك الله فيكم، وجزاكم الله خيرًا، والحمد لله رب العالمين.